النصوص المقررة

والمطالعة والقواعد النحوية والصرفية

للصف الأول الثانوى

عبد الفتاح لاشين   حسين شرف

- الأدب والنصوص
- التراجم
- النقد والبلاغة
- القواعد النحوية والصرفية
- أبواب الميثاق "بعض المديريات"
- القصة المقررة
- امتحانات النقل



النصوص المقررة

والمطالعة والقواعد النحوية والصرفية

للصف الأول الثانوى
والتجارى

تأليف

عبد الفتاح الأشيبح　　　　حسين شرف

يطلب من مكتبة الأهرام بالفجالة
تليفون ٩٠٢٤٣٧

المطبعة العثمانية بالدراسة — ت ٩٣٥٤٥١

١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

نصت توجيهات المناهج على أن « يراعى فى دراسة النصوص أن تحلل تحليلا فنياً حديثاً » وهذا النص تعبير عن الواقع فى طريقتنا التى نهجناها فى كتابنا :

(ا) عرض النص عرضاً كاملا .

(ب) دراسة أفكاره جملة وتفصيلا بحيث تتضح علاقة كل فكرة بما قبلها وبما بعدها . وبالغرض الذى أنشئ فيه .

(ج) دراسة صوره دراسة يتبين فيها مدى اتصال كل صورة بغيرها ، وبالجو الذى قيل فيه النص ، والأثر المراد تحقيقه منه ،

(د) دراسة نسق التعبير دراسة يمكن الحكم بها على مدى توفيق الأديب فى وضع كل كلمة فى مكانها الذى توحى فيه بأكبر شحنة من المشاعر والإحساسات .

(ه) أن تتخذ هذه الدراسات وسيلة للحكم على النص من حيث الصدق ، والأصالة ، والتعبير المفصح عن التجربة ، ومن حيث توافر الوحدة العضوية .

وإننا لنعترف بأن الميدان لم يمهد تمهيداً كاملا لهذه الدراسة لكن الأمل معقود على النابهين من الزملاء المدرسين ، وعلى الامتحانات التى تَقيسُ ما يتحقَّقُ من أهداف المناهج فى فروع اللغة العربية كافة ، فإن الامتحانات هى الموجه الحقيقى للدراسة .

أما القراءة فنهجنا فى دراستها يعتمد على حسّنا العميق بأهدافها ، ولذلك كان حرصنا شديداً على الثروة اللغوية ، وفهم أسرار تركيب الجملة العربية ، وعلاقات الأفكار بعضها ببعض . وبالمجتمع الذى نعيش فيه .

إن عمق الوعى بالمادة وأهدافها . وإن الأمانة العلمية . والتبعات التربوية هى التى قضت علينا بالتزام النهج الذى التزمناه . برغم ما نقاسى من جهد.وما نحتمل من تكاليف.

والله الموفق ؟

عبد الفتاح لاشين — حسين شرف

العصر الجاهلى

العصر الجاهلى هو العصر الذى سبق ظهور الإسلام ، وسمى بذلك لما شاع فيه من جهالة وسفاهة ، وسفك للدماء ، وهتك للأعراض ، وسلب الأموال .

وقد نشأ فى هذا العصر أدب ، ولكن الفترة التى وصل إلينا أدبها تقدر بنحو مائة وخمسين عاما فقط قبل الإسلام .

وقد نشأ هذا الأدب فى شبه الجزيرة العربية . وقد كان هـذا الأدب مرآة لعصره ، ومرآة لبيئته ، ومن أجل هذا كان علينا أن نمهد لفهم هذا الأدب بشىء عن الجزيرة العربية وأهلها فى ذلك العصر .

جزيرة العرب

يسمى العرب بلادهم أحياناً الجزيرة ، وأحياناً جزيرة العرب تسامحا ؛ لأن الماء لايحدها شمالا بل يحدها شمالا الشام ، والجزيرة ، والعراق ، وشرقا خليج العرب ، وبحر عُمان ، وجنوباً المحيط الهندى ، وغرباً « بحر القلزم » أو (البحر الأحمر) . وتبلغ مساحتها مساحة مصر مرتين ونصف مرة .

وتنقسم أقساماً يختلف بعضها عن بعض :

١ — **الحجاز:** وسمى بذلك ؛ لأنه يحجز بين تهامة وهى هابطة إلى شاطىء البحر ، « ونَجْد » وهى مرتفعة ، ثم أصبح الحجاز يشمل تهامة . والحجاز قطر يغلب عليه الجدب والإمحال وقلة المطر ، وأحياناً يسيل السيل فيملأ وديانه ويجرى ليصب فى البحر . وتنتشر فيه البقاع الصخرية ، وخاصة حول مكة ، وتلقى عليها الشمس أشعتها فتنعكس منها حرارة عنيفة قاسية . وفيه وديان قاحلة ينبت فيها أحياناً قليل من الكلأ ترعاه الماشية . وقد يكون أخصب مكان فيه الطائف ، فقد أينع فى أرضه النبات ، وظهرت فيه أشجار التين والعنب والرمان والزيتون . وأشهرُ مدن الحجاز « مكة » وهى فى واد غير ذى زرع ، وبمكة الكعبة « البيت الحرام » وكان العرب يحجون إليها فى الجاهلية ، وجُعل الحج إليها فرضاً فى الإسلام . وهى قبلة المسلمين فى صلاتهم . ومن مدن الحجاز « المدينة المنورة » (يثرب) ، وبها كثير من النخل ، وآبار كثيرة يستقون منها .

٢ — **اليمن:** ويقع جنوب الحجاز ، وقد اشتهر قديماً بالغنى والثروة والحضارة وهو كالحجاز يتألف من أرض منخفضة على شاطىء البحر وأرض مرتفعة فى الداخل ومن مدن اليمن « نجران » فى الشمال ، « ومأرب » فى الشمال الشرقى من صنعاء وتسمى « سبأ » ، ومن مدن اليمن صنعاء ، فى الوسط

٣ — **حضرموت** : وهو قطر جبلى فى جنوب الجزيرة ، ويقطع جباله وديان كثيرة ، ويسمى سكانه الحضارمة ، وقد اشتهروا بجدهم ورحلاتهم فى التجارة .

٤ — **عُمان** : وهو قطر جبلى على شاطئ البحر فى الجنوب الشرقى من الجزيرة ، وقد اشتهر أهله بالملاحة .

٥ — **البحرين** : وهو الجزء الممتد فى شرقى الجزيرة من عُمَان إلى حدود العراق . ومن مدنه : هَجَر ، وقَطَر ، وقد اشتهر أهله بالغوص على اللؤلؤ واستخراجه من البحر .

٦ — **وسط الجزيرة** ، وهو أقسام :

(ا) الجزء الذى بين شرقى اليمن والشمال الغربى لحضرموت ويسمى « صَيْهَداً » .

(ب) والجزء الذى فى شمال حضرموت ويسمى « الأحقاف » .

(حـ) والجزء الذى فى شمال الصحراء ويسمى « نجداً » .

(ى) والجزء الذى فى الجنوب الشرقى لنجد ويسمى « اليمامة » .

(هـ) والجزء الذى فى الشمال المجاور للشام ويسمى « بادية الشام » والمجاور للعراق منه يسمى « بادية العراق » .

ووسط الجزيرة فى جملته صحارى قليلة الأمطار قليلة النبات تتخللها الواحات التى ينبت الكلأ فيها فترعاه الماشية فى بعض أشهر السنة . و « نجد » من أجود بلاد العرب هواء وأجملها منظراً ، واليمامة من أخصب بلاد العرب .

مناخ الجزيرة : يسود الحر أكثر الجزيرة ، وفى الأراضى المرتفعة كنجد يعتدل الجو ليلا فى الصيف ، ويبرد فى الشتاء حتى لينعقد الثلج فى أعالى بعض الجبال كما فى الطائف ، ثم تزيد الحرارة فينحدر من الجبال جداول تروى الأرض ، فتتكوّن بساتين ومزارع . وقد أكثر الشعراء القول فى نوعين من الرياح : ريح الصَّبا وريح السَّمُوم . والصَّبا ريح معتدلة ، والسموم ريح حارة . وليس فى الجزيرة أنهار ، لذلك كان عماد حياتهم المطر ، وسمَّوه غيثاً . وخير أوقاتهم الربيع وهو ما يعقب المطر ؛ ينبت فيه الكلأ فيخرج إليه الرعاة بإبلهم وغنمهم . وبعض الجبال والأودية جيد التربة ، فإذا أصابه الماء أخرج نباتاً وشجراً . ومن الشجر الرّمّان والليمون ، والتفاح ، لكن أكثر أشجارهم النخيل ، وعلى النخيل يعتمد الكثيرون فى غذائهم .

وأخصب أرضها اليمن ، لكثرة أمطارها ، وقد سماها اليونان والرومان « بلاد العرب السعيدة » وهكذا نرى اختلافا كثيرا بين أجزاء الجزيرة ، وكان لهذا الاختلاف أثر فى اختلاف السكان : فى طباعهم ، وأدبهم ، ولهجاتهم ، وأديانهم .

أهل الجزيرة

يسكن الجزيرة «الأمة العربية» ، والعرب من «الجنس السامىّ» ؛ وهم ينقسمون شعبين كبيرين : عرب الشمال ويُسَمّونَ العدنانيين ؛ لأنهم من نسل عدنان ، وعدنان من نسل إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وعرب الجنوب ويُسمّوْنَ القحطانيين ؛ لأنهم من نسل قحطان وبين هذين الشعبين عداء قديم سببه اعتقادهم فيما بينهم من خلاف فى الأصل والحضارة ، وكان بين الشعبين مفاخرات كثيرة روتها كتب الأدب والتاريخ . ومع هذا كانت الرحلات مستمرة بين الشعبين . وكل من الشعبين ينقسم قبائل متعددة ، والقبيلة هى الوحدة التى بنى عليها نظام العرب الاجتماعىّ ، والقبيلة أسرة كبيرة يعتقد أفرادها أنهم من أب واحد وأم واحدة ، وهى فى الغالب تسمى باسم الأب كربيعة ، ومضر ، والأوس ، والخزرج ، وقليلا ماتنسب إلى الأم كما قالوا فى « خِنْدِف » ، و « بَجِيلة » . وقد تسمى القبيلة بأسماء أخرى مثل « غسان » وهو ماء نَزلتْ عليه جماعة فسميت به . وللقبيلة شيخ يفصل فى قضاياها ، وسيادته قائمة على ماله من احترام وإجلال وقلما يبنى على القهر والاستعباد وحرية الأفراد فى القبيلة أوسع منها فى الحكومة المنظمة . وكان للقبيلة شاعر يغنى بأمجادها ، وكل فرد يتعصب لقبيلته ، ويتمتع بمحاسنها ، ويُعَيّرُ بمساويها . وعلى القبيلة أن تحمى أفرادها ، والأفراد يفزعون إليها فى الشدائد ، وقد يرتكب الفرد جرائم تُحَمِّل قبيلته متاعب جمّة فتعلن انفصاله عنها ، ويسمى عند ذلك « خَليعاً » . وقد يلتجىء فرد إلى غير قبيلته لتحميه ، وتدافع عنه فيسمى « حليفا » أو « مَوْلًى » .

أما علاقات القبائل فهى غالباً عدائية ، فالقبيلة إما مغيرة . وإما مُغَارٌ عليها إلا فى حالات الحِلْف والمهادنة . ومن أجل هذا كانت الحروب والنصْرة والهزيمة وما إليها أكبر موضوع قال فيه الشعراء الجاهليون .

حياتهم السياسية

أولا : حياة أهل الحضر : مستقرة ، ويشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة كسكان اليمن والحيرة ، وغسان ، وبعض مدن الحجاز مثل مكة والطائف .

١ — **فى اليمن** : قلنا إن عرب اليمن قحطانيون . وقد نشأ فيها دول كبيرة أهمها دولة سَبَأ ، ودولة حِمْيَر .

(أ) أما سبأ فقد كانت فى القرن الثامن قبل الميلاد وحاضرتها « مأرب » ، وقد كان من أهم أسباب عظمتها التجارة ، فكان السبئيون ينقلون تجارة الهند والحبشة إلى مصر

والشام عن طريق البر فلما أعرضت التجارة عن طريق البر ، وسلكت البحر من الهند إلى حضرموت إلى مضيق باب المندب فى القرن الأول الميلادى ضعف شأن سبأ ، وانضم إلى أسباب الضعف انهيار سد مأرب ، وهو سد أقيم لحجز المياه وتصريفها وقد تصدع على أثر سيول غزيرة ، فأصاب الناس قحط ، وتفرق السكان ، وهجروا بلادهم إلى الشمال ، ومنهم الأوس والخزرج . ولا تزال بقايا السد قائمة إلى الآن ومن أمثال العرب « تَفَرَّقوا أيْدِى سَبَا » .

(ب) — وأما حمير ففرع من السبئية ، وقد نشأت دولتهم فى أواخر القرن السادس الميلادى . وقد سجل التاريخ لحمير فتوحا وحروبا كثيرة بين الفرس والحبشة . وللعرب عن اليمن وشئونها أساطير كثيرة كان لها أثر كبير فى الأدب العربى من شعر وقصص وأمثال ، كالذى ذكروا عن ذى القرنين ، وعن قصر « غُمْدان » ذى العشرين سقفا ، غرفا بعضها فوق بعض ، وبين كل سقفين عشرة أذرع ، وأعلى سقف فيه سقف برخامة واحدة شفافة ، وكالذى ذكروا عن زرقاء اليمامة ، وهى امرأة كانت تبصر على أبعد مدى ، ومن ذلك أنها أبصرت جيشاً قادماً إلى بلادها على مسيرة ثلاثة أيام .

٢ — **فى الامارات المتاخمة للبادية** : من هذه الإمارات إمارة اللخميين فى الحيرة ، بجوار الفرس ، وإمارة الغساسنة فى الشام بجوار الروم . واللخميون والغساسنة كلاهما من أصل يمنى . وسبب قيامهما أن عرب الجزيرة كانوا يهددون هاتين المملكتين بنوع من الحروب غير النظامية بالإغارة والسلب . ولم يكن من السهل على الفرس والروم غزو العرب وفتح بلادهم لوعورة الصحراء ، فرأت كل أمة منهما أن تنشىء إمارة عربية على حدودها تدفع بها الغزوات وتأمن بها صد الغارات ، وأن تمهد بذلك للقبائل المجاورة ، فأنشأ الفرس إمارة الحيرة ، وأنشأ الروم إمارة الغساسنة .

(١) **الحيرة** : كانت على أطراف العراق ، وصارت على عهد اللخميين عامرة ذات قصور فخمة ، وكان أول أمرائها عمرو بن عَدِىّ حوالى سنة ٢٦٨ م واستمرت إلى سنة ٦٢٣ م حين فتحها خالد بن الوليد . وكان الأمير يعينه ملك الفرس من قبيلة « لخم » ، وكان الأمير مستقلا . وكان عرب الحيرة صلة بين الفرس وعرب الجزيرة ، ينقلون التجارة ، وينشرون مَدَنِيّة الفرس وثقافتهم ، وينقلون الأخبار والأقاصيص . وقد تأثر الأدب العربىّ بذلك تأثُّرا غير قليل .

ومن أشهر أمرائها النعمان الخامس الذى مدحه النابغة الذبيانىّ . والعرب يتحدثون عن الخَوَرْنَق والسَّدير ، وهما قصران كالقلاعتين بجوار الحيرة ، ويتحدثون ع

« سِنِمّار » الذى بنى الخَوَرنق ، ويذكرون يومى النعمان يوم نعيمه ويوم بؤسه . وقد اشتهر من شعراء الحيرة عَدِىّ بن زيد .

(ب) — **الغساسنة** : كانت عاصمتهم « جِلّق » بالقرب من دمشق ، ومن أشهر ملوكهم الحارث بن جَبَلة ، وقد اشتبكت إمارة الغساسنة فى حروب مع اللخميين فى الحيرة تبعاً للحروب بين الفرس والروم . وآخر ملوكهم جبلة بن الأيهم ، وقد أسلم لما فتح المسلمون الشام ، وأحسن عمرو بن الخطاب وفادته ، فوطىء رجلٌ فَزَارِىٌّ فضلَ إزاره ، فلطمه جبلة ، فشكاه الفزارىّ إلى عمر بن الخطاب ، فطلب القصاص منه فهرب وتنصّر .

وكذلك كان الغساسنة واسطة بين عرب الجزيرة والروم يعلنون حضارتهم ، وينقلون أخبارهم ، ووفد عليهم كثير من شعراء الجزيرة كالنابغة ، والأعشى ، وحسان بن ثابت ، واشتهروا بالكرم بين العرب .

٣ — **فى الحجاز** : كان أعظم موطن للعدنانيين هو مكة ، وكان يسكنها قريش ، وقد انتهت إلى قريش الزعامة التجارية فى الجزيرة ، بعد أن كانت فى يد أهل الجنوب ، وتعددت رحلات قريش إلى اليمن شتاء ، وإلى الشام صيفا . وقد مكن لها من ذلك موقعُ مكة فى منتصف الطريق بين اليمن والشام ، ومكانتها فى نفوس العرب وجهودها فى نشر السلام . وكان لها الشرف على غيرها من مضر ، وآلت ولاية البيت الحرام لها ، وكان لسيدها قُصَىّ ابن كلاب لواءُ الحرب ، وحجابة البيت ، ثم تصدى قصىّ لإطعام الحاج وسقايتهم ، وفرض على قريش خراجا ينفقه فى إكرام ضيوف الله وزوّار بيته . وكان ذلك فى نحو أوائل القرن الخامس للميلاد ، ثم تتابعت الولاية والرياسة لأولاده عبدمناف ، ثم هاشم ، ثم عبد المطلب جد النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

وكانت التجارة بين قريش وسائر البلدان سبباً فى اتصال العرب بغيرهم من الأمم .

ثانيا — حياة أهل البادية : أكثر العدنانيين أهل بادية رحالة ، وأكثر القحطانيين أهل عمران وحضارة ، ويقل من العدنانيين من يعيش عيش القرار كقريش فى مكة ، وقد قدمنا الحديث فى ذلك . ويختلف العدنانيون عن القحطانيين فى لغتهم ، لكن لغة العدنانيين سادت قبيل الإسلام ، وتمت سيادتها بعد ظهور الإسلام . كذلك يختلفون فى عاداتهم عن القحطانيين وقد تشعب العدنانيون شعوباً كثيرة وأكبر فروعهم ربيعة . ومضر ، وهما أقوى الشعوب العدنانية فى القرنين السابقين للإسلام ، وكان بينهما أحداث كثيرة وحروب طويلة ، وكانت الحروب أحيانا بين قبائل مختلفة من ربيعة كحرب البسوس بين بكر وتغلب أو بين قبائل مختلفة من مضر كحرب « داحس والغبراء » بين عبس وذبيان ، وحرب الفجار بين قريش وكنانة .

حياة العرب الاجتماعية

اما سكان البادية فعيشتهم عيشة ارتحال وانتقال ؛ لأن الجزيرة غير صالحة للزراعة لقلة المياه فليس فيها أنهار ولا منابع ، وما يجرى فيها من سيول تتشربه الرمال . وأراضيها العالية تمطرها السماء فتنبت الأعشاب فى بقاع متفرقة من الأرض ، فتخرج القبائل إلى المراعى بالإبل والأغنام لرعى الكلأ ، إلى أن يجف الزرع فيعودوا إلى حيث كانوا ، وقد تَلَوَّنَ شعرُ العرب بهذه الظاهرة . فتغنى الشعراء فى موْسم الغيث بالمطر وبالربيع وبالكلأ ، وبالأزهار ، ونَعَوْا على القيظ جدبه ، وفقره ، وعطله من الخير والجمال .

ومن أجل ذلك سكنوا الخيام ينقلونها معهم إذا خرجوا الرعى أو الغزو ، وكانوا يتخذونها من الوبر والشعر والصوف . وفى كل خيمة ستار يفصل مقدمها عن مؤخرها حيث يكون النساء . وكثيرا ما تكون هذه الخيام موضوعا للشِّعر ، كما كثر بكاؤهم على الأطلال ، وهى الآثار الباقية بعد رحيل أهلها من حجارة أو رماد ، أو أثر لعب الصبيان وأكثر طعامهم اللبن والتمر ، وأقل من هذا اعتمادهم على لحوم الإبل والشاء ، وقد كثرت فى الشعر ؛ لأنها مظهر الجود والكرم .

والإبل عماد حياتهم فى الجزيرة يأكلون لحومها ، ويشربون من ألبانها ، ويكتسون من أوبارها ، ويحملون أثقالهم عليها ، ويقايضون عليها فى المبايعات ، ويقوِّمون بها الأشياء ، ويفتدون بها الأسرى ، ويَدُونَ بها القتلى ، ويمهرون بها ولذلك عنوا بتربيتها ، ومهروا فى طرق إنتاجها ، وربطوا حياتهم بحياتها ، يرحلون للرعى من أجلها ، ويتطلبون الأماكن الصالحة لتوليدها ولقد بنى كثير من لغة العرب وأدبهم عليها ، فوضعوا الأسماء لأجزائها ، ولمراحل عمرها ، واشتقوا التشبيهات منها ، وضربوا الأمثال بها ، وقالوا القصائد فى وصفها ووصف سيرها .

وكان لديهم الخيل وهى أعز مايباع عندهم يرسلونها على الصيد ، ويقيمون لها السباق ، ويركبونها فى المعارك ، لكنها كانت متاع المترفين ، فكان ماورد منها فى اللغة والأدب أقل مما ورد فى الإبل . وسادت بين العرب حروب وغزوات ، ومن أجل ذلك شغلت الحروب أكثر حياة القبائل والأفراد ، فبين تميم من « مضر » وبكر من « ربيعة » حروب تكاد تكون متصلة ، وبين الحجازيين واليمنيين عداء أشد عداء ، وبين غطفان وهوازن (من مضر) وبين إمارة الحيرة وإمارة غسان عداء موروث ، والمؤرخون يسمون الوقائع بين القبائل « أيام العرب » ولكن بين هذه الحروب كانت تنبعث صداقات تطول وتقصر كما تنبعث أصوات تدعو إلى السلم كما فى معلقة « زهير بن أبى سلمى » .

وأوضح عاطفة عند العربى فى هذا المجال الانتقام والأخذ بالثأر ، وقد يجن جنونه ، أو يقلق به مضجعه إذا اعتُدى عليه حتى يأخذ بثأره أو يموت . وكان ماورثنا من أدبهم ظلا لهذه الحياة ، فقد حفل الشعر الجاهلىّ بوصف الوقائع والحروب ، والتمدح بالأخذ بالثأر ، والفخر بالانتصار ، والأنفة من المذلة ، والاعتزاز بالقوة ، والحرص على الشرف والزهد فى الحياة والمال ، كما ملىء بوصف آلات الحرب من رمح ، وسنّ ، ودرع ، ومجنٍّ ، وسيف .

وسادات الأخلاق الحربية من شجاعة ، وكرم ، ووفاء ، فأطنبوا فى مدحها ، وعدوها عنوان الرجولة ، وسموها اسماً جامعاً هو « المروءة » .

ومخاوف الصحراء واضطراب العلاقات جعلت البدوىّ حذراً متوقّعاً الخطر معتمداً على نفسه فى الدفاع ، أو على صديق يتوسم فيه صدق المعونة ، ومن هنا كان الوفاء من أخص الصفات التى تميز بها وامتدحها فى نفسه وفى غيره .

ومن متع الحياة لديهم الصيد بالنبال والسهام ، وبالحيوان المعلَّم كالفهد والكلب ، وكان شرب الخمر عندهم عادة ، ولعب الميسر فاشياً فيهم ، وقل أن ترى شاعراً جاهلياً يغفل الحديث عن الخمر ، وفى كرمه إذا شرب ، ولكن يبدو أن شرب الخمر كان عادة المترفين ، وقد يتصل الغناء بالشراب .

والمرأة تشارك الرجل فى كثير من شئون الحياة ، فهى تحتطب وتجلب الماء وتحلب الماشية ، وتنسج الملابس والمساكن . وأغلب النساء سافرات يقابلن الرجال من الضيفان ويتحدثن إليهم ، ويخترن أزواجهن ، ويستصحبهن الرجال فى الحروب ، ويقيمونهن خلفهم ليقاتل الرجال ذياداً عنهن مخافة العار فى أسْرِهنَّ لكنهن على العموم كن ضعيفات ، ومن أجل ذلك كان العرب يفرحون بإنجاب الذكور دون البنات .

وعلى الرغم من ذلك كان للمرأة المكان الأول فى الشعر ، فلا نكاد نجد قصيدة خالية من ذكرها والتغزل بها ، وكثيراً ماحكى الشعراء النزاع بينهم وبين النساء ، فهن يتطلبن من الرجال الاقتصاد فى المال حتى يسعد البيت والرجال يأبون إلاّ السرف ؛ لأنه وسيلة الشرف . كذلك كن كثيراً ماينصحن بالحرص على الحياة ، ويأبى الرجل إلا الاستهانة بالحياة طلباً لحسن الذكر وطيب الثناء .

أما أهل الحضر فهم يعيشون فى الدور والقصور ، وكانوا أقل شجاعة ، وأشد حباً للمال ، وأكثر توفّراً على وسائل الترف والنعيم ، وكان اليمنيون أمعن فى الحضارة ، وقد نقل المؤرخون عنهم مايدل على إفراط فى الترف من النسيج الفاخر ، وأطباق الذهب

والفضة ، وتزيين القصور ، وقد جمعوا المال من التجارة والزراعة ، وكان أكثر أهل الحجاز تحضراً قريش فى مكة ، وقد أغنتهم التجارة فنعموا بما لم ينعم به سواهم من سكان الحجاز .

حياة العرب الدينية

اختلف العرب طوائف ؛ فمنهم من عبد الكواكب ، ومنهم من عبد الملائكة ، ومنهم من عبد الجنّ ، ومن قريش من اعتنق الزندقة ، وقد أخذوها من أهل الحيرة ، وهذه الزندقة تقول بإلهين اثنين . إله النور وهو للخير ، وإله الظلام وهو للشر . ومن العرب من أنكر الأديان كلها . وكانت الوثنية أكثر الأديان انتشاراً ؛ وهى عبادة الأصنام والأوثان ، وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها ، وكانت حياة العرب متأثرة بهذه الأصنام يهدون إليها ، ويذبحون عندها . وكان لأهل كل دار فى مكة صنم يعبدونه ، ويتمسحون به عند السفر وعند القدوم من السفر وكان لغير قريش أصنام تعظمها ، وتهدى إليها وتطوف بها ، وظلت هذه الأصنام تعبد حتى جاء الإسلام ، فحاربها أشد الحرب ، وأزال من الكعبة كل ما فيها ، وبعث الرسول إلى البلاد رسلا لحرقها وتحطيمها حتى طهرت البلاد منها .

لكنا رأينا الشعر الجاهلىّ قليل التعرض للدين ، قليل الذكر للأصنام . ولعل السبب أن العرب وبخاصة الشعراء منهم لم يأبهوا بالدين ، ولم يتأثروا بالعاطفة الدينية ، ولعل رواة الشعر فى الإسلام كفوا عن رواية الشعر الذى ظهر فيه اتجاه لذكر آلهة المشركين .

وانتشرت اليهودية والنصرانية بين بعض العرب : فكانت اليهودية فى يثرب (المدينة) وما حولها ، وكان يهود يثرب هم بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وكانت هذه القبائل اليهودية تعيش فى يثرب بين قبيلتى الأوس والخزرج ، وكانت العلاقة بين الطائفتين علاقة إخاء أحيانا ، وحرب أحيانا . وكذلك انتشرت اليهودية فى اليمن ، واشتهر من شعراء اليهود السموءل بن عادياء . أما النصرانية فقد انتشرت فى ربيعة وغسان وفى الحيرة . وكان بنو تغلب من نصارى العرب ، وظل كثير منهم محتفظا بدينه إلى ما بعد الإسلام . ومن أشهر مواطن النصرانية نجران فى اليمن وكان القسوس والرهبان يَرِدُون أسواق العرب ويعظون ، ويدعون إلى دينهم ، ويذكرون البعث والحساب ، والجنة ، والنار ، واشتهر من شعراء النصرانية وخطبائها قُسُّ بن ساعدة ، وأمية بن أبى الصلت ، وعدِىّ بن زيد .

وأخيرا كان فى العرب طائفة قليلة نظرت فى الأديان الفاشية فلم ترضها ، ولم تؤمن بالأصنام ، ولا باليهودية ، ولا بالنصرانية ونزعت إلى عبادة الله وحده ، وكانوا يُسمَّوْن « الحُنَفَاء » ، وكانوا يقولون لقريش : إنكم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع ، ولم يكونوا يتابعونهم فى شعائرهم ، ولا يأكلون من ذبائحهم .

حياة العرب العلمية

لم يكن من المتوقع فى هذا الطور من الحياة الاجتماعية عند العرب أن يكون هناك علم منظم ، ولا علماء يبحثون ويدوّنون ، ويضعون القواعد ، ويوضحون المناهج ويشرحون النظريات ، فلم يكن عند العرب إلا الطبيعة والكون المفتوح وتجارب الحياة ، وماتهدى إليه الفطرة ، فعرفوا النجوم ومواقعها ، والأنواء وأوقاتها ، وعرفوا بعض أنواع العلاج، وخَطَرَت لهم خَطَرَات فلسفيه هدى إليها العقل السليم ، ونظرته الصافية إلى الحياة .وقد انتقل إليهم بعض أخبار الفرس وملوكهم وبعض حكمهم كما انتقل إليهم بعض أخبار الروم من الغساسنة ، ومن التجار الذين ينتقلون بتجارتهم ، لكن معلوماتهم لم تكن دقيقة ،ولا معرفتهم تامة بهذه البلاد ، بل دخلها كثير من التحريف بسبب الأمية ، وندرة التدوين .

وقد حملت اليهودية والنصرانية إلى بعض العرب مافى التوراة والإنجيل وبعض الأخبار والقصص عن اليهود والنصارى فى الأمم المجاورة ، ولكن أكثر ما امتاز به العرب حِدَّة الذكاء ، وحضور البديهة ، وفصاحة القول . ولذلك كان أكبر مظاهر حياتهم العقلية فى لغتهم وشعرهم وخطبهم وأمثالهم .

الشعر الجاهلى

فخر واعتزاز
باتحاد العرب وانتصارهم فى يوم ذى قار
للأعْشَى

الشاعر : هو ميمون بن قيس من بكر بن وائل ، ويلقب بالأعشى لسوء بصره ، وقد ولد باليمامة فى قرية تسمى مَنْفُوحَة (قرب الرياض) . وقد دَرَّبه على الشعر خاله المسيّب بن عَلَس ، ولما نبغ فيه أخذ يطوف البلاد ويمدح الملوك والأجواد مستجديا عطاءهم ، وكان يُغنِّى بشعره وهو يلقيه ، فَسُمِّىَ « صَنَّاجَةَ العرب » .

ويُروى أنه لما ظهر الإسلام ، وعظم أمر النبي (ص) بين العرب مال إليه الأعشى ، وأعدّ له قصيدة يمدحه بها ، ثم قصده ليشدها بحضرته ، فبلغ خبره أباسفيان زعيم أعداء محمد ، فخاف أثر شعره ، وجمع أنصاره ، واتفق معهم أن يقدموا للأعشى مائة ناقة ويقنعوه بأن يعدل عن إنشاء قصيدته ، ففعلوا ، وأخذها ، وعاد إلى بلده ، ولكنه لما اقترب من قريته رمى بعيره به فقتله .

وكان تطوافه سببا فى كثرة معارفه ، وسعة ثقافته ، وكان يرحل كل سنة إلى سوق عكاظ لينشد بعض أشعاره .

مناسبة النص : قيل النص فى يوم من أيام العرب هو يوم « ذى قار » ، وذلك أن النعمان ابن المنذر أمير الحيرة أبى أن يخضع لبعض مطالب كسرى ملك فارس ، فغضب كسرى ، وصمم على إذلال النعمان ، فخرج النعمان لاجئا إلى قبيلة شيبان من بكر بن وائل ، فأجاره هانىء بن مسعود الشيبانى ، وعلم كسرى ، فلجأ إلى الخديعة ، وأرسل إلى النعمان يُؤَمِّنُه ، ويطلب إليه أن يقدم نحوه آمنا ، وانخدع النعمان ، وذهب إلى فارس ، وترك ودائعه عند هانىء ، وما كاد يصل حتى ألقى به كسرى فى السجن إلى أن مات . ثم بعث كسرى إلى هانىء بن مسعود يطالبه بودائع النعمان ، فأبى هانىء واشتد الخلاف بينهما ، وأعدّ كسرى جيشا جرارا ، ليغزو به قبائل بكر ، وتأهب بنو شيبان للقاء جيش كسرى ، ومعهم قبائل بكر مجتمعين فى جبهة قوية لمحاربة فارس . وقد انتصر العرب على الفرس فى هذا اليوم ، واهتزت نفس الأعشى فرحا بالنصر ، فقال من قصيدة . يشير إلى ذلك اليوم :

النّصّ

١ — وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ   مِنَّا غَطَارِيفُ تَرْجُو الْمَوْتَ وَانْصَرَفُوا
٢ — لَقُوا مُلَمْلَمَةً شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا   لِلْمَوْتِ لاَ عَاجِزٌ فِيهَا وَلاَ خَرِفُ
٣ — فَرْعٌ نَمَتْهُ فُرُوعٌ غَيْرُ نَاقِصَةٍ   مُوَفَّقٌ حَازِمٌ فِى أَمْرِهِ أَنِفُ
٤ — فِيهَا فَوَارِسُ مَحْمُودٌ لِقَاؤُهُمُ   مِثْلُ الْأَسِنَّةِ لاَ مِيلٌ وَلاَ كُشُفُ
٥ — بِيضُ الْوُجُوهِ غَدَاةَ الرَّوْعِ تَحْسَبُهُمْ   جِنَّانَ عَيْنٍ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالزَّغَفُ

(١) الحنو : الجانب ، والمقصود هنا الانحناء عند ذى قار . غداة : صباح . صبحهم: أتاهم صباحا . غطاريف : جمع غطريف أو غطراف وهو السيد السخى أو الشريف ، أو الشاب الظريف . ومعنى البيت أن سادة منا يطلبون الموت هجموا فى الصباح عند ذى قار على جيش الفرس الحاشد لنا ، فبددوا جموعه ،وردوه على أعقابه يجرر أذيال الخزى والعار .

(٢ ، ٣) ململمة : كتيبة مجتمعة كثيرة العدد شديدة التماسك . شهباء : سلاحها كثير متنوع ، ووصفت بذلك لشبهة الحديد أى اختلاط بياضه بسواده واختلاف أنواع الأسلحة وألوانها . يقدمها : يتقدمها ويقودها . عاجز : ضعيف . خرف : فاسد العقل مضطرب الرأى . فيها : أى فى الململمة . والحرف « لا » هنا يعمل عمل «ليس » فى الجملتين « لا عاجز فيها ولا خرف » . وتعرب كلتا الجملتين حالا من ضمير الكتيبة فى يقدمها . . فرع : يعرب فاعلا للفعل يقدم فى البيت الثانى . نمته : رفعته أو نسبته إلى الرفعة وعلو الشأن . والفروع غير الناقصة هى أصوله ، ومعنى ذلك عراقة الأسرة وامتداد جذورها المعروفة فى المجد والحسب . موفق : رشيد ملهم ، مسدد الخطوات . حازم : ضابط لشئونه متقن لعمله . أنف : مترفع ، مستنكف ، أبى . ومعنى البيتين أن جند كسرى قد انصرفوا ؛ لأنهم لاقوا جيشاً عظيما ، محكم النظام ، كثير السلاح ليس فيه إلا فتى يقظ ، أو رجل قوى وكلهم يخوضون المعركة للموت ، وهم مشتاقون إليه ، حريصون عليه ، يتقدمهم قائد ماجد حسيب نسيب ، ملهم الرأى محكم القول ، رشيد الفعل ، ذو عزة وترفع وإباء .

(٤ ، ٥) فيها : فى الململمة الشهباء . محمود لقاؤهم :يحمد الناس أمرهم عند اللقاء لحسن البلاء . ميل : جمع أميل ، وهو من يميل عن سرجه فى المعركة لجبنه وخوفه . كُشُف : جمع أكشف وهو من ينهزم فى الحرب فيفضح أمره . بيض الوجوه :على وجوههم أمارات السماحة والكرم والنبل . الروع : الفزع ، والمقصود الحرب تحسبهم : تظنهم . جنان عين : جمع جان وهو الحية البيضاء ، وهى خفيفة الحركة وفى القرآن الكريم « تهتز كأنها جان » البيض: جمع بيضة وهو الخوذة تلبس فى الرأس فى المعركة للوقاية . الزغف : جمع =

٦ — لما رَأَوْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا ... لِيَعْرِفُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا
٧ — قَالُوا الْبَقِيَّةَ وَالْهِنْدِي يَحْصُدُهُمْ ... وَلاَ بَقِيَّةَ إِلاَّ السَّيْفُ فَانْكَشَفُوا
٨ — لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ
٩ — لَمَّا أَمَالُوا إِلَى النُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ ... مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ الهام يُقْتَطَفُ

= زغفة (بفتح الغين أو سكونها) وهى الدرع الواسعة . ومعنى البيتين : فى هذه الكتيبة أبطال ذوو صلابة ومضاء ، يعتمد عليهم قومهم فى ملاقاة الأعداء ، فيحسن منهم البلاء ، ولا يعرف الجبن إليهم سبيلا ، ولا الهزيمة إلى ساحتهم طريقا ، فهم دائماً مظفرون . وحالهم فى الحرب كحالهم فى السلم بيض الوجوه ، يلاقون الأبطال فى غير مبالاة ، لكنهم يفزعون أعداءهم ببأسهم وسطوتهم ، فكأنهم الحيات البيض لبست الدروع والخوذ .

قال البحترى :

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم ... وللسيف حد حين يسطو ورونق

(٦ ، ٧) جماجمنا : الجمجمة : عظم الرأس ، والجماجم الرءوس ، والمقصود هنا سادات القبائل المحتشدة للحرب . كشفنا : يجوز أن يكون جواب الشرط (لما)، ويجوز أن يكون معمولا للفعل (رأى) . والكشف عن السادات يكون بما اعتادوه فى معاركهم من نداءات أو رفع رايات .

البقية : الاستحياء والعفو عن الخطأ والإبقاء على المودات والعلاقات . وتعرب مفعولا به لفعل محذوف تقديره : ننشدكم البقية . الهندى : السيف الهندى وكانت سيوف الهند معروفة بالجودة . يحصدهم : يقطعهم ويقتلهم . انكشفوا : زالوا عن مواقعهم ،أو افتضح أمرهم وبان ضعفهم . ومعنى البيتين : لما التقينا وأبرزنا لهم أن سادة بكر قد جمعوا لهم أرادوا أن يخدعونا فهتفوا يرجون البقيا والسيوف تحصدهم ،فلم تكن البقيا التى نشدوها إلا السيف يشق الصدور أو يغمد فى الرءوس ، أو يجز الرقاب ، فصاروا بين قتيل مضرج بدمائه ، أو هارب يتعثر فى أذياله .

(٨) معد: هو معد بن عدنان،والمراد عرب الشمال. أخطأهم الشرف: تجاوزهم وبعد عنهم. والمعنى : ذهب الذين قاتلوا بشرف النصر ، ولقد كان عظيما يتسع للعدنانين جميعاً ، لو أتيح لهم أن يسهموا فى المعركة بنصيب ، وليتهم فعلوا ، إذن لنالوا حظاً من فخر الظفر ، ورد العادين عن الوطن العزيز .

(٩) النشاب : السهام والنبال ترمى عن القوس ، والواحدة نشابة ، وسميت بذلك ، لأنها تنشب فى الرمية أى تعلق بها ويصعب نزعها ، وأمالوا أيديهم : حركوها ليرموا العرب =

١٠ — وَخَيْلُ بَكْرٍ فما تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ

الدراسة والتحليل

أولا ـ الأفكار : يدور النص حول فكرتين أساسيتين : الأولى — فى الأبيات الخمسة الأولى — وصف جموع العرب وقائدهم وجنودهم، والأخرى — فى الأبيات الخمسة الأخيرة — وصف المعركة ونهايتها .

ومن الواضح أن هدف الشاعر من وصف الجنود والقائد أن يبين أسباب القوة وعناصر النصر فى جيش العرب تمهيداً لما انجلت عنه المعركة . وأما الهدف من الفكرة الأخرى فإنه أراد أن يبين أن العرب قد أنذروا عدوهم حين كشفوا عن عناصر جيشهم لينصرفوا إلى بلادهم ويكتفوا شر القتال فإذا لم يكن منهم إلا الخداع أو العناد فالذنب ذنبهم ، وليلقوا جزاءهم . وحديث الشاعر يوحى بأنهم لم ينصرفوا ، فما كان منهم — بعد أن شعروا بحر القتال إلا أن صرخوا بالبقيا وهى وسيلة خادعة ذهبت هباء، وكان جوابها حد السيف، فانكشفوا وفضحوا ، وكان النصر الذى تعجل الشاعر ـ قبل أن يختم قصيدته ـ فوصفه فى البيت الثامن بالضخامة والسعة متخذاً هذا الوصف وسيلة إلى العتب الرفيق على من تخلى من قومه عن الجهاد فى سبيله . ثم استأنف الشاعر وصف المعركة ـ بعد أن وصف النصر ـ ليبين أداة الحرب التى يؤثرها كل من الجيشين ، وليؤكد شجاعة العرب ، ولا شك أنه يرمى بذكر أدوات الحرب إلى أن الاعتماد على السيف أدل على الشجاعة والاستبسال والثقة بالنفس من الاعتماد على النشاب . ثم ختم النص ببيت يلخص الموقف كله ؛ لأن البيت العاشر يشير إلى أهم مظاهر المعركة ونتيجتها وزمنها . ونحب أن تلاحظ العلاقة بين البيت الأول من النص « وجند

= بالنبال . ملنا ببيض : المراد استخدمنا سيوفنا . الهام : جمع هامة وهى الرأس . نقتطف : تقتطع .

والمعنى : إذا كان الفرس قد اعتمدوا على السهام يرموننا بها من بعيد ، فقد اعتمدنا على السيوف نقطف بها الرءوس ونجز بها الرقاب .

(١٠) خيل بكر : فرسانها الذين يركبون الخيل . تطحنهم : تهلكهم . تولوا : رجعوا هاربين .

والمعنى : وأما خيل بكر فقد مضت تحطمهم وتدمرهم حتى فشلوا وضعفوا وانفرط عقدهم ولم تبق منهم إلا فلول ولت الأدبار راضية من الغنيمة بالفرار ، وانتهت المعركة ولم يمض نصف نهار .

كسرى » والبيت الأخير : « وخيل بكر » فكلاهما إجمال لموضوع النص كله، فالبيتان إطار للصورة كلها ، وهو شيء جميل حقاً. وأجمل ما فيه أن البيت الأول بدأ بعنصر العدوان الذى باء بالخذلان وأن البيت الأخير بدأ بخيل بكر التى جنت حلاوة النصر ، فكأن النص يعلن : « على الباغى تدور الدوائر » .

ثانيا : التصوير والتعبير : تحت هذا العنوان نشرح لك أمرين : أولهما كيف يتصور الشاعر المعانى وكيف يبرزها لنا إبرازاً يدل على ما فى نفسه من تصور وإحساس . والآخر كيف يختار ألفاظه وكيف يضعها فى مواضعها والأسباب التى تدعوه إلى تفضيل لفظ على لفظ أو موضع على موضع ودلالة هذا وذاك على ما فى نفس الشاعر من إحساس.

١ — وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ مِنَّا غَطَارِيفُ تَرْجُو الْمَوْتَ وَانْصَرَفُوا

يريد الشاعر أن يقول : إن الغطاريف « شجعان » ولكنه لم يعبر عن الشجاعة تعبيراً مباشراً بل قال « غطاريف ترجو الموت » فجعلهم يحبون الموت ويطلبونه ويرونه أفضل من الحياة فى ظل الهزيمة ، والشاعر بهذه الطريقة يقدم دليلا على حماستهم فى المعركة، واستبسالهم فى القتال ، ورغبتهم فى لقاء العدو ، والتعبير بهذه الطريقة أقوى من التعبير المباشر ؛ لأنه يؤدى المعنى المقصود مصحوباً بالدليل الذى يؤكده .

ويضيف الشاعر « جند » إلى « كسرى » ليبين أن جيوش الملوك إنما تعمل فى سبيل المجد الشخصى ، وليس الجند إلا آلات مسخرات ؛ فى الوقت الذى عبر عن فرسان العرب بالغطاريف ؛ وشتان ما بين التعبيرين . ثم يقول : « صبّحهم منا غطاريف » فيشعرنا بعنصر المفاجأة والمباغتة فى « صبّحهم » . ويشعرنا بأنه يفخر بقومه حين يذكر ضمير المتكلمين فى « منّا » ، ويقدم الجار والمجرور على الفاعل استعجالا بالفخر . « وغداة الحنو » توحى بالشماتة مع الفخر ، وتمهد تمهيداً جميلا لقوله « صبّحهم » وكلتا الكلمتين تشير إلى عادة العرب فى هجومهم عند الصباح ولا سيما فى بدء المعارك .

٢ — لَقُوا مُلَمْلَمَةً شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا لِلْموتِ لاَ عَاجِزٌ فِيهَا وَلاَ خَرِفُ

يصف الشاعر كتيبة العرب بأنها « ململمة » ويريد بالوصف ائتلاف عناصر الجيش وتضافرها ووحدة دوافعها وأهدافها واتجاهاتها. ويصفها بأنها « شهباء » ولا يقصد تحديد ألوانها ، وإنما يقصد وفرة سلاحها واختلاف أنواعه ، وهو فى هذين الوصفين لم يعبر عن معناه بالطريقة المباشرة ، بل عبر بالدليل أيضاً ، وترك المعنى المقصود للقارىء يستخرجه باستخدام الدليل . ومثل ذلك « يقدمها للموت » فهو تعبير عن الشجاعة وصدق النية وصحة العزيمة . ومثله أيضاً « لا عاجز فيها ولا خرف » ؛ لأن الشاعر يريد من هذا التعبير أمرين :

أولها أن جنود العرب فتيان جمعوا يقظة العقول إلى سلامة الأجسام ، وثانيهما التعريض بجنود الأعداء(١) .

ولعلك تلاحظ أن هذا البيت ومابعده تعليل لانصراف العدو فى آخر البيت الأول . والتعبير بالفعل « يقدم » يشير إلى أن قائد العرب يكون فى المقدمة لافى الساقة وأنه لذلك قدوة ومثل يبعث الشجاعة والقوة والاطمئنان فى أنفس الفرسان والجار والمجرور « للموت » يوحيان بأنهم قد وطنوا أنفسهم على كل تضحية . والجملتان . « لا عاجز فيها ولا خرف » تعليل لما قبلهما . وقد تعجل به الشاعر قبل فاعل الفعل « يقدم » اهتماما به وتعريضا بجند كسرى . ووصف الكتيبة فى هذا البيت يلائم وصف الغطاريف فى البيت الأول .

٣ — فَرْعٌ نَمَتْهُ فُرُوعٌ غَـيْرُ نَاقِصَةٍ مُوَفَّقٌ حَازِمٌ فِي أَمْرِهِ أَنِفُ

يريد الشاعر أن يصف القائد بعراقة الأصل وطيب النشأة ، فتصوره فرعا من شجرة طيبة خرج من فروع كلها تامة مكتملة لاعوج فيها ولاالتواء،والعرب يهتمون بالنسب وكرم الأصل ، وهذا سر الصورة التى رسمها الشاعر لقائد العرب فى هذه المعركة ، ولعلك تلاحظ أن الشاعر لم يذكر لفظ القائد ، بل عبر عنه بكلمة فرع ، وتناسى أنه شبه القائد بفرع شجرة مدعيا أنه فرع حقاً(٢) ثم قَوَّى الادعاء بقوله : « نمته فروع غير ناقصة » .

ولعلك ترى أن البيت يهتم برسم صورة واضحة للقائد،وأنه يرتبط بالبيت الثانى ارتباطا وثيقا هذا ؛ لأن « فرع » فاعل للفعل « يقدم » فى البيت الثانى (كما تقدم) والتعبير بالفعل « نمته » يوحى برفعة أصول القائد ، وغير ناقصة تضيف معنى الاستقامة والكمال إلى رفعة الأصول . والأوصاف الثلاثة فى الشطر الثانى من هذا البيت تشكل النتيجة الطبيعية التى تهيء لمكان القيادة ، فهو يقول : إن القائد من أجل هذه النشأة موفق ، حازم ، أنف .

٤ — فِيهَا فَوَارِسُ مَحْمُودٌ لِقَاؤُهُمُ مِثْلُ الْأَسِنَّةِ لَا مِيلٌ وَلَا كُشُفُ

يريد الشاعر أن يصفهم بصدق البلاء فى المعركة حين يقول « محمود لقاؤهم » فقوله هذا دليل على ذلك الصدق ، ولا شك أن التعبير بالدليل أجمل وأروع؛لأنه اعترف ببسالتهم. وأما قوله « مثل الأسنة » فهو يصور صلابتهم ومضاءهم ونفاذهم إلى أهدافهم ، وقدرتهم على الإصابة ، فالشاعر حين أراد أن يصفهم بهذه الصفات شبههم بالأسنة ؛ لأنه لمح فيها هذه الصفات فقرنهم بها ، وعقد « موازنة بينها وبينهم » ودعانا بعبارته إلى أن نتخيل

---

(١) ستعرف أن هذه التعبيرات التى تعتبر دليلا على معناها المقصود تسمى فى البلاغة (كناية)

(٢) ستعرف أن الشاعر حين يشبه ويتناسى التشبيه تسمى هذا التصوير فى البلاغة (استعارة).

الروابط والصفات المشتركة وهذا الأسلوب يسمى أسلوب التشبيه، فهم مشبهون والأسنة مشبه بها ، وكلمة مثل هى الأداة التى استخدمها الشاعر فى هذا الأسلوب . وفى هذا البيت أيضاً يصفهم بأنهم «لا ميل ولا كشف» وهو لا ينفى عنهم الميل عن السروج أو إعوازهم لأدوات القتال ، بل يريد أن ينفى عنهم الجبن والهزيمة ، ويثبت لهم النصر والظفر عن طريق هذا النفى ؛ وهو - أيضاً - تعبير بطريق الدليل الذى يدل على معنى مقصود وغير مذكور . ومن الواضح أن النفى بعد الإثبات للتوكيد من ناحية ، وللتعريض بجند كسرى من ناحية أخرى.

٥ — بِيضُ الْوُجُوه غَدَاةَ الرَّوْعِ تَحْسَبُهُمْ   جِنَّانَ عَيْنٍ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالزَّغَفَ

يريد الشاعر أن يصفهم بالاطمئنان وهدوء النفس والثقة بالنصر وبالقوة فقال « بيض الوجوه غداة الروع » فينفى عنهم مايلحق المحاربين من غبرة تعلو الوجوه، أو عبوس، أو أى دلالة على القلق والخوف والشعور بالخطر ، وهذا غاية الشجاعة ، كما قيل فى قائد :

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

ومن أجل هذا ساق الشاعر صورة جديدة فجعلهم « جنان عين » ؛ لأن هذه الجنان بيضاء وهى فى الوقت نفسه تبعث الرعب فى القلوب ، وتثير الرهبة فى النفوس ولا سيما إذا كان عليها البيض والزغف والصورة الأخيرة تشبيه ، وهم مشبه، وجنّان العين مشبه به، وأداة التشبيه « تحسب » وهى صورة موفقة كل التوفيق؛ لأنها تلائم الصورة فى أول البيت، وتأتلف معها ، وتتعاونان معاً فى رسم صورة معبرة عن موقف الشجعان فى المعركة. فليست الصورة الأولى للسلم والثانية للحرب ، وهذا المذهب فى فهم(١) البيت أقرب إلى تصور الأعشى لشجاعة قومه الغطاريف .

٦ — لَمَّا رَأَوْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنا   لِيَعْرِفُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا

يريد الشاعر أن يقول إنا أعلنا عن أنفسنا وعن قبائلنا المحاربة فقال «كشفنا عن جماجمنا» ولم يرد بالتعبير أنهم خلعوا خوذاتهم وأزالوا الغطاء عن رءوسهم ليحاربوا مكشوفى الرءوس تعبيراً عن الشجاعة ؛ لأن هذا عبث لا يحتمله موقف النزال ، بل يريد أنهم رفعوا من الأعلام والشعارات والدعوة للمبارزة - كعادتهم - ماينبىء عن قادتهم وسادتهم ، والتعبير غير مباشر كما ترى وهو أبلغ فى الدلالة على الإيمان بالنفس والثقة بالقوة والاعتزاز بالمكانة والشهرة ، هذا إلى ما فيه من إبراز المعنى فى صورة محسوسة مجسدة .

---

(١) يشترط لهذا الفهم أن يتعلق الظرف « غداة » بالوصف « بيض الوجوه » لتكون الصورة الثانية توكيداً للأولى لا مقابلة لها فى حالتين مختلفتين : حالتى السلم والحرب .

ونلاحظ أن هذا الصنيع من العرب هو ـ فى حقيقته ـ دعوة إلى السلام صادرة ممن يثق بقوته وقدرته على النصر ، وهى إنذار كريم ليجد الفرس مخرجا من مأزقهم فينصرفوا من غير قتال . وقول الأعشى «أننا بكر» نغمة تفصح عن الاعتزاز بالنفس والإدلال بالقوة.

٧ — قَالُوا الْبَقِيَّـةَ وَالْهِنْـدِىُّ يَحْصُدُهُمْ ... وَلاَ بَقِيَّـةَ إِلاَّ السَّيْفُ فَانْـكَشَفُوا

« قالوا البقية » : صيحة لا تنطلق إلا من أفواه المتخاذلين المهزومين اليائسين من جدوى المقاومة ، فهى عنوان لما ملأ نفوسهم من فزع ، ودليل(١) لما شعروا به من ضيق وحرج .

«والهندى يحصدهم» : هذا التعبير يشير إلى أن الشاعر قد تخيَّل الأعداء ـ وهم يتساقطون صرعى تحت ضربات السيوف ـ زروعا تسقط بضربات المناجل ، ولذلك عبر بالحصد الذى هو من خصائص الزرع فالشاعر هنا يشبه الفرس بالزرع ولم يذكر الزرع لكنه أشار إليه بالحصد(٢) . أو يكون الشاعر قد تصور ضرب السيوف فى شدته وكثرة قتلاه حصداً للزرع بالمنجل وعبر عن هذا الضرب بالحصد(٣) ، وفى كلا التصويرين إيحاء بشدة الضرب، وكثرة القتلى ؛ لأن المنجل حين يَحُشُّ الزرع حشاً ويحصده حصداً يكون أقدر على قطع الزرع من السيف على قطع الرقاب حيث لا مقاومة ، ولا دفاع ، هذا إلى الدلالة على كثرة الصرعى ووفرة القتلى .

وهذا البيت (السابع) كأنه جواب عن سؤال يستفهم عن ردّهم على الإنذار وقد فهمنا منه أنهم لم يستجيبوا للنداء الذى يوفر لهم السلامة ، إذ وقفوا وأصروا حتى أخذ الهندى يحصدهم ، وعند ذلك فقط صرخوا صرختهم ونشدوا البقية .

« ولا بقية إلا السيف » : تعبير يشعر بأنه ما كان يمكن غير هذا الردّ فى ذلك الموقف . والعبارة تدل مع السخرية والاستهزاء على إصرار العرب وصدق عزيمتهم ، وتدل أيضاً على تيئيس العدو من كل أثر للاستعطاف والرجاء . فمن أبى إلا العناد فليستمر حتى يعرف ما جهل من قدره ، وينال عاقبة أمره وهو « الانكشاف » والفاء فى الفعل « فانكشفوا » تفصح عن أن هذا الانكشاف كان العاقبة السريعة المحتومة .

٨ — لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فى يَوْمِ ذِى قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ

فى هذا البيت ـ مع الفخر بالنصر ـ عتاب للعرب الذين لم يشاركوا فى المعركة ، فلم ينالوا

---

(١) فالعبارة كناية .

(٢) ستعرف أن مثل هذا التصوير يسمى استعارة مكنية لأنه شبه وحذف المشبه به وذكر المشبه.

(٣) ستعرف أن مثل هذا التصوير يسمى استعارة تصريحية لأنه شبه وذكر المشبه به وحذف المشبه.

شرف الجهاد ، وقد روى أن قبائل بكر كلها قد اشتركت ماعدا حنيفة ، وفى البيت أيضاً توكيد لضخامة النصر بقوله « كل » فى الشطر الأول وقوله « ماأخطاهم الشرف » فى الشطر الثانى . والقول الأخير توكيد لنسبة الشرف ، وإثباته لكل من شارك فى الجهاد ، ونفيه عمن عداهم . والبيت دعوة إلى اتحاد العرب فى وجه أعدائهم المغيرين . وزيادة الفعل «كان» قبل الفعل « شاركنا » توكيد لضياع فرصة الشرف على من نكل عن الجهاد .

٩ — لَمَّا أَمَالُوا إِلَى النُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ   مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ الهامُ يُقْتَطَفُ

يقول الشاعر «ظل الهام يقتطف» فيشعرك بأنه قد تخيل الرؤوس ثمارا أو أزهاراً، وتقطف، أو قد تخيل أن قطع الرقاب والرؤوس لدى الأبطال مثل قطف الثمار أو الأزهار ، وهو بهذا التعبير يريد أن نتخيل أن قتل الأعداء سهل ميسور لا يكاد يكلف العرب شيئا مذكورا ، وعلى كل حال فأنت تفهم من هذا التعبير أن الشاعر شبه الرؤوس بالثمار ثم حذف الثمار اكتفاء بدلالة الفعل يقتطف(١) على هذا التشبيه . أو شَبَّهَ قطع الرؤوس بقطف الثمار وعبر عن القطع بالإقتطاف(٢) . ولا شك أن مسلك الشاعر فى مثل هذا التعبير ينقل ما فى صدره إليك ، ويجعلك تحس كما يحس ، أو يسبح بك فى الخيال حتى ينقلك إلى مكان المعركة فتعيش فى التجربة التى عاش فيها .

وفى البيت لفتات جميلة تدل على إعجاب الشاعر بقومه ، فهو يقول : إن الفرس يحاربون بالنشاب ونحن نحارب بالسيوف ، وشتان ما بين قوم يرمون من بعيد وقوم يأبون إلا الالتحام ، فالرماة يحتمون بالجبال والتلال والخنادق ، والضاربون بالسيوف لا يبالون . والأعشى يقول : « أمالوا أيديهم » عن الفرس ، ويقول عن العرب « ملنا » وبين التعبيرين فرق كبير فى مدى الإقبال والإقدام والاندماج فى المعركة والحماسة فى الجهاد . وبين شطرى البيت ما يفصح عن أن العرب يقابلون أعداءهم بما هو أشد وأقوى وقد ختم البيت بالنتيجة المتوقعة ، فاستعمل « ظل » للدلالة على استمرار القتل ولم يضف الهام إلى أصحابها إشارة إلى أنه من المسلم به أنها هام الفرس واكتفاء بأن الإقتطاف يكون بالبيض لا بالنشاب . وبناء الفعل للمجهول للعلم بالفاعل .

١٠ — وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ   حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ

يقول : « فما تنفك تطحنهم » فيصور لك عمل الفرسان العرب بالفرس طحنا (٣) ،

---

(١) ستعرف أن هذا المسلك يسمى استعارة مكنية لحذف المشبه به .
(٢) ستعرف أن هذا المسلك يسمى استعارة تصريحية لذكر المشبه به .
(٣) ستعرف أن هذا يسمى استعارة تصريحية للتصريح بالمشبه به .

أو يصور « خيل بكر » رحا تطحن (١) .

ويبدو لنا فى هذا البيت أشياء : أولها أنه تلخيص الموقف، وثانيها أنه بيان لشدة ما أصاب العدو من دمار ، وثالثها التعبير بالفعل « ماتنفك » ليدل على استمرار الطحن واتصاله مادامت المعركة ، ورابعها دلالة الفاء فى « فما تنفك » فهى تدل على سلامة خيل بكر بعد الدلالة على هلاك العدو فى البيت السابق ، كأنه يقول : هذا ماأصاب الفرس أما خيل بكر فما تنفك تطحنهم ، وخامسها أن الضمير فى « تولّوا » لايدل إلا على الفلول ، وسادسها الزمن الذى استغرقته المعركة وتفوح منه رائحة الفخر والشماتة ، وسابعها إضافة الخيل إلى بكر وفيها مقابلة ملحوظة لإضافة الجند إلى كسرى فى أول النص ، وهى لفتة جميلة .

نظـــرة بلاغيـــة

تبين لك من الدراسة والتحليل :

١ — أن النص من شعر الحماسة الذى يشتمل على وصف المعارك ومدح الأبطال ، والفخر بالانتصار .

٢ — أن اعتزاز الشاعر بقومه دفعه إلى تكرار الحديث عن النصر فى هذه الأبيات القليلة مرات عدة .

٣ — أن الشاعر كان شديد الحرص على تصوير شخصية القائد والفرسان العرب تصويرا لايخلو من مبالغة وتكرار .

٤ — أن الأفكار مع تكرار كثير منها وعدم ترتيبها ليس فيها عمق ، وذلك لطبيعة العصر الذى لم يكن فيه علم ولابحث ولا اتجاه لوضع النظريات .

٥ — أنه لاشك فى فصاحة الألفاظ وملاءمتها للمعانى . ولاشك أن العبارات قوية النسج مطردة فى مستوى واحد من الجزالة ، وأنها واضحة الدلالة برغم مايبدو فى بعضها من غموض مصدره بعدما بيننا وبين العصر الجاهلى ، وانصراف معظمنا عن دراسة الأدب فى ذلك العصر .

٦ — أن الشاعر عبر عن كثير من معانيه تعبيرا غير مباشر :

(ا) فقد عبر حينا بطريق التشبيه فى قوله : « مثل الأسنة » ، وقوله : « تحسبهم جنان عين » ، ولعلك لاحظت فى هذه الطريقة أن الشاعر شبه الأبطال مرة بالأسنة ، ومرة بجنان العين ، وأن المشبه به فى كلا الأسلوبين مستمد من البيئة العربية البدوية ، وأنه من تشبيه المحسوس

---

(١) ستعرف أن هذا يسمى استعارة مكنية لحذف المشبه به وهو الرحا .

بالمحسوس ، لكنه كان له ـ من غير شك ـ أثر كبير في إبراز المعنى وتوكيده، وإشعار القارئ بما في نفس الشاعر من إحساس وتصوُّر .

(ب) وقد عبر الشاعر حينا آخر بأسلوب يختلف عن الأسلوب السابق لكنه قريب منه ومعتمد عليه في قوله : « يقدمها الموت فرع » ، وقوله « والهندي يحصدهم » وقوله : « وظل الهام يقتطف » . وقوله « ما ننفك تطحنهم » ولعلك لاحظت في هذه العبارات الأربع أن الطريقة فيها قائمة على التشبيه أيضاً لكن المشبه والمشبه به لا يوجدان معا في العبارة بل يكون أحدهما محذوفا ، ويعبر عن المحذوف بالموجود منهما ، ولذلك تسمى هذه الطريقة استعارة ؛ لأن الشاعر استعار لفظا لمعنى لم يوضع له في أصل اللغة .

(ج) والشاعر قد عبر حينا ثالثا بأسلوب آخر ، وهو أسلوب يذكر فيه دليل المعنى المقصود ، ولا يذكر المعنى نفسه ، وأكثر تعبيرات الأعشى من هذا النوع وقد أشرنا إلى أنه يسمى أسلوب « الكناية » ، وستعرف ذلك كله في دروس البلاغة ، لكننا نريد هنا أن نشير إلى أن الشعر يعتمد على هذه الوسائل الثلاث كثيراً في التعبير عن المعاني ، ولا شك أنك شعرت بأن التشبيه والاستعارة كليهما ينتقلان بك من الشيء الذي يعبر عنه الشاعر إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله . أما في الكنايات فقد رأيت أن الكلام المصحوب بالدليل أقوى وأدعى إلى التأثير في النفوس على أن معظم الكنايات التي أوردها الأعشى في النص كانت تخرج المعنى إلى مجال حسي يزداد فيه إبراز المعنى بالدليل الحسيّ .

هذه الأساليب الثلاثة في التعبير عن المعاني بأشكال مختلفة تسمى أساليب التصوير .

نظـــرة أدبيـــة

١ ــ عرفت أن النص موضوعه الحماسة ، وبقي أن تعرف أن أوسع أبواب الشعر الجاهلي هو باب الحماسة .

٢ ــ في شعر الحماسة كما يذكر الشاعر مفاخر قومه وبلاءهم في المعركة يصف أدوات الحرب من سيوف ورماح وأسنة ودروع وخوذات وخيول وغيرها .

٣ ــ يتجه شعر الحماسة إلى الفخر بالقبائل أكثر من الفخر بالأفراد .

٤ ــ من النص يمكنك أن تستخلص بعض خصائص شعر الأعشى ، فهو مفرط في المدح كثير المبالغة والتكرار ، ولا يعني بترتيب الفكرة ولا بعمقها .

٥ ــ عرفت عن الأعشى شيئاً في مناسبة النص ، ولك أن تضيف إلى ماعرفت أن الأعشى قال في أغراض أخرى غير الحماسة ، وأكثر ماقال في المدح ، ووصف الخمر .

٦ ــ وأخيراً فالتاريخ يعيد نفسه : فما صمود العرب اليوم أمام الاستعمار إلا صورة

من نضال الشعب العربىّ فى تاريخه القديم ، ولعلك أدركت أن العرب كلما اتحدوا ظفروا ودحروا أعداءهم .

المناقشة

١ — درست نصا للأعشى أوله :

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم ... منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا

(ا) ما المناسبة التى قيل فيها النص . (ب) ما الأفكار الأساسية التى اشتمل عليها .

(ﺟ) اذكر رأيك فى ترتيب هذه الأفكار .

(د) لم عبر الأعشى بجند كسرى عن الفرس وبالغطاريف عن العرب .

(ﻫ) مافائدة « غداة الحنو » مع « صبحهم » ؟

(و) بين هدف الشاعر من الفصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور « منا »

(ز) لم عدل الشاعر عن وصف الغطاريف بالشجاعة إلى قوله « ترجو الموت » ؟

(ح) مافائدة « وانصرفوا » فى آخر البيت ؟

(ط) « ترجو الموت » « تزجى الموت » أى التعبيرين أجمل ؟ ولماذا ؟

٢ — قال الأعشى :

لقوا ململمة شهباء يقدمها ... للموت لاعاجز فيها ولا خرف

فرع نمته فروع غير ناقصة ... موفق حازم فى أمره أنف

(ا) التمس علاقة بين هذين البيتين والبيت قبلهما .

(ب) ماذا فى « شهباء » من جمال التصوير ؟

(ﺟ) استخدم كلمة « ململمة » فى عبارة من إنشائك .

(د) مافائدة « للموت » ؟ (ﻫ) أين فاعل « يقدمها » ؟

(و) التعبير بفرع قد يكون استعارة وقد يكون تشبيها — اشرح ذلك .

(ز) يشتمل البيتان على وصف الكتيبة والقائد، فهل يمكن أن ترى فيهما وصفا لفرسان العرب ؟ وضح .

٣ — قال الأعشى :

فيها فوارس محمود لقاؤهم ... مثل الأسنة لاميل ولا كشف

بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم ... جنان عين عليها البيض والزغف

(ا) بين موضوع البيتين .

(ب) فى « مثل الأسنة » تشبيه . اذكر المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه .

(ﺟ) بين معنى « ميل » ، « وكشف » .

(د) فى البيت الثانى صورتان . وضحهما ، وبين مدى تعاونهما على تحقيق الهدف من البيت .

٤ — لما رأونا كشفنا عن جماجمنا ليعرفوا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندى يحصدهم ولا بقية إلا السيف فانكشفوا

(ا) بين علاقة « كشفنا » بما قبلها . (ب) ما المقصود بقوله « كشفنا عن جماجمنا » ؟
(ج) فى البيت الثانى مايدل على أن الفرس لم ينصرفوا عندماعرفوا فرسان بكر . بين .
(د) « والهندى يحصدهم » . وضح هذه الصورة وبين أثرها فى المعنى .
(ه) « ولا بقية إلا السيف » . اذكر رأيك فى هذا الرد على طلب الأعداء .
(و) مامعنى « انكشفوا » ؟

٥ — لو أن كل معد كان شاركنا فى يوم ذى قار ما أخطاهم الشرف

(ا) ما الغرض من هذا البيت ؟
(ب) هل يمكن الاستغناء عن الفعل « كان » فى هذا البيت مع عدم الإخلال بالمعنى المقصود ؟ وضح ماتقول . (ج) مامعنى « لو » ؟
(د) ماذا تفهم من قول الشاعر « ما أخطاهم الشرف » ؟

٦ — لما أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا ببيض ، فظل الهام يقتطف

(ا) بيّن الفرق بين التعبيرين : « أمالوا » و « ملنا »
(ب) لم نص الشاعر على أن قتال الفرس بالنشاب وقتال العرب بالبيض ؟
(ج) ماقيمة التعبير بالفعل « ظل » ؟
(د) الهام يقتطف : وضح الجمال فى هذه الصورة ، ثم بين لِمَ لَمْ يضف الشاعر لفظ « الهام » إلى الفرس ؟ ولم بنى الفعل « يقتطف » للمجهول ؟

٧ — وخيل بكر فماتنفك تطحنهم حتى تولَّوْا وكاد اليوم ينتصف

(ا) يتصل هذا البيت بأول بيت فى القطعة اتصالا ما . بين ذلك .
(ب) للفعل « ما تنفك » دلالة مقصودة . وضحها .
(ج) فى « تطحنهم » صورة — اشرحها ، وبين أثرها فى المعنى المراد .
(د) كيف توفق بين قول الشاعر « تولوا » وقوله « ماتنفك تطحنهم » ؟
(ه) ما فائدة ذكر الوقت الذى استغرقته المعركة فى هذا البيت ؟

٨ — بعد أن ناقشت النص أجب عما يأتى :

(ا) بين أن أكثر صور النص من وحى البادية .
(ب) وضح أن النص يوحى بأن النصر رهن باتحاد العرب .
(ج) اذكر من النص مايدل على بعض عادات العرب وآلات حروبهم .
(د) علل شعور بعضنا بغرابة بعض ألفاظ النص .

صيحة عربية

يَدْعو فيها لَقيطُ بْنُ يَعْمُرَ قَوْمَهُ العَرَبَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِلِقَاءِ العَدُوِّ

الشاعر : لقيط بن يعمر شاعرٌ جاهلي قديم من قبيلة إياد ، وهى قبيلة عدنانية من نزار. وكان لقيط يعمل كاتبا فى ديوان كسرى ، وكان شاعراً مقلا . ومن جيد شعره هذا النص الذى سندرسه .

مناسبة النص : كانت قبيلة الشاعر تقيم غربى الحجاز ، ثم نزحت إلى العراق قرب الحيرة ، وأدى جوارهم للفرس إلى خصومات ضاق بها كسرى ، وأعدّ لها جيشا يقضى عليها ، فهزمته إياد ، وجمعت جماجم القتلى من جنوده فى مكان الموقعة ، وسمى هذا المكان من ذلك الوقت بدير الجماجم .

وأراد كسرى أن ينتقم بالخديعة ، وأمر لقيطا أن يدعو قومه إلى اجتماع عام فى مكان معين ، ليفاجئهم ويبيدهم . وعرف لقيط نيته ، وصمم على أن يستفيد بمنصبه فى خدمة قبيلته فكتب هذه القصيدة إلى قومه رسالة يحذرهم ؛ ليستعدوا للقاء كسرى حتى لا يهجم عليهم فى غفلة فيقضى عليهم .

النص

١ — أَبْلِغْ إِيَاداً وَخَلِّلْ فِي سَرَاتِهِمُ ... إِنِّي أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُعْصَ قَدْ نَصَعَا

٢ — يَالَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمُ ... شَتَّى وَأُحْكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا

٣ — مَالِي أَرَاكُمْ نِيَاماً فِي بُلَهْنِيَةٍ ... وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَعَا

---

(١) خلل : خص ، وهو مختص بالدعاء ، يقال خل فى دعائه وخلل فيه ضدّ عمّ . سراتهم : جمع سرى وهو الشريف . نصع : ظهر واتضح ومعنى البيت : أدّ رسالتى إلى إياد وكن حريصا على أن تلقى بها سادتهم وقادتهم ، فإنى أرى الأمور واضحة أمامى ، وأرى كسرى مقدما على حربهم ، لكن الرأى السليم لا قيمة له إذا لم يؤخذ به .

(٢) يالهف نفسى : ياحسرتى . شتى : جمع شتيت (مثل مريض ومرضى) ، والشتيت المتفرق ، والشتى المتفرقة . أحكم : ضبط . والمعنى : إن نفسى لتذوب حزنا وأسى إن اختلفت كلمتكم ، وتباينت آراؤكم والفرس لكم بالمرصاد قد جمعوا لكم ، ودبروا للإيقاع بكم .

(٣) بلهنية : لين العيش ورخاؤه . شهاب : شعلة النار . سطع النور : ارتفع وانتشر . =

٤ — فَاشْفُوا غَلِيلِي بِرَأْيٍ مِنْكُمُ حَصِدٍ ... يُصْبِحْ فُؤَادِي لَهُ رَيَّانَ قَدْ نَقَعَا
٥ — صُونُوا جِيَادَكُمُ وَاجْلُوا سُيُوفَكُمُ ... وَجَدِّدُوا لِلْقِسِيِّ النَّبْلَ وَالشِّرَعَا
٦ — لاَ تَثْمُرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمُ ... إِنْ يَظْهَرُوا يَحْتَوُوكُمْ وَالتِّلاَدَ مَعَا
٧ — يَاقَوْمِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ إِرْثِ أَوَّلِكُمْ ... مَجْداً قَدْ أَشْفَقْتُ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا
٨ — مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ عِزُّ أَوَّلِكُمْ ... إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ وَاتَّضَعَا

= والمعنى : إن عجبى لشديد حين أراكم غارقين فى الترف والنعمة ، غافلين عن كيد الزمان ومايضمره لكم من شر، فى الوقت الذى تجلت فيه نذر الحرب ، واتضحت مقدماتها لمن له عيون ترى .

(٤) غليلى شدة الظمأ وحرارة الجوف . حصد : سديد ، وأصله من حصد الحبل أى إحكام فتله . الريان : المرتوى . نقع : زالت حرارته . ومعنى البيت . أطفئوا نار قلبى برأى سديد ، وتدبير رشيد ، وأجمعوا أمركم ، وأحكوا عملكم ، وتأهبوا للمعركة وأحسنوا الاستعداد ، وتحصنوا بالاتحاد ، وكونوا أيقاظا للخطر المحدق بكم حتى تقر عينى ويطمئن فؤادى .

(٥) صونوا : احفظوا . جياد : خيل، مفرده جواد ، ومعناه السريع . اجلوا:اصقلوا القسى : جمع قوس وهى آلة للحرب على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام . النبل : السهام . الشِّرع : جمع شرعة وهى بفتح الشين وكسرها ، والشرع الأوتار . ومعنى البيت : عليكم أن تحوطوا خيلكم بالحماية والرعاية ، فهى حصونكم . وعليكم أن تشحذوا سيوفكم فهى عمادكم يوم اللقاء ، وعليكم أن تجددوا للقسى أوتارها وسهامها فهى أداتكم عند الرماء .

(٦) لا تثمروا (بفتح التاء) ، ماضيه ثمر (ثلاثى) المال يثمره فهو مثمور : كثَّره ونماه ، إن يظهروا : إن ينتصروا . التلاد : المال القديم الموروث . ويحووكم : يملكوكم . والمعنى : لايشغلنكم المال وتنميته عن الاستعداد للمعركة ؛ لأن أعداءكم إذا انتصروا عليكم ملكوكم وملكوا أموالكم معكم .

(٧) إرث أولكم . تراث أجدادكم . أشفقت : خفت . والمعنى لاتغفلوا عماورثتم عن أجدادكم من عز ومجد . ولقد أخشى أن يؤدى تهاونكم إلى ضياع هذا المجد وانقطاعه وإن عليكم أن تبذلوا كل جهد لصيانته واستمراره والإضافة إليه .

(٨) يرد عليكم : ينفعكم . عز أولكم: مجد آبائكم . اتضع : ذل وهان . والمعنى : لن ينفعكم مجد آبائكم إذا لم تصونوه من الضياع ، أو أصابه الذل والهوان .

٩ — يَاقَوْمِ لاَ تَأْمَنُوا – إِنْ كُنْتُمُ غُيُراً – عَلَى نِسَائِكُمُ – كِسْرَى وَمَا جَمَعَا
١٠ — هُوَ الْفَنَاءُ الَّذِى يَجْتَثُّ أَصْلَكُمُ فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأْياً وَمَنْ سَمِعَا
١١ — قُومُوا قِيَاماً عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ ثُمَّ افْزَعُوا قَدْ يَنَالُ الْأَمْنَ مَنْ فَزِعَا
١٢ — وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
١٣ — لاَمُتْرَفاً إِنْ رَخِىُّ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ وَلاَ إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
١٤ — لاَ يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلاَّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يَكَادُ شَبَاهُ يَفْصِمُ الضِّلَعَا

---

(٩) غير : جمع غيور ، وهو من يأنف أن يكون له شريك فى حقه على امرأته. والمعنى إن كان فيكم أنفة وحمية ، وإن كنتم حراصا على كرامة نسائكم ، فاحذروا كسرى وجنوده، لأنهم إن هزموكم سبوا نساءكم وتحكموا فيهن .

(١٠) يجتث : يقتطع ، ويجتث أصلكم : يبيدكم ويستأصلكم . والمعنى : ما لكم الهلاك، ومصيركم الدمار الذى يستأصل جذوركم ، ولا يبقى على أحد منكم ، فهل تهتدون برأيي الرشيد، وتصغون إلى قولى السديد ، ليسلم الشرف الرفيع من الأذى ؟

(١١) أمشاط الأرجل : جمع مشط وهو ظاهر القدم من الأمام ، والمراد الأصابع ، وقوموا على أمشاط أرجلكم : استعدوا للقتال. افزعوا : خوضوا الحرب . والمعنى: انهضوا وتهيئوا للقتال، واستعدوا للوثوب كل الاستعداد ثم اهجموا، فالسلامة مكفولة لمن استعد ثم هجم.

(١٢) قلدوا أمركم الرجل: فوضوا أمركم إليه، واجعلوا الأمر قلادة له أو سلموه الزمام، زمام القيادة. لله دركم : الدر اللبن، والتعبير يقال فى مقام الإعجاب والمدح أو العجب. رحب الذراع بالأمر : واسع المقدرة عليه. مضطلع بالأمر: قادر على أدائه. والمعنى: ولوا أمركم أيها الأمجاد قائدا ذا همة وحكمة ومقدرة على حمل الأمانة ، حتى يقودكم إلى النصر المنشود .

(١٣) مترفا : المترف هو المتنعم الجبار الذى يصنع ما يشاء ولا يمنع . رخى العيش : هو العيش اللين الواسع الناعم . عض مكروه به : نزلت به نازلة . خشع : ذل وهان .

والمعنى : لا تقلدوا أمركم رجلا متنعما طاغية إذا اتسع عيشه ولان ، ولا متخضعا مستكينا إذا ألمت به نوائب الزمان .

(١٤) يطعم : يذوق . ريث : الريث مقدار المهلة من الزمن . يبعثه هم : يوقظه . الهم: ما يهم الرجل ويعزم عليه ويجيل فكره فيه. شباه : الشبا جمع شباة وهى حد السيف أو غيره. يفصم : يقطع ويفصل . الضلع : الواحدة من الأضلاع .

١٥ — مَا انفكَّ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ يَكُونُ مُتَّبِعاً طَوْراً وَمُتَّبَعَا
١٦ — وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يُثَمِّرُهُ عَنْكُمْ وَلاَ وَلَدٌ يَبْغِي لَهُ الرِّفَعَا
١٧ — هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا
١٨ — وَقَدْ بَذَلْتُ لَكُمْ نُصْحِي بِلاَ دَخَلٍ فَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَانَفَعَا

الدراسة والتحليل

الأفكار

موضوع النص رسالة أفكارها الأساسية هى :

١ — الدعوة إلى الاتحاد ، والاستعداد (١ — ٤) .
٢ — رسم الخطة ، وبيان مدى الخطر (٥ — ١١) .
٣ — مقومات القائد (١٢ — ١٦) .
٤ — ختام الرسالة (١٧ — ١٨) .

= والمعنى : قلدوا أمركم رجلا يشغله أمر الناس وصلاح حالهم ، ويلح عليه التفكير فى شئونهم فى يقظته ومنامه ، فهو مؤرق مسهد لايكاد ينام حتى يهب من نومه مفزعا ، كأن حداً ماضيا أصاب أضلاعه .

(١٥) حلب أشطر الدهر: جربه، وعرف حلوه ومره، وأصله من حلب أشطر الناقة، والشطر نصف أثدائها. والمراد التجربة والحنكة. طورا: مرة أو تارة. متبعا: تابعا (مطيعا لقائده). متبعا: قائدا متبوعا (أمره مطاع). والمعنى: مازال هذا القائد يكتسب خبرات، ويزداد تجارب، ويتسلم الزمام فى قومه حينا ويسلمه حينا، ويقود ويقاد، ويطيع ويطاع ويسعد ويشقى حتى بلغ الغاية حكمة وكمالا .

(١٦) يبغى: يطلب. الرفع. جمع رفعة وهى الشرف والسيادة أو سمو المكانة والمعنى أنه قائد لايصرفه عن رعاية شئونكم مال يستزيده ، ولا أبناء تهمه سعادتهم وارتفاع مكانتهم .

(١٧) النذير: التحذير والتنبيه. لمن رأى رأيه منكم: لأهل الرأى وحسن النظر منكم والمعنى: هذه رسالتى تدق جرس الخطر لأصحاب الفكر وأهل الرأى، ومن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١٨) بذلت: أعطيت. دخل: خديعة وغش. والمعنى: لقد نخلت لكم النصح، ومنحتكم مخزون الرأى ، وأفصحت لكم عن مكنون السر ولم أدخر وسعا ، فى الحرص على قومى فانهضوا من نومكم ، واختاروا لأنفسكم، فقد علمتم مالم يكن إليه سبيل إلا برسالتى وخير العلم ما أثمر وأفاد .

(ا) فالأبيات الأربعة الأولى تعبر عن ثورة نفسه وقلقها بسبب غفلة قومه وتفرق كلمتهم مع ظهور حقهم، واجتماع الفرس واتفاقهم وإحكام أمرهم مع وضوح باطلهم، وكأنه يريد أن يضع بين يدى رسالته مادعاه إلى كتابتها من دوافع نبيلة، على أن فيها مايشير إلى علمه بأحوال قومه، وأنهم لا يغيبون عن فكره، وأن قلبه لاينفك يتلفّت نحوهم، ويتابع شئونهم، وأن ضميره يؤرقه من أجلهم إلى أن يجتمعوا على خطة رشيدة.

(ب) والأبيات السبعة التالية (٥ — ١١) موصولة وصلا وثيقا بآخر الأبيات الأربعة الأولى، فهى تفسر الرأى الحصد الذى يروى فؤاد لقيط. وقوام هذه الأبيات أمران: أولهما الدعوة الصريحة إلى الاستعداد للمعركة، ثم الوثوب الذى يكفل السلامة، ويضمن الأمان والأمر الثانى ماساقه من أدلة — على وجوب الاستعداد — تمثل عنصر الإثارة فى الرسالة، وقد وردت هذه الأدلة فى الأبيات (٦ — ١٠)، فهو يذكر المال وتثميره وما يتوقعه له عند الهزيمة — من خطر الضياع، ويذكر المجد المعرض للذل والانقطاع، ويذكر النساء وما يخشى عليهن من سبي ومهانة واتضاع، ثم يصعّد الخطر فيذكر الفناء واجتثات الأصول إن لم يستعدوا الصراع وحسن الدفاع. والشاعر موفق جداً فى اختيار وسائل الاستثارة، فلا شك أن المال والمجد، وكرامة المرأة، والحياة — حياة الجماعة كلها بما فيها من أصول وفروع — هى أغلى مايعتز به الإنسان ويحرص عليه.

وأظنك توافقنى على أن الشاعر كان حكيما فى ترتيبها تصاعديا من وجهة النظر العربية، ثم حاطها بسياج من الدعوة إلى التهيؤ والاستعداد للمعركة، هذه الدعوة التى جعل بعضها قبل الإثارة فى البيت الخامس، وبعضها بعد الإثارة فى البيت الحادى عشر كما تقدم.

(ج) والأبيات (١٢ - ١٦) ترسم خطوطا واضحة لمقومات القيادة، وكأن الشاعر — بعد أن اطمأن إلى اقتناع قبيلته بالاستعداد لخوض المعركة بسبب ما ساق من دعوة وأدلة مثيرة — أراد أن يوفر أسباب النصر فى المعركة باختيار القائد الصالح. فما مقومات القائد فى رأيه؟ هى تنوع القدرات، المهارة فى إدارة المعارك، تنزهه عن عيوب الترف، الصبر على المكاره والشدائد، اندماجه فى عمله، ومشكلات قيادته حتى ليعانقها فى منامه فلا يخلع هموم عمله مع خلع ثياب نهاره، والحُنْكة والتجربة وعمق الخبرة، لا يستعلى على الناس ولا يهمل آراءهم، قصر اهتمامه على شئون القيادة فلا يصرفه عنها مال ولا ولد.

وأنت ترى أن هذه الصفات صفات القائد المثالى الجدير بالنصر، وقد عنى الشاعر بها؛ لأن رجال القبيلة جنود مدربون لايعوزهم فى سبيل النصر إلا التوجيه السليم.

(د) وبعد أن رسم الشاعر صورة القائد، عاد — كما بدأ ناصحاً محذراً فى البيتين الأخيرين.

ويعتبر هذان البيتان ختاماً موفقاً للرسالة ؛ لأنهما تلخيص لما ورد فى النص ، وإجمال أراد به توكيداً ، وتذكرة لما فصله ، فليس فى البيتين من معنى جديد إلا وصف النصح بالبرء من الدَّخل ، وإن كان هذا مفهوما من مضمون الرسالة وروحها .

التصوير والتعبير

١ — أبلغ إيادا وخـلّـل فى سراتهم إنى أرى الرأى - إن لم أعـصَ - قد نصعا

رأى لقيط رأيا وأحس أنه لا يعاق به شك ولا ضعف ، فحكم عليه بالنصاعة فى قوله « قد نصع » ونحن حين نقرأ قوله هذا ندرك أن الشاعر قد تخيل الرأى شبيها بشىء ذى لون ناصع ، وأنه قد وجد مزج بين رأيه والأشياء الناصعة البياض الخالصة اللون ، وأنه جعل الرأى واحداً منها ، فوصفه بهذا الوصف . وهذا المسلك اللغوى يسمى استعارة ؛ لأن الشاعر قد استعار صفة النصاعة لشىء لم توضع له فى اللغة . والشاعر أن يفعل ذلك مادام قد لمح وجه شبه قويّا بين شىء وشىء فجعلهما من جنس واحد ، والشاعر بذلك قد جعل الرأى شيئاً حسيا واضحاً أمام العيون ولا سبيل إلى إنكاره ، وهذا هو أثر الاستعارة .

وإذا نظرت إلى كلمات البيت وتركيب جمله رأيت الشاعر بدأ البيت بأمر جعل فيه الإبلاغ عاما للقبيلة كلها حرصاً على التعبئة ، ثم أتبعه بأمر آخر يخص به السراة لأنهم أصحاب التدبير والكلمة المسموعة . وقد اختار الفعل « خلل » ؛ لأنه يشير إلى المخالطة والامتزاج والالتحام الشخصى والمناقشة كما يشير إلى حرص لقيط على عدم إغفال واحد منهم طلباً لوحدة الصف . وقد حذف مفعول الفعل فى أول البيت إشعاراً بأن استعداد كسرى لإياد أضحى معروفاً مشهوراً . وهذا الحذف يلائم الشطر الثانى الذى سيق لتعليل الأمرين فى الشطر الأول ، وهذا التعليل مؤكد بحرفين هما إن ، وقد ، ولهذا التوكيد فائدته ؛ لأنه يدل على أن الخبر قاطع لا شك فيه ، وهو يفصح عما فى نفس لقيط من خوف على قومه إذا شكُّوا فى رأيه ، ولذلك بادر بقوله : « إن لم أعص » ، وهى مبادرة تؤكد هذا الخوف الذى قد يأتى من استهانتهم برأيه وعصيان نصحه .

٢ — يالهف نفسى إن كانت أموركم شتى ، وَأحكم أمر الناس فاجتمعا

جعل الشاعر الأمور من الأشياء التى تدرك بالحواس فوصفها بقوله « شتى » ثم جعل الأمر يحكم ويجتمع فى قوله « وأحكم أمر الناس فاجتمعا » ، وأنت ترى أن لقيطا يمزج بين عناصر الطبيعة والمعانى التى ندركها بعقولنا ، وينقل أوصاف بعضها إلى بعض ، وهو بذلك يستعمل الألفاظ فى غير ما وضعت له بسبب المشابهة . ولعلك تلاحظ أن الشاعر قد بدأ البيت بقوله « يالهف نفسى » وهو تعبير عن الحسرة والتحرق والغيظ ، ووسيلته النداء ونوع

المنادى . والشاعر لم يتحسر لتفرق أمور قومه فقط بل لاقتران هذا التفرق باجتماع أمر الفرس . وهو يوازن فى البيت بين قومه وأعدائهم ، وهذه الموازنة تثير انتباه قومه وتوقظهم، وتدعوهم إلى التفكير فى أنفسهم . والتعبير بالناس دون الفرس فيه حث على الاتحاد ، كأنه يقول : إنكم دون غيركم من الناس مختلفون .

٣ — مالى أراكم نياما فى بُلَهْنِيَةٍ وقد تَرَوْن شهابَ الحرب قد سطعا

رأى قومه الغافلين المطمئنين يشبهون النيام ؛ لأن الغفلة والاطمئنان يحولان بين المرء والشعور بما حوله من خطر داهم . ولذلك وصف قومه بالنوم بسبب المشابهة بين الحالين ومن الواضح أن هذا الأسلوب تشبيه ؛ لأن المشبه والمشبه به موجودان فى العبارة بخلاف ما لحظنا فى أسلوب الاستعارة من حذف أحدهما . وأنت تستطيع بتجاربك اليومية فى الحياة أن تدرك أن هذا التشبيه له أثر فى المعنى إذا واجهك محدثك بقوله « إنك نائم » مع أنه يحدثك وتحدثه ؛ وجميل جداً أن يجعل الشاعر نوم قومه فى « بلهنية » فيشعرنا بأنه يتخيل البلهنية مكانا يحتوى قومه ، ويحجبهم عن إدراك ما يجرى خارجه ، فكأنهم غرقوا فى اللذات الحسية حتى صرفتهم عن كل شىء ، فغاب عن فكرهم — الخطر الذى يتهددهم . ومن الواضح أن مصدر الجمال فى هذا البيت أن الشاعر يواجههم برأيه فيهم ليهزهم هزة عنيفة توقظهم وتنبههم إلى الخطب الذى يوشك أن يلم بهم . ثم يقول فى البيت نفسه « ترون شهاب الحرب قد سطعا » فيوحى إلينا باحساسه بمعنى الحرب ، وأنها نار موقدة ، وأن لها ألسنة ترتفع فى الجو وتسطع ، والأسلوب تشبيه : شبه الحرب بالشهاب ، أو استعارة ؛ لأن العرب تقول شبت الحرب واشتعلت وأوقدت فيتصورون الحرب ناراً ذات لهب (أو شهب) ؛ لأنها مدمرة كالنار وأما دلالة العبارة على نذر الحرب فقد جاءت من قوله « ترون » مع أن الحرب لم تقم ، فهو تعبير بالدليل أى « كناية » توحى بأن الحرب واقعة لا محالة ؛ لأنكم ترون ألسنتها ساطعة إذا كنتم أيقاظا .

والشاعر يبدأ البيت بقوله : « مالى أراكم » ؟ وهو أسلوب استفهام يفيد التعجب الممزوج بالأسف . وقد أردف فى الشطر الثانى جملة حالية ليشير إلى أن العجب أشد فى هذه الحالة، ولا سيما مع سطوع الشهاب الذى يفيد القوة والانتشار ، ولو قال « لمع » مثلاً ما أفاد هذه القوة . والحرف قد يؤكد معناها .

٤ — فَاشْفُوا غَلِيلِي بِرَأْيٍ مِنْكُمُ حَصِدٍ يُصْبِحْ فُؤَادِى لهُ رَيَّانَ قَدْ نَقِعَا

جعل الشاعر الغليل داء ، يحتاج إلى دواء فالأسلوب استعارة تفصح عن مدى ما يعانى الشاعر من ألم وهو يرى قومه غافلين عما يبيّت لهم عدوهم من شر كبير . والشاعر يجعل الدواء الشافى « برأى منكم حصد » ولكنه رأى من طراز خاص ، وقد أدركنا ذلك من

وصفه « حَصِد » فهذا الوصف للحبل المتين الذى يشتد فتله وإبرامه؛ لأن الرأى لا يوصف بهذا الوصف إلا على أساس هذا التصوّر ؛ وأنت تستطيع أن تقول إن الشاعر شبه الرأى السديد بالحبل الذى أحكم فتله؛ لأن بينهما شبها لامحه فى القوة والمتانة، ثم حذف المشبه به وهو الحبل، فيكون الأسلوب استعارة . ولعلك تدرك أن الشاعر هنا قد وحّد بين المشبه والمشبه به حتى جعل المشبه فرداً من أفراد المشبه به ، ثم عامله لغويا كما تعامل هذه الأفراد .

ويقول الشاعر فى هذا البيت : « يصبح فؤادى له ريان قد نقعا » والتعبير كناية عن الراحة والاطمئنان؛ لأنه تعبير بالدليل، فالارتواء بعد الغليل راحة واطمئنان، والارتواء هو الدليل الذى عبر به عن المعنى المقصود . وفى الشطر الثانى من البيت نلاحظ جزم الفعل « يصبح » فى جواب الأمر « اشفوا غليلى » فنلحظ الشرط الذى يتوقف عليه ارتواء الفؤاد وارتياحه . « وقد نقع » توكيد للرّىّ .

٥ — صُونُوا جِيَادَكُمُ وَاجْلُوا سُيُوفَكُمُ وَجَدِّدُوا لِلْقِسِيِّ النَّبلَ وَالشِّرَعَا

يأمر الشاعر قومه أن يستعدوا ، وقد تتساءل عن حرصه على ذكر الجياد والسيوف والقسىّ كأنهم يجهلون وسائل القتال ، لكنه فى الحقيقة يشير إلى وجوب الاستعداد الكامل، واتخاذ العدة ، وهو مع ذلك يذكر لكل وسيلة فعلا مناسباً ، فالصيانة للخيل ، والجلاء للسيوف ، والتجديد للنبل والشرع؛ لأن كل وسيلة تحتاج إلى الفعل الذى قرن بها، ولا تصلح إلا به ، على أنك تلاحظ أنه لم يذكر إلا رموزاً ، فالجياد رمز لوسيلة الحركة السريعة فى المعركة ، والسيوف رمز لأدوات القتال فى الالتحام والقسىّ رمز لأدوات الرمى من بعيد، واكتفى بذلك عن ذكر سائر الوسائل مثل المطايا ، والرماح والدروع والتروس ونحوها.

٦ — لَا تَثْمُرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمُ إِنْ يَظْهَرُوا يَحْتَوُوكُمْ وَالتِّلَادَ مَعَا

البيت يشتمل على جملتين : فى الأولى نهى عن تنمية المال للأعداء، والأخرى تعليل لهذا النهى والنهى عن تنمية المال للأعداء لا يمكن أن يكون مقصوداً؛ لأنه لا وجود لقوم ينمون المال للأعداء حتى يمكن نهيهم عنه . لكنه يريد أن يقول لهم لا أحب أن تكونوا كمن يعمل فى خدمة أعدائه ولا أحب أن تكونوا سخرية أمام الناس، فهو يحذرهم من موقفهم المتراخى ، ومن أجل ذلك جاء التعليل مؤلماً ؛ لأنه جعلهم عند الهزيمة شيئاً يملك قبل أن تملك التلاد وقد أشار إلى هذا المعنى بتقديم الفعل « يحتووكم » على التلاد .

٧ — يَاقَوْمِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ إِرْثِ أَوَّلِكُمْ مَجْداً قَدَ أشْفَقْتُ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا

يبدأ البيت بنداء قومه إظهاراً لعاطفته وولائه ، وتعليلا لحرصه على نصحهم وإلحاحه فيه ، وتقربا إلى قلوبهم ، واستمالة لأنفسهم ، حتى يقبلوا على ما يبسطه لهم من قول ، والنداء إعلان بالإشفاق عليهم . وفى البيت نبههم إلى مجدهم الذى أوشكوا أن ينسوه ، وأثار فى

أنفسهم الخوف عليه ، وقد قال لهم : « من إرث أوائلكم » كأنه يقول لهم : لا أقل من أن تحتفظوا بتراثكم ، وكان عليكم أن تضيفوا إليه مجدا طريفا . وقد تصور المجد كائناً حيا يصيبه الموت والفناء بالإهمال ، وهو أسلوب استعارة .

٨ — مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ عِزُّ أَوَّلِكُمْ إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ وَاتَّضَعَا

هذا البيت توكيد للبيت السابع بأسلوب الاستفهام الذى لا يطلب جوابا ، ولكنه يعنى النفى . واختار الاستفهام على النفى الصريح ، لأن الاستفهام يدعوهم إلى مشاركته فكرته فى الموضوع ، كأنه يقول لهم : تعالوا إلى كلمة بينى وبينكم فى موضوع عز أجدادنا . ثم يلح فى الشطر الثانى من البيت على معنى فناء العز . وانقطاعه : كأنه يقول لهم : لاتكونوا أداة لضياع العز وذله وضعته إن لم تكونوا عاملين على تجديده والإضافة إليه . ومن الواضح أنه جعل العز إنساناً كريما يقع عليه الذل والهوان إذا لم يصونوه ويجددوه وينموه ، والأسلوب استعارة . وضياع آخر العز كناية عن هزيمة إياد فى حاضرها بعد أن صان أوائلها ماضيها .

٩ — يَاقَوْمِ لا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمْ غُيُراً عَلَى نِسَائِكُمُ كِسْرَى وَمَا جَمَعَا

أعاد نداء قومه ليستأنف قولا فى معنى جديد يحتفل به ويحرص على إعداد نفوسهم لتلقيه واستقباله ، وليوحى إليهم بأنه منهم وأن ما يصيبهم يصيبه ، إذا ضلوا ضل معهم ، وإن رشدوا رشد برشدهم،ثم قال : « لا تأمنوا على نسائكم كسرى » فقدم الجار والمجرور على المفعول لأنه الهدف وموضوع الإثارة ومع ذلك فصل بين الفعل والمفعول بقوله « إن كنتم غيرا » وهو شرط يشعرهم بأنه يشك فى غيرتهم على النساء إذا لم يستجيبوا له . وهو يتوقع أن يكون هذا الترتيب أشد وقعا على أنفسهم توصلا إلى إثارتهم وتحذيرهم .

١٠ — هو الفناء الذى يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

يصور الشاعر قبيلة إياد شجرة . ويعبر عن هزيمتها باجتثاث الأصل ، والصورة استعارة ، والبيت يبدأ بضمير الغائب الذى لا مرجع له فى الكلام السابق ، ويقصد به « المصير » الذى فرض الشاعر أنه الشاغل الذى يشغل قومه بعد ما قدم لهم من تحذير . فكأنه قال « مصيركم الفناء » . وأما الشطر الثانى من البيت فهو استفهام لا يطلب جوابا بل يراد به التعبير عن سداد رأيه وصوابه ، ويتمنى أن يلتفت قومه إليه ويتبعوه . والبيت يتصل بالبيت الأول من القصيدة واسم الإشارة « ذا » يشير إلى الرأى فى البيت الأول ، ولبعد ما بين البيتين فسر اسم الإشارة بقوله « رأيا » وهو تمييز .

١١ — قُومُوا قِيَاماً عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ ثُمَّ افْزَعُوا قَدْ يَنَالُ الْأَمْنَ مَنْ فَزِعَا

« قوموا قياما على أمشاط أرجلكم » كناية عن النشاط وخفة الحركة والوثوب للمعركة وهو تعبير بالدليل ؛ لأنه ذكر المظهر المادىّ وهو القيام على أمشاط الأرجل وأراد القيام الخفيف السريع أى أنه ذكر الدليل الحسى وأراد ما يدل عليه وهو التأهب للمعركة ، وفى البيت أمران الأول مؤكد بالمصدر « قياما » والثانى مؤكد بالجملة « قد ينال الأمن من فزعا » ، فالبيت حريص على التأهب الذى يتبعه الوثوب .

١٢ — وقلّدوا أمركم ، لله درّكم رحبَ الذراع ، بأمر الحرب مضطلعا

يشبه الشاعر الأمر وهو القيادة بالقلادة ، ويحذف القلادة ويبقى الفعل قلد للدلالة عليها ، فالصورة استعارة ، وأما « رحب الذراع بأمر الحرب » فإنه تعبير بالكناية ؛ لأن رحابة الذراع معناها سعة الذراع ، ولكن المقصود هنا القدرة الواسعة على أمر الحرب . ورحابة الذراع هى الدليل الحسىّ على هذه القدرة ، فذكر الدليل وأراد ما يدل عليه ، أو ذكر الصفة وأراد صفة أخرى لازمة لها والشاعر حين أراد أن يدعوهم إلى اختيار القائد قال : « لله دركم » وهو أسلوب يعبر به عن تقدير الشاعر لقومه ، وقد وضعه بين مفعولى الفعل « قلدوا » اهتماما به ، وتوقعاً لأثره الطيب فى أنفس قومه . وفى البيت صفتان للقائد : الثانية منهما وهى « مضطلعا » توكيد للأولى مع زيادة فى المعنى ؛ لأنها توحى بالقدرة على احتمال الأعباء مهما تكن ثقيلة .

١٣ — لا مترفا إن رَخىّ العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا

يشبه المكروه بالحيوان الذى يعض ، ويحذف الحيوان ويبقى الفعل « عض » رمزا له ، والصورة استعارة لحذف المشبه به وهو الحيوان . ويمكن أن يكون العض تعبيراً عن الإيلام وتكون الصورة استعارة أيضا ؛ لأنه حذف المشبه وعبر عنه بالمشبه به وعلى كلتا الحالتين فالصورة توحى بالصبر وقوة الاحتمال . والبيت ينفى صفتين متناقضتين عن القائد المنشود هما البطر والأشر فى الشطر الأول ، والخشوع فى الشطر الثانى ، وهو يعبر بهذه المقابلة بين الحالتين عن صلابة خلقه وثباته مهما تختلف عليه الأحوال وتتقلب الأيام .

١٤ — لاَ يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رِيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يَكَادُ شَبَاهُ يَفْصِمُ الضِّلَعَا

يجعل الشاعر النوم من ألوان الطعام والشراب ، والصورة استعارة أشعرتنا بضرورة النوم للحياة ، كما أشعرتنا بأن للنوم لذة ، وأن القائد المنشود يحرم نفسه مالذّ وطاب من أجل شعبه أو جنده . ثم يتصور الشاعر الهم سيفا يضرب ، أو رمحا يطعن ، ويتخيل له حداً ماضيا يحطم الضلوع . والصورة استعارة تفصح عن شدة الهم وأثره فى أرق القائد وسهره على خدمة شعبه .

ولا شك أن كلمة « هَمٌّ » فى هذا البيت تظفر بإعجابك حتى لا ترضى بها بديلا مثل حزن ونحوها ؛ لأنها تشير إلى الهمة والعزم والإيجابية ، وفى البيت نفسه يُصحبنا الفعل « يكاد » الذى يفصح عن اعتدال لقيط فى أحكامه ، وهذا الاعتدال ينتزع ثقة قومه به ، ويكفل اطمئنانهم إلى إخلاصه ونقاء نصحه . واختيار الأفعال المضارعة فى البيت : « يطعم ، يبعث ، يكاد ، يفصم » يرسم لك صورة الأعمال التى تدل عليها هذه الأفعال كأنك تراها عند أدائها ، وهذا بلاشك أروع فى القلب وأوقع فى النفس .

١٥ — ما انفك يحلبُ هذا الدَّهر أشْطرَه
يكون متَّبِعا طورا ومتَّبَعا

فى هذا البيت يجعل الشاعر الدهر ناقة تحلب ، والصورة استعارة ترمى إلى وصف تجارب القائد ومامر عليه من خير وشر ، وهى استعارة ؛ لأنه شبه ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بالفعل يحلب وهو من خصائص المشبه به المحذوف ، لكنه أضاف الأشطر إلى ضمير الدهر (أشطره) زيادة فى التخييل وإمعانا فى التمثيل . ومن الواضح أن الناقة إذا كانت تدر لبنا ، فالدهر يدر أحداثا بعضها حلو وبعضها مرّ ، وثمرة تقلباته جلد وصبر واحتمال وخبرة وحُنكة ، وهذا هو هدف الاستعارة .

ونلاحظ أن الشاعر يقول « ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره » فالعبارة تدل على استمرار انتفاعه بالتجارب ، وأن نموّه لا يقف ، ثم أشار إلى الدهر باسم الإشارة والإشارة تستحضر المشار إليه بما فيه من أحداث وأعاجيب ، ثم ذكر الدهر وأبدل منه أشطره ليشير إلى اختلاف هذه الأشطر وما تأتى به ، ومن المعروف أن الأشطر لا تتساوى فيما تعطى . والشطر الثانى من البيت يؤكد هذا المعنى ويؤيده . وبين اسم الفاعل واسم المفعول فى البيت تقابل يثير الفكر وينشط الشعور .

١٦ — ولَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يُثَمِّرُهُ عَنْكُمْ وَلاَ وَلَدٌ يَبْغِى لَهُ الرِّفَعَا

والبيت كله كناية عن التفرغ للقيادة ، فقد نفى عنه أمرين هما أول ما يشغل الناس فى الحياة : المال والولد ، ووصف كلا منهما بما يلائمه : وقدم المال على الولد ؛ لأن أثره فى إفساد القيادة أشد ، وفرص جمعه من مواقع القيادة أوسع .

١٧ — هذا كتابى إليكم والنذيرُ لكم لِمَنْ رأى رَأيه منكم ومن سمعا

فى هذا البيت يحدد عنوان الكتاب حين يسميه « النذير » وهى تسمية تدل على خطورة الموقف ولها هدفها ، فكأنه يقول : لا عذر لكم بعد اليوم . والشاعر حين يقول « لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا » بعد قوله « والنذير لكم » أى الجميع ، يقسم قومه قسمين : **الأول** من

يعمل فكره ويصل إلى رأى ، **والثانى** من سمع فاستجاب ، وهذا التقسيم يشمل القبيلة كلها ولا يعنى أحداً منها .

١٨ — وَقَدْ بَذَلْتُ لَكُمْ نُصْحِى بِلاَ دَخَلٍ   فَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَانَفَعَا

فى الفعل « بذلت » إشارة إلى أن نصحه منحة يمنحها لإخلاصه وولائه لقومه ، وفيه إشارة إلى أن النصح وهو « إخلاص المشورة » أمر ذو قيمة . وأما قوله « بلا دخل » فهو توكيد لنفى كل شيء يخامرهم فى صدق مابذل . والشطر الثانى يشبه أن يكون نتيجة للشطر الأول ، ولذلك بدأه بالفاء « فاستيقظوا » وقد جعلهم نياما ويصيح بهم ليصحوا من نومهم والتعبير استعارة ؛ لأنهم غافلون لانائمون وهذ الأمر إنذار فيه معنى التهكم . وختم الشاعر البيت بقوله : « إن خير العلم مانفعا » وهى عبارة لها وظيفة هامة وهى أنها من ناحية تؤكد ما قبلها فى البيت ، ومن ناحية أخرى توحى بالإشفاق والخوف على ضياع النصيحة وذهابها سدى ، وفى ذلك ضياع قومه .

نظـرة بلاغيـة

تبين من دراسة النص ما يأتى :

١ — الأفكار فى النص مسلسلة مرتبة ، وفيها ظاهرتان واضحتان : أولاهما إجمال الفكرة قبل تفصيلها ، والأخرى تلخيصها بعد عرضها . ولعل ذلك لأمرين : هما أن صناعة لقيط وهى الكتابة غلبت عليه ، وثانيهما أن لقيطا على حظ من الثقافة لإقامته فى فارس ، وقد كانت فى ذلك الوقت متقدمة نسبيا فى المدنية والحضارة .

٢ — أن لقيطا كان خبيرا بقومه ، وذكيا جداً فى مواقف ثلاثة :

الموقف الأول حين مهد تمهيدا بارعا لنصيحته ، والثانى حين استخدم لإثارة قومه قيما معينة تكاد تستوعب اهتمامات العرب ، والثالث حين رسم صورة واضحه للقائد الصالح .

٣ — أن الشاعر حين عرض أفكاره مزجها بعاطفته وأبرزها فى صور مختلفة شرحنا بعضها ، ويهمنا الآن أن تدرك بعض خصائصها ، فتعرف أن الصورة تسمى تشبيها حين يكون المشبه والمشبه به مذكورين فى الكلام وتسمى استعارة حين تعتمد على التشبيه لكن يحذف المشبه أو المشبه به فيها . وتسمى كناية حين تعتمد على ذكر الدليل الذى تنفذ عن طريقه الى المعنى المقصود .

ولكل صورة ميزتها فى موضعها على حسب المقام الذى يلائمها .

٤ — بعض الصور التى وردت فى النص تدل على أن مصدرها الحياة البدوية مثل « عض مكروه » ومثل: « يحلب هذا الدهر أشطره » ، ومثل فاشفوا غليلى برأى منكم حصد » ، ومثل : « يكاد شباه يفصم الضلعا » ، ومثل: « يجتث أصلكم » ، غير أن بعضها يصلح لكل بيئة :

مثل : « مالى أراكم نياما فى بلهنية ؟ »،ومثل : « شهاب الحرب »،ومثل : « قلدوا أمركم »، ومثل: « فاستيقظوا » .

٥ — مما نلاحظه فى النص توفيق الشاعر فى اختيار اللفظ الملائم للمعنى،وندرة الألفاظ الغريبة فيه ، ولعلك تدرك أن سر ذلك يكمن فى أن الشاعر متأثر بحضارة البيئة الفارسية التى كان يعيش فيها .

٦ — كل ماورد فى النص من فكرة، وصورة ، ولفظ ، وعبارة يدل على ولاء الشاعر لقومه وإخلاصه وحرصه على سلامتهم بالرغم من موقع عمله .

٧ — القصيدة من النصوص الجاهلية النادرة التى اتضحت فيها وحدة الفكرة وترابط الأجزاء وتضامنها فى تحقيق الهدف .

نظرة أدبية

تبين لك من دراسة النص ما يأتى :

١ — اعتزاز العربى بقوميته وحرصه على صيانة مجدها وتراثها ، وأنه على استعداد فى كل حين للتضحية بالمال والعمل والنفس فى سبيل ذلك .

٢ — يرى العربى أن القائد الصالح أهم عناصر النصر ؛ لأنه يدرك سر تأثيره فى الجنود والفرسان،وكل عربى جندى وفارس.والخطة عندهم من وسائل النصر،على أنه يرى أن أشراف القبيلة لهم اعتبار عظيم فى البادية ؛ لأن طبيعة القبيلة تقتضى ذلك .

٣ — كرامة المرأة وشرفها والاعتزاز بصيانتها والغيرة عليها قيم مستقرة وثابتة فى نفس العربى .

٤ — الوحدة العربية سبيل النصر .

٥ — اعتزاز العربى بأدوات الحرب ووسائلها ولا سيما الخيل .

المناقشة

١ — أبلغ إيادا وخلل فى سراتهم إنى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا

(ا) هذا البيت أول النص الذى درسته وفيه يقول « أبلغ إيادا » ولم يذكر ما يبلغه: فلخص الأفكار الأساسية التى أبلغها لقومه .

(ت) بين الدوافع التى أدت إلى إنشاء هذه القصيدة .

(ج) لم قال : « خلل فى سراتهم » بعد « أبلغ إيادا » ؟

(د) لم جاء بالشرط الاعتراضى « إن لم أعص » ؟

(هـ) ماعلاقة الشطر الثانى من البيت بالشطر الأول ؟

(و) « أرى الرأى قد نصحا » وصف الرأى بالنصاعة جميل . بين السبب .

٢ — يالهف نفسى إن كانت أموركم شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا

(ا) فى البيت بعض الصور . وضحها وبين أثرها فى المعنى .

(ب) « أموركم شتى » — « أحكم أمر الناس فاجتمعا » بين هاتين العبارتين تقابل مقصود . وضح ذلك .

(ج) لم عبر بالناس ولم يعبر بالفرس ؟

٣ — مالى أراكم نياما فى بلهنية ؟ وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

(ا) فى الشطر الأول تشبيه : بين المشبه والمشبه به ، ووجه المشابهة بينهما ، وبين أثر هذا التشبيه فى الهدف من البيت .

(ب) « فى بلهنية » جار ومجرور — هل أفاد معنى يؤثر فى تحقيق الهدف من البيت ؟ وضح .

(ج) بين السبب فى أن الشطر الثانى يقصد به نذر الحرب .

(د) إذا قلت « سطع شهاب الحرب » فهل ترى فى هذا القول صورة ؟ . وضح ما تقول .

(ه) ما الغرض من الاستفهام فى الشطر الأول ؟

(و) ما علاقة الشطر الثانى بالشطر الأول فى هذا البيت ؟

٤ — فاشفوا غليلى برأى منكم حصد يصبح فؤادى له ريان قد نقعا

(ا) فى الشطر الأول من البيت صورتان . وضحهما وبين أثر كل منهما فى المعنى .

(ب) ما المقصود بقول الشاعر « يصبح فؤادى له ريان » ؟

(ح) ما فائدة قول الشاعر « قد نقعا » بعد قوله : « ريان » ؟

٥ — لاتثمروا المال للأعداء إنهم إن يظهروا يحتووكم والتلاد معا

(ا) اكشف فى المعجم عن الفعل « لاتثمروا » واضبطه بالشكل على هدى كشفك .

(ب) ماذا يقصد الشاعر بالنهى فى أول البيت ؟

(ح) ما علاقة « إنهم إن يظهروا » بما قبلها ؟

(د) لم قدم « يحتووكم » على « التلاد » ؟

٦ — ماذا يرد عليكم عزُّ أولكم إن ضاع آخره أوذل واتضعا ؟

(ا) ما المعنى اللغوى لقول الشاعر « يرد عليكم » ؟ وما إعراب « عزّ » ؟

(ب) ما المقصود بالاستفهام فى البيت ؟

(ج) فى الشطر الثانى صورتان : وضحهما ، وبين أثرهما فى المعنى .

٧ — ياقوم لاتأمنوا إن كنتم غيرا   على نسائكم كسرى وما جمعا

(ا) ما فائدة النداء فى البيت ؟

(ب) لم قدم الجارو المجرور والجملة الشرطية على المفعول به (كسرى) ؟

(ج) اتخذ الشاعر وسائل لإثارة قومه منها الغيرة على النساء فى هذا البيت . اذكر الإثارات الأخرى وبين كيف رتبها الشاعر ، ووضح رأيك فى صنيعه .

٨ — هو الفناء الذى يجتث أصلكم   فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

(ا) ما مرجع الضمير فى أول البيت ؟

(ب) اشرح الصورة فى قوله « يجتث أصلكم » ووضح أثرها فى المعنى .

(ج) ما المراد بالاستفهام فى الشطر الثانى ؟

(ه) هل ترى أن من رأى هو غير من سمع ؟ وضح ما تقول .

٩ — قوموا قياما على أمشاط أرجلكم   ثم افزعوا ، قد ينال الأمن من فزعا

(ا) وضح الكناية فى الشطر الأول وبين قيمتها .   (ب) ما معنى افزعوا ؟

(ج) « قد ينال الأمن من فزعا » ما علاقة هذه الجملة بما قبلها ؟

١٠ — وقلدوا أمركم — لله دركم —   رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

(ا) وضح فى البيت صورتين ، وبين أثرهما فى المعنى .

(ب) ما معنى « لله دركم ؟ ولم وضعها الشاعر بين أجزاء الجملة ؟

(ج) فى البيت صفة للقائد . اذكر صفات القائد الأخرى التى ذكرها الشاعر فى قصيدته ، وحدد موضع كل صفة من البيت الذى وردت فيه .

١١ — لايطعم النوم إلا ريث يبعثه   هم يكاد شباه يفصم الضلعا

(ا) فى قول الشاعر « لايطعم النوم » صورة ، وفى « هم يكاد شباه يفصم الضلعا » صورة أخرى ، وضحهما ، وبين ما فيهما من جمال .

(ب) لم اختار الشاعر الأفعال المضارعة فى هذا البيت ؟

(ج) ما فائدة الفعل « يكاد » فى هذا البيت ؟

١٢ — ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره   يكون متبعا طورا ومتبعا

(ا) « يحلب هذا الدهر أشطره » بين أن هذه الصورة تدل على خبرة القائد وحنكته .

(ب) لم أضاف أشطر إلى ضمير الدهر ؟

(ج) لم استخدم اسم الإشارة « هذا » فى البيت ؟

(د) ما فائدة « ما انفك » فى أول البيت ؟

(هـ) ما جمال التعبير فى الشطر الثانى ؟ وما أثر هذا الجمال فى المعنى ؟

١٣ — وليس يشغله مال يثمره   عنكم ولا ولد يبغى له الرفدا

(ا) لم كان هذا البيت كله كناية عن التفرغ الكامل لشئون القيادة ؟

(ب) لم قدم ذكر المال على ذكر الولد ؟

(ج) وصف الشاعر كلا من المال والولد . اذكر رأيك فى الوصفين .

١٤ — ختم الشاعر النص ببيتين يعتبران تلخيصا لمعانى القصيدة . اشرح ذلك .

١٥ — بين أن القصيدة مرآة تعبر عن العصر الجاهلى .

فروسية

لعنترة العبسيّ

الشاعر: عنترة شاعر عدنانى من قبيلة عبس من مضر، وكانت أمّه حبشية، سباها أبوه فى إحدى غاراته، فاستولدها عنترة، وانتفاه منذ ولادته على حسب عادة العرب ألا تلحق أولاد الإماء، ونشأ عبدا فى بيت أبيه يرعى إبله؛ ويكره الاستعباد وإنكار الأبوة، إلى أن أغار قوم من طيء على بنى عبس فاستاقوا من إبلهم، فتبعهم العبسيون وقاتلوهم ومعهم عنترة يقود كتيبة، فقال له أبوه: كُرَّ يا عنترة وأنت حرّ. فكرّ، وقاتل قتالا حسنا، واسترجع الإبل، فاعترف به أبوه، وألحقه به فى النسب، فتطاير صيته، وأصبح مثال الإقدام والشجاعة، وقضى أكثر حياته فى غزو أعداء قبيلته وصد غاراتهم، وكان عنترة متعقلا فى شجاعته: قيل له يوما: أنت أشجع العرب. فقال: لا. قيل: وبم شاع لك ذلك فى الناس؟ قال: أقدم إذا رأيت الإقدام عزما، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما. وكان عنترة أسود كأمه، ولذلك عدّ من أغربة العرب. وكان يشعر بأن عيب السواد لا يغسله إلا شجاعته ومروءته.

وقد عشق فى شبابه بنت عمه «عبلة»، وكان ذلك قبل تحريره، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد، فحفزه ذلك للمعالى يتطلبها وينشدها. وهاج ذلك من شاعريته، فاجتمع له الشعر والشجاعة والمروءة، حتى إذا أصبح حرّا زوّجه عمه عبلة.

وقد نسج الرواة حول شجاعته أساطير وقصصا. وامتلأت سيرته بأحداث وأشعار كلها من نسج الخيال.

وقد قتل عنترة بعد أن أسر فى غارة له على قوم من طيء. والأبيات التى سندرسها له قالها بمناسبة معركة خاضها ضد بنى تميم، وقد استطاع أن يصدهم ويحمى قبيلته.

النص

١ — أَفَمِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فى أَيْكَةٍ ‍ ‍ ذَرَفَتْ دُمُوعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ الْمِحْمَلِ

٢ — كَالدُّرِّ أَوْ فَضَضِ الْجُمَانِ تَقَطَّعَتْ ‍ ‍ مِنْهُ عَقَائِدُ سِلْكِهِ لَمْ يُوصَلِ

(١-٢): أيكة: الشجر الملتف. ذرفت الدموع: سالت. المحمل: علاقة السيف. الجمان الفضة. وفضض الجمان: ما تناثر من الفضة. تقطعت عقائد سلكه: انحلت عقائد سلكه. والعقائد جمع عقيدة بمعنى معقود. الضمائر فى منه وسلكه، ويوصل: لفضض الجمان. والسلك هو خيط العقد.

٣ — إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً   شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصُلِ
٤ — إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرْ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا   أَشْدُدْ وَإِنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ
٥ — حِينَ النُّزُولُ يَكُونُ غَايَةَ مِثْلِنَا   وَيَفِرُّ كُلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ
٦ — وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ   حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
٧ — وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنَّنِي   فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بِطَعْنَةِ فَيْصَلِ

ومعنى البيتين : يتذكر الشاعر الفارس على نفسه فيقول : أمن أجل حمامة بكت بين أغصانها ، تسيل دموعى فوق حمالة سيفى منثورة كعقد من الدر أو من الفضة انقطع عقد سلكه فتناثر الدر أو فضض الجمان وتفرق ؟ .

(٣ ، ٤ ، ٥) منصبا : مكانة . شطرى : نصفى.سائرى : الشطر الباقى منى . المنصل : السيف . يلحقوا (بالبناء للمجهول) : يدركهم أعداؤهم.أكرر : أهجم على الأعداء عائدا إليهم. يستلحموا(بالبناء للمجهول) : يقال استلحمتهم الحرب أى نشبت فيهم ، واستلحموا نشبوا فى الحرب فلم يجدوا مخلصا . أشدد : أحمل على العدو بقوة . يلفوا : يوجدوا . الضنك: الشدة والضيق والحرج والمأزق . أنزل : ينزل عن الإبل إلى الخيل للمضاربة ، أو عن الخيل إلى الساحة للمبارزة .مضلل : حائر . مستوهل (بكسر الهاء) : مذعور مفزع ، من الوهل وهو الخوف والفزع .

ومعنى : الأبيات : إن نسبى من ناحية أبى فى أرفع مكان ، وإذا سأل أحد عن نسبى من جهة أمى فالجواب هو السيف فى يدى ، والشجاعة فى قلبى ، فإن أدرك الأعداء قومى كررت عليهم ، وإن نشبت الحرب وطالت حملت حملة صادقة فكنت سبب الخلاص ، وإن وجدوا فى موقف حرج نزلت للمبارزة لأفرج ضيقهم فكنت أنا الحامى حقيقتهم فى حال يكون القتال عنيفا وتكون المبارزة هدفا لمثلى من الشجعان ، ويكون الفرار قصارى جهد الجبناء .

(٦ ، ٧) الطوى : الجوع . أظله : أستمر عليه نهارا . كريم المأكل : الطعام الذى لا يلحق فيه عار ، والمراد الثناء . فيصل : سيف قاطع .

ومعنى البيتين : أبيتُ جائعا ، وأصبح جائعا ، وأظل جائعا حتى أستحق ما يجدر بمثلى من ثناء مستطاب . ولقد أبلى فى المعارك بلاء تحسه الخيل ويعرفه الفرسان وأطعن العدو طعنات تفرق شمله ، وتعلى كلمة الحق ، وتفضح ادعاء المدعين .

٨ — بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفَ كَأَنَّنِي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
٩ — فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنْهَلِ
١٠ — فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لَا أَبَالَكِ وَاعْلَمِي أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ
١١ — وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرِيهَةِ لَمْ أَقُلْ بَعْدَ الْكَرِيهَةِ لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتمل نص عنترة على :

١ — نسيب تقليدى فى أول النص . (١ - ٢) .
٢ — فخر بالشجاعة (٣ - ٧) .
٣ — حتمية الموت (٨ - ١١) .

(ا) وأنت ترى أنه قد بدأ القصيدة بالنسيب خضوعا لنظام القصيدة العربية ، ولكنه لم يطل ؛ بل مضى مسرعا إلى التحدث بشجاعته ، وبلائه فى المعارك .

(ب) وفى الأبيات (٥ - ٧) يفخر بنسبه إلى عبس من ناحية أبيه ، ويرى فى شجاعته ما يغنيه عن غير ذلك ، ثم يشير إلى بلائه فى المعركة ، واعتماد قومه عليه ، وصموده وجلده، واقتداره على تحقيق النصر لقبيلته ، ثم يزعم أن شجاعته لا تحتاج إلى برهان لأن الخيل تعرفها ، والفرسان من الأعداء يشهدون بها .

(٨ — ١١) بكرت : بادرت فى الغداة . الحتوف : المهالك . غرض الحتوف : عرضة لها. بمعزل: على بعد . المنية : الموت . المنهل: مورد الماء يستقى منه الناس. اقنى: صونى واحفظنى . لا أبالك : أسلوب تعجب وزجر ، أو دعاء بفقد الأب جزاء لها على تخويفها إياه . الكريهة : الحرب أو ركوب الصعب . حملت على الكريهة : دفعت إليها ، أو رأيت ألا مفر منها دفاعا عن الحق ، وذوداً عن الحمى .

ومعنى الأبيات : هبت صاحبتى فى الغداة تحذرنى مشفقة علىّ من خطر الحرب ، كأنها تتوقع لى خلودا إذا تجنبتها ، فرددتها ردا عنيفا ، وقلت لها : الموت كأس لا مفر من شربها ، والهلاك مصير لا بد منه فاستحيى ولا تلومينى فقدت أباك ، واعلمى أيتها الجاهلة ـ أن الموت ـ سيلاقينى على الفراش إن لم يلاقنى فى ميدان الحرب ، وشتان ما بينهما . ولست بلائم لنفسى على المخاطر أواجهها وأقاسيها ؛ لأنى لم أقدم إلا بعد الأناة والروية تلبية لنداء الشرف والحفاظ على الحمى .

(ج) ثم يشير إلى حوار بينه وبين صاحبته التي تحذره من خطر الحرب . فيرد عليها بأن الخلود في الحياة مستحيل ، وأن الموت محتوم ، وأنه يؤثر أن يموت تحت ظلال السيوف ، ولكنه مع ذلك لا يسعى إلى الحرب ، فإذا اضطر إليها خاضها . غير آسف ولا نادم على ما تجر من ويلات .

التصوير والتعبير

١ — أَفَمِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِى أَيْكَةٍ ذَرَفَتْ دُمُوعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ الِمحْمَلِ

٢ — كَالدُّرِّ أَوْ فَضَضِ الْجُمَانِ تَقَطَّعَتْ مِنْهُ عَقَائِدُ سِلْكِهِ لَمْ يُوصَلِ

سمع الشاعر صوت الحمامة تدعو أليفها في وقت كان يحن فيه إلى صاحبته ، فتخيلها تبكى كما يبكى الإنسان وتسيل دموعه ، فقال « بكاء حمامة » وإضافة البكاء (١) إلى الحمامة استعارة وحين تخيلها تبكى « ذرفت دموعه فوق ظهر المحمل » أى سالت بغزارة . وفى العبارة كناية ؛ لأن وصول الدموع إلى علاقة السيف على كتف الفارس وصدره دليل كثرتها ، وقد ذكر هذا المظهر الحسى ، فكان تعبيرا بالدليل أى بالكناية . والعبارة نفسها كناية عن أن سلاح الشاعر لا يكاد يفارق عاتقه . والبيت يبدأ باستفهام ينكر الشاعر به على نفسه أن تذرف دموعه غزيرة لبكاء حمامة . والفاء في قوله : « فمن » حرف عطف على فعل محذوف ، والتقدير « أصابك ضعف فذرفت دموعك من بكاء حمامة ؟ وذكر الجار والمجرور « فى أيكة » بيان لمكان الحمامة الباكية ، وفيه تحديد لبعض معالم الصورة التي يرسمها الشاعر للحمامة الباكية .

وفى البيت الثانى يشبه الدموع مرة بالدر ، ومرة بفضض الجمان الذى تناثر ، لكن ما هدف التشبيهين ؟ إذا كان الهدف بيان الغزارة ، فما كان أغناه عنه بما سبق فى البيت الأول وإذا كان الهدف بيان صفاء الدموع وإشراق لونها ، فإن موقف الحزن والبكاء لا يلائم هذا ولا ذاك . ربما كان وجه الشبه أن دموع الفارس غالية كالدر أو الفضة ، أو ربما كان المقصود هو تناثر الدموع كما يتناثر العقد الذى انفرط . أما قوله : « لم يوصل ، فهو حشو لا غناء فيه !

٣ — إِنِّى امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِى وَأَحْمِى سَائِرِى بِالْمُنْصُلِ

شعور عنترة بنقص نسبه من أحد شطريه جعله يبدأ فخره بذكر نسبه من ناحية أبيه وبالتماس تعويض عن النقص فى نسبه من ناحية أمه . وكأنه أراد أن يهيء النفوس لقبول

---

(١) البكاء : هو سيل الدموع من حزن .

فخره الكبير الذى سيأتى بعد ، ويبدو أنه يشعر بصعوبة هذا القبول فأكد البيت بالحرف « إنّ » . وبسبب هذا الشعور نفسه قدم عنترة الخبر على المبتدأ فى قوله : « من خير عبس منصبا شطرى[1] » . وقوله : « أحمى سائرى بالمنصل » كناية عن أن قيمة المرء ما يعمله لا نسبه . وجميل جدا من عنترة أن يعبر عن ناحية أمه بقوله « سائرى » .

٤ — إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُدْ وَإِنْ يُلْفَوْا بِضَنْك أَنْزِلِ

٥ — حِينَ النُّزُولُ يَكُونُ غَايَةَ مِثْلِنَا وَيَفِرُّ كُلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ

البيت الرابع وما بعده متصل بالبيت الثانى لتفصيل الأعمال التى يتخذها عنترة لحماية سائره ، وهى أعمال تبين فضله على قومه ، فيذكر فى البيت الرابع ثلاث جمل شرطية تتناول ثلاث أحوال من أحوال الحرب ، مرتبة ترتيبا تصاعديا وقد اختار عنترة لكل شرط جوابا ملائما . وفى صنيع الشاعر هذا موسيقى واضحة . والبيت حجة قوية لفضل الأعمال على الأنساب ، « ويلفوا بضنك » كناية عن شدة القتال وتفوق الأعداء . البيت الخامس متصل اتصالا وثيقا بالرابع ؛ لأنه يبين متى يكون النزول الذى ختم به البيت الرابع . ومن الجمال الواضح قوله « مثلنا » فهى كلمة مركزة تحمل شحنة ضخمة من الفخر والاعتزاز بالنفس ، ففيها إشارة إلى ارتفاع مستوى مكانته الحربية . والشطر الثانى ـ فوق ما يضيف منه موازنة توحى بعلو ذلك المستوى ـ فيه تعويض وتهكم بالذين يعتزون بنسبهم ويطعنون فى نسبه ولا يغنون فى المعركة . والبيت كله كناية عن عنف المعركة ، وقد عبر عن هذا بدليلين الأول « النزول غاية مثلنا » ، والثانى فرار الجبناء الذين كنى عنهم : « بكل مضلل مستوهل » .

٦ — وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ

الشطر الأول كناية عن الصبر والجلد والاندماج فى المعركة ، والانصراف عن كل شىء يشغله عن تحقيق النصر حتى الطعام ليلا ونهارا . والشطر الثانى كناية عن العزة والطموح إلى المجد . وبين الشطرين تقابل ، وهذا التقابل يثير الانتباه ويوقظ الشعور ؛ لأنه فى ظاهره تضاد يثير العجب .

ومن الجميل جداً استخدام الحرف « على » فى قوله « على الطوى » ، وحذف حرف الجر مع أظل حتى ليوهم التعبير أنه صار هو والطوى شيئاً واحداً فى نهاره . وحرف الجر « به » فى قوله « أنال به كريم المأكل » يوحى بأن هذا الطوى وسيلة يرجو من ورائها شرفاً ومجداً ، والواقع أنه يعرض بمن يهتمون بمطالب أجسامهم ، ومن يتكالبون على الغنائم

---

(١) شطرى مبتدأ ، ومن خير عبس خبر والجملة صفة (امرؤ)

والأسلاب فى المعركة حتى ليبدو أنهم لاهم لهم من المعارك إلا هذه المكاسب دون سواها من المعانى والقيم . ولقد أكد المعنى باللام وقد ؛ لأن الخبر الذى يسوقه فى البيت غريب فى زعم الذين يهبطون بمستوى عنترة عن مستوى الأحرار فى الأهداف .

٧ — وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنَّنِي ... فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بِطَعْنَةِ فَيْصَلِ

يقرر أن شجاعته معروفة واضحة حتى لتعلم بها الخيل لكثرة ما شهدت من مواقعه ، والأسلوب استعارة ؛ لأن العلم من خصائص الإنسان . وقد عطف الفوارس على الخيل ؛ لأن الفوارس من الأعداء وشهادتهم لاتقل فى تقرير المعنى عن علم الحيوان . ولكن الغرابة فى البيت ليست فى علم الخيل والفوارس أنه فرق جمعهم ، بل الغرابة فى أن كان هذا التفريق بطعنة فيصل ، فهى طعنة عجيبة حقاً ، أكانت طعنة لقائد العدو ؟ أكانت طعنة أصابت أكثر من رجل ؟ لابد أن تكون طعنة غير معهودة ولا مألوفة بين الطعنات ، ولعله من أجل ذلك جعلها نكرة ليذهب الخيال فى تصورها كل مذهب .

٨ — بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفَ كَأَنَّنِي ... أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

٩ — فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لابُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنْهَلِ

١٠ — فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لا أَبَا لَكِ وَاعْلَمِي ... أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

١١ — وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرِيهَةِ لَمْ أَقُلْ ... بَعْدَ الْكَرِيهَةِ : لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

الأبيات متصلة بما قبلها اتصال النتيجة بالسبب ، فإن صاحبته تعلم من بلائه وجهده وإخلاصه فى المعارك ما جعلها تخشى عليه ، فما كان منها إلا أن استيقظت فجراً و « بكرت تخوفنى الحتوف » ؛ والعبارة تدل على لهفة صاحبته وحرصها على حياته وإشفاقها من مخاطر الحرب وتهوره فيها ، فهى كناية . وفى هذه الكناية إشارة إلى أنها أرادت أن تمنعه قبل بدء المعركة فى الغداة ؛ لأنهم تعودوا الهجوم فيها . وذكر الحتوف بلفظ الجمع إشارة إلى أن صاحبته ألحت فى ذكر ما تخشاه عليه من أخطار شتى . وأما قوله « كأننى أصبحت . . . » فهو حديث نفسه قبل أن يجيب صاحبته ؛ وكأنه يسخر مما تتخيله ، ومن محاولتها كفه عن ممارسة الحروب ؛ لأن اجتنابها لايضمن له الخلود ؛ ولايجنبه المهالك ؛ لأن الحتوف فى الحرب وفى غيرها ، فكما تكون فى أرض المعركة تكون على الفراش وتحت أسقف البيوت . . وفى « غرض الحتوف » استعارة تخيل فيها الشاعر أن للحتوف أغراضاً كالإنسان يصوب سهامه إلى أغراضه . ثم يجيبها فى البيت التاسع « إن المنية منهل » فيشبه الموت بمورد الماء الذى يرده كل الناس سواء منهم الشجعان والجبناء . وقد أكد ردّه بحرف التوكيد « إنّ » ثم بجملة كاملة فى الشطر الثانى و « أسقى بكأس المنهل » تصوير جيد لحتمية الموت ؛ فقد

جعل المنية منهلا على سبيل الاستعارة ، وصور المنهل تملأ منه الكئوس ، وتدار على الناس كافة ، ولكل امرئ كأس رضى أم أبى ، ودليل ذلك بناءُ الفعل « أسقى للمجهول » وقوله : « لابد » .

وفى البيت العاشر يأمرها بالفعل « فاقْنَىْ حياءك » المقرون بالفاء التى تعبر عن نتيجة ما جاء فى البيتين الثامن والتاسع ، والأمر غرضه التوبيخ ، وفيه شيء من جفوة البدوى حين يثور على صاحبته التى تطمع منه فى أن يخالف طبيعته ، ويكف عن سبيل العزة والمجد خشية الموت . بل يرى عنترة أنها فقدت حياءها بهذا المطمع فيدعوها إلى الاستحياء والاحتشام . ويضيف إلى ذلك قوله « لا أبالك » زجرا لها وتعجبا منها ، وإفصاحاً عن غضبه عليها ، وحثا لها على الصمت . ثم يأمرها أمراً فيه إهانة وتوبيخ أيضا وهو قوله « اعلمى » ؛ لأنه يعلمها شيئاً لا يسع إنسانا أن يجهله . وقد تسأل أنت : ما فائدة كلمة « امرؤ » هنا وقد يمكن الاستغناء عنها ؟ والجواب أنه يشير إلى أنه إنسان ككل الناس يجوز عليه ما يجوز عليهم من الموت إذا لم يقتل .

وفى البيت الأخير يعبر عن الحرب بالكريهة ، وهى كناية توحى بنفور الناس جميعاً من الحرب ومعهم عنترة نفسه ، وفى الشطر الثانى كناية عن الندم هى قوله « ليتنى لم أفعل » والبيت من ردّه على صاحبته وكأنه يحاول فى أوله أن يفهمها بأنه لا يرغب فى الشر ولا يسعى إليه ، ولكنه يأبى الاستسلام إذا أبى أعداؤه إلا الحرب فلا يندم على ما يكون منه فيها ، ولا على ما يصيبه من شرها إذا اضطر إليها .

نظرة بلاغية

تبين لك من الدراسة ما يأتى :

١ — موضوع النص الفخر الفردىّ وهو المتوقع من عنترة بسبب نشأته ، واعتماده فى تحقيق مكانته الاجتماعية على جهده الشخصى ، حين يعتمد غيره على الانتماء إلى قبيلته وأسرته قبل كل شيء .

٢ — الصفات التى افتخر بها تدور حول الشجاعة والصبر والحزم والعفة .

٣ — يبدو فى النص أن شجاعته مصدرها تطلعه إلى المكانة الاجتماعية المرموقة التى يشعر بحرمانه إياها ، هذا إلى فكرته عن الموت المحتوم الذى لا يرده تحفظ ولا تصوّن .

٤ — ألفاظه سهلة ، وعباراته قريبة المأخذ ، وصوره ضيقة لا غموض فيها ولا تعقيد .

٥ — الصور والعبارات تحمل روح البادية وطابعها .

٦ — من صفاته النبيلة التى برزت فى النص تعففه عن المغانم وإيثاره السلام ما لم يحمل على الحرب ، وإيمانه بحتمية الموت .

٧ — تتسم صوره وأفكاره بالصدق .

نظرة أدبية

تمثل القصيدة سائر الشعر الجاهلى من حيث نظام القصيدة ، وبدؤها بالنسيب ، ثم عرض الأغراض الأخرى .

٢ — يصور النص حياة البادية ومافيها من اضطراب واصطراع وحروب بين القبائل.

٣ — فى النص مناقشة بين الشاعر وصاحبته توحى بحرص المرأة على حياة رجلها أخا كان أو أبا ، أو زوجا ، أو صاحبا .

٤ — تدل القصيدة على أن شعراء الجاهلية لايعنون كثيرا بالربط بين أبيات القصيدة ، أو أجزائها ، فقد بدأ عنترة بالغزل ، ثم تركه فجأة إلى الفخر ، وتركه فجأة وأخذ يحاور صاحبته ، بلا ربط مقصود بين كل جزء ومايليه ، أو بين كل بيت وماسبقه، ويزيد من هذا التفاوت أن اختيار النصوص فى العصرين الجاهلى وصدر الإسلام لايراعى تتابع الأبيات المختارة وإنما يأخذ أبياتا ويترك أخرى كما فى قصيدة عنترة هذه .

المناقشة

١ — قال عنترة :

أَفَمِن بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِى أَيْكَةٍ ذَرَفَتْ دُمُوعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ الْمَحْمَلِ
كَالدُّرِّ أَوْ فَضَضِ الْجُمَانِ تَقَطَّعَتْ مِنْهُ عَقَائِدُ سِلْكِهِ لَمْ يُوصَلِ

(ا) ما الغرض من الاستفهام فى البيت الأول ؟

(ب) مافائدة قوله « فى أيكة » — « لم يوصل » ؟

(حـ) فى البيت الثانى تشبيهان — اذكر وجه شبه يجعل للتشبيه أثرا فى المعنى .

(و) يقول شاعر آخر :

أَأَزْعُمُ أَنِّى هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ لِسُعْدَى وَلَا أَبْكِى وَتَبْكِى الْحَمَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ اللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لمَّا سَبَقَتْنِى بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

بيِّن أن عنترة يخالف مذهب هذا الشاعر ، واذكر السبب .

٢ — إنى امرؤ من خير عبس منصبا شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

(ا) هل ترى من علاقة بين هذا البيت وما قبله ؟ وضح ماتقول .

(ب) لم قدم الشاعر الخبر على المبتدأ فى الجملة « من خير عبس منصبا شطرى » ؟

(حـ) ما رأيك فى التعبير بقوله : « سائرى » ؟

(ى) لم أكد الشاعر معناه بحرف التوكيد ؟

(هـ) مافائدة قوله : « امرؤ » فى هذا البيت ؟

٣ — إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُدْ وَإِنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ
حِينَ النُّزُولِ يَكُونُ غَايَةَ مِثْلِنَا وَيَفِرُّ كُلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ

(ا) يقال إن فى البيت الأول موسيقى تعبيرية ، بين مصدرها .

(ب) مافائدة قوله « مثلنا » ؟

(حـ) ماعلاقة البيت الثانى بالبيت الأول ؟

(ى) ماعلاقة هذين البيتين بما قبلهما ؟

(هـ) بَينَ شطرى البيت الثانى تضاد يفيد المعنى . وضح ذلك .

٤ — وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ

(ا) بم يفخر الشاعر فى هذا البيت ؟

(ب) « فى كريم المأكل » صورة يقال إنها كناية ، ويقال إنها استعارة ، فأيهما أقرب إلى ذوقك ؟ علل لما تقول .

(حـ) بين شطرى البيت تقابل يؤثر فى المعنى ـ بين ذلك .

(ى) هل ترى بين « على الطوى » « وأظله » مقابلة ؟ وضح ماتقول .

٥ — وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنَّنِى فَرَّقْتُ جَمْعَهُمْ بِطَعْنَةِ فَيْصَلِ

(ا) ماعلاقة البيت بما قبله ؟

(ب) ماذا فى البيت من تصوير ؟ وما أثره فى المعنى ؟

(حـ) ما رأيك فى قول الشاعر « بطعنه فيصل » ؟

٦ — بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفَ كَأَنَّنِى أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ لَابُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنْهَلِ

فاقْنَيْ حَيَاءَكِ لاأَبَالَكِ وَاعْلَمِىْ أَنِّى آمْرُؤٌ سَأَمُوتُ - إِنْ لَمْ أُقْتَلِ
وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرِيهَةِ لَمْ أَقُلْ بَعْدَ الْكَرِيهَةِ : لَيْتَنِى لَمْ أَفْعَلِ

(ا) لم اختار الشاعر لفظ « بكرت » فى أول البيت الأول من هذه الأبيات ؟

(ب) ماذا فى « غرض الحتوف » من جمال ؟

(ح) إن المنية منهل - لابد أن أسقى بكأس المنهل :

فى كل من العبارتين صورة ، وضح كلا منهما ، وبين أثرها فى المعنى .

(ى) ما الغرض من الأمر فى : اقنى حياءك . اعلمى ، فى البيت الثالث ؟

(هـ) ما المراد بالكريهة فى البيت الأخير ؟ وماذا من الجمال فى « ليتنى لم أفعل » ؟

٧ — نص عنترة يمثل معظم الشعر الجاهلى . اشرح هذه العبارة مع الاستشهاد .

٨ — ما الذى جعل فخر عنترة فخرا فرديا ؟

مروءة ونجدة

للمرقّش الأكبر

الشاعر : هو عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل ، ويمتاز عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه كان يعرف الكتابة ، وهو من الشعراء العشاق ، ومات متيّما ، وسبب موته أنه كان يهوى ابنة عمه «أسماء» ، ولكن عمه قال له : «لا أزوجك حتى تعرف بالشجاعة والبأس فى الحروب» فسافر المرقش فى طلب العلا يشترك فى المعارك أينما كانت ، ثم عاد فوجد عمه قد زوج أسماء لرجل ثرى من قبيلة «مراد» ، وكان هذا الرجل قد زار عمه فوجده فى ضيق مالى ، فأعطاه مائة من الإبل وتزوج أسماء . فركب المرقش فى طلب المرادى الذى تزوج أسماء ومازال يبحث عنه حتى مرض فى رحلته ، ويشاء القدر أن يحمل وهو مريض إلى بيت قريب من المكان الذى مرض فيه ، فإذا هو بيت أسماء والمرادى ، ولكن المرض قد اشتد عليه فمات بين يدى أسماء وزوجها .

وهو من الشعراء الذين اتصلوا بالغسانيين ، وتوفى سنة ٥٥٢ م .

جو النص:

الجزيرة العربية كما نعلم - تغلب عليها الطبيعة الصحراوية الخالية من الأنهار ، فأهلها ينتظرون مواسم المطر ، وينتجعون منابت الكلأ ، فإذا انتهى المرعى انتقلوا بحثا عن غيره ، فكانوا يعيشون عيشة غير مستقرة ، وكثيرا ما كانت السماء تضن عليهم بمطرها ، فيهدد أهلها القحط هذا - إلى مخاوف الصحراء والحياة الواجمة فيها - دفع إلى الاعتزاز ببعض القيم والمثل التى تباهى بها العرب .

والنص التالى يعرض بعض ما يفتخر به الشاعر من هذه المآثر والقيم :

النّص

١ — إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ   تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

٢ — وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبداً   إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلاماً سَيِّداً فِينَا

(١) تبتدر غاية: يتسابق الناس إليها والغاية: الهدف النبيل . المكرمة : لاكتساب مكرمة، والمكرمة هى فعل الكرم . السوابق : جمع سابق وهو أول الخيل فى السباق . والمصلين جمع مصلى وهو الثانى بعد السابق الأول . ومعنى البيت : إذا تبارى الناس فى صنع المكارم سبقناهم جميعا إلى الهدف ، وكان منا الأوائل والتوالى ، وإنما يجىء غيرنا بعدنا فى المرتبة الثالثة .

(٢) يهلك: يموت. افتلينا: فطمنا. أو اختبرنا وتدبرنا ، والمراد أحد المعنيين الأخيرين. ومعنى البيت إذا مات سيد منا فتشنا غلاما منا وتأملناه ، ثم رشحناه للسيادة مكان من هلك .

٣ — إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِى الْأَمْنِ أُغْلِينَا
٤ — شُعْثٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِى مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
٥ — الْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ وَخَيْرُ نَادٍ رَآهُ النَّاسُ نَادِينَا
٦ — إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ قِيلُ الْكُمَاةِ: أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا
٧ — لَوْ كَانَ فِى الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
٨ — إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

---

(٣) نرخص : من أرخص الشيء جعله رخيصا أى سهلا هينا . الروع : الحرب . نسام بها : يساومنا أحد عليها ، ويطلب بيعها له . الأمن : السلم. أغلين: أى صرن غاليات (النون فى أغلين نون النسوة ، والألف زيدت لمد الصوت فى الشعر) والمعنى : إذا كان يوم الروع تقدمنا للقاء ، وبذلنا أنفسنا ، وضحينا بها رخيصة ، ولكننا فى السلم نصونها ونكرمها ، ولا نفرط فى إعلاء شأنها وإعزازها .

(٤) شعث : جمع أشعث وهو المغبرّ الشعر . ومفارقنا : جمع مفرق وهو المكان الذى يفرق فيه الشعر فى الرأس. مراجلنا : جمع مرجل وهو القدر الكبيرة يطبخ فيها. نأسو: نداوى. ومعنى البيت : إنا رجال جد وخشونة وحزم وتشمير فى الأمور ، حراص على قِرى الأضياف ، أباة لا يطمع أعداؤنا فى القصاص منا، لكننا ندفع لهم ديات قتلاهم من أموالنا التى تتسع لدية كل قتيل .

(٥) شآمية : ريح شمالية باردة تهب من ناحية الشام على بلاد العرب يصحبها هلاك للزرع والضرع . ناد : مكان الاجتماع . ومعنى البيت : نقدم للناس الطعام فى أوقات الشدة والقحط ، ونادينا خير الأندية برجاله ذوى الآراء السديدة ، والأحكام الرشيدة .

(٦) معشر : جماعة . أفنى : أهلك . قيلُ : قول . الكماة : جمع كام أو كمى ، وهو من ستر نفسه بالسلاح . المحامون : المدافعون المغيثون للمستنجدين . ومعنى البيت : إنى من قوم قتل آباؤهم وأجدادهم فى الحروب استجابة لنداء المستغيثين من الأبطال ونجدة لمن يستصرخ قائلا : أين الشجعان الأقوياء الذين يحاربون حماية عن المجد ، وذيادا عن الحمى ؟

(٧) دعوا : نادوا . خالهم : ظنهم . يعنون : يقصدون . ومعنى البيت : لو اجتمع ألف من الناس وفيهم واحد منا ، ونادى المنادون : من الفارس الشجاع فيكم ؟ لظن أنه المقصود بالنداء دون سواه ، لثقته بنفسه ، واعتزازه بقوته .

(٨) تنحوا : ابتعدوا ، أوحاولوا الفرار . الظبات : جمع ظُبَة وهى حد السيف . =

٩ — وَلاَ تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
١٠ — وَنَرْكَبُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُوَاتِينَا

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتمل النص ما يأتى :

١ — فى البيتين الأول والثانى يفخر الشاعر بمبادرة قومه إلى فعل المكارم ، وترشيح شبابهم لمواقع السيادة . (١ - ٢)

٢ — فى البيتين الثالث والرابع يفخر بشجاعة قومه ورجولتهم ، ومنعة جانبهم ، وجودهم . (٣ : ٤)

٣ — فى البيت الخامس يفخر بالكرم فى وقت القحط ، ويفخر أيضاً فيه بنادى قومه .

٤ — فى الأبيات السادس والسابع والثامن يفخر بالشجاعة والنجدة ، والثقة بالنفس والإيمان بالقوة . (٦ : ٨)

٥ — وفى البيتين الأخيرين يفخر بالصبر والصلابة ، والثقة بالنفس . (٩ - ١٠)

وأنت ترى من ذلك أن الشاعر فى القسم الأول قد ذكر صفات عامة تشتمل على المعانى التى ذكرها — بعد — فى سائر الأقسام ، كما ترى أن الفخر بالشجاعة تكرر ، وأن الفخر بالكرم وبالنادى تخلل الفخر بالشجاعة . أما القسم الأخير فهو من صدى الشجاعة . وعلى هذا فالأفكار غير مرتبة إلا فى تقديم الصفات العامة فى القسم الأول .

= والمعنى : إذا الكماة من أعدائنا خافوا ضربات سيوفنا فى الحرب ، فابتعدوا لئلا تصيبهم السيوف أطلنا سيوفنا بأيدينا ، حتى لا يفلتوا من ضرباتنا . والعرب تقول دائماً : إذا قصرت السيوف وصلناها بخطانا ، أو وصلناها بأيدينا . والغرض أنهم مقاديم فى الحرب .

(٩) جلَّت : عظمت . البكاة : جمع باك والمعنى : لا نبكى على موتانا كغيرنا ، ولا نجزع على من هلك منا ؛ لأنا أهل حرب وجلد ، وقدرة على أخذ الثأر ، ولأن من مات منا يخلفه مثله قوة وشرفا .

(١٠) الكره : الشدة والمكروه والكريهة . نركبه : نقع فيه ونمارسه . الحفاظ : المحافظة والذبُّ عن المحارم . يفرجه : يكشفه ويزيله . تواتينا : توافقنا وتسعفنا .

والمعنى : قد نقع فى مأزق فيكشفه عنا دفاعنا وإباؤنا ، وموافقة سيوفنا لنا .

هذا وفى علاج بعض الأفكار مبالغات واضحة كما فى الأبيات الثانى والخامس والسادس والسابع ، والشاعر فى ذلك مدفوع بحماسته للإعلاء من شأن قومه .

التصوير والتعبير

١ — إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ   تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

فى هذا البيت يصور الشاعر الحياة الاجتماعية حلبة سباق تقام فيها المباريات لبناء المفاخر والمآثر ، وأن قومه يسارعون إلى المكارم والمعالى يصنعونها ، فلا يسبقهم أحد ، ولا يصل معهم أحد ، إنما يجىء المتبارون بعدهم فى المرتبة الثالثة ، ففى « تبتدر » استعارة صورت إقبال قومه على فعل الخير تصويرا حسيا جميلا يهز النفوس ويثير المشاعر ، وفى كل من السوابق والمصلين ، استعارة أيضا ؛ لأنهما من صفات الخيل فى حلبة السباق .

ولعلك تلاحظ أن السوابق جمع للأفراس لا للرجال ، ولكن المصلين جمع للرجال لا للأفراس ، وهذا يشير إلى أن الناس والأفراس فى خيال الشاعر من جنس واحد حين شبه الحياة الاجتماعية «بحلبة» السباق ، وفى بناء الفعل ، تبتدر ، للمجهول واقترانه بالظرف «يوما» إشارة إلى أن سبق قومه إلى المعالى ليس له مكان معلوم ، ولا زمان محدود ، ففيه عموم وشمول وهو تعميق للفخر وإمعان فيه ، وتنكير ، مكرمة يجرى هذا المجرى ، ويؤثر مثل أثره .

٢ — وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبداً   إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلاماً سَيِّداً فِينَا

البيت كناية عن أن سادتهم لا ينقصون ، وترشيح الغلام للسيادة كناية عن أن السيادة أصيلة فيهم ، وأنها استعداد كامن فى شبابهم . والنَّفْى بالفعل « ليس » ونقض النفى بحرف الاستثناء « إلاّ » يفيد أن هذا صنيعهم الدائب الذى لا يتغيّر . و « أبدا » توكيد لهذا الصنيع الذى يدأبون فيه .

والبيت متصل بالبيت الأول من حيث أن السوابق والمصلين هم السادة الذى يصنعون المكارم فى البيت الأول ، وهم السادة الذين لا ينقصون فى البيت الثانى ، وليكونوا من السوابق والمصلين أبدا إذا نافسوا سواهم وباروْهم فى ميدان المفاخر والمآثر والمكرمات .

٣ — إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا   وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فى الْأَمْنِ أُغْلِينَا

يصور الشاعر بذل الأنفس فى الحرب بسماحة ورضا إرخاصا لها ، ويصور محافظتهم عليها فى السلم من كل شر إغْلاءً لها ، وهى استعارة قائمة على تشبيه ملحوظ هو تشبيه النفوس بالجواهر الثمينة النادرة ، مع حذف هذا المشبه به والرمز إليه بالإرخاص

والإغلاء . وأجمل ما فى البيت مع هذه الاستعارة تصدير الشطر الثانى بالحرف « لو » تكريما لهذه النفوس العزيزة ؛ لأن « لو » تفيد أن الفعل بعدها ممتنع لا يكون . ومثل ذلك فى الروعة والجمال توكيد الإرخاص مرتين . وقد أدى التصوير فى البيت إلى مقابلة عفوية بين شطريه ، وهى مقابلة تبعث اليقظة ، وتثير الانتباه وتدعو إلى التفكير (الإرخاص فى الروع يقابل الإغلاء فى الأمن) . وأحب أن أنبهك إلى أن توكيد صدر البيت مصدره أن البيت الثانى يحرص على ألا ينقص السادة فيوهم بالحرص على الحياة ، ومن أجل ذلك كان توكيد الإرخاص ضروريا ليؤكد الحرص على الموت فى ميدان القتال ، ومن هذا نرى الصلة وثيقة بين البيتين .

٤ — شُعْثٌ مَفَارِقُنا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا   نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

« شعث مفارقنا » كناية عن إيثار جد الأمور على مظاهر الزينة والترف .

و « تغلى مراجلنا » كناية عن الكرم وإطعام الناس فى كل حين . و « نأسو بأموالنا آثار أيدينا » استعارة تخيل فيها الشاعر قومه أطباء يتخذون من أموالهم دواء للجراح التى تقوم بها أيديهم ، وهى استعارة توحى بالمنعة وعزة الجانب مع وفرة المال وترتيب الجمل الثلاث فى البيت يصدر نغما موسيقا جميلا ، ولاسيما فى الشطر الأول الذى قسمه الشاعر قسمين متوازنين ختم كل منهما بضمير المتكلمين . والتعبير بالجملة الاسمية « شعث مفارقنا » يعنى ثبوت الصفة ودوامها ، والتعبير بالفعلين المضارعين « تغلى ونأسو » يوحى بالتجدد والاستمرار ، مع استحضار صورة الفعلين حين الأداء .

٥ — المُطْعِمُونَ إذا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ   وَخَيْرُ نَادٍ رَآهُ النَّاسُ نَادِينَا

فى البيت كناية لطيفة عن القحط والجدب فى « هبت شآمية » ؛ لأن ريح الشمال إذا هبت على الجزيرة هلك النبات ، ونفقت الدواب ، وأعوز الناس ما يأكلون ؛ وكان الإطعام مكرمة عظيمة . واستخدام أداة الشرط « إذا » يوحى بأن ذلك يحدث كثيرا . وفى الشطر الثانى يعبر(١) بالنادى عن المجتمعين فيه من السادة والأشراف ذوى الرأى فى مصاير القبيلة فكأنه يقول : « إن أهل الشورى منا فى ذروة المجتمع العربى » ، وهى مبالغة يمكن قبولها فى مقام الفخر القبلى .

٦ — إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ   قِيلُ الكُمَاةِ أَلا أَيْنَ المُحَامُونَا

---

(١) ستعرف أن هذا يسمى مجازا مرسلا .

يقول : إن « قيل الكماة أفنى أوائلهم » مع أن الذى أفناهم النجدة وخوض المعارك لكنه يعبر عن العمل بالباعث إليه والحافز عليه . والاستفهام فى « أين الحامون » للتعجب من غياب المدافعين القادرين عن المعركة حين يحمى الوطيس ويستعر القتال ، ويؤيد هذا المذهب التعبير بالقيل بدلا من القول ؛ لأن القيل أكثر ما يستعمل فى القول المؤلم ، كأن قول الكماة عتاب موجه إلى الأبطال الذين استهانوا بشدة المعركة ، وهى فى حاجة إلى بلائهم . وصدور القيل من الكماة كناية عن حرج المأزق وشدة الموقف ، حتى عجز الكماة فيه عن كشف الغمة إلا بالحامين من قبيلة الشاعر واستخدام « ألا » قبل الاستفهام للتنبيه إليه قبل النطق به اهتماما به ، واحتفالا بموضوعه . وتوكيد المعنى بإنّ واللام فى أول البيت إشعار بأن الخبر جدير بالتصديق بالرغم من غرابته . والتعبير بالمعشر والأوائل تضخيم لحاضر القوم وماضيهم ، فالبيت فخر بالأجداد يمتد إلى الأبناء الحريصين على خطة آبائهم . والبيت كله كناية عن أن قومه لا يموتون على الفراش بل يموتون تحت ظلال السيوف نجدة للمنكوبين .

٧ — لَوْ كَانَ فى الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

الاستفهام فى البيت لا يقصد به غير معناه الحقيقى ؛ لأن السائل لا يعنى غير تعيين فارس واحد من الألف . « وخالهم إياه يعنونا » كناية عن الثقة بالنفس والاعتزاز بالفروسية واعتقاد كل واحد منهم أنه الفارس دون سواه من سائر الناس . وتقديم المفعول فى « إياه يعنون » إشارة إلى أنه المعنىّ وحده بالنداء ؛ لأن هذا التقديم يفيد الاختصاص بالفعل . والبيت مبالغة يمكن قبولها فى مقام الفخر القبلى ، ولاسيما أنها جاءت فى عبارة مصدرة بالحرف « لو » الذى يدل على انتفاء الجواب لانتفاء الشرط . فالشاعر إنما فرض هذه الصورة من اجتماع الألف ووجود الواحد ، والدعوة . والظن بأن فارسهم هو المعنىّ ليعبر بالدليل (الكناية) على أن أفراد قبيلته يثقون بشجاعتهم وفروسيتهم ، ويعتزّون بها ، ويحرصون على إبرازها فى مختلف المواقف . وقدم الشاعر « فى الألف » على « واحد » اعتزازاً بالعدد وإبرازا له ، إثارة للعجب والدهشة .

٨ — إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

فى البيت كنايتان : الأولى فى « الكماة تنحوا أن يصيبهم حد الظبات » وهى كناية عن حرج الموقف وشدة المأزق ، وفزع الأبطال من الأعداء . والثانية فى « وصلناها بأيدينا »

وهى كناية عن ملاحقة هؤلاء الأبطال المتنحين ، والإصرار على إصابتهم ومتابعتهم أينما كانوا ، فهم « مَقادِيمٌ وَصَّالون فى الرَّوْعِ خَطْوهمْ بأسيافهم » ، واختيار الأيدى لوصل الظبات فيه إيحاء بصلابتهم كأن أيديهم من حديد كظبات السيوف ، وإيثار أداة الشرط « إذا » ؛ لأنها تفيد كثرة وقوع الشرط مع تحقق الجواب ، وهذا أدعى لتقرير الفخر وإرسائه فى النفوس .

٩ — وَلا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ   مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا

البيت كناية عن التجلد والتجمل ، مع كثرة المصائب وشدتها . وقد وازن الشاعر بينهم وبين غيرهم من البكاة ، فأكدت الموازنة صلابتهم وقوة احتمالهم . لكن ما قيمة « لا تراهم » ؟ ربما أراد الشاعر أنهم إذا اشتد الجزع على بعضهم ، واستبد به الحزن ، خلا إلى نفسه فبكى وأسبل دمعة تطفى الحرقة ، وتخفف اللوعة ، وهذا هو التجمل أو الصبر الجميل . وربما أراد أنه لا بكاء فلا رؤية .

١٠ — وَنَرْكَبُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ   عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُوَاتِينَا

فى « نركب الكره » استعارة ؛ لأنه تخيل الكره حيواناً صعب المراس ، وفى قوله « يفرجه عنا الحفاظ » كناية عن الإباء ، والألفة والحمية . وفى « أسياف تواتينا » استعارة تخيل فيها الشاعر الأسياف أصدقاء فى المعركة ، وفيها إيحاء بأن السيوف لا تنبو فى أيديهم بل تصيب دائماً مقاتل أعدائهم .

نظـــرة بلاغيــة

١ — موضوع القصيدة الفخر القبلى بمُثُلٍ وقيم تعتز بها قبيلة الشاعر ، فلم يتحدث الشاعر ببطولة شخصية ، ولا صفات ذاتية ، وهو يخالف ما رأيناه فى نص عنترة من فخر فردى لدواع خاصة .

٢ — لاحظنا المرقش يقدم فى أول النص حديثاً عن قيم عامة تتصل بالمكارم والسيادة ثم أخذ يفصل فيذكر الشجاعة، والنجدة، والكرم ، لكنه لم يتناول كل قيمة تناولا مستقلا.

٣ — أفكار الشاعر قريبة التناول ، وألفاظه واضحة بعيدة عن الغريب .

٤ — استخدم الشاعر قليلا من الاستعارات ، وكثيرا من الكنايات .

٥ — بالغ بعض المبالغات فى فخره بقبيلته ، وهى مقبولة فى هذا المقام .

نظرة أدبية

١ — يبين النص أن الحروب فى الجاهلية لم تكن دائماً حروب غزو وسطو بل كان بعضها استجابة لدعوة المستنجدين .

٢ — القيم التى بجدها المرقش قيم إنسانية فاضلة .

٣ — تمثل القصيدة المنهج العام فى الشعر الجاهلى من حيث قرب الأفكار والفخر بمجد القبيلة ، والاعتدال فى استخدام الاستعارات .

٤ — يتسم النص بآثار البيئة . من مثل سباق الخيل ، والاستجابة للمكروبين ، والفخر بدفع الديات ، وغلى المراجل لإطعام الأضياف ؛ ولا سيما عند هبوب ريح الشمال ، والتفاخر بالفروسية ، والصبر على المصائب ، والترفع عن البكاء ، والاجتماع فى النوادى لمناقشة شئون القبيلة .

المناقشة

١ ما المآثر التى افتخر بها المرقش فى قصيدته ؟ استشهد .

٢ — قرأت فخر المرقش ، ومن قبل قرأت فخر عنترة . وازن بينهما ، معللا لما تقول .

٣ — ماذا تصور أبيات المرقش من حياة العصر الجاهلى ؟ استشهد على ما تقول من النص .

٤ — إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبداً ... إِلّا افْتَلَيْنَا غُلاماً سَيِّداً فِينَا

(ا) بم يفخر الشاعر فى هذين البيتين ؟ (ب) بين علاقة البيت الثانى بالبيت الأول .

(جـ) اشرح الصورة الخيالية فى البيت الأول ، وبين ما فيها من جمال .

(د) لم بنى الفعل «تبتدر» للمجهول ؟ (جـ) لم نكر الشاعر كلمتى: غاية . مكرمة .

(و) ما مفرد السوابق ؟ وما مفرد المصلين ؟ بين السر فى طريقة الجمع فيهما .

(ز) لم استخدم الشاعر «ليس» ، و «إلا» فى البيت الثانى ؟ بين قيمة قوله «أبدا» .

(ح) «افتلينا غلاما» — «افتلينا سواه» أيهما تفضل ؟ ولماذا ؟

(ط) «كان السوابق منا والمصلونا» — «تلق السوابق منا والمصلينا» أيهما أدل على ما يريد الشاعر ولماذا ؟

٥ — قال الشاعر :

إِنّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا ... وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الأَمْنِ أَغْلَيْنَا

شُعْثٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا ... نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارُ أَيْدِينَا

الْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ ... وَخَيْرُ نَادٍ رَآهُ النَّاسُ نَادِينَا

(ا) بين الاستعارة فى البيت الأول ، ووضح أثرها فى المعنى .
(ب) فى البيت الأول حالتان متقابلتان . بيّنهما ، وبين أثر هذا التقابل فى المعنى .
(جـ) لم بدأ الشطر الأول من البيت الأول بالتوكيد ، وبدأ الشطر الثانى بالحرف «لو»؟
(د) فى البيت الثانى ثلاث جمل فى كلٍّ صورة بين رأيك فى قيمتها وفى علاقة بعضها ببعض .
(هـ) لم استخدم الشاعر الفعلين المضارعين : تغلى ـ نأسو ؟
(و) « إذا هبت شآمية » لم كان الإطعام فى ذلك الوقت مفخرة ؟
(ز) ما المراد بالنادى ؟ وماذا فى التعبير من بلاغة ؟

٦ ــ إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ قِيلُ الْكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِى الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا .

(ا) ما المراد بالاستفهام فى البيت الأول ؟ وما علاقة هذا باختيار التعبير بالقيل بدلاً من القول ؟
(ب) لم أكد البيت الأول بمؤكدين فى أوله ؟ وما قيمة الحرف «ألا» قبل الاستفهام؟
(جـ) لم اختار الشاعر التعبير بالكماة ؟
(د) ماذا من البلاغة فى قوله « أفنى أوائلهم قيل الكماة » ؟
(هـ) ما المراد بالاستفهام فى البيت الثانى ؟
(و) ما أثر استخدام الحرف « لو » فى أول البيت الثانى ؟
(ز) لم قدم المفعول على الفعل فى قوله : « إياه يعنونا » ؟
(ح) قال طرفة :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

أيهما أجمل فى رأيك : بيت المرقش أم بيت طرفة ؟ ولماذا ؟

٧ ــ إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم حد الظبات وصلناها بأيدينا

(ا) ما معنى قوله « وصلناها بأيدينا » ؟ وماذا فيه من جمال ؟
(ب) أيهما أجمل : « إذا الكماة » أم « إذا الرجال » ؟ ولماذا ؟

٨ ــ ونركب الكره أحيانا فيفرجه عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

بين الجمال فى هذا البيت .

شجاعة وإقدام

لِعَمرِو بنِ مَعْدِيَكْرِبَ

الشاعر : هو عمرو بن معديكرب بن عبدالله ، ينتهى نسبه إلى زبيد بن صعب بن سعد العشيرة ، وقد نشأ فى مذحج ، وهو شاعر مخضرم ، فارس اليمن والمقدم فيها شدة وبأسا ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فى رجال من بنى زبيد عند انصراف رسول الله من غزوة تبوك ، فأسلم ، وشهد حرب القادسية أيام عمر بن الخطاب ، فأبلى بلاء حسنا ، وشهد وقعة نهاوند مع النعمان بن مقرّن ، وقتل فيها عام ٢٤ هـ (٦٤٣ م) . وهو ممن يصدق عن نفسه فى شعره ، ولا يفاخر بالمحال .

جو النص : كانت قبيلة جرم قد قتلت رجلا من بنى نهْد ، فارتحلت جُرم إلى بنى زبيد قوم عمرو تحتمى بهم ، فجاءت نهد تطالب بدم صاحبها ، فقامت حرب بينه وبين بنى نهد . وفرّت جرم ، وانهزم بنو زبيد أنفسهم ، ووقع عبء الحرب كله على عاتق عمرو ، وأبلى بلاء حسنا فيه ، فذلك حيث يقول :

النّصّ

١ — لَيسَ الْجَمالُ بِمِئْزَرٍ فَاعلَم وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْداً
٢ — إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَورثْنَ حَمداً
٣ — لَمَّا رَأَيتُ نِسَاءَنَا يفْحَصنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدَّا
٤ — وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
٥ — وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جِدّا
٦ — نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ أَرَ مِن نِزَالِ الْكَبْشِ بُدّا

(١ - ٢) مئزر : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن ، ويقال له الإزار والمئزرة والسروال . رديت : ألبست . بردا : البرد كساء مخطط يلتحف به ، وكان أحسن الملبس عند العربى أن يلبس الإزار وفوقه برد ، وكان أمراؤهم يلبسون هذا الملبس .

معادن : جمع معدن ، ومعدن الشىء مكانه الذى فيه أصله ومركزه ، وهو اسم مكان من الفعل عِدن أى أقام . مناقب : جمع منقبة وهى الفعل الكريم والمفخرة . أورثن حمدا : أعقبن وتركن . ومعنى البيتين أن الجمال الحقيقى ليس فى هذا الملبس أو ذاك ، بل جمال الإنسان فى أصوله الزكية وأفعاله الكريمة التى تورثه ثناء ومدحا .

(٣ : ٧) المعزاء : الأرض الصلبة . يفحصن : يؤثّرن فيها آثارا كالحفر . شدا : جريا . يقال : =

٧ — هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْـ ـذُرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا
٨ — كَمْ مِنْ أَخٍ لِيَ صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا
٩ — مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلَا هَلِعْـ ـتُ وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا
١٠ — أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْـ ـتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا
١١ — أُغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِيـ ـنَ أُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَّا

شدالفتى فى السباق شدا أى عدا عدواً. لميس: اسم امرأة. تبدى: ظهر واضحا. جدا: بالغ الغاية. والأمر: الخطر. نازلت: قابلت وجهاً لوجه للمقاتلة والمضاربة. كبشهم: كبش الكتيبة رئيسها. لم أر بدا: لم أجد مفرا. ينذرون دمى: يوجبونه على أنفسهم. لقيت: حاربت. أشد: أحمل عليهم وأهجم بقوة.

ومعنى الأبيات: لما شهدت الحرائر من نساء القبيلة يعدون عدوا من الجزع والهلع، ويحفرن بالأرض حفرا من شدة العدو، ورأيت لميس قد كشفت عن وجهها فكأنه القمر فى ليلة التمام، وقد أذهلها الفزع والهول عن ستر محاسنها التى كانت حريصة فى الأمن على إخفائها، تحشما واستحياء، ورأيت أن الخطر قد بلغ غايته ومنتهاه، عمدت إلى رئيس القوم لمنازلته ومقاتلته، ولم أر مفراً من نزاله لأقتله وتنتهى المعركة، وإن هؤلاء الأعداء لا يخشون غيرى، وطالما أوجبوا على أنفسهم قتلى وسفك دمى، وطالما أوجبت على نفسى إن كانت المواجهة أن أحمل عليهم حملة تشتت شملهم، وتفرق جمعهم، وتقضى على شوكتهم.

(٨ : ١٠) بوأته: أنزلته. لحدا: قبرا. هلعت: الهلع أشد الجزع. زندا: الزند موصل الذراع فى الكف، أو العود الأعلى الذى يقتدح به النار، ولا يكاد يستعمل هذا اللفظ إلا فى الخسيس الدنىء من الأشياء. لايرد: لايجدى ولا ينفع. جلدا: قويا صبارا على النوازل.

معنى الأبيات:

لا أهاب النزال، فكثيرا ما فجعت بإخوتى وأصدقائى الذين كانوا لى فى المعارك عونا، وفى المآزق ساعداً وعضداً، فهيأت لهم قبورهم بنفسى، ولم يصرفنى عن واجبى نحوهم جزع ولا هلع، واستمسكت بالصبر؛ لأن البكاء لا يجدى ولا يغنى عنى شيئاً، ولو كان يغنى لكان التعزى أجدر بمثلى وأولى. لقد توليت بنفسى التكفين؛ لأنى طبعت على القوة والجلادة منذ خلقت.

(١١ — ١٢) غناء: الغناء: النفع والكفاية. الذاهبين: من قضى من العشيرة. أعد للأعداء: أحسب لهم بأعداد من الشجعان. فردا: منفردا.

ومعنى البيتين: أقوم مقام من قضى من عشيرتى، وأسد مسدهم، وإذا كنت واحداً،

١٢ — ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُم وَبَقِيتُ مِثْلُ السَّيْفِ فَرْداً

الدراسة والتحليل

الأفكار

تناول الشاعر فى هذا النص :

١ — رأيه فى حقيقة الجمال (١ — ٢) .

٢ — الحفاظ والحمية (٣ : ٧) .

٣ — الصبر والجلادة (٨ : ١٠) .

٤ — مكانته الحربية (١١ — ١٢) .

(ا) ففى القسم الأول أبرز عمرو رأيه فى مقومات الجمال ، وأجمل ذلك فى بيتين ، ندد فيهما بالذين يرون الجمال فى فاخر الثياب ، ومظاهر الزينة ، وأكد أنه فى الأصل النبيل ، والعمل الكريم .

(ب) وفى القسم الثانى (٣ : ٧) يبين الشاعر بعض الأعمال الكريمة التى قام بها ، ليتحقق له بعض الجمال كما يراه ، فذكر ثورة نفسه وغيرته وحميته حين رأى النساء يسرعن فى الهرب خوفا من السَّبْى ، فبادر إلى حماية العرض ، والذود عن الحمى ، وهو يعلم أن الأعداء يتربصون به ، ويودّون القضاء عليه .

(ج) وفى القسم الثالث (٨ : ١٠) يضيف إلى مقومات الجمال الحقيقى صبره على المكاره وجلده فى مواجهة النوائب .

(د) وفى القسم الأخير (١١ — ١٢) يفخر بكفايته الحربية ، وتقديره للتبعات ، وحمله أعباء الكفاح . عن قومه ، ويرى — وإن أسف على الذاهبين — أنه أمَّةٌ وحده، وأنه ليس له ندّ فى الناس . وبذلك يصل إلى قمة الفخر .

التصوير والتعبير

١ — لَيسَ الْجَمالُ بِمِئْزَرٍ فَاعلَم وَإِنْ رُدِّيتَ بُرداً

٢ — إِنَّ الْجَمالَ مَعادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَورثن حَمداً

رمز الشاعر لكل المظاهر الخادعة بالمئزر والبرد . وذكر « إن رديت » تعريضا وتهكما بمن يرون قيمتهم فى الثياب . ومسارعته إلى وضع الفعل « فاعلم » سخرية من غفلة هؤلاء ،

= فإنى لا أبلى فى المعارك بلاء حشد من الأبطال ، وقدمات قرنائى ، وصرت وحدى أحمل أعباء قومى فى المعارك ، لا صاحب لى يعيننى فى الميدان ، ولا يشبهنى أحد من الباقين فى صفاتى كأنى سيف فى الغمد وحده ولا سيف معه .

وغفلة من يغترون بمظاهرهم ؛ فقد وضع الفريقين موضع الجاهلين للبدائه . وبدء البيت الثانى بالحرف « إنّ » لتعليل النفى فى البيت السابق وتوكيد الخبر فى البيت الثانى . وإعادة لفظ الجمال للتوكيد كأنه يقول : « الجمال الحقيقى » . وجملة « أورث حمدا » لبيان أن المعادن والمناقب لا تكون جمالا إلا إذا ترجمت إلى أعمال وأخلاق يحمدها الناس لما يصيبون من خيرها . ولهذا الوصف فائدة أخرى هى التعريض بمظاهر الزينة التى لا تورث شيئاً . وفى أورث حمدا « استعارة شبه فيها الحمد بالأشياء الثمينة التى تورث عن الآباء ، وفيها تجسيم للحمد ، وإيحاء بأن خير ما يخلفه المرء بعد حياته هو الحمد والثناء .

٣ — لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدّا

٤ — وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى

٥ — وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جِدَّا

٦ — نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ أَرَ مِنْ نِزَالِ الْكَبْشِ بُدَّا

فى « يفحصن بالمعزاء شدا » كناية عن الجزع والهلع الذى أصاب نساء القبيلة ، وإضافة النساء إلى ضمير المتكلمين يوحى بمدى ثورته وشعوره بالحمية ، والتبعات والالتزامات نحو حماية هؤلاء النساء المنسوبات إليهم . وفى قوله « بدت لميس » إشارة إلى أنها كانت مخدَّرة ، ولم تكن لتبدو إلا فى موقف الروع ، فالتعبير كناية عن شدة الأحداث . ثم يقول : « كأنها بدر السماء إذا تبدى » فيشبهها بالبدر إذا تجلى وأضاء ، ويشير إلى أنها لم تكن لتسفر إلا للذعر والذهول والتشبيه يوحى بأن هول القتال لم يشغل البطل الصنديد عن روعة الجمال ، أو أن هذا قد زاد فى اشتعال الحماسة للذياد عن الحمى والحرمات . وقد حرص الشاعر على « إذا تبدى » لبيان تأثره بجمال لميس وإشراق وجهها . ويضيف البدر إلى السماء إعلاء من شأن لميس . وفى قوله « بدت محاسنها التى تخفى » كناية عن الاضطراب ، واستخدام المضارع « تخفى » إشارة إلى أن الخفاء هو الدأب والعادة . والمقابلة بين تخفى وبدت تشعر بثورة الشاعر وأساه ، وقوله : « كان الأمر جدا » كناية عن بلوغ الخطر مداه . وفى تكرار « بدت » فى بيتين إشعار بأن الشاعر يشعر بحرقتين حرقة التأثر بالجمال ، وحرقة الغيرة على لميس ، والحرقتان متعاونتان فى الحفز على النزال ، والحث على خوض غمار القتال . ولذلك كان جواب الشرط « لما » هو : « نازلت كبشهم » وفى الكبش استعارة موحية بخطر المواجهة ، وتكراره اعتزاز بقوته ، واعتداد بشجاعته ، وإعلان لسعادته بالقضاء على رئيس العدو المغير الذى لم ير عمرو من نزاله بدا . وفى : « ولم أر من نزال الكبش بدا » تبرير الشر الذى يخوضه ، ولم يكن ليريده ، لولا واجب الذياد والذبّ عن الحرمات .

٧ — هُمُ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْـ ـذُرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا

البيت حكاية عما كان يحدث قبل المعركة ، بدليل قوله « إن لقيت » وصدر البيت خبر غرضه الاستهانة بالعدو ، وآخره تهديد ووعيد له والبيت — أيضا — كناية عن مساواة عمرو فى قدرته وبلائه لقدرة العدو ؛ لأنه يقابل نذرهم دمه بنذره أن يشد . وشده كناية عن فتكه بالعدو ، وهى كناية جميلة ؛ لأنه يقول : إن شده كفيل بتفريق جمعهم وهلاكهم . والبيت متصل بما قبله ، فهو يقول : إنى بمنزلة كبشهم أوفى بنذر كان منى مقابلة لنذرهم وفيه إيحاء بأنهم معتدون باغون وعلى الباغى تدور الدوائر .

٨ — كَمْ مِنْ أَخٍ لِيَ صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا

٩ — مَا إِنْ جَزِعْتَ وَلاَ هَلِعْـ تُ وَلاَ يَرُدُّ بُكَاىَ زَنْدَا

١٠ — أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا

البيت الثامن متصل بمنزلة الكبش ونذر الدم ، ونذر الشد ، كأنه يقول : إنى لا أهاب حر القتال ولا أخشى الموت ، ولا أرانى إلا كغيرى من إخوتى الصالحين ، الذين فجعت فيهم « وبوأته بيدىّ لحدا » كناية عن الجلد وقوة الاحتمال ، و « كم » دلت على الكثرة ، وقد أكد هذه الكثرة بزيادة حرف الجر « منْ » قبل النكرة « أخ » ، ووصف الأخ بالصلاح للإشعار بأنه جدير بالأسى والأسف عليه .

وفى البيت التاسع ينفى عن نفسه الجزع والهلع ، ويؤكد النفى بالحرف الزائد « إن » قبل جزعت ، ويؤكد نفى الجزع ينفى الهلع ، وكان الأجدر بالشاعر أن يعكس ؛ لأن الهلع أشد من الجزع ، إلا أن يكون قد أراد بالهلع البكاء مع الجزع . وقد علل نفى البكاء بقوله « ولا يرد بكاى زندا » ، والتعليل يدل على أنه كره البكاء ، والتعليل — من ناحية أخرى — يدل على الصبر الناشىء عن تفكير وتعقل لا عن عجز وقصور . و « زندا » كناية عن أقل الأشياء قيمة ، لذا اختاره لنفى جدوى البكاء . والبيت كله توكيد لمعنى الكناية فى البيت الثامن ، وكأنه جملة معترضه سارع بها قبل أن يتم حديثه عن الأخ الصالح ، فإن البيت العاشر من تمام البيت الثامن ، فكأنه قال : « بوأته بيدى لحدا بعد أن ألبسته أثوابه » أو يكون البيت العاشر جوابا عن سؤال سائل يقول : وكيف دفنته ؟ فقال : « ألبسته أثوابه » ، هى كناية عن الجلد أيضا تؤكد ماقبلها ، وفيها إيحاء باحترامه لجلال الموت . وقد ختم البيت العاشر بقوله « وخلقت يوم خلقت جلدا » وله هدفان : الأول توكيد الجلد الذى تناوله فى الأبيات والثانى بيان أنه لا يتصنع الجلد بل هو فطرته التى فطر عليها . وهو أدل على الصلابة والقوة .

١١ — أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ أُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَّا

١٢ — ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدَا

البيت الحادى عشر متصل بما قبله ؛ لأن الذاهبين هم الإخوة الصالحون الذين كفنهم

وبوأهم لحودهم ، فهو يقول : إن فقدهم قد حملنى أعباء كانوا يقومون بها . وفى « أغنى غناءهم ، تشبيه ؛ لأن أصل التركيب أغنى مثل غنائهم . أما « أعد الأعداء عدّاً » فهو استعارة ؛ لأنه يشبه نفسه بالجيش الذى يعد أفراده ، ويحذف الجيش ، ويرمز إليه بالعدّ ، ووجه الشبه القدرة على مواجهة حشد من الجنود ، وكثرة قتلاه منهم ، فكأنه جيش يواجه جيشاً . والبيت الأخير أوله أسف وحسرة على الأحباء الذين مضوا ، وآخره فخر بالتفرد وقلة الأنداد ، وقد يمتد التحسر إلى الشطر الثانى وهذا مفهوم . من التشبيه فى قوله « وبقيت مثل السيف فرداً » فالشاعر قد يتحسر بأنه أصبح وحيداً ، وإن كان يشعر بالفخر ؛ لأنه لا نظير له ولا ندّ فى الناس .

نظرة بلاغية

١ — أفكار القصيدة تكاد تكون مترابطة ، فقد جعل الشاعر حديثه عن الجمال مدخلا للفخر بصفات يجعلها قيماً ومثُلا تجدر بالفارس البطل ، ثم فصّل مقوّمات الجمال ، ونسبها إلى نفسه ، وجعلها مصادر فخره .

٢ — الشاعر مقتصد فى استخدام الصور ، وقد جاءت صوره القليلة قريبة المأخذ محققة الهدف ، مستمدة من البيئة .

٣ — ألفاظ النص واضحة ، والغريب فيها قليل ، والأساليب سهلة منطلقة .

نظرة أدبية

١ — يغلب الفخر الذاتى على النص ، ومصدر ذاتيته اعتداد عمرو بنفسه ، واعتراف البيئة بسمو منزلته ، وعظم بلائه فى المعارك حتى كانوا يعدونه فارس اليمن الذى يبلى بلاء ألف فارس ، ويطلقون على سيفه « الصمصامة » . وكانت له قدرات متعددة يعظمها العرب ، فكان فارساً ، وكان شاعراً ، وكان خطيباً . كل ذلك جعله يعتز بنفسه ، ولا يرى فى الفخر الفردى حرجا .

٢ — يدل النص على أن العرب كانوا يعتزون بالأنساب والأصول العريقة ، ويؤثرون جمال النفس على جمال المظهر ، ويحرصون على حماية المرأة كما يدل على أن المرأة كانت تتصون وتتستر فى وقت الأمن ، ولا تسفر أو تظهر محاسنها إلا فى وقت الذعر والفزع .

المناقشة

١ — قال عمرو بن معديكرب .

لَيسَ الْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَاعلَم وَإِنْ رُدِّيتَ بُرُدَا
إِنَّ الْجَمَالُ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَورثْنَ حَمدَا

(ا) تخيل عمراً يحدث زملاءك بمقومات الجمال الحقيق ، فما الصفات التى يدعوهم إليها ؟

(ب) ماقيمة التعبير بقوله « فاعلم » ؟ وقوله « وإن ردّيت » ؟
(ح) لم قال إن الجمال ، ولم يقل : « إنه »
(و) أيهما أجمل : « أورث حمدا » أم « أورث مجدا » ؟ ولم ؟

٢ — لما رأيت نساءنا يَفْحَصْنَ بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى
وبدت محاسنها التى تخفى ، وكان الأمر جدا
نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا

(ا) ما علاقة البيت الرابع من هذه الأبيات بالبيت الأول منها ؟
(ب) لم كرر الشاعر « وبدت » فى بيتين متتاليين ؟
(ح) لم أضاف الشاعر النساء إلى ضمير المتكلمين مع أنه هو المتحدث فى « رأيت »؟
(د) ماعلاقة « شدا » بما قبلها . ؟
(ه) أيهما أجمل قوله « وكان الأمر جدا » أم قوله « وساء الأمر جدا » ؟ ولماذا ؟
(و) هل تعتبر التشبيه فى البيت الثانى غزلا ؟ وضح ماتقول .
(ز) لم كرر الشاعر لفظ « كبش » مرتين فى البيت الأخير ؟
(ه) بين كيف صور الشاعر نساء قومه فى الحرب ، ووازن بين هذه الصورة وصورة المرأة المعاصرة .

٣ — هُم يَنْذُرُونَ دَمِى وَأَنْـ ـذُرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا

(ا) ما معنى « أشد » ؟
(ب) لم نذر الشد ، وقد نذر أعداؤه الدم ؟
(ح) ماذا أفاد قوله « إن لقيت » ؟
(د) شطر البيت خبران مختلفا الغرض . وضح ذلك .
(ه) ماعلاقة البيت بما قبله ؟

٤ — كَم مِن أَخٍ لِىَ صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَىَّ لَحْداً
مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلاَ هَلِعْـ ـتُ وَلاَ يَرُدُّ بُكَاىَ زَنْداً
أَلْبَستُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْـ ـتُ يَومَ خُلِقْتُ جَلْدا

(ا) ماعلاقة هذه الأبيات بما قبلها ؟ وما علاقتها بأول النص : « ليس الجمال » ؟
(ب) مافائدة الحرف « مِنْ » فى البيت الأول ؟
(ح) « بوأته بيدىّ لحدا » ما المقصود بهذه العبارة ؟ وما فائدة قوله « بيدى » ؟

(د) ما معنى «زندا» فى البيت الثانى ؟ وماعلاقة قوله : « لايرد بكاى زندا » بماقبله ؟

(هـ) ما علاقة البيت الثالث بالبيت الأول من هـذه الأبيات ؟ وهل ترى من الأفضل أن يتقدم على سابقه ؟ وضح ما تقول .

(و) « خلقت يوم خلقت جلدا » مافائدة هذه العبارة بعد التعبير عن الجلد فى الأبيات بصور متعددة ؟

٥ — أغنى غَنَاءَ الذّاهبيـن أعَد للأعداء عَدًّا
ذهب الذين أحبهم وبقيتُ مثل السيفِ فَرْدا

(ا) فى البيت الأول تشبيه واستعارة ، وضحهما ، وبين علاقة الصورتين بما قبلهما من الأبيات .

(ب) فى البيت الثانى سف ونخر . بين كيف ذلك .

دعوة إلى السلام

من معلقة زهير بن أبى سلمى

الشاعر : هو زهير بن ربيعة من مضر ، وقد كنى أبوه بابنته سلْمَى . وقد ولد فى غطفان ، وتربى على يد خاله بَشَامَة بن الغَدِير وهو شاعر ، وكان أوس بن حجر زوجا لأم زهير وهو شاعر ، فكان زهير يروى شعر أوس . وقد عاش زهير طويلا ، فكثرت خبراته واتسعت تجاربه . وزهير من الشعراء الذين عرفوا بالأناة والروية والحرص على الإجادة ، حتى قيل إنه كان يقضى فى إنشاء قصيدته وتنقيحها وعرضها على أصدقائه سنة كاملة ، ولذلك تسمى قصائده الطويلة بالحوليات . وقال زهير فى المدح ، والوصف ، والحكمة ، وكان يصدق فيما يقول . وكثير من الرواة يقدمونه على سائر شعراء العصر الجاهلى .

والنص الذى سندرسه مختار من قصيدة طويلة له تسمى « معلقة » من قصائد سبع قيلت فى العصر الجاهلى ، وسميت المعلقات : قيل : لأن العرب بلغ من تعظيمهم إياها أن علقوها بأستار الكعبة ، وقيل : لأن ملكهم كان إذا سمع قصيدة وأعجب بها قال : علقوها وأثبتوها فى خزانتى ، وقيل : لأنها لجودتها علقت فى الأذهان .

جو النص :

قيلت القصيدة فى مدح هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، لقيامهما بالصلح بين عبس

وذبيان بعد حرب داحس والغبراء التي استمرت بين القبيلتين أربعين عاماً . وسبب هذه الحرب سباق نظم بين جواد قيس بن زهير وهو داحس ، وفرس حمل بن بدر وهي الغبراء ، ولكن حمل بن بدر أمر بعض فتيان قومه أن يكمنوا في طريق داحس ويردوه إذا جاء سابقاً ، ففعلوا ، وسبقت الغبراء ، وشاع خبر الخدعة فغضب قيس وناصرته عبس ، وقامت الحرب الطاحنة ، واستمرت حتى تقدم هرم والحارث ، وهما من ذبيان ، فأصلحا بين القبيلتين ، وغرما ديات القتلى وكانت ثلاثة آلاف من الإبل ، فأعجب زهير بمكرمة الرجلين ، فأنشأ فيهما هذه المعلقة :

النّصّ

١ — أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ
٢ — وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
٣ — بِهَا الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ
٤ — وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... فَلَأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
٥ — فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا ... أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

(١ - ٥) أم أوفى : اسم امرأة كان يحبها . دمنة : القديم المسود من آثار الديار . حومانة الدراج ، والمتثلم : موضعان . تكلم : تتكلم . ودار لها : معطوفة على دمنة في البيت الأول ، وهي دار أخرى . الرقمتين : موضعان آخران تقع الدار الأخرى بينهما . مراجيع وشم : المراجيع جمع مرجوع ، وهو ما كرر مرة بعد مرة بالوشم ، والوشم أثر في الجلد يحدث من غرز الإبرة فيه وذر صباغ أزرق عليه فيثبت . وهذا الصباغ يستخرج من ورق نبات النيل (النيلة) . نواشر معصم : النواشر عروق ظاهر الذراع . والمعصم موضع السوار من اليد . العين : بقر الوحش ومفرده عيناء ، وسميت بذلك لسعة عينها . الآرام : الظباء البيض واحدها رئم . أطلاؤها : أولادها جمع طلاً (بفتح الطاء واللام) وهو ولد الظبية . خلفة : فوجا بعد فوج أو مختلفات : هذه مقبلة وتلك مدبرة ، أو صاعدة ونازلة . مجثم : موضع الجثوم من جثم إذا التصق بالأرض . حجة : سنة . لأيا : اللأي البطء والمشقة . توهم : تفرس ، وتخيل ، وتشكك . ربعها : الربع المنزل . عم صباحا : تحية معناها : سعد صباحك ونعم ، أو هو دعاء معناه : كن في نعمة ، يدعو له ألا يندثر .

٦ — سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدَّمِ
٧ — فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
٨ — يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
٩ — تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
١٠ — وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمِ

معنى الأبيات :

يقف زهير عند الديار البالية لأم أوفى ، ليستعيد ذكريات الماضي كما كان يفعل شعراء العرب ، فيقول : أأثر من آثار أم أوفى لا يرد لسائل جوابا فى حومانة الدراج والمتثلم ؟ أفدار لها بالرقمتين قد عبثت بها الأيام فلم يبق منها إلا كما يبقى من الوشم على ظاهر اليد ؟ أبعد أن كانت الديار عامرة بأهلها قد أصبحت مسرحا للبقر وأسراب الظباء هذه تقبل صاعدة ، وتلك تذهب نازلة ، وأولادها ينهضن من مراقدهن هنا وهناك ؟ لقد وقفت بها بعد عشرين سنة فأطلت التفرس والتأمل حتى عرفتها بعد جهد ومعاناة وتشكك ، فلما عرفتها عاودتنى ذكريات أم أوفى كلها ، فحييت الديار ، ودعوت لها أن تسلم على الدهر من تقلبات الأيام .

(٦ — ١٠) الساعيان هما هرم والحارث وقد سعيا بالصلح . تبزل : تشقق . بالدم : بسبب الدم . البيت : الكعبة . جرهم : قبيلة كان منها ولاة البيت قبل قريش . وجدتما : يقصد فوجئتما . سحيل : حبل يفتل فتلا واحداً ، فيكون ضعيفاً . ومبرم : حبل أحكم فتله فيكون متينا . تدارك : أدرك . تفانوا : أفنى كل من الفريقين الآخر . منشم : امرأة من قبيلة خزاعة كانت تبيع العطر ، وقد تعطر قوم بعطرها ، ثم خرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً فتشاءم العرب بها . ويقال : إنها امرأة كانت تنتجع العرب تبيعهم عطرها ، فأغار عليها قوم منهم فأخذوا عطرها فبلغ ذلك قومها ، فاستأصلوا كل من شموا منه ريح عطرها ، فتشاءموا بها . السلم : الأمن . واسعاً : محيطا شاملا . معروف : الحسن (ضد المنكر) ، أو الصنيعة يسديها المرء إلى غيره . نسلم : من الحرب .

معنى الأبيات :

يقول زهير : لقد حرص هرم والحارث على عقد الصلح بين عبس وذبيان بعد أن تمزقت الصلات ، وتقطعت الأسباب بينهما بالقتلى من الفريقين . وإنى لأقسم بالبيت الحرام الذى يقدسه العرب إنكما لخير السادة فى كل حين ، فلقد أدركتما عبسا وذبيان بعد أن جد كل فريق منهما فى إفناء الآخر فى حرب طويلة طاحنة كأنهم أصحاب منشم . وقد آثرتما أن تبذلا الأموال الكثيرة ، وتسعيا المساعى الحميدة ، ليتحقق الصلح ويسود الأمن ، ويتسع ، ويحيط بكل الأطراف قبل أن يتفاقم الشر ، ويتسع الخرق ، ولا يكون للأمن والسلام سبيل

١١ — أَلَا أَبْلِغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً ... وَذُبْيَانَ : هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ
١٢ — فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ... لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ
١٣ — يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ
١٤ — وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ
١٥ — مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
١٦ — فَتَعْرُكْكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

(١١ — ١٣) الأحلاف : القبائل التي حالفت ذبيان على حرب عبس ، وهم بنو أسد ، وغطفان، وطيىء ، ويقال فلان حالف بني فلان: إذا منعوه مما يمنعون منه أنفسهم، وأن يكونوا معه يدا على غيره ، والحلف الصديق يحالف لصاحبه على ذلك ، وذبيان بالضم ويكسر . المقسم : الإقسام أى هل أقسمتم كل إقسام لتفعلن ما لا ينبغى . ما فى نفوسكم : ما تضمرونه من نقض العهد . يدخر ليوم الحساب : تحاسبون عليه آجلا . يعجل : تحاسبون عليه عاجلا .

معنى الأبيات :

يطالب زهير رسوله أن يحمل رسالة إلى الأحلاف فيقول لهم: إن صنيعكم يوحى بأنكم آليتم على أنفسكم أن تخالفوا العهد ، مع أنكم أقسمتم على الصلح فاحذروا ولا تغدروا ، ولا تظنوا أنكم تستطيعون إخفاء ما تضمرون ، فمهما تكتموا يظهره الله ، ويعاقبكم عليه عاجلا أو آجلا .

(١٤ — ١٦) ذقتم : جربتم مرارتها . ماهو عنها : ما الخبر عنها . المرجم : ليس باليقين . متى تبعثوها : تثيروها . ذميمة : مذمومة . تضر : مضارع ضرى : إذا درب وتعود الصيد ، والمقصود من الضراوة الشدة . تضرم : تشتعل : تعرككم : تثقل عليكم وتفنيكم . ثفالها : الثفال جلد يوضع تحت الرحى ، ليقع عليه الطحين ، ولا يوضع إلا عند إدارة الرحى . تلقح كشافا : تحمل كل سنة بعد الولادة مباشرة . تنتج : ماضيه نتجت (بالبناء للمجهول) تلد . تتئم : تلد اثنين .

معنى الأبيات :

إنكم تعرفون معنى الحرب ، وقد جربتم قسوتها ، وعانيتم مرارتها وليس علمكم بمآسيها أخبارا مزعومة ، بل هو علم اليقين ، فإذا غدرتم ونقضتم العهد ، وهجمتموها كرة أخرى ساء مصيركم فما هى إلا نار تشتد وتتأجج وتدمر إذا زودتموها بالوقود . وما هى إلا رحى تطحنكم وتمزقكم ، ثم تتتابع ويلاتها ، فلا تبقى ولا تذر .

١٧ — سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً — لاَ أَبَالَكَ — يَسْأَمِ
١٨ — وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَافِي غَدٍ عَمِ
١٩ — وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لاَ يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
٢٠ — وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
٢١ — وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
٢٢ — وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

---

(١٧) سئمت : مللت . تكاليف الحياة : أعباؤها ومشقاتها . لا أبالك : عبارة للدعاء ، وتستعمل للتنبيه والحث . والمعنى : عشت طويلا ، ومللت أعباء الحياة ، وليس بعجيب أن يضيق بالحياء وأثقالها من عاش ثمانين عاما .

(١٨) عم : محجوب البصر . والمعنى : أعلم أحداث يومى ؛ لأنى أعيش فيها ، وأذكر ما حدث أمس ؛ لأنه مرَّ بى ، ولكن علمى لا يتجاوز اليوم والأمس إلى غد ؛ لأنه غيب لا يمكننى كشف ما تطويه أستاره .

(١٩) من دون عرضه : أمام عرضه لوقايته . يفره : يحفظه ويصونه ، والمعنى أن الذى يسدى المعروف ويصنع الجميل يضمن حسن الذكر وطيب الثناء ، ويتى سمعته من التشهير والتجريح . ومن يفعل الشر ويصنع الأذى ينصب نفسه هدفا للوم الناس وشتمهم .

(٢٠) يك : أصله : يكن : وهو فعل مضارع مجزوم بالسكون على النون المحذوفة . يستغن عنه : ينصرف الناس عنه ليأسهم منه والمعنى : من كان صاحب مال وجاه ومواهب قادرة على خدمة الناس لكنه يضن بها باء ببغضهم وسخطهم واعتزلوه ، وانفضوا من حوله وهم يلعنونه .

(٢١) هاب : خاف وارتاع . المنايا : جمع منية وهى الموت . ينلنه : يصبنه . يرق : يصعد . أسباب السماء : نواحيها . والمعنى : من خشى الموت ، وحاول أن يتجنبه فالموت ملاقيه لا محالة ، ولو صعد السماء هرباً بنفسه ، وفراراً من الفناء .

(٢٢) فى غير أهله : يضعه عند من لا يستحقون . يكن حمده ذما : يجنى ذما وهو يتوقع حمداً . يندم : يلوم نفسه على صنيعه . المعنى : من أخطأ أو تعمد — لغرض — فوضع صنائعه فى غير المواضع الجديرة بإسداء الجميل لم يجن إلا شرا من حيث توقع خيرا ، وندم حين لا ينفع الندم .

٢٣ — وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ   وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
٢٤ — وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
٢٥ — لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

الدراسة والتحليل

الأفكار : النص أبيات من معلقة زهير بن أبي سلمى التى تبلغ ستين بيتا .

١ — وقد بدأها زهير بالنسيب ، فذكر أم أوفى وأطلال ديارها ، ووصف الوحش الذى يسكنها بعد كرائم الإنس اللائى كن يعمرنها . [١ : ٥]

٢ — وبعد أن وَفَّى الدار حقها انتقل إلى غرضه من القصيدة فمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف بطلى الإصلاح . [٦ : ١٠]

٣ — وعقب ذلك أسدى النصح لأسد وغطفان وذبيان ، لأنه أحَسَّ أن فى نية بعضهم أن ينقض العهد ، ويحنث فى الأيمان . [١١ : ١٣]

٤ — وهنا يبين لهم عواقب الحرب الوخيمة ، ويجسم لهم أهوالها ، وينفرهم من ويلاتها وماتجر من مآس تجر الخراب والدمار . [١٤ : ١٦]

٥ — ويصل هذا كله بحشد من أبيات الحكمة التى يمكن تفسيرها بأنه عميق الخبرة واسع التجربة ، ولذلك فهو جدير بأن يسمع قوله ويطاع ، وأن يكون نصحه موضع التقدير والإجلال . [١٧ : ٢٥]

(٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) خليقة : طبيعة . خالها : تخيلها . كائن : اسم بمعنى كم الخبرية التى تفيد التكثير ، والفرق بينهما أن « كائن » يكون تمييزها مفردا ، وأن خبرها لا بد أن يكون جملة ، وإعرابها هنا : مفعول للفعل « ترى » بعدها . والمقصود : كم رأيت . صامت : ممسك عن الكلام . لك معجب : يحملك على العجب من حسن هيئته . زيادته أو نقصه : تقدير منزلته . لسان الفتى : المقصود فصاحته . فؤاده : المقصود عقله . لم يبق : أى والباقى لا غناء فيه .

والمعنى : من تظاهر للناس بغير خلائقه تكشفت لهم جبلته التى يخفيها ولو بعد حين ، وإنك لترى كثيرا من رجال صامتين يتجملون بأحسن الثياب وأفخم الهيئات ، حتى إذا نطقوا تكشفوا عن باطن يخالف الظاهر ، فقوام المرء حديثه الذى يصدر عن عقله ، وليس لجسمه وهيئته من قيمة ، فإذا لم يكن لسانه وراء عقله فلا وزن له ؛ لأن اللحم والدم ليسا من المقومات الحقيقية فى تقدير قيمة الإنسان ، فإنهما ليسا إلا صورة .

ومن هذا يبدو لك أن المعلقة تتناول أغراضا عدة من نسيب ، ووصف ، ومدح ، وحكمة ، ولكن العلاقة بين هذه الأغراض تبدو متصلة حينا ، ومنقطعة حينا كما سيتضح لك فى بحث التصوير والتعبير .

التصوير والتعبير

١ — أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

حين يمر الشاعر بأطلال دار كانت صاحبته تسكنها ، تهيج ذكرياته ، ويشتد حنينه إلى الأيام الماضية ، فيقبل على الأطلال يتأملها ، ويتخيل آثار صاحبته فيها تحدثه عن الأيام الحلوة فإذا رأى هذه الآثار طامسة حز ذلك فى نفسه وشعر كأنما تمنعت معاهد اللقاء القديم عن الكلام ، ففى قول الشاعر « لم تكلم » استعارة تخيل فيها الشاعر عفاء الآثار وامحاءها كفاء عن الكلام ، وهى صورة توحى بالحسرة والأسى على ما مضى . ويؤيد ذلك الأسى هذا الاستفهام الذى استهل الشاعر به قصيدته « أمن أم أوفى ؟ »

٢ — ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم

وحين يأس من الدمنة التى لم تتكلم اتجه إلى دار أخرى من ديار أم أوفى يلتمس عندها ما يشفى نفسه من حديث أم أوفى ، فوجد دارها بالرقمتين أقل سوءا من دارها السابقة ، لكنه رآها قد عبثت بها عوامل الطبيعة ولعبت بها يد الزمن ، فلم يبق فيها إلا آثار قليلة كأنها آثار الوشم فى المعاصم ، والصورة تشبيه ، والمشبه فيه الدمن السوداء هنا ، والحفر هناك ، والخطوط المستقيمة على الأرض حينا ، والمتعرجة حينا ، والمشبه به هو ذلك الدق الأخضر على المعاصم من غرز هنا وغرز هناك ، وخط مستقيم ومتعرج . والصورة توحى بالحسرة والأسى أيضا . وقد قال : « مراجيع » ولم يذكر الوشم مباشرة إيحاء بعلة بقائها وعدم انطماسها ، وإشارة إلى تكرار عوامل الطبيعة فى الديار ، وذكر النواشر ولم يكتف بالمعاصم إيحاء ببروز الآثار ؛ لأنها على النواشر أبقى وأظهر ، وكأنه يوازن بين دمنة الدار الأولى وآثار الدار الأخرى . وهذا يفصح لك عن قدرة زهير فى التصوير الحسى الدقيق الذى يبرز لك المشهد كأنك تراه .

٣ — بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن عن كل مجثم

وهذا البيت يرسم لك بالخطوط الواضحة والألوان أيضا صورة حسية حية ترى فيها الحركة كما ترى المقادير والألوان ، فالعين تضع أمام عينيك عيون البقر النجلاء والآرام تبرز لك اللون الأبيض المشرق ، « ويمشين خلفة » تريك الإقبال والإدبار والصعود والنزول « والأطلال ينهضن » تقرن لك حركة النهوض بحركة المشى ، وتبرز حركة الصغار مع حركة الكبار . « من كل مجثم » تعرض عليك غنى الصورة وثراءها بالمناظر المتعددة . وأنت

لا تستطيع أن تضع لهذه الصورة اسما من تشبيه أو استعارة أو كناية؛لأنها تصور بالألفاظ التى تجسم المشهد،وتوحى بالمظاهر الحسيّة.والتصوير بهذه الطريقة أجمل أنواع التصوير، ولا يقدر عليه إلا الشعراء الموهوبون ذوو الحسّ المرهف،الذين يتخذون الكلمات أدوات رسم كالخطوط والألوان.

٤ — وقفت بها من بعد عشرين حِجةً فلأيا عرفت الدار بعد توهم

٥ — فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عِم صباحا أيها الربع واسلم

وقوف الشاعر بعد عشرين عاما دليل الوفاء ، ومعرفتها بعد لأى ؛ لأن الآثار طامسة ولأن العين والآرام غيرت معالمها ، ولأن المدى طويل . ويبدو أن الشاعر قد فرح بمعرفة مكان الدار ، ويدل على ذلك تكرار «عرفت الدار».وقد حيا الربع كله ودعا له من أجل الدار . والدعاء بالنعمة والسلامة صباحا ؛ لأنهم فى هذا الوقت يتوقعون خطر الهجوم ، والفاء فى البيتين للترتيب والتعقيب والحرف « ألا » للتنبيه على الاهتمام بما بعدها .

٦ — سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تَبزل مابين العشيرة بالدم

عبر الشاعر بالساعيين كناية عن بطلى الإصلاح هرم والحارث ، وهو أجمل من التعبير باسميهما ؛لأن السعى هو علة المدح ودليله،على أن فى ذكر عملهما دون اسميهما تكريما لهما، وإفصاحا عن شهرتهما .ويعبر عما أحدثته الحرب من شقاق بين المتحاربين بالتبزل،والتعبير استعارة تصور الروابط بين القبيلتين وما أصابها من ضعف وتفكك تصويرا حسيا ، وهى قائمة على تشبيه هذه الروابط بجسد الإنسان أو أديمه (جلده) . وحذفه ورمز إليه بالفعل تبزل على سبيل الاستعارة المكنية .وذكر الدم كناية عن بشاعة الحرب وشناعتها. وجميل جداً التعبير بالعشيرة فى هذا الموقف ؛ لأنه يوحى بالأسف أكثر مما يوحى التعبير بالقبيلتين ، أو الطائفتين أو الحيين أو نحو ذلك .

٧ — فأقسمت بالبيت الذى طاف حَوْلَهُ رجالٌ بنوهُ من قريش وجرْهم

٨ — يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

الاهتمام بمدح السيدين جعل الشاعر يقسم بالبيت ويعظمه . ثم يؤكد القسم بقوله : يمينا ، ويؤكد جواب القسم باللام ، وهو يقسم على أنهما ممدوحان فى كل حال يفاجآن عليها . ثم يجعل الحال قسمين : سحيلا ، ومبرما لكنهما صفتان للحبل ، ووصف الحال بوصف الحبل استعارة مكنية ؛ لأنه شبه الحال بالحبل وحذفه ورمز له بصفتين من صفاته هما السحل والإبرام .

٩ — تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

١٠ — وقد قلتما : إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم

البيتان بيان لعلة المدح السابق للساعيين الكريمين ، وتفصيل لفضلهما . وفى البيت التاسع صورة حققت هدفها . فقد شبه الشاعر عبساً وذبيان بعد ما اشتعلت الحرب بينهما ، وفنى منهما خلق كثير حتى كادتا تفنيان — بقوم تعطروا بعطر منشم ، فهلكوا جميعا ، والصورة استعارة تصريحية . وأثرها فى المعنى أنها قبحت صورة الحرب ، وبغضتها إلى النفوس ، ونفرتها من بشائعها وشناعة مآسيها وويلاتها . وقد عبر بالقول فى : « قد قلتما » عن حديث النفس وحركتها الذهنية إشارة إلى أن خواطرهما كقولهما واجبة التنفيذ ، ووصفه السلم بأنه واسع وهو أمر معنوى للتعبير عن الشمول والإحاطة حتى لا يبقى فرد من القبيلة إلا دخل فيه أملا فى استمراره ، والصورة استعارة مكنية جعلت السلم مكاناً أو ساحة تحتوى جميع الناس من القبيلتين . وختام البيت بالفعل نسلم فيه تجانس جميل وملاءمة للسلم فى الشطر الأول :

١١ — ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم ؟

١٢ — فلا تكتمن الله مافى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

١٣ — يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

تبدو عاطفة الشاعر وانفعاله هنا فى تعبيره ، فقد بدأ الأبيات بالحروف « ألا » لينبه السامعين على خطر الموقف ، ثم قدم أحلاف ذبيان عليها إشارة إلى أن هؤلاء الأحلاف السبب فى تشجيع بعض ذبيان على نقض العهد ، وقد ذكر الرسالة مبهمة ، لينبه مشاعر السامعين ، ويثير شوقهم إلى مضمونها ، ثم يوضحها بقوله « هل أقسمتم كل مقسم ؟ » وما بعدها . والمقصود بهذا الاستفهام الدهشة واللوم ؛ لأنهم يتجهون اتجاها منكراً يخالف مايتوقعه من قوم أقروا الصلح وتعاهدوا على السلم . وفعل الأمر « أبلغ » مناشدة لكل إنسان ، وجعل الرسالة عنه فى قوله « عنى » تحملا لعاقبتها ، والفاء فى قوله « فلا تكتمن » إشارة إلى ترتيب النهى على الاستفهام السابق . ثم يؤكد نهى الكتمان بالنون « تكتمن » ، وهو تحذير من الغدر ، ثم يجعل الفعل متعدياً لاثنين فيذكر لفظ الجلالة ليستحيوا ، ويذكر « ليخفى » ليبأسوا من إمكان الإخفاء على الله . وجملة (ومهما يكتم الله يعلم) لتوكيد هذا التيئيس ؛ لأن تذييل البيت بهذه الجملة الحكيمة يلخص معناه ويؤكده . وقوله (يؤخر ، فيوضع ، فيدخر ، فينتقم) كأنه جواب آخر للشرط (مهما يكتم) أو بدل من الفعل (يعلم) وتتابع الفاءات قبل هذه الأفعال إشارة إلى الترتيب مع التعقيب وأنه واقع لامحالة ، فهو من توكيد التحذير فى قوله (لاتكتمن) . والتضاد بين الشرط (يكتم) والجواب (يعلم) يثير الدهشة ويبعث اليقظة والتفكير الذى يؤكد المعنى المقصود . والتضاد

بين (يؤخر) و (يعجل) مع ترتيب (فينقم) على كل منهما يثير الدهشة أيضاً ؛ لحصول عاقبة واحدة لعملين متناقضين . وكل تضاد هنا يحمل معنى السخرية من هؤلاء الذين ينقضون العهد أو يخفونه في أنفسهم .

١٤ — وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم

العلاقة واضحة بين البيت وما قبله ، فهو تحذير من ناحية أخرى ، وقد لجأ فيه إلى التجربة التي قاسوها من قبل ، فقال : علمتم وذقتم فصور الحرب طعاماً مر المذاق لما فيها من مآسٍ وويلات تشمئز منها النفوس وتتقزز ، والصورة استعارة مكنية حذف فيها المشبه به وهو الطعام ، ورمز إليه بالفعل (ذقتم) وأكد الشطر الأول بالشطر الثاني فقال (وما هو عنها بالحديث المرجم) ، فصور الحديث القائم على غير اليقين حجارة ترمى على غير هدى ، وحذف هذه الحجارة ورمز إليها بالرجم وهو من خصائصها على سبيل الاستعارة المكنية . وقد أكد الشطر الأول بالنفي والاستثناء كما أكده بهذا التضاد بين (علمتم) في الجملة المثبتة ، (والمرجم) في الجملة المنفية ، وكل هذا التوكيد إفصاح عن عاطفة الشاعر وانفعاله حين علم بأن بعضهم ينوي الغدر .

١٥ — متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضر إذا ضريتموها فتضرم

في الشطر الأول شبه الشاعر الحرب بالناقة النائمة التي تهاج بعد هدوئها ، وحذفها ورمز إليها بالبعث على سبيل الاستعارة المكنية . وفي الشطر الثاني صور الحرب ناراً تزيد اشتعالا إذا زيد وقودها ، وحذفها ورمز إليها بالفعل (تضرم) والصورة استعارة مكنية أيضاً ، والتصوير في البيت ناجح جداً ؛ لأنه يوحي بقبح الحرب وبشاعتها وشدة تدميرها . وملء الفم بالضاد والراء في الشطر الثاني إفصاح عن ضخامة الضرر عند استئناف الحرب فوق ما فيه من تجانس بين الحروف . وتفضيل التعبير بالأفعال المضارعة هنا لاستحضار صورتها عند البعث والضراوة والضرم وإعادة (تبعثوها) بلفظها في جواب الشرط يحقق هذا الهدف أيضاً .

١٦ — فتعرككم عرك الرحى بثفالها   وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم

في البيت يشبه عرك الحرب بعرك الرحى ، وقول الشاعر بثفالها كناية عن دوران الرحى ؛ لأنهم لا يشغلونها إلا في حالة الطحن ، وفي البيت أيضاً استعارة مكنية ؛ لأن الشاعر قد تصور الحرب ناقة تحمل كل عام عقب ولادتها ، ثم تلد ولدين ، وحذفها ورمز لها باللقاح ، وقد أكد ذلك بقوله كشافاً ، وتنتج ، وتتئم . ونتاج الناقة في هذه الحالة أردأ النتاج ، وهو يشير إلى ما يعقبها من شرور وأخطار .

والصور فى الأبيات الثلاثة ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، تأتلف وتتعاون لترسم صورة كلية تبرز مآسى الحروب وويلاتها .

١٧ — سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا - لا أبا لك - يسأم

ينتقل الشاعر إلى الحكمة يسوقها برهاناً على أن دعوته جديرة بالإصغاء والاستجابة . وفى هذا البيت يأتى بالتعبير - لا أبالك - لينبه السامع فى ثقة وخشونة إلى ما يلقى عليه . وصدر البيت كناية عن طول العمر والجملة الشرطية (ومن يعش . . .) تعليل يقوم مقام التوكيد .

١٨ -- وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَافِي غَدٍ عَمِ

فى الشطر الثانى استعارة تصريحية شبه فيها الجهل الكامل بالعمى وعبر عن الجاهل بقوله « عم » وبين الشطرين مقابلة بين حالته فى اليوم والأمس ، وحالته فى غد . وهى مقابلة توازن بين أمرين متضادين لتوكيد المعنى . وذكر اليوم قبل الأمس ، ثم ذكر الغد مراعاة لدرجات العلم . وقد قال القدامى إن قوله « قبله » حشو لاضرورة له .

١٩ — ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم

صور الشاعر المعروف حاجزاً يصون العرض ويدفع عنه الأذى ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بقوله « من دون عرضه » على سبيل الاستعارة المكنية . ولها أثر فى تجسيد المعروف وإبرازه محسوسا لتوكيد جدواه فى الصون والوقاية .

والجملة الشرطية فى الشطر الثانى تقابل الجملة الشرطية فى الشطر الأول ، وتؤكد مضمونها . والبيت حث على فعل الخير .

٢٠ — ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

جعل زهير أثر البخل أمرين أحدهما الاستغناء عن البخيل ، وهو كناية عن اعتزاله والانفضاض من حوله ، وفيه إشارة لطيفة إلى ما فى اجتماع الناس حول الرجل من عزة وعظمة وثانيهما ذم الناس إياه . والبيت دعوة إلى بذل الخير ، تجنباً للاستغناء والذم . وذكر « على قومه » يجعل بخله أشنع وأبشع .

٢١ — ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

الهيبة كناية عن محاولة الفرار ، وفى « ينلنه » صور أسباب المنايا عدوا مطارداً لا يكف عن محاولة اللحاق بعدوه حتى يلحقه ، والصورة استعارة بالكناية والشطر الثانى كناية

عن صنع المستحيل ؛ لأنه صور الخائف هارباً مصعدا فى أنحاء السماء بسلم وهو خيال يجسم محاولة الفرار ويصورها محسوسة منظورة وهو تصوير جيد لأثر الخوف والهيبة فى النفوس التى تخشى الموت . وفى تكرار كلمة « أسباب » مع اختلاف المعنى جمال واضح من تجانس الحروف . وحذف جواب الشرط ؛ لأنه مفهوم من قوله « ينلنه » . والبيت حث على الشجاعة والترفع عن الجبن .

٢٢ — ومن يجعل المعروف فى غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم

لعلك تشعر أن فى التعبير « يكن حمده ذما » مفاجأة لمن يضع الخير فى غير موضعه ؛ لأنه كان يتوقع ثناء فجنى ذما ، وبينهما تضاد يزيد الدهشة ، ويدعو إلى التفكير فى السبب . وختام البيت بالندم إشارة إلى العاقبة النهائية وهى أليمة . والتعبير بالفعل « يجعل » بدلا من يضع مثلا إشارة إلى أنه يحوله عن موضعه الجدير به إلى موضع آخر تمهيداً لجواب الشرط وما عطف عليه . والبيت دعوة إلى اختيار موضع الصنيع .

٢٣ — ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فى البيت سخرية بمن يتصنعون ، ويظهرون غير مايبطنون ، وقد استخدم « مهما » التى تفيد الاستقصاء فى معنى الشرط مع توكيد جوابه ، وقد أكد ذلك بالجملة الشرطية « وإن خالها تخفى » ؛ ولذلك حذف جواب الشرط فيها . وأكد الشاعر مقصده بالمقابلة بين « تخفى » و « تعلم » . وزاد فى معنى السخرية باختيار الفعل « خال » فى هذا الموضع ؛ لأنه يشير إلى الاتهام بالغفلة .

٢٤ — وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم

٢٥ — لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

استخدم « كائن » ليدل على الكثرة . وذكر الفعل « ترى » لتذكير المخاطب بمشاهداته فى الحياة ، وقابل بين الصمت والتكلم لإثارة اليقظة إلى مابين الحالين من فرق كبير ، وقابل بين الزيادة والنقص فى حالة التكلم للإشارة إلى أن الكلام يدل على عمق التفكير وأصالته ، أو تفاهته وضحالته . وذكر « معجب » ليدل على تظاهر الصامت بجمال المظهر وحسن السمت وقدم « لك » على « معجب » إشارة إلى أنه لا يعجب أحدا غير المخاطب الذى لم يسمع حديثه . والبيت تنبيه وتحذير من الاغترار بالمظاهر فهو متصل بما قبله .

وأما البيت الخامس والعشرون فهو وثيق الارتباط بالبيت قبله ، وتوكيد لمعناه وبيان لقيمة الكلام ومدى دلالته على حقيقة الإنسان . وقد قدم الخبر فى جملة : « ونصف فؤاده » على المبتدأ للتشويق إلى ذكر المبتدأ « فؤاده » قبل النطق به . وأما الشطر الثانى فتوكيد لعدم

الانخداع بالمظاهر . وبيان أنها لاوزن لها فى تقدير الإنسان ارتفاعا وانخفاضا . ولذلك بدأه بالفاء ترتيبا على ماذكره فى الشطر الأول . واستخدام النفى والاستثناء لزيادة هذا التوكيد

نظـــرة بلاغيـــة

تبين لك من أبيات زهير :

١ — أن الشاعر قد بدأها بالنسيب والوقوف على أطلال الديار فيصفها ، ويصف قطعان البقر وأسراب الظباء ، ثم ينتقل إلى غرضه من القصيدة ، فيمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف ، ويحذر من الحقد والغدر ، ويقف عند الحرب ، فيجسم أهوالها ، وينفر من ويلاتها ، وأخيرا يسوق الحكم .

٢ — ومن هذا يتبين لك أن معلقة زهير لا تقف عند غرض واحد،وأن هناك علاقات بين هذه الأغراض ، وإن لم تكن واضحة فى كل موضع .

٣ — أخيلة الشاعر منتزعة من البيئة ، شديدة الاتصال بها،وصوره تدل على أنه مصور بأصح معانى الكلمة وأدقها ؛ وصوره كلها حسان ،وهى مادية يلى بعضها بعضاً،فتملأ العين وتفصح بوضوح عما أراد زهير . ولا يكاد بيت من أبيات الحرب فى القصيدة يخلو من صورة مادية ، وقد تزدحم الصور والتشبيهات ازدحاما ، حتى ليكاد يركب بعضها بعضا ، ويخفى بعضها جمال بعض .

٤ — زهير شاعر فنان يصنع الشعر ويجوده ، ويتخير معنا، ويلائم بين أجزائه ، ويتخير ألفاظه .

٥ — صور زهير هادئة حين يدعو الأمر إلى الهدوء ، عنيفة حين يدعو الأمر إلى الحركة والعنف .

٦ — تتآلف صوره الجزئية أحيانا فترسم صورة كلية متكاملة .

٧ — من صوره ما لايعتمد على الاستعارة والتشبيه والكناية بل يعتمد على الألفاظ التى تجسد المشاهدالحسية ، وتركيبها فى نسق معين يرسم صورة كأنها مشهودة أمام الأعين .

نظـــرة أدبيـــة

١ — لعلك لاحظت أن معلقة زهير صورة صادقة لبعض مظاهر الحياة فى العصر الجاهلى بما كان يتخللها من حرب وصراع وويلات ،ومن مآثر خالدة لبعض كبارالنفوس، كما تجد فيها إشارة إلى منزلة الكعبة فى الجاهلية .

٢ — والمعلقة تعرض شخصية زهير عاقلا حكيما محباً للسلام ، ذا نزعة إلى التدين .

٣ — يجد زهير بعض المبادىء التى يجب أن يتخلق بها العربى .

٤ — من الواضح أن حكمة زهير ليست أثراً لدراسة واطلاع بل هى من وحى الملاحظة الصادقة .

٥ — تدل القصيدة على أن زهيراً كان يتطلع إلى مجتمع يسوده العدل والمحبة والإخاء .

٦ — دراسة هذه الأبيات تدل على ماتمتاز به المعلقات من طول ، وإجادة ، وابتكار ، وقيمة أدبية .

٧ — بدء القصائد بالنسيب عادة الشعراء الجاهليين ؛ لأنهم يقفون عنـــد الأطلال ويتذكرون الأحبة والماضى السعيد .

٨ — لصفاء شعر زهير وجودته سمى صاحب الحوليات .

٩ — يقدم كثير من النقاد زهيراً على سائر شعراء الجاهلية ، ولا سيما فى التصوير المادى .

المناقشة

١ — قال زهير فى معلقته :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها ... مراجيع وشم فى نواشر معصم

(ا) ما المقصود بالمعلقة ؟ (ب) ما المناسبة التى أنشأ فيها زهير معلقته ؟ (ج) ما الأغراض التى اشتملت عليها هذه المعلقة ؟ (د) ما الغرض الذى قيل فيه هذان البيتان ؟ وما الحكمة فى بدء القصيدة به ؟ (ه) وضح صورة فى البيت الأول ، وصورة أخرى فى البيت الثانى ، وبين أثر كل منهما فى المعنى .

(و) لم حرص الشاعر على ذكر المراجيع والنواشر ؟

٢ — بها العين والآرام يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

فى هذا البيت صورة لم تعتمد على الاستعارة ولا التشبيه ولا الكناية ـ اشرح ذلك ، مبيناً مدى توفيق زهير فى رسمها .

٣ — وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا عم صباحا أيها الربع واسلم

(ا) علام يدل قوله (من بعد عشرين حجة) وقوله (لأيا) ؟

(ب) لم كرر (عرفت الدار) ؟ (ج) وما فائدة (ألا) ؟ (د) لم خصص وقت الصباح للتحية ؟ (ه) لماذا حيا الربع ولم يحيى الدار ؟

٤ — سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ... تبزل ما بين العشيرة بالدم

(ا) لم عبر بقوله « ساعيا غيظ بن مرة » ولم يذكر اسميهما ؟

(ب) ما قيمة التعبير بقوله (العشيرة)؟ ولم حرص على ذكر (الدم)؟
(حـ) وضح كيف صور في الشطر الثاني ما أصاب العشيرة؟ واذكر مدى توفيقه في هذا التصوير.

٥ — فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم

(ا) ما مظاهر الاهتمام بمدح هرم والحارث في البيتين؟
(ب) في الشطر الثاني من البيت صورة. وضحها وبين أثرها في المعنى.
(حـ) بين أن البيتين يدلان على مكانة البيت الحرام قبل الإسلام.

٦ — تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً ... بمال ومعروف من الأمر نسلم

(ا) ما علاقة البيتين بما قبلهما؟ (ب) ما معنى (تفانوا)؟ (حـ) وضح الصورة في قوله (ودقوا بينهم عطر منشم) (ى) ماذا من البلاغة في وصف السلم بالسعة؟
(هـ) ما معنى القول في (وقد قلتما)؟ (و) ما المقصود بالمعروف من الأمر؟
(ز) ما الجمال في ختام البيت بقوله « نسلم »؟

٧ — ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة ... وذبيان هل أقسمتم كل مقسم؟
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم.
يؤخر، فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

(ا) لم بدأ كلامه بالحرف (ألا)؟ (ب) لم قدم الأحلاف على ذبيان؟
(حـ) من المخاطب بالفعل (أبلغ)؟ (ى) ما المقصود بالإستفهام في البيت الأول؟
(هـ) لم أكد النهى في البيت الثاني؟ (و) لم ذكر لفظ الجلالة في البيت الثاني؟
(ز) ما فائدة « ليخفى »؟ (ع) لم اختار « مهما » في الشطر الثاني من البيت الثاني؟
(ط) ما علاقة البيت الأخير بما قبله؟ (ى) ما دلالة تتابع الفاءات في البيت الأخير؟
(ك) ماذا من البلاغة في ذكر كلمات متضادة في البيتين الأخيرين؟
(ل) ما فائدة قوله « عنى » في الشطر الأول من البيت الأول.
(م) ما علاقة الاستفهام في البيت الأول بقوله « رسالة »؟

٨ — وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

(ا) ما علاقة الأبيات بما قبلها ؟ (ب) ما أثر النفى والاستثناء فى معنى البيت الأول ؟
(حـ) ما مرجع الضمير « هو » فى البيت الأول ؟ (ء) فى (الحديث المرجم) استعارة . وضحها . (هـ) بين قيمة التعبير بقوله (ذقتم) بعد علمتم ؟
(و) لم استخدم الأفعال المضارعة فى البيت الثانى ؟ (ز) لم كرر (تبعثوها) ؟
(ح) فى البيت الثانى صورتان — وضحهما وبين أثرهما فى تحقيق هدف الشاعر .
(ط) ما إعراب (بثفالها) ؟ (ى) وضح التشبيه فى البيت الأخير .
(ك) بيِّن الاستعارة فى الشطر الأخير من البيت الأخير ، واذكر أثرها فى المعنى .

٩ — سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

(ا) ما علاقة هذا البيت بموضوع المعلقة ؟ (ب) ما علاقة الجملة الشرطية بما قبلها ؟
(حـ) ما فائدة قوله (لا أبالك) فى المعنى ؟

١٠ — وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم

(ا) فى الشطر الثانى يعبر عن الجهل بالعمى فهل ترى فى ذلك استعارة؟ وضح ما تقول .
(ب) لم ذكر اليوم ثم الأمس ، ثم الغد ؟
(حـ) عيب على الشاعر قوله (قبله) فلماذا ؟ وما رأيك أنت ؟
(ء) بين علاقة البيت بموضوع المعلقة ؟

١١ — ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم

(ا) فى الشطر الأول صورة . وضحها . (ب) بيِّن علاقة (ومن لا يتق الشتم) بما قبله .
(حـ) التمس للبيت علاقة بموضوع المعلقة . (ء) وضح الغرض البلاغى من البيت .

١٢ — اذكر من المعلقة أبياتا تشير إلى المعانى الآتية :

(ا) الحث على حسن الصنيع وفعل الخير (ب) لا مفر من الموت (حـ) وضع المعروف فى غير موضعه . (ء) كل خاف سيعلم . (هـ) قيمة المرء فى منطقه .

من صور الكرم العربى

لحاتم الطائى

الشاعر : هو حاتم بن عبدالله من قبيلة طيىء ، ويكنى أبا سفّانة ، وهو من كرماء العرب ، وأخباره فى السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الأمثال فقيل : «أجود من حاتم طى» وكانت والدته من أسخى الناس حتى اضطر إخوتها أن يحجروا عليها خوفاً من تبذيرها . وكانت ابنته سخية أيضاً ، فكان أبوها يعطيها إبلا تهبها الناس . وكان حاتم شاعراً شجاعاً فكان إذا قاتل غلب ، وإذا غنم منح ماغنم ، وإذا سابق سبق . وكان فى أيام القحط التى تصيب البادية يذبح عشرة من الإبل كل يوم ليطعم الناس ، وقد توفى سنة (٦٠٥م) (قبل الإسلام بقليل) . وأنت تعلم أن الحياة فى البادية كانت قاسية وكان السير فيها بالليل مخاطرة غير مأمونة العواقب لاشتباه الطرق فيها ، وكان المسافرون لايجدون منازل ينزلون بها ، فكانوا يستضيفون من يتاح لهم فى الطريق . والعربى فى البادية إذا كان مقيما يعرف هذا الموقف ويقدره ، فكان يخف للضيف يحتفى به وينحر له ، والأبيات التى سندرسها لحاتم تدلك على أن الكرم من الفضائل الأصيلة التى يعتز بها العرب ، ويتغنى بها شعراؤهم .

النص

١ — وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوِّ ، كَأَنَّمَا ... يُقَاتِلُ أَهْوَالَ السُّرَى وَتُقَاتِلُه

٢ — دَعَا يَائِساً شِبْهَ الْجُنُونِ وَمَا بِهِ ... جُنُونٌ ، وَلَكِنْ كَيْدُ أَمْرٍ يُحَاوِلُه

٣ — فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ أَقْبَلْتُ نَحْوَهُ ... بِصَوْتِ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُه

٤ — فَأَبْرَزْتُ نَارِي ، ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا ... وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُه

(١ ، ٢) وداع : أى رب داع : دعا : صرخ مستغيثا . بعد الهدوء والمراد بعد أن نام الناس ، أهوال : جمع هول وهو الخوف . السرى : السير ليلا . كيد : حيلة والمعنى : أن رجلا يسير فى الصحراء فى جوف الليل فاشتبهت عليه الطرق وأوحشه الظلام ، واستولت عليه الحيرة ، وانهالت عليه الوساوس ، وأحاطت به المخاوف والمخاطر يصارعها وتصارعه ، فأخذ يصرخ كالمجنون ؛ ليسمع صرخته رجل كريم فينقذه من خطر لاشك فيه .

(٣ ، ٤) كريم الجد : نبيل الأصل . شمائله : صفاته ، والمفرد شمال (بكسر الشين) أبرزت =

٥ — وَقُلْتُ لَهُ : أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً رَشِدْتَ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أُسَائِلُهْ
٦ — وَقُمْتُ إِلَى بَرْكٍ هِجَانٍ ، أُعِدُّهُ لِوِجْبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهْ
٧ — بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ مِنَ الأَرْضِ ، لَمْ تَخْطَلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهْ
٨ — فَجَالَ قَلِيلاً ، وَاتَّقَانِي بِخَيْرِهِ سَنَاماً ، وَأَمْلاَهُ مِنَ النِّيِّ كَاهِلُهْ
٩ — فَخَرَّ وَظِيفُ الْقَرْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لا يُنَشَّطُ عَاقِلُهْ
١٠ — بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي ، وَبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيماً أَوَائِلُهْ

= ناري : جعلتها في مكان مرتفع في ناحيـة مصدر الصوت ، لتظهر من بعيد . أثقبت ضوءها : زدت وقودها ليرتفع لهيبها . والمعنى : فما كدت أسمع صوته حتى سارعت إلى مصدره ، وأجبته بصوت المرحب المستجيب لدعوته ؛ لأبعث الطمأنينة إلى نفسه ، لـكنى أدركت أن صوتى الهادئ لا يجدى ، فأسرعت إلى نارى ، فرفعتها على شرف عال ، وزدت فى حطبها ليرتفع لهيبها وتندلع ألسنتها فيراها ، وأرسلت كلبى خارج حدود الدار ، ليقترب منه فيكون أدنى إلى بلوغ صوته مسامعه ، فيهتدى إلى موقعنا ويتجه إلينا .

(٥ ، ١٠) أهلا : صادفت أهلا . سهلا : حللت مكاناً سهلا ، مرحباً : نزلت منزلا واسعاً . رشدت : وفقت واهتديت إلى الصواب . أسائله : أسأله عن نسبه ومقصده ، وكانوا يجدون تلك المساءلة عيباً كبيراً فى المضيف . برك : إبل كثيرة ، ومفرده بارك وباركة . هجان : كرام . وجبة : الوجبة الثبوت واللزوم . الحق : حق الضيف على المضيف . نازل : مطلوب الأداء . أبيض : سيف . نعله : حديدة فى أسفل الغمد . لم تخطل : لم تضطرب . حمائله : علائقه التى يحمل بها على الـكتف . جال : تحرك وهاج . خيره سناماً : أعظمه وأسلمه . أملاه : أملؤه . النى : الشحم . كاهله : الـكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق (ومن الإنسان ما بين الـكتفين) . خر : سقط . الوظيف : مستدق الذراع من الإبل وهو الجزء الذى يلى الخف . القرم : الفحل الـكريم من الإبل . لاينشط (بالبناء للمعلوم) ينشط أى يعقد بالبناء (للمعلوم) بأنشوطة يمكن حلها ، ولا ينشط عاقله أى لا يربطه ربطاً يمكن حله .

معنى الأبيات :

نشطت للقائه ورحبت به ، وقلت له إن الرشاد حليفك ، ولم أسىء إليه بسؤاله عن أصله ومقصده ومن أين جاء ؟ بل سارعت إلى إعداد قراه ، فقمت إلى إبلى التى أعدها للضيفان ، ومعى سيفى الطويل ذو الحمائل الطويلة التى لم تضطرب على لطولى ، فأبصرتنى الإبل ، وأحست ما أريد منها ففزعت ؛ لأنها =

الدراسة والتحليل

الأفكار

في هذه الأبيات يحكي حاتم حكاية مسافر ضل طريقه في الصحراء في جوف الليل ويشير إلى :

١ — ضلته ، وحيرته ، ودعوته في جوف الليل ، وصرخته كالمجنون يبتغي بها الاستغاثة (١-٢) .

٢ — بلوغ صوته إلى مسمع حاتم ، واستجابته له بصوته ، ثم بالنار يرفع ألسنتها ، والكلب يرسل نباحه (٣ — ٤) .

٣ — اهتداء الساري الحائر إلى منزل حاتم ، وترحيب حاتم به ، ونحره خير إبله لإطعامه وإكرامه ، وقيامه بالواجب الذي أوصاه به ، أبوه وأجداده .

وأنت ترى أن حاتماً يبتغي الفخر بالكرم ويصوغ فخره في أسلوب قصصي يصف الصحراء في الليل وما يسود جوها من وحشة ورهبة وفزع ، ويصور الساري يائسا صارخا كالمجنون ، حتى إذا تأزم الموقف جاء ما يشبه الحل في القصة حين استمع حاتم لصوته واستجابته له وإكرامه . وبطل القصة حاتم نفسه ؛ لأنه المنقذ الذي استجاب للملهوف المستغيث .

التصوير والتعبير

١ — وداعٍ دعا بعد الهدوّ كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله
٢ — دعا يائسا شبه الجنون ومابه جنون ، ولكن كيد أمر يحاوله

في البيت الأول يصور حاتم هواجس الساري وخواطره تصويرا حسيا ، فيجعل الأهوال عدوا محاربا قد برز له ، فدار بينهما قتال عنيف ، وهي استعارة مكنية شبه فيها الأهوال بالعدو وحذفه ، ورمز له بشيء من لوازمه وهو القتال . ومصدر الجمال في الصورة تجسيم الصراع الداخلي في نفس الخائف وإبرازه في حركة محسوسة يؤكدها تكرار الفعل يقاتل بالمضارع الذي يستحضر صورة العمل في وقت أدائه . والصورة موفقة من ناحية أخرى ، وهي أن حاتما قد مهد لها تمهيدا جميلا بقوله « بعد الهدوّ » وفيه إشارة إلى أن الصمت العميق مخيف ، قد يجزع له الوحيد ويهلع حتى ينخلع قلبه من صدره ولذلك شبه دعوته اليائسة بالجنون ، فقد فقد ثقته بنفسه وأمله في الحياة وتخيل عوامل الفناء تحيق به من كل

= تعلم دأبي وديدني معها ، فاعترضني أكرم فحولها وأعظمها وأسمنها واحتمت به فعقرته ، فسقط ، وكانت ضربتي عقالا لا يمكن الإفلات منه ، ولم أفعل إلا ما أوصاني به أبي ، وما أوصاني إلا بما أوصاه به أجداده الأوائل .

جانب ، وسهام الموت تسدد إليه من كل صوب . وقد كرر الشاعر الفعل «دعا» فى البيت الثانى ؛ ليفصح عن مدى حيرة الرجل وإلحاحه فى طلب العون . وإذا كان حاتم قد نفى عنه الجنون ، وجعل صرخته حيلة يحاول بها النجاة فإنه ـ ضمنا ـ قد شبه كيد أمر يحاوله بالجنون ، واستخدام واو «رب» فى أول البيت يوحى بأن قصة هذا السارى ليست فريدة ولكن أمثالها تحدث كثيرا ، وذلك من حرص حاتم على أن يكون كرمه لضيفه طبيعة فيه ، وقراء الضيف عادته وديدنه الذى لا يتخلى عنه ، وليس حادثا فرديا حدث .

٣ ـــ فلما سمعت الصوت أقبلت نحوه بصوت كريم الجد حلو شمائله

٤ ـــ فأبرزت نارى ، ثم أثقبت ضوءها وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله

يفصح التعبير بالفاء « فلما » عن سرعة الاستجابة ، ويفصح قوله «أقبلت نحوه» عن نهوضه لاستقبال الضيف بفرحة وبشاشة . و « كريم الجد » كناية عن حاتم ، وهو أسلوب نبيل يجعل الفخر مقبولا ؛ لأنه يتحدث عن نفسه كما يتحدث عن غائب ، فيشعر السامع بحياء حاتم وتواضعه . وفى تكرار كلمة «صوت» موسيقى ملحوظة كأن صوته كان صدى لصوت الضيف . ووصف الشمائل بالحلاوة استعارة مكنية جعل فيها الشمائل شرابا أو طعاما حلو المذاق يشعر متناوله باللذة والارتياح ، وثمرتها إبراز المعنوى فى صورة المحسوس لشدة التأثير . والبيت الرابع يشير إلى أن حاتما يبادر باتخاذ كل وسيلة تمهد لهداية الضيف وبلوغه مأمنه فى رحاب حاتم ، فذكر إبراز النار ، ثم الإثقاب ، ثم إخراج الكلب ، والفاء تفيد السرعة . وأما ثم فتفيد إضافة عمل جديد لتمهيد السبيل . ويبدو أن الكلب كان فى هذه الأثناء فى البيت لكنه كان متجها إلى الجزء الداخلى أو الخلفى منه ، ويدل على ذلك أن « داخله » خبر الضمير « هو » ، فلما رآه حاتم غافلا عن دعوة الضيف أخرجه ليشارك فى تمهيد السبيل لهدايته .

٥ ـــ وقلت له : أهلا ، وسهلا ، ومرحبا رشدت ، ولم أقعد إليه أسائله

وتكرار كلمات الترحيب إفصاح عن بهجة حاتم وشدة اغتباطه بنزول الضيف عنده .
وأما قول الشاعر «رشدت» فهو دعاء دقيق وضع فى موضعه الملائم لموقف الحيرة والضلال وما لاقى منهما الضيف فى سراه .

وأما « لم أقعد إليه أسائله » فكناية عن نبل المضيف وترفّعه عن الفضول ومضايقة الضيف بأسئلته كما يفعل البخلاء الذين لا يكرمون إلا من يعرفون ، أو من يتوقعون منهم منفعة فى المستقبل ، أو من يكونون من قبيلة مشهورة أو عشيرة مهيبة الجانب أو من يخافون ذمهم إذا بخلوا عليهم (وكذلك كانوا يفعلون) .

٦ ـــ وقمت إلى برك هجان أعده لوجبة حق نازل أنا فاعله

لعلك تشعر بالجمال فى قوله: «وقمت إلى برك هجان» بعد قوله، ولم أقعد إليه أسائله فهما لونان مختلفان من الإكرام. ووصف البرك بالجملة الفعلية «أعد» إشارة إلى أن حاتما لا هدف له من ماله إلا قرى الأضياف.

وذكر «حق»، و«نازل» مع «وجبة» توكيد لشعور حاتم بتبعاته نحو الأضياف. ثم أكد هذا الشعور بالتصميم الواضح فى قوله: «أنا فاعله» وهو تعبير يدل على الثبوت والاستمرار لا فى هذه المرة وحدها.

٧ — بأبيض خطت نعله حيث أدركت من الأرض لم تخطل علىّ حمائله

لا تحب العرب أن تصل نعل السيف إلى الأرض فتخطها مهما يكن السيف طويلا؛ لأن ذلك يوحى بقصر قامة حامل السيف وهو غير مرضى فى تقديرهم، غير أنه يمكن أن يقال إن المراد بالشطر الأول أن السيف ضخم وثقيل يشق الأرض بنعله إذا وصل إليها وهذا كناية عن قوة الفارس لا طوله، وأما طوله فقد عبر عنه بقوله «ولم تخطل على حمائله»؛ لأنه كناية عن الطول تحمل المعنى ودليله، والبيت كله يمهد للصورة فى البيت التاسع التى تعبر عن قوة حاتم.

٨ — فجال قليلا واتقانى بخيره سناما وأملاه من النىّ كاهله

صور الشاعر فى هذا البيت حركة البرك بالكلمات التى تقوم مقام الخطوط فى الصورة من جولان البرك، وذعر أفراده، وتدافعها، واختفائها وراء الفحل الكريم، واعتراض هذا الفحل الكريم من دون بقية الأفراد ووقوفه بينها وبينه؛ ليكون هو الذبيح، ولعلك تلاحظ أن الفعل «اتقانى» استعارة تصريحية شبه فيها فرار الإبل كافة، ووقوف هذا الفحل أمامه من دونها بمثابة اتخاذ الوقاية من الذبح ثم استخدم الفعل «اتقى» ليعبر عن ذلك كله. والبيت فى جملته كناية عن تأصل الكرم والسخاء فى نفس حاتم؛ لأنه ذبح خير إبله، ولكنه من نبله وحيائه أشار إلى أن القرم هو الذى عرض نفسه للذبح.

٩ — فخرّ وظيف القرْم فى نصف ساقه وذاك عقالٌ لا ينشط عاقله

فى الشطر الأول ذكر سقوط الوظيف فى نصف الساق، وفى الشطر الثانى شبه هذا السقوط بالعقال تشبيها بليغا. وقد ذكر المشبه وهو «ذاك» والمشبه به وهو «العقال» من غير أداة تشبيه ولا وجه شبه. ثم قال: «لا ينشط عاقله» ببناء الفعل للمعلوم كناية عن أنه عقال قوى الربط يمكن ذبحه معه بسهولة؛ لأنه لا يقدر على الإفلات منه، ولا يستطيع الفرار معه. والتصوير هنا موفق؛ لأن الشاعر قد مهد له فى البيت السابع بوصف السيف الثقيل فى يد الفارس الطويل.

١٠ — بذلك أوصانى أبى وبمثله كذلك أوصاه قديما أوائله

اسم الإشارة الأول يشير إلى كل ما فى الأبيات من عمل مجيد ، واسم الإشارة الثانى يشير إلى الإيصال المفهوم من الفعل « أوصانى » والكاف للتشبيه ، فهذه الوصية مثل تلك والبيت كناية عن توارث الكرم والسخاء فى أسرة حاتم وهو صادق فيها .

نظرة بلاغية

١ — صاغ حاتم فخره فى صورة قصة شعرية تسلسلت فيها الأحداث تسلسلا جعل كل بيت مستقرا فى موضعه لا يمكن تقديمه ولا تأخيره .

٢ — الأبيات بألفاظها القوية ، وعبارتها الجزلة ، وصورها توحى بجو البادية وتتصل به اتصالا وثيقا .

٣ — كما يعتمد حاتم فى تصويره على الكناية ، والاستعارة ، والتشبيه يعتمد على استخدام الكلمات استخداما موفقا تقوم فيه الكلمة مقام الخط فى الرسم .

نظرة أدبيّة

١ — الفخر غرض من أغراض الشعر الجاهلى لدى كثير من الشعراء .

٢ — يدل النص على أن فى الأدب العربى القديم شعرا قصصيا ، وإن لم يتجاوز القطع القصيرة .

٣ — يصور النص شخصية حاتم يتغنى بالكرم ، وهذا من مقتضيات البيئة .

٤ — القصة تصور الصحراء وما فيها من سير بالليل يسوده الخوف والرهبة .

٥ — تصور القصة بعض عادات العرب من إشعال النار بالليل فوق المرتفعات للاهتداء بها ، وتربية الكلاب لوظيفة غير الحراسة ، وتصور كيف كان بعضهم ينهض للقاء الضيف ويرحب به ، وينحر له ، ويخدمه بنفسه .

٦ — يشير النص إلى بعض عادات العرب إذا تاهوا فى الصحراء ، كما يشير إلى طريقتهم فى ذبح الإبل .

المناقشة

٤ — قال حاتم :

وداع دعا بعد الهدو ، كأنما ... يقاتل أهوال السرى وتقاتله
دعا يائسا شبه الجنون ، وما به ... جنون ، ولكن كيد أمر يحاوله

(ا) ما قيمة قول الشاعر ، بعد الهدو ؟ (ب) أيهما أجمل أن يقول الشاعر : « وداع دعا ؟ أم أن يقول « وسار دعا » ؟ ولماذا ؟

(ﺟ) فى الشطر الثانى من البيت الأول صورة . وضحها ، وبين أثرها فى المعنى .
(د) لم أعاد الفعل «دعا» فى البيت الثانى ؟ (ﻫ) بين المشبه والمشبه به فى الشطر الأول من البيت الثانى . (و) ما علاقة «ولكن كيد أمر يحاوله» بما قبله فى البيت الثانى ؟

٢ — فلما سمعت الصوت أقبلت نحوه بصوت كريم الجد حلو شمائله
فأبرزت نارى ثم أثقبت ضوءها وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله

(ا) ما المراد بالصوت ؟ ولم كرر كلمة «صوت» ؟ (ب) ما الدليل على أن إقبال حاتم بصوته كان سريعا ؟ (ﺟ) ماذا من الجمال فى التعبير بقوله «كريم الجد» ؟

(د) فى «حلو شمائله» استعارة ، وضحها . (ﻫ) ما الفرق بين إبراز النار ، وإثقاب الضوء ؟ (ز) «وهو فى البيت داخله» ما إعراب «داخله» ؟ بين أن هذا الإعراب يوجه معنى الجملة ويجعلها تضيف معنى جديداً مقصوداً . (ح) فى البيتين ما يوحى بأن حاتما كان حريصا على إنقاذ الداعى . وضح ذلك . (ط) (أشعلت نارى - أبرزت نارى) هل يتغير المعنى إذا وضعت الجملة الأولى مكان الثانية ؟ وضح ما تقول .

٣ — وقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد إليه أسائله
وقمت إلى برك هجان أعده لوجبة حق نازل أنا فاعله

(ا) متى قال له : أهلا وسهلا ومرحبا ؟ ولم كرر كلمات الترحيب ؟
(ب) أيهما أجمل «رشدت» أم «أمنت» ؟ ولماذا ؟
(ﺟ) «ولم أقعد إليه أسائله» كناية عن شىء آخر غير المسارعة إلى القرى بالطعام - وضح ذلك .

(د) ما علاقة «وقمت إلى برك» بالبيت السابق ؟ (ﻫ) مادلالة الجملة الفعلية «أعده لوجبة حق» ؟ (و) مامعنى «نازل» ومافائدتها فى البيت ؟ (ز) بين الجمال فى قول الشاعر «أنا فاعله» . (ح) مافائدة وصف البرك بالهجان ؟ وهل يتغير المعنى إذا وضعت مكانها كلمة «سمان» ؟ وضح ماتقول .

٤ — بأبيض خطت نعله حيث أدركت من الأرض لم تخطل علىّ حمائله
فجال قليلا واتقانى بخيره سناما وأملاه من النّىّ كاهله

(ا) ما معنى : — نعله — تخطل — النىّ — كاهله .
(ب) «لم تخطل على حمائله» كناية ، وضحها ، وبين فائدتها فى تحقيق هدف الشاعر من قصيدته .

(ج) ماذا أفاد قوله «خطت نعله حيث أدركت من الأرض»؟ بين أن العبارة يمكن أن تكون ذمًّا لولا السياق؟

(د) وضح كيف صور الشاعر حركة الإبل فى البيت الثانى.

(هـ) فى قوله «اتقانى» صورة جميلة، وضحها، وبين أثرها فى المعنى.

(ز) اتخذ من البيتين دليلا على أصالة حاتم فى الكرم والسخاء.

٥ — نحر وظيف القرم فى نصف ساقه ... وذاك عقال لا ينشط عاقله

(ا) ابحث فى المعاجم عن معنى الفعل «ينشط» واشرح البيت على أساس هذا البحث.

(ب) فى البيت تشبيه وكناية. وضحهما وبين أثرهما فى المعنى. (ج) التمس علاقة بين هذا البيت والبيت الذى يبدأ بقوله «بأبيض».

٦ — بذلك أوصانى أبى وبمثله ... كذلك أوصاه قديما أوائله

(ا) ما مرجع الإشارة فى قوله بذلك، وكذلك؟

(ب) ما قيمة هذا البيت فى النص؟ (ج) لم اختار التعبير بقوله «أوائله»؟

لامرئ القيس

فى وصف الليل، والفرس، والصيد

الشاعر: هو حُنْدُجُ بن حُجر، وكان حجر ملكا لبنى أسد، فاجتمعوا على مخالفته، وأمسكوا عن أداء الضرائب، فحاربهم، فقتلوه. وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائبا، وكان أبوه هو الذى أبعده؛ لأنه كان يأنف من أن يقول ابنه شعراً، فكان امرؤ القيس لاهيا، جائلا بين أحياء العرب، يصيد الوحش ويذبحها ويشرب الخمر، ويسمع الغناء، فلما أتاه نعى أبيه غضب غضبا شديدا، وهاج غضبه شاعريته. وزادت أسفاره خبرته، واستفاد معانى جديدة، وتفتحت قريحته عن صور مبتكرة. وقد حاول أن يأخذ بثأر أبيه، فلم تساعده القبائل فلجأ إلى «قيصر»، ولكنه مات فى عودته من عنده سنة ٥٦٥ م. والأبيات التى سندرسها مختارة من معلقته وسبب نظمها واقعة جرت له مع ابنة عمه عُنَيْزَةَ وأولها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)

وهى فى نحو ثمانين بيتا بدأها ببكاء الأطلال، ثم الحديث عن أيام اللهو والذكريات،

---

(١) سقط اللوى، والدخول، وحومل أماكن، والشاعر يستوقف صاحبيه ليبكيا معه الذكريات الماضية، والمنزل الدارس.

ثم انتقل إلى وصف الليل ، والوادى القفر ، والفرس ، والصيد ، والبرق ، والمطر . لكن النص المختار للدراسة هنا من هذه المعلقة ، فى وصف الليل ، والفرس ، والصيد فقط .

النص

١ — وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ … عَلَىَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِى

٢ — فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ … وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً ، وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

٣ — أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِ … بِصُبْحٍ ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

٤ — فَيَالَكَ مِنَ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ … بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

٥ — وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فِى وُكُنَاتِهَا … بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ ، هَيْكَلِ

(١ — ٤) أرخى : أرسل . سدوله : أستاره ومفرده سدل . أنواع الهموم : هموم مختلفة الألوان والأسباب . لبيتلى : ليختبرنى ويعرف مدى صبرى وقوة احتمالى : تمطى بصلبه : تمدد بظهره . أردف : أتبع . أعجازا : جمع عجز وهو مؤخر كل شىء . ناء : بعد . كلكل : صدر . انجل : انكشف وانصرف : أمثل : أفضل . يالك : أسلوب تعجب . مغار الفتل : محكم الفتل متين . يذبل : جبل فى نجد .

معنى الأبيات :

تطاول ليلى ، وتراكم ظلامه ، واصطلحت على الهموم وتتابعت لاختبار مدى صبرى وقوة احتمالى ، فكأن هذا الليل أمواج بحر تكاثفت مفزعة مروعة ، فلما طال وامتد كأنه جمل يتمطى ويبعد ما بين صدره وعجزه فى بطء وتثاقل تمنيت فى لهفة أن يتبدد ظلامه ، وينكشف عن صبح يذيب همومى ، ويزيل آلامى ، وإن كنت أخشى ألا يكون الصبح فى إشراقه خيرا من الليل فى إظلامه ؛ لأن أشتاتا من الهموم تلاحقنى فى كل حين. وإنى لأعجب من طول هذا الليل وجموده ، حتى ليخيل إلى أن نجومه لا تتحرك إلى مغربها ، وأنها قد ربطت بحبال متينة إلى جبل يذبل .

(٥ — ٨) أغتدى : أخرج بين الفجر وطلوع الشمس . وكنات : جمع وكنة وهو عش الطائر . منجرد : جاد فى السير سباق . الأوابد : جمع آبد وآبدة أى الوحوش النافرة هيكل : مرتفع ضخم . مكر : سريع الكر، وهو الإقبال والهجوم . مفر : سريع الفرار جلمود : ضخم صلب من الصخر فى الماء . حطه السيل : أسقطه السيل . عل : مكان عال . يزل : يقع . الغلام الخف : الشاب الجلد القوى . صهواته : جمع صهوة وهى مقعد الفارس من ظهر الفرس أو جوانب ظهر الفرس ، ولذلك جمعه فقال صهوات . يلوى بأثوابه : يطير بها =

٦ — مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ ، مُدْبِرٍ ، مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ ، حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
٧ — يَزِلُّ الغُلَامُ الْخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ
٨ — لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ
٩ — فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ ، كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ
١٠ — فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكاً ، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
١١ — فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

= من شدة عدوه . العنيف : الشديد القاسى . المثقل : الذى ثقل عليه اللحم والدسم . أيطلا ظبى : خاصرتاه . إرخاء سرحان : مشى الذئب ، وهو جريه السهل ليس بالشديد . تتفل : ثعلب ، وتقريبه رفع يديه معا ، ووضعهما معا .

ومعنى الأبيات :

كثيراً ما أغدو للصيد قبل أن تنهض الطير من أوكارها على فرس جاد فى سيره سبّاق ، ضخم ، سريع لاتسبقه الوحوش النافرة ، بل يدركها ، فتبدو كأنما قيدت أمامه . هذا الفرس يحسن الكر ويجيد الفر ، ويسرع فى إقباله وإدباره كأنهما حركة واحدة فى مرأى العين ، ويندفع فى جريه اندفاع صخرة عظيمة أسقطها السيل من جبل عال فهوت فى قوة وعنف تقعقع على السفح ، ومن أجل هذا كان ركوب هذا الفرس ليس باليسير ، فهو لايبقى على متنه غلاما جلدا ، ولا رجلا عنيفا مثقلا ، فإذا لم يكن راكبه فارسا مدربا يعرف كيف يتعامل معه لم يثبت على صهوته ولقد اجتمعت لهذا الجواد صفات تجعله من أكرم الجياد ، فخاصرتاه مثل خاصرتى الغزال فى ضمورهما ، وساقاه مثل ساقى النعامة فى صلابتهما لقلة لحمهما وقصرهما ، وهو يعطى من السير فى كل حال ما يلائمها ، فإن شئت إرخاء أرخى ، وإن شئت تقريبا قرب .

(٩ — ١١) عن : ظهر واعترض . سرب : قطيع البقر . نعاجه : إناثه وهى بيضاء ، لأن النعج هو البياض الخالص . عذارى : جمع عذراء وهى التى لم تتزوج . دوار اسم صنم . الملاء : جمع ملاءة وهى الملحفة . مذيل : سابغ طويل أو ذو أهداب . والتذييل هنا على كل حال ذولون أسود ؛ لأنه يصف بقر الوحش ، وهى بيض الظهور سود القوائم . عادى : يقال عادى بين الصيدين إذا والى وتابع الجرى مع كل من الصيدين من غير راحة بين الشوطين . دراكا : عدْوا متصلا . لم ينضح بماء : لم يتصبب عرقه . فيغسل : أى لم ينضح فلم يغسل ، ويمكن أن يراد لم يتسخ بالعرق فيغسل بالماء النظيف .

=

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى الأبيات الأربعة الأولى يصف الشاعر قلقه وحيرته وهمومه ، وضيقه بطول الليل ، وعجبه من هذا الطول ، وتمنيه أن ينكشف الظلام ويتبدّد . (١ : ٤)

٢ — وفى الأبيات الأربعة التالية (٥ — ٨) يصف فرسه بفخر واعتزاز ؛ لأنه مركب أهل اليسار ، وعمادهم فى لهوهم وصيدهم وحروبهم ، فيذكر بكوره به إلى صيده قبل أن تصحو الأطيار ، ويصف كرمه وأصالته وسرعته فى الكر ، والفر ، والإقبال ، والإدبار ، واندفاعه فى صلابته ، وعجز الراكب عن الثبوت فوق صهوته إلا إذا كان خبيرا بالخيول قادرا على سياستها . ويجمع له من صفات الظبى والنعام ضمورا الخاصرة ، وصلابة السيقان ، كما يجمع له فنون السير يمنحها الفارس الخبير كلما أراد . (٥ : ٨)

٣ — وفى الأبيات الثلاثة الأخيرة يصور جانبا من حياة امرىء القيس فى ترفه وثرائه وفراغه ، وخروجه للصيد ، ومعه الطهاة والخدم ، فيمرح مع أصحابه ، ويصيدون ، ويجلسون فى متعة للطعام الذى يعد لهم من مشويات ومطبوخات . (٩ : ١١)

التصوير والتعبير

١ — وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

يشبه الشاعر الليل بموج البحر ، ووجه الشبه بينهما التكاثف والتراكب والرهبة والروع الذى يثيره فى النفوس كل منهما . وفى بقية البيت استعارة مكنية شبه فيها الليل بكائن مهول له سدول سود مرعبة ، وحذف هذا الكائن ورمز إليه بالسدول والإرخاء ، وقد جعل السدول مصحوبة بألوان شتى من الهموم والمتاعب ليكون الليل أشد خوفا ورهبة ، ثم أضاف ليبتلى ، وهى من لوازم الكائن المهول ليزيد المحنة والشقاء . والتشبيه ، والاستعارة كلاهما متعاونان فى تصوير حال امرىء القيس المحزون للفراق الأليم ، والذكريات الماضية ،

= طهاة : جمع طاه وهو الطباخ . وصفيف شواء : اللحم الذى صفف على الجمر رقائق ليشوى . قدير : ما يطبخ فى القدر .

ومعنى الأبيات :

وقد لحنا سربا من نعاج الفلا بيض الظهور سود القوائم كأنه جمع من حسان يلوذ بعضهن ببعض ، ويدرن كما تدور العذارى حول دوار ، وعندئذ انطلق الفرس نحوهن ، وجرى شوطين جريا متصلا ، فأدرك فى كل شوط صيدا دون أن يعرق ، أو يبلغ منه جهد ، أو تنال منه مشقة ، وظفرنا بثور ونعجة ، ونشط الطهاة فى إعداد الطعام شيأ وطبخا ، فأكلنا واستمتعنا ، وكانت رحلة سعيدة .

أو لمتاعب أخرى تتصل بأبيه وبالأسرة . وواو « رب » فى أول البيت تفيد التكثير هنا ؛ لأن السياق يلائم الكثرة .

٢ — فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

٣ — ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل

فى البيت الأول يريد أن يصف طول الليل فيتصوره جملا ، ويحذفه ، ويرمز إليه بالتمطى والصلب ، وهى استعارة مكنية أكدها بالأعجاز والكلكل ، وهى توحى بالثقل الذى يحسه امرؤ القيس ويضيق به . ولعلك تلاحظ أنه حين أشار إلى الجمل ليصور الليل به جعله يطيل وسطه ، ويؤخر عجزه ، ويقدم صدره ، فلم يدع جزءاً فيه إلا جعله يمتد ويطول ، وهى مسألة نسبية يعنى بها تصوير الطول الحقيقى بالقياس إلى الطول الذى يشعر به وقد صوره تصويراً حسياً يراه الناس ويشهدونه كل يوم فى باديتهم واقتران الأعجاز والكلكل فى العبارة — وهما طرفا نقيض يحيطان بالصلب من كل جانب — فيه إثارة ليقظة السامع وحمله على تصور الصورة للتأثر بها . وفى هذا البيت يبدأ الشاعر حديثاً بينه وبين الليل بقوله : « قلت له » : لأنه لايزال يتخيله كائناً يخاطب ، وهذا يوحى بحيرة الشاعر وذهوله . وفى البيت الثالث يخاطبه ، ويبدأ الخطاب بالحرف « ألا » للتنبيه اهتماماً بما سيلى من الحديث . ثم يناديه « أيها الليل الطويل » بعد الاستعارة فى البيت السابق إفصاحاً عن سر الاستعارة . والنداء للاهتمام بما سيناشده به من انجلاء ، وهذه المناشدة تَمَنٍّ يوحى باللهفة والتشوف إلى الراحة التى يتوهمها فى الصباح . ويدل على الاهتمام بهذه المناشدة تكرار الحرف « ألا » قبل « انجل » ويذكر « بصبح » فينكره إشارة إلى أن أى صبح خير من هذا الليل ، لكنه بعد هذا الأمل الذى كان يلوح فى الجو يذكر « وما الإصباح منك بأمثل » . فيعلن عن ضياع أمله فى راحة البال وهدوء النفس واستسلامه لليأس ، بعد أن يتنبه إلى أنه مخدوع ؛ لأن نهاره لن يكون خيراً من ليله ؛ لأنه مهموم محزون فيهما مادام الرفيق المحبوب غائباً . ومقابلته بين الصبح والليل إثارة للشعور بالفرق بينهما فى مجال الضيق والخوف .

٤ — فيالك من ليـــل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

برغم قوله « وما الإصباح منك بأمثل » لايزال يضيق بالليل ، ويعجب من طوله بقوله « فيالك من ليـــل » وهى صيحة عجب توحى بالضجر ، فالبيت يشير إلى أن الشاعر فى أعماقه — وإن أخفى — يأمل أن تخف وطأة الهموم عليه فى الصباح ، ثم يصور النجوم التى أحسها مسمَّرة فى مكانها لاتتحرك مربوطة بحبال متينة تشدها إلى جبل « يذبل » . وأنت تلاحظ أننا لم نجعل هذه الصورة تشبيها مع وجود « كأن » ؛ وذلك لأن البلاغيين القدامى

لا يرون تسمية هذا الأسلوب تشبيها بسبب وجود الفعل « شدت » فى خبر كأن . لكنك برغم هذا تستطيع أن تجعله تشبيها إذا قدرت جملة الفعل « شدت » صفة لمشبه به محذوف تقديره « نجوم شدت » والصورة تلائم أسلوب التعجب فى أول البيت وتشير إلى الدهشة والحيرة والعجب والضيق معا . وقد أكد عجبه ودهشته بزيادة حرف الجر « من » قبل التمييز « من ليل » وبإضافة « كل » ، وبتعبيره عن الجبل بكناية هى « مغار الفتل » .

٥ — وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

« والطير فى وكناتها » كناية عن نشاط ، وغبطة ، وخفة تزيد على خفة العصافير ، وغبطتها ونشاطها . وهذه الكناية — وإن كان المقصود بها ما ذكرنا — توحى بهدوء الكون الجميل فى الصباح ، كما تؤكد البكور . وتحدد زمان الاغتداء الذى يمتد بين الفجر وطلوع الشمس فاختيار الطير فى هذه الكناية للموازنة بين خفة الطير وخفته لرحلة الصيد . وفى « منجرد » كناية عن الفرس الجاد السبّاق فى الحلبة . أما « قيد الأوابد » فهو تشبيه . شبه الفرس بالقيد ؛ لأنه يسبقها ، ويقطع عليها طريقها ، فتقف أمامه جامدة كأنها مقيدة ، وهو تشبيه نادر مبتكر لم يعرفه الشعراء قبل امرىء القيس . ويؤكد الشاعر حبه للاغتداء وحرصه عليه بذكر الحرف (قد) ويستعمل المضارع لاستحضار صورة الاغتداء فى هدوء الدنيا وصمت الكون ؛ لأنه فخور به مغتبط بأدائه ، حريص على تصويره وحرصه على ختام البيت بوصف فرسه بأنه (هيكل) يؤيد معنى (قيد الأوابد) ؛ لأن ضخامة الفرس مع سرعته قوة تزلزل الأرض تحت أرجل الوحش المطارد ، وتشل حركته ، فتقفه حيث أدركه .

٦ — مكرٍّ مفرٍّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيلُ من علِ

الشطر الأول بما فيه من ألفاظ متضادة تجمعها كلمة « معاً » تثير الدهشة وتدعو إلى التفكير وتؤدى إلى التأثير ، وفى الشطر الثانى تشبيه الفرس بجلمود صخر وهو ينحط من جبل عال بقوة السيل ، ووجه الشبه الضخامة ، والصلابة ، والجلادة ، وقوة الاندفاع مع اجتماع الأجزاء ، ومطاوعة بعضها لبعض ، ودوى السرعة وقعقعتها ، وهو تشبيه يؤكد السرعة فى البيت الأول ، ويؤكد الشطر الثانى من البيت الخامس ويوحى بشدة الإعجاب . إعجاب امرىء القيس بفرسه واعتزازه به . ولا أظنك تغفل عن موسيقى التعبير فى الشطر الأول بسبب التوازن والانسجام بين مكر ومفر ، والتوازن بين مقبل ومدبر . ولقد زاد الموسيقى جمالا تنوين الكلمات الخمس فى شطر واحد .

٧ — يزل الغلام الخفّ عن صهواته ويُلوِى بأثواب العنيف المثقل

« أثواب العنيف » كناية عن نفس العنيف المثقل » ، وقد جمع صهواته إشارة إلى أنه لا يثبت على أى مكان على سراة الفرس ، أى لا يبقى على ظهره ولا على جانبيه بل يسقط ،

على الأرض ، وسقوط الخف ، والمثقل جميعاً ، وهما متضادان فيه تعميم يثير الدهشة ، ويدعو إلى التفكير والتساؤل عن صفة الفارس الذى يستطيع سياسة هذا الفرس الصعب المراس القوى الشكيمة .

والبيت كله كناية عن نشاط الفرس وخفة حركته ، فى صورة حسية مؤثرة تذكر النشاط مصحوباً بالدليل عليه .

٨ — له أيطلا ظبى ، وساقا نعامة وإرخاء سرحان ، وتقريب تتفل

فى هذا البيت يذكر بعض أسباب ما ذكر فى الأبيات السابقة ، فيشبه أيطليه بأيطلى الظبى فى الضمور والالتصاق ، وهذا جمال فى الفرس ، وسبب فى نشاطه وفتوته ، والصورة استعارة تصريحية ؛ لأنه حذف المشبه ، وذكر المشبه به . وفى البيت يشبه ساقى الفرس بساقى النعامة فى صلابتهما وقصرهما ، ويقول خبراء الخيل إن الفرس يستحب منه قصر الساق يعوضه طول الوظيف وطول الذراع ، وهذا ما يشير إليه امرؤ القيس والصورة استعارة تصريحية ؛ لأنه حذف المشبه وهو ساقا الفرس ، وذكر المشبه به ، وهو ساقا النعامة ، وفى إرخاء السرحان استعارة تصريحية أيضاً . وكذلك فى تقريب تتفل ، وهكذا يرسم لنا محاسن الفرس الذى أخذ من كل مشبه به خير مافيه .

٩ — فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِى مُلَاءٍ مُذَيَّلِ

هنا بدأ حديث الشاعر عن الصيد ، فيذكر أنه قد اعترضه سرب من بقر الوحش ، وشبه نعاجه حين رآها بيضاً ذوات قوائم سود يلوذ بعضها ببعض ، ويدور بعضها حول رائدها بفتيات حسان نشيطات يتهادين ، ويطفن بدوار فى ملاءاتهن البيض ذوات الأذيال السود ، وهو تشبيه هيئة بهيئة ، ووجه الشبه صورة قد اجتمع فيها بياض تحته سواد يقترنان بالجمال والطواف فى حركة ونشاط حول شىء يلاذ به . وهم يسمونه تشبيه التمثيل ؛ لأنه تشبيه هيئة بهيئة ، ووجه الشبه هيئة .

١٠ — فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

البيت كله كناية عن نشاط الحصان ، وقدرته على الاحتمال ، وهى تعطى المعنى بدليله الحسىّ من المعاداة ، والدرك ، وعدم العرق .

١١ — فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجَّل

« فظل طهاة اللحم » مفاجأة لم يمهد لها بذكر الصيد ، وهى مفاجأة جميلة ودخول الفاءات على الأفعال فى أبيات ثلاثة متعاقبة تدل على سرعة ما يحدث ، والفعل (ظل)

يفيد استمرار الطهاة فى أعمالهم مدة طويلة ، وفى البيت كناية عن كثرة لحم الصيد وتقسيم العمل والحركة والنشاط ؛ فقوم يشوون ، وقوم يطبخون ، وذكر (معجل) إشارة إلى أن الشواء يبطىء والقدير يسرع ، وأنهم يستحسنون فى رحلتهم أن يأكلوا ما غير الغلى من طعمه ، ويستطرفونه ويذكرونه فى شعرهم . وجمع الطهاة يدل على أن امرأ القيس مترف لا يرحل للصيد إلا بعدد من الناس يقومون بخدمته وإعداد الطعام كما يدل على أن الرحلة كانت تجمع عددا من الأصحاب والخلان .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — تشتمل أبيات امرىء القيس على أغراض ثلاثة من أغراض المعلقة التى اشتملت على : غزل ، وذكريات لهو ، ووصف الليل ، والوادى القفر ، والذئب ، والفرس ، والصيد ، والبرق ، والمطر . ولقد رأيت وأنت تقرأ الأبيات المختارة اختلاف عاطفة الشاعر بين الحزن والقلق فى وصف الليل ، والسرور والابتهاج فى وصف الفرس ، ورحلة الصيد ، وربما كان ذلك دليلا على أن امرأ القيس أنشأ معلقته فى أوقات مختلفة ، وحالات متباينة .

٢ — امرؤ القيس شاعر مصور يمتاز بالتشبيهات البارعة المستمدة من البيئة ، وكثير منها مبتكر لم يسبقه إليه أحد .

٣ — امرؤ القيس شاعر موهوب له قدرة فائقة على الوصف الدقيق والتصوير بالألفاظ .

٤ — عبارات امرىء القيس قوية النسج محكمة التركيب .

٥ — ألفاظ امرىء القيس فيها غرابة علينا لبعد الزمن بيننا وبين عصره .

٦ — يؤثر امرؤ القيس الأسلوب القصصى كلما أسعفته الأحداث .

٧ — الأبيات تصور بعض جوانب الحياة التى يحياها امرؤ القيس ، وتشير إلى همومه كما تشير إلى لهوه ومرحه .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — تصور أبيات امرىء القيس بعض جوانب الحياة فى العصر الجاهلى وهو حياة بعض الشباب الذين يعيشون عيشة مترفة بسبب الثراء والفراغ .

٢ — رحلة الصيد من وسائل اللهو والمتعة التى يسعى إليها المترفون : يمرحون ، ويصيدون ، وينصبون الخيام ، ومعهم الطهاة والخدم يعدون الطعام من لحم مشوى ، ومسلوق .

٣ — يعرض النص كيف يعتز أهل اليسار من العرب بالفرس ، ويفخرون بكرمه ؛ لأنه عماد الحرب ، وعدة الصيد ، وضرورة من ضرورات الحياة الناعمة .

٤ — ويعرض النص كيف أن الفتيات يطفن بالأصنام فى ثياب بيض ذوات أذيال سود .

٥ — يعتبر امرؤ القيس أمير الشعراء فى العصر الجاهلى ، ولعل من عوامل نبوغه نشأته فى نجد ، وهى بلاد مرتفعة وجميلة ، وأنه يقول الشعر من وحى عواطفه لا لمدح مفروض (ولا وصف مطلوب ، بل لتصوير خواطره) ، وقص ذكرياته (والإفصاح عما يستهويه من مشاهد) وما يؤثر فيه من أحداث .

٦ — معلقة امرىء القيس أشهر المعلقات وأجودها .

المناقشة

١ — قال امرؤ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطّى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

(ا) فى البيت الأول تشبيه ـ بين المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه ، وأداة التشبيه ، وأثر هذا التشبيه فى تحقيق هدف الشاعر .

(ب) اشرح الاستعارة فى البيت الأول ، وبين مدى تعاونها مع التشبيه قبلها .

(ج) ما فائدة قول الشاعر (بأنواع الهموم ليبتلى) ؟

(د) وضح الصورة فى البيت الثانى ، وبين هدفها .

(ه) لم ذكر الشاعر الأعجاز ، والكلكل ، ولم يكتف بالصلب فى البيت الثانى ؟

(و) ما علاقة البيت الثالث بما قبله ؟ ولم بدأ البيت بالحرف (ألا) ثم أعاده ؟

(ز) علام تدل العبارة (وما الإصباح منك بأمثل) ؟

(ح) ما الجمال فى ذكر الصبح بعد الليل ؟

(ط) لم نادى الليل ؟ ولم وصفه بالطول فى البيت الثالث ؟

٢ — فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

(ا) ما المقصود بقوله : (فيالك من ليل) ؟

(ب) ما علاقة هذا البيت بالبيت الذى سبقه ؟

(ج) اشرح الصورة فى هذا البيت ، وبين مكانها فى الإصطلاح البلاغى .
(ذ) لماذا خاطب الليل فى أول البيت ، ثم تحدث عنه غائبا فى سائره ؟
(ه) ما فائدة « كل » وماقيمة التعبير « بمغار الفتل » ؟

٣ — وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيـــد الأوابد هيـكل

(ا) « والطير فى وكناتها » كناية . بين علاقتها بما قبلها .
(ب) ما معنى « منجرد ـ هيكل » ؟
(ج) مالون الصورة البلاغية فى « قيد الأوابد » ؟ وما أثرها فى المعنى ؟
(د) هل لختام البيت بكلمة « هيكل » من قيمة بلاغية ؟ وضح ما تقول .
(ه) لم عبر بالفعل المضارع فى البيت ؟ ولم أكده بقد ؟

٤ — مكر مفر مقبل مدبر معـــا كجلمود صخر حطه السيل من عَـلِ

(ا) عين المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه فى البيت ، وبين أثر التشبيه فى المعنى .
(ب) ماذا من موسيقى التعبير فى الشطر الأول ؟
(ج) ما أثر قول الشاعر « معا » فى المعنى ؟

٥ — يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثقـــل

(ا) ما الهدف الذى يقصده الشاعر من هذا البيت ؟
(ب) مامعنى الخف ، وصهواته ، ولماذا جمع الصهوة ؟
(ج) قد يراد بأثواب العنيف العنيف نفسه ، وقد يراد أثوابه ـ بين المعنى عـــلى كلا الاتجاهين ، ثم فضل أحدهما مبينا سبب ما تقول .

٦ — له أيطلا ظبى وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

(ا) لم جعل للفرس أيطلى ظبى وساقى نعامة ؟
(ب) أيهما تفضل ؟ أتـكون الصـــور فى البيت استعارات أم تشبيهات ؟ . وضح سبب ما تقول .

٧ — فعنَّ لنا سربٌ كأن نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيّل ؟

(ا) ما معنى : عنّ ـ سِرب ـ نعاج ـ عذارى ـ دوار . ملاء ؟
(ب) فى البيت تشبيه ـ عين المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه .
(ج) بين كيف فهمنا من البيت أن ذيول الملاء سود .

٨ — فعادى عـــداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

(ا) ما معنى : عادى - دراكا - ينضح ؟
(ب) بين أن فى البيت كنايتين تتعاونان على هدف واحد .
(ج) ما فائدة توكيد الفعل بالمصدر « عداء » وما فائدة « دراكا » بعد هذا التوكيد ؟

٩ — فظل طهاة اللحم من بين مُنضج   صفيف شواءٍ أو قديرٍ معجَّل

(ا) لم لم يذكر قبل ذكر اللحم أنه صاد الثور والنعجة ؟ وما موقع هذا الصنيع ؟
(ب) ما قيمة الفاء فى هذا البيت مع الفاءين فى البيتين قبله ؟
(ج) لم عبر بالفعل « ظل » ؟
(ذ) بين الكناية فى قوله : من بين منضج صفيف شواء أو قدير ؟
(هـ) ماذا يفيد ختام البيت بقوله « معجل » ؟ وهل ترى فيه جمالا بعد ذكر منضج ؟ وضح ما تقول .

للنابغة الذبيانى

فى الاعتـــذار

الشاعر : هو زياد بن معاوية من ذبيان ، وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة ، فيمدحه ، وكان مقدما على جميع الشعراء عنده ، وجمع من عطاياه ثروة ضخمة ، ثم غضب عليه النعمان، لوشاية من شاعر منافس ، فهرب النابغة إلى الغساسنة ، فأكرموه ، لكن ذكريات النابغة فى الحيرة ، وحنينه إلى العهود القديمة ، وتألمه لنجاح منافسيه فى إقصائه عن النعمان ، جعله يلتمس طريقا إلى العودة ، فأخذ يعتذر للنعمان بقصائد كثيرة منها القصيدة التى اختيرت منها هذه الأبيات ، وكان لهذه القصائد أثر فى تخفيف حدة النعمان ، فعاد إلى الحيرة مرة أخرى ، وتوفى سنة ١٨ قبل الهجرة (٦٠٤) م .

النص

١ — أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّكَ لُمْتَنِي   وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ

(١ — ٢) أبيت اللعن : أى امتنع . اللعن : السب والشتم . والعبارة أسلوب دعاء معناه أدعو ألا تفعل ما يوجب الذم ، وهى تحية جاهلية . أهتم : يصيبنى الهم . أنصب : أتعب . العائدات : الزائرات فى المرض . هراسا : الهراس نوع من الشوك . يقشب : يخلط . ومعنى البيتين : بلغنى - وقاك =

٢ — فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْنَ لِي ... هَرَاسًا بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي وَيُقْشَبُ
٣ — حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
٤ — لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي وِشَايَةً ... لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْذَبُ
٥ — وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً لِيَ جَانِبٌ ... مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
٦ — مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ ... أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ
٧ — كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا
٨ — فَلَا تَتْرُكَنِّي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي ... إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
٩ — أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

= الله كل نقص تعاب به ـ أنك عاتب على ، وهذا ما يحزننى ويتعبنى ، فبت كأنى مريض أنام على فراش من الشوك .

(٣ - ٧) ريبة : شك . مذهب : طريق وملجأ . وشاية : حديث يراد به الإفساد . أغش وأكذب : أكثر الناس خداعا وكذبا . مستراد : مكان يرتاده الإنسان لطلب الرزق. أحكم فى أموالهم : أتخير منها ما أشاء . اصطنعتهم : اخترتهم لنفسك .

ومعنى الأبيات :

أقسمت لئلا أدع للشك سبيلا إلى نفسك ، وليس بعد القسم بالله شىء أقسم به وأتخذه وسيلة إلى براءتى عندك ، حلفت بالله لئن بلغك الوشاة الحاقدون أنى أخون ودك ، إنهم لأبعد الناس عن الصدق . أما إذا أخذتنى بلجوئى إلى الغساسنة ، فما أنا إلا رجل خاف فابتغى الأمن ، واحتاج فارتاد يطلب وسيلة الحياة ، فلم يجد مذهبا إلا مذهبهم فأجزلوا لى العطاء ، وقربونى فى مجالسهم ، وكان مثلهم معى مثلك فى صنائعك : أحسنت إليهم فعرفوا فضلك ، وأشادوا بذكرك ، فلم ترهم فى ذلك قد جاوزوا الحق ، فلم ترانى مذنبا ؟ .

(٨-١١) بالوعيد : بسبب الوعيد أى الإنذار والتهديد . القار : الزفت . مطلى به القار : مطلى بالقار . سورة : منزلة . دونها : أمامها . يتذبذب : يضطرب . مستبق : محتفظ به بالصفح عن =

١٠ — فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ
١١ — وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى البيتين الأول والثانى يفصح الشاعر عن الهموم التى تنتابه ، وآلامه التى يقاسيها ؛ لأن النعمان قد لامه . (١ — ٢)

٢ — وفى الأبيات الخمسة (٣ : ٧) يدافع عن نفسه ، فيذكر أنه مكذوب عليه ، وأن سعى الوشاة هو السبب فى غضب النُّعمان عليه ، ثم يوضح سبب لجوئه إلى الغسانيين ، ويبين سبب مدحه إياهم ، فيذكر إكرامهم له ، وتقريبهم إياه ، ويسوق برهاناً عقليا على صواب مسلكه .

٣ — وفى الأبيات الأربعة الأخيرة (٨ — ١١) يستعطف ، فيذكر أنه يشعر بالعزلة برغم حياة الرفاهة التى يحياها فى رحاب الغسانيين ، ويمدح النعمان مدحا يصل إلى مستوى المبالغة ، ثم يسوق بيتا يلفت نظر النعمان إلى الواقع فى طبيعة الإنسان ليقنعه باحتمال الناس على نقصهم وضعفهم الإنسانى . فأنت تراه فى أول النص يظهر ألمه استعطافا ، ويتبع ذلك

= زلاته . لاتلمه على شعث : لاتلمه أى لاتجمعه ولا تضمه . والشعث : التفرق والانتشار والفساد ، والمراد لاتحتفظ به على مافيه من عيوب .

ومعنى الأبيات :

إنى لأتمنى ألا تتركنى بسبب وعيدك إياى منبوذا ، يبتعد الناس عنى ويحذرونى كأنى جمل أجرب بين الجمال يعزل عن الإبل خشية إصابتها بالعدوى . وليس بعجيب أن يخشى الناس الاقتراب منى ، فإن الله قد أعطاك منزلة ، يتطلع إليها الملوك ، فلا يبلغونها ، بل يقفون دونها حائرين ، تتقطع نفوسهم حسرات فى خوف وحيرة وضعف واضطراب . وإنهم ليعلمون أنك فى سموهمتك ، وعلومكانتك ، ويأسهم من بلوغ منزلتك كالشمس غمرت الكون بضيائها فلا يبدو من الكواكب شىء فى ضوئها الساطع وأشعتها الغامرة ، لكنك مع هذه المنزلة العالية لا تستطيع أن تحتفظ بأشياعك وأنصارك إلا إذا غفرت ذنوبهم وصفحت عن سيئاتهم ؛ لأن المرء لايستطيع أن يستبقى إخوانه وأصدقاءه ملتفين حوله إلا إذا عفا عن زلاتهم ، وقبلهم على عيوبهم ؛ لأنه ليس بين الناس رجل خال من المعايب مبرأ من الشوائب .

بالدفاع ، ثم يعود إلى الاستعطاف يمزجه بالمدح توسلا إلى قبوله ، ثم يشير فى النهاية إلى أن الإنسان يعيش وحيدا فريدا إذا لم يغفر ذنوب إخوانه ؛ لأنهم لا مفر لهم ولا لغيرهم من مقارفة الذنوب ، فالأفكار مترابطة ، وليس فى الأبيات بيت إلا وله وظيفة تسهم فى تحقيق الهدف . ولذا كان لها تأثيرها القوى فى نفس النعمان .

التصوير والتعبير

١ — أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصب

٢ — فبت كأن العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى ويقشب

الشاعر فى رحاب الغسانيين يحرص على أخبار النعمان فى الحيرة ، ويشغل بها ، ويستخبر الرواة عنها ، وقد جاءته الرواية « أنه لامه » ، لكنه حين ذكر الفعل « أتانى » لم يذكر فاعله مباشرة ، بل جاء بجملة دعائية تعترض بين الفعل وفاعله هى « أبيت اللعن » وهى جملة دعائية تحمل كناية عن نبل النعمان وتنزهه عن إتيان ما يعاب عليه . وهذا الاعتراض ينبئ عن حرص النابغة على سرعة تخفيف حدة غضبه ، ليفتح قلبه تمهيدا إلى ما سيذكره بعد . واسم الإشارة « تلك » يشير إلى الحال المفهومة من الشطر الأول والإخبار باسم الموصول « التى أهتم منها » دليل على أن لوم النعمان هو كل همومه ، ولم يكتف بذلك بل قال « أنصب » ليدل على أنه سبب متاعبه . ويلاحظ أن فعل اللوم كان ماضيا ولكن أثره باق مستمر عبر عنه الفعلان المضارعان : أهتم ، وأنصب ، وهذان الفعلان يمهدان لتصوير الهموم فى البيت الثانى ، فالعائدات (الزائرات) وشأنهن أن يخدمن المريض ويتخذن الوسائل للتخفيف عنه لم يفعلن ذلك بل خلطن الفراش بالشوك ، ووضعن فوقه طبقة أخرى فهو ، يبيت مؤرقا لا يغمض له جفن ، ولا يهدأ له بال . والصورة كناية عن أرق المريض وألمه أبرزهما فى صورة حسية من شوك يختلط بالفراش ويوضع فوقه . والصورة بتركيبها هذا توحى بأن الشقاء يأتيه من حيث كان يتوقع السعادة ، وفيه تلميح إلى ما كان يأمل من عيشة هانئة راضية فى ظل النعمان بالحيرة ، فلاقى غير ما يأمل .

٣ — حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

٤ — لئن كنت قد بلغت عنى وشاية لمبلغك الواشى أغش وأكذب

البيتان متصلان ، واليمين فيهما واحدة ، فالبيت الثانى متصل بالفعل « حلفت » وما بعدها فى البيت الأول اعتراض ، كأنه يقول : « حلفت بالله لئن » ويقول « فلم أترك لنفسك ريبة مادمت قد حلفت والفاء تدل على ذلك . وقد نكر « ريبة » فى سياق النفى لتعميم نفى أى لون من ألوان الريبة « وليس وراء الله للمرء مذهب » أى ولا سيما إذا كان الحلف بالله . والعبارة كناية عن الحلف بالله لا بشىء آخر . وقدم الخبر « وراء الله » على الاسم « مذهب »

تأييداً لصدقه ، وتنكير مذهب بعد النفى بليس توكيد لنفى أى وسيلة من الوسائل يمكن أن تكون أعظم من الله فى اليمين وأدعى إلى التصديق .

والجملة كلها تقوم مقام تذييل للبيت الأول وقيمة التذييل فى توكيده القوى لمضمون ماقبله ؛ بإصدار حكم لانقض له فى جملة يعتبر معناها من المسلمات . وقد اجتمع الشرط والقسم فى البيت ، وقدم القسم ، ودليل ذلك اللام فى « لئن » . ولذلك كان الجواب للقسم : « لمبلغك الواشى أغش » ، وقد أكد الجواب مرة باللام ومرة باختيار الجملة الاسمية ، ليدل على أن الغش والكذب ثابتان فى هذا المبلغ . ولو عبر بالفعل لم يفد هذا المعنى ، ووصف المبلغ بالواشىء وهو مفهوم من الشطر الأول لتوكيد غشه وكذبه ، فكأنه يقول : هو غاش وكاذب ؛ لأنه واش . وأماذكر « كنت » و« قد » فى الشطر الأول فهو توكيد يثبت أن الأمر كله لايعدو وشاية كاذبة . ولعلك تلاحظ أن أغش وأكذب اسما تفضيل لم يذكر معهما المفضل عليه مع أنه واجب ، للإشارة إلى أنه ليس يشركه فى صفة الغش والكذب أحد ، وهذا كله يخدم قضية الشاعر عند النعمان .

٥ — ولكننى كنت امرأ لى جانب   من الأرض فيه مستراد ومذهب
٦ — ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم   أحكم فى أموالهم وأقرب
٧ — كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم   فلم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا

كان النابغة قبل هذه الأبيات ينفى أى ذنب وقع فيه ، ولكنه هنا يدافع عن عمل قام به فعلا ، وسوء فهمه ، ويفصح عن ذلك (ولكننى) واستخدام الفعل (كنت) للمشاكلة بينها وبين (كنت) فى البيت السابق . والتعبير بها أوكد من حذفها . وذكر (امرأ) يشير إلى أن أى إنسان غيرى كان يفعل ذلك لامحالة . وذكر (جانب من الأرض) ، وكان يمكن الاستغناء عنه إشارة إلى أن أرض الله واسعة ، وأنها لم تضق على فروجها حين غضبت على . والتعبير بقوله : (مستراد) يشير إلى السعة والرحابة ، لكن ختام البيت بقوله : (مذهب) وقد ختم بالكلمة نفسها للبيت الثالث فى القصيدة لايرتضيه النقاد ، وتنكير (مستراد) و (مذهب) يدل على أنه كان فى حالة لابد أن يبحث معها عن مكان ، أى مكان ، لطلب الحرية والرزق . لكن البيت السادس يفاجئنا بأنه وجد ملوكا ، ووجد إخوانا وكلمة الإخوان هنا جميلة جداً ؛ لالأن الملوك هم الإخوان ، ولكنها تشير إلى أنه لم يجد عند النعمان إخوة ، بل وجد فى أصحابه هناك وشاية ومنافسة وحقدا هى سبب نكبته . وجميل جداً أن يأتى الشاعر بإذا ، ثم يأتى بجوابها مضارعا (أحكم وأقرب) ، فالتعبير بهذين الفعلين فيه أمران : أولهما استحضار صورة التحكيم والتقريب استمتاعا بها ، والآخر الاستمرار والتجدد . وفى (أحكم) كناية عن كرمهم الغامر ،

وما أجزلوا له من عطاء لو خيِّر ما اختار أحسن منه . وإذا حاولت إعراب (ملوك) وعرفت أنها ركن جملة إسمية ، وبحثت عن الركن الآخر فلم تجده مذكورا عرفت أن الشاعر لم يهتم بالركن المحذوف ، وحسبه أن يذكر الملوك والإخوان فهذا ما يشغله ويعنى بذكره .

وفى البيت السابع يعقد الشاعر تشبيها ، فيشبه الغساسنة والإخوان الذين لقيهم فى غسان ، والشعراء الذين يلوذون بهم ، وينعمون بقربهم ، ويتلقون عطاياهم ، ويلهجون بالثناء عليهم دون خوف اتهام بذنب — شبههم بالنعمان ومن يصطنعهم . وما يستقبلون من عطاياه ، وما يقدمون من ثناء دون أن يلومهم ، أو أن يتهمهم بذنب . وهو يشبه هذا الموقف بهذا الموقف ليتخذه دليلا على أنه لم يذنب فيما صنع من مديح الغساسنة ، والتشبيه برهان مقنع لا مردّ له .

٨ — فلا تتركنى بالوعيـــد كأننى إلى النـاس مطلىّ به القار أجرب

ذكر الفاء ليرتب بها ما بعدها على ما قبلها ، والنهى المؤكد هو دعاء الملهوف الخائف المستعطف الحريص على الخروج من المأزق . وقوله (بالوعيد) يشعر بأنه بسبب الوعيد منبوذ ، ثم يؤكد هذا بالتشبيه الذى عقده بين حالته بعد الوعيد وقد تجنبه الناس لا يجرءون على الاقتراب منه ، وحالة الجمل الذى طلى بالقار لجربه ، فهو منبوذ معزول وحده لا يسمح للإبل بالاقتراب منه خوف العدوى ، والتشبيه الذى استمده من البادية يصور حالة من أوعده ملك قادر على الفتك ، وهو تشبيه موفق ملائم ؛ لأنه يستدر عطف النعمان عليه . ثم يذكر (إلى الناس) ؛ ليستحضر صورته بين الناس مقروناً بالجرب والقار فيزيد فى بشاعة الصورة . ولعلك تلاحظ أن الشاعر يقول : (مطلى به القار) وحقه أن يقول (مطلى بالقار) لكنه يريد أن يلفتنا إلى صورة القار الذى عمه حتى كأن أحدهما اختلط بالآخر ، وقد عبر عن الجرب مرتين مرة بالكناية فى (مطلى به القار) ومرة بالصراحة ، لزيادة بشاعة الصورة إمعانا فى الإفصاح عن شعوره بالضيق والضجر والحيرة بسبب الوعيد . وهو إلحاح فى استدرار العطف وطلب الصفح .

٩ — ألم تر أن الله أعطاك سـورة ترى كل ملك دونهـا يتذبذب

البيت كالدليل على أن الناس تجنبوا النابغة ، فمنزلة النعمان العالية التى تقترن بالسطوة والسلطان تحمل الناس على اعتزال النابغة والفرار من مصاحبته ، ولذلك بدأ البيت باستفهام هدفه تقرير هذه المنزلة وتوكيدها . وحين وصف المنزلة جعلها بعيدة عن متناول الملوك أنفسهم ، فجعلهم يتذبذبون دونها ، ويضطربون لخوفهم إياه من ناحية ، وعجزهم عن وصول منزلته من ناحية أخرى . وفى (يتذبذب) كناية عن الضعف ، والعجز ، والخوف .

١٠ — فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

يمضى الشاعر فى الموازنة بين النعمان وسائر الملوك ، والفاء تشعر بأن النابغة يذكر السر فى ذبذبتهم ، فيذكر أنه مع سائر الملوك كالشمس مع سائر الكواكب . ووجه الشبه مجاورة قوة كبيرة لقوة صغيرة ، واختفاء الصغيرة بجانب الكبيرة ، فقوة النعمان لا يذكر بجانبها قوة ملك آخر ، وضوء الشمس لا يبدو معه كوكب آخر والتشبيه دقيق محكم ، وإن كان فيه بعض المبالغة . ومن جمال التعبير فى البيت اقتران الفعل «طلعت» بالفعل «لم يبد» وتنكير كوكب فى ظلال النفى توكيد للمعنى .

١١ — ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟

البيت حكمة أو مثل يضرب وليس المخاطب به هو النعمان ، وهدفه فى هذا المقام بيان استحالة الكمال فى الإنسان ، وهذا من وسائل الاعتذار عن ذنب وقع . وقد يوهم البيت أن النابغة يرفع نفسه إلى مقام أخوة النعمان لكن ذلك يأباه موقف الاعتذار ، كما يأباه البيتان اللذان يقرران منزلة النعمان بالقياس إلى منزلة الملوك ؛ فإذا كانت منزلة الملوك فى هذا المستوى الذى ذكره ، فمن الحماقة أن يقول الشاعر : هكذا الملوك ، لكنى فوقهم فأرتفع إلى أن أكون أخالك ! وزيادة الباء فى خبر ليس لتوكيد نفى الخبر ، وتنكير الخبر فى سياق النفى توكيد آخر ، وتذييل البيت بقوله « أى الرجال المهذب » لتوكيد مضمون البيت بجملة محكمة المعنى لا تحتمل الجدال ، والاستفهام يقصد به النفى .

نظرة بلاغية

١ — اتخذ النابغة من وسائل الاعتذار ما يهيىء سبيل العفو عنه ، فقد جعل سخط النعمان عليه كالشوك يعلى به فراشه ويقشب ، واجتهد فى تبرئة نفسه بالقسم المؤكد ، وحين اعترف بمدح الغسانيين دافع عن هذا المدح متخذا من صنيع النعمان نفسه دليلا على سلامة مسلكه ، ثم أرضى النعمان إرضاء فجعله منفردا بمكانة تتقطع دونها أعناق الملوك . فلما استقصى كل الوسائل ، وخشى أن يكون قد بقى فى نفس النعمان شىء نفى الكمال عن الإنسان نفياً قاطعاً ، حتى يقبله النعمان على علاته إن كان لا يزال مخطئا فى رأيه .

٢ — ما نحسه من تدفق وانطلاق فى أسلوب النابغة فى هذه الأبيات يوحى بصدق الشاعر فى اعتذاره ، وحرصه على رضاء النعمان والعودة إليه ، ولعل سر الحماسة التى تشعر بها فى النص ما يحز فى نفس الشاعر من انتصار خصومه عليه فى بلاط النعمان .

٣ — الأبيات فى غرض واحد ، وتكاد تكون مترابطة متصلة كلها .

٤ — الصور مستمدة من البيئة ، وكلها موفق فى موضعه ، مؤد إلى تحقيق هدف النص

فى تعاون وانسجام ، فليس فيها ما يشعر بما يسمى تناقض الشعور

٥ — تمتاز عبارات الشاعر وألفاظه بالصفاء والنقاء .

نظرة أدبية

١ — عاش النابغة فى الحيرة ، وعاش فى غسان ، واتصل بالملوك ومدحهم ، فصار صاحب ثروة كبيرة ، وعاش عيشة ترف ، وشعره متأثر بممارسته بعض ألوان الحياة المتحضرة ، هذا كله جعله صاحب خبرة عميقة بأحوال الناس وعواطفهم وانفعالاتهم، ولولا ذلك ما كان قادراً على إجادة فن الاعتذار الذى يندر من يحسنه أو يوفق فيه .

٢ — من مظاهر الحضارة والبداوة معاً فى شعره أنه بينما يجيد خطاب الملوك ، ويحسن تحيتهم تراه يذكر الجمل الأجرب ، والطلاء بالقار ، والهراس .

٣ — كان النابغة من موضوعات التنافس بين الحيرة وغسان وقد سجل ذلك فى نصه .

٤ — يقرن النابغة فى الشعر إلى امرىء القيس ، وزهير ، والأعشى .

٥ — كان للنابغة منزلة عند شعراء عصره ، فكان إذا جاء عكاظ ضربوا له فى سوقها قبة من جلد ، وجاء الشعراء ينشدونه أشعارهم وقد أنشده الأعشى . وحسان بن ثابت . والخنساء ، وهذا شرف لم ينله من الشعراء سواه .

٦ — حين هرب النابغة إلى بنى غسان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر ملك الغساسنة فمدحه ، وما زال مقيما عنده حتى مات وخلفه أخوه النعمان ، فصار معه حتى اصطلح مع النعمان أبى قابوس صاحب الحيرة فعاد إليه .

٧ — الوشاية المشار إليها فى النص كان صاحبها المنخل اليشكرى الشاعر ، وكان قد وشى للنعمان بأن النابغة يتغزل فى المتجردة زوجة النعمان بصورة غير مقبولة .

٧ — بعض الرواة يعده من أصحاب المعلقات .

المناقشة

١ — قال النابغة :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى ... وتلك التى أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشن لى ... هراساً به يعلى فراشى ويقشب

(ا) فى « أبيت اللعن » كناية ، وضحها . وبين لم فصل بها بين الفعل والفاعل .
(ب) لماذا عبر بالمضارع فى أهتم وأنصب مع أنه عبر بالماضى فى « لمتنى » ؟
(ج) ما مرجع الإشارة فى « تلك » ؟ بين فائدة التعبير بالاسم الموصول .

(د) ما علاقة البيت الثانى بالبيت الأول ، وضح التصوير فيه ، وبين أثره فى تحقيق هدف الشاعر :

(هـ) وازن بين البيت الثانى وقول النابغة :

فبتّ كأنى ساورتنى ضئيلةٌ من الرُّقْش (١) فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ

٢ — حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى وشاية لمبلغك الواشى أغش وأكذب

(ا) بين علاقة البيت الثانى بالبيت الأول .

(ب) ما معنى « وراء الله » ؟ بين علاقة الشطر الثانى من البيت الأول بالشطر الأول منه

(ج) لم عبر بالماضى فى « بلغت » وعبر بالجملة الإسمية فى جواب القسم ؟

(د) لم حذف المفضل عليه فى أغش وأكذب ؟

٣ — فلا تتركنى بالوعيد كأنّنى إلى الناس مطلىٌّ به القارُ أجربُ

اشرح التشبيه فى هذا البيت ، وبين نوعه ، ورأيك فيه ؟

٤ — ألم تر أنّ اللهَ أعطاكَ سورة ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذب

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(ا) بم مدح الشاعر النعمان ؟ وهل ترى فى مدحه مبالغة ؟ بين ما تقول :

(ب) اشرح التشبيه فى البيت الثانى ، وبين أثره فى تحقيق هدف الشاعر .

(ج) ما علاقة هذين البيتين بما قبلهما ؟

٥ — ولست بمستبقٍ أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟

(ا) ما الهدف من هذا البيت ؟

(ب) ما المراد بالاستفهام فى آخر البيت ؟

(حـ) ما علاقة « أى الرجال المهذب ؟ » بما قبلها ؟

---

(١) ضئيلة من الرقش : نوع من الثعابين سمه قاتل .

لوعة وأسى

لِلْخَنْسَاءِ تَرْثِي أَخَاهَا صَخْراً

الخنساء : هى تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراه بنى سليم من مضر ، ومن أهل نجد ، وكان أخواها معاوية ، وصخر من سادات العرب ، وكان صخر أخاها لأبيها ، وقتل معاوية ؛ فحزنت لفقده ورثته ؛ ولما قتل صخر أخذت تنظم فيه المراثى، فكان أكثر قولها فى رثائه ؛ لأنه كان أشد عطفاً عليها ، وقد أدركت الإسلام ، واستنشدها رسول الله عليه السلام ، وأعجب بشعرها ، ومن قبل ذلك أنشدت شعرها على النابغة الذبيانى فى عكاظ ، فأعجب به . وعاشت حتى أدركت حرب القادسية ، وحرضت أولادها على الثبات فى القتال ، فلما حمى الوطيس تقدموا واحداً واحداً حتى قتلوا عن آخرهم ، فلما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم » .

وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية بن أبى سفيان سنة (٦٤٦ م) .

والنص التالى أحد مراثيها فى أخيها صخر .

النص

١ — يُؤَرِّقُنِي التَّذَكُّرُ حِينَ أُمْسِي ... فَأُصْبِحُ قَدْ بُلِيتُ بِفَرْطِ نُكْسِ

٢ — عَلَى صَخْرٍ ، وَأَيُّ فَتًى كَصَخْرٍ ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ، وَطِعَانِ خَلْسِ

٣ — فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءاً لِجِنٍّ ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءاً لِإِنْسِ

٤ — أَشَدَّ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ أَيْداً ... وَأَفْضَلَ فِي الْخُطُوبِ بِغَيْرِ لَبْسِ

٥ — وَضَيْفٍ طَارِقٍ أَوْ مُسْتَجِيرٍ ... يُرَوَّعُ قَلْبُهُ مِنْ كُلِّ جَرْسِ

(١ — ٦) يؤرقنى : يطرد النوم عنى ليلا . بليت : أصبت . فرط : شدة . نكس : عودة المرض بعد البرء منه . يوم كريهة : يوم حرب . طعان خلس : ضرب بحركة سريعة ماهرة يكاد يخفى لسرعته . رزء : مصيبة . صروف الدهر : مصائبه . الخطوب : الشئون المشكلة . أيد : قوة . لبس : شبهة . طارق : نازل ليلا . يروع : يصاب بما يفزع =

٦ — فَأَكْرَمَهُ وَأَمَّنَهُ ، فَأَمْسَى خَلِيًّا بَالُهُ مِنْ كُلِّ بُؤْسِ
٧ — يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْراً وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ
٨ — فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
٩ — وَلَكِنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولاً وَنَائِحَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسِ
١٠ — هُمَا كِلْتَاهُمَا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رُزْئِهِ أَوْ غِبَّ أَمْسِ
١١ — وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

═ جرس : صوت . خليا : غير مشغول . البال : الخاطر والقلب . بؤس : شقاء .

معنى الأبيات :

إذا جن الليل انهالت عليّ الذكريات ، وبت أتقلب على فراشي مسهدة مؤرقة ، ثم أصبح فإذا أنا أسوأ حالا كأنما أصابتني نكسة شديدة بعد برئي من علتي ، وذلك لحزني على أخي ، وليس مثل صخر فتى إذا اشتد الطعان ، واستمر القتال ، وليس مثل رزئه رزء أصاب الإنس أو أصاب الجن ، وما ذلك بعجيب فهو زين الشباب وأقواهم على مقارعة الخطوب ومواجهة النوائب . وكم من ضيف نزل عليه فهش له وأكرم مثواه ، وكم مستجير مستطار القلب ، موزع الخواطر منحه الأمن ، والاطمئنان ، فبات ناعم البال رخي الحال .

(٧ — ١١) عجولا : ثكلى مولهة . نائحة : باكية ترثي الفقيد . نحس : يوم كثير الشر : عشية رزئه : مساء اليوم الذي أصيب فيه . غب أمس : بعد أمس ، أي عشية بعد العشية التي أصيب فيها . التأسي : التصبر واتخاذ الأسوة في الصبر .

معنى الأبيات :

إن مثل صخر لا ينسى أبداً ، وإني لأتذكره حين تطلع الشمس ، وأتذكره حين تغرب ، فهو دائما في خاطري ، فالمصاب فيه فادح ، والفجيعة لا تحتمل ، ولولا أني أرى حولي كثيراً من الناس يبكون موتاهم ، ويرثون قتلاهم ، فأشعر بأن هذه سنة الدنيا — لقتلت نفسي أسى وأسفاً ، لكنني أرى — حيثما التفت — ثكلى مروعة بفقيد فجعت به في يومها ، أو نائحة محطمة القلب ترثي أخاً رزئت فيه في أمسها ، فهما كلتاهما لا تزالان تبكيان ، ولست أول امرأة أصيبت بفقد أخيها ، ولست آخر امرأة وإن لم تكن واحدة ممن يبكين — تبكي أخاً مثل أخي ، ولكنني أتأسى ؛ لأني أجد من مصائب غيري ما يخفف مصائبي .

═

١٢ — فَلاَ وَاللهِ لاَ أَنْسَاكَ حَتَّى أُفَارِقَ مُهْجَتِي وَيُشَقّ رَمْسِي
١٣ — فَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ أَبِي حَسَّانَ لَذَّاتِي وَأُنْسِي
١٤ — فَيَالَهْفِي عَلَيْهِ ، وَلَهْفَ أُمِّي أَيُصْبِحُ فِي التُّرَابِ وَفِيهِ يُمْسِي

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى الأبيات الستة الأولى (١ — ٦) تصور الخنساء فداحة مصابها فى أخيها ، وترثيه ، فتذكر من مناقبه أنه ليس كمثله أحد فى خوض المعارك وطعان الأعداء ، كما تذكر قوته وصلابته على الأحداث ، وأنه أقدر الناس على حل المشكلات ، ورؤية الطريق بلا شبهة تعرض له ، وأنه كريم كثير القرى ، وأنه يجير من يستجير به : فيأمن بعد خوف ، ويهدأ بعد اضطراب .

٢ — وفى الأبيات (٧ - ١١) تصور الخنساء إلحاح الذكريات الأليمة عليها فى الليل وفى النهار ، وتذكر ما يؤسيها فى مصابها ، من باكيات يبكين ، ونائحات يرثين ، وأنها لولا ذلك لقتلت نفسها ، وإن كن لايبكين مثل صخر ، ولكنها الأسوة والقدوة .

٣ — ثم أكدت فى الأبيات (١٢ - ١٤) أنها لن تنسى صخراً حتى تفارق الحياة ، وأنها فارقت بموته كل لذة ، وتحسرت على أن يكونِ صخر رهين قبره كل صباح ومساء .

التصوير والتعبير

١ — التعبير فى البيت الأول بالنكس عن معاودة الذكرى استعارة تصريحية لما فى النكس والذكرى من ألم ومعاناة للوعة الأسى . واقتران الإصباح والإمساء مقابلة هدفها التعبير عن شمول الشقاء جميع الأوقات . وفى بليت ، وفرط ، بعد يؤرقنى إيحاء بعمق الحزن والأسى .

(١٢ - ١٤) مهجتى : نفسى وروحى . رمسى : قبرى . أبى حُسان : كنية صخر . لهفة : حسرة .

معنى الأبيات :

فلست أنساك ياصخر والله حتى أفقد حياتى ، وأوارى فى التراب ؛ لأنه لاقيمة لحياة تخلو من كل لذة وكل بهجة . فياحسرتا عليه ! وإنها لحسرة قاتلة أن يغيب صخر فى قبره فلا يفارقه فى الصباح ، ولا يفارقه فى المساء .

٢ — والبيت الثانى وثيق الصلة بالبيت الأول . والاستفهام فى قوله « أى فتى كصخر؟» للتعظيم ، والتشبيه المنفى فى أسلوب الاستفهام هدفه نفى تشبيه أى فتى من الفتيان بصخر فى شجاعته ومهارته فى القتال . و «يوم كريهه» كناية عن الحرب تصور بشاعتها وآلامها ، وهو تعبير قوى وجميل ؛ لأنه يدل على المعنى «الحرب» تلميحاً ، ويذكر دليل المعنى « كراهة الحرب » تصريحاً . و « طعان خلس » كناية عن الفروسية إذا اشتدت المعركة وضاق المأزق . وتكرار « صخر» جميل جداً فى هذا المقام ؛ لأنه إفصاح قوى عن حرارة الحزن ، وأن الشاعرة تجد اسمه على قلبها برداً وسلاماً .

٣ — وفى البيت الثالث تشبيهان منفيان . الأول نفت فيه الشاعرة أن تكون هنالك فجيعة مثل فجيعتها فى عالم الجن ، والثانى نفت فيه أن تكون هناك فجيعة مثل فجيعتها فى عالم الإنس وفى كلا التشبيهين مبالغة دفع إليها الحزن المحرق ، وهى مقبولة لذلك ، ولقولها : «فلم أر » ؛ لأن نفى الرؤية يخفف من وقع المبالغة ، وسبب ذلك أن نفى الرؤية ليس نفياً قاطعاً لحدوث المنفى بعدها . وقولها « مثله » أى مثل رزئه ، وهو لون من المجاز .

٤ — وفى البيت الرابع نجد اسمى تفضيل لم يتبعهما المفضل عليه ، وهما أشد وأفضل ، والتعبير يشعر بأن أحداً لايشارك صخراً فى الأيد والفضل ، أو أن المفضل عليه هو نفسه فى أحواله المختلفة كأنه يقول : إن شدة أيده وفضله لايبرزان فى تمام أحوالهما إلا مع صروف الدهر ، وعند نزول الخطوب ، وهذا أمدح له ، وأدل على كمال البطولة فيه ، و « بغير لبس » تدل على أن الشطرين ليسا بمعنى واحد ؛ لأن الشطر الأول يصف قوته الجسمية والخلقية ، والشطر الثانى يشير إلى قوة بصيرته واجتماع رأيه ، وأن عقله يهديه إلى الصواب فينطلق كالسهم إليه لاتعوقه شبهة ولا يعترضه تردد .

٥ — وفى البيت الخامس تعبر بقولها « يروع قلبه من كل جرس » عن أنه مطارد مفزع تهجم عليه الخواطر السيئة والهواجس المخيفة والتعبير كناية جميلة عن الفزع مصحوبة بدليل هذا الفزع ، وهو الخوف من كل صوت يسمعه ؛ لأنه يظنه صوت عدو يطارده .

٦ — وفى البيت السادس يجعل الإكرام والتأمين للضيف الطارق والمستجير ؛ لأن الضيف الطارق فى البادية خائف أيضاً مثل المستجير . والضمير فى « أمسى » لكل منهما . و « أمسى خلياً باله » كناية عن الاطمئنان والهدوء . والبيت يصور حالة تقابل الحالة فى البيت الخامس مقابلة تبرز أثر صخر ، وحسن صنيعه ، ومكانته بين الناس .

٧ — البيت السابع كله كناية عن تجدد الأسى فى أول كل نهار وآخره ، وهى توحى باستمراره بياض كل نهار وسواد كل ليل ، ويؤكد هذا الاستمرار التعبير بالفعل المضارع

فى شطرى البيت . وبين الطلوع والغروب تقابل فيه موسيقى حزينة مصدرها التوازن بين المعنى واللفظ .

٨ — البيت الثامن كناية عن التأسى والتصبر ، و « قتلت نفسى » كناية عن الضيق بالحياة وبغضها والشعور بتفاهتها بعد صخر .

٩ — بدء البيت التاسع بقولها « ولكن » استدراك على « قتلت نفسى » ، وماجاء بعد « لكن » يكاد يكون تكراراً لما قبلها أو تفصيلا له وتوضيحاً . ولو قالت : « فإنى » بدل « ولكن » لكان أجمل . وذكر النائحة بعد العجول استقصاء لدرجات الحزن ، فالعجول رمز للحزن الثائر العنيف ، والنائحة رمز للحزن الهادىء العميق ، فذكرهما معاً يوحى بأنها تريد الثكالى جميعاً .

١٠ — وقولها فى البيت العاشر « عشية رزئه أو غب أمس » كناية عن قصر مدة الحزن ، وبين « عشية رزئه » و « وغب أمس » مقابلة تؤكد المعنى .

١١ — وفى البيت الحادى عشر تشبيه منفى أداته مثل أى ما يبكين أخا مثل أخى . « وأعزى النفس بالتأسى » تلخيص للأبيات الأربعة (٨ — ١١) .

١٢ — « أفارق مهجتى » فى البيت الثانى عشر استعارة مكنية توحى باشتداد الجزع وعصفة الألم ، وأنها لاتحتمل أن تحيا وصخر تحت أطباق الثرى ، « ويشق رمسى » كناية تؤكد الاستعارة . والحرف « لا » فى أول البيت ينفى فعلا محذوفاً تقديره « لاأنساك » ثم يكرره مع القسم توكيداً للمعنى الذى تقصده ونفياً لما يتوهم من نسيانها أخاها مثل سواها من الباكيات .

١٣ — البيت الثالث عشر تعليل لعدم النسيان المقسم عليه . وفى « ودعت لذاتى » استعارة مكنية توحى بأن صخراً أبا حسان هو مصدر لذاتها وسبب أنسها . والتعبير بأبى حسان بعد صخر : تعظيم له كعادة العرب فى تكنية من يعظمون . وذكر الأنس بعد اللذات إشارة لاجتماع المتع النفسية إلى اللذات الحسية بوجوده ، ونفيهما معاً بعد مماته .

١٤ — وفى البيت الرابع عشر نداء للتحسر والتعجب . وعطف « لهف أمى » على « لهفى » صيحة ثائرة لا تصدر إلا عن امرأة والهة ، وربما كان فى ذكر الأم ما يوحى بأن أمها (وهى ليست أمه) مثلها فى حسرتها ، وهو إيحاء بشمول الأسى ، وأسلوب الاستفهام فى آخر البيت للتعجب والتحسر ، ويزيد فى هذا المعنى المقابلة بين يمسى ويصبح .

نظرة بلاغية

١ — موضوع النص الرثاء ، وقد مزجت الخنساء فيه بين بكاء أخيها وذكر مناقبه .

ووازنت بين لجيعتها ولجيعة غيرها موازنة تبين مكانة صخر فى مجتمعه .

٢ — لم تعتمد الخنساء فى تصوير إحساسها على الصور الخيالية بقدر ما اعتمدت على صدق التعبير عن عاطفة المرأة المحزونة تعبيراً يثير الأشجان ويحرك إحساس الفقد عند بنى الإنسان .

٣ — طغيان عاطفة المرأة دفعها إلى بعض المبالغة المقبولة من مثلها ، كما دفعها إلى بعض التكرار .

٤ — هذا النص نموذج يبرز بعض خصائص أدب المرأة من سيطرة العاطفة ، ورقة اللفظ ، ووضوح العبارة ، وتكرار المعنى .

نظرة أدبية

١ — من رثاء الخنساء ، وما ذكرت من مناقب صخر تبدو بعض صفات الفتى المثالى التى يعتز بها العرب .

٢ — الرثاء أشهر غرض عرفت به الخنساء ، وفيه تبدو خصائص شعرها كله .

٣ — يدل النص على ماكان من صدق المودّة بين أفراد الأسرة ، وإن لم تكن الأم واحدة .

المناقشة

١ — قالت الخنساء :

يؤرقنى التذكر حين أمسى ... فأصبح قد بليت بفرط نكس
على صخر وأى فتى كصخر ... ليوم كريهة وطعان خلس
فلم أر مثله رزءاً لجن ... ولم أر مثله رزءاً لإنس

(ا) ماذا فى استخدام « نكس » من بلاغة ؟ (ب) بين سر الجمال فى ذكر « أمسى ، وأصبح » . (حـ) ما المقصود بالاستفهام فى البيت الثانى ؟ (د) ما قيمة « خلس » فى المعنى ؟

(هـ) بين رأيك فى تكرار اسم « صخر » . (و) بين الحكمة فى ذكر الجن مع الإنس ، وفى تقديم الجن .

٢ — أشدّ على صروف الدهر أيْداً ... وأفضل فى الخطوب بغير لبس

(ا) ما معنى « على » فى البيت ؟ (ب) بين القيمة الأدبية لقول الشاعرة « بغير لبس » .

(حـ) لم حذفت المفضل عليه فى البيت ؟ (د) هل ترى تكراراً فى البيت ؟ وضح ما تقول :

٣ — فى البيتين الخامس والسادس وازنت الشاعرة بين حالتين مختلفتين . وضح ذلك مع بيان قيمته البلاغية .

٤ — يذكرنى طلوع الشمس صخرا   وأذكره لكل غروب شمس

(ا) لماذا تذكر الخنساء أخاها فى هذين الوقتين ؟

(ب) بين جمال التعبير فى البيت .

٥ — عين الأبيات التى ذكرت الخنساء فيها أسباب التأسى ، وبين هذه الأسباب .

٦ — فلا والله لا أنساك حتى   أفارق مهجتى ويشق رمسى
فقد ودعت يوم فراق صخر   أبى حسـان لذاتى وأنسى
فيالهفى عليـه ولهف أمى   أيصبح فى التراب وفيه يمسى

(ا) ما قيمة « يشق رمسى » بعد « أفارق مهجتى » ؟

(ب) ما المنفى بقوله « فلا » فى أول البيت ؟

(ج) ما فائدة ذكر « أبى حسان » بعد ذكر صخر ؟ وما فائدة أنسى بعد لذاتى ؟

(د) بين أن لقول الشاعرة « ولهف أمى » دلالة خاصة .

(ه) وضح الغرض البلاغى من الاستفهام فى البيت الأخير .

النثر الجاهلي

طريق السيادة والشرف

ذو الإصبع العَدْوانى يوصى ابنه أُسَيْدًا

الأديب : شاعر حكيم خطيب معمّر ، واسمه حرثانُ بن محرِّث ، ولقِّب بذى الإصبع ؛ لأن أفعى نهشت إبهام رجله فقطعتها ، وقد توفى سنة ٦٠٢ م وهو هنا يوصى ابنه أسيدا حين كبرت سنه ، وحضرته الوفاة كما يفعل حكماء العرب حين يوصون أبناءهم بوصاياهم المستخلصة من خبراتهم الخاصة وتجاربهم فى الحياة ؛ لينتفعوا بها فى معاملتهم للناس ، وليتهيئوا بها للسيادة إن كان آباؤهم سادة يحرصون على أن تبقى السيادة فى أسرهم ، وهكذا فعل ذو الإصبع العَدْوانى . « عدوان قبيلة مضرية » .

النص

يَا بُنَيَّ : إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ الْعَيْشَ(١) ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ (٢) ، فَاحْفَظْ عَنِّي : أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ(٣) ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ(٤) ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ(٥) ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ

---

(١) فنى : مات . سئم : ملّ ومعنى العبارة : إنى ـ يابنى ـ قدعشت طويلا ، واستمتعت بالحياة ، حتى مللتها ، وأصبحت حيا كالميت ، ولم يعد لى فى الدنيا مأرب ، لكنى استفدت خبرات عميقة ، وتجارب واسعة ، وعرفت ماينفع ، وما يضر .

(٢) حفظته : علمته وعملت به . ما بلغته : أى من السيادة . ومعنى العبارة : وإنى ـ يا بنى ـ لأَضِنُّ بتجاربى وخبرتى على الضياع ، وأرى أن تستفيد بها ، وإنى لشديد الحرص على أن تكون مثلى فى قومك ، وإنك لقادر على ذلك إذا أنت سمعت قولى ، واستجبت له ؛ لتبلغ ماأريدلك من منزلة .

(٣) ألن جانبك : كن رفيقا أى إن تعاملهم برفق تستعبد قلوبهم .

(٤) تواضع : التواضع ضد التكبر ، والمعنى إن تظهر لهم أنك مثلهم ، وأنك لست أعلى منزلة منهم أعلوا من قدرك ، وأنزلوك فى قلوبهم منزلة علية .

(٥) أبسط وجهك : أى تهلل وكن متلألىء الوجه باسما . والمعنى : كن بشالهم فى حديثك ولقائك ، يستجيبوا لما تريد .

عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَسُوِّدُوكَ (٦) ، وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ ، يُكْرِمْكَ كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبَرْ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ (٧) .

وَاسْمَحْ بِمَالِكَ (٨) ، وَاحْمِ حَرِيمَكَ (٩) ، وَأَعْزِزْ جَارَكَ (١٠) ، وَأَعِنْ مَنِ اسْتَعَانَ بِكَ (١١) ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ (١٢) ، وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ ، فَإِنَّ لَكَ أَجَلاً لاَ يَعْدُوكَ (١٣) ، وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئاً (١٤) ، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدُدُكَ (١٥) .

الدراسة والتحليل

الأفكار

يشتمل النص على :

١ — تمهيد هدفه أن يستميل ذو الإصبع قلب ابنه إلى النصيحة حتى يستجيب لها ، ويفيد منها ، وقد أشار فيه إلى أنه يودع الحياة ويستقبل الموت ، ويودّ لو يطمئن إلى أن ابنه سيكون خلفا صالحا له فى قومه ، وأنه سيكون امتدادا له فى الدنيا يستفيد بتجاربه الواسعة وخبراته العميقة التى كسبها فى حياته الطويلة وقد استماله بباعث اجتماعىّ يغريه بالاستجابة ، وهو بلوغه منزلة أبيه فى قومه ، وهى منزلة عظيمة لا ينالها إلا إذا سمع ماسيذكره ، وعضّ عليه بالنواجذ ، واتخذه نبراساله فى الحياة .

---

(٦) تستأثر عليهم بشىء : تستبد به وتخص نفسك . يسودوك : يجعلوك سيدا عليهم .

(٧) أكرم صغارهم : أظهر لهم الإعزاز : والمعنى : عظم الكبار . وقرب الصغار ، واحترمهم جميعاً ، يحترمك الكبار ، ويعظموك ، ويؤيدوك ، ويكونوا من أنصارك ، ويشب الصغار على حبك ، ويكونوا من أشياعك .

(٨) اسمح بمالك : كن سخيا جوادا عن رضا وارتياح . (٩) حريمك : الحريم كل مايجب عليك حمايته من أهل ، ومال ، ووطن . والمعنى : كن أبيا عزيزا ، حريصا على صيانة عرضك وشرفك ، ودافع عن وطنك وقومك . (١٠) أعزز جارك : ارع حقه وأكرمه ، ودافع عنه . (١١) كن عونا للضعيف ببذل الجهد ، والمال .

(١٢) إكرام الضيف فى البادية بتقديم القرى ، وتوفير الاطمئنان له ، وإبلاغه مأمنه .

(١٣) النهضة : القيام والاستعداد . الصريخ : الاستغاثة (مصدر) . أجلا : وقتا للموت . لايعدوك : لايتجاوزك . والمعنى : بادر إلى نجدة من يستغيث بك ، ولا تخش موتا ، فإن لك أجلا لاتتقدم عليه بالشجاعة ، ولاتتأخر عنه بالجبن . (١٤) مسألة : سؤال ، أى ترفع عن ذل السؤال ومهانة الطلب . (١٥) بذلك : اسم الإشارة يشير إلى ماتقدم من صفات وأعمال . سؤددك : شرفك ، ومجدك ، والمعنى : أن هذه الأعمال المذكورة هى طريق الشرف ، والسيادة الكاملة .

٢ — ثم بدأ الوصية ، وقد جعلها قسمين : الأول يتصل بذوى القربى الأدنين من قبيلته وعشيرته ، وذكر فيه لين الجانب ، والتواضع ، وبسط الوجه فى الحديث ، واللقاء ، وإشراكهم فى ماله وفى نعمته ، واحترام الكبار والصغار منهم .

٣ — والقسم الثانى من الوصية لايقتصر على قومه ، بل يوجهه فيه إلى التحلى بصفات تؤهله إلى السيادة العامة ، فذكر الكرم ، وإباء الضيم بالذياد عن الوطن ، والأهل ، والشرف ، ومعرفة حق الجار ، وبذل المعونة لمن يحتاج إليها ، وإكرام الضيف ، والمسارعة إلى غوث من يستغيث ، والترفع عن إراقة ماء الوجه فى سؤال الناس .

٤ — ثم رتب على الاستجابة لهذه الوصية نتيجة هامة تؤكد الحث على الاستمساك بمكارم الأخلاق ، وهى تمام المجد والشرف (فبذلك يتم سؤددك) .

التصوير والتعبير

١ — بدأ ذو الإصبع وصيته بقوله : « يابنى » ولم يقل « يا أسيد » ، ليبين أن البنوة هى علة حرصه على الإيصاء . وصغّره لتدليله ، وللإشارة إلى شدة حنوه عليه وقربه من قلبه استمالة له ، وحفزا له على الاستجابة لمحتويات الوصية ، ومدّ صوته بالحرف « يا » ليوقظ فيه عاطفة البنوة التى تستوجب الطاعة ، والانتباه ، والاحتفال بما يقول .

٢ — ثم يقول : « إن أباك » ليقرن الأبوة إلى البنوة ، ويجمع بين طرفى الخطاب ، ويوازن بينهما ليؤكد الرابطة حتى تقع النصيحة موقعها من نفس أسيْد .

٣ — ويقول : « قد فنى وهو حىّ » فيعبر عن الشيخوخة بالفناء على طريق الاستعارة ، ليمتد خيال ابنه إلى حالة الوفاة ، ويثير فيه معنى الفقدان ، وحرمان الأبوة ، فيرق قلبه ويشفق ؛ ليحرص على حديث الوالد الشفيق قبل الفراق الوشيك . ويقرن لفظ الفناء بلفظ الحياة ليثير الانتباه ، والعجب ، والتفكير فى حال أبيه الذى يودع الدنيا بين الحياة والموت ، ويرى ابنه موضع أمله ، ومناط رجائه ، ووسيلة امتداده بعد الموت .

٤ — « وعاش حتى سئم العيش » كناية عن طول العمر والرغبة فى الراحة ، والتطلع إلى خليفة صالح يحمل التبعة ، ويقدر على الوقوف فى موقع القيادة ، والحديث عن نفسه بصيغة الماضى للإيحاء بأنه صار من حديث الماضى الذاهب ، لإثارة أسيد ، وإشعال رغبته فى وصية أبيه .

٥ — « وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغت » : هنا يتحدث حديث المتكلم تنويعا للإثارة ، والتشويق ، والإيقاظ ، والإشارة إلى أنه لا يزال حيا ، يقظ العقل ، قادرا على إسداء النصح .

والأسلوب خبرى غرضه الحث على العمل بالنصيحة . وقد أكد ذلك بالأمر فى قوله :

« فاحفظ عنى » . ولم يأمره إلا بعد أن اطمأن إلى أنه سيصغى .

وذكر « عنى » كأنه يقول : عن الخبير بوسائل السيادة .

٦ — « ألن جانبك لقومك يحبوك » : لين الجانب كناية عن الرفق فى الحديث والمعاملة . والعبارة أسلوب أمر وجوابه ، وهو كأسلوب الشرط كأنه يقول : « إن يلن جانبك لقومك يحبوك ، وجواب الأمر مجزوم كجواب الشرط ، وهو هنا علة الأمر ، وهدفه وثمرته .

٧ — « وتواضع لهم يرفعوك » والجواب هنا ـ أيضا ـ هدف الأمر وما يرجى من وزائه ، والمقابلة بين الأمر والجواب يثير الدهشة من أن يكون الشيء مؤديا إلى ضده ، ويدعو إلى التفكير فى هذا الأمر العجيب بجوابه المضاد .

٨ — « وابسط لهم وجهك يطيعوك » : بسط الوجه كناية عن السرور والرضا والبشاشة . والطاعة هى الثمرة المرتجاة ، والجار والمجرور « لهم » ، لإشعارهم بأن البهجة بسبب لقائهم وهذا يؤثر فيهم .

٩ — «ولاتستأثر عليهم بشيء يسودوك » : يسودوك جواب النهى . وجوابه كجواب الأمر يجزم كأنه يقول : إن لا تستأثر عليهم يسودوك ، وجعل السيادة وهى غاية الوصية ثمرة لإشراك أسيد قومه فى ماله ونعمته إشارة إلى أثر المال فى النفوس ، ولا سيما فى البيئة الفقيرة . وتنكير « شيء » بعد النهى للحرص على عدم الاستئثار بأى شيء مهما يكن صغيرا ولاحظ النغم الموسيقى بين : يحبوك ، يرفعوك ، يطيعوك ، يسودوك . فهذا التنغيم له أثر فى قبول النفوس مايلقى إليها من نصح يستثقله الشباب عادة ، ميلا إلى الاستقلال فى الفكر والاتجاه .

١٠ — وتشبيه إكرام الصغار بإكرام الكبار بقوله « كما تكرم كبارهم » حكمة من ذى الإصبع تدعو ابنه إلى بعد النظر لإعداد جيل يتشيع له . واقتران الكبار بالصغار مقابلة تدعو إلى التسوية بين الناس جميعهم فى الإكرام . وإلى هنا نلاحظ أن ذا الإصبع يذكر ثمرة كل مايوصى به إغراء ، ومطالبة بالحرص عليه ، ويبدو من ذلك أن ذا الإصبع أكثر اهتماما بمكانة ابنه فى قومه .

١١ — «واسْمَحْ بمالك ، واحم حريمك » هنا بدأ يطالب إلى ابنه أن يتجمل فى نفسه بالمحامد التى تؤهله للسيادة العامة بعد السيادة فى قومه . والسماح بالمال ليس مجرد الإعطاء بل الإعطاء الذى لايبتغى من ورائه غرضا إلا سد حاجة الناس : وبينا يطالبه بالسماح بالمال

يسارع إلى مطالبته بالبخل بعرضه وشرفه ، كأنه يقابل بين أمرين أحدهما يجب بذله فى سماحة وسهولة والآخر يجب صيانته فى حرص وشدة .

١٢ — « وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك » : ذكر إعزاز الجار بعد حماية الحريم ؛ لأن الجار من الحريم بالقياس إلى السادة . ثم يردف الأمر بإعانة من يستعين ؛ لأن الجار ، أول من يستعين ، وأحق من يعان ، لكن الأمر عام .

١٣ — « وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريخ » : وبعد ذكر الجار ذكر الضيف ؛ ليكون فضله فى القريب وفى البعيد ، وليس هذا تكراراً لقوله « واسمح بمالك » ؛ لأن المطالبة بالسماح عامة لذوى القربى وسواهم . وقد قرن النجدة بإكرام الضيف ؛ لأنها بذل للجهد ، والإكرام بذل للمال ، وهما أمران لا يزالان يقترنان فى مدح سادة البادية .

١٤ — « فإن لك أجلا لايعدوك » : يعلل الأمر بالإسراع إلى النجدة اهتماماً بها ؛ لأنها دليل الشجاعة والمروءة ، وذو الإصبع حريص على اتصاف ابنه بهما . وفى العبارة استعارة مكنية جعل فيها الأجل سهما يصيب هدفه : لاينحرف ، ولا يتجاوز ، ولا يقصر ، وأثر هذه الاستعارة عميق فى الحرص على النجدة ومجانبة الجبن .

١٥ — « وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا » فى صيانة الوجه استعارة مكنية : شبه فيها الوجه بالثوب الذى يصان ، ويحفظ فى الصوان . وتنكير أحد وشيئا حرص على صيانة الوجه عن ذل السؤال .

١٦ — « فبذلك يتم سؤددك » هذا ختام للوصية ، والإشارة إلى كل ما تقدم ، وهذا الختام تذييل لتوكيد أثر ما تقدم كله فى بلوغه السيادة الكاملة ، وقال : « يتم » ، ولم يقل « يكون » إشارة إلى أن سيادته موروثة ، ومجده تليد ، لكنه لا يتم إلا بالمجد الطريف من صنع ابنه .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — لم يفاجىء ذو الإصبع ابنه بوصاياه ، بل مهد لها ليهىء نفسه لقبولها وهذا يدل على خبرة الموصى بطبيعة النفس الإنسانية ونفورها من النصيحة الآمرة ؛ ولذلك لم يأمره إلا بعد استماله ، واطمأن إلى أن قوله سيجد سمعاً مصغياً ، وقلباً واعياً ، وجعل مقدمته التمهيدية بالأسلوب الخبرى الهـــادىء الذى يستمد صدقه من موقف من يودع الحياة ، ويستقبل الموت .

٢ — كلا الأسلوبين الخبرى والإنشائى فى الوصية غرضه النصح والإرشاد .

٣ — علل ذو الإصبع لأكثر وصاياه بذكر أهدافها ، وثمرتها إغراء بها ، ومطالبة بالحرص عليها . وأكدها أخيراً بجملة تلخص كل ما فيها .

٤ — قوام الوصية جمل قصيرة متتابعة موجزة محكمة النسج والتركيب ، واضحة مع إيقاع موسيقى جميل له أثر فى نفس السامع والقارىء .

٥ — تتجلى عاطفة الأبوة فى جميع أجزاء الوصية ، لكنه لم يستعن على إظهارها بوسائل الخيال بل بالتعبير الصادق عن الواقع .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — يبرز النص شخصية الوالد الحكيم الذى يحرص على أن يرث ابنه مكانته فى قومه ومجتمعه .

٢ — أدب الوصية يعتمد على القول الحكيم يوجهه المجرب الخبير إلى من يؤثره ويرجو له النجاح فى الحياة .

٣ — سمات الأسلوب فى هذه الوصية يشير إلى مميزات النثر فى العصر الجاهلى من إيجاز ، وتركيز ، وحشد للفكر ، وقلة عناية بالترتيب المنطقى وسبب ذلك يكمن فى أن أهل العصر الجاهلى يعوزهم التسجيل ، والتدوين ، والثقافة العميقة ، وذلك يدعو إلى أن يكون النثر موجزاً ليعلق بالصدور ، ويذيع على الألسن .

٤ — ترسم الوصية طريق السيادة للعربى فى البادية ، وهو كسب لقلوب العشيرة أولا ، ثم الاتصاف بالمحامد التى تعتبر مقومات لكل سيد فى كل بيئة .

المناقشة

١ — « يا بنى إن أباك قد فنى وهو حى » !

(ا) لم قال « يابنى » ولم يقل « ياأسيد » ؟

(ب) لم قال « إن أباك » ولم يقل « إننى » » ؟

(ج) ماذا من الجمال فى قوله : « قد فنى وهو حى » ؟

(د) ما الغرض البلاغى من الخبر فى هذه العبارة ؟

٢ — وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك .

(ا) بين جمال التعبير فى جواب الأمر « يرفعوك » .

(ب) ماذا من البلاغة فى قوله : « ابسط وجهك » ؟

(ب) ما فائدة قوله : « لهم » فى قوله : « وابسط لهم وجهك » ؟
(ج) ما الموسيقى الناشئة من عطف الجملتين فى هذه العبارة ؟

٣ — وأسرع النهضة فى الصريخ ، فإن لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سؤددك » ؟

(ا) ما معنى الصريخ ، يعدوك - مسألة . سؤدد ؟
(ب) ماذا من الخيال فى قوله « فإن لك أجلا لايعدوك » ؟ بين الجمال فيه .
(ج) فى « صن وجهك » استعارة ، وضحها وبين أثرها فى المعنى .
(د) ما القيمة البلاغية فى ختام الوصية بقوله : « فبذلك يتم سؤددك » .
(ه) لم قال « يتم سؤددك » ؟ ولم يقل « يكون سؤددك » ؟

إكرام الحجيج

لهاشم بن عبد مَنَاف

الخطيب : هو عمرو بن عبدمناف . والد عبدالمطلب جدالرسول عليه السلام ، وكان العرب قبل الإسلام يحجون بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم وإسماعيل . وكانت قريش تسقيهم وتطعمهم فى موسم الحج ، وكان يتولى ذلك عبد مناف ، ثم تولاه من بعده ابنه هاشم ، وسمى هاشما ؛ لأنه عاد مرة من إحدى رحلاته بخبز فهشمه لقريش فسمى هاشما ، وهو أول من قام برحلة الشتاء والصيف . وتوفى بغزة ، ودفن بها فى إثناء إحدى رحلاته ، وفيما يلى خطبة خطبها فى أحد مواسم الحج يحض فيها على البر بزوار بيت الله ، وإكرامهم .

النص

يَامَعْشَرَ (١) قُرَيْش : أَنْتُمْ سَادَةُ الْعَرَبِ ، أَحْسَنُهَا وُجُوهًا (٢) ، وَأَعْظَمُهَا أَحْلَامًا (٣) ، وَأَوْسَطُهَا أَنْسَابًا (٤) ، وَأَقْرَبُهَا أَرْحَامًا (٥) .

---

(١) معشر قريش : جماعة قريش . (٢) أحسنها وجوها : أحسنها حالا .
(٣) أعظمها أحلاما : الأحلام : العقول . (٤) أوسطها : خيرها وأشرفها ، وفعله وسط (بفتح السين وضمها) أى صار شريفا وحسيبا . (٥) أقربها أرحاما : أوثقها علاقات ، وأحرصها على صلة الرحم ، وإعزاز ذوى القربى .

يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ : أَنْتُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللهِ ، أَكْرَمَكُمْ (٦) بِوِلَايَتِهِ ، وَخَصَّكُمْ بِجِوَارِهِ ، دُونَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ (٧) ، وَحَفِظَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مَاحَفِظَ جَارٌ مِنْ جَارِهِ (٨) ، فَأَكْرِمُوا ضَيْفَهُ (٩) ، وَزُوَّارَ بَيْتِهِ ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكُمْ شُعْثاً غُبْراً (١٠) مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

فَوَرَبِّ هَذَا الْبَنِيَّةِ (١١) لَوْ كَانَ (١٢) لِي مَالٌ يَحْمِلُ ذَلِكَ لَكَفَيْتُكُمُوهُ ، أَلَا وَإِنِّي مُخْرِجٌ مِنْ طَيِّبِ مَالِي (١٣) وَحَلَالِهِ مَالَمْ تُقْطَعْ فِيهِ رَحِمٌ (١٤) ، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِظُلْمٍ (١٥) ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ حَرَامٌ (١٦) ، فَوَاضِعُهُ (١٧) ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَ مِنْكُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلَ .

وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ (١٨) هَذَا الْبَيْتِ أَلَّا يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَالِهِ لِكَرَامَةِ زُوَّارِ بَيْتِ اللهِ وَمَعُونَتِهِمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لَمْ يُؤْخَذْ ظُلْمًا ، وَلَمْ تُقْطَعْ فِيهِ رَحِمٌ وَلَمْ يُغْتَصَبْ .

---

(٦) أكرمكم بولايته : أكرمكم : شرفكم ، ولايةالبيت : القيام بشئونه ورعاية أمره .
(٧) إسماعيل بن إبراهيم هو جد العرب العدنانيين ، وخصكم بجواره : أى جعل مقامكم بجوار البيت من دون العرب . (٨) حفظ منكم : صان لكم وأكرمكم . ومعنى العبارة : أنه وفر لهم الأمن والسلام والاطمئنان على النفس والمال . (٩) ضيفه : أى ضيف الله (١٠) شعثا : جمع أشعث وهو من تفرق شعره وانتشر ولم يمشط ولم يسو . والغبر : جمع أغبر وهو من اتسخ شعره من الغبار والتراب والعرق ، وعلا وجهه تراب .
(١١) فورب هذه البنية : الفاء للترتيب . والواو للقسم ، والبنية : البناء وهو الكعبة .
(١٢) لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكوه : لوحرف امتناع لامتناع : أى امتناع الجواب لامتناع الشرط وهو « كان لى مال » . يحمل ذلك : يتسع له ويقدر على الوفاء به . كفيتكموه : حملته عنكم ولم أكلفكم . (١٣) ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله : ألا حرف تنبيه وتوكيد . طيب مالى : أفضله . حلاله : ما كان كسبه من طريق مشروع .
(١٤) مالم تقطع فيه رحم : أى لم يكن من وسائل جمعه وسيلة تغضب ذوى القربى ، أو لم يكونوا فى حاجة إليه . (١٥) لم يؤخد بظلم : لم يهضم فيه حق ، أو استولى عليه بغير سند شرعى . (١٦) لم يدخل فيه حرام : من غش أواختلاس ، أوكان أجرا بغير عمل .
(١٧) فواضعه : أى أسقطه من مالى وأتركه لهذا الغرض . (١٨) أسألكم : أناشدكم ، وأقسم عليكم . حرمة البيت : مهابته وقدسيته . لكرامة الزوار : لإكرامهم .

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتملت الخطبة على ما يأتى :

١ — بدأ هاشم خطبته بتعظيم قريش ، وبيان منزلتها بين العرب ، فجعل لها السيادة ، ووصفها بحسن الحال ، وقوة العقول ، وعراقة النسب . ووثاقة الروابط الأسرية والقبلية .

٢ — ثم ذكر أن الله جعل القرشيين من دون بنى إسماعيل جيران بيت الله ، والقائمين على أمره ، والمشرفين على خدمته ، وأن الله من أجل ذلك جعل بلدهم حرما آمنا ، فوفرلهم ما لم يوفره جار لجاره .

٣ — وهنا طلب إليهم أن يكرموا ضيوف الله وزوار بيته الذين يشدون إليه الرحال من كل بلد ، ويكابدون قسوة السفر ، ووعثاء الطريق فلا يصلون إلا وشعرهم أشعث ، ووجوهم مغبرة .

٤ — وكأنه توقع أن يحمّلوه نفقات الحجيج لمكانه فى قومه ، فأقسم لهم أن ماله لايتسع لهذا الهدف النبيل ولو اتسع لسارع إلى النهوض به وحده ، ولكنه سيكون رائدهم وإمامهم ، وسيتقدم ببذل مايستطيع من أكرم ماله ، وأجوده ، وأخلصه من كل شائبة من حرام ، أو ظلم ، أو اغتصاب ، أو قطع رحم .

٥ — ويتبع ذلك بمناشدتهم أن يقتدوا به فى تصفية ما عسى أن يخرجوا من مال ، وأن يحرصوا على أن يكون طيبا حلالا كما فعل .

التصوير والتعبير

١ — يا معشر قريش : نداء للتنبيه مدّ به صوته ليلفت أنظارهم ، ويجذب انتباههم . ويستخدم كلمة « معشر » ليشعرهم بأنهم جماعة لها كيانها الذى يعتمد عليه . وذكر قريشا ، ولم يقل الناس أو القوم مثلا ؛ ليذكرهم بتاريخ القبيلة ، ومكانتها ، ويثير فى أنفسهم العزة تمهيدا لتحميلهم ما يريد من تبعات .

٢ — « أنتم سادة العرب » أسلوب خبرى بالجملة الاسمية يلقيه كأنه حكم مقرر لاجدال فيه ؛ ليستقر فى أنفسهم أن السادة يطالبون بما لا يطالب به سواهم .

٣ — « أحسنها وجوها ، وأعظمها أحلاما ، وأوسطها أنساباً ، وأقربها أرحاماً » : هذا تفصيل لمعنى السيادة ؛ ولذلك لم يعطف « أحسنها وجوها » على « سادة العرب » . وأعاد الضمير مؤنثا للعرب ، وهو جائز على نية معنى الطائفة . وحسن الوجوه كناية عن يسر الحال ؛ لأن حسن الظاهر دليل حسن الباطن . وعظم الأحلام يقتضى تقدير الموقف ، ويستدعى

الاستجابة . وفى «أوسطها أنسابا » كناية عن عراقة الأصل وشرف الأجداد ، « وأقربها أرحاما » تعبير يوحى بالتعاون على البر والعمل الصالح . وكل هذه المفاخر تشعر قريشا بمنزلتها ، وإنما يريد هاشم بذلك تهيئة الجو لدعوته .

٤ — «يامعشر قريش ، أنتم جيران بيت الله» : يكرر النداء نفسه ؛ لأنه انتقل إلى بيان منزلتهم الدينية بعد بيان منزلتهم الاجتماعية . وقال « بيت الله » كناية عن الكعبة ، فأضاف البيت إلى الله تكريما لهم ، ورفعاً من شأنهم ، وإغراء لهم بما يريد .

٥ — «أكرمكم بولايته وخصكم بجواره » : يلح هاشم فى بيان فضل الله عليهم فيذكر أمرين : أولهما : إيثارهم برعاية البيت ، وهو شرف لهم فُضلوا به على الناس ، وثانيهما الجوار ، وهو تفضيل لاشك فيه ، وقد أكده بقوله «دون بنى إسماعيل » وكلا الأمرين يستميلهما إلى شكر الله بالعمل الصالح الذى يريده الخطيب .

٦ — «وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره» : هذا فضل ثالث يتصل بالفضل الثانى وهو جوار البيت ، فتوفير الأمن فى بلدهم بسبب جوار البيت شىء لا يطمع فيه أحد داخل الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى .

٧ — «فأكرموا ضيفه وزوار بيته» :حين أحس هاشم أنه بلغ ماأراد من تهيئة النفوس بالأسلوب الخبرى — لقبول دعوته ، طلب إليهم — بالأسلوب الإنشائى — إكرام الوافدين من أنحاء الجزيرة ، وهو هدفه من الخطبة .

ومن وسائل إغراء قريش بالإكرام إضافة الضيف إلى الله ، والزوار إلى بيت الله ، ليضفى عليهم مسحة قدسية ، فيستثير عواطف قريش ، وتنهض لإكرامهم .

٨ — « فإنهم يأتونكم شعثاً غبراً من كل بلد » : يذكر علة أخرى للإغراء بإكرام الحجيج ، أو برهانا خطابيا يؤيد مطلبه ، والعبارة كناية عن متاعب السفر ،ومشقة الرحلة تبرز المعنى فى صورة حسية تقوم دليلا بارزا يجعل الموقف عميق الأثر ، شديد الوقع فى نفوس السامعين ، ولا سيما مع التعبير بالفعل المضارع الذى يستحضر للسامع صورتهم ويبرزها مرسومة مجسمة أمامه .

٩ — «فورب هذه البنية لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه» : الفاء تشعر بوجوب إكرام الحجيج ترتيبا على ما سبق .والقسم يوحى بأن هاشما يتوقع منهم أن يقولوا — برغم ما تقدم — إن إكرام الضيف حق على الرؤساء من دون غيرهم ، والإشارة إلى «هذه البنية » لإثارة نفوسهم إذا نظروا إليها أو تذكروها ، وكنى عن الكعبة بالبنية إيقاظا لذكرى بناتها الكرام وحرمتهم فى النفوس . واستخدام الحرف « لو » دون « إن » تحقيقا لنفى الشرط وهو « كان لى ما يحمل ذلك » ولفظ « يحمل » يوحى بأن الإنفاق على الحجيج

حمل كبير، وعبء ثقيل على رجل واحد، أو مال رجل واحد مثل هاشم، وقال «لكفيتكموه» ولم يقل «لقمت به» مثلا، للإشارة إلى أنه لا يريد أن يشق عليهم لولا الضرورة القصوى.

١٠ — «ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله ...» أكد عبارته بالحرف «ألا» وبإنّ، وبالجملة الاسمية. وذكر «طيّب المال»؛ ليدل على أمرين: شدة الرغبة فى التضحية، وتقديسه لموضع الإنفاق. وفى أوصاف المال تطويل ملحوظ يشف عن روح هاشم الصافية، ونفوره الشديد من دخول المال المشوب فى إكرام الحجيج. واختار كلمة «مخرج» إيحاء بأن هذا المال كالزكاة المطهرة للمال، وعطف «واضعه» على «مخرج» إيحاء بأن هاشماً لا يرى هذا المال من حقه، بل يراه حق البيت فهو يسقطه من ماله. ويحطه عنه، ويتركه معزولا بعيداً عن إنفاقه الخاص؛ ليخصصه للجهة المقدسة. وكل هذا من وسائل إغراء قريش بالإسهام فى إكرام الحجيج.

١١ — «فمن شاء أن يفعل منكم مثل ذلك فعل»: روح التخيير واضحة فى العبارة، فهو يذكر الفعل «شاء»؛ ليطلق حرية الإرادة، ويجعل جواب الشرط ماضياً، ولم يقل «فليفعل» مثلا، وفى قوله «مثل ذلك» إيحاء بأنه إنما يضرب المثل لمن شاء وحسبه ذلك.

١٢ — وأسألكم بحرمة هذا البيت: توحى هذه المناشدة بأن استمالته، وإقناعه لقومه قد أثمرا، فهو إنما يطلب إلى من استجاب منهم إلى التبرع - أن يكون ما يتبرع به خالصاً خالياً من الشوائب. وقد كرر صفات المال تقديراً لقداسة الموقف، ونفوراً من أن يقدموا لضيف الله مالا يرضاه. وقد أقسم عليهم بحرمة الكعبة ومهابتها إقساماً يدل على ذلك كله.

نظرة بلاغية

١ — الخطابة فن من فنون القول تخاطب به الجماهير مشافهة وارتجالا.

٢ — تعتمد الخطابة على استمالة السامعين وإقناعهم.

٣ — اتخذ هاشم وسائل مختلفة للاستمالة، فمدح قريشاً، وأثنى عليها، وأبرز منزلتها الاجتماعية والدينية، ووصف ما يكابده الحجيج من عناء الرحلة؛ ليستثير مروءتها وعطفها، وجعلهم ضيوف الله وزوار بيته، وأقسم ببيت الله، وناشدهم ببيت الله، وجعل نفسه إماماً فى التبرع، وبذلك نجح فى الاستمالة والتأثير.

٤ — اتخذ من إيثار التعبير بالجمل القصيرة، والتنويع بين الخبر والإنشاء وسيلة إلى الاستمالة.

٥ — ومن وسائل الإقناع التى اتخذها أنهم رؤساء عليهم تبعات الضيافة، وهم المسئولون عن الكعبة وخدمتها. وعن شرف القبيلة وسمعتها، وأن الله فضلهم بجواره، وعليهم شكر

هذا الفضل بإكرام الحجيج ، وأن الحجيج ضيوف ، والعربى لا يمتنع ولا يأبى إكرام الضيف ، وأن الحجيج قوم مسافرون مرهقون مجهدون ومن المروءة معاونتهم ، وأن حجم الإنفاق أضخم من قدرة رجل واحد .

٦ — الصور الخيالية فى الخطبة قليلة ، ومصدر التأثير فيها : الروح القوية ، والعاطفة الصادقة .

٧ — لفظ الخطبة جزل لا غرابة فيه ، وعبارتها قوية تميل إلى الانطلاق ، وتطول أحياناً ، وفكرته قريبة واضحة .

٨ — الأفكار فى الخطبة مسلسلة يبنى بعضها على بعض ، فهو يثنى على قريش ويمدحها تمهيداً لدعوته ، حتى إذا اطمأن إلى أنه بلغ ما أراد من تهيئة الجو للدعوة ، رمى بدعوته إليهم ، ثم برهن على وجوب الاستجابة فى ثنايا ذلك كله ، فإذا ما أطمأن فى النهاية على إقناعهم واستمالتهم ، ورأى أنهم سيقومون مبادرين إلى التبرع ، طلب إليهم أن يختاروا ما يتبرعون به ، وهذا تسلسل واضح ، يؤدى أوله إلى آخره فى لباقة وذكاء .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — كان العرب فى جاهليتهم يحتاجون إلى الخطابة حاجتهم إلى الشعر ، ولذلك كان لكل قبيلة خطيب يرأس وفودهم إلى الأمراء أو رؤساء القبائل يتحدث عنهم ، ويفضى بما اتفقوا عليه . وقد اقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا ، فاحتاجوا إلى الخطابة للإقناع والتأثير ، فكانوا يدربون فتيانهم عليها من حداثتهم ، وكان خطيب القوم هو عميد القبيلة — غالباً — وزعيمها ، وهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعبر عن ألسنة .

٢ — يدل النص على ملامح شخصية هاشم ، فهو كريم يود لو اضطلع بأعباء إكرام الحجيج لولا ضيق ماله ، وهو ذو روح صافية ، يقدس البيت ، ويحرص على أن يكون المال الذى ينفق عليه طاهراً زكيا .

٣ — ومن النص يمكن أن تتبين شيئاً من مفاخر قريش ، ومكانتها الاجتماعية والدينية .

٤ — ومنه تعرف أن الكعبة كانت مقصد الحجاج فى الجاهلية ، وكانت موضع تقديس قريش ، وأن مكة كانت حرماً آمنا منذ بنى البيت فيها .

٥ — يكشف النص أيضاً عن تعاون قريش على البر والعمل الصالح .

المناقشة

١ — قال هاشم :

« يامعشر قريش ! أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاما ، وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما » .

(أ) لم ذكر « معشر » و « قريش » ؟

(ب) ما هدفه من مدح قريش ؟ (جـ) ما علاقة « أحسنها وجوهاً » بما قبلها ؟

(د) ما معنى أوسطها ؟ (هـ) بين علاقة كل صفة هنا بهدف الخطيب .

٢ — « فأكرموا ضيفه ، وزوار بيته ، فإنهم يأتونكم شعثا غبرا من كل بلد »

(ا) فى هذه العبارة يدعو قومه إلى إكرام الحجيج . بيِّنْ كيف مهد لهذه الدعوة .

(ب) لم أضاف الضيف وزوار البيت إلى الله ؟

(جـ) ماهدف الخطيب من وصف الحجيج بأنهم شعث غبر ؟

(د) لم عبر بالفعل المضارع فى يأتونكم ؟

(هـ) مافائدة « من كل بلد » فى هذه العبارة ؟

٣ — اشترط هاشم شروطاً خاصة للمال الذى ينفق على الحجيج . ما هذه الشروط ؟ ولم كررها ؟ وما أثر ذلك فى تحقيق هدف الخطبة ؟

٤ — استمال الخطيب قريشاً وأقنعها . بين الوسائل التى اتخذها لكل من الإقناع والاستمالة فى هذه الخطبة .

فى الإصلاح بين الخصوم

لهاشم بن عبد مناف

قامت خصومة بين قريش وخزاعة(*) ، فندبوا هاشما للصلح بينهما ، فألقى هذه الخطبة تمهيدا للحكم بينهما بما يرى .

النص

أَيُّهَا النَّاسُ : نَحْنُ آلُ إِبْرَاهِيمَ (١) ، وَذُرِّيَّةُ إِسْمَاعِيلَ (٢) ، وَبَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ (٣) ، وَبَنُو قُصَىِّ بْنِ كِلَابٍ (٤) ، وَأَرْبَابُ مَكَّةَ (٥) ، وَسُكَّانُ الْحَرَمِ (٦) لَنَا ذِرْوَةُ الْحَسَبِ (٧) وَالنَّسَبِ ، وَمَعْدِنُ الْمَجْدِ (٨) . وَلِكُلٍّ فِى كُلٍّ حِلْفٌ (٩) يَجِبُ عَلَيْهِ نُصْرَتُهُ وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ ، إِلَّا مَادَعَا إِلَى عُقُوقِ (١٠) عَشِيرَةٍ ، وَقَطْعِ رَحِمٍ (١١) .

يَا بَنِى قُصَىٍّ (١٢) : أَنْتُمْ (١٣) كَغُصْنَىْ شَجَرَةٍ ، أَيُّهُمَا كُسِرَ أَوْحَشَ صَاحِبَهُ (١٤) وَالسَّيْفُ لَا يُصَانُ إِلَّا بِغِمْدِهِ (١٥) ، وَرَامِى الْعَشِيرَةِ (١٦) يُصِيبُهُ سَهْمُهُ وَمَنْ أَغْضَبَهُ اللَّجَاجُ (١٧) أَخْرَجَهُ إِلَى الْبَغْىِ (١٨) .

أَيُّهَا النَّاسُ : الْحِلْمُ شَرَفٌ ، وَالصَّبْرُ ظَفَرٌ (١٩) ، وَالْمَعْرُوفُ كَنْزٌ ، وَالْجُودُ

(*) خزاعة قبيلة يمنية نزحت إلى مكة قديما ، وجاورت قريشا فيها وبالقرب منها .

(١) آل إبراهيم : أهله . (٢) ذرية إسماعيل : أبناؤه ونسله .

(٣) النضر بن كنانة : جد من أجداد قريش . (٤) قصى : جد آخر .

(٥) أرباب مكة : أصحابها وذو الأمر والنهى فيها . (٦) الحرم : البلد الآمن .

(٧) ذروة الحسب : ذروة الشيء أعلاه . والحسب : الشرف وما بعد من مفاخر الآباء .

(٨) معدن المجد : معدنه مكانه الذى يتركز فيه ومصدره . (٩) حلف : عهد على التعاون عند الحرب والدفاع . (١٠) عقوق : العقوق عدم البر ، وجر الشر .

(١١) رحم : صلة القربى ، وهو فى الأصل موضع الجنين .

(١٢) يا بنى قصى : النداء للقرشيين . (١٣) خطاب لهم مع غيرهم .

(١٤) أوحش صاحبه : تركه فى هم وانقباض . (١٥) غمد السيف : جرابه .

(١٦) العشيرة : عشيرة الرجل بنو أبيه الأقربون أو قبيلته .

(١٧) اللجاج : التمادى فى الخصومة . (١٨) البغى : الظلم . (١٩) ظفر : فوز وانتصار .

سُؤْدُدٌ (٢٠) ، وَالْجَهْلُ سَفَهٌ (٢١) وَالأَيَّامُ دُوَلٌ (٢٢) ، وَالدَّهْرُ عِبَرٌ (٢٣) ، وَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَمَأْخُوذٌ (٢٤) بِعَمَلِهِ .

فَاصْطَنِعُوا (٢٥) الْمَعْرُوفَ تَكْسِبُوا الْحَمْدَ ، وَدَعُوا الْفُضُولَ (٢٦) تُجَانِبْكُمُ السُّفَهَاءُ (٢٧) ، وَأَكْرِمُوا الْجَلِيسَ يَعْمُرْ نَادِيكُمْ (٢٨) ، وَحَابُوا الْخَلِيطَ (٢٩) يُرْغَبْ فِي جِوَارِكُمْ ، وَأَنْصِفُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ (٣٠) يُوثَقْ بِكُمْ . عَلَيْكُمْ (٣١) مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا رِفْعَةٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَالأَخْلَاقَ الدَّنِيئَةَ (٣٢) فَإِنَّهَا تَضَعُ (٣٣) الشَّرَفَ ، وَتَهْدِمُ الْمَجْدَ . وَإِنَّ نَهْنَهَةَ (٣٤) الْجَاهِلِ أَهْوَنُ مِنْ جَرِيرَتِهِ ، وَرَأْسُ الْعَشِيرَةِ يَحْمِلُ أَثْقَالَهَا (٣٥) ، وَمَقَامُ (٣٦) الْحَلِيمِ عِظَةٌ لِمَنِ انْتَفَعَ بِهِ .

فَقَالُوا : رَضِينَا بِكَ ، أَبَا نَضْلَةَ (٣٧) — وَكَانَتْ كُنْيَتَهُ وَتَصَالَحَا .

---

(٢٠) سؤدد : شرف ومجد للجواد . (٢١) الجهل سفه : الجهل ضد الحلم ، وهو الخفة وسرعة التصرف بالقول ، أو بالفعل قبل التفكير في العواقب . والسفه هو الحمق .

(٢٢) دول : جمع دولة (بضم الدال أو فتحها) أي لا ثبات لها ولا استقرار .

(٢٣) عبر : جمع عبرة وهي العظة أي يستفيد الإنسان من أحداث الدهر ويتعظ بها ويعتبر .

(٢٤) مأخوذ بعمله : مجزى على عمله ومعاقب به . (٢٥) اصطنعوا المعروف : اصنعوه ، واختاروه ، وفضلوه على غيره . (٢٦) دعوا الفضول : دعوا : اتركوا . والفضول : الزيادة التي لا طائل وراءها ولا فائدة فيها . (٢٧) تجانبكم : تبعد عنكم والسفهاء : الجهلاء الحمقى . أي اتركوا ما لا طائل فيه يفارقكم السفهاء ؛ لأنهم يحومون حول الشر . (٢٨) أي أكرموا من يجلس معكم يحبكم الناس ويلتفوا حولكم .

(٢٩) حابوا : انصروا وساحوا ، والخليط : المخالط المعايش ، أي ساحوا ، من يعايشكم يحبوا جواركم . (٣٠) أنصفوا من أنفسكم : مكنوا الناس من أن يستوفوا حقهم كاملا منكم . يوثق بكم : يعتمد عليكم وتؤمنوا على الحقوق . (٣١) عليكم مكارم الأخلاق : الزموها .

(٣٢) الدنيئة : الخبيثة الحقيرة . (٣٣) تضع الشرف : تسقطه . (٣٤) نهنهة الجاهل : زجره ومنعه من التمادي في سفاهته . وجريرته : جنايته ، أي من واجبكم أن تمنعوا المعتدي قبل اعتدائه فإن ما يصيبكم من ذلك أقل مشقة من اعتدائه .

(٣٥) أثقالها : مغارمها وأعباءها . ورأس العشيرة : زعيمها .

(٣٦) مقام الحليم : مكانه ، والمراد ما يرى منه ، وما يسمع .

(٣٧) الكنية ما صدر من الأسماء بأب أو أم . ونضلة : أصل معناها الرمي بالسهام .

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتمل نص الخطبة على ما يأتى :

١ — بدأ هاشم خطبته بنداء عام للناس ، وأتبعه بحديث عن قريش ، فذكر أجدادها الأولين : إبراهيم ، وإسماعيل ، والنضر ، وقصيًّا ، وذكر أنهم أمراء مكة ، وسكان البلد الحرام ، وأنهم قمة المجد ، والشرف الرفيع ، والنسب العريق .

٢ — ثم أشار إلى الحلف بين قريش وخصومها ، ووجوب الوفاء به ، والاستجابة له ، إلا إذا أدت الاستجابة إلى عقوق أهل ، وإساءة قريب .

ثم وجه الحديث إلى الفريقين المتنازعين بعد أن خص بنى قصى بالنداء ، فقال : إنكما كغصنى شجرة إذا أصيب أحدهما بسوء تأثر الآخر ، فضعف العرب فى مكة وما حولها ، فكل منكما لا يستغنى عن صاحبه كالسيف لا يستغنى عن غمده ، وإذا تراميتم أصبتم أنفسكم ؛ لأنكم أهل وعشيرة ، فإياكم والتمادى فى الخصومة ، فإنه سبيل الظلم والطغيان .

٤ — ثم وجه الخطاب إلى الناس وألقى على مسامعهم حكماً بالغة ، ثم نصائح يرجو أن يكون لها أثر فى ضبط المشاعر وإيثار السلام .

التصوير والتعبير

١ — نادى هاشم الناس فى أول الخطبة ليلفتهم قبل الحديث ، ولم يكتف بقوله : « نحن آل إبراهيم » ، بل أضاف « وذرية إسماعيل » ليذكر خزاعة بأن البلد بلدهم ، وأنها نازحة ويرجو من وراء ذلك ألا تتشدد خزاعة فى شروط الصلح ، وأن تطمئن قريش إلى أن خزاعة لن تبغى عليهم . ثم يذكر النضر ليشير إلى أنهم مقيمون منذ الجد الثانى عشر فى مكة ، ويشفع ذلك بقصىّ ، ليذكر خزاعة بموقفه معهم حين أقصاهم من مكة ، وأن ذلك ممكن الآن كما كان ممكناً من قبل ، لولا الحلف .

٢ — وبعد الإشارات الموحية السابقة ، قال « وأرباب مكة » و « سكان الحرم » فصرح بأنهم أصحاب البلد بعد التلميح ، واستخدم لفظ الأرباب ليوحى بالسيطرة والتمكن وذكر « الحرم » إشارة إلى أن بلدهم حرم آمن ، وأنهم لا يريدون حرباً ، وقد اقتضت لباقته أن يقول هنا « سكان » ولا يقول « أصحاب » ؛ لأن الحرم بيت الله .

٣ — « لنا ذروة الحسب ، والنسب ، ومعدن المجد » : هنا استعارة مكنية ، شبه فيها الحسب

والنسب بجبل عال ، وحذف المشبه به ، ورمز إليه بالذروة . وفى « معدن المجد » استعارة مكنية كذلك ، شبه فيها المجد بجوهر ثمين يستخرج من المعدن، وهو منبت الجواهر، وحذف الجوهر ، ورمز إليه بالمعدن . وقدم الجار والمجرور « لنا » إشارة إلى اختصاصهم بالحسب والنسب والمجد .

وهذه الفقرة الأولى من النص تعتبر مقدمة للخطبة وتمهيداً هدفه أن يشير الخطيب إلى أن مفاخر قريش ومكانتها الاجتماعية والدينية ليست موضع خلاف ، ليتسامح كل من المتخاصمين، ولا يبالغ فى الخصومة ، أما قريش ؛ فلأنها فى موضع ممتاز لا يغض منه تسامح، وأما خزاعة فلتذكر التاريخ الذى يردها إلى التطامن والتواضع فى مطالبها ، وبذلك تتقارب وجهتا النظر ، ويتم الصلح .

٤ — « ولكلٍّ فى كلٍّ حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته » وهنا يبادر الخطيب بذكر الحلف الذى يحكم العلاقة بين الفريقين ، حتى لا يتوهم أحد أن مكانة قريش تمنع الوفاء للحلف ، بل أكد أثره بوجوب النصرة وإجابة الدعوة من أجل ذلك .

٥ — « إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم » , وهذا احتراس يحدد مدى النصرة والاستجابة لدعوة الحلف ، فهما مرهونان بحفظ حقوق الأهل والأقرباء ، حتى لا يكون ضرر ولا ضرار . « والرحم » كفاية عن صلات القربى .

٦ — « يا بنى قصى أنتم كغصنى شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه » ينادى بنى قصى لكن يخاطب الفريقين ، وهو مسلك لغوى يثير الانتباه ، ويوقظ الشعور ، ويوحى بأن الخطيب ينزل الفريقين من نفسه منزلة واحدة ، بل يدعو بنى قصى خاصة إلى ذلك . وهو تمهيد حسن للتشبيه فى قوله « كغصنى شجرة » ، وهدف التشبيه التسوية بين طرفى النزاع ، وإشعارهما بوجوب اعتزاز كل منهما بالآخر . والحرص عليه . وفى قوله : « أيهما كسر أوحش صاحبه » استعارة مكنية شبه فيها الغصن الباقى بإنسان يشعر بالهم والانقباض فى الوحدة ، وحذفه ورمز إليه بأوحش . وتوحى الاستعارة بأن ضعف الفروع يضعف الأصول أى الأمة العربية كلها .

٧ — « والسيف لا يصان إلا بغمده » : فى العبارة تشبيه : المشبه فيه هو القبيلتان وحاجة كل منهما إلى الآخر ، والمشبه به هو السيف وحاجته إلى الغمد يحفظه ، فيستقيم أمر كل منهما بالآخر : ويسمى هذا التشبيه ضمنياً ؛ لأن المتكلم سلك به سبيلا تخالف سبل التشبيه المألوف من ذكر المشبه ، والمشبه به فى جملة واحدة ، لكن المشبه هنا قد فهم من عبارة أخرى سابقة .

٧ — « ورامى العشيرة يصيبه سهمه » : فى العبارة أمران أولهما الكناية فى قوله : « يصيبه سهمه » وهى كناية عن إلحاق الأذى بنفس الرامى إذا رمى أهله . والأمر الثانى تشبيه ضمنى المشبه فيه أيضا هو قريش وخزاعة تختلفان ويضرب بعضهما بعضا ، وهما حلفان متناصران ، فيلحق الضرر من تقدم بالضرب كأنما ضرب نفسه فالمشبه به هو الرامى بسهمه أقرباءه وذويه يضعفهم ، فيرتد الضعف عليه فى النهاية .

٩ — « ومن أغضبه (١) اللجاج أخرجه إلى البغى » أسلوب خبرى هدفه التحذير من التمادى فى الخصومة ، والاستمساك بضبط النفس فى معاملة الحليف . واستخدام الفعل « أخرج » ملائم جدا للبغى ، فالطغيان يلائمه الإخراج عن الإطار المحتمل فى الخصومات .

١٠ — « أيها الناس : الحلم شرف . . . » هنا بدأ الخطيب ـ بعد أن دعا دعوته إلى مراعاة ذات البين ـ يلقى الحكم ويوجه النصائح . والنصائح والحكم كلتاهما تهدف فى مضمونها العام إلى حسن السلوك ، والاستمساك بالمودة والسلام ، وسنشير إلى بعض ذلك فيما يلى .

١١ — « الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر عبر ، فهذه الحكم أخبار غرضها الاستمساك ببعض القيم ، والنفور من الجهل ، والتفكير فى صروف الأيام وأحداث الدهر للعظة والعبرة . ولا شك أن جمهور الخطيب إذا وقف عند هذه الحكم فتفقه معناها ، وعمل بها ، اتجه إلى السلام ، فلا شك أن من فكر فى عبر الأيام وصروف الزمان لم يغتر بموقفه ، ولم يعجل بالحرب وإثارة الفتنة , وفى الحديث عن الحلم والصبر مقترناً بالحديث عن الجهل والسفه موازنة تدعو إلى التفكير بجد فى هذه الأمور وآثارها . وفى قوله : « المعروف كنز » تشبيه جميل يغرى بتجنب الشر والحرص على الخير . وفى توكيد الحلم بالصبر ، وتوكيد المعروف بالجود ، ووصف الجهل بالسفه ، والترادف بين « الأيام دول » و « الدهر عبر » ـ فى كل ذلك إلحاح على معان معينة يفصح عن الحرص على بلوغ الغاية المبتغاة من الخطبة ، وهكذا تستطيع أن تستمر فى كشف العلاقة بين كل حكمة ، وكل نصيحة ذكرها هاشم ـ بموضوع الخطبة ، وأنت واجد ـ لا محالة ـ صلة تؤيد الهدف العام من الخطبة .

١٢ — ولعلك تلاحظ أن النصائح ـ وهى بالأساليب الإنشائية ، قد أعقبها بيان ثمرتها وعلتها إغراء بها كأنها ـ لثقلها ـ قد احتاجت إلى ذلك دون الحكم وهى بالأساليب الخبرية .

---

(١) تركيب العبارة يفهم منه أن اللجاج يكون من أحد المتخاصمين ، فيكون الخروج إلى البغى من الفريق الآخر ، لأن لجاج الفريق الأول يغضب الفريق الثانى فيخرجه إلى الطغيان .

١٣ - « والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله » هذا من الحكم ، خبر غرضه التحذير من العمل السيء ، والإغراء بالعمل الصالح ، وفيه إيحاء بأن الفعل الصالح يقوم مقام النسب العريق ، وأن العمل السيء ربقة في عنق المسيء يؤخذ بها إلى المساءلة والعقاب .

١٤ - وفى « تكسبوا الحمد » استعارة مكنية جعل فيها الحمد والثناء مالا يقتنى .

١٥ — و « يعمر ناديكم » كناية جميلة عن أثر إكرام الجليس فى تربية المودة والحب، والحرص على الاتصال بمصدر الإكرام .

١٦ — وبين « عليكم مكارم الأخلاق فإنها رفعة » و « إياكم والأخلاق الدنيئة فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد » مقابلة جميلة جدا جمعت ثلاثة عناصر متضادة ، تثير اليقظة ، وتنبه الفكر ، وتدعو إلى العجب ، وتغرى بالعمل الصالح ، وتنفر من الانحراف .

١٧ — وتضع الشرف ، وتهدم المجد - استعارتان مكنيتان جعل الشرف فى الأولى شيئا عاليا يسقط ، والمجد فى الثانية بناء مشيدا يهدم ، وحذف المشبه به فى كل منهما . ورمز إليه بشيء من لوازمه .

١٨ — « وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به » هنا يعود الخطيب إلى الحكم ، بعد أن انتهى من النصائح المباشرة بالأساليب الإنشائية - وربما كان ذلك انتقالا إلى خاتمة الخطبة التى اهتدى الخطيب بفطرته إلى أن تكون حكمة ملخصة لجميع معانيه السابقة ، فقد أشار إلى السفهاء ، وتبعات الرؤساء ، وختم بأثر الحلماء . فكأنه يقول فى نهاية كلامه : عليكم أيها الروساء أن تحولوا بين السفهاء والاعتداء بالقول والفعل حتى لا تتحملوا أعباء الحرب ومضارها ، وعلى أفراد القبيلتين أن يقتدوا بحلمائهم وينتفعوا بمجالسهم حتى لا يتفاقم الشر ، ويستشرى الخطب .

نظرة بلاغية

١ — حرص الخطيب على أن يقنع القبيلتين ، ويستميلهما لتتصالحا ، فقدم تمهيدا هدفه أن تتسامح قريش وتتطامن خزاعة ، ثم ذكر أن الحلف واجب الرعاية فى قبيلتين عاشتا معاً طويلا ثم استعان بحكم ونصائح ذات مضمون يؤدى إلى سعة الصدور ، والإغراء بالعمل الصالح ، والإبقاء على حسن الصلات .

٢ — ومن هذا المسلك نلمح الحركة الذهنية للخطيب فى تقديمه ، وفى عرضه لموضوعه ، وفى ختامه الذى يلخص الموضوع ويؤكده . ولسنا نزعم أن الخطيب قصد إلى ذلك قصدا ، ولكنها تجربته وخبرته بالنفوس ، دعته إلى سلوك المسلك اللغوى الذى يؤثر فى النفوس المتنافرة ، ويهديها إلى قبول دعوته ، ومن هنا حققت الخطبة هدفها .

٣ — تبدو فى الخطبة سهولة اللفظ ، وقرب المعانى . وقصر الفقرات ، والميل إلى التكرار ، وكلها من وسائل النجاح فى الخطابة .

٤ — استعان الخطيب بالصور البلاغية فى استمالة النفوس إلى التسامح .

٥ — اعتماد الخطيب على الحكم فى جزء كبير من الخطبة يجعل كشف الروابط بينها وبين موضوع الخطبة تحيط به بعض الصعوبة ، لكنها طريقتهم فى الجاهلية يرسلون الحكم إرسالا ، ويتركونها تفعل فعلها فى النفوس المتذوقة لجمال الكلام .

٦ — من خبرة الخطيب بالنفوس وطبها إتباع النصائح دون الحكم بثمراتها وأهدافها .

٧ — حمل الخطيب حملة شديدة على السفهاء ، وجعل الحديث عنهم بعض خاتمة الخطبة ؛ لأنهم يثيرون العداوة بين العشيرة بحماقتهم وسفاهتهم .

٨ — اعتمد الخطيب — فيما اعتمد عليه من وسائل التأثير والاستمالة — على الجمل القصيرة وتقطيع الجمل ؛ لأن لذلك وقعا موسيقيا يخدر النفوس ويهيئها للقبول .

نظـرة بلاغيـة

١ — اتضح لك أن من أغراض الخطابة الصلح بين الخصوم .

٢ — قد ساعد على ظهور هذا الغرض التنافس على السيادة ، والحرص على المكانة الاجتماعية ، وقد يكون من أقوى الأسباب سفاهة السفهاء فى كل قبيلة .

٣ — تدل الخطبة على سعة أفق هاشم ، وعمق خبراته وتجاربه ، وقدرته على الإقناع ، وحسن تصرفه فى المواقف . وقد يفسر ذلك سر التجاء القبائل إليه فى فض النزاع ورضاء خصوم قبيلته بحكومته .

٤ — يصـور النص لونا من ألوان الحياة الاجتماعية فى البيئة العربية ، ويبين مكانة قريش الاجتماعية والدينية فى الجاهلية .

٥ — تعتبر الخطبة فيما اشتملت عليه من حكم يصعب الربط بين بعضها وبعض من جهة ، وبينها وبين موضوع الخطبة من جهة أخرى نموذجا للخطابة فى العصر الجاهلى .

المناقشة

١ — لخص المفاخر التى تضمنها الجزء الأول من النص ، وبين هـدف الخطيب من ذكرها .

٢ — « لنا ذروة الحسب والنسب ومعدن المجد » .

(ا) فى هذه العبارة صورتان . بينهما .

(ب) بين الصورتين تلمح تقابلا . وضحه .

(ج) لم قدم الجار والمجرور « لنا » على المبتدأ ؟

٣ — « يابنى قصى ، أنتم كغصنى شجرة أيهما كسر أو حش صاحبه » .

(ا) من المنادى ، ومن المخاطب ؟ بين حكمة هذا المسلك اللغوى للخطيب .

(ب) اشرح التشبيه فى العبارة ، ووضح المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، وهدفه .

(ج) « أيهما كسر أوحش صاحبه » - بين أن فى هـــذه العبارة استعارة ، ووضح علاقة العبارة بما قبلها .

(د) بين مدى توفيق الخطيب فى هذه الاستعارة .

٤ — « السيف لا يصان إلا بغمده » - ماذا فى هذه العبارة من بلاغة ؟ وما أثرها فى تحقيق هدف الخطيب ؟

٥ — « رامى العشيرة يصيبه سهمه » - بين كيف أن فى هذه الجملة كناية وتشبيها ضمنيا .

٦ — قال الشاعر :

قومى هم قتلوا - أميم - أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى

(أميم : منادى أميمة) . اشرح هذا البيت فى ضوء شرحك للتشبيه فى السؤال السابق .

٧ — « عليكم مكارم الأخلاق ، فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنيئة فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد » .

(ا) استخرج من هـــذه العبارة صورتين بلاغيتين ، واشرحهما ، وبين أثرهما فى المعنى .

(ب) بين أن فى هذه العبارة مقابلة جميلة ، ووضح عناصرها .

٨ — « ورأس العشيرة يحمل أثقالها » - فى هذه العبارة استعارتان تصريحيتان . عينهما وبين أثرهما فى المعنى .

٩ — بين الوسائل التى استخدمها هاشم فى خطبته لاستمالة المتخاصمين .

١٠ — يكشف النص عن شخصية هاشم - وضح ذلك .

فى السفارة بين القبائل

لعبد المطلب بن هاشم

كان « أبرهة » الحبشى قد غزا اليمن ، ثم بدا له أن يهدم الكعبة ، فتقدم إلى مكة فنجاها الله منه ، وهلك جيشه ، وكان ذلك فى العام الذى ولد فيه محمد عليه السلام (عام الفيل) . لكن العرب لم ينسوا للعدو عدوانه على حرم الله . فلما نجح سيف بن ذى يزن فى طرد الغزاة ، واستعادة عرش آبائه فى اليمن ، فرحت العرب . واعتبرت نصر سيف بن ذى يزن عيداً قومياً عاماً ، ووفدت القبائل على اليمن تهنىء الظافر البطل ، وكان من تلك الوفود وفد قريش بزعامة عبد المطلب بن هاشم جد الرسول عليه السلام . وخطب الخطبة التالية أمام سيف بن ذى يزن .

النص

إنَّ اللهَ أَحَلَّكَ مَحلاًّ رَفيعاً بَاذِخاً (١) شَامِخًا ، وَأَنْبَتَكَ مَنْبَتاً طَابَتْ أُرُومَتُهُ (٢) ، وَعَزَّتْ جُرثُومَتُهُ (٣) ، وَنَبُلَ (٤) أَصْلُهُ ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ (٥) ، فى أَكْرَمِ مَعْدِنٍ (٦) ، وَأَطْيَبِ مَوْطِنٍ . فَأَنْتَ ــ أَبَيْتَ اللَّعْنَ (٧) ــ رَأْسُ الْعَرَبِ (٨) ، وَرَبِيعُهَا (٩) ، الَّذى بِهِ تُخْصِبُ . سَلَفُكَ (١٠) خَيْرُ سَلَفٍ ، وَأَنْتَ لَنَا بَعْدَهُ خَيْرُ خَلَفٍ (١١) ، وَلَنْ يَهْلِكَ مَنْ أَنْتَ خَلَفُهُ (١٢) ، وَلَنْ يَخْمُلَ مَنْ أَنْتَ (١٣) سَلَفُهُ ، نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ (١٤) اللهِ وَذِمَّتِهِ (١٥) ، وَسَدَنَةُ (١٦) بَيْتِهِ أَشْخَصَنَا (١٧) إِلَيْكَ الَّذى أَبْهَجَنَا (١٨) بِكَشْفِ

---

(١) باذخا : عظيم الشأن . شامخا : عاليا . (٢) طابت أرومته : الأرومة الأصل ، والمعنى نبل أصله وزكا . (٣) عزت جرثومته : الجرثومة الأصل ، والمعنى قوى وعظم شأنه . (٤) نبل : كرم . (٥) بسق فرعه : علا وارتفع . (٦) أكرم معدن : المعدن الأصل والمقام ومكان كل شىء فيه أصله ومركزه (٧) أبيت اللعن : اللعن الشتم والسب . وأبيت : امتنعت . والجملة « دعاء يقصد به أن يجنبه الله كل عمل وكل قول يؤدى إلى ذم أو لوم يوجه إليه . (٨) رأس العرب : زعيمهم ورئيسهم ، وعقلهم المفكر . (٩) ربيعها : الربيع المطر ، أو الفصل المعروف . سلفك : آباؤك وأجدادك . (١٠) الخلف : من يجىء بعد السلف فيخلفه . (١٢) لن يهلك : لأنه سيبقى حيا فى الخلف يجدد عهده ، ويحيى سننه ، ويجدد تالد مجده بمجد طريف . (١٣) لن يخمل : لن يخفى ويضعف من أنت سلفه ؛ لأنك ستجعل الملك وطيد الأساس ، قوى الدعائم ، خالداً على العصور ، وسيقتدى بك . (١٤) حرم الله : مكة البلد الحرام . (١٥) ذمته : عهده أى عهد الله وكنفه وجواره . (١٦) سدنة بيته : جمع سادن وهو من يسدن الكعبة أى يخدمها ، ويقوم على شئونها . (١٧) اشخصنا إليك : أخرجنا من ديارنا قادمين عليك =

الْكَرْبِ (١٩) الَّذِى فَدَحَنَا ، فَنَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ ، لَا وَفْدُ الْمَرْزِئَةِ (٢٠) .

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتملت الخطبة على ما يأتى :

١ — يمدح عبد المطلب سيف بن ذى يزن بقوله : إن الله رفعك مكاناً علياً ، وجعلك من شجرة أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء .

٢ — فأنت زعيم العرب وموضع رجائهم ، ومناط أملهم ، وسر إسعادهم ، ومصدر قوتهم . وأنت لنا خير خلف لخير سلف ، فقد صنت تراث آبائك وأجدادك ، ثم بنيت لأبنائك وأحفادك ملكاً لا يتضعضع على الدهور .

٣ — ثم يقول : ونحن أبناء مكة ، نعيش فى كنف الله ورعايته ، ونخدم بيته . وقد امتلأت قلوبنا بهجة ؛ لأنك دحرت الغزاة وحميت البلاد ، وذدت عن الحياض ، ومنعت المقدسات ، فكشفت غمة شقينا بها حيناً ، فسارعنا إلى ساحتك نشارك فى أفراح النصر .

٤ — وما قصدنا إلا التهنئة والإفصاح عن مشاعرنا ، وما أردنا من خروجنا إلا أن نؤدى حق الشكر لك ، وليس من هدفنا مال نكسبه ، أو عطايا نطلبها .

التصوير والتعبير

١ — « إن الله أحلك محلا رفيعاً باذخاً شامخاً » يمدحه بالرفعة والعلو فيطنب بقوله « باذخاً » ، و « شامخاً » فيشعرنا بحماسته وانفعاله ، وبعمق تقديره لصانع النصر . واختيار مادتى البذخ والشموخ إيحاء بكل معانى العزة والعظمة ، وقد حرص الخطيب على أن ينسب الرفعة فيجعلها من صنع الله تكريماً وتقديساً لها ، ويؤكد الخبر بإن تقريراً وتوكيداً ؛ ليجعل الخبر غير قابل للجدال .

٢ — « وأنبتك منبتاً طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، ونبل أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم معـدن ، وأطيب موطن » : فى « أنبتك » استعارة مكنية « شبه فيها الملك بالشجرة ، وحذفها ورمز إليها بأنبت . وكل ما تلا الاستعارة ترشيح لها ؛ لأنه من خصائص المشبه به ، وصدق الشعور ظاهر فى توكيد طيب الأرومة بعزة الجرثومة ،

---

(١٨) الذى أبهجنا : أبهجنا : سرنا ، ويعنى باسم الموصول عمله الجليل ، وهو طرد الغزاة .

(١٩) كشف الكرب : الكرب الغم والمشقة ، وكشفه إزالته . فدحنا : أثقلنا ، وبهظنا ، وشق علينا .

(٢٠) المرزئة : رزأ ماله أصاب منه ونقصه ، والمرزئة إصابة المال ونقصه .

ونبل الأصل ، وأكرم معدن ، وأطيب موطن . وقرن الأصل بالفرع فى « نبل أصله ، وبسق فرعه » فى مقابلة جميلة . ولعلك تلاحظ الموسيقى بين « أرومة وجرثومة » وبين « نبل أصله ، وبسق فرعه » وبين « أكرم معدن، وأطيب موطن » موسيقى التوازن حيناً ، واتفاق أواخر الكلمات والتوازن معاً حيناً .

٣ — « فأنت — أبيت اللعن — رأس العرب » أبيت اللعن جملة خبرية يراد بها الدعاء للملك على عادتهم فى الجاهلية ، وقد سارع بالدعاء فجعله بين المبتدأ والخبر ، حرصاً على الإفصاح عن حب الملك والرغبة فى تقديسه . وفى « أنت رأس العرب » تشبيه يوحى بأنه أرجحهم عقلا ، وأوثقهم رأياً . كما يوحى برياسته عليهم جميعاً ، ومصدر هذا الإيحاء الأخير الاستعارة المكنية فى « رأس العرب » فقد تخيل العرب جميعاً رجلا واحداً لاتحادهم تحت رايته ، واجتماع أمرهم على سيادته . واتجاههم جميعاً لتمجيده ، وحذف الرجل ، ورمز إليه برأس .

٤ — « وربيعها الذى به تخصب » وهذا تشبيه جميل ، شبه فيه الملك بربيع العرب ؛ لأنهم يمطرون فيه فيخصبون ، أو لأن الحياة فيه تسرى فى جنبات الطبيعة فتجدد شبابها ، وهو قد أعاد اليمن إلى العرب ، فجدد قوتهم وأثار نشاطهم ، ورد لهم عزتهم .

٥ — « سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعده خير خلف » هاتان العبارتان كنايتان عن قوة الأسرة المالكة ، وشمول عدلها ، واعتزاز العرب بها ؛ وبين خلف وسلف مقابلة لطيفة ، وموسيقى جميلة مصدرها توازن الكلمتين ، وختام كل منهما باللام والفاء .

٦ — « ولن يهلك من أنت خلفه ، ولن يخمل من أنت سلفه » ، الجملة الأولى كناية عن قدرة سيف بن ذى يزن على إعادة شباب الملك ، وتجديد مجد الآباء ، والجملة الثانية كناية عن قدرة « سيف » على التأسيس الذى يجعل الملك خالداً على الدهور وقدرته على جمع القلوب حول أبنائه ، وولاة عهده . وبين الجملتين مقابلة لطيفة ، وموسيقى مطربة .

٧ — « نحن أهل حرم الله ، وذمته ، وسدنة بيته » : حرم الله كناية عن مكة ، والجملة أسلوب خبرى يرمز من بعيد إلى بهجتهم بالانتصار على عدو الله المجترىء على حرمه . و « ذمته » كناية عمالهم من عهد عند الله بجواره ، فهم يعيشون فى كنفه آمنين ولا سيما بعد هزيمة المعتدين . وفى « سدنة بيته » إشارة بعيدة إلى أن قلوبهم مع الملك الذى صد عدو الله عن بيت الله . ولا يريد عبد المطلب أن يفخر أمام سيف ؛ لأن ذلك بعيد عن هدفه ، بل يشير إلى أعمق الأسباب التى دفعتهم إلى الوفود للتهنئة .

٨ — « أشخصنا إليك الذى أبهجنا بكشف الكرب الذى فدحنا » : فى كشف الكرب استعارة مكنية شبه فيها الكرب بالحمل الثقيل ، وحذفه ، ورمز إليه بالفادح ، والكشف إيحاء

بأن الكرب الشديد قد دفنهم وواراهم ، ومحا شهرتهم ، وأزالهم عن مكانهم على الأرض . وهذا يشير إلى ما كان عرب مكة يشعرون به من غم وهم بوجود الأحباش فى اليمن ؛ لأنهم أعدى أعدائهم ، ويؤيد ماتقدم من أن قول عبد المطلب « نحن أهل حرم الله » إنما هو لبيان علة سرورهم وبهجتهم بهزيمة عدوهم وعدو الله المجترىء على بيت الله فى مكة ، ولا إرادة للفخر فيه .

٩ — « فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزئة » . وهذا أيضاً يؤيد أن عبد المطلب لا يريد أن يفخر ، وإنما يبين علة الوفود إلى سيف . والعبارة تلخص أهداف الخطبة . وهى ختام موفق لها . ومن جمال التعبير فيها هذه الفاء التى بدئت بها الجملة ؛ لتشير إلى أن ما بعدها نتيجة مترتبة على ما قبلها . ومن جمال التعبير فيها توازن التهنئة والمرزئة ، وما فى هذا التوازن من تناغم يزيده موسيقى ختام الكلمتين بالهمزة والهاء ثم المقابلة بالتضاد بين الكلمتين ، وهو تضاد يؤكد المعنى ، ويبرز الغرض . ولعل الحكمة فى ختام الخطبة بهذه الجملة ما كان يشيع من طلب الوفود للعطاء ، أو لعل بعض الوفود قد أشار إلى الطلب فى خطابته أمام الملك ، ولولا ذلك أو مثله لكان التصريح بهذا النفى متهما بمجانبة اللباقة والذكاء .

نظرة بلاغية

١ — قصر الخطبة لأمرين : أولهما كثرة الوفود المهنئة وهى تقتضى الإيجاز . وثانيهما أن الخطب أمام الملوك والرؤساء لا ينبغى أن تطول لكثرة شواغلهم .

٢ — ألفاظ الخطبة منتقاة ملائمة للمقام ، وقد مجد الخطيب آباء الملك بمثل ما مجد الملك ؛ لأن العربى يعتز بقديمه قبل اعتزازه بحديثه .

٣ — تبدو العاطفة القوية والحماسة فى الخطبة ، وسر ذلك أن الخطيب من القوم الذين اعتدى الأحباش على بيت هم سدنته ، بل هو زعيم قريش حامية البيت ، فكان انفعاله بالنصر قويا ، وكان اعتزازه عظيما بملك قادر على رد الاعتداء .

٤ — أثر العاطفة المشار إليه بارز فى التصوير بروزه فى التعبير .

٥ — معظم الخطبة فى مدح الملك ، وأقلها فى بيان هدف الوفد ، وخاتمتها فى جملة . ولعل الرغبة فى المدح مردها عمق تقدير الخطيب للملك لما قدمنا من علاقته بالنصر ، على أن أى خطبة تلقى أمام ملك لا بد أن يذهب مدحه بمعظمها ، فليس ذلك بعجيب ، ولا سيما فى مثل هذه المناسبة .

٦ — ختام الخطبة بنفى الطلب ليس ترفعاً من عبد المطلب عن قبول العطاء ، فمهما يكن أبيا عزيز النفس فإظهار الترفع مجانب للتوفيق فى هذه المناسبة .

نظرة أدبية

١ — من أغراض الخطابة فى الجاهلية التهنئة .

٢ — العاطفة الدينية تبدو فى اعتزاز عبد المطلب بمقام قومه فى مكة ، وخدمة البيت ،

٣ — تدل الخطبة على ماكان العرب يحرصون عليه من السفارة فى المناسبات الهامة، ويقوم بها وفد على رأسه زعيم يخطب متحدثا بلسان قومه ، معبرا عن مشاعرهم واتجاهاتهم .

٤ — فى الخطبة إشارة إلى أن بعض الوفود كانت تطلب العطاء .

٥ — كانت العرب فى الجزيرة كلها تهتز للغزو الأجنبى ، وتطرب للتخلص منه ، فالمشاعر القومية كانت واضحة بارزة برغم بعد الديار ، ونأى القبائل .

فلغزو الأحباش أثر عميق فى نفوس العرب ، وللتخلص منه بهجة سرَتْ فى كل مكان بالجزيرة .

٦ — الخطب أمام الملوك قصيرة .

٧ — قرب المعانى ، ووضوح الصور ، وانتقاء الألفاظ من سمات الخطابة فى آخر العصر الجاهلى .

المناقشة

١ — يقول عبد المطلب : « إن الله أحلك محلا رفيعا باذخا شامخا ، وأنبتك منبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، ونبل أصله ، وبسق فرعه فى أكرم معدن ، وأطيب موطن » .

(ا) أطنب الخطيب هنا فى مواضع عدة ـ حدد هذه المواضع فى العبارة ، وبين السر فى هذا الإطناب .

(ب) فى « أنبتك منبتا » استعارة مكنية ، وضحها ، وبين هدفها ، وأثرها .

(ج) فى العبارة مظاهر لموسيقى التعبير ـ عين هذه المظاهر ، ووضح أثرها فى المعنى .

(د) « بسق فرعه » هل يجوز أن يكون فى هذا التعبير استعارة ؟ بين رأيك .

(هـ) أيهما أجمل : حللت محلا رفيعا ، أم قوله : « إن الله أحلك محلا رفيعا » ؟ ولماذا ؟

(و) فى اختيار مادتى البذخ والشموخ إيحاء خاص . وضحه وبين أثره فى المعنى .

٢ — « فأنت ـ أبيت اللعن ـ رأس العرب وربيعها الذى به تخصب » .

(ا) ما معنى قوله « أبيت اللعن » ؟ ولم قدمه الخطيب على خبر المبتدأ ؟

(ب) فى « رأس العرب » استعارة ، وضح إيحاءها بعد شرحها .

(جـ) الربيع مشبه به فى العبارة ، ومن معانيه المطر ، والفصل المعروف ، فبين وجه الشبه على كلا المعنيين ، وبين أيهما تفضل مع بيان السبب .

(د) هل ترى فى قوله « الذى به تخصب » تلميحا بطلب العطاء ؟ وضح .

٣ — « لن يخمل من أنت سلفه » .

(ا) اشرح معنى العبارة .

(ب) هل فى العبارة إشارة إلى نهاية ملك سيف يتشاءم بها ؟ بين رأيك .

٤ — « ونحن أهل حرم الله وذمته ، وسدنه بيته » .

(ا) ما المقصود بذمته هنا ؟ (ب) هل ترى فى عبارة الخطيب فخراً ؟ وضح ما تقول .

٥ — « أشخصنا إليك الذى أبهجنا بكشف الكرب الذى فدحنا » .

(ا) اشرح استعارة فى هذه العبارة ، وبين إيحاءاتها .

(ب) هل يجوز أن تجرى استعارة فى « كشف الكرب » واستعارة أخرى فى « الذى فدحنا » ؟ وضح رأيك .

٦ — « فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة » .

(ا) هل ترى الخطيب هنا يترفع عن طلب العطاء ؟ بين ما تقول .

(ب) فى تركيب الجملة موسيقى . وضح سبب ذلك .

(جـ) هل للعبارة علاقة بما قبلها ؟ وضح ما تقول .

٧ — « لن يهلك من أنت خلفه » هـذا أسلوب خبرى ، فهل يجوز أن يكون دعاء ؟ وضح رأيك .

٨ — لم غلب عنصر المدح على التهنئة فى الخطبة ؟ .

٩ — تحمل الخطبة ملامح عبد المطلب . بين ذلك .

١٠ — اشرح وسائل الاستمالة والإقناع فى الخطبة .

من أمثال العرب

١ — قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خطيب : أصل هذا المثل أن رجلا من أحد أحياء العرب قتل رجلا من حيّ آخر ، فاجتمع قوم من العرب للإصلاح بين الحيين ، وأخذوا يخطبون ، ويسألون أهل القتيل أن يرضَوْا بديته . وبيناهم كذلك إذْ أقبلت فتاة تدعى « جَهِيزَة » ، فقالت : إن أهل القتيل ظفروا بالقاتل فقتلوه ، فقال قائل منهم : قطعت جهيزة قول كل خطيب . فأصبح مثلا يضرب فى كل موقف مشابه يحدث فيه ، أو يقال ما يفصل الخلاف ، أو يفض النزاع ، أو يجعل الحديث فيه غير ذى جدوى .

٢ — كَيْفَ أعَاوِدُكَ وَهَذَا أثَرُ فَأسِكَ ؟ زعموا أن رجلا نزل واديا يرعى إبله ، وكان فيه حية تحميه ، فنهشت الراعى وقتلته ، وكان له أخ أراد الانتقام لأخيه ، فتوسلت إليه الحية أن يتركها ، وأن تدعه ينعم بخير الوادى ، فتعاقدا ، ومكث زمانا حتى حسنت حاله ، لكن ذكرى أخيه هاجت نفسه ونسى العهد ، فحمل الفأس ، وضرب الحية لكنه أخطأها ، وتركت الفأس أثرا على باب جحرها ، ومضى زمان ، فخاف الرجل شرها وندم وقال لها : هل لك فى أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ يجدد العهد بينهما ، فقالت : « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟ » وذهب هذا القول مثلا يضرب فى كل موقف يحذر فيه شر من نقض العهد .

٣ — إذا عزّ أخوكَ فهُنْ : أغار هذيل بن هُبيرة فغنم ، فقال له أصحابه : اقسم بيننا ، فأراد أن يؤجل القسمة حتى يبعدوا عن العدو فلا يدركهم إذا أقاموا يقتسمون ، فأبوا ، فقال « إذا عز أخوك فهن » أى إذا عاسرك أخوك فياسره ، ويضرب فى كل حال يجب التسامح فيها ، واللين مع الإخوة والأصدقاء إذا تشددوا ، فالمياسرة عند ذاك تَفَضُّل لا ضَيْم .

٤ — مايومُ حليمَةَ بسرّ : كانت الحرب شديدة بين المنذر ملك الحيرة ، والحارث ملك غسان فندب الحارث مائة رجل اختارهم ، ودعا ابنته « حليمة » أن تطيبهم من طيبها وكانت رائعة الجمال ، ثم قال لهم : انطلقوا إلى معسكر المنذر فأخبروه أننا ندين له ونعطيه حاجته ، فإذا رأيتم منه غرة فاحملوا عليه . فلما أتوا المنذر وأخبروه تباشر هو وأهل عسكره ، وغفلوا بعض الغفلة ، فحملوا على المنذر فقتلوه ، فقيل : مايوم حليمة بسر ، وكان يوماً — كما زعموا — من أشهر أيام العرب ارتفع عجاجه حتى غطى عين الشمس فظهرت الكواكب ظهرا . ويضرب مثلا فى كل أمر متعالم مشهور .

٥ — « سبق السّيفُ العَذلَ(١) » : أصله أن ضبَّة بن أدّ كان له ابن خرج يبحث عن إبل له ضلت وكان عليه بردان فلم يعد ، ولما حج ضبة رأى الحارث بن كعب فى عكاظ وعليه البردان أنفسهما فسأل الحارثَ عن مصدرهما ، فأخبره أنه قتل فتى ، وأخذهما منه . فأخذ ضبة منه سيفه الذى قتل ابنــه به فقتله ، فقيل له : أفى الشهر الحرام ياضبّة ؟ قال : « سبق السيفُ العَذل » . ويضرب هــذا المثل فى كل أمر لايجدى الحديث فيه بعد نفاذه .

٦ — إنَّ البغاثَ(٢) بأرضنا يستنسر : يضرب للضعيف يصير قويا ، والذليل يعز بعد الهوان .

٧ — بلغَ السَّيلُ الزبىَ(١) : يضرب للأمر الذى يتجاوز الحدّ .

٨ يَداكَ أوْ كَتـا وفوكَ نفَخَ(٢) : قيل فى أصل هذا المثل : إنّ رجلا كان يعبر نهرا ، على « زقٍّ(٣) » قد نفخه وربطه ، ولم يحكم ربطه ، فلما توسط النهر انحل الرباط فغرق ، فلما غشيه الموت استغاث برجل كان يراه ، فقال له : يداك أوكتا وفوك نفخ . فيضرب لمن يجنى على نفسه بإهماله .

٩ — قبلَ الرّماءِ تملأ الكنائنُ(٤) : يضرب للأمر تؤخذ الأهبة له قبل وقوعه .

١٠ — مُكرَهٌ أخاكَ لابطلٌ : قيل إن رجلا من فزارة اسمه « بيهس » كان سابع إخوة ، فأغار عليهم قوم من أشجع فقتلوهم ، وتركوا بيهساً ؛ لأنه كان أصغرهم ، وكان أحمق لايخشى بأسه ، وكانت أمه ونساء القبيلة يسخرون منه ؛ لأنه لايأخذ بثأر إخوته . ثم علم أن جماعة من أشجع يشربون فى غار ، فقال لخالٍ له يسمى أبا حنش : هل لك فى غنيمة باردة ؟ فانطلقا إلى الغار ، فدفع بيهس خاله إلى داخل الغار وقال : ضرباً أبا حنش فأخذ أبو حنش يضرب فى قوم سكارى فأفناهم ، فقال الناس : إن أبا حنش رجل شجاع أخذ بثأر أولاد أخته ، فقال أبو حنش : « مُكرَهٌ أخاكَ لابطل » . وهو يضرب لمن يحمل على عمل عظيم ليس من شأنه ولا من طاقته لكنه ينجح فيه .

١١ — إن العَوانَ لا تعلم الخِمرةَ(٥) : يضرب فى موقف الخبير بالأمر المجرب إذا حاول الناس أن يرشدوه .

(١) العذل : اللوم .
(٢) البغاث ضعاف الطير . يستنسر : يصير نسورا (يظهر القوة) .

(١) الزبى : جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد فى مكان عال إذا أرادوا صيده ، ولا يبلغها السيل عادة ، فإذا بلغها كان جارفا . (٢) أوكتا ، ربطتا . فوك : فمك .
(٣) زق : قربة . (٤) الرماء : الرمى . الكنائن : جمع كنانة وهى وعاء السهام .
(٥) العوان : التى كان لها زوج . الخمرة : لبس الخمار ، والخمار غطاء الرأس والوجه .

١٢ — إن غداً لناظره قريبٌ : كان النعمان فى رحلة صيد ، فمضى به فرسه إلى مكان منقطع ، فأكرمه أعرابى بذبح شاة وهو لا يعرفه ، ثم اشتد الضنـــك بالأعرابى فرحل يستعين بالنعمان ، فصادف يوم بؤسه(٦) . فاغتم النعمان حين عرفه لمكان فضله عنده ، فأجله حولا ليودع أولاده ، ومنحه مالا كثيرا ، وضمنه رجل يدعى « قُرادَ بن أجدع » ، فلما مضى الحول إلا يوماً قال النعمان لقراد : ما أراكَ إلا هالكا غدا وكان يحب التعجيل لنجاة الأعرابى ، فقال قراد :

فإن يكُ صدْرُ هذا اليـوم ولَّى فإنَّ غداً لنـاظره قريبُ(٧)

ويضرب للتمهل فى انتظار المستقبل القريب .

١٣ — عندَ جُهَينةَ (١) الخبر اليقينُ : قيل فى مورده إن حصين بن عمرو من بنى كلاب ، والأخنس بن كعب من جهينة خرجا للسلب والنهب ، فلقيا رجلا أرادا سلبه ، فقال لهما : أدلكما على مغنم وتتركاننى ؟ فدلهما على رجل من لخم صادفاه يشرب ويأ كل تحت شجرة وعرفا مامعه من مال كثير ، وأراد الأخنس ألا يقتلاه ؛ لأنهما أ كلا معه وشربا ؛ لكن الحصين قتله ، فغضب الأخنس ، وقتل الحصين . فلما عاد الأخنس لتى فى أثناء عودته امرأة تنشد الحصين ، فسألها عن نفسها فقالت : امرأته . فقال : أنا قتلته لبغيه وعدوانه ، فقالت : ما مثلك بقادر على قتل مثله ، فأنشد أبياتا منها :

تُسائلُ عن حُصينٍ كلَّ ركبٍ وعندَ جُهينةَ الخبرُ اليقينُ

ويضرب لمن يعرف الأمر على حقيقته .

١٤ — أنْ تردَ الماءَ بماءٍ أكيسُ(٢) : معناه أنك إذا احتفظت ببعض الماء الذى معكَ حتى تجد غيره كنت عاقلا ، وكان تصرفك أفضل . ويضرب فى الأخذ بالحزم ، وعدم التفريط بما فى اليد ثقة بما لم يُحصَّل بعد .

١٥ — إنّ الحديدَ بالحديدِ يُفلحُ(٣) : يضرب فى الاستعانة فى الأمر الشديد بما يشاكله ويُقاويه .

١٦ — إنّ أخاكَ مَنْ آساكَ(٤) : يضربُ للصديق المخلص والحث على مراعاة الإخوان . وأصله أن « سعَيدَ بن النعمان العبدى » أوصاه أبوه أن يبلو إخوانه (يختبرهم)

(٦) كان للنعمان كل عام يوم يقتل فيه من يفد عليه يسمى يوم البؤس . (٧) عاد الأعرابى ونجا قراد ، وأبطل النعمان عادته بهذه المناسبة . (١) جهينة : قبيلة .
(٢) أكيس : من الكيس وهو الفطنة والعقل . (٣) يفلح : يشق ويقطع .
(٤) آساك : سوى بينك وبين نفسه ، وجعلك أسوته أى مثله .

فلما توفى أبوه عمد إلى كبش فذبحه ، ووضعه مغطى فى ناحية الخباء (الخيمة) ودعا إخوانه واحدا بعد الآخر يقول لكل منهم . إنى قتلت رجلا خطأ وأريد المعاونة على مواراته خوفا من عشيرته ، وهذه جثته ، فكلهم أبى أن يعاونه ، إلا خزيم بن نوفل الهمدانى ، فقد قال له : هانَ مَا فزعتَ فيه إلى أخيك . وكان لسعيد غلام يسمع ويرى فقال خزيم : هل اطلع على الأمر أحد غير هذا الغلام ؟ قال سعيد : لا : فضرب خزيم الغلام بالسيف فقتله ، فارتاع سعيد لقتل غلامه ، فقال خزيم : « إن أخاك من آساك » . قال سعيد : إنما أردت تجربتك ثم أظهر له الكبش ، وأخبره بما لقى من إخوانه وثقاته .

١٧ — ومن الأمثال التى استمدوها من مظاهر الطبيعة قولهم :

(ا) أظمأ من رَمْلٍ : لأن الرمل أشرب شىء للماء .

(ب) وقولهم . أهدَى مِنْ قطاةٍ(١) : لأنها تهتدى إلى أفاحيص بيضها فى الصحراء بلا علامات تضعها لتدلها .

(حـ) وقولهم : أعقدُ من ذنب الضَّب(٢): قالوا إن عقده كثيرة، ويضرب فى الأمر المشكل .

١٨ — ومن الأمثال التى ارتبطت بأشخاص اشتهروا بصفات أحبها العرب أو كرهوها:

(ا) قولهم : أجوَدُ مِنْ حاتِمٍ : وقد عرفت شيئا عن كرمه فى نص سابق .

(ب) وقولهم : أوفَى مِنَ الحارثِ بن عبّاد (٣) : وضرب به المثل فى ذلك ؛ لأنه أسر « عدىّ بن ربيعة » ولم يكن يعرفه ، فقال لعدىّ : دلنى على عدىّ بن ربيعة ، فقال عدىّ : إن أنا دللتك على عدىٍّ أتؤمننى ؟ قال الحارث نعم . فقال عدىّ : أنا عدىّ بن ربيعة ! فخلاه الحارث .

(حـ) أبلغُ مِنْ قُسّ : وهو قس بن ساعدة الإيادىّ من حكماء العرب وخطبائها ، وكان رسول الله يحفظ خطبه وأقواله .

(ى) أبخلُ مِنْ مَادِرٍ : هُو رجل من بنى هلال واسمه مخارق ، ولقب بمادر ؛ لأنه سقى إبله من حوض فيه ماء أخرجه هو من البئر ، فلما بقى بعض الماء فى الحوض بخل به أن تشربه إبل غيره . فسلح فيه وطينه بالسلاح (٤) ، فلقب بمادر .

(هـ) أخلفُ مِنْ عُرقوب : عرقوب رجل من جماعة قديمة العهد تدعى العماليق ، وقد جاءه أخوه يسأله فقال له : إذا أطلعَت هذه النخلة (وأشار إلى نخلة قريبة) . فلما أطلعت قال له :إذا أبلحَت. فلما أبلحَت قال :إذا أزهَت (أى تلوّن بلحها) فلما أزهت. قال :إذا

(١) القطاة طائر مثل الحمام . (٢) الضب حيوان زاحف له ذنب به نحو ٢١ عقدة ، وهو يعيش فى الصحراء مستغنيا عن الماء

(٣) فارس من فرسان بكر بن وائل . (٤) فضلات الإنسان .

أرطبت ، فلما أرطبت قال : إذا أتمرت ، فلما أتمرت قطعها وأخفى تمرها ، ولم يعطه شيئا ، فذهبت مواعيده فى الإخلاف مثلا .

نظــرة بلاغيــة

اتضح لك من العرض السابق :

١ — أن المثل قول موجز يقال تلخيصا لموقف من مواقف الحياة ، أو تعليقا على حادث فيذيع وينتشر ، فإذا حدث بعد ذلك موقف يشبه الموقف الأول الذى قيل فيه أول مرة أعيد ذكره تشبيها للموقف الثانى بالموقف الأول . ويسمى الموقف الأول « مورد المثل » ويسمى الموقف الثانى « مضرب المثل » .

٢ — عند ضَرب المثل يعاد بالصيغة التى قيل فيها حين ورد فى قصته الأولى من غير تغيير فى نصه ، ولا لفظه ، ولا ضبطه . ولا بد من وضوح وجه الشبه بين حالة المضرب وحالة المورد . ولذلك يكون عند ضربه استعارة تصريحية شبهت فيها حالة المضرب بحالة المورد ، وعبّر عن حالة المضرب بالعبارة التى قيلت فى حالة المورد على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية . فإذا كان المثل صيغة تفضيل كان ضرب المثل تشبيها عاديا .

٣ — صيغة المثل تتميز بالإيجاز ، وإصابة الفكرة ، وجمال التعبير ، وفى ذلك يكمن سر سهولة حفظها ، وذيوعها ، وانتشارها على ألسنة الناس .

نظــرة أدبيــة

١ — عرفت أن أكثر الأمثال يرتبط بحادثة أو قصة وقعت ، وعرفت أن من الأمثال ما لم يرتبط بحادث وقع بل ارتبط بقصة رمزية .

٢ — الأمثال خلاصات لتجارب صدرت فى أكثرها عن ذكاء ودقة ، ملاحظة ، ونفاذ بصيرة ، فإذا أضفت إلى ذلك أن المثل يرتبط بحادثة أو حكاية ، وأنه كثيرا ما يتسم بالدقة ، وجمال التعبير أدركت سر ذيوع الأمثال فى بيئة فطرية تغلب عليها الأمومية ، وتشتد الحاجة فيها إلى مثل هذه الخلاصات يحفظها الناس ، وينتفعون بها ، ويسلكون فى هديها .

٣ — هذه الأمثال ترتبط بالبيئة ، وتعتبر صدى لها ، وتعبر عنها تعبيرا فطريا صادقا لا تكلف فيه ولا تصنع ؛ وذلك لأنها تنبع من مختلف البيئات والثقافات وتصدر عما يجرى فيها من أحداث ، ولذلك قيل « المثل صوت الشعب » .

٤ — عرفت من عرض الأمثال ومواردها أن منها ما كان يتصل بالحرب والسلم ، ومنها ما يمثل منهجا خاصا فى الحياة ، أو توجيها معينا ، ومنها ما يرتبط بشهرة بعض الأشخاص ، ومنها ما يرتبط بطبائع الحيوان ، ومنها ما يرتبط بمظاهر الطبيعة .

٥ — تتخذ الأمثال فى الدراسات الحديثة مفاتيح لمعرفة طبيعة الشعب واتجاهاته وميوله العميقة المستقرة فى نفوس أبنائه .

الحِكَم

الحكْمَة ضرب من النثر يشبه المثل ؛ من ذلك :

١ — رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ(١) رَيْثاً : تقال للحث على التأنى فى القول والعمل لإحكام السلوك وضبطه .

٢ — مَصَارِعُ الرِّجَالِ تَحْتَ بُرُوقِ الطَّمع (٢) : تقال فى الدعوة إلى مجانبة الطمع فيما لاحق للطامع فيه . فإن ذلك يؤدى إلى هلاك الرجال حقيقة أو معنى .

٣ — آفَةُ الرَّأى الْهَوَى (٣) : حكمة تقال فى الحث على الحياد فى التفكير ضمانا للوصول إلى رأى سليم .

٤ — مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُه كان كَالْغَاصِّ بِالْمَاءِ (٤) : حكمه توجه إلى الدقة فى اختيار المستشارين والأعوان .

٥ — مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ ، وَمَنْ تَرَاخَى تألَّفَ(٥) : حكمة توجه إلى التسامح واللين فى المعاملة ، واحترام مشاعر الناس وعواطفهم .

٦ — خَيْرُ الْمَوتِ تَحْتَ ظِلالَ السُّيُوفِ (٦) : توجيه إلى الجهاد فى سبيل الدفاع عن الحمى ، وشرف الوطن .

٧ — رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لاتُدْرَكُ(٧): توجيه إلى عمل الخير للخير لا إبتغاء الثناء من الناس ، ولا كسبا لحمدهم .

---

(١) تهب: تتسبب . ريث . بطء . والمعنى أن السرعة فى أداء الأعمال تؤدى إلى الخطأ ، والخطأ يقتضى إعادة العمل وتصويبه ، فيستغرق وقتا أطول .

(٢) مصارع : جمع مصرع وهو الهلاك . بروق : جمع برق ، وهو اللمعان الذى يغرى الرجال فيطمعون فيما لا يقدرون عليه ، فيكون هلاكهم فى طمعهم . (٣) آفة الرأى : عاهته وما يفسده ويعيبه الهوى : الميل . والمعنى أن من مال به الهوى بعد عن الرأى السليم .

(٤) بطانته : أهله وخاصته . الغاص من اعترض حلقه غصة . والمعنى من كان مستشاروه غير صالحين لم يستقم له أمر ، وكان حاله كحال من اعترض الماء فى حلقه . لا سبيل بعد الماء لخلاصه من غصته . (٥) المعنى من كان غليظا جافيا تجنبه الناس وانفضوا من حوله ، ومن كان سمحا سهلا أحبوه واجتمعوا لنصرته . (٦) تحت ظلال السيوف كناية عن ميدان القتال ، والمعنى أكرم الموت ، وأنبله ما كان فى القتال دفاعا عن مجد الوطن .

(٧) المعنى أنه مهما يجهد المرء نفسه فى عمل الخير ، فإنه لن يظفر برضا الناس جميعا ؛ لأنه =

٨ — حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُه (١): توجيه إلى اعتزال الأشرار، والبعد عن مجالهم والتأثر بعملهم .

نظـرة بلاغيـة

١ — الحكمة كالمثل فى الإيجاز ، وإصابة الفكرة ، ودقة التعبير .

٢ — وتوجه الحكمة إلى جانب من جوانب السلوك الصالح فى الحياة ، وليس ذلك من طبيعة المثل .

٣ — تختلف الحكمة عن المثل أيضاً فى أنها تصدر عن طائفة خاصة من الناس لهم خبرتهم وتجاربهم ودقة ملاحظتهم ، ولا ترتبط بحادثة أو قصة .

٤ — المثل حريص على أن يشبه موقفا بموقف ، وليس ذلك من هدف الحكمة ولا هو من طبيعتها .

نظـرة أدبيـة

١ — عرفت الحكمة هنا عبارات مستقلة قائمة بذاتها ، وعرفتها فى شعر زهير من قبل أبياتا متصلة بموضوع المعلقة اتصالا وثيقا حينا ، وواهنا حينا .

٢ — لا تقع الحكمة موقعا مؤثرا فى القلوب إلا إذا مهد لها تمهيدا يجعلها تلخيصا لموقف أو توكيدا له بحيث تخدم المضمون الروحى للنص الذى اشتملت عليه .

لا يضمن عدلهم فى الأحكام إن ضمن ألا يحسدوا ولا يحقدوا .

(١) حسبك : يكفيك . والمعنى تجنب الشر ، وكف عن مخالطة الأشرار ، وكفاك من الشر ما يصل إلى مسامعك .

خصائص الأدب فى العصر الجاهلى

أولا الشعر

الأمم فى عصورها الأولى يؤثر لها من الشعر أكثر مما يؤثر من النثر ؛ لأن الشعر يسبق النثر فى الوجود ؛ لاعتماد الشعر على العاطفة ، واعتماد النثر على الفكر ، ولأنها فى أميتها يسهل عليها حفظ الشعر وروايته فى حين تعوزها القدرة على حفظ النثر ، إذ لا تسجيل ولا تدوين ، ومن هنا كان الشعر فى العصر الجاهلى أقوى مصادر تاريخ العرب فى الجاهلية. فمن معانيه وصوره وأسلوبه تستطيع أن تتبين وجه الحياة فى العصر الجاهلىّ .

أغراض الشعر

١ — **الحماسة** : لما كانت الحياة فى الجاهلية قائمة على التنافس، والصراع ، والقوة، والغلبة كان طبيعياً أن يكثر فى هذا العصر شعر الحماسة ، وما يتصل بها من شجاعة، ودعوة إلى القتال، وحديث عن البطولة والنصر فى المعارك ، كما عند الأعشى، وعنترة ، وعمرو بن معديكرب .

٢ — **الفخر** : وفى ثنايا النصوص التى درستها يبدو فخر الشعراء بالشجاعة والإقدام والكرم، والوفاء، والنجدة وعراقة الأصل ، وغيرها من الأخلاق ، والمآثر التى يعتز بها العرب فى الجاهلية . وشاع الفخر فى الشعر لشيوع العصبية ؛ ولأن الشاعر لم يجد غير الشعر وسيلة لتسجيل مفاخره ، ومفاخر قومه ، وقد كان مع ذلك مقتصداً غير نزاع إلى المغالاة . ومن الفخر ما كان فردياً ، ومنه ما كان قبلياً وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه .

٣ — **الوصف** : وصورت لك النصوص حياة البادية من صحراء ، وسماء ، ونجوم ، ورياح، وأمطار، وخيام، وأطلال ديار، وإبل وخيل، ورحلة وأهوال فى الفيافى، ومعارك ، وآلات حرب ، وآلات صيد ، وقلما جاء الوصف مستقلا فى قصائد خاصة ، ومع ذلك فقد صور الشعر حياة الحضر فى قصور الغساسنة ، والمناذرة .

٤ — **الغزل** : فى مطالع القصائد ، ولا سيما المعلقات نجد الغزل الذى احتل مكاناً بارزاً فى العصر الجاهلى ، وكان طبيعياً أن يظهر هذا الغرض ؛ لأنه استجابة لنزعة فطرية فى الإنسان بعامة . وفى الإنسان العربى بخاصة ؛ لأنه ذو حس مرهف يدرك الجمال ويهتز له ؛ ولأن فراغه كثير ، وبيئته حارة ، وحياته تعوزها وسائل المتعة ، وتقوم على الفراق واللقاء — كل ذلك يثير بواعث الشوق إلى المرأة ، وكان أكثر هذا الغزل يتجه إلى الأوصاف الحسية ، ولا يعنى بتحليل العواطف وخلجات النفوس ، كما كان أكثره عفّاً بريئاً ، وكان أقله سافراً صريحاً .

٥ — **المدح** : وقد مدح الشعراء فى العصر الجاهلى عرفاناً للجميل كما تجد عند زهير،

أو رغبة فى الكسب كما تجد عند النابغة والأعشى ، لكن المدح فى هذا العصر يغلب عليه إيثار الصدق ، والبعد عن الغلو إلا بعض ما تجد عند النابغة .

٦ — **الرثاء** : وفى الشعر الجاهلى رثاء يتسم برهافة الحس ، وصدق العاطفة كما تجد عند الخنساء ، ودريد بن الصمة فى مثل قوله يرثى أخاه :

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّى مَكَانَهُ   فَمَا كَانَ وَقَّافاً وَلاَ طَائِشَ الْيَدِ
قَلِيلُ التَّشَكِّى لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ   مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِى غَدِ
وَهَوَّنَ وَجْدِى أَننِى لَمْ أَقُلْ لَهُ   كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِى

٧ — **الاعتذار** : الاعتذار قليل فى العصر الجاهلى ، وأوضح أمثلة له . اعتذاريات النابغة للنعمان بن المنذر .

٨ — **الحكمة** : شعر الحكمة جاء صدى لصفاء الفطرة ، وكثرة التجارب والقدرة على استخلاص العبرة كما فى شعر زهير ، وجاءت حيناً فى قصائد المدح ، وحيناً فى قصائد الرثاء .

مما تقدم يبدو أن أغراض الشعر الجاهلى كانت من وحى البيئة ، وأن منها ما كثر واستفاض لشدة اتصاله بهذه البيئة ، ومنها ما قل بضعف هذا الصلة ، وكثيراً ما كانت تتزاحم أغراض عدة فى القصيدة الواحدة من غير أن يكون بينها صلة كبيرة .

معانى الشعر الجاهلى وأخيلته

معانى الشعر الجاهلى مظهر للعقلية العربية فى البادية ، فلم تكن ناضجة نضجها فى الحضر . وتتسم المعانى بقربها ووضوحها ، وأنها فطرية خالية من العمق والتعقيد . ولم تكن تستوعب الموضوع ، بل هى خطرات تدور حوله ، وكثيراً ما جاءت غير مترابطة ولا مسلسلة حتى لتستطيع أن تقدم الأبيات فى القصيدة ، أو تؤخرها دون أن يؤثر ذلك فى كيانها . ولذلك كان البيت وحدة الشعر لا القصيدة .

ولعلك لاحظت تشابها كبيراً بين معانى الشعراء فى الموضوع الواحد .

أما الأخيلة فهى منتزعة من البيئة غالباً ، وتعتمد على المحسوسات من ألوان ، وأشكال ، وحركات .

ووسائل الخيال غالباً هى التشبيه ، والكناية .

والخيال قليل الغور قريب ، والصور ضيقة ساذجة .

ألفاظ الشعر وتراكيبه

ألفاظ الشعر جزلة عليها مسحة البداوة ، وتراكيبه متينة البناء قوية النسج ، بعيدة عن الالتواء والتعقيد ، وتميل العبارات إلى الإيجاز مع ندرة الزخرف، وألوان الجمال اللفظى.

منهج القصيدة فى الشعر الجاهلى

لم يتناول الشاعر الجاهلى موضوعا واحدا فى قصيدته ، بل كان يحشد فيها أغراضا متعددة ، كانت تبدأ بالغزل ممزوجا بذكر الأطلال ، وبكاء الديار ، ثم ينتقل إلى الوصف فيصف الناقة ،أو الفرس،أو الطريق، وما يلقاه فيه من مخاوف وأهوال ومتاعب ، ثم ينتقل بعد ذلك كله إلى الغرض الذى أنشأ قصيدته من أجله ، وقد يقف عند هذا الحد ، أو يضيف شيئا من الحكمة فى ختام القصيدة .

والمعلقات تمثل هذا المنهج ، وسميت بالمعلقات ؛ لأنها عند العرب كعقود الدر تعلق فى الأجياد ، أو لأنها جديرة بأن تعلق فى الأذهان والقلوب ، أو لأنها علقت بأستار الكعبة ، والمختارات التى حللناها من معلقة زهير تصور لك هذا المنهج .

النـثر

رأيت النثر الجاهلى ممثلا فى الوصايا والخطب ، والأمثال والحكم . وقد عرفت :

(ا) أن الوصية تتميز بما تشتمل عليه من خلاصة تجارب القائل ، وكثيرا ما تحتشد فيها الأمثال ، والحكم فى غير ترابط ، وقد يشيع فيها السجع .

(ب) وعرفت أن الخطابة قد استدعتها طبيعة الحياة الجاهلية بما فيها من تنافس وصراع وحروب ، فيدفع ذلك إلى مخاطبة الجماهير لإثارة الحمية وإلهاب الحماسة ، أو للإصلاح بين الخصوم ، أو السفارة بين القبائل ، أو لغير ذلك من أغراض كالحث على الخير والتنفير من الشر .

وقد ساعد على نموها : حرية القول ، وشجاعة الرأى ، وفصاحة الألسنة .

(حـ) وعرفت أن الأمثال قد شاعت فى ذلك العصر ، وأنها تعبر عن كثير من مظاهر الحياة فى الجزيرة ، وتصور جانباً من أخلاق أهلها وعاداتهم . وأنها تصدر عن طبقات الناس المختلفة فتأتى من الخاصة كما تأتى من العامة ، ومن أجل ذلك قيل « المثل صوت الشعب » وأن أكثرها قوى العبارة ، صائب الفكرة ، دقيق التشبيه .

(د) وعرفت أن الحكمة تتميز بالإيجاز ، والدقة ، وسلامة الفكرة ، وجمال الصياغة . وقد كثرت فى العصر الجاهلى ؛ لأن الحياة فيه كانت تعتمد على التجارب ، واستخلاص العبرة ، وقد اجتمعت للعربى سلامة الفطرة ، ونفاذ البصيرة ، ودقة الملاحظة ، مع مطاوعة الكلام له ، ولهذا أجاد فيها .

العصر الإسلامى

الأسلام وأثره : حمل الدين الجديد معتقدات جديدة ، ومفاهيم اجتماعية جديدة : فقضى على الوثنية ، ودعا إلى عبادة إله واحد ، وحرّم الخمـــر والميسر ، وقضى على المفاخر والأنساب ، والتعصب للقبيلة ، ودعا إلى أن يكون العرب إخوة تربطهم رابطة تسمو على روابط الدم ، وجعل مدار التفاضل التقوى . وسنّ من الشرائع ما كفل تنظيم المجتمع ، ودعم الأسرة ، ورفع شأن المرأة ، وحفظ كرامة الفقراء .

وكان توحيد العرب تحت راية الإسلام مؤذناً بقيام دولة عربية يدين بالولاء لها عرب الجزيرة كافة ، فانقضى عصر القبيلة ، وجاء دور القومية الجامعة وظهور الخصائص الكامنة فى الأمة العربية ، فأتيح لهذه الأمة أن تكون واحدة ، دينها واحد ، ودستورها القرآن ، ورئيسها واحد هو الرسول ثم ، خلفاؤه من بعده .

الفتوح وآثارها : لما توحد العرب تحت راية الإسلام اتجهت أنظارهم إلى فتح الأقطار تلبية لداعى الجهاد ونشر الرسالة ، وإقامة العدالة الاجتماعية فى بقاع الأرض . وقد كانت قوة العرب تستهلك فى النزاع القبلى ، فلما جمع الإسلام كلمتهم تجلت مقدرتهم الحربية ، فإذا هم يكتسحون ويثلون العروش ، وإذا الدولة العربية فى قرن واحد تبسط ظلها على ما بين مشارف الصين شرقاً ، والأندلس غربا .

وكان لحركة الفتوح آثار بعيدة فى حياة العرب ، فقد استوطنوا أقطاراً جـــديدة ، وخالطوا أهلها ، ومعهم لغتهم ودينهم وتقاليدهم ، فما أسرع ما اعتنق أهلوها الإسلام ، وما أسرع ما تعلموا العربية ، ووقفوا على آدابها فنبغ منهم الأدباء والفقهاء .

وتأثر العرب بالأمم التى خالطوها ، فأخذوا عنهم النظم السياسية والإدارية ، ووقفوا على حضارتهم وثقافتهم ، وتأثروا بها ، فاتسعت آفاقهم الفكرية .

وكثرت موارد الدولة العربية ، واستقر كثير من العرب فى البلاد المفتوحة ، وعمروا الحواضر والأمصار ، وأنشأوا المدن كالكوفة ، والبصرة ، والفسطاط ، والقيروان .

ونشأ مجتمع جديد فيه مزيج من العناصر العربية والأعجمية فى تكوينه ، وعاداته وتقاليده ، ونظم معيشته .

الأحزاب السياسية والعصبية القبلية :

في عهد الرسول نشأت الدولة العربية ، وقضى على العصبية القبلية ، لكنها عادت فأطلت برأسها بعد وفاة الرسول في صورة خلاف على خلافة رسـول الله ، لكنه حسم بتولى أبي بكر . ثم ظهرت ثانية بين الهاشميين ، والأمويين بعد مقتل عثمان بن عفان عام ٣٥ هـ ، وعلى أثر موقعة «صفين» بين على ومعاوية ظهر الخوارج يتهمون علياً بالخطأ في قبول التحكيم فاضطر إلى قتالهم واستمروا يحاربونه حتى قتل بيد أحدهم عام ٤٠ هـ ، وبذلك تم الأمر لمعاوية الذى جعل الخلافة وراثية في بني أمية ، وقد امتدت دولتهم من ٤٠ هـ إلى ١٣٢ هـ لكن الأمر لم يصف لهم ، فقد كان هناك حزب الشيعة ، وحزب الخوارج ، وحزب عبد الله ابن الزبير . ولكل حزب خطباؤه وشعراؤه .

وكان لذلك كله أثره الجلىّ فيما نقدمه من نصوص العصر الإسلامى شعراً ونثراً .

الشعر الإسلامى

قِصَّةُ كَرَمٍ لِلْحُطَيْئَةِ

الحطيئة هو جرول بن أوس ، من عبس ، أدرك الجاهلية والإسلام . ونشأ فقيرا ناقما على الناس ، واتخذ هجاء الناس وسيلة لكسب المال . وشكاه الناس لعمر بن الخطاب ، فهدده عمر بقطع لسانه ، وأوصاه أن يكف لسانه عن الناس .

وقد عمّـر حتى شهد معركة القادسية ، وتوفى فى خلافة معاوية .

وهو فى النص الآتى يحكى قصة عربى كريم ، مُعدَمٍ نزل به ضيف .

النص

١ — وَطَاوِى ثَلَاثٍ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلٍ ... بِبَيْدَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا

٢ — أَخِى جَفْوَةٍ فِيهِ مِنَ الإِنْسِ وَحْشَةٌ ... يَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَاسَتِهِ نُعْمَى

٣ — وَأَفْرَدَ فِى شِعْبٍ عَجُوزاً إِزَاءَهَا ... ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ تَخَالُهُمُ بَهْمَا

٤ — حُفَاةٌ عُرَاةٌ مَا اغْتَذَوْا خُبْزَ مَلَّةٍ ... وَلَا عَرَفُوا لِلْبُرِّ مُنْذُ خُلِقُوا طَعْمَا

٥ — رَأَى شَبَحًا وَسْطَ الظَّلَامِ فَرَاعَهُ ... فَلَمَّا رَأَى ضَيْفًا تَشَمَّرَ وَاهْتَمَّا

(١ - ٤) طاوى ثلاث : جائع ثلاث ليـــال . عاصب البطن : رابط بطنه ليخفف ألم الجوع .

مرمل : نفد زاده . بيداء : صحراء . ساكن : مقيم . رسما : أثرا لدار . الجفوة : غلظ الطبع والفظاظة . الإنس : بنو البشر . وحشة : خوف ونفور وانقباض . البؤس : الشدة والفقر . الشراسة : سوء الخلق والفظاظة . النعمى : خفض العيش والدعة . الشّـعب : الطريق فى الجبل . إزاءها : أمامها . أشباح : جمع شبح وهو الشخص الذى لا تتميز ملامحه . البهم : صغار الضأن والماعز . اغتذوا : أكلوا . خبز ملة : خبز ينضج على الجمر والرماد الحار . البر : القمح .

(٥ - ٩) شبحا : شخصا لا تبين ملامحه . وسط الظلام : بين الظلام . راعه : أفزعه . تشمر : استعد . اهتم : فكر بهمة ونشاط . هيا : أداة نداء للبعيد . رباه : ربى . القرى : مايقدم للضيف من طعام . تا الليلة : هذه الليلة : يسر : سهل وقدم . الطعم : الطعام العدم : الفقر . عل : لعل =

٦ — فَقَالَ : هَيَارَبَّاهُ ، ضَيْفٌ وَلاَ قِرًى ‏ ‏ بِحَقِّكَ لاَ تَحْرِمْهُ تَا اللَّيْلَةَ اللَّحْمَا

٧ — فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَآهُ بِحَيْرَةٍ : ‏ ‏ أَيَا أَبَتِ اذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طُعْمًا

٨ — وَلاَ تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ عَلَّ الَّذِى طَرَا ‏ ‏ يَظُنُّ لَنَا مَالاً فَيُوسِعَنَا ذَمَّا

٩ — فَرَوَّى قَلِيلاً ؛ ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً ‏ ‏ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَاهُ فَقَدْ هَمَّا

١٠ — فَبَيْنَاهُمَا عَنَّتْ عَلَى الْبُعْدِ عَانَةٌ ‏ ‏ قَدِ انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نَظْمَا

١١ — عِطَاشًا تُرِيدُ الْمَاءَ فَانْسَابَ نَحْوَهَا ‏ ‏ عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا

١٢ — فَأَمْهَلَهَا حَـــتَّى تَرَوَّتْ عِطَاشُهَا ‏ ‏ فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا

١٣ — فَخَرَّتْ نَحُوصٌ ذَاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٌ ‏ ‏ قَدِ اكْتَنَزَتْ لَحْمًا وَقَدْ طُبِّقَتْ شَحْمَا

١٤ — فَيَا بِشْرَهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ قَوْمِهِ ‏ ‏ وَيَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا يَدْمَى

١٥ — وَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ ‏ ‏ وَمَا غَرِمُوا غُرْمًا وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمًا

١٦ — وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبًا ‏ ‏ لِضَيْفِهِمُ ، وَالأُمُّ مِنْ بِشْرِهَا أُمَّا

= طرأ : مخفف طرأ ومعناها نزل وأتى . يوسعنا : يبالغ فى ذمنا . روى : فكر . أحجم : كف وتأخر . برهة : زمنا قصيرا . هم : أقدم ونهض وكاد يفعل .

(١٠ - ١٣) بيناهما : بيناهما على هذه الحالة ، عنت : ظهرت . عانة : سرب من حمر الوحش . المسحل : حمار الوحش . انساب نحوها . اتجه نحوها . أظما . مخفف أظمأ . أمهلها : صبر عليها . تروت : شربت حتى رويت . الكنانة . جعبة السهام . خرت : سقطت نحوص : أتان حائل (غير حامل) . اكتنزت : امتلأت . طبق (بالبناء للمعلوم) عم واتسع .

(١٤ - ١٦) يا بشره : ماأعظم بشاشة وجهه وطلاقته . إذ جرها : حين سحبها على الأرض كلما : جرحها . يدمى : يسيل منه الدم . بشاشته : سروره وابتهاجه .

الدراسة والتحليل

الأفـــكار

موضوع القصيدة قصة عربى كريم معدم نزل به ضيف ؛ وقد نظمها الحطيئة فاستكمل عناصرها :

١ — فى الأبيات الأولى (١ - ٤) مهد لقصته بوصف أشخاصها ، فذكر الأعرابى المرمل الجائع العاصب البطن ، وصور جفاء خلقه ، وشراسته ، وأنسه بالمكان الموحش ، وذكر العجوز فى شِعبها المقفر ، وذكر الأطفال المهزولين المجهودين ، وصورهم فى عريهم وحفائهم ، ورثاثة حالهم بهماً نال منها الجوع ، والحرمان ، وقسوة المكان .

٢ — ثم انتقل بعد هـــذا التمهيد الذى لم ينس فيه مسرح الأحداث — إلى تصوير الأحداث (٥ — ٩) ، فبين كيف فوجىء الأعرابى بشبح فى جوف الليل ، وكيف تخوفه أول الأمر ثم تهيأ للقائه مشمرا مهتما ، وكيف خلا إلى نفسه ، وابتهـــل إلى ربه ، ودعاه أن يرزقه من فضله طعاما يرضيه ، وصور كيف اهتز قلب الصغير لمحنة أبيه وكيف قدم عنقه فداء لشرف الأسرة الممتحنة فى كرمها ، وكيف بلغت الأزمة ذروتها ، فمضت فترة قلق وحيرة ، واضطراب ، والأب فى صراع بين عاطفتين متنازعتين ، واشتد القلق، واعتصر الألم القلوب على الولد المسكين يكاد أبوه يذبحه بيده الشفيقة الحانية .

٣ — وإذ يبلغ الشاعر ذروة الأزمة التى تمثل العقدة ينتقل فى الأبيات (١٠ — ١٣) إلى مفاجأة الحل السعيد ، يتمثل فى سرب الوحش يبتغى ماء يطفىء به غلة الظمأ ، وإذا بالأب ينساب فى خفة وحذر إلى السرب ليطفىء غلة أشد من غلة السرب الظامىء إلى الماء ، ويعود ظافرا بالصيد السمين بلحمه المكتنز ، وشحمه المطبق .

٤ — ويختم الشاعر قصيدته أو قصته بتصوير حفل التكريم الذى ساده الفرح والابتهاج بإكرام الضيف ، وإنقاذ شرف الأسرة ، ونجاة الولد الشهم من شر مستطير .

والقصة — فيما نرى — خيالية وضعها الحطيئة ، يرسم فيها نموذجا للعربى الكريم الذى يتمنى أن يراه فى ترحاله .

التصوير والتعبير

١ — وطَاوِى ثَلاثٍ عَاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ ببَيْدَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا

٢ — أخي جَفوةٍ فيه من الإنس وَحشَةٌ   يرى البؤس فيها من شراسته نعمَى

في هذين البيتين يصور الشاعر الأعرابي، فيصفه بالجوع ثلاث ليال، فيوحي بنحافته وهزاله؛ لأنه عند الطوى يكون خميص البطن ضامر الوسط، ويصفه بأنه «عاصب البطن» كناية عن ألم الجوع؛ لأنه لا يعصب بطنـــه إلا لتخفيف قرصة الجوع، ثم يصفه بأنه «مرمل»؛ ليذكر علة الجوع، وعصب البطن، ومجاورة «مرمل» للبيداء جميل، كأنه لا يجد بعد نفاد الزاد غير الرمل يلصق به، والأوصاف الثلاثة ترسم صورة مجسدة تكاد تبرز أمام أبصارنا، ولاسيما إذا وضعت على (أرضية الصورة) في الشطر الثاني: «ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما»، ووصف البيداء مع تنكير «ساكن» و«رسما»، يؤكد جدبها وخلوها من وسائل الحياة، وفي اختيار «ساكن» وهو المقيم يوحي بأنها متاهة ومَضَلة حتى إن ساكنها لا يعرف معالمها.

وفي البيت الثاني يصفه بثلاث صفات «أخي جفوة» وهي كناية عن الوصف بالغلظ والفظاظة، ثم يصفه بالنفور من البشر، ثم بالارتياح إلى البؤس في الصحراء. ولاشك أن البيت الثاني نتيجة لما جاء في البيت الأول، فالفقر، والجوع، والعزلة في مثل هذه الصحراء تؤدي إلى الغلظة، وسوء الخلق، والنقمة على الناس، والشعور بالراحة في البعد عنهم؛ لأنهم في رأيه سبب شقائه، وكأنما يصف الحطيئة نفسه بهذا البيت. والخلاصة في البيتين أن الشاعر قدم الطي، وقرن به العصب وهما غالبا مقترنان، ثم ذكر السبب في بقية البيت الأول، وجاء في البيت الثاني بالنتيجة مصورة لشخصية الأعرابي تصويراً ينبض بالحياة مع الدقة وجمال التعبير (لاحظ المقابلة بين الإنس والوحشة، وبين بؤس ونعمى).

٣ — وأفرد في شعب عجوزا إزاءها   ثلاثة أشبـــاح تخالهم بَهمَا

٤ — حفاة عراة ما اغتـــذوا خبز ملة   ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

يمضي الشاعر في تصوير شخصيات القصة، فهذه عجوز معزولة مقطوعة بواد جبلي مقفر في جانب من جوانب الصحراء المخوفة. والتعبير بالفعل (أفرد) لإبراز الإحساس بالعزلة، والبعد عن أسباب الإيناس والحياة النشيطة. والتعبير بالأشباح إشارة إلى ضياع ملامح الإنسانية فيهم، وتشبيههم بالبهم يصور مدى هزالهم؛ لأن البهم في صحراء مجدبة لا يمكن أن تكون إلا جـــلدا على عظم، فإذا وصفهم بالعري والحفاء مع ذلك صاروا رمزا للبؤس والشقاء.

ويختم وصفهم ببيان علة هزالهم فيشير إلى حرمانهم من خبز الملة وخبز البر، وكأنهم

يتغذون بخبز من الشعير ونحوه ، أو كما تتغذى حيوانات الصحراء من نبات برى ، أو صيد يتاح فى الحين بعد الحين .

وأظنك تشعر بالموسيقى الحزينة فى قوله : حفاة عراة .

وليس تصوير أفراد الأسرة مقصودا لذاته ، بل للإيحاء بتبعات هذا الأعرابى الفقير وهمومه ، فلو كان وحـــده لهان الأمر وخف الثقل ، لكنه يحمل أعباء أسرة هذه حالها فماذا يكون موقفه إذا حل به ضيف فى بيئة صحراوية ترى إكرام الضيف أقدس واجباتها ؟

٥ — رأى شبحا وسط الظلام فراعه ... فلما رأى ضيفا تشمر واهـــتما
٦ — فقال : هيا رباه ! ضيف ولا قرى ! ... بحقك لا تحرمه تا الليـــلة اللحما

الارتياع استجابة طبيعية لرؤية شبح فى ظلام البادية ، والتهيؤ لاستقبال الضيف بهمة ونشاط استجابة أخرى تدل على طبيعة الكرم فى الأعرابى لم يمنعها إعواز القرى . لكن غمرة الفرح بالضيف لم تلبث أن انقلبت حسرة أليمة تتجلى فى الابتهال الملهوف المتفجر من أعماق الصدور متمثلا فى هذا النداء : « هيا رباه » النداء المبدوء بالهاء والمختوم بالهاء . بعد امتداد الصوت بحرف النداء والمنادى الذى قلبت ياؤه ألفا ، كما تتجلى فى الحيرة والقلق يفيضان من قوله «ضيف ولا قرى» وكما تتجلى فى القسم المتضرع فى قوله « بحقك » ، وفى الدعاء المستكين فى قوله : « لا تحرمه » ، وفى اسم الإشارة السريع الخاطف (تا) الذى يعبر عن الرغبة المشتعلة فى تعجيل القرى . ثم ذكر اللحم فى دعائه ليشعرنا بثقته بالله وفضله ، كما يشعرنا برغبته الصادقة فى أن يكون القرى فى أنبل صورة .

وأحب أن تتذوق معى هذه العبارة : « ضيف ولا قرى » أهى أسلوب خبرى كما يقضى تركيبها ؟ أهى أسلوب استفهامى محذوف الهمزة كما يقضى السياق ؟ إن السياق يدعو إلى اختيار الاتجاه الثانى ؛ لأنك لا تستطيع قراءتها إلا بلهجة المتعجب ، المستفهم ، المتحسر !

٧ — فقال ابنـــه لما رآه بحـــيرة ... أيا أبت اذبحـــنى ويسر له طعما
٨ — ولا تعتذر بالعدم علّ الذى طرا ... يظن لنـا مالا فيوسعنا ذمّا

كانت استجابة الولد سريعة ؛ لأنه رأى حيرة أبيه ، وأحس رغبته فى إطعام الضيف لحما ، وهو يعلم أن لا أمل فى اللحم ، لكنه لم يرغب فى التضحية من أجل حيرة أبيه فحسب ، بل لأنه يخشى هجاء الضيف إذا ظن لهم مالا بخلوا به ، وقد عبر بالظن ؛ لأن مظاهر فقرهم تمنع الضيف أن يعتقد توافر المال عندهم ، ولكن من الروعة أن يخشى مجرد الظن .

ويبدو حرص الولد على التضحية فى إلحاحه على أبيه بالنداء ، وبالأمر « اذبحنى » و « يَسِّر » وبالنهى « لاتعتذر » ، وكلها دعاء ورجاء ، ولم يكتف الولد بهذا ، بل قال : « عل الذى طرا يظن » تعليلا لدعائه ورجائه ، وعلّ هنا تفصح عن شدة إشفاق الولدوحذره من الهجاء ، وجميل جداً من الحطيئة أن يجعل الولد سر أبيه فى حرصه على قرى الضيف مع أنه جائع مهزول : أليس ممن قال الحطيئة فيهم : « ثلاثة أشباح تخالهم بهما ؟ » ولكن لم قال « الذى طرا » فكنى عن الضيف باسم الموصول وصلته ، ولم يقل « ضيفنا » مثلا ؟ إنه يريد أن يشير إلى سبب ظن هذا الذى طرأ ، وهو جهله بأحوال الأسرة ؛ فالسبب أنه طارىء آت من بعيد .

وفى قوله : « يوسعنا ذما » استعارة مكنية جعل الذم وعاء يحتوينا ، وهى توحى بأن الذم كثير يعُم ويغرق ، ويُخْمِلُ . وبين قوله « العدم » ، وقوله « مالا » مقابلة لطيفة يثير بها المتحدث شعور سامعه ، ويدعوه إلى التفكير فيها ليحذر ويخاف . والبيت التاسع يبين أنه رأى فى كلام ابنه مايستحق التفكير . ففكر قليلا ، وفى هذا التفكير نتخيل الصراع العنيف بين حبه لابنه ، وحرصه على سمعته . « وأحجم » تدل على أنه آثر الاحتفاظ بابنه فترة ، لكنه سرعان ماعاد فَهَمَّ ، بذبحه ، وقد أكد الفعل بقد ، دليل التصميم . وبين الإحجام والهم مقابلة تشير إلى الصراع الداخلىّ الذى احتدم فى نفس الرجل . وقوله « وإن لم يذبح فتاه » تمهيد للحل السعيد فى الأبيات التالية ؛ فكأنه يقول لولا أن عنّت عانة لذبحه ، والتعبير عن الابن هنا بالفتى وإضافته إلى ضمير الأب دليل الاعتزاز به ؛ لأنه فتى يعوّل عليه ، ويوثق به ظهيرا فى المواقف .

١٠ — فبيناهما عنت على البعد عانة قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
١١ — عطاشا تريد الماء فانساب نحوها على أنه منها إلى دمها أظما
١٢ — فأمهلها حتى تروّت عطاشها فأرسل فيها من كنانته سهما
١٣ — فخرت نحوص ذات جحش سمينة قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما

حذف خبر المبتدأ (هما) دليل على الشعور بالمفاجأة بظهور السرب . والمجانسة بين « عنت » و « عانة » دليل على شعور بالطرب يداخل الحطيئة وهو ، يفصح عن إحساس الأعرابى . والإعجاب بهذا السرب جعل الشاعر يقول : « انتظمت نظما » كأنه يتغنى بحركتها المستقيمة . والفعل « تريد » خطأ فى صورتها وهى تتحرك فى نظام إلى الماء . « فانساب نحوها » الفاء تدل على أنه لم يضيع وقتا ، ولم يحدث ضجة . بل مضى فى خفة ، ورشاقة ، وخفاء إليها . وقوله . « على أنه منها إلى دمها أظما » موازنة بين حاله وحالها استخدم فيها لفظ أظما ، لشدة حرصه على صيدها ، وهو استعمال استعارى (استعارة تصريحية) . ولعل ظمأ هذا

جعله يقدر ظمأها ، « فأمهلها » حتى تشرب . واستخدم الفعل « تروت » ليوحى بكمال الارتواء ، « فأرسل » بعد اطمئنانه إلى شربها « سهما » . و « من كنانته » جار ومجرور يصور الرجل يحمل كنانته مستعدا دائماً فى هذه الصحراء ، ويصور حركته وهو يستخرج السهم ، ليضعه فى قوسه ، ويرسله ، فيصيب الهدف . « فخرت نحوص » وبذلك انتهت حركة الترصد والصيد التى صورها بأفعال متتابعة متلاحقة ، بدلالة هذه الفاءات بعد عنت : « فانساب ، فأمهلها : فأرسل ، فخرت . » وهو فرح بالنحوص ؛ لأن النحوص ، هى الأتان الوحشية الحائل ، وهى التى منعها السمن من الحمل ، فوصفها بأنها ذات جحش إشارة إلى أنها ليست عجوزا ، بل ولدت مرة واحدة ، فهى شابة ، ويبدو أن الحطيئة يفضلها على المسحل نفسه ؛ لأنه يتصوره عجوزا ، أليس هو قائد القطيع ؟ ومع أن كلمة نحوص تفيد هذه المعانى ألح الحطيئة على وصفها بالسمن ، والشباب ، واكتناز اللحم ، وتطبيق الشحم ، ابتهاجا بها ، فهو يتحدث بأوصافها كأنه يتلذذ بالتهام لحمها بعد جوع ، والموسيقى بين « لحما » ، « وشحما » تدل على شدة سروره ! أتتذكر الصائمين حين يخوضون فى ذكر الأطعمة وألوانها ! فما بالك إذا كان الطعام فدية لولد كريم ، وقرى لضيف طارق فى بيئة محرومة على أسرة مخرومة ؟

١٤ — فيابشره إذْ جرّها نحو قومه ويابشرَهم لما رأوا كلمها يدمى
١٥ — وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم وماغرموا غرما ، وقد غنموا غنما
١٦ — وبات أبوهم من بشاشته أبا لضيفهم ، والأمّ من بشرها أمّا

تصور الأبيات فرحة الأسرة بتكريم الضيف : الفاء فى « فيابشره » تشعر ببلوغ غاية الأمل ، وحرف النداء للتعجب من البشر العظيم ، و« إذْ » ظرف لهذا البشر ، و« جرّها » فعل مصور لضجة الفرح لا يغنى عنه فعل آخر ، فلقد يخيل إلىّ أن صوت الجر فى ذلك الوقت كان أروع من نغم الموسيقى . وجعل أسرته الصغيرة الفقيرة « قوما » فرفعها مكانة علية تلائم النصر فى تحقيق هدف الإكرام . وقد جعل لنفسه بشرا ، وجعل لقومه بشرا تلذذا بتكرار البشر بهذه الصيغة الموسيقية الجميلة ، وهذا البشر الثانى عجيب ؛ لأنه بشر برؤية الكلم الدامى ! ألا ترى أن الفرحة بإكرام الضيف مذهلة حتى أنستهم بشاعة منظر الدم والكلم ، بل اعتبروه مصدر بشاشة ؟

وكلمة « كراما » فى البيت الخامس عشر هى هدفهم الأسمى ، وقضوا حق ضيفهم » تكرار للمعنى للاستمتاع بمجرد التكرار ، وفيه اعتزاز بأنه أصبح « ضيفهم » فلم يعد « الذى طرا » كما كان قبلا : ثم يقول : « وماغرموا غرما وقد غنموا غنما » فيلخص ما حدث بعبارتين متقابلتين متجانستين تتعاونان بسبب ذلك فى توكيد المعنى وإصدار نغم موسيقى جميل .

وفى البيت الأخير يصل الشاعر إلى ذروة الفرح والبهجة بتحقيق هدف الأسرة ، وإشباع رغبتها فى إكرام الضيف ، وهو إكرام يعلو على كل قرى . فرب البيت أب للضيف وربة البيت أم له ، وهما تشبيهان جميلان وجه الشبه فيهما العطف، والحدب ، والاحتفاء .

وتلك البهجة التى سادت الأبيات الأخيرة تدفع إلى أذهاننا حالة الأعرابى فى البيت الثانى من القصيدة ؛ لندرك إدراكا عميقا سرّ غلظته وشراسته ، ورؤيته بؤس الصحراء نعمى .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — النص قصة شعرية مستكملة الجوانب ، ومن أجل ذلك جاءت مترابطة الأفكار والأحداث مسلسلة يسلم أولها إلى آخرها .

٢ — الشاعر اعتمد فى التصوير على الألفاظ التى توحى بمظاهر مادية مصورة كأن الكلمات عند ، خطوط وألوان .

٣ — القصة خيالية وضعها الحطيئة استجابة لأمنية لا تتحقق فى الواقع فحققها فى الخيال فهى من أحلامه التى يخلقها خياله ، راجيا أن يكون الناس جميعا هذا الأعرابى ، حتى يجد اهتماما واحتفاء به حين ينزل ضيفا على الناس ، وهو دائما ضيف على الناس ، يحمدهم حينا ويذمهم حينا ، فالقصة من صنع خياله ، وهو ليس بطلا لها لا ضيفا ولا رب بيت .

نجح الحطيئة فى تصوير الحاجة والفاقة فى النفوس ، كما نجح فى تصوير أثر الوجد ، وحسبك أن توازن بين حالة الأعرابى حين حرم ، وحالته حين وجد .

نظـــرة أدبيـــة

١ — قصيدة الحطيئة من القصائد العربية التى تناولت غرضا واحدا ، فهى تختلف عن الطراز السائد فى الشعر العربى .

٢ — القصيدة نموذج يثبت أن الأدب العربى لا يعوزه القصص .

٣ — وهى دليل على أن من شعراء العرب القدامى من يقدر على استخدام الألفاظ الموحية بالمظاهر المادية فى تصويرهم للأحداث .

٤ — لا تدل القصيدة على شخصية الحطيئة إلا بطريق غير مباشر ؛ لأن الأسلوب القصصى مزاج من الموضوعية والذاتية .

٥ — النص متأثر بالبيئة البدوية ، وما فيها من شبه بقصة الذبيح إسماعيل ، أو ألفاظ ورد مثلها فى القرآن ، لا يدل على تأثر الحطيئة بالإسلام ، فالحطيئة أبعد من يكون عن ذلك، وليس هناك من يجزم بتاريخ إنشاء القصيدة .

٦ ـــ الحطيئة شاعر متصرف فى فنون القول ؛ لكن الهجاء غلب عليه فعرف به .

المناقشة

١ ـــ اقرإ الأبيات الأربعة الأولى من القصيدة ثم أجب عما يأتى :

(ا) فى الشطر الأول من البيت الأول ثلاثة أوصاف للأعرابى ، اذكرها ، وبين علاقة بعضها ببعض .

(ب) ماعلاقة البيت الثانى بالبيت الأول ؟

(ج) « تخالهم بهما » بين المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه فى هذه العبارة ، ثم وضح أثر التشبيه فى المعنى .

(د) ماقيمة البدء بهذه الأبيات الأربعة فى بقية أجزاء القصة ؟

(هـ) فى البيت الثانى تقابل . وضحه ، وبين أثره فى المعنى .

٢ ـــ فى البيتين الخامس والسادس :

(ا) مامعنى : اهتم . راعه ؟

(ب) لم ارتاع حين رأى الشبح وتشمر حين تبين فيه ضيفا ؟

(ج) مامظاهر حرص الرجل على إكرام ضيفه فى البيت السادس ؟

(د) « ضيف ولاقرى » ما لون هذا الأسلوب ؟ وماغرضه البلاغى ؟

٣ ـــ فى الأبيات (٧ ـــ ٩) :

(ا) عين الجمل الإنشائية وأغراضها البلاغية .

(ب) ماعلاقة « علّ الذى طرا » بما قبله ؟

(ج) لم قال « الذى طرا » ولم يقل ضيفنا ؟

(د) بين الاستعارة فى « يوسعنا ذما » .

(هـ) عين المقابلة ، وبين جدواها فى البيت الثامن ، والبيت التاسع .

(و) ما مظاهر الصراع النفسى فى البيت التاسع ؟

(ز) بين أن البيت التاسع هو ذروة العقدة ، وأنه يتضمن تمهيدا لحلها .

(ح) لم عبر الشاعر بالفتى فى البيت المذكور ؟

٤ ـــ ضع أمامك الأبيات من (١٠ ـــ ١٣) وأجب منها عما يأتى :

(ا) تمثل الأبيات عنصرا من عناصر القصة . وضح ذلك .

(ب) لم حذف خبر المبتدأ فى البيت العاشر ؟

(ج) فى البيت العاشر موسيقى . وضح عناصرها .

(د) فى البيت الحادى عشر صورة خيالية . وضحها ، وبين ما توحى به .

(هـ) أيها أفضل : «انساب نحوها»، أم : «انسل نحوها» أم : «انقض نحوها»؟ ولماذا ؟

(و) مامعنى نحوص ؟ ولم وصفها بأوصاف أربعة متشابهة ؟

٥ — فى الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة :

(ا) ماذا من الموسيقى فى البيت الرابع عشر ؟

(ب) أيهما أجمل : « جرها نحو قومه » أم « شدها نحو قومه » أم : « حطها عند قومه » ؟ ولماذا ؟

(جـ) كيف تفسر بشرهم للكلم الدامى ؟

(د) عين لون الموسيقى اللفظية فى البيت الخامس عشر ، وبين أثره فى المعنى .

(هـ) وضح وجه الشبه فى التشبيه فى البيت الأخير .

تأييد وإشادة بالدين الجديد

لحسَّانَ بنِ ثابت

هو من أهل المدينة ، من قبيلة الخزرج ، وقد عاصر الجاهلية والإســلام ، فهو من المخضرمين ، واشتهر فى الجاهلية بمدح ملوك غسان ، وملوك الحيرة ، واختص بعد الإسلام بمدح النبي والدفاع عنه . فكان حسان شاعر المدينة فى الجاهلية ، وشاعر النبي فى النُّبوَّة وشاعر اليمن كلها فى الإسلام . وكان النبي يُسَرُّ به ، ويستنشده الأشعار فى الدفاع عن أعراض المسلمين إذا هجاهم هاج ، فقد كان يهجو النبي ثلاثة من قريش ، فكان حسان يعارضهم . ومن أمثلة دفاعه عن النبي ، أن وفداً من تميم جاءوا النبي ، وهم سبعون رجلا فيهم خيرة الشعراء من تميم ، فأنشد أحدهم قصيدة فخر ، فأمر الرسول حسان بن ثابت أن يجيبهم ، فقال قصيدة منها الأبيات الآتية :

النَّصُّ

١ — إنَّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ	قَدْ بَيَّنُوا سُنَناً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
٢ — يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ	تَقْوَى الإِلَهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِى شَرَعُوا
٣ — قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ	أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِى أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
٤ — سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ	إِنَّ الخَلاَئِقَ ـ فَاعْلَمْ ـ شَرُّهَا البِدَعُ
٥ — إِنْ كَانَ فِى النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ	فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

(١-٢) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى شعر مقدم الرأس، والمراد أعلى فهر، وفهر قبيلة من قريش . إخوتهم : الأنصار والمهاجرون . والسنن : الطرائق الواضحة . يرضى بها : يعتقدها . سريرته : سره ونيته ، وما انطوى عليه قلبه . بالأمر الذى شرعوا : سنوا الشريعة والطريق أظهروها ووضحوها . وبالأمر معطوف على الضمير فى « بها » .

(٣-٤) أشياعهم : أنصارهم وأتباعهم . سجية : خليقة وطبيعة . البدع : المستحدثات التى لاأساس لها من الفضيلة والشرف .

(٥-٧) سباقون : كثير السبق . بعدهم : غيرهم . أدنى : أقل . تبع : تابع . نالوا عدوهم : أصابوه وظفروا به . أصيبوا : انهزموا ، أوفقدوا إخوة أعزاء فى المعارك . خور : =

٦ — لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ   وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُزُعُ
٧ — أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ قَائِدُهُمْ   إِذَا تَفَرَّقَتِ الأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

الدراسة والتحليل

الأفكار

هدف النص تأييد الدين ، والردّ على خصومه . وقد جاء النص تمجيداً للقائمين بالدعوة يتخلله إشادة بمبادىء الدين وتعاليمه . ويمكن تلخيص أفكار النص فيما يأتى :

١ — فى البيتين الأول والثانى يمدح الشاعر محمدا وأصحابه ، ويشيد بالمبادىء التى يدعون لها ، وبمن يؤمن بها ، ويعتصم بحبلها .

٢ — فى الأبيات (٣ : ٥) يمدح قادة المسلمين بالشجاعة ، وبصُنع المكارم ، ويؤكد أصالة الشهامة ، والمروءة فى أنفسهم ، كما يؤكد سبقهم فى كل مجال يتنافسون فيه على الخير .

٣ — فى البيتين السادس والسابع يبين الشاعر أثر الإيمان فى أنفسهم ، ويوازن بينهم وبين غيرهم من الضالين .

وأنت ترى أن الأبيات لا يجمعها إلا تأييد الدعوة ببيان أثرها فى النفوس .

التصوير والتعبير

١ — فى البيت الأول استعارة تصريحية شبه فيها محمدا وأصحابه بالذوائب لعلوها ورفعة مكانها وحذف المشبه ، وصرح بالمشبه به . وأثرها بيان المنزلة السامية التى احتلها قادة المسلمين ، والإيحاء بأثر الإسلام فى إبراز عناصر الخير فى النفوس المؤمنة ، ورفعها درجات فوق الناس . وقد جعل الأنصار والمهاجرين إخوة فهر ، إشارة إلى إحلال العقيدة محل رابطة الدم والقرابة ، وتستطيع أن تتصور فى إخوة استعارة تصريحية أيضاً . وقد أكد العبارة بإنّ ، وبقد ؛ لأنه يرد على ادعاء ، ويخاطب قوماً فيهم بعض المنكرين . ولذلك أيضاً وصف السنن بقوله « تتبع » ؛ ليشير إلى أنها تحمل فى طبيعتها ما يجعلها جديرة بأن تتبع لذاتها ؛ لأنها مصدر خير وإسعاد .

= ضعفاء جبناء من الخور وهو الضعف . جزع : جمع جزوع ، وهو من لا يصبر على المصيبة . أكرم بقوم : صيغة تعجب . الأهواء : جمع هوى ، وهو الميل . الشيع : جمع شيعة وهى الأنصار ، والأتباع المعاونون .

٢ — وقوله « يرضى بها من كانت سريرته تقوى الإله » كناية عن أن الإسلام دين الفطرة ، ولعلك تلاحظ أن قوله « وبالأمر الذى شرعوا » متأخر عن موضعه تأخيراً جعله يشبه الزيادة التى لاجدوى وراءها .

٣ — البيت الثالث كناية عن عظمتهم وقدرتهم على التأثير فى كل مجال ، وبين الشطرين مقابلة متعددة العناصر تثير اليقظة ، وتدعو إلى التفكير فى جمعهم هذه العناصر المتضادة . والموسيقى جميلة فى التوازن بين حاربوا وحاولوا .

٤ — فى البيت الرابع يقدم الخبر « سجية » على المبتدأ « تلك » للمسارعة إلى بيان الطبع الأصيل الذى لايخفى ولا يتغير ، اهتماما بهذه الأصالة ، وإشعارا بثمرتها فى نشر الدعوة . والشطر الثانى من البيت توكيد للشطر الأول بما يسمى التذييل - والاعتراض بالفعل - فاعلم - للتنبيه إلى الحكم المهم الذى يصدره . وبين « غير محدثة » ، « والبدع » تقابل جميل . ويبدو أن الشاعر بهذا التوكيد ، وذلك التنبيه يعرض بقوم آخرين مزعزعين .

٥ — وفى البيت الخامس أكد سبق قادة الإسلام بوسائل مختلفة منها : (إنْ) التى تعلن الشك فى فرض وجود سباقين سواهم . ومنها (بعدهم) فهى توحى بأوليتهم . ومنها التصريح فى الشطر الثانى بأن سبق غيرهم (تبع) لسبقهم . ومنها قوله (أدنى) ليؤكد بعد المستوى . ومنها تصدير الحكم بلفظ (كل) الذى يفيد العموم . وكل هذا يدل بوضوح على قوة عاطفة الشاعر ، وصدق إيمانه ، وعمق حبه للرسول وصحبه .

٦ — البيت السادس كناية تبرز تواضعهم وصبرهم فى حالتى النصر والهزيمة ، وهو إيحاء بعمق إيمانهم ، وتأثرهم بروح الإسلام ، فالشطر الأول يتناول حالة النصر ، والاعتزاز به ، والشطر الثانى يتناول حالة الهزيمة والاستكانة ، وهما معنيان متقابلان وضعهما الشاعر موضع الموازنة المؤثرة . وهو ينبه على كثرة انتصارهم باستخدام « إذا » وعلى قلة هزيمتهم باستخدام « إن » . ونفى الخور ، ثم توكيده بنفى الجزع حرص من الشاعر على تبرئة ساحتهم من مظاهر الضعف عند الإصابة .

٧ — والبيت السابع أسلوب تعجب يحمل الدعوة إلى الدين الجديد ، والانضواء تحت القيادة المثلى ، والتنفير من ضلال الأحزاب والشيع . وبين الشطرين موازنة تؤيد الدعوة . وتؤيد التنفير . فكأنه يقول : شتان ما بين قوم يقودهم رسول الله ، وقوم يقودهم الهوى والضلال .

نظرة بلاغية

١ — النص دفقة شعورية دعت إليها الحماسة فى الرد على قوم يفخرون بأنفسهم وهم كافرون . فأثر الارتجال فيها واضح . والأبيات غير مرتبة المعانى . لكن صدق العاطفة فيها بارز .

٢ — اعتمد الشاعر فى إبراز عاطفته على العبارة وتوكيدها ، وإبراز معناها بالمقابلات والموازنات . وإذا كان فى النص صور فهى قليلة جدا ، وتكاد تكون كلها كنايات قريبة الوسائط .

٣ — تتسم الألفاظ بالسهولة والوضوح، ولعل هذا أثر من آثار القرآن الكريم والحديث الشريف.

نظرة أدبية

١ — يبدو من النص أن الشعر فى صدر الإسلام كان من أدوات الدعوة ، وأن الرسول كان يشجعه.

٢ — بدأ الشعر يتأثر بأسلوب القرآن ، وأسلوب الحديث .

٣ — بدأت روح الإسلام تسرى فى روح الشعر ، والنظر إلى : « إخوتهم » و « تقوى الإله » ، « والأمر الذى شرعوا » ، « وشرها البدع » و « لايفخرون إذا نالوا » ، « وإن أصيبوا فلاخور » ، « وتفرقت الأهواء والشيع » النظر إلى ذلك كله يدل على هذه الروح.

٤ — لأمر ما دعى حسان شاعر الرسول ، فهو شديد الحماسة للدين الجديد ، حريص على التغنى بآثاره فى النفوس .

المناقشة

١ — قال حسان :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سننا للناس تتبع

(ا) بين الصورة البلاغية فى البيت . (ب) لم أكد بإنّ ، وقد فى هذا البيت ؟
(ج) ما فائدة كلمة « تتبع » فى آخر البيت ؟

٢ — قال حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

(ا) بم مدح حسان أصحاب الرسول فى هذا البيت ؟ (ب) بين جمال التعبير فى البيت.
(ج) قال شاعر آخر :

وإذا حاربـــوا أذلوا عزيزا وإذا سالموا أعزوا ذليلا

بين مدى الاتفاق فى المعنى بين البيتين ، ثم اذكر أى الشاعرين أكثر توفيقاً فى التعبير عن معناه مع بيان السبب .

٣ — سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ   إِنَّ الْخَلَائِقَ — فَاعْلَمْ — شَرُّهَا الْبِدَعُ

(ا) ما مرجع الإشارة « تلك »   (ب) ما علاقة الشطر الثانى بالشطر الأول ؟

(ج) ما فائدة فعل الأمر « فاعلم » ؟

٤ — لا يفخرون إذا نالوا عدوهم   وإن أصيبوا فلا خور ، ولا جزع

(ا) ما معنى نالوا عدوهم ؟   (ب) ما معنى الخور والجزع ؟

(ج) بين ما ترى من تقابل بين الشطرين ، واذكر رأيك فيه .

(د) أيهما أوفق قوله : « لا يفخرون » ؟ أم « لا يفرحون » ؟ ولماذا ؟

٥ — أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ قَائِدُهُمْ   إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

(ا) ما الغرض البلاغى من الأسلوب الإنشائى فى هذا البيت ؟

(ب) هل ترى تقابلا بين شطرى البيت : وضحه ، واذكر رأيك فيه .

(ج) ما علاقة هذا البيت بأبيات النص قبله ؟

من شعر المغازى والفتوح

زفرة فارس يتطلع إلى الجهاد

لأبى مِحْجَنٍ الثَّقَفِىّ

الشاعر: أبو محجن الثقفى فارس، شاعر مقل، وكان يشرب الخمر فنفاه عمر بن الخطاب إلى مكان ناءٍ، وفى أثناء نفيه قامت الحرب بين الفرس والعرب فى القادسية سنة ١٣ من الهجرة (وكان قد أسلم مع قبيلته ثقيف فى السنة التاسعة للهجرة) ورأى أبو محجن فى حرب القادسية فرصة تعفيه من النفى، وأراد أن يشارك فى المعركة. فبلغ خبره سعد بن أبى وقاص قائد جيش المسلمين، فأسره، وقيّده، وفى أثناء هذا الأسر أنشد أبو محجن بضعة أبيات يضمنها تطلعه إلى من يطلقه ليشترك فى المعركة، ويقال إنها كانت سبباً فى إطلاق سراحه، واشتراكه فى المعركة، وتوبته، والعفو عنه:

النّصّ

١ — كَفى حَزَنًا أَنْ تَلْتَقِي الْخَيْلُ بِالْقَنَا ... وَأُتْرَكَ مَشْدُوداً عَلَيّ وَثَاقِيَا

٢ — إِذَا قُمْتُ عَنَّانِي الْحَدِيدُ، وَغُلِّقَتْ ... مَصَارِعُ دُونِي؛ قَدْ تُصِمُّ الْمُنَادِيَا

٣ — وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ ... فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِداً لاَ أَخَالِيَا

٤ — وَقَدْ شَفَّ نَفْسِي أَنَّنِي كُلَّ شَارِقٍ ... أُعَالِجُ كَبْلاً مُصْمَتًا قَدْ بَرَانِيَا

---

(١) كفى حزنا أن تلتقى: أى الالتقاء سبب كاف للحزن، القنا: الرماح. الخيل: الفرسان من الجانبين، وبالقنا أى والرماح معها. وأترك: معطوف على تلتقى، أى الالتقاء والترك سببان للحزن. الوثاق: الرباط والقيد.

(٢) قمت: حاولت النهوض. عنانى الحديد: حبسنى وأسرنى من عنا يعنو إذا صار أسيرا. غلقت: أقفلت. مصارع: جمع مصراع، وهو شطر الباب، والمراد الأبواب. دونى: أمامى أو ورائى. تصم المنادى: تجعل دعاءه، كأنما يصادف قوما صما لايسمعون، من قولهم: أصم دعاؤه أى اتجه إلى قوم صم.

(٣) أى كنت غنيا ذا إخوة، فصرت أعانى الفقر وأقاسى الوحشة والعزلة.

(٤) شف نفسى: يقال شف جسمه إذا رق من الهزال والنحول. كل شارق: كل =

٥ — فَلِلَّهِ دَرِّى يَوْمَ أُتْرَكُ مُوثَقًا وَتَذْهَلُ عَنِّى أُسْرَتِى وَرِجَالِيَا
٦ — حُبِسْتُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَقَدْ بَدَتْ وَإِعْمَالِ غَيْرِى يَوْمَ ذَاكَ الْعَوَالِيَا
٧ — وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَخِيسُ بِعَهْدِهِ لَئِنْ فُرِجَتْ أَلَّا أَزُورَ الْحَوَانِيَا

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى البيت الأول، والبيت الثانى، والبيت السادس يتحدث الشاعر عما يعانيه من ألم، وحزن لحرمانه شرف الإسهام فى المعركة.

٢ — فى الأبيات (٣ : ٥) يشكو الفارس آلام السجن، والوحدة، والفقر، والإهمال.

٣ — فى البيت الأخير (السابع) يعاهد الله على التوبة عن شرب الخمر.

ويبدو من هذا أن الشاعر لم يلتفت إلى أهداف المعركة، ولا أهدافه من الاشتراك فيها، فلم يصف ما يدور فيها، ولم يظهر اعتزازه بجهاد المسلمين وبلائهم، وفضلهم فى إعلاء كلمة الدين، ولم يهتم بنشر الحق، أو هزيمة الباطل، أو ثواب الشهداء، أو نحو ذلك، إنما همه إشباع رغبته بالاشتراك فى نشاط يجد فيه راحته وعزته، وبطولته، وهو النزال والطعان.

التصوير والتعبير

١ — الخيل فى البيت الأول مجاز فالمراد الفرسان فى الحرب. والتقاؤهم بالقنا كناية عن احتدام المعركة وتطاعنهم، وجمال الكناية هنا فى تجسيم المعنى وذكر الدليل عليه،

= مطالع شمس. أعالج : أصارع وأمارس. كبلا : قيداً. مصمتا : لا جوف له، أو لا فرجة فيه، أو مغلقا مبهما. برانى : هزلنى ونحانى.

(٥) لله درى : الدر : اللبن ؛ ويشير إلى تنشئته المنسوبة إلى الله، وهو أسلوب مدح يراد به التعجب. موثقا : مشدودا بحبل مبرم. تذهل عنى : تسلو وتطيب نفسا، أو تنسى لشغل.

(٦) الحرب العوان : التى امتد زمنها، وتكررت معاركها. بدت : ساء نتاجها. إعمال : مصدر أعمل الرجل آلته، أو رمحه استعمله فيما هو له. العوالى : جمع عالية وهى الرمح أو نصفه مما يلى السنان.

(٧) العهد : الميثاق أو اليمين. أخيس : أغدر وأخون. فرجت : أى الأزمة أو الكربة. الحوانى : تجار الخمور.

وهو الالتقاء بالقنا . والشاعر يقرن الفرسان فى حركاتهم يجولون ويصولون بنفسه ، وهو مثقل بالقيود ، لا يقبل ، ولا يدبر ، ولا يكر ، ولا يفر . وهو يألم لهذه الموازنة ألماً شديداً يفصح عنه بهذه الصيحة التى تفيض بالمرارة فى أول البيت « كفى حزناً » وهو يوحى لنا بأن أول ما أشعره بثقل القيد إنما هو حرمانه فرصة النزال والطعان .

٢ — البيت الثانى متصل بالشطر الثانى من البيت الأول ، ويصور فيه وطأة القيد وحبسه عن النشاط . « وعنانى الحديد » استعارة مكنية تخيل القيد فيها إنسانا يحبس ويأسر ، وكنى بالحديد عن القيد إشارة إلى سبب عجزه وضيقه . ثم يذكر « غلقت مصارع دونى » كأنه فوجىء عندما هم بالقيام والنهوض ، وهى عبارة موحية بالضيق الذى يكتم الأنفاس . « وتصم المناديا » كناية عن شدة العزلة والبعد عن الاستجابة .

٣ — البيت الثالث يوازن بين حاله قبل السجن ، وحاله فى السجن ، فيذكر فى الشطر الأول كثرة المال ، والإخوة ؛ لكنه لا يذكر فى الشطر الثانى إلا تركه « واحدا لا أخاله » ، وربما أغفل فى الشطر الثانى ما يقابل المال الكثير ، لإحساسه بأن المال لا ينفع إلا إذ كان طليقا . ولعلك تشعر بما فى هذه الموازنة من مرارة وأسى . والتوكيد فى أول الشطرين بالحرف « قد » إفصاح بحدة الشعور فى الحالين .

٤ — والبيت الرابع يصور الصراع بين الشاعر وقيده ، ويذكر أثر الصراع فى أول البيت وفى آخره . فيذكر « شف نفسى » كناية عن شدة الضعف ، وهى تحمل المعنى ودليله ، ويذكر فى آخر البيت « برانى » وهى استعارة تصريحية عبر فيها عن النحول والهزل بالبرى . وهى استعاره موفقة . وفى ذكر كلمة « شارق » التى توحى بالاستبشار بنور الصبح ، إيحاء بأنه يفاجأ بالألم من مصدر الأمل ، وهو ما يزيد الإحساس مرارة وأسى . وفى وصف القيد بقوله « مصمتا » إشارة إلى بعض أسباب المعاناة من قسوة القيد وثقله ، واليأس من القدرة عليه . وفى ذكر « كل » وفى التعبير بالمضارع « أعالج » إشارة إلى تكرار المعالجة وتجددها كل صباح ، وتوكيد الفعلين « شف » ، و « برى » بالحرف « قد » إشارة إلى أن الجهد قد بلغ منه كل مبلغ .

٥ — فى البيت الخامس يتعجب الشاعر ، ويدعو الناس للعجب من أمرين : أولهما قيده وسجنه ، وثانيهما إهمال أسرته وأصدقائه . والبيت يوحى بأمرين : الأول أنه يعتز بنفسه ، والثانى أنه لا يجد فى وحدته عزاء فى اهتمام أهله وذويه وأصدقائه .

٦ — « الحرب العوان » استعارة ، لأن الحرب مشبهة بالبقرة ، أو الناقة تلد مرة بعد أخرى ، وهى توحى بقسوة المعارك ، وهو يتألم ؛ لأنه لم يشترك فى هذه الحرب الشديدة ، حرصا على أن يبلى فيها بلاء يذكر له . و « بدت » ترشيح وتقوية للاستعارة ؛ لأن معنى هذا الفعل — كما

تقدم - إنتاج المساوى . و « إعمال العوالى » كناية عن المطاعنة ، والبيت يفصح عن شعور الفارس بالحرمان من عمل يهواه ، ويقوم به غيره ممن لا يبلغون مكانته فى هذا المجال .

٧ — « لا أخيس بعهده » أعاد لفظ العهد مكان الضمير ، وكان يمكن أن يقول : « لا أخيس به » للإفصاح عن إصراره على التوبة ، وهذا الإصرار إعلان بالندم، وإشعار بما لاقاه بسبب الإدمان . والشطر الثانى أسلوب قسم يبين العهد الذى ذكره مبهما فى الشطر الأول ، واللام فى « لئن » هى دليل القسم ، والمقسم به لفظ الجلالة المنوىّ ، والمقسم عليه « ألا نزور الحوانيا » وهى كناية عن مجانبته شرب الخمر ؛ لأن عدم الزيارة دليل البعد عن موارد الخمر ، والاتصال بتجارها ، وشربها ، وحذف نائب فاعل الفعل « فرجت » يوحى بأن الشاعر لا يجد كلمة ضخمة تحمل كل مايعانيه .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — أفكار النص تدور حول مايلاقيه الفارس الشاعر من عنت ، ومشقة .

٢ — ليس من السهل كشف حركة ذهنيـة تسلك مسلكا مرتبا يبين الارتباط بين هذه الأفكار .

٣ — لاشك أن الأبيات تفيض بعاطفة حارة صادقة ، لكن مصدرها شعور الفارس بحرمانه الذاتى من الحرية ، ومن الاشتراك فى المعركة ، ومن ممارسة المتع التى يهواها . وليس لذلك - فيما يبدو لنا - علاقة بالجهاد فى سبيل الله ، بل يخيل إلينا أن الشاعر يصدر عن نقد دخيل للتشدد الذى أدى إلى سجنه أو إلى نفيه .

٤ — الأساليب الخبرية الغالبة فى الأبيات غرضها البلاغى واحد ، وهو إظهار الألم ، والحسرة ، والضيق .

٥ — الصور فى الأبيات قليلة ، وأكثرها كنايات قريبة .

٦ — فى النص عبارات تعوزها الدقة أو الوضـــوح مثل « تصم المناديا » . ومثل « وقد بدت وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا » .

نظـــرة أدبيـــة

١ — يبدو من النص أن الشاعر لم يتأثر كثيرا بروح الإسلام ؛ وأما ماورد فى النص من كلمات ورد مثلها فى القرآن ، فليس إلا مشاركة لفظية ، حتى توبته عن الخمر لم يبين النص أنها دليل على تقوى الله ؛ بل هى دليل على خشية العقاب كما يقضى السياق .

٢ — يبدو من النص أن الشاعر يحرص على القتال ؛ لا لأنه يريد الجهاد فى سبيل الله .

أو نصرة الدين الجديد وقيمه ومثله العليا ؛ بل لأنه يريد النجاة من السجن والنفى ، ولا عبرة بما حيك حول الأبياب من قصص .

المناقشة

١ — كفى حزنا أن تلتقى الخيل بالقنا وأترك مشدودا علىّ وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وغلقت مصارع دونى قد تصم المناديا

(ا) ما الغرض البلاغى من الأخبار فى البيتين ؟
(ب) ماذا من البلاغة فى قول الشاعر « تلتقى الخيل بالقنا » ، وقوله : « عنانى الحديد » ؟
(ج) ماعلاقة البيت الثانى بالبيت الأول ؟
(د) مامعنى : القنا ـ مصارع . تصم المناديا ـ دونى .
(هـ) يروى البيت الثانى « إذا عنانى الحديد » فما رأيك فى هذه الرواية ؟
(و) مارأيك فى عدم نصب الفعل المضارع « تلتقى » ؟

٢ — وقد كنت ذال مال كثير وإخوة فقد تركونى واحدا لا أخاليا
وقد شف نفس أننى كل شارق أعالج كبلا مصمتا قد برانيا

(ا) فى « برانى » استعارة . وضحها ، وبين أثرها فى المعنى .
(ب) الشاعر فى البيت الأول يوازن بين حالين : ماهما ، وماهدف الموازنة ؟
(ج) ما الهدف من اختيار الكلمتين : شارق ، ومصمتا ؟
(د) هل ترى صورة خيالية فى قول الشاعر : « أعالج كبلا » ؟ وضح رأيك .
(هـ) أيهما أفضل : قوله : « تركونى واحـــدا لا أخاليا » أم قوله : « تركونى معدما لا أخاليا » ؟ ولماذا ؟
(و) أيهما أكثر تحقيقا للهدف قوله : « فى كل شارق » أم قوله : « فى كل ليلة » ؟ ولماذا ؟

٣ — فلله درى يوم أترك موثقا وتذهل عنى أسرتى ورجاليا
حبست عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا

(ا) قد يقرأ بعض القراء الكلمتين الأخيرتين فى البيتين : « رحاليا ، والغواليا » ، فأى القراءتين تفضل ؟ ولماذا ؟
(ب) « لله درى » : ما الغرض من هذا الأسلوب ؟
(ج) هل ترى فى (الحرب العوان) صورة بلاغية ؟ وضح ما تقول .

٤ — ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

(ا) « أزور الحوانى » بين الجمال فى هذا التعبير .
(ب) بين مدى دلالة هذا البيت على تدين الشاعر .
(ج) لم حذف نائب فاعل الفعل « فرجت » ؟

فخر بالجهاد فى سبيل الله

لعُرْوةَ بنِ زَيْد الخَيْل

الشاعر: عروة بن زيد الخيل فارس،شاعر، وله أخوان آخران كانا يقولان الشعر، وأبوهم زيد الخيل كان فارساً ، شاعراً ، كريماً ، وكان زيد شجاعا بعيد الصوت فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام ، ووفد على النبىّ فسر به ، وسماه (زيد الخير) وكان من قبل يسمى زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من العرب إلا الفَرَسُ والفَرَسان . وزيد الخيل أبوه مهلهل الطائى .

وفى حرب القادسية بين العرب والفرس فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة، تجلت بطولة الجيش الإسلامى بقيادة سعد بن أبى وقاص ، وكان عروة من فرسان هذه المعركة . وهو يتحدث عن موقفه فى هذه المعركة بالأبيات التالية :

النص

١ — بَرَزْتُ لِأَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْلِمًا ... وَمَا كُلُّ مَنْ يَغْشَى الْكَرِيهَةَ يُعْلِمُ

٢ — ويَوْمٍ بِأَكْنَافِ النُّخَيْلَةِ قَبْلَهَا ... شَهِدْتُ ؛ فَلَمْ أَبْرَحْ أُدَمَّى وَأُكْلَمُ

٣ — وَأَصْمَيْتُ مِنْهُمْ فَارِسًا بَعْدَ فَارِسٍ ... وَمَا كُلُّ مَنْ يَلْقَى الْفَوَارِسَ يُسْلِمُ

٤ — وَأَيْقَنْتُ يَوْمَ الدَّيْلَمِيِّينَ أَنَّنِي ... مَتَى يَنْصَرِفْ وَجْهِي عَنِ الْقَوْمِ يَهْزِمُوا

٥ — فَمَا رِمْتُ حَتَّى مَزَّقُوا بِرِمَاحِهِمْ ... ثِيَابِي ؛ وَحَتَّى بَلَّ إِخْمَصِيَ الدَّمُ

٦ — مُحَافَظَةً ؛ إِنِّي امْرُؤٌ ذُو حَفِيظَةٍ ... إِذَا لَمْ أَجِدْ مُسْتَأْخَرًا أَتَقَدَّمُ

---

(١) القادسية : مكان قرب الكوفة . المعلم (بكسر اللام) فى الحرب : الفارس له علامة تميزه . يغشى : يأتى .

(٢) أكناف : جوانب : النخيلة : موضع بالعراق لم أبرح : لم أزل . أدمى : يخرج دمى . أكلم : أجرح .

(٣) أصميت فارسا : أصبت منه مقتلا فسقط صريعاً فى مكانه . يسلم : يهلك عدوه .

(٤ – ٦) أيقنت : علمت علم اليقين . الديلميين : الفرس . ينصرف وجهى : أترك المعركة . القوم : يقصد قومى . مارمت : ما غادرت مكانى . ثيابى : دروعى . إخمصى : باطن القدم عند التجويف الذى لا يمس الأرض. محافظة : دفاعا. حفيظة: حمية . المستأخر: مصدر استأخر.

الدراسة والتحليل

الأفكار

الأبيات فخر فردى بصفات تتصل بالحرب ، والدفاع عن المحارم .

١ — فى البيت الأول يفصح الشاعر عن ثقته بنفسه فى المعارك .

٢ — فى الأبيات (٢ : ٥) يشيد بمواقفه فى المعارك التى اشترك فيها ، ويذكر صموده وبلاءه فى صراع الفرسان ، وصبره أمام هجمات العدو ، برغم ما يلقى ، وما يصاب به من جروح ، وما يسيل منه من دماء .

٣ — فى البيت الأخير يشيد بحميته ، وإبائه ، وحسن تقديره للمواقف .

التصوير والتعبير

١ — « برزت لأهل القادسية معلما » كناية عن شجاعته ، وبطولته ، واعتداده بنفسه ، وقد جسمت المعنى ، وأظهرت الدليل . و « الكريهة » كناية عن الحرب تعبر عن بشاعتها وبغضها وهو الدليل الذى يصحب المعنى . و « أهل القادسية » كناية عن الجيشين . والشطر الثانى من البيت الأول توكيد للشطر الأول ؛ لأنه يقرر أن الأبطال وحدهم هم الذين يعلمون أنفسهم ثقة بقدرتهم ومهابة الفرسان لهم ، وهو مضمون الشطر الأول .

٢ — « شهدت » كناية عن ممارسة القتال ، فشهود مثله لا يكون إلا للطعان ، والنزال . وفى ذكر « قبلها » إشارة إلى أن له تاريخا معروفا فى المعارك . « ولم أبرح أدمى وأكلم » كناية عن أنه كان هدفا لضربات الأعداء ، وكثير التعرض لهم لشجاعته وصبره . وهى توكيد لمضمون قوله « شهدت » . والتعبير بالأفعال المضارعة : « أبرح ، وأدمى ، وأكلم » لاستحضار صورة هذه الأفعال فى أثناء إجراء أحداثها . وفائدة « أكلم » بعد « أدمّى » للإشعار بألم الجراح .

٣ — واختيار الفعل « أصميت » يوحى بقوة الفارس ، وخبرته بالمقاتل ، وبراعته فى التصويب والتسديد . وتكرار فارس والفوارس ؛ لتصوير الفخر ، والشطر الثانى توكيد لمضمون الشطر الأول . و « يلتى الفوارس » كناية عن حضور المعركة والاشتراك فيها .

٤ — التعبير بأيقنت توكيد لفخره بنفسه واعتداده بأثره ، فى المعركة . وعبر بالديلميين بدلا من الفرس ؛ لأن كلمة الفرس توحى بتاريخ حضارى لايحب أن يشير إليه ، فيدعوهم بأقبح الألقاب لهم ؛ لأنه يشير إلى سواد وجوههم تعبيراً عن بغضه إياهم . وآثر التعبير

بالظرف « متى » وهو شرطى للإيحاء بأن الهزيمة مرتبطة بغياب وجهه ارتباط الجواب بالشرط . « وينصرف وجهى » كناية عن غيابه ، وذكر الوجه إيحاء بأن لوجهه أثرا فى النصر والهزيمة ، يمناً وبركة لقومه ، وذعراً وخوفاً وتخذيلا فى الأعداء .

٥ — البيت الخامس نتيجة ليقينه فى البيت السابق ، « وثيابى » كناية عن دروعه وجسمه و« بل إخمصى الدم » كناية عن كثرة الدماء ، والبيت يصور ثباته برغم ماأصابه .

٦ — البيت السادس تعليل للثبات والصمود ، وقد أكد التعليل ، فبعد ذكر المحافظة ، أضاف « إنى امرؤ ذو حفيظة » . والفعل « أتقدم » متصل بقـــوله : « ذوحفيظة » وبين « مستأخرا » وبين الفعـل « أتقدم » مقابلة تشعر بأن الفارس يوازن بين التقدم والتأخر ، ويجعل التقدم أصلا مفروضا ، والتأخر طارئا لأسباب تقضى بها سياسة المعركة .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — المعانى فى الأبيات ملائمة للفخر الفردىّ الذى قصد إليه الشاعر فى أبياته ، وهى معان مطروقة ، وفيها بعض التكرار ، وليس فيها ترتيب معين يقصده الشاعر .

٢ — العبارات سهلة لاتكلف فيها ولا اصطناع ، إلا أن بعض العبارات قد يوهم غيرما يقصد إليه ، لأن الدقة تعوزها ، مثل البيت الرابع ، والبيت الخامس ، والبيت السادس .

٣ — اعتمد الشاعر فى تصوير عاطفته على اختيار الألفاظ ومواضعها فى التركيب ، ولم يلجأ إلا إلى الكنايات القريبة .

٤ — الأساليب خبرية غرضها الفخر .

لاتكاد نحسّ فرقا بين هذا الشعر ، والشعر الجاهلى فى معانيه وألفاظه ، ولانستطيع أن نتخذه دليلا على التغيير ، فلولا التمهيد للنص ما أدركنا أن الشعر إسلامى ، فليس فيه دليل على أنه فخر بالجهاد فى سبيل الله ، ولا جدة فيه ، ولا روح تسرى فى ثناياه تدل على تأثر الشاعر بالدين الجديد .

المناقشة

١ — برزت لأهـــل القادسية معلما   وما كل من يغشى الكريهة يعلم

(ا) مامعنى « معلما » ؟ وما الفخر فيها ؟

(ب) ماعلاقة الشطر الثانى بالشطر الأول ؟

(ج) ما البلاغة فى « الكريهة » ؟

(د) أيهما تفضل « يغشى » أم « يصلى » ؟ ولماذا ؟

٢ — ويوم بأكناف النخيلة قبلها شهدت ، فلم أبرح أدمّى وأكلم
وأصميت منهم فارسا بعد فارس وما كل من يلقى الفوارس يسلم

(ا) مافائدة « قبلها » ؟ (ب) مامعنى « شهدت » ؟ (ج) لم اختار التعبير بالمضارع فى « أبرح ، أدمّى ، أكلهم » ؟ ومافائدة « أكلم » بعد « أدمّى » ؟
(د) ما إيحاء الفعل « أصميت » ؟ ولم كرر لفظ الفارس ؟ وما علاقة الشطر الثانى بالشطر الأول فى البيت الثانى ؟ (ه) مامعنى « يسلم » ؟

٣ — وأيقنت يوم الديلميين أننى متى ينصرف وجهى عن القوم يهزموا
فمارست حتى مزقوا برماحهم ثيابى ، وحتى بل إخمصى الدم
محافظة إنى امرؤ ذو حفيظة إذا لم أجد مستأخرا أتقدم

(ا) ما المقصود بالقوم ؟ (ب) بين رأيك فى الفخر فى البيت الأول .
(ج) ما المقصود بثيابى ؟ (د) علام يدل : « بل إخمصى الدم » ؟
(ه) فى كل من الأبيات الثلاثة تعبير غير دقيق ، عين ذلك فى كل بيت وبين رأيك .

الأخطل

يمدح عبد الملك بن مروان

الأخطل : هو أبو مالك غياث بن غوث من قبيلة تغلب ، وقد نشأ بأرض الجزيرة حول الفرات ، وظهرت شاعريته فى حداثته ، وكان ينقح شعره وينقيه ، فينظم تسعين بيتا ، ويختار منها ثلاثين ، وكان يشرب الخمر ، ويزعم أنه لا يجيد النظم إلا إذا شربها . وكان السبب فى تقريبه إلى بنى أمية ؛ أن معاوية أراد أن يهجو أحد الشعراء الأنصار ، فدل عليه ؛ لأن الشعراء المسلمين تحرجوا أن يستجيبوا لمعاوية ، لكن الأخطل قبل أن يهجو الأنصار على أن يحميه معاوية ، وأنت تعرف أن الأمويين عملوا على اجتذاب الشعراء إليهم ليكونوا ألسنة للدولة الأموية ، يؤيدون حكمها ، ويدفعون عنها خصومها الطامحين إلى تولى الخلافة . وقد استجاب لهم غير الأخطل كثير من الشعراء يدعون لهم ، ويهاجمون خصومهم، وكان الأخطل من أبرزهم وأشدهم عنفا فى الهجوم على المناوئين لسياسة الأمويين .

والأبيات التالية من قصيدة طويلة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وبنى أمية ومطلعها :

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا   وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِى صَرْفِهَا غِيَرُ (*)

وهى قصيدة طويلة بدأها بالنسيب ، وجمع فيها أغراضا شتى من وصف، ومدح، وهجاء. لكن الأبيات المختارة هنا فى مدح عبد الملك وبنى أمية .

النص

١ — إِلَى امْرِئٍ لَا تُعَدِّينَا نَوَافِلُهُ   أَظْفَرَهُ اللّٰهُ فَلْيَهْنَأْ لَهُ الظَّفَرُ

٢ — الْخَائِضُ الْغَمْرَةَ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ   خَلِيفَةُ اللّٰهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

(*) القطين : المقيمون . خفوا : ارتحلوا . راحوا : ذهبوا مساء : بكروا : ذهبوا صباحا . أزعجتهم : حملتهم على الرحيل . النوى : الفراق . فى صرفها غير : فى أحداثها تقلب.

(١ : ٣) لا تعدينا : لا تغيب عنا ولا تنقطع . نوافله : عطاياه . أظفره الله : نصره الله . فليهنأ له : فليتيسر له من غير عناء ، لامشقة . الظفر : النصر والفوز . الغمرة :الشدة. ميمون طائره : مبارك موفق : يستسقى به المطر : إذا دعا الناس باسمه وهم يستنزلون المطر استجاب الله لهم . المستمر به أمر الجميع : الذى قوى به أمر الأمة . يغتره : يطلب غفلاته ويأتيه على غرة . بعد توكيد له : يريد حزم الأمر وضبطه : الغرر : التعرض للهلاك . ومعنى الأبيات : قصدنا إلى رجل لا تتجاوزنا عطاياه الغامرة ، قد حباه الله بالنصر ، =

٣ — وَالْمُسْتَمِرُّ بِهِ أَمْرُ الْجَمِيعِ فَمَا يَغْتَرُّهُ — بَعْدَ تَوْكِيدٍ لَهُ — غَرَرُ
٤ — فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا مَا إِنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ
٥ — تَعْلُو الْهِضَابَ وَحَلُّوا فِي أَرُومَتِهَا أَهْلُ الرِّبَاءِ وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا
٦ — حُشْدٌ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُو الْخَنَا أُنُفٌ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
٧ — فَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الآفَاقِ مُظْلِمَةٌ كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصَرُ
٨ — أَعْطَاهُمُ اللهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ لَاجَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ

= وسدد خطواته فى كل مجال : فليسعد بما كتب الله له من ظفر. خواض للغمرات ، ميمون الخطوات ، لأنه ولى الله وخليفته فى أرضه ، به يعزون ، وباسمه يستسقون ، وفى ظلاله يسعدون ، وإن فى حكمه لقوة للأمة ، وصلاحا لأمرها ، فإن يصيبها شر على غفلة منه ، وقد حزم أمرها ، وأعد له عدته .

(٤-٥) نبعة: شجرة قوية تصنع منها القسى والسهام لصلابة عيدانها ، وهى تنبت فى قنن الجبال. يعصبون بها : يلزمونها ويجتمعون حولها ، إن يوازى : ماحرف نفى وإن زائدة لتوكيده ، توازى : يساوى. أعلى نبتها : يريد الغصن الضعيف من فروعها ، وهو يكون أعلى . تعلوا الهضاب أى النبعة فوق الهضاب وذلك أقوى لها . أرومتها : أصلها وهو أقوى جزء فيها . الرباء النماء : والرفعة . ومعنى البيتين : إن الخليفة ينتمى إلى أصل من قريش يشبه فى قوته وصلابة معدنه نبعة نبتت فوق الجبال تصنع منها السهام والقسى ولا يقاس أعظم شجر فى قوته بأضعف غصن فيها ، وهى فوق الهضاب وذلك أجود لها ، وبنو أمية أصلها الثابت القوى المتين ، فهم أهل الخير والشرف ، ومصدر كل فخر إن قصدوا للفخر وتعداد المآثر :

(٦) حشد : مجتمعون. عيافو الخنا : من عاف الشىء إذا كرهه، الخنا : قول السوء: أنف: جمع أنوف وهو من يترفع عن العار ويتنزه عنه ألمت: نزلت مكروهة: نازلة . والمعنى: إنهم قوم لا يختلفون على الحق بل يجتمعون لنصرته ورأيهم فيهم جميع، وإنهم لينفرون من قول السوء ، ويترفعون عن العار ويتجلدون عند الشدائد إذا نزلت بهم حتى تنفرج الغمة وتنكشف الكربة .

(٧) تدجت : أظلمت . مظلمة : النائبة والشدة . معتصر : ملجأ وملاذ . والمعنى إذا تراكمت المصائب وتفاقمت الخطوب، وسدت المطالع على الناس وجدوا عند بنى أمية منفذا ينفذون منه إلى حل المشكلات وتفريج الأزمات .

(٨-٩) جدا: حظا . لم يأشروا: لم يبطروا ولم تطغهم النعمة . كانوا مواليه : كانوا أولياءه =

٩ — لَمْ يَأْشَرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ... وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُوا
١٠ — شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
١١ — لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ ... وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوَرُ
١٢ — هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا
١٣ — بَنِي أُمَيَّةَ نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدَرُ

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى الأبيات الثلاثة الأولى يمدح الأخطل عبد الملك بصفات لها قيمتها فيمن يتولى خلافة المسلمين ، فهو يمدحه بالكرم والشجاعة ، ويمن الطلعة ، وتأييد الله ، والحزم واليقظة فى سياسة شئون الأمة .

وحلفاءه . والمعنى : قد منحهم الله توفيقا يكفل لهم النصر ، وكل حظ غير حظهم ضئيل لاوزن له ، فلم تطغهم النعمة ؛ لأنهم أهلها وأحق بها ، ولو منح هذا الجد سواهم لطغوا وبغوا .

(١٠) شمس : جمع شموس وهو الصعب القياد . يستقاد لهم ، يطاوعهم الناس ويخضعون لهم . من قولك : قدته فانقاد لى ، واستقاد لى أى طاوعنى وتابعنى وأسلمنى قياده . أحلاما : جمع حلم : بمعنى الأناة والصفح . ومعنى البيت : إنهم فى خصومتهم أشداء على الأعداء حتى ينقادوا لهم ، ويخضعوا ويسلموا ، فإذا ما انتصروا على عدوهم وظفروا به كانوا أنبل الناس حلما وأكرمهم صفحا .

(١١) يستقل . يحتمل ويطيق . الأضغان : جمع ضغن وهو الحقد . لا يبين فى عيدانهم خور لا تظهر التجارب ضعفا فى نفوسهم ، ومعنى البيت إن الحاقدين عليهم لا يطيقون مقاتلتهم فطالما جربت عداوتهم وعجم عودهم ، فألفاهم الأعداء ذوى صلابة لا تلين .

(١٢) يبارون الرياح : يسابقونها . العافين : الذين يطلبون القوت . قتروا (بالبناء للمعلوم) ضيقوا على عيالهم فى النفقة . والمعنى أنهم يسارعون إلى معونة الناس إذا ضاقت بهم سبل العيش ، واشتدت حاجتهم ، وقلت نفقتهم على أولادهم .

(١٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة ، من قولهم : جلل المطر الأرض أى غطاها ، المنة : ذكر المعروف الذى أسدى إليهم . ومعنى البيت أن نعمهم كثيرة تعم الناس وأنها خالصة مخلصة ، لا يتبعها من ولا أذى .

٢ — ثم يمدح بنى أمية فى الأبيات (٤ : ٩) بصفات كثيرة أولها شرف النسب، ثم الانتصار للحق ، والقدرة على حل المشكلات ، وتأييد الله لهم بالحظ والتوفيق ، وأنهم أهل لما نالوه ، وهى أيضا صفات تؤهلهم للملك .

٣ — وفى البيتين العاشر والحادى عشر يصفهم بالشدة فى الخصومة ، والعفو عند المقدرة لذلك يخشى الناس عداوتهم لصلابة عيدانهم .

٤ — وفى البيتين الثانى عشر والثالث عشر يصفهم بالجود الذى يبارون الرياح فيه ، ولا يتبعونه منا ولا أذى .

وأنت ترى الشاعر قد كرر المدح بالكرم ، وكرر الإشادة بالحظ الذى حبا الله به عبد الملك وبنى أمية . كما ترى الشاعر قد مدحهم فى هـــذه الأبيات بصفات تجعلهم أهلا للخلافة ، ولعله أراد بذلك أن توحى إلى الخصوم بالكف عن الطمع فى الخلافة ، وربما كانت الأبيات الأخيرة فى وصف عداوتهم تهديداً للخصوم وإغراء لهم بالطاعة والخضوع ولا سيما ما أضافه من الحلم عند المقدرة ، والكرم الجاثل .

ومن ذلك كله تستطيع أن تحكم بأن القطعة ذات هدف سياسى .

ولعل تكرار المدح بالحظ والإقبال إيحاء بأن لا حيلة لأحد فى الانتصار على الحظ السعيد ، فهو ليس إلا من عند الله ، فكأنه يخاطب الخصوم بذلك كله .

التصوير والتعبير

١ — إلى امرىء لا تعدينا نوافله   أظفره الله فليهنأ له الظفر

« لا تعدينا نوافله » كناية عن اتساع كرمه ، واختيار مادة « نفل » ؛ لأنها تعطى بعد الواجب ، فهى أدل على الكرم . وأسند الإظفار إلى الله تقديسا له ، ودعا له بأن يأتيه الظفر ويتيسر له من غير عناء ولا مشقة بالأسلوب الإنشائى « فليهنأ له الظفر » .

٢ — الخائض الغمرة الميمون طائره   خليفة الله يستسقى به المطر

« الخائض الغمرة » استعارة مكنية شبهت الشدة بالبحر العظيم وحذف ورمز له بالخائض ، وهى توحى بالاستهانة بالشدة «والميمون طائره» كناية عن التوفيق والاستبشار بالنصر فيما يقدم عليه . ويستسقى به المطر « كناية عن البركة والتيمن ، وكلتا الكنايتين من أثر البيئة ، فالأولى من عاداتهم فى زجر الطير ، فإذا جاءت من اليسار إلى اليمين استبشروا بها وعزموا ، وإذا جاءت من اليمين إلى اليسار كفوا وعدلوا عما كانوا ينوونه من نشاط ، وغالباً ما كان يحدث ذلك عند السفر . والثانية إشارة إلى ما كانوا يَصْنَعُون

إذا امتنع المطر وجف الزرع وخيف العطش والجوع ، من خروج إلى البادية وسؤال الله أن ينزل المطر ، فهم حين يتبركون باسم الخليفة يستجيب الله لهم وترتوى الأرض وترتوى الأحياء ، والبيت مركز ، جمع أربع صفات كلها فى تعظيم عبد الملك وكأن كل واحدة منها علة للتى قبلها .

٣ — والمستمرُّ به أمر الجميع فما يغتره بعد توكيد له غرر

« المستمر به أمر الجميع » استعارة مكنية شبه فيها الأمر بالحبل الذى أبرم وفتل فتلا محكما فاستمر أى اشتد ، وحذف الحبل ورمز إليه بالفعل « استمر » . وبين استمر والأمر مجانسة فى الحروف مع بعد المعنى ، وهى مجانسة تدعو إلى التفكير فى هذا المعنى . « وما يغتره غرر » جعل الفاعل للغرر مع النفى توكيداً لنفى الغفلة والخديعة مع ما فيه من مجانسة الحروف وقوله « بعد توكيد له » اعتراض لتقرير الحكم وتثبيته ، وهى كناية عن حسن الإعداد والحزم وضبط أمر الخلافة .

٤ — فى نبعة من قريش يعصبون بها ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر

٥ — تعلو الهضاب ، وحلوا فى أرومتها أهل الرباء وأهل الفخر إن فخروا

يشبه بنى أمية بشجرة تنبت فى قلال الجبال ، ثم يجعل هذه الشجرة أعلى شجرة فى قريش ويجعل قريشا تحتمى بها ، وتقوى بالتفافها حولها ثم يمضى فى البيت الخامس فيجعلها تعلو كل هضبة ، ويجعل بنى أمية أصلالها ، ووجه الشبه بين النبعة وبنى أمية القوة والصلابة ، وهذا من وحى النبعة التى تنبت فى الجبال وتعلو الهضاب ، ومن وحى أنهم فى الأرومة وهى أضخم جزء فى الشجرة وأقواه ولذلك يكون الجزء الأعلى أضعف أجزائها ومن هنا يكون المراد بقوله «أعلى نبتها» أضعف فرع فيها ، ويكون أضعف فرع أقوى من أى قبيلة أخرى وفى هذه العبارة تتجلى العاطفة فى أقوى حالاتها . ولعل قول الشاعر « أهل الرباء » ملائم جدا لقوله « أرومتها » ؛ لأن النماء والزيادة مصدرهما الأرومة . ويكون الفخر فى آخر البيت الثانى ، بالقوة والصلابة ، ولعل الصلابة فى هذا المقام السياسى أصدق تعبيرا عن هدف الشاعر وأقرب إلى إرضاء بنى أمية . والتشبيه خصب قوى من وجهة النظر البلاغية ، وإن شابته شائبة من وجهة النظر العقيدية ، وما كان لغير الأخطل أن يعقده وفى البيتين مظاهر أخرى للجمال ندعها لتذوقك .

٦ — حُشُدٌ على الحقِّ عَيَّافو الخنا أُنُفٌ إذا ألمت بهم مكروهة صبروا

٧ — فإن تدجَّت على الآفاقِ مُظْلِمةٌ كان لهم مخرج منها ومعتصر

فى البيت السادس يجمع الشاعر لبنى أمية أربع صفات ، التعاون فى نصرة الحق ، وعفة اللسان ، وإباء الضيم ، والصبر على المكاره ، و « عيافو الخنا » كناية . وبين قوله « حشد على الحق » وقوله « عيافو الخنا أنف » مقابلة لطيفة بين ما يقبلون عليه وما ينصرفون عنه . « وألمت بهم مكروهة » استعارة مكنية شبهت المكروهة فيها بالعدو يهجم ، أو السبع الضارى ينزل الدار ، فيصيب منها ، وهى تصور المصيبة تصويرا حسيا مؤثرا .

وفى البيت السابع كناية تصور الشدة إعصارا شديدا يملأ الأفق ، ويحجب الضوء ، وينذر بالنار والدمار ، ولهذا التصوير أثر فى رفع شأن من يستطيعون الخروج ، أو تبديد الظلام وإضاءة الأفق ، وإزالة الخطر ، ولذلك كان عظيما من يجد من ذلك مخرجا لنفسه ومعتصرا الناس ، والتعبير بالمخرج والمعتصر يجعلك تتصورهم كانوا فى حبس ضيق أو كانوا كالغصان يعتصر بالماء ، وتستطيع أن تحمل الكلام على الاستعارة فى الكلمتين .

٨ — أعطاهم الله جدا ينصرون به ‏ ‏ لا جدّ إلا صغير بعد محتقر

٩ — لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ‏ ‏ ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

صرح بأن الجد من عطاء الله تقديسا له وإيحاء بأنهم لا يقهرون ومعهم الله . وليس هناك عيب فى اعتمادهم على هذا الجد فى النصر ؛ لأنه إيحاء سياسىّ يبعث اليأس فى قلوب الطامعين والمناوئين . وقوله « لا جد إلا صغير بعد محتقر » توكيد للشطر الأول ، وتتجلى العاطفة الحارة فى العبارة ، ومظاهرها هذا النفى المطلق ، وكلمة بعد ، أى بعد جدهم ، وكلمة محتقر . وقوله : « إذ كانوا مواليه » تعليل لما قبله ، وهو كناية عن جدارتهم واستحقاقهم . والشطر الثانى توكيد للشطر الأول ، وفيه تبدو حرارة العاطفة ، ولعلك تلمح الموازنة فى كل بيت بين الشطر الأول والشطر الثانى موازنة تؤكد ما تقرر لهم فى الشطر الأول من كل بيت.

١٠ — شمس العداوة حتى يستقاد لهم ‏ ‏ وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

١١ — لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ‏ ‏ ولا يبيِّن فى عيدانهم خــــور

« شمس العداوة » استعارة مكنية شبه فيها بنى أمية بالأفراس التى تمتنع وتأبى وتبدى عداوة وتهم بالشر ، ولا تستقر . وحذف الأفراس ورمزلها بالشُّمُوس على سبيل الاستعارة المكنية . وجمالها فى قدرتها على إبراز المعنى فى صورة حسية ونقلها إلى خيال القارىء ، أو نقل خيال القارىء إليها فى مجالها . والشطر الأول والشطر الثانى طرفا نقيض ، والموازنة بينهما تبرز هذه المناقضة ، وتثير الدهشة لطبائع هذه النفوس وانتقالها بين العنف ، والحلم ، بسبب للعنف ، وسبب للحلم . وفى البيت الحادى عشر يشعر أن « ذوو الأضغان » كناية عن الأعداء ، وأن فى « لا يستقل ذوو الأضغان حربهم » استعارة مكنية تصور الحرب عبئا ثقيلا لا يستطيع أعداء بنى أمية حمله . وهى استعارة موحية بخطر مواجهة

بنى أمية ومجابهتهم بعداوة وحرب . وفى قوله « لا يبين فى عيدانهم خور » شبهت نفوسهم بالعيدان ؛ لأن كليهما موضع اختبار وتجربة ، وعبر بالعيدان عن النفوس على سبيل الإستعارة التصريحية . وثمرتها إبراز اختبار نفوسهم وتجربتها فى صورة حسية بارزة معروفة عندهم فى عجم عيدان النبع قبل أن تصنع منها السهام والقسىّ ، وتنكير « خور » فى سياق النفى يفيد النفى القاطع .

١٢ — هم الذين يبارون الرياح إذا قل الطعام على العافين أو قتروا

١٣ — بنى أميـــة ! نعماكم مجلّلة تمت ، فلامنة فيها ولا كدر

فى قوله « يبارون الرياح » استعارة تصور بنى أمية يحملون الخير إلى المحتاجين فى سرعة بالغة ، وقد شبهت الرياح بمتسابق سريع يحاول أن يسبقهم ، وحذف المتسابق ، ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو المباراة على سبيل الاستعارة المكنية . والتعبير بقوله « هم الذين . . . » يوحى باختصاصهم بهذه المكرمة ، وفى التعبير بالفعل « قَلّ » إشارة إلى أنهم لا ينتظرون حتى يعدموا ، فما يكاد يقل الطعام حتى يسارعوا ، أما فائدة « قتروا » بعد « قل الطعام » فإن معناه ضيقوا على عيالهم فى النفقة ، فهم يسارعون إليهم إذا قل الطعام عليهم أو خشوا قلته فضيقوا على عيالهم . « وبنى أمية ! » نداء حذف منه حرف النداء إشعارا بالقرب من نفس المنادى . وفى نعماكم مجللة استعارة مكنية شبه فيها النعمى بالسحاب الذى يجلل الأرض بالمطر ويغطيها ، وحذف السحاب ورمز إليه بصفة من صفاته وهى مجللة والاستعارة موحية بالشمول والوفور والخصب والنماء والشطر الثانى يوضح الإجمال اللطيف فى « تمت » ويؤكده بنفى المن والكدر وفى الكدر المنفى إيحاء بأن النعمى كالكأس الصافية لم يعكر صفوها شىء يشوب ما تحويه .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — أبرز الأخطل عبد الملك وبنى أمية فى صورة تجعل نهوضهم بالملك قضية لا جدال فيها ، ولا شك أن مَرَدّ ذلك إلى أنه يصدر فى مدحه عن عاطفة صادقة تفصح عن الولاء والعرفان بالجميل ، فقد أغدقوا عليه فأفاض فى مدحهم والتنويه بهم فى إخلاص وصدق .

٢ — يتبين لك صدق العاطفة فى الإلحاح على الصفات والخلال التى رآها تهىء عبد الملك وبنى أمية لمقام السيادة ثم فى حسن الأداء ، سواء أكان ذلك فى التصوير أم فى دقة التعبير .

نظـــرة أدبيـــة

١ — هذا أول النصوص التى تظهر فيها نزعة الانحياز والتحزب فى العصر الأموى . فالأخطل شاعر بنى أمية يمدحهم ، ويهجو خصومهم ، وبنو أمية يغدقون له العطاء ، وهو

يخلص فى التنويه بهم ، وتفضيلهم على جميع العرب حتى بنى هاشم قوم الرسول عليه السلام . ويسرف الأخطل فى مدح عبد الملك ، فيضعه فى منزلة يستسقى بها المطر ، ويجعله هو وقومه أرومة قريش ، ويهدد بهم العرب جميعا ، ويعرض بالعرب جميعا ، بل يحقر العرب جميعا ما عدا بنى أمية ، ويلوح لهم بسلاح لا يقدرون على مواجهته ، وهو الجد الذى أعطاه الله إياهم لينصروا به ، ويغريهم بالطاعة والخضوع ، ويدعوهم ذوى الأضغان ويتهمهم بالعجز عن حمل حرب بنى أمية ، ويحاول أن يوئس الناس جميعا من معارضة الأمويين . وعلى الجملة يتجاهل الأخطل عاطفة العرب الدينية ، ويغض من شأن المنافسين لبنى أمية ، وهو يعلم أنهم جميعا من قريش .

٢ — ومن عجب أن ترى فى شعر الأخطل أثر الثقافة الإسلامية ، مع أنا افتقدناه فى شعر شعراء المغازى والفتوح الإسلامية . فهو يمدح بنى أمية بصفات حث عليها الدين ، وهى تتصل بالأشر والبطر ، والعفو عند المقدرة ، والبعد عن تكدير النعمى .

٣ — من دراسة النص وما حوله تدرك أن غير المسلمين قد أسهموا فى الصراع الحزبى الذى اشتد فى العصر الأموى .

٤ — لا يزال أثر البيئة البدوية باديا فى الشعر ، من مثل التفاؤل بالطير ، وعجم العيدان .

٥ — يلقى النص ضوءا على الخصائص الفنية لشعر الأخطل بما كان يتميز به من دقة فى اختيار الألفاظ والتراكيب ، وصقل العبارة وبراعة التصوير .

٦ — كان لشعر الأخطل تأثير كبير فى نفس عبد الملك ، وكان يقيمه ويقعده .

٧ — حاول عبد الملك أن يدعو الأخطل إلى الإسلام فأبى الأخطل حرصا على شرب الخمر .

المناقشة

١ — إلى امرىء لا تعدينا نوافله أظفره الله ، فليهنأله الظفر
الخائض الغمرة الميمون طائره خليفة الله ، يستسقى به المطر
والمستمر به أمر الجميع فما يغتره — بعد توكيد له — غرر

(ا) يمدح الأخطل عبد الملك فى هذه الأبيات بصفات جديرة بملك. عين هذه الصفات وبين قيمتها .

(ب) ما البلاغة فى قوله « لا تعدينا نوافله » ؟ .

(ح) أيهما أفضل « نوافله » أم أثره ؟ ولماذا ؟

(د) وضح الاستعارة فى « الخائض الغمرة » .

(هـ) فى « المستمر به أمر الجميع » صورة وضحها ، وبين أثرها فى المعنى .
(و) « فليهنأ له الظفر » دعاء ـ بم يدعو لعبد الملك ؟
(ز) ما فائدة قول الشاعر « بعد توكيد له » .

٢ ـ فى نبعة من قريش يعصبون بها ... ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر
تعلو الهضاب ، وحلوا فى أرومتها ... أهل الرباء ، وأهل الفخر إن فخروا

(ا) ما معنى يعصون بها ؟
(ب) بين وجه الشبه فى التشبيه الذى بنى عليه البيتان .
(حـ) « بأعلى نبتها » ما المراد بالعلو هنا ؟ ولماذا ؟
(د) لم جُعل بنو أمية فى أرومة النبعة ؟ وما علاقة « أهل الرباء » بالأرومة ؟
(هـ) ما فائدة « إن فخروا » ؟

٣ ـ حشد على الحق ، عيافو الخنا ، أنف ... إذا ألمت بهم مكروهة صبروا
فإن تدجت على الآفاق مظلمة ... كان لهم مخرج منها . ومعتصر

(ا) فى البيت الأول أربع صفات لبنى أمية ـ عينها .
(ب) فى الشطر الأول صفات مضادة بين الجمال فى هذا التضاد .
(حـ) فى الشطر الثانى من البيت الأول صورة وضحها ، وبين أثرها .
(د) فى البيت الثانى استعارة فى الشطر الثانى ـ وضحها وبين فائدتها بعد الصورة فى الشطر الأول .
(هـ) فى المخرج والمعتصر إيحاء معين ، بين أثره فى المعنى .

٤ ـ شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ... ولا يبيّن فى عيدانهم خور

(ا) فى شمس العداوة استعارة . وضحها ، وبين مدى توفيق الشاعر فيها .
(ب) بين العلاقة بين الشطر الثانى والشطر الأول فى البيت الأول .
(ج) فى البيت الثانى صور بلاغية . وضح اثنتين منها .
(د) بين الدلالة السياسية لمعنى هذين البيتين .

٥ ـ أعطاهم الله جدا ينصرون به ... لا جد إلا صغير بعد محتقر
لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ... ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

(ا) ما علاقة الشطر الثانى بالشطر الأول فى كل من البيتين ؟

(ب) ما فائدة قوله « إذ كانوا مواليه » ؟

(حـ) هل يغض من شأن بنى أمية أن كان نصرهم بجد أعطاه الله ؟ وضح رأيك .

٦ — هم الذين يبارون الرياح إذا قل الطعام على العافين أو قتروا .
بنى أميـــة نعماكم مجـــللة تمت . فلامنة فيـــا ولا كدر

(ا) ما الصورة البلاغية فى البيت الأول ؟

(ب) ما فائدة « قتروا » بعد قل الطعام على العافين ؟

(حـ) فى « نعماكم مجللة » استعارة . وضحها وبين أثرها فى المعنى .

(د) بين علاقة الشطر الثانى بالشطر الأول فى البيت الأخير .

قوة العرب في وحدتهم

عُبَيْدُ الله بنُ قَيْس الرُّقَيَّات (توفي سنة ٧٥ هـ)

يأسى لتفرق قريش ، ويمدح مصعب بن الزبير

يذكرونه بينَ شعراء الغزل والسياسة في العصر الأموي ، وقد كان حريصاً على سيادة قريش ، ناقما على بنى أمية استئثارهم بالخلافة ، فإن معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد ، لكن كثيرا من قريش لم يبايعوه ، فلما مات معاوية ، وولى الأمر يزيد أعان عبد الله بن الزبير ولايته للأمر في الحجاز ، والعراق ، وكان أخوه مصعب والى العراق . وكان عبيد الله بن قيس يشايع الزبيريين وهو في النص الآتي يشيد بمكانة قريش ، ويمدح مصعب بن الزبير ويأسى للشقاق .

النص

١ — حَبَّذَا الْعَيْشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الأَهْوَاءُ

٢ — قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقَبَائِلُ فِي مُلْكِ قُرَيْشٍ ، وَتَشْمَتَ الأَعْدَاءُ

٣ — أَيُّهَا الْمُشْتَهِي فَنَاءَ قُرَيْشٍ بِيَدِ اللهِ عُمْرُهَا وَالْفَنَاءُ

٤ — إِنْ تُوَدِّعْ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيٍّ بَقَاءُ

٥ — لَوْ تَقَفَّى وَتَتْرُكُ النَّاسَ كَانُوا غَنَمَ الذِّئْبِ غَابَ عَنْهَا الرِّعَاءُ

٦ — هَلْ تَرَى مِنْ مُخَلَّدٍ ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَبْقَى ، وَتَذْهَبُ الأَشْيَاءُ

(١ : ٢) حبذا العيش : طاب العيش . جميع : مؤتلفون . الأهواء : النزعات والأغراض . تشمت : تفرح بالمصيبة والمعنى واضح .

(٣ : ٥) المشتهى المحب الراغب . عمرها : بقاؤها . بيد الله : بقوته وأمره . تودع تهلك ويذهب أمرها . تقفى : أى تنقفى ومعناها تذهب ويمحى أثرها . الرعاء : جمع راع والمعنى واضح .

(٦ : ٨) مخلد : باق . يجرى الثراء : يتسع الغنى ويسرع .

٧ — لَمْ نَزَلْ آمِنِينَ يَحْسُدُنَا النَّا سُ، وَيَجْرِي لَنَا بِذَاكَ الثَّرَاء
٨ — لَوْ بَكَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ عَلَى قَوْ مٍ كِرَامٍ بَكَتْ عَلَيْنَا السَّمَاء
٩ — إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّـ هِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاء
١٠ — مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ، وَلَا بِهِ كِبْرِيَاء
١١ — يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ، وَقَدْ أَفْـ لَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِتِّقَاء
١٢ — عَيْنُ فَابْكِي عَلَى قُرَيْشٍ، وَهَلْ يُرْ جِعُ مَا فَاتَ ـ إِنْ بَكَيْتِ ـ الْبُكَاء
١٣ — مَعْشَرٌ حَتْفُهُمْ سُيُوفُ بَنِي الْعَلْ لَاتِ يَخْشَوْنَ أَنْ يَضِيعَ اللِّوَاء
١٤ — تَرَكَ الرَّأْسَ كَالثَّغَامَةِ مِنِّي نَكَبَاتٌ تَسْرِي بِهَا الْأَنْبَاء
١٥ — لَيْسَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتٍ نَحْنُ حُجَّابُهُ، عَلَيْهِ الْمُلَاء

ومعنى الأبيات :

حين تفنى قريش — أيها المشتهى فناءها — سيفنى قبلها كل قبيلة، ولن يخلد غير الله ففيم أمنيتك! لقد غبرنا زمانا نعيش فى أمن واطمئنان، والناس يحسدوننا على الأمن وعز الوحدة، وسعة الغنى، أما الآن فقد أضاعت الفرقة مجدنا، وأصبحنا مثار حزن وبكاء ولو كانت السماء تبكى لبكت علينا.

(٩ : ١١) الشهاب: قبسة من النار مضيئة، تجلت: انكشفت. الظلماء: الظلام. عن: بمعنى الباء أو بسبب أى تجلت بضياء وجهه أو بسبب وجهه أو بالاستعانة بوجهه. ملك قوة: حزم وعزم. جبروت: ظلم وطغيان. وكبرياء: استعلاء على الناس. يتقى الله: يخافه ويخشاه ويتخذ وقاية من عقابه. أفلح: نجح. همه: مقصده وغرضه. والمعنى واضح.

(١٢ : ١٤) عين: ياعين. حتفهم: موتهم. بنو العلات: الإخوة من أب واحد وأمهات مختلفات. الثغامة: شجرة ذات زهر أبيض. تسرى الأنباء: تسير الأخبار ليلا والمعنى واضح.

(١٥ — ١٦) حرمة: ماتجب صيانته بيت: الكعبة. حجابه: حماته. الملاء: جمع ملاءة وهى أستار =

١٦ — خَصَّهُ اللهُ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا دُونَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سَوَاءُ

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — قوام النص الأسى لفرقة قريش وخلاف زعمائها ، وصراعهم على الخلافة ، وفى أثناء ذلك يمدح الشاعر مصعب بن الزبير ببضعة أبيات ، كما يأتى :

١ — فى الأبيات (١ : ٥) يذكر الشاعر طيب العيش فى ظل وحدة قريش قبل أن يطمع فيها كل طامع ، ويشمت فيها كل عدو ، ويبين قوة العرب إذا حفظها الله وضعفهم إذا أفناها .

٢ — الأبيات (٦ : ٨) يذكر أن كل شىء سيفنى ، ويخلد وجه الله ، ويشير إلى ما كان من حسد الناس لقريش على أمنها وثرائها ، ثم يبين أن حال قريش جديرة بالبكاء ؛ لأن هوان الكريم يستدر الدموع .

٣ — وفى الأبيات (٩ : ١١) يمدح مصعب بن الزبير ، فيضع مدحه بين بيتين باكيين ، وكأنه نجدة من السماء تعيد لقريش وحدتها وعزها .

٤ — فى الأبيات (١٢ : ١٦) يعود للحسرة والأسى على قريش ، فيبكى عينه ويظهر أسفه ، لأن قريشا يقتل بعضها بعضا ، ويذكر أن هذا يشيب الرؤوس ، ولاسيما إذا صحبه اعتداء على بيت الله وهو حرمة الله ، وليس شىء أوجب على الناس جميعهم من باد وعاكف مثل صيانته وتقديسه ، ولكنا أحق الناس بالدفاع عنه ، والالتفاف من حوله .

التصوير والتعبير

١ — حبذا العيش حين قومى جميع لم تفرق أمورها الأهواء
٢ — قبل أن تطمع القبائل فى ملك قريش وتشمت الأعداء

الكعبة . البادون : من هم خارج مكة . العاكفون : المقيمون فى المسجد .

والمعنى :

ليس لله فى الأرض مكان تجب حمايته مثل البيت الحرام . ونحن حماته فنحن أحق بالدفاع عنه ، ونحن أجدر أن نبكى من أجله وتشيب رءوسنا من هول إصابته . إنه بيت خصه الله بالتعظيم ، وعلينا أن نجتمع حوله ونذود عنه .

بدأ البيت الأول بأسلوب إنشائي لمدح الحياة فى عهد الائتلاف . وكلمة جميع توحى بالقوة والاستمساك ، وكلمات التفرق والأهواء والطمع والشماتة كلها وضعت موضع الموازنة بكلمة جميع . والموازنة توحى بالحسرة والألم فى مقابلة « حبذا » فى أول البيت . وقوله : « تفرق أمورها الأهواء » يصور النزعات الحزبية والعصبية القبلية ، ويوحى بصراع هذه النزعات ، ويبرز أثر هذا الصراع فى تفريق الأمة وزعمائها ، وهو يشبه الأهواء بالوشاة يسعون بين الزعماء ويفسدون علاقاتهم ، ويحذف الوشاة ويرمز إليهم بقوله « يفرق » على سبيل الاستعارة المكنية . والمراد بالأمور الزعماء ؛ لأنهم الذين يدبرون أمور الأمة .

وفى البيت الثانى كنايتان عن بلوغ الأمة درجة من الضعف تطمع القبائل ، وتشمت الأعداء . ويلاحظ عودة الضمير مؤنثاً « فى أمورها » ولم يتقدم غير « قومى » وقد اعتبر المعنى فى ذلك .

٣ — أيها المشتهى فنـــاء قريش   بيد الله عمرها والفنـــاء

٤ — إن تودَّع من البلاد قريش   لايكن بعـــدهم لحىّ بقاء

٥ — لو تقفىّ وتتركُ الناسَ كانوا   غنم الذئب غاب عنها الرعاء

ينادى « المشتهى » وغرضه بالنداء زجره والاستهانة به . واختار لفظ الاشتهاء ولفظ الفناء ليستنكر أهدافه . وقدم الجار والمجرور فى خطاب المشتهى توكيداً لزجره ، كأنه يقول له : ليس لأمنيتك وزن ؛ لأن لله وحده أن يُبقى ويفنى ، وجمع بين العمر والفناء ليشمل الأمر كله فى تضاد يؤكد المعنى . ومن لفتات العاطفة إضافة العمر لضمير قريش ، وعدم إضافة الفناء على لسانه ، وإضافته على لسان المشتهى . وفى قوله « بيد الله » مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأن المراد قوة الله وقدرته .

وفى البيت الرابع يختار الحرف « إن » فى الشرط إيحاء باستبعاده ، ولفظ التوديع فى الشرط لفظ فيه رفق وحب ، ولكن الجواب عنيف « لايكن بعدهم لحى بقاء » فيذكر البقاء فى مقابلة التوديع ، مع تنكير بقاء وحى فى سياق النفى وذلك يوحى بعاطفة الشاعر ، وبأنه ليس بعد توديع قريش معنى لبقاء أحد .

والبيت الخامس يرد على أمنية العدو فى فنائها وبقاء الناس سواها ، فيستخدم الحرف « لو » وهو هنا بمعنى « إن » لدخوله على المضارع تقفى . وفى البيت يشبه العرب وقد طمع أعداؤهم فيهم إذا تركتهم قريش بالغنم التى غاب عنها رعاتها وتركوها طعمة للذئاب وهو تشبيه حالة بحالة (تمثيل) والتشبيه يوحى بمدى حرص قريش على حماية العرب وقدرتهم على هذه الحماية ، وعجز العرب عن الدفاع عن أنفسهم إذا تخلت عنهم قريش . وإضافة « غنم » للذئب إيحاء بتحقق ضياعهم . وبين تقفى وتترك مقابلة توضح المعنى .

٦ — هل ترى من مخلد غير أن الـ ـله يبقى وتذهب الأشياء
٧ — لم تزل أمنين يحسدنا النـ ـاس ويجرى لنا بذاك الثراء
٨ — لو بكت هـذه السماء على قو م كرام بكت علينا السماء

الاستفهام فى البيت السادس غرضه النفى ، والبيت متصل بما قبله ، وكأنه يقول : هب قريشا فنيت ، فلن يبقى أحـد بعدها ، ثم استثنى فقال « الله يبقى وتذهب الأشياء » والأشياء كناية تشمل القبائل كلها ، وبين يبقى وتذهب مقابلة للموازنة بين بقاء الخالق ، وذهاب المخلوقات موازنة تسفه المشتهى فناء قريش والحرف « من » زائد لتوكيد المعنى ، والخطاب فى ترى « للمشتهى » أيضا وهو خطاب يراد به التسفيه كذلك . ويحسدنا الناس فى البيت السابع كناية عن حسن الحال وعلو المنزلة ، وتؤكدها الاستعارة فى قوله « يجرى لنا بذاك الثراء » والإشارة للأمن الدائم المفهوم من صدر البيت . والاستعارة مكنية شبه فيها الثراء بالنهر الجارى وحذف وأشير إليه بالفعل « يجرى » والبيت خبر يثير الذكرى ، ويوحى بالتحسر . وفى « بكت السماء » استعارة مكنية تخيل فيها السماء إنسانا يحس ويشعر ويأسى ويبكى ، وحذف ورمز إليه بالفعل « بكت » . والبيت كله كناية عن كرم الشاعر وقومه ، لأن السماء إنما تبكى الكرام (لو بكت) . واختيار السماء دون جوانب الكون يوحى بسمو قريش وعلو مكانتها فى نفس الشاعر ؛ لأنه اختار لها أعلى الكون ومن فيه للبكاء على قريش .

٩ — إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
١٠ — ملكه ملك قوة ليس فيـه جـبروت ولا به كبرياء
١١ — يتقى الله فى الأمور وقد أفـ ـلح من كان همـه الإتقاء

فى البيت التاسع يشبه مصعبا بشعلة من النار من عند الله ، ثم يبين أثر هـذه المنحة الإلهية لقريش ، فقال : « تجلت عن وجهه الظلماء » وفى هذه العبارة جعل وجه مصعب كوكبا يضيء ظلام الليل على سبيل الاستعارة المكنية . وبدء البيت بالحرف « إنما » تخصيص لمصعب وتعريض بالآخرين . والبيت العاشر نتيجة أو تفصيل لما قبله ، ونفى الجبروت والكبرياء احتراس ضرورى ؛ لأن القوة مظنة لأن تشاب بهما . والبيت الحادى عشر تفصيل آخر لكون مصعب منحة من الله فوصفه بقوله « يتقى الله فى الأمور » كناية عن عدله واستقامته . وقوله « قد أفلح » بيان لأثر التقوى فى النجاح ، وتوكيد لصدر البيت :

١٢ — عين فابكى على قريش وهل يرْ جع مافات — إن بكيت — البكاء
١٣ — معشر حتفهـم سيوف بنى العلْ لات يخشون أن يضيـع اللواء
١٤ — ترك الرأس كالثغـامة منى نكبات تسرى بهـا الأنبـاء

فى البيت الثانى عشر ينادى عينه نداء يفيض بالحسرة . ويأمرها بالبكاء تمنياً اسكب

الدموع عليها تجدى ، ثم يرجع إلى نفسه كأنما قد أفاق من ذهول فيقول : « وهل يرجع مافات البكاء » ، فينفى جدوى البكاء بهذا الاستفهام . ويبدو أن عينه كانت عصية الدمع (وعصيان الدمع يزيد حرارة الحزن) من أجل ذلك يعترض فى أسلوب الاستفهام بقوله « إن بكيت » ، فهو يشك فى استجابتها لتخفف حزنه .

والبيت الثالث عشر تعليل للحزن الذى لا يجدى فيه البكاء وحذف المبتدأ وبدأه بالخبر ؛ لأن الخبر قوام العلة ، وعبر بلفظ المعشر تفخيما لهم . ثم قال : « حتفهم سيوف بنى العلات » فيعبر عن الصراع بوسائل الصراع وهى « السيوف » فهو مجاز مرسل . ويعبر عن بطون قريش ببنى العلات كناية عن وحدة النسب لأن أباهم واحد . فاختيار بنى العلات إشعار بمرارة هذا الصراع القاتل . وقوله « يخشون أن يضيع اللواء » سخرية مريرة من أن يقتل بعضهم بعضا بسبب اللواء ، واللواء كناية عن الإمارة ، جسدت السبب وأبرزته فى صورة حسية تحمل الدليل الذى يغريهم بالصراع المدمر . والبيت الرابع عشر يصور أثر الشقاق فى نفسه ، فنكبات الصراع جعلت رأسه كالثغامة ، وهو تشبيه يبين اشتعال رأسه شيباً لأن الثغامة ذات زهر أبيض ، وهى توحى بشدة النكبات ، وربما زاد فى شدتها أنها تسرى بها الأنباء فقد صور الأنباء تصويراً عجيبا ، فجعلها قافلة تحمل النكبات وتوزعها ليلا فى مختلف الأنحاء . واختار المضارع « تسرى » إشارة إلى تجددها واستمرار حدوثها ، وكأنها تختار الليل ؛ لأنه يردد صدى ما يحدث بالنهار ، أو هو وقت الاستخبار عن الأحداث والفراغ لاستقبال أعاجيب الأنباء . والصورة استعارة مكنية .

١٥ — ليس لله حرمة مثل بيت نحن حجابه عليه الملاء

١٦ — خصه الله بالكرامة فالبا دون والعاكفون فيه سواء

فى البيت الخامس عشر يشبه أعظم حرمات الله بالبيت الحرام ، فيوحى بضخامة الأمانة التى تحملها قريش حيال هذا البيت . و « بيت عليه الملاء » كناية عن الكعبة وتقديسها . و « نحن حجابه » من صفة البيت ، وهى كناية عن عظم تبعاتهم نحوه ، ووجوب صيانته عليهم قبل سواهم . وخصه الله بالكرامة تعليل للتشبيه السابق . والبادون مشبهون بالعاكفين فى تقديسه والدفاع عنه ، والتشبيه مفهوم من قوله « سواء » والمقابله بين البادين والعاكفين تثير اليقظة وتلفت الشعور إلى مكانة البيت وحقه على الناس جميعا .

والبيتان يوحيان بالأسى والأسف على خلاف قريش والشقاق بينهم كما يوحيان بالرغبة فى الالتفاف حول البيت الكريم ، والتعاون فى حمايته ، وجعله رابطة الحب ، وصلة الإخاء .

نظرة بلاغية

١ ـ يصور النص جانبا من الحياة السياسية فى العصر الأموى .
٢ ـ أفكار النص ليس فيها ترتيب .
٣ ـ تبرز عاطفة الشاعر حارة قوية فى النص ، وتبدو فى حسرته على الماضى ، ودفاعه عن قريش وتطلعه إلى ائتلافها .
٤ ـ اعتمد الشاعر فى نقل مشاعره على التصوير بوسائل الخيال حينا وبالألفاظ الموحية حينا .
٥ ـ الصور مستمدة من البيئة البدوية .
٦ ـ يتسم الأسلوب بالسهولة والوضوح .
٧ ـ تبرز النزعة الدينية فى النص .

نظرة أدبية

١ ـ من هذا النص ونص الأخطل السابق يتضح لنا أن كل حزب من الأحزاب كان له شعراء ينافحون عنه ، ويدعون له ، فالأخطل شاعر بنى أمية ، وعبيد الله شاعر الزبيريين .
٢ ـ نلاحظ أن عبيد الله يدعو إلى ألفة القرشيين واتحادهم ويرى فى ذلك عز العرب غير أنه يرشح الزبيريين لتحقيق هذا الهدف .
٣ ـ التأثر بالقرآن الكريم واضح فى القصيدة .

المناقشة

١ ـ أيها المشتهى فناء قريش ... بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش ... لا يكن بعدهم لحى بقاء
لو تقفى وتترك الناس كانوا ... غنم الذئب غاب عنها الرعاء

(ا) ما الغرض البلاغى من النداء فى البيت الأول ؟
(ب) ماذا من الجمال فى قوله « بيد الله عمرها والفناء » ؟
(ج) ما علاقة البيت الثانى بالبيت الأول ؟
(د) وضح الصورة البلاغية فى البيت الثالث ، وبين أثرها فى المعنى .
(هـ) ماذا من الجمال فى إضافة « غنم » للذئب فى قوله « غنم الذئب » ؟

٢ ـ هل ترى من مخلد غير أن الله ... يبقى وتذهب الأشياء
لم نزل آمنين يحسدنا النا ... س ويجرى لنا بذاك الثراء
لو بكت هذه السماء على قو ... م كرام بكت علينا السماء

(ا) ما المقصود من الاستفهام فى البيت الأول ؟ ومن المخاطب به ؟

(ب) ماذا من التصوير فى قوله « ويجرى لنا بذاك الثراء » ؟
(ج) ما مرجع اسم الإشارة « ذاك » فى البيت الثانى ؟
(د) اشرح الصورة البلاغية فى البيت الأخير ؟

٣ — إنما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهـــه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقى الله فى الأمور وقد أفـــلح من كان همه الاتقاء

(ا) بين التشبيه فى البيت الأول ، ثم ابحث بلاغة قول الشاعر « تجلت عن وجهه الظلماء »
(ب) مافائدة قول الشاعر « ليس فيه جبروت » ؟
(ج) بين الهدف من البيت الثالث ، ووضح كيف حقق هدفه .

٤ — معشر حتفهم سيـــوف بنى العلـ ـــلات يخشون أن يضيع اللواء
ترك الرأس كالثغامـــة منى نكبات تسرى بها الأنباء

(ا) فى « سيوف بنى العلات » جمال ، وضحه .
(ب) مافائدة قوله « يخشون أن يضيع اللواء » ؟
(ح) فى البيت الثانى صورتان ، وضحهما ، وبين علاقة كل منهما بالأخرى .

٥ — اتصل الشاعر بالأمويين بعد قتل مصعب بن الزبير ومدح عبد الملك بقصيدة منها :
يأتلق التـــاج فوق مفرقـــه على جبـــين كأنه الذهب
فلم يستحسن عبد الملك هذا المدح ، وقال تمدحنى بما يمدح به العجم وتقول فى ابن الزبير
إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
فما وجه اعتراض عبد الملك على قول ابن قيس الرقيات ؟

الكميت بن زيد

يمدح الهاشميين

الشاعر : هو الكميت بن زيد الأسدى من شعراء مضر ، وألسنتها . نشأ بالكوفة ، وتأدب على علمائها ، وأخذ عن أعراب البادية ، وكان له جدتان ترويان الشعر ، فكان يرجع إليهما فيما يحفظ من نصوص . واتصل بالولاة الهاشميين يمدحهم ، وينال جوائزهم ، وتشيّع لبنى هاشم وقال فيهم قصائده المعروفة بالهاشميات ، وهى خير شعره . ووشى به الوشاة إلى هشام ابن عبد الملك ، فأراد قتله ، ففر واختفى زمانا ، ثم توسط له بعض القوم ، فعفا عنه هشام وجاءه ومدحه . وقتل الكميت غيلة فى سنة ١٢٦ ﻫ فى خلافة مروان بن محمد .

والأبيات التالية من قصيدة طويلة ، تمثل تشيع الكميت لآل البيت .

النّصّ

١ — طَرِبْتُ ، وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبِيضِ أَطْرَبُ ... وَلاَ لَعِباً مِنِّى ، وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

٢ — وَلَمْ يُلْهِنِى دَارٌ وَلاَ رَسْمُ مَنْزِلٍ ... وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِى بَنَانٌ مُخَضَّبُ

٣ — وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى ... وَخَيْرِ بَنِى حَوَّاءَ وَالْخَيْرُ يُطْلَبُ

٤ — إِلَى النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمْ ... إِلَى اللهِ فِيمَا نَالَنِى أَتَقَرَّبُ

٥ — بَنِى هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِىِّ فَإِنَّنِى ... بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ

(١ : ٥) البيض : جمع بيضاء ، النساء الحسان . اللعب : العبث . لم يلهنى : لم يشغلنى . دار : منزل الحبيب . رسم منزل : أثره . يتطربنى : يدفعنى إلى الطرب والسرور . البنان : أطراف الأصابع جمع بنانة . مخضب : ملون بالخضاب وهو الحناء ونحوها . إلى أهل الفضائل : أى شوقى إلى أهل الفضائل . النهى : جمع نهية وهى العقل . النفر : الجماعة من الرجال . البيض : جمع أبيض ، الأشراف المشهورون . نالنى : أصابنى . رهط النبى : أهله وعشيرته .

معنى الأبيات :

استخفنى الشوق ، وهزنى لا حنيناً إلى غيد حسان ، ولا رغبة فى لعب ولهو — ومثلى يلعب ويلهو — فلست ممن يستهويهم أطلال أحبة ، ولا زينة نسوة ولكن حبى وهواى إلى أعظم الناس فضلا ، وأرجحهم عقلا ، وأسماهم أصلا ، وخيرهم نسبا — والخير أجدر أن يسعى إليه ، والفضل أحق أن يلاذ به — أجل إن هواى إلى رجال أعلام بحبهم أتقرب إلى الله ، وبالأذى فى سبيلهم أنال رضاءه ، هم بنو هاشم أهل النبى وعشيرته ، قد وقفت عليهم حبى ، فلا أحيا إلا لهم ، ولا أطرب إلا لما يرضيهم ، ولا أثور إلا لما يغضبهم .

٦ — خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّى جَنَاحَىْ مَوَدَّةٍ ... إِلَى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ
٧ — وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ... مِجَنًّا، عَلَى أَنِّى، أُذَمُّ وَأُقْصَبُ
٨ — فَقُلْ لِلَّذِى فِى ظِلِّ عَمْيَاءَ جَوْنَةٍ ... تَرَى الْجَوْرَ عَدْلًا أَيْنَ لَا أَيْنَ تَذْهَبُ
٩ — بِأَىِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ ... تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَىَّ وَتَحْسَبُ
١٠ — يَعِيبُونَنِى مِنْ خُبِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ ... عَلَى حُبِّكُمْ، بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ
١١ — وَقَالُوا وَرِثْنَاهَا أَبَانَا وَأُمَّنَا ... وَمَا وَرَّثَتْهُمْ ذَاكَ أُمٌّ وَلَا أَبُ
١٢ — يَرَوْنَ لَهُمْ حَقًّا عَلَى النَّاسِ وَاجِبًا ... سَفَاهًا، وَحَقُّ الْهَاشِمِيِّينَ أَوْجَبُ
١٣ — يَقُولُونَ لَمْ يُورَثْ، وَلَوْلَا تُرَاثُهُ ... لَقَدْ شَرِكَتْ فِيهِ بَكِيلٌ وَأَرْحَبُ
١٤ — فَإِنْ هِىَ لَمْ تَصْلُحْ لِحَىٍّ سِوَاهُمُ ... فَإِنَّ ذَوِى الْقُرْبَى أَحَقُّ وَأَقْرَبُ

(٦ : ١٠) خفض : لان . المودة : الحب . كنف : حضن . أهل : تأهيل . مرحب : سعة . المجن : الترس يتقى به الطعن . أقصب : أقطع شتماوسبا . ظل : ظلام . عمياء : ضلالة . جونة : سوداء . جور : ظلم . لا أين : جملة « دعائية معناها هلكت فلا أين لك » أى لا مكان . الكتاب : القرآن . سنة : كلام الرسل . تحسب : تزعم وتظن . خبهم : خبثهم . يسخرون : يهزءون .

معنى الأبيات :

تواضعت لهم لحبى إياهم وعرفانى لأقدارهم ، وفتحت لهم حضنى مؤهلا مرحبا . ووقفت جهودى عنهم والذود عن كرامتهم . أوذى فى سبيلهم ، وأرمى بكل نقيصة من أجلهم . فقل لمن ضل واتبع هواه ، ومضى يخبط خبط عشواء ، أى مذهب تذهب ؟ وفى أى فرية تخوض ؟ لقد عثرت ، فلا رشدت ! وهلكت ، فلا ذهبت ! على أى سند تعتمد ؟ وبأى حجة تحتج ؟ وبأى حق تزعم أن حبى إثم ؟ ألا إن خبثهم الذى طبعوا عليه هو الذى دفعهم إلى اتهامى والسخرية منى فجعلنى أعجب منهم أشد العجب ، لكنى لا أحفل بما يزعمون .

(١١ : ١٤) ورثناها : أى الخلافة . أبانا وأمنا مفعول به ومعطوف عليه ؛ لأن ورث تنصب مفعولين . سفاها : جهلا وحمقا . بكيل وأرحب : قبيلتان مغمورتان .

ومعنى الأبيات :

يقول الأمويون إنا ورثنا الخلافة ، وليس لهذا القول ظل من الحق ، فإنهم فرضوا حكمهم بحد السيف وبالخديعة ، وزعموا لأنفسهم حقا ، وهو سفه وحمق ؛ لأن الهاشميين أحق بها وأهلها لو كان الأمر أمر إرث ؛ لأنهم رهط النبى وذوو رحمه ، وأولاهم بتراثه .

١٥ — أُنَاسٌ بِهِمْ عَزَّتْ قُرَيْشٌ فَأَصْبَحُوا وَفِيهِمْ خِبَاءُ الْمَكْرُمَاتِ الْمُطَنَّبُ
١٦ — مُصَفُّونَ فِي الْأَحْسَابِ مَحْضٌ نِجَارُهُمْ هُمُ الْمَحْضُ مِنَّا ، وَالصَّرِيحُ الْمُهَذَّبُ
١٧ — لَهُمْ رُتَبٌ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَضَائِلُ يَسْتَعْلِي بِهَا الْمُتَرَتِّبُ
١٨ — أُولَئِكَ إِنْ شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى أَمَانِيُّ نَفْسِي ، وَالْهَوَى حَيْثُ يُسْقَبُ

الدراسة والتحليل

الأفكار

النص يدور حول تصوير موقف الكميت من بنى هاشم ، وتأييده لحقهم دون غيرهم فى الخلافة ، وقد سلك فيه المسلك الآتى :

١ — فى الأبيات (١ : ٥) يصور حبه آل البيت ، ويستنكر أن يشغل نفسه عنهم بالغزل أو بغيره مما يشغل أمثاله ، فهم أهل الخير ، والخير أولى أن يطلب ، وهم الذين يمحض الإخلاص لهم ؛ لأنهم رهط النبى ، لا يرضى إلا بهم ، ولا يغضب إلا لهم .

ثم يناقضون أنفسهم فيقولون : إن النبى لايورث ، ولو كان هذا صحيحا لطمع فى الخلافة أقل القبائل وأبعدها عن قريش ، وهو قول لا يقرونه ولا يقبلونه ، فإذا كانت الخلافة لا تصلح إلا لقريش فإن الهاشميين أجدر بها ؛ لأنهم أقرب قريش إلى رسول الله ، وهم أتقاها وأقومها طريقة .

(١٥ - ١٨) عزت : قويت . خباء : خيمة . المطنب : المشدود بالأطناب وهى الحبال الطويلة . مصفون فى الأحساب : أنسابهم نقية . محض : خالص . نجار : أصل . خالص صاف . المهذب : الخالص مما يشيبه من شجر وثمر . رتب : مراتب ودرجات . يستعلى : يطلب العلا ويتوسل إليها . المترتب : الطامح إلى الرتب . شطت : بعدت . غربة : بعد . النوى . الدار . يسقب : يقرب .

معنى الأبيات :

إن بنى هاشم مصدر عز قريش ، فسيادة قريش من سيادتهم . وقد أصبحت بفضلهم أصلا للفضائل والمكرمات ، ولاعجب فى ذلك فقد شرف نسبهم وطهر أصلهم بل هم صفوة العرب الخالصة من الشوائب بين العرب أجمعين . وقد وضعهم الله فى المراتب السامية وفضلهم على الناس درجات . وعلى الطامحين إلى المعالى أن يقتفوا آثارهم ، ويهتدوا بهديهم . إن بنى هاشم موطن حبى ، وأمنية نفسى وإن طوحت بهم النوى ، فقلبى لا يتجه إلا إليهم ولا لهم ، ولا يلصق إلا بهم .

٢ — فى الأبيات (٦ : ١٠) يصور الكميت تأييده لبنى هاشم : ويبرز كفاحه من أجلهم ، ويصف خصومهم بالضلالة ، ويذكر أنهم ـ لذلك ـ يسخرون به ويعيبونه ، وهو فى عجب شديد من أمرهم .

٣ — وفى الأبيات (١١ : ١٤) يجادل بنى أمية ، فى أمر الخلافة « ويفند مزاعمهم ، ويدحض حججهم ، ويلزمهم الاعتراف بأن بنى هاشم أحق بالخلافة مهما تكن دعواهم .

٤ — وفى الأبيات (١٥ : ١٨) يشيد بمناقب بنى هاشم ، ويبين أنهم سبب عزة قريش ، وينوه بنسبهم ، وأخلاقهم ومراتبهم ، وأنهم موضع حبه ، ومنى نفسه .

١ — استنكر الشاعر فى البيتين الأول والثانى أن يشغل نفسه بالغزل أو بكاء الأطلال ، أو زينة النساء ، أو غير ذلك ، وفى البيت الثالث أشار إلى أنه يتجه إلى أهل الفضائل ولكنه لم يعينهم ، وفى البيت الرابع يقترب من هدفه فيقول إنه يتجه إلى النفر البيض ، ولكنه مع ذلك لم يحددهم ، وفى البيت الخامس يذكر أن وجهة قلبه هم بنو هاشم ، ويقترب أكثر فيقول : رهط النبى ، وفى هذا التسلسل تشويق تدريجى ، لم يصرح فيه بموضع هواه إلا بعد أربعة أبيات .

والبيض فى البيت الأول كناية عن النساء الحسان . وقد نفى الطرب شوقا ، ونفاه لعبا ، فأوحى بأن الشوق حرقة حب ، واللعب عبث باطل ، ولذلك نراه موفقا فى قوله « وذو الشيب يلعب » ؛ لأن اللعب لا يقبل منه ومع ذلك يأتيه ، والشوق يقبل من ذى الشيب ، وأنا مع ذلك أتجنبه وأتقيه . وتلاحظ أن الشاعر يسارع إلى نفى الشوق حرصا على دفع الوهم فى سبب طربه ، وتلاحظ أنه يتلاعب بالألفاظ فيبدأ الشطر الأول بالطرب ويختمه بالطرب ، ويبدأ الشطر الثانى باللعب ويختمه باللعب ، ولكنه جميل لأن التكلف لا يبدو فيه .

٢ — فى البيت الثانى ينفى عن نفسه ما يفعله غيره من الشعراء . وقد يبدو أن الشطر الثانى لاجدوى فيه ؛ لأنه تكرار برغم الكناية الجميلة فى « بنان مخضب » ؛ إلا أن تقول إن الكناية عن الزينة لا عن النساء ، فكأنه يقول : إنه لايطربه النساء ولو حاولن إغراءه بإظهار الزينة ، وبذلك لايكون هناك تكرار لقوله « البيض » فى البيت الأول .

٣ — أشار البيت الثالث إلى من يتجه إليهم فوصفهم بصفات تدعو القارىء إلى الموازنة بينها وبين ما نفى الطرب له فى البيتين الأول والثانى ، ثم ساق برهانا على رشده فى « والخير يطلب » ولعل فى اختيار « حواء » تلميحا إلى مكانة « فاطمة الزهراء » وهى سر تشيعه .

٤ — « إلى النفر البيض » فى البيت الرابع بدل من أهل الفضائل فى البيت الثالث . والبيض هنا كناية عن ذوى النعمة والشرف ؛ لأن البياض دليلهما عنـــد العرب ، وقدم الجار والمجرور « بحبهم » بيانا لسبب اتجاهه إليهم .

٥ — « بنى هاشم » فى البيت الخامس بدل من النفر البيض فى البيت الرابع ، وقد وصفهم بقوله : « رهط النبى » اعتزازا بهم ، وتعليلا لاتجاهه . وقدم « بهم ، ولهم » على « أرضى وأغضب » فأفاد بهذا التقديم قصر الرضا والغضب عليهم . و « مرارا » تفيد أن أحواله مقسمة بين الرضا بهم ، والغضب لهم ، فهو لايخلو من حالة منهما .

٦ — وفى البيت السادس استعارة مكنية فى « جناحى مودة » أشبه المودة بالطائر ، لرقته ووداعته ، ورمز له بالجناحين وحذفه . وهى موحية بالتواضع واللين والرفق . وتقديم « لهم منى » على جناحى مودة ، إفْصَاح عن العاطفة التى تجعله مستعدا لمنح كل شىء من أجلهم ، وقوله : « إلى كنف عطفاه أهل ومرحب » يصور جانبى صدره ناطقين بالتأهيل والترحيب ، كناية عن شـــدة حنوه وحنانه ، ولهفته إلى احتضانهم وشدة القرب منهم .

٧ — وفى البيت السابع يشبه نفسه بالمجن فى قوة الدفاع ومنعة الحفاظ والصيان . وهو تشبيه يوحى بصلابة المواجهة ، كما يوحى بعنف العداوة بين بنى هاشم وسواهم من الأحزاب ، ولم يعين الأعداء اكتفى بالإشارة إيحاء بانصراف نفسه عن تسميتهم . وفى « أقصب » استعارة تصريحية ؛ لأنه شبه شتمه ولومه بالقصْب (ومعناه القطع) ، وعبر بالقصْب عن السب والشتم .

٨ — و « فى ظل عمياء جونة » فى البيت الثامن كناية عن ضلال يحجب الأعين عن صحة البصر ، وهى تحمل المعنى ودليله ، وتوحى بأنهم يخبطون خبط عشواء ، والاستفهام فى قوله : « أين تذهب » ؟ يفيد اللوم والتقريع . و « لا أين » المعترضة ، رمز للدعاء بالهلاك . و « ترى الجور عدلا » أسلوب يمكن أن يكون استفهاما محذوف الأداة ، ويكون غرضه الإنكار ، ويمكن أن يكون خبرا غرضه الذم والاتهام بالعمى .

٩ — والاستفهام فى البيت التاسع غرضه إنكار أن يزعم زاعم أن حب المـــرء لآل البيت عار وأن لذلك دليلا فى الدين . و « تحسب » فى آخر البيت إشارة إلى أن رؤية هذا الرأى ظن وزعم باطل .

١٠ — فى البيت العاشر تعليل لموقفهم منه . وقد ذكر الحب والضلال مجتمعين تمهيدا لذكر السخرية . وقوله « أعجب » أسلوب خبرى يفيد الحيرة من موقفهم الشاذ .

(١١ : ١٤) فى مجادلة الأمويين ذكر الكميت فى كل بيت زعما من مزاعمهم ، ثم يرد عليه ، ردا مؤكدا يضمنه سخرية ونقضا يعتبر مقابلة ، ففى البيت الحادى عشر يتهمهم بالكذب وينفى ماقالوه فىمقابلةإتيانهم ، وفىالثانى عشر يسمهم بالسفاهة ،وفى الثالث عشر يشبههم بقبيلتى بكيل وأرحب تشبيها ضمنيا ، وفى الرابع عشر يلزمهم الحجة من أفواههم .

١٥ — و « فيهم خباء المكرمات المطنب » كناية عن نسبة المكرمات إلى قريش من أثر بنى هاشم فيهم . ووصف الخباء بالمطنب إيحاء بضخامته وشدة أسره .

١٦ — وفى كل من « مصفون ، ومحض ، وصريح » استعارة مكنية شبه فيها النسب باللبن الخالص . وفى « المهذب » أيضـــا استعارة مكنية والمشبه فيها النخلة أو الشجرة . والبيت قائم على وصفهم بالنقاء والطهارة .

١٧ — البيت السابع عشر نتيجة للصفاء والنقاء . وفى الشطر الثانى منه يشبه الفضائل بالسّلّم يتخذه الطامحون مصعدا ، فهى استعارة مكنية .

١٨ — « شطت بهم غربة النوى » تظاهرت فى هذه العبارة ألفاظ البعد ، إشارة إلى أنهم - بالرغم من كل شىء - حبهم ثابت فى القلب مقيم . وأكد المعنى بقوله « والهوى حيث يسقب » أى يتبع من يحَبّ حيث يكون .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — عرفت كيف بدأ الشاعر نصه ، وكيف استطاع أن يثير انتباه سامعه .

٢ — وعرفت كيف عرض أفكاره فى ترتيب منطقى :

٣ — واستطاع أن يمزج أفكاره بإحساسه ، ويبرزها فى صورة مؤثرة .

٤ — صور الشاعر مستمدة من البيئة الطبيعية والاجتماعية .

٥ — واستطاع أن يمزج العاطفة الدينية بالمبدأ السياسى .

٦ — بعض أجزاء القصيدة يخلو من الصور لطبيعة الموقف فيه ، فهو موقف جدل وإيراد حجج ، وتفنيد مزاعم ، لكنه استعان بقـــوة التوكيد للعبارة ، والسخرية ، والمقابلات بين الحجة ونقضها .

نظـــرة أدبيـــة

١ — القصيدة من الشعر السياسى كقصيدة الأخطل . وقصيدة عبيد الله بن قيس الرقيات ، فإنها تدور حول تصوير موقف الكميت من بنى هاشم كما تقدم .

٢ — روح الإسلام بادية فى النص من حيث الروح ، والمعنى ، واللفظ .

٣ — شخصية الكميت بارزة الخطوط واضحة المعالم فى النص فهو رجل دين شديد

الحب لآل الرسول . صادق العزم فى نصرهم ، عظيم الصبر والجلادة فيما يناله فى سبيلهم مجيد للجدل والمناقشة ، قادر على التحليل والتفنيد . بارع فى الإقناع والتأثير .

المناقشة

١ — بنى هاشم رهط النبى فإننى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

(ا) بين كيف مهد الشاعر لهذا البيت ، واذكر رأيك فى هذا التمهيد .

(ب) ما فائدة « رهط النبى » فى البيت ؟

(ج) لم قدم « بهم ولهم » على « أرضى وأغضب » ؟

(د) ما رأيك فى « مرارا » ؟

٢ — خفضت لهم منى جناحى مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا مجنا ، على أنى أذم وأقصب

(ا) بين الصورة فى الشطر الأول ، واذكر أثرها فى المعنى .

(ب) بم يتعلق الجار والمجرور « إلى كنف » ؟

(ج) فى « كنف عطفاه أهل ومرحب » صورة جميلة ـ اشرحها وبين مدى انسجامها مع الصورة فى صدر البيت .

(د) « كنت لهم مجنا » تشبيه ؛ بين طرفيه ، واذكر أثره فى المعنى .

(ﻫ) لم لم يبين المشار إليهم ؟

(و) فى « أقصب » إستعارة ، بينها ، واذكر أثرها .

٣ — فقل للذى فى ظل عمياء جونة ترى الجور عدلا أين ـ لا أين ـ تذهب

(ا) من المخاطب ؟

(ب) بين الصورة البلاغية فى البيت .

(ج) ما نوع الأسلوب فى « ترى الجور عدلا » ؟ وما غرضه ؟

(د) « أين ـ لا أين ـ تذهب » ما الغرض البلاغى من الاستفهام ؟ وما فائدة الاعتراض (لا أين) ؟

٤ — أناس بهم عزت قريش فأصبحوا وفيهم خباء المكرمات المطنب

مصفون فى الأحساب محض نجارهم هم المحض منا والصريح المهذب

(ا) تخير صورتين فى البيت واشرحهما ، وبين دلالتهما .

(ب) ما مرجع الضمير « أصبحوا » ؟

(ج) لم وصف الخباء بالمطنب ؟

(د) « بهم عزت قريش » ـ « عزت بهم قريش » أى العبارتين أبلغ ؟ ولماذا ؟

فى الحماسة

لِقَطَرِىّ بْنِ الفُجَاءَةِ

الشاعر : قطرى بن الفُجاءة المازنى التميمى أحد رؤوس الخوارج الذين ظهروا عقب التحكيم بين على ومعاوية فى صفين ، وكان جماعة من أنصار على بن أبى طالب قد رأوا أنه أخطأ فى قبول التحكيم ؛ لأن الحكم لله لا للناس ، فكان هؤلاء نواة الفرق التى سميت بالخوارج بعد ذلك، وهم قوم متشددون فى الدين متمسكون بحرفية القرآن الكريم . وظهر قطرى فى أيام عبدالله ابن الزبير . وقاتل الدولة الأموية قتالا عنيفا ، وبايعه أتباعه بالخلافة ثلاث عشرة سنة ، وكان له امرأة من الخوارج يقال لها أم حكيم ، وكان يحبها حبا جماً ، وله فيها شعر جيد ، وقتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

النّصّ

١ — أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعاً ... مِنَ الْأَبْطَالِ : وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِى

٢ — فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى الْأَجَلِ الَّذِى لَكِ لَمْ تُطَاعِى

٣ — فَصَبْراً فِى مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْراً ... فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

٤ — وَلَا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ ... فَيُطْوَى عَنْ أَخِى الْخَنَعِ الْيَرَاعِ

(١ — ٢) لها : للنفس . طارت شعاعا : اشتد خوفها . ويحك : عجبا لك . لن تراعى: لن تفزعى . سألت : طلبت . الأجل : نهاية العمر .

معنى البيتين : أقول للنفس حين أصابها الهلع والجزع من عنف الصراع بين الأبطال : عجباً لك أيتها النفس : إن عهدى بك لاتفزعين ولاتخافين ، فإن الأجل معلوم ، والعمر محدود فلو تمنيت على الله أن يزيدك فى العمر يوماً واحداً ما استجاب لك .

(٣ — ٤) صبراً مصدر يراد به الأمر . الخلود : البقاء . مستطاع : مقدور عليه .

ثوب البقاء : البقاء الشبيه بالثوب . عز : شرف ورفعه . يطوى : ينزع . الخنع : اللين والضراعة . أخو الخنع : الذليل . اليراع : القصب الأجوف ، والمراد هنا الجبان .

ومعنى البيتين : فاثبتى أيتها النفس واصبرى فى الميدان ، وتقبلى الموت راضية ، فإنه حتم مقضى ولا سبيل إلى بقاء الإنسان ، على أن البقاء أو النجاة من الموت ليست عزاً ولا شرفاً للإنسان ؛ لأنه لو كان كذلك لطوى عن الذليل الجبان ، وبقى للعزيز الشجاع ، والأمر ليس كذلك .

٥ — سَبِيـــلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... فَدَاعِيهِ لِأَهْـــلِ الأَرْضِ دَاعِ
٦ — وَمَنْ لاَ يُعْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَتُسْلِمْهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
٧ — وَمَا لِلْمَرْءِ خَـــيْرٌ فِي حَيَاةٍ ... إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى الأبيات (١ : ٥) يحث الشاعر نفسه على الصبر فى ميدان القتال ؛ لأن الأجل محدود ، والخلود غير مستطاع ، والحياة تافهة والموت كأس كل امرىء سيشرب بها .

٢ — فى البيتين (٦ — ٧) يذكر أن موت المرء شابا فى سبيل هدف نبيل ، كالجهاد فى سبيل الله خير من حياة طويلة تمتد فيقاسى فيها المرء مرارة السأم ، وعناء الهرم ، والشعور بالانقطاع عن الجيل الذى مضى وخلفه ، والموت خير من حياة يحس صاحبها بأنه لاوزن له فيها . ولا أثر فى توجيه شئونها .

التصوير والتعبير

١ — فى البيت الأول يقول عن نفسه : إنها « طارت شعاعا » فيشبهها لاضطرابها وعدم تماسكها أمام خطر المعركة بمادة تكسرت وانفصلت أجزاؤها وتطايرت فى الهواء ، وحذفت هذه المادة ورمز إليها بقوله « طارت شعاعا » على سبيل الاستعارة المكنية وهى موحية بما

(٥ : ٧) سبيل الموت . الموت سبيل يؤدى إلى الآخرة . داعيه . مناديه . يعتبط : يموت شاباً من غير علة . يسأم : يمل الحياة . تسلمه : تؤديه . المنون : الموت . انقطاع : الانقطاع العزلة والانفراد . سقط المتاع : المتاع ماينتفع به فى الحياة من عروض الدنيا مثل اللباس والفراش والأدوات تستعمل ثم تبلى . سقط : ردىء قليل القيمة .

معنى الأبيات:

الموت كأس لابد أن يشرب بها كل البشر ، وهو نهاية الطريق الذى يسلكه كل امرىء فى الحياة ، وأسبابه تصيب كل من فى الطريق ، فلا مفر منه ، ولا جدوى من الحرص على الحياة ، فمن لم يمت شابا مات شيخاً ، بعد أن يدركه السأم والملل وأمراض الشيخوخة وعناء الضعف وقلق الشعور بالغربة والعزلة عن جيله الذى مضى وخلفه ، وليس للحياة معنى ولا طعم إذا كان المرء مهملا أو ذليلا مهيناً لاشأن له فى الحياة . ولا أثر له فى توجيه شئونها ، بل الموت حينئذ خير من الحياة .

استولى عليه من هول الحرب . « ويحك ! » أسلوب تعجب من نفسه التي لم يكن يتوقع لمثلها أن تهلع وتجزع ، وغرضه التوبيخ والتقريع ، وهو يوحى بأنه فوجىء بهذا الخوف . ثم يرجع إلى نفسه فيخاطبها بقوله : « لن تراعى » وهو أسلوب خبرى غرضه التوقير والتسكين ، والحث على احتمال الموقف بصبر وجلد . أما أول البيت فخبر غرضه الأسى والتحسر على مافاجأته به نفسه من جزع .

٢ — البيت الثانى تعليل لقوله : « لن تراعى » وهو من وحى قوله تعالى « فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة » ولو ضمن الشاعر البيت استحالة تقديم الأجل لكان أوقع ؛ لأن نفى الموت قبل الأجل هنا أولى من نفى بقاء اليوم بعد الأجل أو يساويه .

٣ — أول البيت الثالث تصريح بما يوحى به مضمون قوله : « لن تراعى . . فإنك » . و « صبرا » أسلوب إنشائى ؛ لأنه أمر بصيغه المصدر غرضه الحث على الجلد والثبات فى الميدان . وكرره توكيداً ليشعر بالحرص على تحقيق الهدف . والشطر الثانى تعليل للأمر بالصبر ، ويؤكد البيت الثانى . وزيادة الباء فى خبر ما النافية « بمستطاع » لتوكيد نفى الخبر .

٤ — وفى البيت الرابع يقول : « ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى » فيشبه البقاء بالثوب تشبيها بليغا بطريق إضافة المشبه به إلى المشبه ووجه الشبه بين البقاء والثوب أن كلا منهما يطول ويقصر ، وأن كلا منهما يصون ويستر ، وأن كلا منهما يطوى ويزول ، فيتجرد الإنسان من متعته . وفى « أخى الخنع » كناية عن الضعيف الجبان .

وفى « اليراع » استعارة تصريحية إذ شبه الجبان الضعيف بالقصبة الجوفاء (اليراع) ، وعبر عن المشبه بلفظ المشبه به والاستعارة تؤكد الكناية توكيدا ينفى العز عن ثوب البقاء الذى لايطوى عن الجبان . والباء فى « بثوب » لتوكيد نفى العز أيضا عن ثوب البقاء .

٥ — « سبيل الموت » فيه تشبيه الموت بالطريق ؛ لأن الأحياء يمرون به فى انتقالهم من الحياة الدنيا إلى الآخرة .

« وداعيه لأهل الأرض داع » يشبه الموت بأمير حاكم مطاع له رسل يدعون من يختارهم إليه ؛ لأن كلا منها يستجاب له ولا يعصى له أمر . وحذف الأمير ورمز إليه بالداعى على سبيل الاستعارة المكنية والصورتان موحيتان بأن الموت حتم مقضى ، ولا يمكن النجاة منه بحال . وقد جاء البيت فى صورة حكمة ثابتة لاجدال فى صدقها ، وهى خبر يحث على الشجاعة إذا لم يكن من الموت بدٌّ .

٦ — والبيت السادس أيضا حكمة صادقة تبرزها الملاحظة وتؤكدها التجربة ، وينتهى بقوله « تسلمه المنون إلى انقطاع » كناية عن فناء الأتراب من جيل من لا يعتبط ، ومايؤدى إليه من شعور بوحشة الغربة . وشدة آلام الشيخوخة .

٧ — وفى قوله : «إذا ما عد من سقط المتاع» فى البيت السابع تشبيه ، فقد شبه نائب فاعل «عدّ» بسقط المتاع فى هوان الشأن وتفاهة النفع . والبيت يوحى بأن الموت حينئذ خير من الحياة .

نظـرة بلاغيـة

١ — غرض النص إثارة روح الحماسة فى نفوس أتباع «قطرى» . وقد تناول فكرتين إحداهما أخذ النفس بالصبر والجلادة فى مجال الحرب : والأخرى أن موت الشاب فى سبيل هدف نبيل خير من حياة المرء إذا كان لاغناء عنده ، ولا كفاية له فى الملمات . وقد برهن على كل من الفكرتين ، وعلل لهما .

٢ — العاطفة التى تشيع فى الأبيات هى عاطفة الحماسة النابعة من إخـلاص العقيدة وروح الفروسية .

٣ — بعض الأبيات حكمة وضعت بحيث يكون لها أثر نفسى يتسق مع جوالنص .

٤ — قطرى من الشعراء الفرسان ، وقد صرح بما يخالجه من هواجس الخوف ، ليبين أنها شىء غير خطير ، حتى لايفت الخوف فى عضد أتباعه إذا ساورهم الخوف يوما فى بعض لحظات الضعف الإنسانى .

٥ — الصور فى النص فطرية ، مؤثرة .

٦ — روح التدين المتشدد بادية فى أبيات قطرى ، فأفكاره عن الحياة والموت مستمدة من الدين ، وبعض عباراته ينظر إلى آيات من القرآن الكريم ،

نظـرة أدبيـة

١ — شعر قطرى يمثل طرازا معروفا فى الأدب العربى بأدب الخوارج يتميز بتصوير الرغبة المشتعلة فى الاستشهاد تحت ظلال السيوف .

٢ — قطرىّ زعيم حزب ، وخطيب طائفة خرجت على الدولة الإسلامية فى جميع عصورها منذ الخلفاء . والخوارج أنفسهم طوائف وأحزاب متناحرة يحبون الموت فى سبيل الدين ، ويرون حكام الدولة بعامة والأمويين وولاتهم بخاصة كفرة خارجين عن مبادىء الإسلام .

٣ — اهتم بعض الباحثين فى العصر الحديث بالتأليف فى أدب الخوارج : واهتم مؤرخو الأدب فى القديم بأدباء الخوارج شعرائهم وخطبائهم ، ودونوا ماقالوا من شعر وخطب فى ظلال تاريخهم .

المناقشة

١ — أقول لها وقد طارت شعاعا   من الأبطالَ ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم   على الأجل الذى لك لم تطاعى

(ا) ما مرجع الضمير فى « لها ؟
(ب) وضح الصورة البلاغية فى البيت الأول وبين مدى صدق الشاعر فيها .
(حـ) هل يغض الخوف من الشاعر الفارس ؟
(د) ما معنى «ويحك» ؟ وما علاقة « لن تراعى بها » ؟
(هـ) ماعلاقة البيت الثانى بالبيت الأول ؟
(و) أيهما أجمل قوله « لن تراعى » أم قوله « لا تراعى »؟ ولم؟

٢ — فصبرا فى مجال الموت صبرا   فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز   فيطوى عن أخى الخنع اليراع

(ا) أى لون من الأسلوب قوله « صبرا » ؟ وما غرضه البلاغى ؟
(ب) ما فائدة الباء فى « بمستطاع » وفى « بثوب عز » ؟
(حـ) فى « ثوب البقاء » صورة ، وفى « أخى الخنع » صورة ، وفى « اليراع » صورة وضح هذه الصور ، وبين علاقة الثالثة بالثانية .
(د) إلام يدعو الشاعر فى البيتين ؟ وبم أيد دعوته ؟

٣ — سبيل الموت غاية كل حىّ   فداعيه لأهل الأرض داع

(ا) ما وجه الشبه فى التشبيه فى الشطر الأول ؟
(ب) بين علاقة الشطر الثانى بالشطر الأول ، ووضح ما فيه من بلاغة .

٤ — ومن لا يعتبط يسأم ويهرم   وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة   إذا ما عُد من سقط المتاع

(ا) ما المراد بالانقطاع ؟ بين ما فى الشطر الثانى من البيت الأول من بلاغة واذكر علاقته بموضوع النص .
(ب) « إذا ما عد من سقط المتاع » بين المشبه والمشبه به فى هذه العبارة ، واذكر وجه الشبه بينهما .
(حـ) وضح علاقة البيت الثانى بموضوع النص .

الفرزدق يفخر ويهجو

الشاعر : هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة ، وكان جده صعصعة وجيها يعرف بمحيي الموءودات ، وأبوه غالب كان رئيسا فى قومه . ولد بالبصرة ، وأقام فى باديتها مع أبيه ، وظهرت ملكة الشعر فيه وهو غلام فجاء به أبوه إلى على بن أبى طالب بعد وقعة الجمل ، وأخبره أنه شاعر ، فقال : علمه القرآن ، فلم ينظم شعرا حتى حفظ القرآن ، ولم يكد ينبغ فيه حتى قامت المهاجاة بينه وبين جرير ! ، والسبب فى هذه المهاجاة أن رجلا من عشيرة جرير اسمه غسان هجا جريرا ، فأجابه جرير بقصيدة شديدة اللهجة . فاستنصر غسان شاعرا اسمه البعيث فنصره وهجا جريرا ، فانتصر الفرزدق للبعيث ، واحتدم الهجاء بينهما ، وانقسم الأدباء فى الانتصار لهما إلى حزبين . واتصل الهجاء بينهما ثم جمعت هذه القصائد المتبادلة بينهما فى كتاب يعرف بالنقائض بين جرير والفرزدق والأبيات التالية للفرزدق من قصيدة يفخر بها على جرير وقومه ، ويهجوهم .

النص

١ — إِنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

٢ — بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ وَمَا بَنَى ... حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لا يُنْقَلُ

٣ — بَيْتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ... وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

٤ — لاَ يَحْتَبِى بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أَبَداً إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الأَفْضَلُ

٥ — ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

(١ : ٥) سمك : رفع . دعائمه جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى . أطول : أعلى . المليك : الله جل جلاله . حكم السماء : القوى المقتدر . لا ينقل : لا يزول . زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق ؛ يفخر بهم . محتب : جالس من الاحتباء وهو أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بثوب أو حبل أو سير من الجلد . الفناء : الساحة أمام البيت . الفعال (بفتح الفاء) : الفعل الحسن . عد الفعال : أى فى مجال الفخر . ضربت العنكبوت بنسجها : خيمت . قضى : حكم . الكتاب المنزل : القرآن الكريم .

٦ — وَإِذَا بَذَخْتُ فَرَايَتِي يَمْشِي بِهَا ... سُفْيَانُ أَوْ عُدُسُ الْفَعَالِ وَجَنْدَلُ
٧ — الأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمُ ... وَالأَكْرَمُونَ إِذَا يُعَدُّ الأَوَّلُ
٨ — إِنَّ الزِّحَامَ لِغَيْرِكُمْ ، فَتَرَقَّبُوا ... وِرْدَ الْعَشِيِّ ، إِلَيْهِ يَخْلُ الْمَنْهَلُ
٩ — أَحْلامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ
١٠ — فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ... ثَهْلانَ ذَا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ

معنى الأبيات :

إن الله الذى بنى السماء وأحكمها ورفعها قد أعطانا مجداً وشرفا أعز وأمنع من كل مجد وشرف : وإن ما أعطاه الله وتولاه لا يتزعزع ولا يضعف أبداً ، ولقد أسعدنا الله بأجداد عظماء صانوا هذا البيت وزانوه ، وليس لك يا جرير من يساميهم أو يدانيهم فى مجال المفاخر والمآثر ، وكيف تطمع فى ذلك يا جرير وبيتك ضعيف واهن كأن الله حين وصف بيت العنكبوت فى كتابه إنما وصفه دون سواه .

(٦ : ١٠) بذخت : فخرت فى كبر . الأسماء المذكورة من دارم عشيرة الفرزق . يعد حصاهم : يحصون ، لأن الحصاة هى العدد ، والحصى الأعداد الكثيرة .

الأول : أسبق الناس فى الكرم يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

الزحام : التضايق والتدافع للسبق إلى شىء مرغوب . ورد العشى : العشى أول الظلام ، وورد العشى : ورود الماء بعد الغروب . إليه : إلى الورد .

يخل المنهل : جواب الأمر أى إن تترقبوا متجهين إلى الورد يخل المنهل لكم ،أو التقدير اذهبوا إليه بعد هذا الترقب يخل لكم كما يخلو للنساء عشية ، فالفعل مجزوم على كل حال فى جواب أمر (إليه اسم فعل أمر) .

أحلامنا : جمع حلم وهو الصبر والأناة أو العقل وضده الجهل والسفه . تزن الجبال : تعدلها وتساويها . رزانة : وقاراً . تخالنا : تتخيلنا . نجهل : نغضب . ثهلان : جبل عظيم بنجد . هضبات : جمع هضبة وهى الجبل الصغير ، يتحلحل : يتحرك ويتزحزح ويزول .

معنى الأبيات :

إنى إذا فاخرت باهيت بآباء وعظماء توافرت لهم عزة الكثرة وشرف السبق فى المكرمات ، أما قومك يا جرير فإنهم بلغوا من الذلة والهوان ألا يردوا الماء إلا ليلا حين ينصرف الرعاء عن المنهل فيخلو لهم عجزاً عن التضايق ، والتدافع ، والزحام ، وأحلامنا يا جرير تجعلنا كالجبال وقاراً ورسوخا ، فإذا جهلنا فنحن جن لا قبل لأحد بنا ، ولا طاقة لبشر على مواجهة أعاصيرنا ، فإذا حدثتك نفسك يا جرير أن تتعرض لنا فلتزحزح ثهلان عن موضعه قبل أن تلقانا . فهل تستطيع ؟

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ ــ الأبيات (١ : ٥) تدور حول الفخر بالنسب والحسب ، كما تدور حول الهجاء الذى يتصف بضعف الأصل ، فالفرزدق يفخر بالأصل العريق والبيت الشامخ ، ويذكر بعض المشهورين من عشيرته ، وينفى أن يكون لجرير مثلهم ، بل يسخر منه ومن هوان آبائه وضعفهم .

٢ ــ فى الأبيات (٦ : ١٠) يذكر بعض جوانب القوة فى قومه من عظمة الزعماء وشجاعتهم ، وكثرة أفراد العشائر ، وسبق قومه إلى المكارم والمآثر ، ويذكر فى مقابلة ذلك ضعف قوم جرير وهوان شأنهم . ثم يفخر بالحلم والوقار ، وبعنف الجهل إذا جهلوا ، ويتحدى جريرا أن يتعرض لمجدهم .

من هذا ترى أن الأبيات العشرة مزيج من الفخر والهجاء ، وترى أن الفرزدق يعرض جانبا من مفاخر قومه ، ثم يوازن بين قومه وقوم جرير فى هذا الجانب نفسه . ليبدو بعد المدى بين قوم فى القمة وقوم فى الحضيض .

التصوير والتعبير

١ ــ بدأ الشاعر البيت الأول بالحرف « إن » توكيدا للخبر ، واعتداداً ببيته الذى يتحدث بمجده . « والذى سمك السماء » كناية عن الله جل جلاله . وقد جعل بيته من صنع الله ليسبغ عليه القدسية والعظمة ، وليوحى بأن ما يبنيه الله لا يهدمه إنسان مثل جرير وأضرابه . ثم وصف دعائم بيته بأنها أعز وأطول وحذف المفضل عليه إشعاراً بعموم التفضيل . أى أنها أعز وأطول من كل دعامة ، أو أنه أراد ألا يشارك بيت بيته فى العز والطول ، ووصف الدعائم بالعز والطول كناية عن قوة البيت وعلوه فهو يريد بالبيت المجد والشرف ، والشاعر يقرن بناء بيته بسمك السماء فيجعل بيته ــ فى عز دعائمه وطولها ، وفى أن الذى بناه هو الذى سمك السماء ــ شبيها بالسماء ضمنا .

ونحن لا نستبعد أن يكون الفرزدق قد أراد ذلك ، فإن العبارة تدل عليه نصا ، وقوله أعز وأطول أى من دعائم السماء ، وإنما حذف المفضل عليه تحرجا ، أو ليذهب فيه القارىء ما شاء أن يذهب .

٢ ــ فى البيت الثانى يصرح بأن المليك بنى البيت ، ثم يردف قولا يؤكد مضمون العبارة ونلاحظ حرص الفرزدق على إسناد بنائه إلى « حكم السماء » فشعوره بالشبه بين بيته والسماء مسيطر على نفسه .

٣ — فى البيت الثالث يذكر سببا جديداً من أسباب عظمة بيته وهو كثرة من يحتبون بفنائه ، والاحتباء جلسة فيها عظمة ، فكثرة المحتبين من كثرة العظماء .

٤ — وفى البيت الرابع يوازن الشاعر بين بيت احتبى بفنائه جماعة من السادة ، وبيت لا يحتبى بفنائه أحد مثلهم أبداً ، فهو ينفى الاحتباء ، ويؤكد النفى بقوله أبدا وقوله « إذا عد الفعال الأفضل » مرتبط بالاحتباء كأن الاحتباء إظهار للشعور بالعظمة حين يعد هذا الفعال ، فالاحتباء يقترن بالمفاخرة .

٥ — فى البيت الخامس استعارة. فقد تصور الفرزدق لجرير بيتا باليا متداعيا لا تكاد تبدو معالمه ، وتصور جريرا مغمورا فيه لا يكاد يظهر ؛ لأن خيوط العنكبوت قد وارته عن الأبصار . فشبه بيت جرير وهو فيه ببيت العنكبوت للضعف والوهن ، ونقل العبارة التى تطلق على بيت العنكبوت ، فعبر بها عن بيت جرير، فقال : « ضربت عليك العنكبوت بنسجها » على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية . ثم يقول : « وقضى عليك به الكتاب المنزل » قضاء لا مرد له وهو تذييل محكم أكد الاستعارة ، وجعل الضعف وسما ثابتا لا يحول والبيت ينظر إلى قول الله تعالى فى سورة العنكبوت « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » .

٦ — فى البيت السادس يفخر الشاعر بقوله « رايتى يمشى بها سفيان » وهى كناية عن البطولة والشجاعة وعزة الفرزدق ؛ لأن لهؤلاء الذين يمشون برايته مجدا حربيا معروفا عند العرب . وإضافة الراية إلى نفسه إفصاح عن شعوره بالعزة ، وهذه الإضافة تلائم قوله فى أول البيت (بذخت) .

٧ — وفى البيت السابع يفخر بصفتين لقومه : التفوق فى العدد ، والسبق فى المكارم وجمال البيت قائم على الموسيقى فى التعبير : « الأكثرون إذا يعد . . . والأكرمون إذا يعد . . . »

٨ — والبيت الثامن كناية عن ضعف قوم جرير وذلتهم ، وتوحى بالسخرية المرة . والبيت جملتان كلتاهما تحمل هذا المعنى : الأولى أسلوب خبرى فى جملة اسمية مؤكدة بإن وتحمل حكما قاطعاً بأن الزحام من شأن غيرهم وليس لهم مطمع فيه لضعفهم ، وهذه سخرية حسبهم بها من سخرية ! والجملة الثانية إنشائية بالأمر الذى يفيد الاستهزاء . واختيار مادة الترقب وهو التوقع والانتظار فى لهفة مع العجز التام - وكفاهم بذلك ضعفا - يدعو إلى الاستهزاء .

٩ — وفى البيت التاسع يجعل الشاعر أحلام قومه والجبال فى كفتى ميزان متعادلتين فيشبه الأحلام بالجبال رسوخا وثباتا ، ثم يقول : تخالنا جنا إذا ما نجهل ، فيشبه قومه

بالجن قوة ورهبة وبطشا . وبين الصورتين مقابلة جميلة تؤكد معنى الفخر بقومه ؛ لأنه جعلهما بهذه الموازنة فى القمة فى الحالين من حيث الظاهر ، ولكن الحقيقة أن الحالين تصفان قومه فى حالة الغضب ، فالحلم لا يمدح به ولا يفخر به إلا فى حالة تستدعى الغضب ، وأما الحلم من غير دواعى غضب فلا فضيلة فيه بل لا وجود له .

١٠ — والبيت العاشر صيحة تحد يواجه بها الفرزدق جريرا ، فيقول له لتعجيزه « وادفع بكفك » . و « إن أردت بناءنا » كناية عن قصد الأذى لمجدهم . ويصف ثهلان بذى الهضبات تعظيما لبنائهم بتعظيم ثهلان . وهنا تشبيه ضمنى فقد فهم من عبارة البيت أن الفرزدق يشبه حالة جرير حين يريد أن يتعرض لمجد قوم الفرزدق وشرفهم العظيم بحالته وهو يطمع أن يزحزح ثهلان ذا الهضبات بكفه ، وهو تشبيه ساخر ، ثم زاد فى السخرية وبيان ضعف جرير وقصور همته بقوله « هــل يتحلحل » وهو استفهام يراد به النفى المشوب بالسخرية كأنه « وَعْلُ » الأعشى حين يقول :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

نظــرة بلاغيــة

١ — الموازنة بين قوم يُـفْـتَخرُ بهم وقوم يُـهْجوْنَ وسيلة يجدها الشعراء أشد وخزا ، وأوقع لذعا من الهجاء المباشر الذى يعتمد على المثالب والمساوى . وقد اتخذها الفرزدق وسيلته فى هذه القصيدة .

٢ — الصور البدوية مسيطرة على النص .

٣ — الألفاظ فيها بعض الغرابة والخشونة .

٤ — فى التعبير صلابة التركيب ومتانة النسج .

٥ — أسلوب الفرزدق متأثر بأساليب القرآن وأساليب الشعراء القدامى ، فهو متأثر بالآية الكريمة : « والله يحكم لا معقب لحكمه » ، ومتأثر بالقرآن الكريم أيضا فى تشبيه العنكبوت . ومتأثر فى ورود الماء بقول الشاعر :

ولا يَرِد دون الماء إلا عشيةً إذا صدر الوراد عن كل منهل

ومتأثر فى « ادفع بكفك » بقول الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

نظــرة أدبيــة

١ — القصيدة من النقائض التى أشرنا إليها فى التمهيد للنص ، وقد رأيت كيف امتزج

فيها الفخر بالهجاء ، وكثرت فيها الإشارة إلى أشخاص يرمزون إلى مواقع وأيام العرب . وقد عرفت أن هذه النقائض وجدت فى العصر الأموى : وأن الشاعر من أصحاب النقائض كان يقول قصيدة فيرد عليه خصمه بقصيدة يغلب أن تكون من وزنها وقافيتها ، مع التعقيب على أفكارها ومعانيها .

٢ — النقائض تعتبر عودة إلى ما كان فى الجاهلية من حيث العصبية ، والفخر القبلى والفردى ، مما كان الإسلام قد قضى عليه ، كما ترى فيها الهجاء اللاذع الذى كان قد خفت صوته فى صدر الإسلام . وقد شاع هذا اللون من الشعر فى العهد الأموى ؛ لأن الأمويين لم ينهوا عنه ، بل شجعوه أحيانا ، أما النقاد فقد شجعوه ، والعامة وجدت فيه ملهاة بمناصرة هذا الشاعر أو ذاك ، وإثارة هذا الشاعر أو ذاك على خصمه .

٣ — كان الهجاء فى الجاهلية أبياتا قلائل مستقلة ، أو ضمن قصيدة طويلة ؛ لكن قوام النقائض الهجاء الذى يتطلب من الشاعر حفظا للتاريخ ، وعلما بأيام العرب ، وأخطاء القبائل ومثالبها ومساويها .

٤ — يتضح أثر البيئة العربية البدوية فى الأبيات فدعائم البيوت تشير إلى الخيام ، والاحتباء يشير إلى عادة العربى الباذخ فى مجلسه ، والتزاحم على ورود الماء يشير إلى عاداتهم وقلة مياههم . وسبق القبيلة إلى السقيا عز ، وتأخرها ضعة وضعف .

٥ — شخصية الفرزدق واضحة فى النص فهو جاف غليظ القلب خشن الطبع ، وهو معتز بآبائه وأجداده ، وهو حريص على جمع أخبار القبائل التى يهاجى شعراءها ، وهو يحفظ القرآن ويستخدم آياته فى شعره .

المناقشة

١ — إن الذى سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول
بيتا بناه لنا المليك وما بنى ... حكم السماء فإنه لا ينقل
بيتا زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

(ا) ما المقصود بالبيت الذى بناه الله لقوم الفرزدق ؟

(ب) لم حذف المفضل عليه فى البيت الأول ؟

(ج) مافائدة قوله « ومابنى حكم السماء » ؟

(د) مامعنى « محتب » ؟ ومادلالة هذا اللفظ فى مجال الفخر ؟

(ه) هل ترى الفرزدق يشبه بيته بالسماء ؟ اذكر رأيك .

٢ — لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم أبدا إذا عدّ الفعال الأفضل
ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

(ا) لم نفى الفرزدق الاحتباء فى بيت جرير ؟
(ب) مافائدة قوله : « إذا عد الفعال الأفضل » ؟
(ج) وضح الصورة البلاغية فى البيت الثانى ، واذكر أثرها فى تحقيق هدف الشاعر .
(د) ماذا أفاد قول الشاعر : « وقضى عليك به الكتاب المنزل » ؟

٣ — وإذا بذخت فرايتى يمشى بها سفيان أو عدس الفعال وجندل
الأكثرون إذا يعد حصاهم والأكرمون إذا يعد الأول
إن الزحام لغيركم فترقبوا ورد العشىّ إليه يخل المنهل

(ا) مامعنى بذخت ؟ (ب) ماذا يقصد الشاعر بقوله « رايتى يمشى بها سفيان » ؟
(ج) بم يمدح الشاعر قومه فى البيت الثانى ؟ وماذا يعجبك فى هذا البيت؟
(د) ما الإيحاء فى قوله « إن الزحام لغيركم » ؟
(ه) بين علاقة قوله « إليه يخل المنهل » بما قبله .

٤ — أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا مانجهل
فادفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل ؟

(ا) وضح الصورتين فى البيت الأول ؟
(ب) ما الغرض من الأمر فى البيت الثانى ؟
(ج) ما المراد بقوله « إن أردت بناءنا » ؟
(د) لم وصف ثهلان بذى الهضبات ؟
(ه) ما الغرض البلاغى من الاستفهام فى آخر البيت الثانى ؟

لجرير

من قصيدة يردّ بها على قصيدة الفرزدق

الشاعر: هو جَرِيرُ بن عطِيّة بن الخَطفَى، من كليب بن يربوع . ونشأ فقيراً فى البادية ولكنه كان واسع الخيال موهوبا فى الشعر، وقد ظهر فى عصر صراع سياسىّ، ورأى الأحزاب تتخذ الشعراء وسيلة للدعاية ، والتأييد ، فتحرك طموحه والتمس الفرص ، وأقبل إلى البصرة ، وهناك رأى الفرزدق ينعم بالعطايا، فزاد تطلعه إلى الظهور، وسنحت الفرصة فدخل معركة الهجاء فلمع نجمه ، واتصل بالحجاج ، فأرسله الحجاج مع ابنه إلى عبد الملك بدمشق، فنال ماطمح إليه ، والأبيات من قصيدة طويلة يرد بها على الفرزدق فيما قال فى القصيدة التى درست منها أبياتاً :

النص

١ — أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمًّا نَاقِعاً ... فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ

٢ — لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِى ... وَضَغَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ

٣ — أَخْزَى الّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً ... وَبَنَى بِنَاءَكَ فى الْحَضِيضِ الأَسْفَلِ

٤ — وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى ... فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمُ بِمِثْلَىْ يَذْبُلِ

(١ — ٢) سما نافعا : سما قاتلا : ميسمى : الميسم هو المكواة : ضغا : تضور وتلوى ألما أو واختفى . جدع أنف الأخطل : قطعه .

معنى البيتين : هيأت للشعراء هجاء كالسم الذعاف شرب بكأسه آخرهم كما شرب بها أولهم ، وقد وضع شعرى علامات الإذلال على الفرزدق ، والأخطل ، أما البعيث فقد تلوى ألما واختفى ، ولن يرتفع لأحد منهم رأس، ولن تقوم لهم قائمة، وهيهات أن يثبتوا لشعرى.

(٣ — ٤) أخزى : فضح وأذل وأهان . مجاشعا : جد عشيرة الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل . أخس : أدنأ وأحقر وأرذل . يذبل : جبل بنجد .

معنى البيتين : إن الله الذى رفع السموات أهان مجاشعا وحط قدرها ، وقضى على بيتك يافرزدق أن يكون فى أسفل سافلين : فبيتك الذى تزعم أنك بنيته أوهن البيوت وأحقرها، وقد حطمته بمجد شامخ راسخ يعلو على كل مجد تدعيه .

٥ — إِنِّى انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يافَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ
٦ — أَحلامُنا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً ... وَيَفُوقُ جَاهِلُنَا فِعَالَ الجُهَّلِ
٧ — إِنَّ الذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... عِزًّا عَلَاكَ فَمَالَهُ مِنْ مَنْقَلِ

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — فى البيتين الأول والثانى يقول الشاعر إنه هيأ لهم كأساً مترعة من السم . سقاهم بها جميعاً . وإن أثره واضح فى الفرزدق ، والأخطل، والبعيث .

٢ — وفى البيتين الثالث والرابع يرد على فخر الفرزدق فيقول إن الذى سمك السماء هو الذى أخزى مجاشعا وبنى بيتك فى الحضيض فلم يبنه ذا دعائم أعز وأطول ، فملت عليه وهدمته؛ لأنه أخس بيت بنى (وهو يشير إلى فخر الفرزدق فى الأبيات الثلاثة الأولى من نص الفرزدق) .

٣ — وفى الأبيات (٥ : ٧) يدعى أنه أقوى من الفرزدق وأنه حين هدم بيته كان كالنسر انقض عليه فاختطفه ، فجرير وقومه ليسوا ضعافا كما زعمت يافرزدق بل هم أقوياء ذوو مجد كالجبال ، ولذلك كانت أحلامهم كالجبال ، وجهلهم أقوى وأعنف من جهل الجن الذى زعمت يافرزدق !

٤ — والبيت السابع يؤكد ماذكره فى البيتين الثالث والرابع فيستعمل ألفاظ

(٥ : ٧) انصببت : انحدرت بشدة . عل : أعلى. أحلامنا : عقولنا أوصبرنا وأناتنا . رزانة : وقارا وثباتا . تزن : تساوى . جاهلنا : الجاهل منا وهو الذى يستغضب . الجهل : السفهاء الحمق المعتدون . علاك : سمافوقك . منقل : انتقال وتحرك ، وهو مصدر الفعل نقل

معنى الأبيات :

وما أنا إلا نسر قد انقض عليك من حيث لاتحتسب فتخطفتك ومزقتك، وإن أحلامنا كالجبال فى ثباتها ورسوخها ، وأما من استغضب منا فغضبه جارف كالسيل لايبقى على السفهاء المعتدين وإن الله الذى رفع السموات كما أهان مجاشعا رفع بيتنا ، وهيأ لنا فى سماء العز مكانا لا يطمح مثلك أنت ولافومك إليه بل لاتساميه ولا تدانيه .

الفرزدق نفسها ، حتى ليحرص على أن يقول « فما له من منقل » رداً على قول الفرزدق « وما بنى حكم السماء فإنه لاينقل » .

وأنت ترى أن جريراً لم يرتب أفكاره ، ولم ينظم رده ، وقد يكون له العذر ؛ لأن أفكار الفرزدق نفسها غير منظمة ولامرتبة فهو يبعثر رده كما بعثر الفرزدق هجوه وفخره .

التصوير والتعبير

١ — فى البيت الأول يصور جرير شعره « سما ناقعاً » ؛ لأنه يقتل مثل السم ويرشح الاستعارة ويؤكدها بذكر السقى والكأس ولكن سقى الآخر بكأس الأول كناية عن أن كأس هجائه لم تنقص حين سقى منها أول من هجاه من الشعراء ، وأن هجاءه من معين واحد لا يتغير طعمه فى مذاق شاربيه ، وأثره فيهم . واجتماع الأول والآخر على كأس واحدة يؤكد فكرته ، ويثير دهشة السامع لاستواء شعره فى جميع المواقف ، وقدرته على أن يضع من الشعراء جميعاً ويحط من أقدارهم .وبدء البيت بالفعل « أعددت » يشير إلى أنه احتفل لهم فاستجاد وأجاد .

٢ — وفى البيت الثانى يشبه أثر شعره فى الفرزدق بأثر الكى ،ويستعير لفظ الميسم لهذا الأثر ، وهى استعارة توحى بالبقاء ؛ لأن أثر الكى لا يمحى ، كما توحى بالألم الذى عاناه الفرزدق حين سمع قول جرير . أما البعيث وهو الشاعر الذى هجا جريراً قبل أن يخوض الفرزدق معركة الهجاء بل هو السبب المباشر فى اشتراك الفرزدق ـ فإنه « ضغا » وهو يصور البعيث فى ضجيجه وفزعه وألمه تصويراً ساخراً ، فكأنه لم يثبت فى الميدان حتى يوسم كالفرزدق ، أو يجدع أنفه كالأخطل ، بل فر واختفى وأما « جدعت أنف الأخطل » فهى كناية عن إذلال الأخطل : صَوَّرَتْه وقد تجرد من أنفه الذى يشمخ به على الناس ، ويظهر كبرياءه حين يرفعه فى السماء .

ويبدو أن اختيار الميسم للفرزدق دون سواه فيه إشارة إلى اتهام الفرزدق بأن قومه حدادون .وعبارة البيت تشعر بأن جريراً عمد أولا إلى الفرزدق والبعيث فقص أجنحتهما ثم فرغ للأخطل . وربما كان فى ذلك شىء من الواقع ؛ لأن الأخطل دخل المعركة بعد احتدامها ، وبعد أن سئل أن يحكم بين جرير والفرزدق فتحرج واستعفى ، ثم قال : « الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر »فلم يعجب جريراً هذا الحكم فهجاه .

وبعد ، فلماذا بقى الشعراء أحياء فى البيت الثانى بعد أن سقاهم السم الناقع فى البيت الأول؟ أم أن هؤلاء الثلاثة هم الذين بقوا ونجوا من أثر السم فثبتوا له بعد أن أسقط فى الميدان نحو ثمانين شاعراً كما يزعم الرواة ؟

٣ — « الذى سمك السماء » فى البيت الثالث كناية عن الله سبحانه ، « ومجاشعاً » رمز لعشيرة الفرزدق ، « وبنى بناءك فى الحضيض » كناية عن الضعة والمهانة . ووصف الحضيض بالأسفل زيادة فى التحقير . والبيت أسلوب خبرى يحتوى على جملتين بدئت الأولى بالفعل « أخزى » الذى يوحى بالعار والفضيحة ، فهو يقول : إن الذى جلل مجاشعاً بالخزى والعار والفضيحة هو الذى سمك السماء ، وكان يستطيع ـ لو شاء ـ أن يرفعه ، لكنه وضعه حيث يستحق ؛ لأنه أعلم به. وتلك سخرية لاذعة . وأما الجملة الأخرى فهى بيان لمدى الخزى والفضيحة ، وموازنة بين سمك السماء وبناء الفرزدق ؛ ليتبين البون الشاسع بين الواقع، وبين ماادعى الفرزدق من قوله :(إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً..أعز)

٤ — فى البيت الرابع جعل البانى الفرزدق نفسه ، فجعل بناءه أخس بيت ، والعبارة توحى بقصر باعه وسقوط همته، وأكد ذلك باللام وقد ، كما أكده بوصف البيت بالفعل المبنى للمجهول ليصوره أقل بان فى الوجود . ثم يفاجئه بأنه هدم هذا البيت ، لكنه شعر بأن هدم البيت الخسيس ليس دليلا على القوة ، فبادر يقول « بمثلى يذبل » لتكون وسيلة الهدم مجرد الموازنة بين بيت خسيس وبيت « مثلى يذبل »، لأن مثلى يذبل مشبه به ، والمشبه محذوف والتقدير « هدمت بيتكم ببيت » (أى مجد) يساوى فى علوه ورسوخه مثلين لجبل يذبل.

٥ — فى البيت الخامس استعارة يشبه فيها جرير نفسه بالنسر أو بالصقر انقض عليه فتخطفه، وحذف النسر ورمز إليه بالانصباب والاختطاف وهى توحى بالقدرة، والسيطرة على الموقف فى هذه المناقضات . وذكر السماء ، وعليكم ، ومن عل ، لترشيح الاستعارة الذى يؤكد قوة جرير ، وانتصاره الساخر المستعلى !

٦ — وفى البيت السادس يرد جرير على الفرزدق ويقول : إن جاهلهم يفوق فى فعاله (الجهّل) الذين وصفهم الفرزدق فقال : (وتخالنا جناً إذا مانجهل) فكأن جريرا يقول : نحن أجدر منك بهذا القول ، لأننا أرجح عقولا ، وأعنف جهلا . وقد لاحظنا أن جريرا لم يقل هذا فى أبياته المختارة إلا بعد أن مهد له بفخر طويل (فى قصيدته الطويلة). وذكر دلائل تاريخية دامغة ، وبراهين مدحضة لكل ماقال الفرزدق فى قصيدته .

٧ — وفى البيت السابع استعارة فى قوله « بنى لنا عزاً » جاءت بعد قوله « إن الذى سمك السماء » وفيه إشارة إلى أن جريراً يربط بين السماء وعز قومه ، ويراهما فى مستوى، ويؤكد ذلك بقوله (علاك) وهو لفظ يوحى بالسيطرة والغلبة . ويحرص جرير على أن يؤكد رسوخ بنائهم وثبات عزهم بقوله « فماله من منقل » وهو فى الوقت نفسه يرد على الفرزدق فى قوله « فإنه لاينقل » .

نظـــرة بلاغيـــة

١ ــ أبيات جرير مأخوذة من قصيدة يرد بها على الفرزدق ، فمعانيه وأفكاره مرتبطة بمعانى الفرزدق ، فهى أيضاً مزيج من الفخر والهجاء .

٢ ــ لعلك تلاحظ تكرار بعض المعانى ، ومردّ ذلك أن جريراً يلح فى الرد على معانٍ معينة قد أوجعته من معانى الفرزدق .

٣ ــ استطاع جرير أن ينتصر على الفرزدق ؛ لأنه أقدر على السخرية ، وأعظم موهبة وتحليقاً فى الخيال .

وإذا كان للفرزدق آباء وأجداد ملأ بدويّهم الأسماع ، فإن جريرا لجأ إلى النسب البعيد وفخر به وأزرى بالنسب القريب للفرزدق .

٤ ــ شعر جرير كثير الصور ، وعباراته سهلة مع إحكامها وتدفقها ، ومعانيه وألفاظه تغلب عليها الرّقة التى تغرى الناس بحفظها .

نظـــرة أدبيـــة

١ ــ الأبيات كما ذكرنا من قصيدة فى النقائض وقارىء قصائد جرير يحس بأمرين: أن جريراً يميل إلى الفخر بنفسه وبشعره أكثر مما يميل إلى التحدث بمفاخر قومه ، وليس يعنى ذلك أنه تجنب الفخر بقومه بل هو كثير الفخر بأجداده القدامى ضارباً فى أعماق الجذور البعيدة منوّها بوقائع القبائل التى ينتمى إليها ، الأمر الثانى أن جريراً يعتمد على شاعريته فى تفسير الوقائع وتصويرها ببراعة فائقة، وفى عبارات رائعة تقنع وتؤثر، وتغرى الناس بروايتها وترديدها فى المجالس ، والتمثل بها .

٢ ــ جرير يعتد بنفسه اعتداداً يترفع معه أن يقرن اسمه إلى شاعر آخر ، ولقد عرفت أنه هجا الأخطل ، حين تحرج الأخطل واستعفى ، ثم لم يفضل جريراً فى صراحة واضحة على الفرزدق .

٣ ــ طالت المهاجاة بين جرير وخصومه؛ لأن الأمويين كانوا يغذّونها والأدباء كانوا يطربون لها . والعامة كانت تجد فيها ملهاتها، ومن المحقق أن المهاجاة الأدبية منشؤها الهجاء السياسى الذى بدأ منذ معاوية وهو الذى بدأ التحريض عليه والإغراء به فى مرية وحنكة، فلما جاء خلفاؤه أسرفوا فى التحريض الصريح .

المناقشة

أعـــددت للشعراء سما ناقعاً فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

(ا) وضح لون الصورة البلاغية فى الشطر الأول من البيت الأول ، وبين علاقة الشطر الثانى بها .

(ب) ما الإيحاء الذى يشع من قول الشاعر « أعددت » ؟

(ﺟ) لم وصف السم بالناقع ؟

(د) لم ذكر الأول وآخرهم ؟

(ﻫ) ما المقصود بالميسم فى البيت الثانى ؟ ولم اختاره دون غيره للفرزدق دون سواه؟

(و) ما السخرية فى قول الشاعر : « ضغا البعيث » ؟ ومن البعيث هذا ؟ وما دوره فى معركة الهجاء ؟ (ز) ماذا من البلاغة فى قوله «جدعت أنف الأخطل» ؟ (ح) كيف يسقى جرير الشعراء سماً ناقعاً ، ثم بعد ذلك يسمهم ويجدع أنوفهم ؟ هل ترى تأخير البيت الأول عن الثانى يمنع هذا النقد ؟

٢ — قال جرير :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل
ولقـــد بنيت أخس بيت يبتنى فهدمت بيتكم بمثلْى يذبل

(ا) بين العلاقة بين الشطر الأول والشطر الثانى فى البيت الأول ؟

(ب) لم اختار مجاشعاً دون سواه من قوم الفرزدق ؟

(ﺟ) ماذا من الجمال فى قوله « فهدمت بيتكم بمثلى يذبل » ؟

(د) مافائدة قوله « يبتنى » ؟ ولم التوكيد فى قوله « ولقد بنيت » ؟

٣ — قال جرير :

إنى انصببت من السماء عليكم حتى اختطفتك يافرزدق من عل

(ا) فى البيت استعارة ، وضحها ، وبين هدفها .

(ب) أكد الشاعر استعارته بما يقويها . بين ذلك .

(ﺟ) من أى ألوان الفخر هذا البيت ؟

٤ — قال الشاعر :

أحـــلامنا تزن الجبال رزانة ويفوق جاهلنا فعال الجهـــل

(ا) فى البيت صورة بلاغية — اشرحها ، وبين لم نقلها جرير من أبيات الفرزدق ؟
(ب) الشطر الثانى يرد على عبارة معينة من عبارات الفرزدق . عين هذه العبارة .
(ج) جرير حاول فى أبياته أن يردّ على الفرزدق فى أكثر من موضع من أبياته . وضح ذلك .

٥ — قال جرير :

إن الذى سمك السماء بنى لنـــا عزا علاك فماله من منقـــل

(ا) فى البيت استعارة - اشرحها ، وبين هدف جرير منها .
(ب) فى البيت ردّ على بيت معين من أبيات الفرزدق . عين بيت الفرزدق ، ووضح المعنى المقصود بالرد .
(ج) ما الإيحاء الذى تشعر به فى قول الشاعر : « علاك » ؟
(د) « فماله من منقل » ماعلاقة هذه العبارة بما قبلها فى البيت ؟ وعلام يرد بها من أبيات الفرزدق ؟

غـــزل

لعمر بن أبي ربيعة

الشاعر: هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة من مخزوم بطن من قريش، ولد عام ٢٣ هجرية فى أسرة حجازية عظيمة الثراء . وكان الأمويون قد حرموا الحجازيين من الولاية والعمالة ذات الأثر فى توجيه شئون الدولة ، فأدى ذلك مع غنى أهل الحجاز وثرائهم إلى الانصراف إلى اللهو ومجالس الغناء . وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم عليها فى كل شيء إلا الشعر حتى ظهر عمر فأقرت لها به وقال الفرزدق حين سمع شعره : « هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته ، وبكت الديار ، ووقع هذا عليه . وقد اختص عمر شعره بوصف النساء ولم يصف سواهن ولم يكن عمر ليجرؤ على ذلك فى وقته إلا لمكانته من قريش ، فكان يقيم فى مكة ويستعد فى موسم الحج لمقابلة الحُجّاج والتشبيب بنسائهم المشهورات بجمالهن أو منزلتهن . فكان يتعرض لهن فى الطواف ليرى منهن مالا يرى إلا فيه . فتعرض لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان برغم تهديد الخليفة له وتهديد الحَجّاج ، وتعرض لعائشة بنت طلحة وتعرض للُبابة بنت عبدالله بن عباس،وشبب بالثريا بنت على بن عبدالله،وبرملة أخت طلحة الطلحات ، وكان ينتهز فرصة الحج والعمرة فيلبس الحلل الفاخرة ويركب الإبل المخضوبة بالحناء ويكسوها بالحرير ، ويسبل لمته ، ثم يلتى القادمات من العراق والشام والمدينة ، والقصيدة التالية يذكر فيها إحدى قصصه الغزلية .

النّصّ

١ — أَلَمْ تَسْأَلِ الأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّعَا ببَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا

٢ — فَيَبْخَلْنَ أَوْ يُخْبِرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا نَكَأْنَ فُؤَاداً كَانَ قِدْماً مُفَجَّعَا

٣ — بِهِنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهِنْدٍ إِذِ الْهَوَى جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا

٤ — وَإِذْ لَا نُطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى لِوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا

(١ : ٤) الأطلال : رسوم الديار وآثارها الباقية كأحجار القدر ونحوها . المتربع : مكان الإقامة فى الربيع . بطن حليات : اسم موضع قريب من مكة . دوارس : جمع دارس أى زائل مندثر . بلقع : قفر ودوارس وبلقعا : حالان من الأطلال والمتربع . نكأن : نكأ الجرح قشره قبل أن يبرأ فعاد داميا . مفجعا : موجعا بهند وأترابها . قدما : قديما . أتراب : مماثلات فى السن . جميع : مجتمع . يتصدع : يتفرق العاذلين : اللائمين . واش : ساع يسعى بالقطيعة بين الأحباب والأصدقاء . الصرم : القطيعة والهجر .

٥ — تَنُوعـتْنَ ، حَتّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سُقْمُهُ ... وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الْحَدِيثَ الْمُوَدَّعَا
٦ — فَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ : وَيْحَكَ إِنَّمَا ... ضَرَرْتَ ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا
٧ — وَهَيَّجْتَ قَلْباً كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصِّبَا ... وَأَشْيَاعَهُ ، فَاشْفَعْ عَسَى أَنْ تُشَفَّعَا
٨ — لَئِن كَانَ مَاقَدْ قُلْتَ حَقًّا فَمَا أَرَى ... كَمِثْلِ الْأُلَى أَطْرَيْتَ فِى النَّاسِ أَرْبَعَا
٩ — فَقَالَ: تَعَالَ انْظُرْ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ لِى ... أَخَافُ مُقَاماً أَنْ يَشِيعَ فَيَشْنُعَا
١٠ — فَقَالَ : اكْتَفِلْ، ثُمَّ الْتَثِمْ، وأْتِ بَاغِياً ... فَسَلِّمْ ، وَلَا تُكْثِرْ بِأَنْ تَتَوَرَّعَا
١١ — فَإِنِّى سَأُخْفِى الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى ... مَخَافَةَ أَنْ يَفْشُو الْحَدِيثُ فَيُسْمَعَا

ومعنى الأبيات :

لقد كنت تسأل الأطلال التي هجرها الأحباء بعدار تباعهم ، فكانت تبخل عليك بالجواب وتترك فؤادك معذبا. أو كانت تجيبك إجابة تهيج جرح القلب قبل أن يبرأ من هوى هند وأترابها الذى كان يؤلف بين القلوب ويجمع شملها ، ولا يجد العاذلون عندى أو عندهن أذنا تسمع ، ولا يفلح الواشون فى قطع حبال المودة بينى وبينهن .

(٥ : ١١) تنوعتن: تناعتهم الناس أى تبادلوا نعوتهن. السقم: المرض، والمراد الحب القديم. المودع: المتروك القديم. ومطريهن : الذى وصف محاسنهن وأثنى عليهن. ويحك: رحمتك. ضررت: أى آذيتنى. تسطيع: تستطيع. الصبا. جهلة الفتوة ونوازع الشباب. الأشياع: الذين يميلون إلى الصبا. أشفع : توسل من أجلى. تشفع : تقبل شفاعتك .

الألى: اسم موصول للمذكر كثيرا، وللمؤنث قليلا فهو هنا بمعنى اللاتى . أطريت: مدحت . أربعا : أربع نسوة. مقاما : إقامة معهن. أن يشيع : أن والفعل فى تأويل مصدر بدل من مقاما يشنع : يقبح . اكتفل : استتر بثوب يغطى جسمك مأخوذ من الكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير. التثم : اتخذ اللثام ، وهو مايوضع على الأنف وماحوله من نقاب. باغيا: طالبا راغبا. لاتكثر : لاتتكلم كثيرا. تتورع : تتجنب الشبهات. سأخفى العين عنك: سأخفيك عن الناس . يفشو : ينتشر .

معنى الأبيات : لقد كنت قديما أسأل الأطلال فتهيجنى ببخلها أو بجوابها، لكن الذى هاجنى اليوم صاحب لى أقبل يحدثنى بهند وأتراب لهند ، حتى عاود الهوى فؤادى ، وثارت ذكريات الأيام الخوالى، فقلت لصاحبي آذيتنى، فالتمس وسيلة للقاء تشفى ماأثرت، وتهدىء اللواعج التى أشعلت، وما إخالك إلا مغاليا فيما وصفت، فليس فى النساء من تجتمع فيهن هذه الأوصاف ، فهل من =

١٢ — فَأَقْبَلْتُ أَهْوِى مِثْلَمَا قَالَ صَاحِبِي ... لِمَوْعِدِهِ أُزْجِى قَعُوداً مُوَقَّعَا
١٣ — فَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
١٤ — تَبَالَهْنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْتَنِي ... وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا
١٥ — فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي ... أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْدَعَا
١٦ — فَبِالأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِداً ... إِلَيْكَ ، وَبَيَّنَّا لَهُ الشَّأْنَ أَجْمَعَا
١٧ — فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدٍ ... عَلَى مَلَإٍ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا
١٨ — رَأَيْنَا خَلَاءً مِنْ عُيُونٍ وَمَجْلِسًا ... دَمِيثَ الرُّبَا سَهْلَ الْمَحَلَّةِ مُمْرِعًا
١٩ — وَقُلْنَا : كَرِيمٌ نَالَ وَصْلَ كَرَائِمٍ ... فَحُقَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَتَّعَا

= سبيل إليهن ؟ فقال صاحبه : تستطيع أن تشاهد بنفسك . فقال عمر : أخشى أن يفتضح أمرى : فيقول صاحبه : تنكر وتعال فألق التحية ، وتحدث فى تورع واحتشام ، وسأبتعد بك عن عيون الرقباء لتكون فى مأمن من شيوع الخبر وذيوعه .

(١٢ : ١٩) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق. القعود : الجمل الخفيف النشيط . موقعا: ظهر به آثار العمل فى ظهره وفى أفخاذه وبطنه. تفاوضنا : أفضى بعضنا لبعض على مساواة . أسفرت : أضاءت. زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع: عن أن تلبس القناع . تبالهن: أظهرن البله . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أتعب قعوده . أوضع : جعل بعيره يسرع . تنازعنا الأحاديث : تبادلناها وتجاذبناها . الشأن : الأمر . وفق موعد : مطابقة لموعد . على ملأ : على مشاورة واجتماع رأى . خلاء : خلو . عيون : رقباء . دميث الربا : الدميث اللين ، والربا المرتفعات وهى أخصب الأرض . المحلة: المنزل . ممرعا : مخصبا . حق له : كان حقيقا وجديرا .

معنى الأبيات : ويسرع عمر إلى اللقاء فى هيئة أعرابى يقود جملا نشيطا ، فلما بلغ مكانهن أخذ يجاذبهن الحديث، وقد أسفرن عن وجوه أبى عليها جمالها أن تتخذ القناع ، وهن يتظاهرن بالجهل به ، وهن يعرفنه ، ويقلن ماهو إلا أعرابى جاء يبغى محادثتهن ريثما يصيب جمله بعض الراحة ، ولما تم لهن ماأردن من محادثة « عمر » صارحنه بأنهن دبرن هذا اللقاء ، وأرسلن صديقه ليأتى به إليهن ؛ وذلك لأنهن صادفن مكانا خاليا يطيب فيه الجلوس لحسن منظره ولين أرضه وخصوبته فرأينه خير مكان للقاء على متعة الحديث والشعر : شعر كريم ، وحديث كريمات.

الدراسة والتحليل

الأفكار

سلك عمر فى هذه القصيدة أسلوب القصة ذات الحوار ، فذكر قصة له مع أربع نسوة وصاحب له بعد تمهيد كما يأتى :

١ — فى الأبيات (١ : ٤) يذكر أنه كان مشغوفا بسؤال الأطلال عن أحبابه وكانت الأطلال حينا تجيبه إجابة تنكأ جراح قلبه،وحينا تكف عن الإجابة،وقد كان هذا إذ حبل الهوى متين ، والعاذلون والوشاة لايطمعون فى أن تتقطع بيننا الأسباب .

٢ — بعد التمهيد السابق يذكر قصته مع صواحبه ، فيذكر فى الأبيات (٥ : ١١) أنه سمع نعوتهن من صاحبه خالد ، فقال له : هيجت كوامن أشجانى،فتوسل إلى لقاء منهن ، ثم ذكر كيف اتفق مع خالد على طريقة اللقاء .

٣ — وفى الأبيات (١٢ : ١٩) يذكر كيف تم اللقاء مع هند وأترابها ، ويقص كيف تجاهلنه ، ثم اعترفن بأنهن اللائى نظمن هذا اللقاء فى هذا المكان الجميل للاستمتاع بالحديث والشعر ، فى مجلس يجمع بين رجل كريم الأصل ، ونساء كريمات المحتد .

وهكذا تستمر حوادث القصة متصلة متسلسلة .

التصوير والتعبير

(١ — ٢) فى البيت الأول استفهام تقريرى هو « ألم تسأل الأطلال ؟ » وهو يوحى بأنه طالما سأل الأطلال قديما ، وطالما أجبن أو كففن عن الجواب . وفى سؤال الأطلال وبخلهن وإخبارهن استعارة مكنية،شبه فيها الأطلال بقوم يُستخبرون فيخبرون أو يبخلون وحذف المشبه به ورمز إليه بتوجيه السؤال ، والبخل والإخبار تقوية للاستعارة ، وفى « يبخلن » استعارة تصريحية شبه فيها الامتناع عن الجواب بالامتناع عن الإنفاق وعبر بالثانى عن الأول . وفى « نكأن فؤادا » استعارة مكنية شبه فيها الفؤاد الذى ودع الهوى حديثا بالجرح الذى لم يندمل ، وحذف المشبه به ورمز إليه بالفعل (نكأ) وهو فى هذه الاستعارات يشخص الأطلال ويمنحها قدرة على الكلام والتصرف . وبين يبخلن ويخبرن مقابلة تجمع بين أحوال المسئول ، وهى تؤكد اهتمام السائل بموقف المسئول منه .

(٣ — ٤) وفى البيت الثالث يكرر اسم « هند » فيفصح عن شدة وجده ، ولكنه يحب أترابها أيضا ؛ لأنه يحب الجمال ويتبعه حيث يكون.ويجعل الهوى جميعا ، لايتصدع، فيصوره شيئاً حسيا يتفرق ويتجمع ، ويسلم ويتكسر ، والتصوير استعارة مكنية فيها تجسيم

الهوى . والبيت الرابع يؤكد معنى البيت الأول نفسه بعبارتين إحداهما تفيد عصيان العاذلين والأخرى تفيد يأس الوشاة ، وهو فى البيتين يؤكد قوة الحب ورسوخه فى قلبه وقلوب هند وأترابها ، ويتحسر على الماضى الجميل .

٥ — والبيت الخامس يبدأ بكلمة مشحونة بالمعانى هى « تنوعتن » ولذلك « عاود القلب سقمة » والسقم تعبير عن حرقة الهوى فهو استعارة تصريحية، والشطر الثانى كله كناية عن الحب القديم ، وهى تؤكد الاستعارة ، وفى « المودعا » استعارة مكنية شبه الحديث فيها بإنسان يُسلِمّ وينصرف .

٦ — وفى البيت السادس يبدأ الحوار بين الشاعر وصاحبه . هذا الحوار الذى تحس فيه روح الفطرة وهمسات المناجاة . وقوله « ويحك » صيحة استرحام كأنه يقول : رفقاً بقلبى » ! ثم يقول : ضررت : ويحذف المفعول إشارة إلى أن الضرر خاص به لا يتجاوزه فلا حاجة إلى إظهار المفعول ، وقد حذف المفعول أيضا لهـذه العلة فى قوله « فتنفعا » والتعبير « بإنما » إشارة إلى أن وصفه لهن لم يؤد إلا إلى الضرر الذى لاشك فيه. والاستفهام فى هذا البيت غرضه البلاغى التمني . وبين « ضررت » « وتنفع » مقابلة توحى بأنه ملزم بإصلاح ما أفسد .

٧ — والبيت السابع يؤكد البيتين السابقين . وفى « ودع الصبا » استعارة مكنية كقوله من قبل « الحديث المودعا » . والأمر فى « اشفع » للالتماس ، وقوله : عسى « أن تشفعا » تعليل للأمر ، وهو أسلوب يفيد اللهفة والأمل فى قبول الشفاعة .

٨ — فى البيت الثامن تشبيه منفى فى قوله : ماأرى كمثل الألى أطريت فى الناس أربعاً ووجه الشبه محذوف تقديره « جمالا » والتمييز محذوف تقديره « أربع نسوة » . ولعلك تلاحظ أن الشاعر جعل الجواب للشرط مع تقدم القسم فى « لئن كان » وكان حق الجواب للمتقدم منهما . فإذا أردت أن تدافع عن الشاعر فليس لك إلا أن تقدر محذوفا مثل « إنِّى » فى أول البيت .

٩ — فى البيت التاسع يأمره فيقول : « تعال ، انظر » وهما أمران للتحدى ؛ لأنه يريد أن يبرهن على صدق وصفه لهؤلاء النسوة. والاستفهام فى قوله « وكيف لى » للتمنى الذى يفصح عن عجزه عن بلوغ مايتلهف عليه من لقاء هند وأترابها ، وقوله : « أخاف مقاما أن يشيع فيشنعا » تفسير لهذا العجز ؛ وتجانس الحروف بين يشيع ويشنع توكيد للخوف .

١٠ — وأفعال الأمر فى البيت العاشر للنصح والإرشاد ، ومثلها النهى فى « ولا تكثر » و « بأن تتورعا » تفسير لعدم الإكثار . وثم فى قوله « ثم التثم » ليست للتراخى بل لزيادة التنكر . كأنه قال : ولا تكتف بالاكتفال بل التثم أيضا .

١١ — والفاء فى أول البيت الحادى عشر إفصاح عن محذوف تقديره « واطمئن فإنى » وفى « العين » مجاز مرسل ؛ لأنه أطلق العين وهى وسيلة الإبصار، وأراد الرقيب ، فأطلق الجزء وأراد الكل ، فالعلاقة الجزئية . والشاعر مقصر فى تسكين الواو فى « يفشو » .

١٢ — وفى البيت الثانى عشر يختار كلمة « أهوى » ويختار « أزجى » ليوحى بالحركة السريعة ، والرغبة المشتعلة فى بلوغ الهدف . ويقدم « لموعده » على الفعل « أزجى » اهتماما بالموعد . ووصف القعود بالموقع إشارة إلى أنه يطيعه ويجرى حيث يوجهه . « ومثلما قال صاحبى » توكيد لاستجابته إلى أمر صاحبه .

١٣ — فى البيت الثالث عشر يوحى الفعل « تفاوضنا » بأنه أنس إليهن وأنسن إليه ونسبة الزهو إلى الوجوه فى « زهاها الحسن أن تتقنعا » مجاز مرسل ذكر فيه الوجوه وأراد صاحبات الوجوه ، وبين أسفرت وتتقنع مقابلة تشير إلى طبيعة المرأة وشغفها بإبراز مفاتنها

١٤ — وفى البيت الرابع عشر يقول « تبالهن بالعرفان لما عرفننى » ، وهى كناية عن التجاهل المقصود ، وأكد هذا التجاهل بقوله « قلن امرؤ باغ » وقد حذف المفعول فى أكل وأوضع » لأن المقصود القعود وهو مفهوم » .

١٥ — وفى البيت الخامس عشر استعارة مكنية فى « تنازعنا الأحاديث » وقد شبه فيها الأحاديث بحبل يمسك كل بطرفه ، ويتجاذبانه ويشدانه ، أو استعارة تصريحية عبر فيها عن التبادل بالتنازع. والاستفهام فى قوله « أخفت علينا » غرضه الدعابة الساخرة وقوله « نغر ونخدع » فيه تعريض بالشاعر ؛ لأنه هو الذى غر وخدع .

١٦ — وفى البيت السادس عشر صرحن له بما يفسر التعريض ، فقلن إنهن أرسلن خالدا ، ورسمن له الطريق ، وبذلك فقد جاز عليه التباله، وحدثنه وهو لا يدرى أن الأمر مدبر

١٧ — والبيت السابع عشر ليس إلا بيانا لما فى البيت السادس عشر ، وهو إطناب يزيد فى معنى الدعابة الساخرة ، وفيه إلحاح على أنهن قد اتفقن مع خالد ويبدو هذا الإلحاح فى قوله « على ملأ » وقوله « خرجنا معا » وإذن ليس الأمر صدفة ! .

١٨ — والبيت الثامن عشر يفصح عن سرّ من أسرار الخطة ، ودافع من دوافعها ، و « عيون » مجاز مرسل عبر فيه عن الرقباء بالعيون ، مستغنيا عن الكل بالجزء ؛ لأنه أداة الإبصار والرقابة . « ودميث الربا » كناية عن اللين والطيب . وقد أكد هذا بقوله: « سهل المحلة » ووضحه بقوله « ممرعا » وهو القول الذى يدل على كثرة الشجر والظل والزهر والنبات.

١٩ — وفى البيت التاسع عشر يشير إلى السبب الحقيقى وهو الرغبة فى الوصل ، ولكنهن جعلنه هو الذى نال الوصل ، لكنهن نلن معه وتمتعن ، بل هن اللائى سعين إلى هذا النيل وهذه المتعة ، ولكنهن يتظاهرن عادة بالنفور وهن الراغبات .

نظـرة بلاغيـة

١ — القصيدة كلها في غرض واحد هو الغزل الصريح ،

٢ — اصطنع الشاعر أسلوب القصة والحوار فى قصيدته .

٣ — عمر فى غزله يصف شعوره نحو النساء وشعورهن نحوه .

٤ — ألفاظ الشاعر سهلة سلسة ، وسبب ذلك البيئة الحضرية التى يعيش فى ظلها ، والحياة الناعمة التى يحياها ، فالقصيدة معبرة عن نفسه فهى أدب صادق .

٥ — الصور الخيالية فى القصيدة قليلة ، وقد استعان الشاعر بالألفاظ الموحية المعبرة عن عالم الشعور وتحليل الخواطر .

نظـرة أدبيـة

١ — صراحة عمر فى غزله تدل على أن المرأة العربية فى البيئة المتحضرة فى عصره ، لم تكن تتحرج فى اتصالها بالرجل بالرغم من عيون الرقباء ، والتشدد الدينى . والنص يصور بيئة حضرية مترفة يستمتع فيها الشباب الأغنياء بفراغهم ، ويشاركهم النساء فى هذا الاستمتاع . وهذا بلا شك أثر من آثار عزلة الحجاز ، وبعده عن مقر الحكم ، وإبعاد الشباب القرشى عن مناصب الدولة وتحريم النشاط السياسى عليهم .

٢ — يدل النص على أن عمر خبير بالنساء ، معجب بمفاتنهن ، وهو إلى ذلك معجب بنفسه ، مشغوف بتصوير كلف النساء به ، وتهالكهن عليه ، وحرصهن على مجالسته ، وكان النقاد يعيبونه بذلك فى عصره ، لكنه لا يكف عن ذلك .

٣ — هذا الغزل الصريح شاع فى عصر عمر ، ومن سماته أنه يصف محاسن المرأة ، ولا يقف عند واحدة .

٤ — اقتصار القصيدة على غرض واحد نهج جديد لم نألفه إلا نادرا عند الجاهليين والإسلاميين .

٥ — أسلوب الحوار القصصى لم يسبق عمر إليه إلا امرؤ القيس والحطيئة فيما درسنا من نصوص .

٦ — ومن الغريب أن عمر بدأ نصه بالوقوف على الأطـــلال ومساءلتها ، فالتقليد لا يزال مرعِيًّا .

المناقشـة

١ — قال عمر بن أبي ربيعة :

ألم تسأل الأطـــلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما   نكأن فؤادا كان قدما مفجعا
بهند وأتراب لهند إذ الهوى   جميع وإذ لم نخش أن يتصدعا

(ا) ما الغرض من الاستفهام فى البيت الأول ؟
(ب) ما الصور البلاغية فى هذه الأبيات . اشرحها ، وبين أثرها فى الكلام .
(ج) لم كرر « هند » فى البيت الثالث : ومادلالة ذكر أترابها ؟

٢ — تنوعتن حتى عاود القلب سقمه   وحتى تذكرتُ الحديث المودّعا
فقلت لمطربهن : ويحك ! إنما   ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

(ا) فى البيت الأول صورتان ، وضحهما ، وبين أثرهما فى الهدف .
(ب) مامعنى « ويحك » : ولم استخدم « إنما » ؟
(ج) ماهدف الاستفهام فى البيت الثانى ؟
(د) ضررت ـ تنفع ـ ما العلاقة بين هذين الفعلين ؟ ولم حذف مفعوليهما ؟

٣ — فلما تنازعنا الأحاديث قلن لى   أخفت علينا أن نغر ونخدعا

(ا) بين الاستعارة فى البيت ووضح الجمال فيها .
(ب) ما الغرض البلاغى من الاستفهام ؟
(ج) ماعلاقة البيت بما قبله ؟

٤ — رأينا خلاء من عيون ومجلسا   دميث الربا سهل المحلة ممرعا

(ا) ماعلاقة البيت بما قبله ؟
(ب) بين الصورة البلاغية فى البيت .
(ج) لكلمة « ممرعا » إيحاء معين ، وضحه .

غـــــزل عفيف

لجميل بن مَعْمَر

هو جميل بن معمر من قبيله عُذرة ، التى عرفت بحبها العفيف ، واشتهر جميل بحب بثينة ابنة عمه ، ولذلك عرف بجميل بثينة ، وكان جميل طويل القامة ، عريض ما بين المنكبين ، جميل الوجه ، وكانا يقيمان فى وادى القرى . وكانت بثينة تحبه لكنهما لم يكونا يجتمعان إلا خلسة وعلى موعد ، ولم يكن جميل يخلو من الرقباء . فلما خطبها جميل أبى أبوها أن يزوجها منه لاشتهار حبهما ، وزوجها رجلا آخر ، ولكن جميلا ظل متعلقا بها ، حتى ضاق به أهلها ، وشكوه إلى الوالى ، ففر إلى اليمن . ثم انتقل أهل بثينة إلى الشام فرحل جميل إليهم ، فترصدوه ، وشكوه إلى عشيرته ، فمنعه أهله ، وهددوه ، فانقطع عنها ، ولجأ إلى مصر ، ومكث هناك حتى مات سنة ٨٢ هـ .

وكان نساء قومه يأتين إليه فينلن من بثينة أمامه ، ويصفنها بالغدر ، لكن ذلك لم يزده إلا إمعاناً فى حبهما . وكان جميل يصور فى شعره ما يدور بينه وبين نساء قومه ، ومن هذا قصيدته التالية :

النّصّ

١ — أَبُثَيْنَ إِنَّكِ قَدْ مَلَكْتِ فَأَسْجِحِي ... وَخُذِي بِحَظِّكِ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ
٢ — فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصْلَهَا ... بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
٣ — فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ ... حُبِّي بُثَيْنَةَ عَنْ وِصَالِكِ شَاغِلِي
٤ — لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ ... فَضْلاً وَصَلْتُكِ أَوْ أَتَتْكِ رَسَائِلِي
٥ — صَادَتْ فُؤَادِيَ يَا بُثَيْنَ حِبَالُكُمْ ... يَوْمَ الْحَجُونِ ، وَأَخْطَأَتْكِ حَبَائِلِي
٦ — مَنَّيْتِنِي ، فَلَوَيْتِ مَامَنَّيْتِنِي ... وَجَعَلْتِ عَاجِلَ مَا وَعَدْتِ كَآجِلِ
٧ — وَتَثَاقَلَتْ لَمَّا رَأَتْ كَلَفِي بِهَا ... أَحْبِبْ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَثَاقِلِ

(١ : ٤) أبثين : الهمزة حرف نداء ، والمنادى مرخم (محذوف التاء) . ملكت : أسرت قلبي . أسجحى : أرفقى . حظك : نصيبك . عارضة وصلها : راغبة فى أن تمنحنا ودها وحبها . بالجد : بالحديث الجاد . تستر : إخفاء . قلامة : ما يقص من أطراف الأظافر . فضلا : زيادة .

=

٨ — وَأَطَعْتِ فِيَّ عَوَاذِلاً ، فَهَجَرْتِنِي . وَعَصَيْتُ فِيكِ ،وَقَدْ جَهَدْنَ ،عَوَاذِلِي
٩ — حَاوَلْنَنِي ، لأَبُتَّ حَبْلَ وِصَالِكُمْ مِنِّي ، وَلَسْتُ ، وَإِنْ جَهَدْنَ ، بِفَاعِلِ
١٠ — وَيَقُلْنَ : إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ مِنْهَا ، فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
١١ — لِيُزِلْنَ عَنْكَ هَوَاىَ ، ثُمَّ يَصِلْنَنِي وَإِذَا هَوِيتُ ، فَمَا هَوَاىَ بِزَائِلِ
١٢ — فَرَدَدْتُهُنَّ ، وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ بِأَفْوَقَ نَاصِلِ
١٣ — يَعْضَضْنَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ أَنَامِلاً وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنَادِلِ
١٤ — وَيَقُلْنَ : إِنَّكِ يَا بُثَيْنَ بَخِيلَةٌ نَفْسِي فِدَاؤُكِ ، مِنْ ضَنِينٍ بَاخِلِ

= **معنى الأبيات :**

يا بثينة ، قد أسرت قلبي ، فارفقي بي ، وصلي حبالك ، حريصا على لقائك . ولا تضيعي حظك من حب رجل وفي يأبى أن يصل غيرك . فكم فتاة مشغوفة بنا تقدمت راجية أن تصلنا بحديثها الجاد ، المشوب بشيء من الهزل ، فأعرضت عنها حتى اتصل إلحاحها ، فقلت لها: ليس في قلبي لك مكان، فإن حب بثينة قد ملأه ،ولو كان في قلبي قدر قلامة الظفر ، لوصلتك بنفسي أو برسلي .

(٥ : ٧) حبالكم : جمع حبل . الحبائل : الشباك جمع حبالة . منيتني : بعثت في نفسي الأماني والآمال . لويت : أخلفت ومطلت . آجل: مؤخر. تثاقلت: تباطأت وتدللت كلفي . حبي الشديد .

معنى الأبيات :

إنك قد ملكت فؤادي منذ لقيتك يوم الحجون ، أما أنت فقلبك خلي من الهوى ولو كنت تحبين ما أخلفت موعدك ، وما سوفت ومطلت حتى صارت وعودك العاجلة كأنها آجلة . إن بثينة لما رأت شغفي بها غرها ذلك فتدللت وتباطأت ، وما أشد غرامي بها برغم مطلها وتسويفها .

(٨ : ١٤) عواذل : جمع عاذلة وهي اللائمة . جهدن : تعبن واجتهدن . حاولنني : طلبن الحيلة واستعن بها على . أبت : أقطع . الباطل : حبها الذي لن يتحقق . الاجتناب : الابتعاد . أفوق : الأفوق هو السهم الذي كسر فوقه (بضم الفاء) ، وهو موضع الوتر من السهم . الناصل : السهم الذي لا نصل له ، والنصل هو حديدة السهم . الأنامل : رءوس الأصابع. وددت: تمنيت.صم: جمع أصم وهو الصلب . الجنادل، الصخور .ضنين:بخيل. =

الدراسة والتحليل

الأفكار

١ — الأبيات الأربعة الأولى من النص تصور وفاء جميل لبثينة ، فيصور موقفها مالكة مسيطرة، وموقفه مستعطفالها طالباًودها، ويبرهن على وفائه بأن هناك من كرائم الفتيات من تعرض حبها وهو يصد عنها ؛ لأنه لا موضع لها فى قلبه فهو يحب بثينة ، وهى تعرض عنه ، وفتاة غير بثينة تحبه وهو يعرض عنها .

٢ — فى الأبيات (٥ - ٧) يوضح موقفها منه ، وموقفه منها ، فهو قط وقع فى حبها ، وهى لم تقع فى حبه ، فتمنيه وتمطل ، وتعد وتؤجل ، وهى تتثاقل واثقة بحبه إياها ، وهو برغم هذا يحبها .

وأنت ترى أن الفرق ليس كبيراً بين الفكرة الأولى والفكرة الثانية ، فمضمونهما واحد وإن اختلف الأداء ، واختلفت المعانى الجزئية .

٣ — وفى الأبيات (٨ : ١٤) يقتصر حديثه على العاذلات وموقفه منهن . فيصور كيف استجابت‌هى للعاذلات ، وكيف عصاهن برغم اجتهادهن وإلحاحهن ، ومبالغتهن فى الحيل ، وهو يرمى بحيلهن عرض الحائط : ينفرنه منها ومن وعودها ، ويتهمنها بالخداع ليمحون هواه ، لكنه يردهن خائبات مغيظات ، يعضضن الأنامل وهو يتمنى لو يعضضن الحجارة ، وهن لا يكففن عن حيلهن فيقلن إنها بخيلة ، وهو يفديها بنفسه برغم بخلها .

معنى الأبيات :

إنك أطعت عاذلاتك حين أقبلن يلمنك على حبي فقطعتنى وصرمت حبلى ، لكنى لم أصغ إليهن ، ولم ألتفت إلى قولهن ، برغم إلحاحهن على ، وجدهن فى سبيل هدفهن . لقد اتخذن كل حيلة ليحملننى على هجرك ، وقطع أسباب المودة بينى وبينك . ولم أترك لهن مطمعا فيما يسعين إليه وإن حاولن واجتهدن ، وبالغن فيما يتخذن من حيل . وطالما زعمن أنى أتعلق بك بلا طائل ؛ لأنك لا وفاء عندك ، وطالما تمنين على أن أجتنبك ، وذلك ليمحون هواك من قلبي ، ليخلو لهن الجو ، ثم يصلننى ، لكن هيهات : إنى لا أحب ثم أكف وأهجر من أهوى ، ولذلك رددتهن عنى خائبات فى مسعاهن لم يحققن هدفا ، ولم يبلغن مأربا ، ورجعن كمن رمى بسهم لا يصيب هدفا ؛ لأنه غير صالح لأداء ما خلق له ، ورجعن مغيظات ؛ لأنهن لم يجدن عندى أذناً مصغية لهن ، فأخذن يعضضن الأصابع ، وياليتهن يعضضن الصخور . وقد أردن أن أهجرك لبخلك . لكن ما أحب بخلك إلى نفسى ، إنى فلأديك بروحى مهما يكن من ضنك وبخلك .

التصوير والتعبير

١ — يبدأ البيت الأول بنداء بثينة ، فاستعمل الهمزة فى النداء للإفصاح عن قربها إلى قلب جميل ، ورخم الاسم تدليلا ، وإعزازاً ، والنداء خرج عن معناه الأصلى إلى الإغراء ويشبهها حين سيطرت على نفسه بالمالك الذى يسيطر على ماله ، ويحذف المالك ويرمز إليه بالفعل « ملكت » على سبيل الاستعارة المكنية . والأمر فى « أسجحى ، وخذى » للدعاء ؛ لأنه رفعها فوق نفسه درجات . وختام البيت إغراء بالوصفين : كريم ، واصل .

(٢ : ٤) البيت الثانى يصور حديث المحب الذى لا يثق بمكانته عند من يحب ، فهو لا يتقدم إلا إلى مرحلة تمكنه من الرجعة عند الفشل ، وهو حينئذ يتظاهر بالهزل فى بعض حديثه ؛ ليحتج بالمزاح إذا لم يقبل عرضه . وذكر الجد ، مع الهازل فيه موسيقى ؛ ونلاحظ أنه يقول « بالجد » ثم يقول « بقول الهازل » كأن الهازل غير هذه العارضة وهذا يدل على أن جميلا يشعر بأن قولها جد خالص ، والهزل تمويه .

والبيت الثالث من براهين وفائه أيضا ، والتستر كلمة مشحونة بالمعانى ، فهى توحى بإعراضه عن الإجابة أول الأمر ، ثم توحى بإجابة لا تتجاوز الإشارة ، ويوحى البيت بأن العارضة لم تقنع بهذا ولا بذاك ، وألحت على أن تتلقى إجابة تقطع الشك باليقين ، وعند ذلك أجاب بالقول الصريح . ثم يقول « وصالك » ولم يقل « حبك » كأنه يقدس الكلمة .

والبيت الرابع يبدأ بالحرف « لو » وهو يشير إلى أن جواب الشرط لم يتحقق ، ولا أمل فى حدوثه . وفى قوله « كقدر قلامة » تشبيه ، والمشبه محذوف تقديره « فراغ » ووجه الشبه الضآلة ؛ لأن قلامة الظفر يضرب بها المثل فى هذا المعنى . وفى « صدرى » مجاز مرسل ، علاقته الكلية ، ويوحى المجاز بأن الحب ملأ القلب وفاض فملأ الصدر .

وذكر « رسائلى » بعد الوصل ؛ لأن الرسائل أدنى درجات الوصل .

٥ — فى البيت الخامس يقول : « صادت فؤادى يا بثين حبالكم » فيشبه بثينة بالصائد ويحذفه ويرمز إليه بالفعل « صاد » على سبيل الاستعارة المكنية . ويقويها قوله : « حبالكم » ؛ لأن الحبال من خصائص الصياد . ووجه الشبه بينهما أن هدفهما السيطرة والملك ، وأن لكل منهما أدوات متشابهة ، فالشباك والسهام والحبال له ، والعيون ، والوجه وسائر الأعضاء لها . والشاعر قد جعل بثينه والصائد شيئا واحداً ، ولذا أضاف « حبال » إلى ضمير قومها فقال « حبالكم » ، وفى هذه الإضافة إيحاء بأنه أصبح أسيراً لقومها لا أسيراً لها وحدها ، والنداء فى « يابثين » للتحسر . وفى « أخطأتك حبائلى » يشبه جميل نفسه بالصائد أيضاً ، كما شبهها ، كأنه أراد أن يصيدها كما أرادت أن تصيده . وحذف الصائد ورمز إليه بحبائلى على سبيل الاستعارة المكنية . وفى ذكر « الحجون » بعث لما حدث

في موقفهما يوم اللقاء هناك . ويأمل الشاعر أن يكون لبعث المظاهر المادية إثارة تهيج قلبها فيرق . وفى ذكره أيضاً إيحاء بأنه يتلذذ بذكر هذا المكان من أجل ما كان فيه . وبين أول البيت وآخره موازنة بين نجاح وفشل أو قوة وضعف وهى موازنة تلعب دورها فى الإغراء والاستعطاف .

٦ — وفى البيت السادس موسيقى جميلة مصدرها تكرار « منيتى » مرة للوجود ، ومرة للعدم ، وفى الشطر الثانى موسيقى مصدرها المقابلة والتجنيس بين الآجل والعاجل . والبيت كله خبر ينضح بالحسرة والألم . وتشبيه العاجل بالآجل فى البيت ينفى ثمرة الوعد ويجعله كالعدم .

٧ — وفى البيت السابع يدير الشاعر حديثه عن بثينة غائبة بعد أن كان يخاطبها ، وكأنه كره أن يخاطبها ويجابهها بالتثاقل تنزيها لها عن معنى الثقل . وفى البيت يجعل الشاعر هذا التثاقل البغيض حبيباً إلى نفسه ما دام صادراً منها ، فكل ما نسب إليها جميل محبوب . وأسلوب التعجب أسلوب إنشائى يفيد شدة حبه لذلك التثاقل ! وينفى نفياً قاطعاً ما قد يتبادر إلى الأذهان من أثر التثاقل فى فتور الحب واليأس المريح . وقد مهد له الشاعر بذكر الكلف ، وهو تمهيد جعل التعجب مستقراً فى موضعه ، ملائماً للسياق .

٨ — والبيت الثامن يوازن بين موقفها من عواذلها ، وموقفه من عواذله فهى تطيعهن وتهجره ، وهو يعصيهن ويحافظ على الودّ برغم اجتهادهن .

وفى المقابلة بين أطعت ، وعصيت ، وتكرار العواذل موسيقى جميلة .

والبيت خبر غرضه التحسر ، ولذلك حرص على ذكر « هجرتنى » ، ولم يذكر ما يقابل الهجر . وذكر أن عواذله اجتهدن ، ولم يذكر ذلك فى عواذلها وهذا كناية عن مدى اعتصامه بحبلها ، ومدى متابعتها لعواذلها .

٩ — والبيت التاسع تفصيل لجهد عواذله الذى أشار إليه فى البيت الثامن بقوله « وقد جهدن » ، وقد بدأه بقوله « حاولننى » وهى كلمة جامعة توحى باللجوء إلى كل حيلة يقدرن عليها . وفى « حبل وصالكم » تشبيه بليغ : والمشبه به الحبل ، والمشبه الوصال ، وقد أكد التشبيه بالفعل « أبت » الذى يلائم المشبه به . ويرد الشاعر بقوله : « ولست بفاعل » فيؤكد النفى بزيادة الباء فى الخبر . ويضع الجملة المعترضة مبادراً بها ليؤكد النفى .

وبين الشطر الأول والشطر الثانى مقابلة ؛ لأن الثانى نقض للأول .

١٠ — ويعبر فى البيت العاشر عن زائف الحب بالباطل بطريق الاستعارة التصريحية؛ لأن كليهما بعيد عن الحقيقة قريب من الضلال . والاستفهام فى البيت للتمنى ، والمقابلة بين رضيت والاجتناب جميلة ، وفى تكرار الباطل موسيقى .

١١ — التعبير بإزالة الهوى فى البيت الحادى عشر عن صرف الهوى استعارة تصريحية تجسم الهوى ، وفائدتها بيان جهد العاذلات وعجزهن .

والشطر الثانى منه تذييل ينفى إزالة هواه ، والمقابلة بين الشطرين تؤكد المعنى ، وتوئس العاذلات . والمقابلة بين « يزلن » و « يصلن » فيها سخرية .

١٢ — وفى البيت الثانى عشر استعارة تمثيليـــة (تصريحية) شبه فيها حال العاذلات ، وهن يجهدن فى مسعاهن لإزالة هواه وعجزهن عن إصابة الهـــدف — يشبهها بمن سعى بسهمه ، ليصيب هدفه ، لكن السهم معدوم الفوق ، محطوم النصل ، فلا يمكن تصويبه ولا تركيبه ، ولا يطمع صاحبه فى إصابة الهدف ، وأطلقت العبارة الخاصة بالمشبه به ، على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية وهو تصوير قوى لخيبتهن فى عذلهن ، وبين « رددتهن » و « سعين » مقابلة فيها سخرية واستهزاء بمن يطمع فى غير مطمع .

١٣ — وفى البيت الثالث عشر كناية فى « يعضضن أناملا » عن ألم الندم والشعور بالإخفاق والخيبة ، ويؤكد الكناية بقوله « من غيظ » . وقوله « وددت لو يعضضن صم جنادل » كناية عن غضبه عليهن وفى تكرار يعضضن موسيقى ساخرة . والمقابلة بين الأنامل الغضة وصم الجنادل يؤكد بعد المدى بين ماهن فيه ، وما يجدر بهن من ألم وأذى . والبيت امتداد للصورة فى البيت الثانى عشر .

١٤ — وفى البيت الرابع عشر يقول : « ويقلن : إنك يابثين بخيلة » فيناديها بالياء إشعاراً بعلو مكانتها ، وإيحاء ببعدها لبخلها ، والنداء للتحسر . « ونفسى فداؤك » أسلوب إنشائى ؛ لأنه دعاء لها رداً على مزاعمهن فيها ، وهو ردّ ساخر بهن ، باعث لليأس فى أنفسهن . وأكد الضنين بالباخل فى معرض الدعاء؛ لأن الضن هو البخل بالشىء النفيس ، والبخل هو الامتناع عن منح أى شىء نفيسا كان أم غير نفيس ! والنفيس هنا ما يرضى جميلا إرضاء كاملا ، وغير النفيس ما يرضيه بعض الإرضاء .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — تناول الشاعر فى نصه موضوعاً واحداً هو الحب وما يتصل به من وفاء ، وهو مترابط الأفكار والمعانى والصور والعبارات .

٢ـ الصور البلاغية على قلتها تصور سيطرة الهوى على قلب جميل . وأكثرها مستمد من البيئة .

٣ـ الصور غالباً قصيرة تشبه اللقطات السريعة إلا صورة رَدّ العاذلات فى البيتين الثانى عشر والثالث عشر ، فهى صورة فيها بعض السعة والامتداد .

٤ـ أسلوب الشاعر رقيق إلا عند رَدّه العاذلات ، فقد اشتدت لهجته وجزلت ألفاظه .

نظرة أدبية

١ـ الغزل فى بادية الحجاز يختلف عنه فى حواضره : ويمثل الأول جميل بن معمر ، ويمثل الثانى عمر بن أبى ربيعة . وقد رأيت فى غزل جميل عفة، وصدقا ، وحرارة ، وصبراً ، ووفاء ، وصلابة ، ويتبدى ذلك فى صموده أمام العاذلات وردّهن فى عنف أليم .

٢ـ يمثل النص أثراً من آثار الحياة الاجتماعية فى البادية الحجازيه بعد الإسلام : قوم مؤمنون فقراء فى محلات متقاربة ، يتقابل فتيانهم وفتياتهم ويعجب بعضهم ببعض ، ولهم تقاليد تؤدى إلى حرمان المحبين واحتراق قلوبهم بنار الهوى .

٣ـ يشير النص إلى شيوع العاذلات ، الساعيات بين المحبين فى مجتمع البادية ، وإن كان العذل لجميل هنا كان مرسوما لاجتناب بثينة ، بغية تيئيسه وإراحته .

المناقشة

١ـ قال جميل :

أبثين إنك قد ملكت فأسجحى   وخذى بحظك من كريم واصل

(ا) بيّن دلالات النداء فى أول البيت   (ب) ماذا من التصوير فى « ملكت » ؟

(ج) ما الغرض من فعلى الأمر : أسجحى . خذى ؟

(د) لم وصف الشاعر نفسه بوصفين فى آخر البيت ؟

٢ـ قال جميل :

فلرب عارضة علينا وصلها   بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تستر   حبى بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى صدرى كقدر قلامة   فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى

(ا) ما غرض الشاعر من أبياته الثلاثة ؟   (ب) عارضة وصلنا ـ قد ترى أن

المصدر هنا مضاف إلى الفاعل ، وقد ترى أنه مضاف إلى المفعول ، فأى الرأيين تفضل ؟ وما السبب ؟ (ج) لم قال « بالجد » ثم قال « بقول الهازل » ؟

(د) ما معنى التستر فى البيت الثانى ؟ (هـ) لم قال « وصلك » ولم يقل « حبك » فى البيت الثانى ؟ (و) اشرح التشبيه فى البيت الثالث ، وبين أثره فى المعنى .

(ز) لم عبّر بالصدر عن القلب فى البيت الثالث ؟ (ح) لم أخر « أتتك رسائلى » عن « وصلتك » ؟ (ط) أيهما تفضل أن يقول « إن كان فى صدرى » أم « لو كان » ؟ ولم ؟

٣ — صادت فؤادى يا بثين حبالكم ... يوم الحجون وأخطأتك حبائلى

(ا) عين صورتين خياليتين فى البيت ، واشرحهما ، ووضح أثرهما فى المعنى .

(ب) لم قال « حبالكم » ولم يقل « حبالك » ؟ (ج) ما الغرض من النداء فى البيت؟

(د) ما فائدة ذكر « الحجون » فى البيت ؟

٤ — وتثاقلت لما رأت كلفى بها ... أحبب إلىّ بذاك من متثاقل

(ا) ما الحكمة فى عدم توجيه الخطاب إلى بثينه فى هذا البيت ؟

(ب) ماذا أفاد التعجب فى الشطر الثانى ؟ (ج) ما علاقة هذا البيت بما قبله ؟

٥ — حاولنني لأبت حبل وصالكم ... منى ولست — وإن جهدن — بفاعل

ويقلن : إنك قد رضيت بباطل ... منها ، فهل لك فى اجتناب الباطل ؟

(ا) للفعل فى أول البيت الأول إيحاء خاص — وضحه

(ب) ما الصورة فى البيت الأول ؟ وماعلاقة « أنت » بالصورة ؟

(ج) لم زيدت الباء فى خبر ليس ؟ (د) ماالغرض من الاستفهام فى البيت الثانى ؟

٦ — فرددتهن وقد سعين بهجركم ... لما سعين له بأفوق ناصل

يعضضن من غيظ علىّ أنا ملا ... ووددت لو يعضضن صم جنادل

(ا) فى البيتين خيال ، وضحه ، وبين أثره فى المعنى .

(ب) بين العلاقه بين الشطر الثانى من البيت الثانى والشطر الأول منه .

النثر الإسلامى

أولا : القرآن الكريم

١ — دعوة إلى القوة

قَالَ تَعَالَى : وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ (١) . وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاتُظْلَمُونَ (٢) .

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣) .

﴿ من سورة الأنفال ﴾

---

(١) وأعدوا لهم : الخطاب للمؤمنين كافة، لأن المأمور به من وظائفهم جميعا ، والضمير فى « لهم » للكفار . من قوة : من كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان . رباط الخيل : الخيل المربوطة المعدة للقتال وحده . ترهبون به : تخوفون ، والضمير يعود على مااستطعتم . عدو الله : المخالفين لأمره تعالى . عدوكم المتربصين بكم الدوائر ، والمراد بهم أهل مكة . آخرين من دونهم : أى من غيرهم ، وهم المنافقون من اليهود وغيرهم : لا تعلمونهم الله يعلمهم : لا تعرفونهم كما هم عليه من العداوة والبغضاء ، ولكن الله يعلمهم على حقيقتهم .

والمعنى : استعدوا أيها المؤمنون لأعدائكم بكل ماتقدرون عليه من أسلحة وحصون وخيل، ليخشى بأسكم أولئك الذين يعصون الله ما أمرهم ، وأولئك الذين يتربصون بكم الدوائر ، ولتخوفوا المنافقين الذين يظهرون المودة ، ويضمرون لكم العداوة والبغضاء ، وأنتم لا تعرفونهم حق المعرفة ، والله وحده يعلمهم ويعلم ماتنطوى عليه ضمائرهم .

(٢) من شىء : جل أو دق : فى سبيل الله : أى فى جميع وجوه الخير ولا سيما الإعداد للجهاد . يوف إليكم : أى جزاؤه ، ويوف : أى يؤدى بتمامه . لاتظلمون : أى بترك الإثابة أو نقصها .

والمعنى : إن أى مال تبذلونه للجهاد فى نشر دين الله . وأى جهد تضحونه فى نصرة الدين ومبادئه ، وأى معونة تقدمونها لولى الأمر فى سبيل النفع العام - كل أولئك لا يضيع منه شىء عند الله ، بل يعاد إليكم كاملا ، موفور الجزاء . والله سبحانه يثيب على كل شىء ، ولا يظلم عباده حبة خردل يستحقونها .

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتملت الآيات الكريمة على ما يأتى :

١ — دعوة المؤمنين إلى الاستعداد لملاقاة العدو ، والتسلح بكل وسائل القوة التى تردع العدو الباغى ، وترد الظلم وتحمى الحمى . وتصون كيان الوطن ، من خيانة العدو الخارجى والعدو الداخلى جميعاً ،

٢ — ترغيب المؤمنين فى بذل المال والتضحية بالجهود ، وتقديم المعونة المخلصة لولى الأمر فيما يرمى إليه من حماية الأمة ، ثم وعد المؤمنين إذا استجابوا بأن كل إنفاق فى وجوه الخير أو الإعداد للجهاد سيثابون عليه إثابة كاملة بلا نقص ولا غبن .

ويوجه الله تعالى الخطاب إلى القائد الأعلى فيأمره بقبول الصلح والمسالمة إن مال الأعداء حقاً إليه ؛ لأن الإسلام لا يعتدى على المسالمين ولا يطالب من القوة إلا حفظ الكيان وضمان الحرية فى نشر المبادىء ، والحرية فى اعتناقها .

التصوير والتعبير

١ — « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » أمر يخاطب به المؤمنين جميعاً ومنهم محمد عليه السلام ، وينبههم إلى أن النصر الذى ظفروا به فى بدر لا يتأتى فى كل زمان إلا بالإعداد الكامل المعركة . ونكر « قوة » لتشمل كل ما يؤدى إلى النصر من أسلحة وحصون وخيل ومال ، وتعبئة روحية ، وجمع المؤن اللازمة للحرب ونحو ذلك . وأنت ترى أن هذه العبارة الموجزة مشحونة بالمعانى ؛ وهى صالحة لتفسير القوة ووسائلها باختلاف العصور وتطورها ؛ لأنه يقول « ما استطعتم »

٢ — « ومن رباط الخيل » عطف رباط الخيل على « قوة » مع اشتمالها على المعطوف ليؤذن بفضلها فى معاركهم ، فخصها وميزها بالذكر مرتين : مرة فى لفظ القوة . ومرة فى لفظ خاص ؛ ليؤكد الاهتمام بها ؛ لأنها عنصر هام من عناصر النصر والظفر .

---

(٣) جنحوا : مالوا . السلم : الصلح : توكل على الله : فوض أمرك إلى الله وامض ولا تخف من إبطانهم المكر فى جنوحهم إلى السلم ، والله يعصمك من مكرهم وخديعتهم . السميع : أى لما يقولون فى خلواتهم . العليم : أى بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقون ويرد كيدهم إلى نحورهم.

والمعنى : رحبوا بالسلام يا محمد متى كانت هناك سبيل كريمة لقبول السلام ، ولا تخش الخيانة والغدر . فإن الله الذى يسمع ما يقولون . ويعلم ما يبطنون سيحفظك ويصونك .

٣ — « ترهبون به » بيان لعلة الإعداد ، وفيه إيحاء بأن الإعداد ليس بالضرورة مؤدياً للقتال ، بل قد يكون لحفظ السلام ، وقد يكون لضرب الجزية ، وقد يكون لضمان حرية الدعوة بلا قتال .

٤ — « عدو الله وعدوكم » : كناية عن أهل مكة ، وهي توحي بكرههم للحق مهما يكن مصدره ، وإضافة العدو إلى الله تقرير لجدارته بالقتال والإرهاب ؛ لأن الخارج على الأمة والمعتدى عليها من أعداء الله ، وجدير بأعداء الله أن يحاربوا ويقهروا وقد عطف عليه « عدوكم » لتوكيد هذا المعنى .

٥ — « وآخرين مِنْ دونهم » كناية عن المنافقين ، وقد عطفهم على عدو الله إشارة إلى أنهم مثل هذا العدو ضراوة ؛ وتربصاً ، وانتهازاً لفرصة الضعف فى المسلمين لكنهم يستخفون حتى تسنح الفرصة للضربة القاضية ، فهم أخطر على المسلمين من حيث خفاء موضعهم ، وعدم التحرز منهم فالتنبيه إليهم ، والحذر من غدرتهم ألزم .

٦ — « لا تعلمونهم الله يعلمهم » : كناية عن شدة استخفائهم وحرصهم على التظاهر بالمسالمة والمودة . وبين الجملتين مقابلة تبين مدى مابين علم الناس وعلم الله من فروق فى النوع والدرجة ، ويوحى قوله « الله يعلمهم » بالتهديد للمنافقين الذين يسمعون الآية فلا يأمنون أن يكشف الله أمرهم للمسلمين فيكون هلاكهم المحقق ؛ لأنهم يعيشون بينهم .

٧ — « وما تنفقوا من شىء » : تنكير شيء لإفادة الشمول والعموم فى الوسائل ، وفيه إيحاء بأن كل بذل مهما يكن قليلا له أثر كبير فى قوة الأمة ، وهذا مغزى التعاون .

٨ — « فى سبيل الله » كناية عن نواحى الخير كلها فى المجتمع ، والتعبير عنه منسوباً إلى الله للترغيب فيه والحث عليه .

٩ « يوف إليكم » : إسناد الفعل « يوف » لما أنفقوه ، وحقه أن يسند إلى جزائه تكريم للإنفاق الذى هو منهم بوضعه مكان الجزاء الذى هو من الله ، وبين « تنفقوا » و « يوف » مقابلة تؤكد المعنى .

١٠ — « وأنتم لا تظلمون » كناية عن عدم نقص الثواب ، وهى تذييل يؤكد مضمون الآية .

١١ — « وإن جنحوا » استعمال إن الشرطية يوحى بأن جنوح مثلهم إلى السلم بعيد الحدوث ؛ لميلهم المعروف إلى الشر .

٢ — الأمر فى : اجنح ، وتوكل حقيقى ، والتوكل على الله فيه اطمئنان فكأنه يقول: أقدم مطمئناً واثقاً بعون الله : والخطاب عند عقد الصلح خاص بالقائد الأعلى ؛ لأنه من شأنه بعد اتفاق أعوانه عليه بالمشورة فيه .

١٣ — « إنه هو السميع العليم » تذييل يؤكد مضمونها .

٢ — الاتِّحادُ قُوَّةٌ

قال الله تعالى : « وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ، وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١) .

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢) . وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ

(١) اعتصموا : التجئوا واتقوا . حبل الله: القرآن أو الدين. لا تفرقوا : أى عن الحق . جميعا : مجتمعين نعمة الله التأليف . بنعمته : بسبب نعمته . ألف : وحد . شفا حفرة : حافة حفرة . أنقذكم : أى بمحمد كذلك : مثل ذلك البيان . آياته : دلائله . لعلكم تهتدون : لكى تدوموا على الهدى .

والمعنى : كونوا جميعا حول دين الله ، وعيشوا متعاونين فى ظل راية القرآن،واحذروا الفرقة ، وتذكروا نعم الله عليكم من الهداية والتوفيق للإسلام وزوال الأضغان، واذكروا كيف كنتم فى الجاهلية متفرقين متشتتين ، متحاربين ، فصرتم متحابين قد التأم شملكم بسبب نعمة الله ، وأصبحت القوة المتفرقة قوة واحدة بناءة. وتذكروا كيف كنتم على حافة هاوية لولا أن الله أنقذكم بمحمد ودينه الذى هداكم إلى مبادىء كلها خير وقوة ، والله يذكر ذلك كله لكى تدوموا على الهدى .

(٢) الأمة : الجماعة التى تقصد لما هى عليه من الحق . يدعون إلى الخير : إلى ما فيه صلاح . المعروف : هو كل أمر يقر الشرع أو العقل أنه حسن . المنكر : هو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه. أولئك . الموصوفون بتلك الصفات . هم المفلحون : أى الكاملون فى الفلاح ، والفلاح هو ظفر الإنسان بما يريد ، أو الفوز بنعيم الآخرة .

والمعنى : اجعلوا منكم جماعة يهدون الناس إلى طريق الخير ، ويحضون على الأمور المشروعة ، وينفرون من الأمور القبيحة ، ويذكرون جماهير الأمة بتعاليم الله . وأولئك هم الذين يظفرون بالحسنى ؛ لأنهم كملوا فى صفاتهم ، وجدوا فى تكميل غيرهم من الناس .

بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣) .

(من سورة آل عمران)

الدراسة والتحليل

الأفكار

هذه الآيات ترتبط ارتباطاً قوياً بحياتنا ، وترسم السبيل إلى انتصار الأمة العربية في شتى الميادين ؛ لأنها تشتمل على ما يأتى :

١ - دعوة المؤمنين إلى الوحدة ، ونهيهم عن التفرق .

٢ - تذكيرهم بما كانت عليه حالهم من الفرقة والتشتت ؛ ليعرفوا فضل الإسلام عليهم في جمع الكلمة ووحدة الصف ، وليعلموا أن الله تداركهم برحمته وأنقذهم من هلاك محقق .

٣ - والآيات تدعوهم لأن يكملوا غيرهم كما كملوا فى أنفسهم ، فتطالبهم بأن يكون من بينهم قادة يذكرون الجماهير بتعاليم الدين حتى تظل نصب أعينهم معالم على الطريق توجههم إلى الخير ، وتجنبهم الشر ، وهؤلاء الدعاة هم الظافرون لأنهم مهديون هادون .

٤ - وتحذرهم الآية الأخيرة من مصير الأمم التى تفرقت طوائف متناحرة ، ودلائل الحق واضحة أمامها ، فأصابها العذاب الأليم .

التصوير والتعبير

١ - « واعتصموا بحبل الله » شبه القرآن أو الدين بالحبل الوثيق وعبر عن المشبه بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، والفعل « اعتصموا » ترشيح للاستعارة وتقوية لها . ولك أن تعتبر العبارة كلها استعارة تمثيلية : شبه فيها حالة المؤمنين المستظهرين بالقرآن الواثقين بحمايته - بحالة من يستمسك بحبل وثيق مأمون الانقطاع يتدلى من مكان رفيع ؛ واستعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه .

---

(٣) الذين تفرقوا : هم اليهود والنصارى . اختلفوا : بالعداوة . البينات : الآيات والحجج المبينة للحق ، الموجبة لاتحاد الكلمة . أولئك : أى المذكورون .

والمعنى : واحذروا أن تتفرقوا كأمم سبقت من بعد ما جاءتها البينات ، ووضح لها وجه الحق ، فإن لها عذابا شديدا ، فاعتبروا بهذه الأمم ، ولا تكونوا أمثالها ، فيكون مصيركم مثل مصيرها حين تنازعت ففشلت ، وذهبت ريحها .

٢ — « ولا تفرقوا » الجملة توكيد للاعتصام بحبل الله ، وفيها تحذير من الشقاق الذى كان يحدث بين أجدادهم قبل « حبل الله » .

٣ — « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » : إذ كنتم : بيان لنعمة الله . وأصبحتم إخوانا : مترتبة على التأليف بين القلوب. واختيار الفعل « أصبح » إشارة إلى أنهم دخلوا فى صباح مضىء بعد ليل مظلم . والمقابلة جميلة بين « كنتم أعداء » وبقية الآية .

٤ — « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » فى العبارة استعارة تصريحية : شبه الأمة فى تفرقها وانحدارها فى طريق الضلال إلى الهلاك والدمار بقوم وقفوا على طرف حفرة من النار وكادوا يتردّوْن فيها ؛ واستعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية ؛ والمقابلة جميلة بين حالتى الأمة فى قربها من الهلاك ، والإنقاذ بإرسال محمد . والملاحظ فى هذه الآية التركيز على الموازنة بين قديمهم وجديدهم .

٥ — « كذلك يبين الله لكم آياته » الكاف للتشبيه ، والإشارة للبيان المفهوم من الآية السابقة ، وهو المشبه به . والمشبه هو البيان المفهوم من قوله : « يبين لكم آياته » . ولكم إشارة إلى أنهم أهل لهذا البيان ، وإلى أنه نعمة خصُّوا بها .

٦ — « لعلكم تهتدون » إرادة الاهتداء لإرجاء الاهتداء والغرض زيادة الهداية والدوام عليها بدليل أن الخطاب للمؤمنين وأن فعل الهداية مضارع من الافتعال (الاهتداء يدل على زيادة الهداية) .

٧ — « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » يأمرهم بألا يكتفوا بأنهم مهتدون ، بل ينبغى أن يكونوا هادين أيضاً ، فى مقابل غيرهم من الضالين المضلين (ذكروا فى آيات لم تدرس هنا) .

٨ — « ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » معطوف على الدعاء إلى الخير ، من عطف الخاص على العام إيذاناً بمزيد فضل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الخيرات . أوهو من ذكر الخير مجملا ثم مفصّلا لزيادة العناية بذكر الدعوة إلى الخير مرتين، وهذا الأخير على أن الدعوة إلى الخير هى نفسها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما الأول فعلى أن الدعاء إلى الخير هو الدعاء إلى كل ما فيه صلاح دينى أو دنيوى . وبين « يأمرون بالمعروف » و « وينهون عن المنكر » مقابلة تؤكد المعنى وتشمل جوانبه .

٩ — « وأولئك هم المفلحون » : الإشارة لاستحضار صورتهم بأوصافهم التى يستحقون بها هذا الحكم والجملة تحصر الفلاح فيهم بسبب تعريف المبتدأ والخبر والفصل بينهما بالضمير

(هم) ، فهم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم ، لأنهم مهديون هادون. وأنت ترى كيف جاء ختام الآية مناسباً لمضمونها ، ونهاية طبيعية لمحتوياتها .

١٠ — « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » تنهى الآية عن أن يتشبه المؤمنون بالأمم السابقة فى تفرقها واختلافها بعد الآيات الموجبة للإتفاق . واختلفوا بعد تفرقوا التوكيد وذكر « من بعد ما جاءهم البينات » إشارة إلى أنهم يستحقون الغضب عليهم لتعنتهم .

١١ — « وأولئك لهم عذاب عظيم » الإشارة لاستحضار صورتهم بأوصافهم المذكورة بعد اسم الموصول . وتنكير العذاب ووصفه يشيران إلى عدم اكتناه أمره ومعرفة حقيقته والخبر بجملة خبرية فيها وعيد للأمم الخالية ، وتهديد لمن يتشبه بهم والمقابلة رائعة بين ختام هذه الآية ، وختام الآية التى سبقتها ، بل المقابلة أروع بين هذه الآية بختامها ، والآية التى تسبقها بختامها .

٣ — آياتٌ أخرى من الكتاب الكريم

ا — « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ؛ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١) » .

(من سورة الحجرات)

ب — « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ، أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) » .

(من سورة آل عمران)

---

(١) ذكر وأنثى ، آدم وحواء . شعوبا وقبائل : الشعوب جمع شعب وهو الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد ، وهو يشمل القبائل وما يليها فى التقسيم من عمائر وبطون وأفخاذ ، وفصائل . لتعارفوا : لتصح أنسابكم ، ولتتوارثوا لا للمفاخرة . ومعنى الآية : أيها الناس ، أنتم من أصل واحد ، وإنما أصبحتم أمما وقبائل ليعرف بعضكم بعضا ، ولئلا تختلط أنسابكم ، ولتتعاونوا لا لتخاصموا وتتفاخروا ، ولا فضل لأحد منكم عند الله على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، والله وحده يعلم ما يصلح شئونكم ، وهو المطلع على ما يدور فى أنفسكم وما هو موروث فى صدوركم من اتجاهات لا تنفعكم بل تضركم .

(٢) يشترون : يستبدلون . العهد: أمر الله وما يلزم الوفاء به. الأيمان: جمع يمين وهى القسم . ثمنا قليلا: عوضا نزرا، أو رشوة مهما تعظم لقلتها فى جنب ما يفوتهم من الثواب ، وماينالهم من =

جـ — « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣) ».

(من سورة البقرة)

د — « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ، فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا، أَوْ رُدُّوهَا، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٤) ».

(من سورة النساء)

هـ — « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥) ».

(من سورة البقرة)

العقاب . لاخلاق : لانصيب لهم من الخير . لايكلمهم : أي بما يسرهم ، أو يدعهم للملائكة يحاسبونهم بأمره استهانة بهم ، ، وهو كناية عن غضبه عليهم. لاينظر إليهم: لايعطف عليهم . ولا يرحمهم . لايزكيهم : لا يطهرهم من ذنوبهم بالمغفرة . ومعنى الآية : أن الذين يخونون العهود ، ويحنثون في الأيمان في مقابل نفع مادى زهيد ، يحرمون نعيم الآخرة ويغضب الله عليهم ، ولايرحمهم ، ولايغفر لهم ، بل يعذبهم عذابا شديدا .

(٣) في سبيل الله : في وجوه الخير الشاملة للجهاد وغيره . كمثل حبة : كمثل باذر حبة وهي حبة القمح . لمن يشاء : أي على حسب إخلاصهم. واسع: كثير العطاء. عليم :بموضع المضاعفة ونية المنفق .

والمعنى : أن الذين يبذلون أموالهم في الجهاد أو في وجوه الخير المختلفة ، يضاعف الله لهم ثوابها أضعافا مضاعفة على حسب حالهم من الإخلاص . ولإيقاع الإنفاق في أحسن مواقعه والله كثير الفضل لايضيق عليه إنفاق مهما يكثر ويتسع ، وهو عليم حيث يضع فضله .

(٤) التحية : أن يقال السلام عليكم أو نحو ذلك . بأحسن منها: وأي يزيد كلمة فيقول في الرد عليكم السلام ورحمة الله . حسيبا : محاسبا مجازيا . ومعنى الآية : إن الإسلام حريص على أن تقوم المودة بين الناس ، والتحية من وسائلها ، وعلى المسلمين أن يردوا التحية بخير منها أو بمثلها على الأقل ، فإن الزيادة تدل على ترحيب وتأهيل ، وسرور بإقبال من بدأ بالتحية ، وبذلك تقوى الروابط ، وتتوثق العلاقات ، وتشيع المحبة بين الناس . والله يحاسب الناس على كل مايقومون به إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

(٥) البر : سعة المعروف والخير . تنسون : تسهون بعد علمكم ، والمراد الترك. وأنتم تتلون : تقرءون ، والجملة حال من فاعل الفعل تأمرون . والمعنى : إنكم تدعون إلى عمل الخير ، ولاتقومون بمثل ماتدعون إليه ، فتأمرون بالصدقة ولاتتصدقون، وتنصحون باتباع دين ولاتتبعونه ، مع أنكم تقرءون كتابكم، وتعلمون مافيه من الوعيد على الخيانة. ومخالفة القول للعمل . (نزلت الآية في زعماء اليهود الذين أمروا ذوى قرباهم باتباع دين محمد ، وهم لايفعلون) فكأنكم مسلوبو العقل . فلاتفطنون لقبح ماتقدمون عليه .

الدراسة والتحليل

الأفكار

(١) ما تحتويه الآيات الخمس من أفكار ومبادىء :

ما تحتويه الآية الأولى أن الناس متساوون لا فضل لأحد منهم عل أحد إلا بالتقوى فلا تفاضل بسبب جنس أو لون ، أو نسب أو مال إنما قيمة المرء ما يحسن من عمل ، فالآية تضع مقياساً جديداً لتقويم أقدار الناس . هذا المقياس هو التقوى والعمل الصالح ، وتلغى مقاييس قديمة كانت شائعة عند العرب أهمها الحسب والنسب . وهكذا يضع الدين الإسلامى أسس المساواة والإخاء منذ أربعة عشر قرنا ثم تدعى بعض الأمم الآن أنها واضعة لأسس الحرية والإخاء والمساواة .

(ب) — والآية الثانية تنعى على من يخون العهد ويحنث فى اليمين خضوعا لبريق المال أو المنافع الذاتية وهى آية تضع أعظم الأسس لصلاح المجتمع ، واستقرار العلاقات بين الناس فى المجتمع الواحد . وتضع الأسس للروابط بين الدول فى كل مكان وزمان فهى تقبح الخيانة ، وتزدرى الخائنين ، وتدعو إلى تقديس المواثيق ، والوفاء وقيام كل امرىء فى المجتمع بواجبه ؛ لأن بينه وبين المجتمع وأفراده عقداً ملزماً ، بمجرد وجوده ، فيه واعتماده عليه فى حياته .

(ح) والآية الثالثة تدعو إلى الانفاق فى سبيل الخير ، وترغب فيه ، وتجزل الثواب عليه والخير ألوان متعددة ، وكل امرىء مسئول أمام الله والضمير عن إسهامه فى هذه الألوان، وبذل المال فى شتى وجوه الخير من جهود حربية ، وبناء مؤسسات علمية واقتصادية ، واجتماعية ورياضية ، ومن كل ما يصلح شأن المجتمع ، ويرتفع به فى سلم الرقى درجات .

(د) والآية الرابعة تفرض ردّ التحية بأحسن منها ، أو بمثلها ، وفى ذلك توثيق العلاقات ، وإنشاء الروابط ، وتقوية للمجتمع بتعاون أعضائه على البر والخير .

(ه) والآية الخامسة تدعو القادة (وإن نزلت فى زعماء اليهود) أن يبدءوا بإصلاح أنفسهم قبل أن يصلحوا غيرهم ، وألا يناقضوا أنفسهم فيدعوا إلى شىء ويخالفوا المدعوين إلى سواه ، فإنهم إذا كانوا قدوة أصغى الناس لقولهم واستجابوا لتوجيههم ، وأخلصوا فى أعمالهم ، واتجهت عناصر المجتمع كلها وجهة واحدة ، وهذا سر من أسرار تقدم الأمم .

التصوير والتعبير

(فى الآيات الخمس) :

١ — « يأيها الناس » : الخطاب للناس جميعاً ؛ لأن موضوع الآية يسوى بينهم .

٢ — « من ذكر وأنثى » : كناية عن تساوى الأصول ، وعدم التفاضل بالنسب .

٣ — « لتعارفوا » بيان لعلة جعلهم شعوباً وقبائل ، وحذف المفعول للحصر فى « التعارف » ونفى ما عداه من مفاخرة ونحوها .

٤ — « إن أكرمكم عند الله » جواب عن سؤال مقدر وهو : كيف يتفاضل الناس ؟

٥ — « إن الله عليم خبير » : ختام ملائم ومؤكد لما ورد فى الآية .

٦ — « يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا » استعارة مكنية تصوروا فيها عهد الله والأيمان شيئا يباع ويشترى بالمال ، وحذف ورمز إليه بالثمن ، ووصف الثمن بالقلة إشارة إلى أنه مهما يعظم فهو قليل فى جنب ثواب الله الذى يخسرونه بمسلكهم .

٧ — « أولئك لاخلاق لهم » اسم الإشارة لتوكيد إسناد الحكم الأليم إليهم .

٨ — « لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم » : كناية عن سخط الله وغضبه ، وبعد عطفه عنهم .

٩ — « ولا يزكيهم » كناية عن عدم الغفران لهم ، لأن الغفران تطهير لهم من رجسهم

١٠ — «ولهم عذاب أليم » ختام الآية ، وهو يؤكد مضمونها :

١١ — « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » شبه الله تعالى حال المال المبذول ابتغاء مرضاة الله فى وجوه الخير ، فيضاعفه الله أضعافا مضاعفة . بحال حبة قمح وضعت فى أرض طيبة ، فأنبتت شجرة ، تشعبت سبع شعب ، فى كل شعبة سنبلة ، وفى كل سنبلة مائة حبة ، فتصير الحبة سبعمائة ، وهو تشبيه تمثيل المشبه فيه هيئة ، والمشبه به هيئة ، ووجه الشبه هيئة .

١٢ — « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » توكيد لمضمون الآية ، زيادة فى الحث على الإنفاق فى سبيل الله .

١٣ — « وإذا حييتم بتحية » نكر التحية للتعميم الذى يشمل جنس التحية من كلام وإشارة وعمل ، أو هدية فى مناسبة سارة أو مؤلمة .

١٤ — « فحيوا بأحسن منها أو ردوها » الأمر حقيقى ، وقدم « أحسن منها » على « ردوها » إشارة إلى مراعاة فضل البادىء ، فالزيادة فى الردّ مراعاة لهذا الفضل واستجابة له .

١٥ — « إن الله كان على كل شىء حسيباً » : على كل شىء : كناية عن الزيادة فى التحية ، والحكم خاص ، ولكنه ينسحب فيعم . وختام الآية توكيد لمضمونها .

١٦ — « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » : « الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب (تعجيب الناس) من حال هؤلاء الآمرين » وتنسون

أنفسكم » كناية عن عدم المبالاة والغفلة . ومن المفهوم أن التوبيخ ليس على الأمر بالمعروف، بل لمقارنته نسيان الأنفس « وأنتم تتلون الكتاب » لزيادة التقبيح والتبكيت .

١٧ — « أفلا تعقلون » الاستفهام هنا توبيخ شديد ، وهو كناية عن ارتكابهم لأقبح الأمور التى تأباها العقول وتدفعها . فكأنهم مسلوبو العقول .

نظرة بلاغية

من الآيات القرآنية التى درستها تستطيع أن تدرك كيف كان نزول القرآن على محمد فاصلا بين عهدين فى تاريخ العرب ، بل فى تاريخ البشرية كله ؛ وذلك :

١ — إن القرآن قد جاء بمبادىء جديدة تتصل بالعقيدة أولا ، ثم بالتشريع الاجتماعى ثانيا ؛ فقد دعا إلى توحيد الله ، والإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . ووضع نظاماً لعبادة الله ثم وضع نظاما للأسرة ، وللعلاقات الاجتماعية ، والمعاملات المدنية بين الناس ، ووضع نظاماً للسياسة . وللحرب ، وأسسا للآداب النفسية ، وبالجملة فقد وضع دستوراً لسعادة البشرية فى الدنيا والآخرة ، وجعل هذا الدستور دينا أى علاقة بين الإنسان وربه .

٢ — جاء أسلوب القرآن على درجة من البلاغة تحدّت بلاغة العرب ، فأعجزتهم ، فكان لكل ما حواه القرآن قداسة ليست لأى كلام .

٣ — لم يكن للعرب عهد بمثل أسلوب القرآن ، فلم يجىء شعراً كقصائدهم ، ولا نثراً كخطبهم وأمثالهم ، بل كان طرازاً نسيج وحده ، وقد أدركتَ أنت بعض ألوان البلاغة فى آياته التى درستها ، وعرفت أن لكل جملة فى موضعها هدفا ، ولكل كلمة حكمة ، ولكل حرف دلالة . وأدركت أن لختام كل آية نظاماً معيناً يتصل بمعنى الآية ، بحيث تشعر نفس القارىء بالاطمئنان إلى نهاية القول والوقوف عنده فى نغم خاص لا يمكن محاكاته . وقد رأيت كيف تطول الآيات حينا ، وكيف تقصر حينا ، وكيف ترق حينا ، وكيف تشتد حينا على حسب مقتضى الأحوال والمناسبات والأهداف .

٤ — تناولنا بعض الصور فى الآيات التى درسناها ، وقد شعرت بغير شك بروعة التصوير ، وامتداده ، وسعته وقدرته على التأثير .

نظرة أدبية

كان للقرآن الكريم بما حوى من مبادىء فى الحق والخير ، وبما لهذه المبادىء من قدرة على خدمة كل أمة فى كل زمان ومكان ، وبما اشتمل عليه من قصص وأمثال ، وأدلة ، وبما اتسم به تصوره من روعة ، وبما امتاز به أسلوبه من إعجاز — كان لذلك كله أثر فى الفكر العربى ، والنفس العربية ، وكان لابد لذلك أن يبدو فى تفكير العرب وتصورهم وتصويرهم ، وتعبيرهم فى شعرهم ونثرهم ، وكان لذلك مظاهر فى مجالات مختلفة يمكن إيجازها فيما يأتى :

١ — في مجال العلوم الشرعية : كان للقرآن الكريم أثر في نشأة علوم جديدة مثل التفسير ، والفقه والتوحيد ، وكان ذلك أثراً لتطور العقلي من ناحية ، وأثرا لحاجة الناس إلى توضيح أحكام القرآن من ناحية أخرى .

٢ — في مجال اللغة :

(ا) توحدت لهجات العرب ، وغلبت في هذا التوحيد لهجة قريش ، وكان هذا من عوامل القومية العربية ، والوحدة العربية .

(ب) وجدت ألفاظ جديدة استعملها القرآن استعمالا دينيا كالمؤمن . والمسلم . والكافر . والمنافق ، والفاسق ، والصلاة ، والزكاة ، والركوع وغير ذلك .

(ج) صفت اللغة من بعض الغريب .

(د) انتشرت اللغة في البلاد التي اعتنقت الإسلام .

(ه) صان القرآن اللغة ، وضمن لها الخلود .

(و) نشأت علوم عربية كالنحو والصرف ، ومتن اللغة .

٣ — في مجال الأدب :

(ا) سرت روح القرآن في الأدباء العرب ، حتى غير المسلمين ، وتبدى ذلك واضحاً في شعرهم ورسائلهم .

(ب) جمعت مادة الأدب العربي في العصر الجاهلي خدمة لتفسير القرآن .

(ج) نشأت علوم البلاغة من بيان ومعان وبديع لخدمته كذلك .

ثانيا — الأحاديث النبوية

١ — الاشتراكية التعاونية في الإسلام

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ .

قال أبو سعيد (راوى الحديث) : « فَذَكَرَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم من أَصْنَافِ الْمَالِ مَاذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ [(١)] .

(١) الفضل الزيادة . الظهر : الدابة تركب للانتقال عليها . ليعد به : ليعطه إياه معونة . زاد طعام . ومعنى الحديث :

يدعو محمد (صلى الله عليه وسلم) أصحابه إلى أن يرد القادر منهم ما زاد من ماله على العاجز ، وأن يشرك الغنى منهم الفقير فيما يملك . ويضرب مثلا لذلك الدابة الزائدة عن حاجة القادر ، والطعام الفائض عن مئونة الغنى .

الدراسة والتحليل

الأفكار

يرمى الحديث إلى نظام اشترا كى لا تزال الأمم الحديثة ترجوه ولا تصل إليه ؛ لأنه نظام يقضى على الطبقية ، ويذيب الفوارق ، ويحول بين وجود طائفة مترفة ، تجد كل شىء بجانبها، وطائفة بائسة يعوزها كل شىء . وقد اقتصر راوى الحديث على مثالين، مما أشار إليه الرسول ، وذكر هذا الراوى أن الصحابة قد فهموا أن هذا الإعطاء حق واجب لا منحة تمنح ، هذا وليس الأمر مقصوراً على حيوان يركب ، أو زاد يؤكل ، بل هناك أدوات الصيد والنخيل والناقة ، ومواعين البيوت والنقود وهناك الآن الأرض ، وآلات الزراعة وأدوات الصناعة ، والمساكن والملابس ، والأسلحة ، وكل ما يزيد عن حاجة قادر . ويحتاج إليها معوز ، وليست العلاقة بين فرد وفرد ، بل بين دولة ودولة . وهكذا يتعاون أعضاء المجتمع الواحد ، وتتعاون المجتمعات .

التصوير والتعبير

١ — « فى فضل ظهر » : مجاز مرسل علاقته الجزئية ؛ لأنه عبر بالظهر وأراد الدابة، والظهر أهم جزء فيها من حيث أداءُ وظيفتها .

٢ — « فليعد به » أمر حقيقى ؛ لأن الموضوع للتشريع .

٣ — « بين عنده فضل ظهر » و « من لا ظهر له » مقابلة ، ومثلها بين « عنده فضل زاد » و « من لا زاد له » وكلتاهما تؤكد المعنى ، وتقرره ، وتبرهن على وجوب تحقيق هدف الأمر .

٤ — الظهر ، والزاد رمزان أحدهما لوسائل الكسب والسعى فى سبيل الرزق، والآخر للرزق نفسه ، وكأن الرسول يعنى إعانة أفراد المجتمع على العمل ليكسبوا رزقهم ، فإن أخفقوا ، فعلينا إطعامهم إلى أن يجدوا . ومن أجل هذا اكتفى أبو سعيد بالرمزين .

٢ — دعوة الدين إلى القوة

قال (صلى الله عليه وسلم) :

« المُؤْمِنُ القَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعِيفِ ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلى مَا يَنفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ باللهِ ، وَلاَ تَعجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تقُلْ : « لَوْ كَانَ كَذَا كَانَ كَذَا » وَلَـكِنْ قُلْ « قَدَّرَ اللهُ ، وَمَاشَاءَ فعَلَ » ، فَإِنَّ « لَوْ » تفتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ (١) » .

(١) خير : أعلى درجة . احرص على ما ينفعك : كن يقظا استعن بالله : توكل عليه . لا تعجز =

الدراسة والتحليل

الأفكار

الحديث دعوة موجهة إلى المؤمنين أن يأخذوا بأسباب القوة ليعيشوا أعزاء كرماء ، وقد رَغَّبَ الرسول المؤمنين فى القوة ، بأن جعل المؤمن القوى خيراً عند الله وأحبّ إليه من سائر المؤمنين . ثم رسم طريق القوة فى تفصيل وتعليل ، وعالج أحوال الذين يخفقون فى مساعيهم علاجا نفسيا بإرشادهم إلى الرضا بقضاء الله ، ثم محاربة الأوهام ، وعدم الالتفات إلى الماضى ، وعدم الاستسلام إلى وسوسة الشيطان .

التصوير والتعبير

١ — قول الرسول « أحب إلى الله » بعد « خير » وهو اسم تفضيل أيضاً كأحب ، توكيد للدعوة .

٢ — بين القوى والضعيف مقابلة تثير الرغبة فى الموازنة ، توكيداً للحرص على القوة.

٣ — وفى كل خير . احتراس جميل للإنصاف .

٤ — « احرص على ماينفعك » وما بعده تفصيل لبيان وسائل القوة .

٥ — « واستعن بالله ولا تعجز » الاستعانة بالله تعبئة روحية تمنح المرء ثقة بالنفس وتوقعاً للظفر ، « ولا تعجز » احتراس من التمادى فى الاستعانة إلى أن يتحول التوكل إلى تواكل .

٦ — « وإن أصابك شىء » التعبير بالحرف « إن » استبعاد للإصابة عن المؤمنين .

٧ — « لو كان كذا كان كذا » كناية عما يصحب الندم من تلوّم وتوهم .

٨ — « قدر الله وما شاء فعل » كناية عن الرضا والاستسلام لقضاء الله ومشيئته .

= كن حازما . قدر الله : حكم .الشيطان : روح الشر والغواية والتمرد.

ومعنى الحديث :

المؤمن ذو العزم والحزم أقرب إلى الله . من سائر المؤمنين. وإن كانوا جميعاذوى فضل. وعلى كل مؤمن أن يأخذ بأسباب القوة لجسمه وعقله وإرادته وخلقه . ليعيش عزيزاً كريما فى هذه الحياة التى تقوم على صراع لايظفر بحقوقه فيه إلا القادرون على التدافع فى الزحام. ومن مظاهر القوة أن يكون المؤمن حريصا .يقظا إلى سنوح الفرص لينتفع بها ولا يضيعها. ومن أسباب القوة أن يستلهم الله فى أعماله. وأن يحزم أمره فلا يتكاسل ولا يتوانى ولا يتواكل فيضعف ويهون . وأن يترفع عند الإخفاق عن أن يعيش فى الأوهام والأمانى الباطلة. وأن يقول : لو فعلت كذا لنجحت . بل عليه أن يرضى بحكم الله. ويستأنف محاولاته من جديد. غير بائس ولا متخاذل ، وأن يحذر من سيطرة روح الشر عليه فيدمر نفسه وحياته .

٩ — « فإن لو تفتح عمل الشيطان » الفاء تعليل بقوله « فلا تقل » . و« عمل الشيطان » كناية عن باب الشر . و « لو تفتح » استعارة مكنية شبهت فيها لو بمفتاح باب الشر ، وحذف المفتاح ، ورمز إليه بالفعل تفتح والاستعارة منفرة من قولنا ، « لو » كان ...

٣ — الدِّينُ وَالْحُرِّيَّةُ

قال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ قَوْمًا رَكِبُوا سَفِينَةً ، فَاقْتَسَمُوا ، فَصَارَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَوْضِعٌ ، فَنَقَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَهُ بِفَأْسٍ ، فَقَالُوا لَهُ « مَاتَصْنَعُ ؟ » . قَالَ : هُوَ مَكَانِى أَصْنَعُ فِيهِ مَاشِئْتُ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدِهِ نَجَا وَنَجَوْا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَكُوا (١) » .

الدراسة والتحليل

الأفكار

يريد الرسول أن يقــول : ليس لكل فرد فى الأمة أن يفعل ما يشاء له هواه ضارباً بمصلحة الجماعة عرض الحائط ، زاعماً أنه حرٌّ فيما يملك ، فإن للحرية حدوداً ، وهــذه الحدود تعينها مصلحة الجماعة التى يعيش فيها هذا الزاعم ، فإذا عمل أحد عملا يضر البلاد، وإن كان عمله متصلا بما يملك هو من أرض أو عقار أو نقود، فإن من حق الأمة أن تمنعه بالقوة، وأن يحولوا بينه وبين مايريد ؛ لأنه إنما يريد خيانة باسم الحرية التى لايعرف حدودها ، ولايعرف وسيلة استخدامها ، فالإسلام يدعو إلى الترابط والتعاون فى سبيل الخير العام ، وفى سبيل الأمة وبقائها سليمة من كل ما يضعف شأنها .

التصوير والتعبير

١ — الحديث استعارة تمثيليــــة شبه فيها الرسول المجتمع الذى يسىء بعض أفراده إدراك معنى الحرية ، فيفهم أن له أن يصنع مايشاء بملكه على حسب هواه ، أو على حسب مصلحته التى تؤذى المجتمع ـ شبهه بقوم ركبوا سفينة ، واقتسموا مواضعها فظن أحدهم

(١) أخذوا على يده : منعوه مما يريد أن يفعل بالقوة . والمعنى : يحكى رسول الله قصة جماعة من الناس كانوا فى عرض البحر على ظهر سفينة ، واستقل كل رجل منهم بمكان فى السفينة . فأخذ رجل منهم يضرب مكانه بفأس لينقره (يحفر فيه) ، فلما سأله القوم عما يصنع ، قال : هو موضعى أصنع به ما أشاء ، ثم يقول الرسول : فهؤلاء إن منعوه أنقذوه ، وأنقذوا أنفسهم من الغرق ، وإن تركوه ينقر السفينة فى موضعه الذى يزعم حرية العمل فيه ، غرقت السفينة ، وماتوا جميعا .

أن موضعه ملك خاص له يتصرف فيه كما يشاء ، فجاء لينقره بفأس وأوشكت السفينة أن تغرق ويموتوا جميعاً لو لم يمنعوه ، واستعيرت ألفاظ المشبه به إلى المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ؛ والاستعارة جميلة رائعة ، لأنها تجعل تماسك المجتمع كجسم سفينة واحدة ، وأن العبث بمقدرات الجماعة خيانة ينبغى أن يهب الجميع لقمعها ومنعها ، وهى توحى بالحجر على من يزعمون لأنفسهم حرية كاملة فى التصرف فى أموالهم ولو فى العبث ، وتوحى بأن مصلحة الجماعة تعود على كل فرد فيها ، وأن للجماعة الحق فى مال كل فرد فيها ؛ لأنها أصله ومصدره ومنبعه .

١ — « فصار لكل رجل منهم موضع » بيان لقوله « اقتسموا » ، وتقديم هذا الفعل إثارة وتشويق لما يجىء بعده ، لأن هذا الفعل - مع أن مفعوله محذوف - يثير الدهشة من اقتسام السفينة التى يأبى البحر اقتسامها !

٣ — « ما تصنع ؟ » استفهام خرج إلى معنى التعجب والإنكار ، لأنهم يرون ما يصنع ويفهمون ما يصنع .

٤ — « هو مكانى أصنع فيه ما شئت » فى هذه العبارة يصور الرسول إصرار المنحرف المبين أن استخدام القوة فى منعه أمر محتوم ، وأن إطلاق الحرية - وهى سلاح ذو حدين - خطر كبير فى يد الجاهلين .

٥ — « فإن أخذوا على يده » كناية عن منعه وكفه بالقوة عن الخطر الذى يوشك أن يقع ويوقع الناس فيه .

٦ — « المقابلة جميلة بين « إن أخذوا على يده نجا ونجوا » و« إن تركوه هلك وهلكوا » وهى مقابلة رائعة لتعدد عناصرها وإحكامها الذى يؤكد المعنى ، ويحفز على سرعة الردع .

٤ — أحاديث أخرى

ا — « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (١) » .

ب — « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً

(١) اشتكى : مرض . تداعى : دعا بعضه بعضا . السهر : مجانبة النوم . الحمى : حالة مرضية ترتفع فيها حرارة الجسم إلى مافوق درجته المعتادة والمعنى : إن المؤمنين فيما بينهم من حب ورحمة وعطف وتآزر وترابط مثل أجزاء الجسد ، إذا أصيب أحدها بالأذى تأثرت الأخرى كأنها عضو واحد .

مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »

ج — « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرْضِ ، وَلَـكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ (٣) » .

د — « الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ (٤) » .

هـ — « الْـكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ (٥) » .

و — « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٦) » .

الدراسة والتحليل

الأفكار

(١) فى الحديث الأول يرسم الرسول ما ينبغى أن يكون عليه المؤمنون من تعاون واتحاد وترابط عند الشدائد ، ويشير إلى أن مجتمع المؤمنين يجب أن يكون عضويًّا ، كل يحس إحساس الآخرين ، ويشعر شعورهم . ويخف لنجدتهم كأنهم جسم واحد حى .

(٢) نفس : فرج وأزال . كربة : ضيق وأزمة . يسر : سهل وخفف . معسر : فقير أو مدين . العبد : المخلوق . والمعنى : من فرج أزمة أخيه فى الدنيا أثابه الله بتفريج أزمة من أزمات الآخرة . ومن سهل على فقير ضيقه المالى كافأه الله باليسر والغنى فى الدنيا والآخرة . ومن أخفى عيبًا اطلع عليه من أخيه كان له من الله جزاء مثل عمله وهكذا لن يضيع عند الله جزاء عمل طيب يقدمه المرء لأخيه ، فالله يمد يده بالمساعدة إلى كل امرىء يساعد الناس فيفتح الله له طريق الخير ، ويوسع له فى الرزق ، ويجنبه كل عثرة ، ويخرجه من كل أزمة ، وحسبك بالله عونا وظهيرا .

(٣) العرض : المتاع ، وكل شىء سوى النقود . والمعنى الغنى غنى النفس وكفها عن طلاب الفضول فى طمع وحرص ، وليس الغنى فى كثرة المتاع ، ولا فى سيارة ولا عمارة ولا ضيعة .

(٤) المؤمن أخو المؤمن لا يخدعه ، ولا يخفى عليه رأيه فيه ، فهذا هو الإخلاص والصدق فى النصح ، وأما المجاملة والثناء فهو إغراء بالتمادى فى الباطل .

(٥) ليس الإحسان مقصورا على المال يمنح ويعطى ، فقد تكون الكلمة الطيبة أجدى وأنفع ، والرد الرقيق عند العجز يقوم مقام السخاء فى العطاء .

(٦) الظالم تتحول أعماله يوم القيامة ظلمات بعضها فوق بعض ، فهناك يتخبط ويتعثر ، ولا يعرف للنجاة سبيلا .

(ب) والحديث الثانى يشـــير إلى التعاون أيضاً والتراحم كالأول ، ويطالب بألوان مفصلة من التعاون ، وكلها فى الأزمات والمآزق ، فيذكر تنفيس الكربة ، والتيسير على المعسر ، وستر العيوب ، ثم يختم بترغيب فى التعاون ، بتوكيد رضا الله عمن يبذلون جهودهم وأموالهم ، وأنفسهم فى سبيل إخوانهم المؤمنين .

(ج) والحديث الثالث يقرر معنى الغنى ، ويرمى إلى أن يتعفف الناس ، ويربئوا بأنفسهم عن التهالك فى جمع المال ، وهو يوحى بالدعوة إلى القناعة وصبر النفس وتكييف الإنفاق على قدر الطاقة ، ولكن ذلك لا يحمل شبهة التواكل والتوانى والإستسلام للعجز .

(د) والحديث الرابع يدعو إلى الإخلاص فى النصيحة ، وأن يكون المؤمن لأخيه كالمرآة لاتخفى قبحاً فى وجهه ، ولاقذى فى عينه ، فإن الإخفاء غش ، والإبقاء على العيوب بل تشجيع عليها .

(ه) والحديث الخامس يحث عـــلى الرفق واللين فى ردّ السائل عند العجز عن منحه ما يسأل فإن الكلمة تقوم مقام الدرهم والدينار ، فهى - على الأقل - لا تحرج السائل ، ولا تذله ولاتهينه ، بل إن الاعتذار الصادق قد يكون أسوة وتصبراً يحس بهما السائل إذ يطلع على أن غيره فى حاجة مثله ، فلا يضيق بالدنيا .

(و) الحديث السادس تحذير من الظلم فى الدنيا ، وإنذار بأنه سيجده أمامه ظلاماً يتعثر فيه .

التصوير والتعبير

١ــ « مثل المؤمنين فى توادهم . « كمثل الجسد » تشبيه تمثيل ، شبه فيه حالة المؤمنين المرتجاة فى ودهم وحبهم وعطف بعضهم على بعض ، بحالة الجسد يشتكى فيه جزء فتألم سائر الأجزاء . وهو تشبيه أصاب المفصل ، وأوحى بمدى ما ينبغى أن يكون من المؤمن فى هذه الحياة .

٢ــ « تداعى له سائر الجسد » شبه سائر الجسد بقوم يدعو بعضهم بعضاً إلى الاجتماع للسهر وحذف المشبه به ورمز إليه بالتداعى على سبيل الاستعارة المكنية ، والسهر ترشيح يقوى الاستعارة .

٣ــ والحديث الأول كله خبر يراد به الحث والإرشاد ، ولذلك أكد التواد بالتراحم والتعاطف .

٤ــ فى الحديث الثانى ذكر الكربة وهى معنى عام ، ثم عطف عليه الخاص من

الإعسار والعيوب . وبين « كرب الدنيا، وكرب يوم القيامة » مقابلة تثير الموازنة وتدعو إلى الاستجابة وبين الدنيا والآخرة مقابلة أيضاً .

٥ — ويختم الرسول حديثه الثانى بجملة تؤكد مضمون الحديث وهى تشبه فواصل الآيات الكريمة . وعبر بلفظ « العبد » دون المؤمن ، إيحاء بالعجز ، ووجوب الخضوع للتوجيه.

٦ — والتكرار فى الحديث نغم موسيقى جميل : فقد كرر « نفس » فى الشرط والجواب ، وكذلك : يسر ، وستر ،وعون ، والعبد . وكأن الرسول يوحى بأن الجزاء من جنس العمل « وإن علا درجات ، وحسبك بسمو الجزاء الإلهى !

٧ — فى الحديث الثالث استخدم « عن » مكان باء السببيه . وفى عبارة الحديث إيحاء بالموازنة بين « العرض » و « النفس » وهى موازنة تقضى على العقلاء باختيار النفس وهى الروح الخالدة على المادة الفانية .

٨ — والحديث الرابع تشبيه جميل يشبه فيه المؤمن بالمرآة فى إظهار كل شىء، والصراحة التامة وهو حث على هذه الصراحة ؛ لأنها أنفع من المجاملة ، للفرد والمجتمع .

٩ — والحديث الخامس يشبه الكلمة الطيبة بالصدقة ؛ لما لكل منهما من أثر طيب ، وإرضاء للنفوس الكادحة المكدودة .

١٠ — وفى الحديث الأخير تشبيه رائع ، وجناس موسيقى مؤثر .

نظـــرة بلاغيـــة

من عرض الأحاديث وتحليلها ودراسة مراميها ؛ وطرائق التعبير والتصوير فيها يتبين لك ما يأتى :

١ — تناولت الأحاديث أغراضاً متنوعة ، تتصل بشئون الدنيا والآخرة ، فمنها ما يتصل بالقرآن وبيان مجمله ، ومنها ما يفصل طرائق العبادات ، ومنها ما يتصل بالمعاملات المدنية ، ومنها ما يعالج مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية وحربية، ومنها آداب نفسية تهدى إلى أسمى المبادىء وأنبل الغايات .

٢ — جاءت الأحاديث دائماً بالقول الفصل ؛ لأنها صادرة عن وحى السماء .

٣ — تميل الأحاديث إلى الإيجاز ، فتدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى .

٤ — جاءت الأحاديث من وحى الفطرة ؛ فسلمت من التكلف والتفكك ، والتعثر، والإغراب ، والجفوة ، والتعقيد .

٥ — روعة التصوير فى الأحاديث ، ودقة التعبير سمات أصيلة تحمل قوة التأثير والإقناع

نظـــرة أدبيّـــة

١ — ولد الرسول فى بنى هاشم ، واسترضع فى بنى سعد ونشأ فى قريش ، ثم كان له من القرآن الكريم والوحى العظيم معين لا ينضب ، فكان أفصح العرب ، وأصفاهم أسلوباً، وأعذبهم بياناً ، وأعظمهم فى النفوس تأثيراً .

٢ — لذلك كانت أحاديث الرسول عظيمة الأثر فى الأدب واللغة والعلم فاعتمد عليها المفسرون والفقهاء فى تفسيرهم لكلام الله ، وفى استنباط الأحكام الشرعية ، واستمدت منها اللغة أفكاراً وألفاظاً وأساليب جديدة من ذلك قوله عليه السلام عند احتدام الحرب : « والآن حمى الوطيس(١) » وقوله : « مات حتف أنفه(٢) » ، وقوله « لا يلدغ المؤمن من جحر(٣) مرتين » ، وقوله . ياخيل الله اركبي(٤) » .

٣ — تأثر بها الخطباء ، والكتاب ، والشعراء : واقتبسوا منها ، وساروا على نهجها إلى يومنا هذا .

أسئلة فى القرآن الكريم والحديث الشريف

١ — قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

(ا) ماذا يفيد بدء الآية الكريمة بقوله تعالى « وأعدوا لهم » ؟

(ب) لم عطف « رباط الخيل » على قوة ، وقد اشتملت القوة عليها ؟

(ج) ما علامة « ترهبون » بما قبلها ؟ (د) لم أضاف « عدو » إلى الله ؟

(هـ) ما المقصود بآخرين ؟ (و) كيف يوفى إليهم ما ينفقون ؟

(ز) لم ختم الآية بقوله « وأنتم لا تظلمون » ؟

---

(١) الوطيس : التنور وما أشبهه ، والعبارة كناية عن اشتداد المعركة .

(٢) الحتف : الموت والعبارة كناية عن موته على فراشه من غير قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق ، وخص الأنف ، إشارة إلى أن روحه تخرج من أنفه مع تردد أنفاسه العادية . وكان العرب يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه . والجريح تخرج روحه من جرحه.

(٣) لدغ : عض . والحديث استعارة تمثيلية تستعار ألفاظه لمن يستفيد من تجاربه . فلا يقع فى خطأين متشابهين .

(٤) خيل الله: الفرسان يجاهدون فى سبيل الله . اركبي أى كونى عالية على سواك ، والعبارة كناية عن الإقدام .

٢ — قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا : واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

(ا) وضح الصورة ، وبين جمالها فى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله » ؟

(ب) ما الهدف من النهى فى قوله تعالى « ولا تفرقوا » والصورة قبلها بمعناه ؟

(ﺟ) ماعلاقة « إذ كنتم أعداء » بماقبلها ؟ (د) وضع أثر المقابلة بين « أعداء » و « إخوانا » ؟ (ﻫ) « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » اشرح هذه الصورة وبين أثرها فى هدف الآية الكريمة . (و) ما المشبه والمشبه به فى قوله تعالى « كذلك يبين الله لكم آياته » ؟ وما دلالة قوله تعالى « لكم » ؟ (ز) « لعلكم تهتدون » مامعنى « لعل » هنا ؟ وكيف يهتدون » وهم مؤمنون فعلا ؟

٣ — قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

(ا) ما معنى « أمة » ؟ (ب) ماعلاقة « يأمرون بالمعروف » بالخير قبلها ؟

(ﺟ) ما الجمال فى قوله : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ؟

(د) لم ختمت الآية بقوله « وأولئك هم المفلحون » ؟ ومافائدة اسم الإشارة « أولئك »

٤ — قال الله تعالى « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ، ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »

(ا) بين الصورة فى قوله تعالى « يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا » وبين هدفها .

(ب) مافائدة « أولئك » فى قوله « أولئك لاخلاق لهم » ؟ ومامعنى (خلاق) ؟

(ﺟ) ما المقصود بقوله تعالى (ولا يكلمهم) ، (ولا ينظر إليهم) ، و (لا يزكيهم) ؟

(د) لم ختمت الآية بقوله « ولهم عذاب أليم » ؟ .

٥ — (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

(ا) ما الهدف من هذه الآية ؟ (ب) وضح الصورة فى الآية وبين الجمال فيها .

(ﺟ) مامعنى « فى سبيل الله » ؟ (د) مامعنى « واسع » ؟

(ﻫ) لم ختمت الآية بقوله تعالى « والله واسع عليم » ؟

٦ــ قال تعالى . « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

(ا) مامعنى « تنسون أنفسكم » ؟ (ب) ما الغرض البلاغى من الاستفهامين فى الآية؟
(ج) ما معنى « البر » ؟ (د) ما المقصود بالكتاب ؟

٧ــ « جاء القرآن بأسلوب لاعهد للبشرية به وفى درجة من البلاغة لم تتطاول إليها بلاغة البلغاء » من الآيات التى درستها أيد بالأمثلة هذه القضية .

٨ــ للقرآن الكريم أثر عظيم فى اللغة والأدب والعلوم العربية والعلوم الشرعية اشرح ذلك .

٩ــ قال (صلى الله عليه وسلم) : « من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لازاد له » .

(ا) ما معنى : فضل ظهر ـ فليعد به ؟ .

(ب) لم خصص فضل الظهر وفضل الزاد ؟

(ح) ما مدى دلالة الحديث على الاشتراكية ؟

١٠ــ قال الرسول فى أحد أحاديثه : « فلا تقل » لو كان كذا كان كذا ، ولكن قل « قدر الله ، وما شاء فعل فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » .

(ا) لمن وجه الخطاب بقوله « فلا تقل » ؟.

(ب) ما المراد بعمل الشيطان ؟ وما البلاغة فى قوله « لو تفتح عمل الشيطان» ؟

١١ــ قال (صلى الله عليه وسلم) : « إن قوما ركبوا سفينة ، فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا : « ما تصنع ؟ » قال : هو مكانى أصنع فيه ما شئت ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا»

(ا) بين أن الحديث استعارة تمثيلية. (ب) ما البلاغة فى قوله « فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » ؟ (ح) ما المراد بالاستفهام فى قوله « ماذا تصنع ؟ » (د) ماعلاقة : « فصار لكل منهم موضع » بقوله : « فاقتسموا » ؟

١٢ــ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

(ا) اشرح التشبيه فى الحديث . (ب) ما البلاغة فى قوله « تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ؟ (ح) لم عطف التراحم والتعاطف على توادهم ؟ (د) ما أثر العمل بهذا الحديث فى المجتمع ؟

١٣ — « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » .

(ا) ما الهدف من الحديث ؟ (ب) فى الحديث موسيقى مصدرها التعبير - وضح ذلك . (حـ) فى الحديث تفصيل بعد إجمال - بين ذلك . (د) فى الحديث إجمال بعد تفصيل أيضا - بين موضعه . (هـ) هل يدخل فى الحديث الستر على مجرم أجرم فى حق المجتمع ؟ ولم ؟

١٤ — « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

(ا) ما معنى العرض ؟ (ب) بين مقابلة فى الحديث . (حـ) ما معنى « عن » ؟

١٥ — من أحاديث الرسول : « المؤمن مرآة أخيه » ، و « الظلم ظلمات يوم القيامة » و « الكلمة الطيبة صدقة » — بين البلاغة فى هذه الأحاديث الثلاثة .

١٦ — من أقوال الرسول : « الآن حمى الوطيس » ، « مات حتف أنفه » ، « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، « ياخيل اركبي » - اشرح هذه الأقوال وبين مافيها من جمال .

١٧ — بين أثر أحاديث الرسول فى القرآن ، واللغة ، والأدب ، والعلوم .

الخُطَبُ والوَصَايا
من الهَدْى النَّبَوِىّ

خطبة للرسول « صلى الله عليه وسلم »

عرفت ما للأحاديث الرسول من أثر فى رسم العلاقة بين المؤمن وربه ، وبين المؤمن والمؤمن ، ولا شك أن لخطابة الرسول أثرا أعمق ، فى هذين المجالين ، فقد كان الرسول أفصح العرب ، وأخطبهم ، وهذه خطبة ترشد المسلمين إلى الوسائل التى يكسبون بها رضا الله فى الآخرة ، وكل عمل يرضى الله هو فى الوقت نفسه عمل يسهم فى بناء مجتمع سليم .

النص

« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ (١)، فَانْتَهُوا (٢) إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً (٣) فَانْتَهُوا (٤) إِلَى نِهَايَتِكُمْ . إِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ (٥) : بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِى مَا اللهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِى مَا اللهُ قَاضٍ فِيهِ (٦) : فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ (٧) : وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ (٨) مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ (٩) ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ .

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتملت الخطبة على ما يأتى :

١ ـــ الدعوة إلى الوقوف عند حدود الله ، والاستمساك بتعاليمه طول الحياة .

---

(١) معالم : جمع معلم وهو الإشارة تدل على الطريق . والمقصود أوامر الله ونواهيه ، أو الحدود الشرعية . (٢) فانتهوا إلى معالمكم : قفوا عندها ولا تتجاوزوها .

(٣) نهاية : المقصود نهاية الحياة . (٤) فانتهوا : كفوا عما نهى الله عنه . والمعنى انتهوا عن تجاوز المعالم إلى أن تنتهى حياتكم .(أى أن « انتهوا » هنا هو مطاوع الفعل (نهى).

(٥) العبد : الرجل المؤمن . مخافتين : خوفين . (٦) أجل : مدة ووقت . قاض: من قضى أى قدر وحكم . (٧) فليأخذ العبد من نفسه لنفسه : فليبذل جهدا فى حالة من حالاته ؛ لينتفع به فى حالة أخرى . (٨) والذى نفس محمد بيده : هو الله سبحانه . والأسلوب للقسم ، يقسم بالذى يملك حياة محمد وموته . بيده : بقدرته ،

(٩) مستعتب : استرضاء ، والمقصود طلب المغفرة . أو استئناف عمل يرضى الله .

٢ — المؤمنون فى موقف يوجب عليهم ذلك ؛ لأنهم لايعلمون كيف حكم الله على أعمالهم فى المدة التى مضت من عمرهم ، ولا يدرون ماقبل منهم وما لم يقبل ، ولا يعلمون كيف يقضى الله عليهم أو يقدر لهم فيما بقى من حياتهم .

٣ — ومن أجل ذلك يجب عليهم أن يكونوا حذرين يقظين ، وأن يحزموا أمرهم ، ويعدوا للأمر عدته ، فليأخذوا من أنفسهم لأنفسهم وهم قادرون ، وذلك أن يعملوا فى الدنيا قبل أى يقدموا على الآخرة ، وأن يبذلوا وهم شباب قبل أن تعجزهم الشيخوخة عن البذل ، وأن يعطوا وهم أحياء قبل أن يحول الموت بينهم وبين العطاء ،

٤ — ويقسم الرسول بالله الذى يملك نفس محمد وجميع النفوس إنه إذا فاتت الفرصة ، وودعتم الحياة ، وأقدمتم على الآخرة ، فليس هناك مجال لعمل يكون فيه رضا الله ؛ لأن الآخرة ليست دار عمل ، ولكنها دار جزاء ، فإما جنة ، وإمّا نار .

التصوير والتعبير

١ — بدأ الخطبة بنداء الناس ، لينبه الغافل والمشغول إلى أنه سيتكلم ، ليسمعوا ويعوا ، ولم يناد المؤمنين ولا المسلمين ؛ لأن النداء عام ، وفيه إشارة إلى أن المؤمنين أنفسهم لايزالون فى حاجة إلى أن يتمموا إيمانهم .

٢ — « إن لكم معالم » هنا استعارة تصريحية ، فقد عبر عن حدود الله بإشارات الطريق ، وأثرها هو إبراز المعنوى فى صورة محسوسة ، وإيحاؤها بأن الطريق ممهد واضح لكل راغب فى الاهتداء وبلوغ الغاية بسلام ، ونسب المعالم لهم إشارة إلى أن الدين إنما جاء لإسعادهم :

٣ — « وإن لكم نهاية » كناية عن قصر العمر ، وأن الموت آت لامحالة ، وإن الحياة لا تحتمل التوانى والتهاون . فهو يريد أن ينتهز الفرصة قبل ضياعها ببلوغ الأجل ، فالعبارة ليست توكيدا لما قبلها .

٤ — « إن العبد بين مخافتين » دعا المؤمن بالعبد إشارة إلى ضعفه ، وحاجته إلى عمل ينفعه ، و « بين مخافتين » توحى بأنه محصور لا مفر له من العمل .

٥ — « بين أجل قد مضى . وبين أجل قد بقى » هذا تفيصل للمخافتين ، والإجمال ثم التفصيل تشويق وإيقاظ للتوقع ، وإثارة . وقد عبر بالأجل عن المدة

كلها مجازا ، وبين مضى وبقى مقابلة تدعو إلى اليقظة . وفى العبارة موسيقى من تكرار أجل ووصفه فى الجملتين .

٦ — « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه » : أى من نفسه فى قدرتها لنفسه فى عجزها ، كأن نفسه الأولى تعير الأخرى . بعض قدرتها ادخارا لوقت الحاجة .

٧ — « ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبه قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت » عطف لتوضيح قوله « من نفسه لنفسه » وبين الدنيا والآخرة مقابلة ، وكذلك بين الشبيبة والكبر ، وبين الحياة والموت : وهى تثير موازنة حافزة ، لانتهاز الفرصة عند سنوحها .

٨ — « والذى نفس محمد بيده » كنايتان إحـــداهما عن الله جل جلاله ، والأخرى عن القدرة فى (بيده) والكناية الأولى رائعة مؤثرة لملاءمتها للمقام ، وفيها إيحاءات كثيرة .

٩ — « ما بعد الموت من مستعتب » جواب القسم ، وهو نفى مؤكد لجدوى الاسترضاء ومن عوامل التوكيد « تقديم الموت » وزيادة حرف الجر (من) وتنكير « مستعتب » فى سياق النفى .

١٠ — « وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » كناية عن استحالة الاسترضاء ؛ لأن الجنة أو النار للجزاء لا للعمل والجملة من تمام جواب القسم ، وهى دعوة إلى الحزم ، وانتهاز الفرصة المتاحة قبل إفلاتها .

نظـــرة بلاغيـــة

(١) الخطبة فى موضوع واحد مترابط المعانى . (٢) اتخذ الخطيب للإقناع وسائل مختلفة : منهـا أن الحياة قصيرة ، وأن المرء جاهل بحكم الله على أعماله فيما مضى ، وما سيأتى . وأن الإنسان يضعف بتقدم العمر ، وأن كل الناس يموتون ومنهم محمد ، وأن الدار الآخرة للجزاء لا للعمل . (٣) واتخذ من وسائل الإثارة : تقصير الجمل ، وتقطيعها ، والتفصيل بعد الإجمال ، والتوكيد بالوسائل المختلفة .
(٤) ألفاظ الخطبة جزلة قوية مع حلاوة وطلاوة . (٥) محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يحتج إلى مقدمة الخطبة ، لشهرة أهدافه ، ولمكانته فى النفوس ، لكنه ختم خطبته بجملة محكمة موجزة تشير إلى مورد فيها من غير أعادة لفظ منها ، وهذه براعة فائقة .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — دعوة جديدة تحتاج إلى خطيب يدعو ، ويبرهن ، ويقنع ، ويستميل ولذا كان الرسول أخطب العرب ؛ لأن دعوته أعظم الدعوات .

(٢) إلقاء الخطب فريضة فى بعض الصلوات كالجمعة ، والعيـــدين ، وفى كثير من المناسبات الاجتماعية فى الإسلام ، فكان لابد أن يكون رسول الإسلام خطيبا أفصح الخطباء وأعذبهم بيانا . (٣) تصدرت من أجل ذلك ـــ الخطابة فنون القول فى صدر الإسلام وتنحى الشعر عن موضعه لها . (٤) كانت الخطب قبل الرسول حكما متتابعة لا ارتباط بين معانيها ، فأصبحت الخطبة فى الإسلام ذات هدف وموضوع ونظام : فأصبحت تشريعا ، وحثا على الجهاد ، وعلاجا للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، وانتفت فيها روح المنافرات والمفاخرات التى كانت تسود الخطابة فى الجاهلية (٤) كان السجع والتكلف سمة واضحة من سمات الخطابة قبل الإسلام ، وقد رأيت كيف أن خطبة الرسول قد برأت من ذلك .

المناقشة

١ ـــ « أيها الناس » ، « إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم » (ا) للفعل « انتهوا » فى العبارات معنيان ـ وضح ذلك .

(ب) لم نادى الرسول الناس ولم ينادى المؤمنين ولا المسلمين ؟ (حـ) « إن لكم معالم » ـ وضح الصورة فى هذه الجملة ، وبين أثرها فى هدف الخطبة . (د) لم كرر معالم ونهاية ؟ (هـ) لم جعل المعالم للمخاطبين ؟ (و) بين أن الجملة « وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم » لها هدف آخر أكثر من التوكيد .

٢ ـــ « إن العبد بين مخافتين : بين أجل قد مضى لايدرى ماالله صانع به ، وبين أجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه »

(ا) لم عبر بلفظ « العبد » ؟ (ب) فى العبارة تفضيل بعد إجمال ـ بينه ووضح أثره .

(حـ) فى التعبير موسيقى ، وضح عناصرها . (د) لم عبر بلفظ أجل عن المدة فى العبارة؟

٣ ـــ « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة بعد الموت » .

(ا) بين علاقة « من نفسه لنفسه » بمابعدها ، ووضح ثمرة هذا المسلك التعبيرى فى المعنى .

(ب) فى العبارة مقابلات بين الألفاظ ـ هل ترى لذلك أثراً فى تحقيق هدف الخطبة؟ وضح .

٤ ـــ « والذى نفس محمد بيده ، مابعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار »

(ا) بين روعة الكناية فى أسلوب القسم . (ب) فى جواب القسم توكيدات مختلفة وضحها وبين وسائلها وأهدافها . (حـ) ماذا يفيد اقتران الجنة بالنار فى هذه العبارة . (د) إذا اعتبرت هذه العبارة ختاماً للخطبة ، فبين قيمتها فى بناء الخطبة ، وبين علاقتها بموضوع الخطبة .

من خطبة لعلى بن أبى طالب (١)

يستنفر أصحابه للقتال

بعد مقتل عثمان بن عفان أقام معاوية بن أبى سفيان فى الشام ، وجمع أنصاراً ، وأخذ يطالب على بن أبى طالب بدم عثمان ، فقامت حروب بينهما ، واستدعت هذه الحروب خطباً كثيرة يلقيها علىّ فى أنصاره ، وفيما يلى جزء من خطبة ألقاها علىّ فى أصحابه يستنفرهم ويلومهم على التوالى فى حرب معاوية .

النص

عِبَادَ اللهِ مَا لَكُمْ إِذَا أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ بَدَلاً ؟ وَبِالذُّلِّ وَالْهَوَانِ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً (٢) ؟

لِلّٰهِ أَنْتُمْ ! تُكَادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ ، وَلاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِى غَفْلَةٍ سَاهُونَ : إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانُ ذُو الْعَقْلِ ، وَبَاتَ لِذُلٍّ مَنْ وَادَعَ ، وَغُلِبَ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَالْمَغْلُوبُ مَقْهُورٌ وَمَسْلُوبٌ (٣) .

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنَّ لِى عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَىَّ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ مَا صَحِبْتُكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّى عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنُّصْحُ لِى فِى الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ ، وَالإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ (٤) .

---

(١) أنظر ترجمة «على» فى باب التراجم . (٢) أن تنفروا : أن تسرعوا . اثاقلتم : أصله تثاقلتم ومعناه تباطأتم . خلفا : عوضا وبدلا . (٣) لله أنتم : عجبا لكم . تكادون : تخدعون ويمكر بكم . تنتقص أطرافكم : تغتصب بلادكم . أو تقتل طوائف منكم . لا تمتعضون : لا تغضبون . لا ينام عنكم : لا يغفل عنكم . ساهون : غافلون . أخا الحرب : صاحبها الذى يلازمها ويمارسها . بات لذل : سهر يعالج الذل مهتما . وادع : سالم وهادن . المتخاذلون : الذين يخذل بعضهم بعضا فهم فى فشل وضعف . مقهور : مرغم ذليل . مسلوب : منزوع السلاح قهراً . (٤) أما بعد : أما حرف شرط وتفصيل . وبعد ظرف مبنى على الضم ومعناه أما بعد ما تقدم فإن . . . النصيحة : قول فيه دعاء إلى صلاح ونهى عن فساد . ما صحبتكم : طول صحبتى إياكم . توفير فيئكم : الفىء الخراج والغنائم والمقصود رواتب

فَإِنْ يُرِدِ اللهُ بِكُمْ خَيْراً تَنْزِعُوا عَمَّا أَكْرَهُ، وَتَرْجِعُوا إِلَى مَا أُحِبُّ، تَنَالُوا مَا تَطْلُبُونَ، وَتُدْرِكُوا مَا تَأْمَلُونَ (٥).

الدراسة والتحليل

الأفكار

بنيت الخطبة على أربعة أجزاء :

١ — يعاتب عليّ أصحابه فى عنف لتثاقلهم وتراخيهم ، وينكر عليهم اغترارهم بمفاتن الدنيا ، ووقوفهم موقف الاستكانة والهوان .

٢ — ثم يبرهن لهم — فى شىء من الهدوء — على رأيه السابق فيهم بأنهم يعتدى عليهم فلا يثورون ، وتغتصب بلادهم فلا يثورون ، وبأن الأعداء ساهرون وهم نائمون وأن رجال الحرب هم الأيقاظ الحذرون ، وأما هم فمتخاذلون مهادنون ، وأنهم لذلك مغلوبون مسلوبون .

٣ — ويفصل لهم بعد ذلك — فى رفق وهدوء — حقهم عليه ، وحقه عليهم فيقول : إن حقهم النصيحة والإرشاد إلى الخير والحق ، وتوفية . . الحقوق من الخراج والمغانم ، والتعليم والتدريب على مبادىء الدين القويم ، وإن حقه الوفاء بالبيعة ، والإخلاص فى الغياب والحضور ، وتلبية دعوته حين يدعوهم إلى الحرب ، وإطاعتُه فى كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه .

٤ — ثم يرغبهم أخيراً فى مناجزة عدوهم ، لينالوا ما يحبون .

التصوير والتعبير

١ — « عباد الله » : نداء حذف منه أداة النداء إشارة إلى رغبته فى سرعة الإبلاغ واختار لفظ « عباد الله » إيحاء بما يجب عليهم نحو خليفة الله ، الأمين على شريعته وتعاليم دينه .

٢ — « مالكم إذا أمرتكم أن تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » : استفهام تعجبى إنكارى ، هدفه الاستثارة ، وذكر « فى سبيل الله » لبيان شدة تقصيرهم .

= الجند وغيرهم . الوفاء بالبيعة : المحافظة على عهدهم الذى عاهدوه عليه حين اختير خليفة . النصح : الإخلاص فى القول والعمل . المغيب والمشهد : فى الغياب والحضور .

(٥) تنزعوا : تقلعوا أو تكفوا .

و « اثاقلتم إلى الأرض » كناية عبرت عن التباطؤ ودليله من لصوق بالأرض . وبين « أن تنفروا » و « اثاقلتم » موازنة بين صنيعهم وواجبهم .

٣ — « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا » استفهام إنكارى أيضاً وفيه تعجب لا من مجرد الرضا ، ولكن من الرضا باستبدال الدنيا بالآخرة ، والمقابلة بين الدنيا والآخرة موازنة مثيرة ، ومثل ذلك ما عطف عليه من قوله « وبالذل والهوان من العز خلفا » فالموازنة بين العز من ناحية والذل والهوان من ناحية أخرى مثيرة أيضاً ، وهى داخلة فى سياق الإنكار والتعجب ، وهذه الموازنات إنما كانت مثيرة ؛ لأنها تشير إلى الخسارة الكبيرة التى يصابون بها حين رضوا بهذا البدل .

٤ — « لله أنتم ! » : أسلوب تعجب ، يتعجب ، من موقفهم ، ويعلن عن حيرته لأمرهم ، كأنه يقول : إن موقفكم لا يقدر على اكتناه سره غير الله علام الغيوب .

٥ — « تُكادون ولا تَكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون ، ولا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون » فى هذه العبارة موازنة بين موقف أصحاب على وموقف أصحاب معاوية وهى تبعث حوافز الحمية فى نفوسهم ، والعبارة اتهام لأصحاب على بالبلادة ، والاستهانة بالواجب ، يريد بها وخزهم لعلهم يتنبّهون .

٦ — « إن أخا الحرب اليقظان ذو العقل » فى « إن أخا الحرب » كناية عن بطل الحرب المظفر ، وقد حملت الدليل على كثرة ممارسة الحروب ، وملازمتها حتى أصبح لا يخلو من مصاحبتها ، فكأنه أخ لها .

٧ — « بات لذل من وادع » كناية عن سهره فى مصاحبة الذل ومعالجة آثاره . والجملة وما بعدها من أقوال على المأثورة التى بدأها من قوله : « إن أخا الحرب » وفيها موازنة أيضاً بين أخى الحرب وبين أصحاب علىّ يرجو علىّ بها أن يثوروا لكرامتهم ، وأن يبرهنوا على إبائهم ، بالنهوض لواجبهم .

٨ — « أما بعد » بمثل هذا يبدأ كثير من الخطباء خطبهم ، وبمثل قوله « عباد الله » يبدأ آخرون . وعلىّ هنا يبد القسم الأول ببدء ، ثم يعود فيستأنف ببدء جديد كأنه جعل خطبته خطبتين ، أو كأنه أضرب عما قال استرضاء لأصحابه وكأنه يقول لهم . دعونا ما مضى ، وتعالوا إلى عهد جديد .

٩ — « فإن لى عليكم حقاً ، ولكم علىّ حقاً » : بين عليكم ، ولكم توازن يوحى بعدل على ، واتجاهاته المتزنة فى معاملة أصحابه .

١٠ — « فأما حقكم . . . » : قد بدأ بحقهم عليه تقديماً لهم على نفسه ، وإيثاراً

يرضيهم ، ويوقظ فيهم معنى المروءة . وهذا بدء لتفصيل الإجمال فى أول هذا القسم ، وهو قوله « فإن لى عليكم ... وإن لكم علىّ حقاً » فهو يفصل الحق .

١١ — « تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب » جواب الشرط « إن يرد » وفيه إيحاء بأن هدايتهم من إرادة الله . وبين هاتين الجملتين مقابلة محكمة ، قدم فيها « تنزعوا » على « ترجعوا » ؛ لأن الكف عن المضىّ فى الشر ، قبل استئناف السير فى طريق الخير .

١٢ — « تنالوا ما تطلبون ، وتدركوا ما تأملون » : من الواضح أن هذا ثمرة الكف عما يكره ، والرجوع إلى ما يحب ، والجملتان بدل من جواب الشرط ، أو بيان له ، ولذلك كان الفعلان مجزومين كفعلى جواب الشرط .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — الخطبة قسمان فى كل منهما جزءان . فنى القسم الأول بين الخطيب حال أصحابه ، وقد كان علىّ فى جزئه الأول عنيفاً ، وفى جزئه الثانى أخذ يهدأ ؛ لأن الجزء الثانى براهين على ما فى الجزء الأول .

وأما القسم الثانى . فقد فصل فيه الخطيب فى الجزء الأول - العلاقة بين على وأصحابه فى صورتها المثلى ، وكان فيه هادئا رفيقاً ، وفى الجزء الثانى من هذا القسم لخص الخطيب الخطبة فى عبارة موجزة هى ختام الخطبة .

٢ — اعتمد الخطيب فى الإقناع على البراهين ، واعتمد فى الاستمالة على العاطفة الدينية ، ثم على الموازنة بين أصحابه وأصحاب معاوية ، وعلى قصر الفقرات ، وعلى التنويع فى الأسلوب ، وعلى الموسيقى اللفظية .

٣ — بدء الخطبة بالنداء ، ثم بدؤها بأما بعد ، دليل على أن عليا بدأ عنيفاً ، ثم عاد إلى نفسه بعد أن رأى من أصحابه استعداداً للاستجابة .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — النص من أثر الصراع على الخلافة بين على ومعاوية .

٢ — الخطيب مؤمن بحقه فى الخلافة ، ومؤمن بحقه على النـاس ، ومؤمن بواجبه نحو دين الله .

٣ — محتويات الخطبة تدل على أن علياً فى خطبه كان يضع دستوراً للعلاقة بينه وبين أصحابه .

٤ — يدل النص على أن علياً قد عانى كثيراً من خلاف أصحابه عليه .

٥ — علىّ أخطب خطباء العرب بعد رسول الله ، فهو قمة شامخة من قمم الخطابة .

العربية ، لا يكاد أحد يجاريه فى قوة الأداء ، وروعة البيان .

٦ — علىّ متأثر بأسلوب القرآن . فقوله « أن تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم » ، وقوله «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا» مقتبسان من القرآن الكريم : ثم قوله : «تنالوا ما تطلبون ، وتدركوا ما تأملون » من تأثره بفواصل القرآن الكريم .

المناقشة

١ — « عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ، وبالذل والهوان من العز خلفا » .

(ا) لم بدأ الخطبة بقوله « عباد الله » ؟ (ب) فى العبارة أسلوبان استفهاميان بين الغرض البلاغى منهما . (حـ) «اثاقلتم إلى الأرض» : بين جمال التصوير فى هذه الجملة .

(د) فى العبارة السابقة وضع الخطيب الكلمة بإزاء ضدها ـ وضح ذلك . وبين القيمة البلاغية لهذا المسلك اللغوى .

(هـ) ماذا أفاد قوله « فى سبيل الله » ؟ وماذا أفاد قوله « إلى الأرض » ؟

٢ — « لله أنتم تكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون » ولا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون » .

(ا) ما معنى « لله أنتم » ؟ (ب) ماذا من البلاغة فى قوله : « ولا ينام عنكم » ؟

(حـ) ما علاقة هذه العبارات بما قبلها ؟

٣ — « إن أخا الحرب اليقظان ذو العقل ، ومات لذل من وادع ، وغُلب المتخاذلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب » .

(ا) عين الصورة فى قوله « أخا الحرب » ، وبين أثرها فى الكلام .

(ب) ما معنى : وادع ، بات لذل ، المتخاذلون ؟

(حـ) « المغلوب مقهُور مسلوب » ـ بين علاقة هذه الجملة بما قبلها ، وبين فائدة : مسلوب ، بعد : مقهور .

٤ — « أما بعد فإن لى عليكم حقاً ، وإن لكم على حقاً ، فأما حقكم على فالنصيحة لكم ما صحبتكم » :

(ا) لم بدأ هذه الفقرة بقوله « أما بعد » ؟ (ب) فإن لى عليكم ... وإن لكم على » علام يدل هذا المسلك اللغوى ؟ (حـ) لم بدأ بذكر حقهم عند التفصيل ؟

(د) ما معنى « ما صحبتكم » ؟

٥ — « فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب تنالوا ما تطلبون ، وتدركوا ما تأملون » .

(ا) بين البلاغة فى ختام الخطبة بهذه العبارة .

(ب) تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب » ما علاقة هاتين الجملتين بما قبلهما وبما بعدهما ؟ وما قيمة المقابلة بينهما ؟

(ح) لم قال « فإن يرد الله بكم خيراً » ولم يقل « فإن أردتم خيراً » ؟

٦ — بين الهدف من خطبة على ، ووضح كيف كان عنفه أولا ، وهدوءه ثانياً وسيلة لتحقيق هذا الهدف .

خُطْبَةٌ لِلْحَجَّاجِ بِالْبَصْرَةِ

هو الحجاج بن يوسف الثقفي من قبيلة ثقيف بالطائف ، وكان في أول أمره معلما للأطفال ، ثم صار جنديا تحت لواء الأمويين ، ولمع نجمه سريعا ، وتولى قتال عبد الله بن الزبير في مكة ، وكوفيء بولايته على الحجاز ، ثم صار واليا على العراق سنة ٧٥ هـ بعد « بشر ابن مروان » فقدم الكوفة ، وخطب فيها خطبة يهدد فيها من يتباطأ عن قتال الخوارج تحت لواء المهلب بن أبي صفرة ، ثم قدم البصرة . فخطب فيها الخطبة التالية :

النَّصّ

أَيُّهَا النَّاسُ ! مَنْ أَعْيَاهُ دَاؤُهُ فَعِنْدِي دَوَاؤُهُ (١) وَمَنِ اسْتَطَالَ أَجَلَهُ فَعَلَيَّ أَنْ أُعَجِّلَهُ (٢) ، وَمَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَعْتُ عَنْهُ (٣) ثِقَلَهُ ، وَمَنِ اسْتَطَالَ مَاضِيَ عُمْرِهِ قَصَّرْتُ عَلَيْهِ بَاقِيَهُ (٤) .

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طَيْفًا ، وَلِلسُّلْطَانِ (٥) سَيْفًا ، فَمَنْ سَقُمَتْ سَرِيرَتُهُ صَحَّتْ عُقُوبَتُهُ (٦) ، وَمَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ رَفَعَهُ صَلْبُهُ (٧) ، وَمَنْ لَمْ تَسَعْهُ الْعَافِيَةُ لَمْ تَضِقْ عَنْهُ الْهَلَكَةُ ، وَمَنْ سَبَقَتْهُ بَادِرَةُ فَمِهِ سَبَقَ بَدَنَهُ بِسَفْكِ دَمِهِ .

إِنِّي أُنْذِرُ ثُمَّ لاَ أُنْظِرُ ، وَأُحَذِّرُ ثُمَّ لاَ أَعْذِرُ وَأَتَوَعَّدُ ثُمَّ لاَ أَعْفُو ، إِنَّمَا أَفْسَدَكُمْ تَرْنِيقُ وُلاَتِكُمْ (١١) ، وَمَنِ اسْتَرْخَى لَبَبُهُ سَاءَ أَدَبُهُ (١٢) . إِنَّ الْحَزْمَ وَالْعَزْمَ سَلَبَانِي سَوْطِي ، وَأَبْدَلاَنِي بِهِ سَيْفِي (١٣) ، فَقَائِمُهُ فِي يَدِي وَنِجَادُهُ فِي عُنُقِي وَذُبَابُهُ قِلاَدَةٌ لِمَنْ عَصَانِي (١٤) . وَاللهِ لاَ آمُرُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَيَخْرُجَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ إِلاَّ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

---

(١) أعياه : أعجزه . داؤه : المقصود العصيان وإثارة الفتن . دواؤه . المقصود عقابه الشديد الذي يبلغ القتل . ومعنى العبارة أن من اشتد عصيانه وطال تمرده وأبى أن يرتدع فإني قاتله . (٢) استطال أجله : رأى أجله طويلا . والمراد بالأجل مدة العمر ، أعجله : أقرب له أجله بقتله . ومعنى العبارة : من سلك مسلكا يدل على رغبته في إنهاء حياته فأنا أحقق له رغبته . (٣) ثقل عليه رأسه : شعر بأنه يريد أن يستريح من رأسه . وضعت عنه ثقله : أزلت رأسه عن جسمه أي قطعته . والمعنى من فعل من المعاصي ما يدل على أن رأسه أصبح ثقيلا بكثرة مايدور فيه من أفكار شريرة خفضنا عليه ، فأزحنا رأسه ليستريح =

الدراسة والتحليل

الأفكار

تدور أفكار الخطبة حول إرهاب أهل البصرة وإشعارهم بأنهم سيحكمون بيد من حديد ، وقد اشتملت على ما يأتى :

١ — تهديد العصاة المتمردتين المثيرين للفتن ، وتوعدهم بالقتل ، إذا لم ينتهوا عن

= جسمه ، (٤) استطال ماضى عمره : أى أبدى أن المدة التى عاشها كافية بكثرة ما اجترم اختصر نا له المدة الباقية . ومنعناه المضى فى سبيل الحياة .

(٥) إن الشيطان طيفا : الشيطان رمز للشر والخبث والمكر السىء . والطيف : الخيال يراه النائم . والمراد أن الشر قد يطوف برأس بعض الناس فيوسوس لهم بالمعاصى وإثارة الفتن وتدبير المكايد . وللسلطان سيفا : السلطان : الحاكم ونوابه وعماله ، والسيف رمز للعقاب ، والمعنى : من حدثته نفسه باقتراف الإثم كان العقاب القاتل له بالمرصاد . (٦) سقمت : مرضت . سريرته : ما يكتمه الإنسان فى نفسه من نيات . صحت عقوبته : حقت وحلت وكانت عادلة . والمعنى : من ساءت نيته وخبثت نفسه وجب عليه العقاب . (٧) وضعه ذنبه : جعله وضيعا ذليلا . رفعه صلبه : قتل وصلب . والمعنى من أذنب فاتضع ، فليس له سبيل إلى الرفعة إلا القتل والصلب ، فوق جذوع الأشجار ، أو أعواد المشانق .

(٨) تسعه العافية . العافية الصحة التامة ، وسعته العافية : أطاقها واحتملها . لم تضق عنه الهلكة : الهلكة الموت . . ولم تضق عنه : اتسعت له ، والمعنى من أتيحت له السلامة فأباها بعصيانه وتمرده كان جزاؤه الموت ، (٩) سبقته بادرة فمه : البادرة هى ما يفلت من لسان المتكلم بلا تفكير فى أثناء حدة الغضب أو نحوها . والمقصود القدح فى الولاة والطعن فى الحكام . بدنه : البدن جسم الإنسان ما عدا رأسه وأطرافه . سفك دمه : صبه . والمعنى أن من أطلق لسانه فى الولاة بلا تحفظ قتلناه فسبق رأسه بدنه كما سبقت كلماته عقله . (١٠) أنذر : أخوف . أنظر : أمهل وأؤخر العقوبة . أعذر : أرفع اللوم والذنب . أتوعد : أهدد . (١١) ترنيق ولاتكم : توقفهم عن إقامة حدود الله . (١٢) استرخى . لان : لببه : اللب سير فى صدر الدابة يشد به الرحل ومعنى العبارة أن التساهل فى معاملة الرعية وعدم أخذها بالحزم مفسدة لأدبها . (١٣) الحزم : ضبط الأمور وإحكام الإعداد لها والتفكير فيها ، والدقة فى تنفيذها . العزم : الهمة فى الإنجاز . سلبانى : انتزعاه منى . السوط : جلد مضفور يضرب به . (١٤) قائمه : مقبضه . نجاده : حمائله . ذبابه : حده . قلادة : عقد . والمراد يطوق به عنق من عصاه .

ضلالهم ، فكأنه يقول لهم « إذا كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً » ، ففي الجزء الأول من الخطبة يشير إلى أنه طبيب كل داء عضال ، وليس طبه غـــير الاستئصال ، فمن كان داؤه ثقل الرأس قطعناه ، ومن كان داؤه السأم لطول العمر عجلناه ، وكل ذلك تهديد ووعيد .

٢ — وفى الجزء الثانى يتجه الحجـاج إلى طبقة من العصاة أفـل تمرداً وعصياناً ، فهم يحدثون أنفسهم بالخروج عن الطاعة ، وهو يحذرهم ، أن يطيعوا الشيطان أو يجروا فى ميدانه ، فإن السيف لهم معه بالمرصاد .

٣ — والقسم الثالث يضع لهم دستوراً واضحاً يلتزم به ولا يحيد عنه ، ويريد أن يلتزموا به ، رائده الحزم والعزم فلا إمهال بعد الإنذار . ولا عذر بعد التحذير ، ولا عفو بعد الوعيد ، ولا تسامح كتسامح الولاة السابقين ، ولا تراخى يفسد . ولا لين يطمع ، ولا مكان للسوط فى مجال العقاب ، والسيف فى يده مقبضه ، وفى عنقه حمائله ، وفى أعناق العصاة حده ، والقتل لمن انحرف قيد شعرة عن أمر يصدر ، أو نهـى يوجه .

التصوير والتعبير

١ — أيها « الناس » : نداء جاف يحمل معنى الحرص على العجلة فى الإبلاغ . فلم يمهد تمهيداً . ولم يقدم مقدمة ، ولم يرغبهم فى الإصغاء ، بل مضى إلى مايريد كالسيف .

٢ — « من أعياه داؤه فعندى دواؤه »،شبه حال أهل البصرة فى تمكن الشر من نفوسهم وعجزهم عن التخلص من خبثهم ، ومضيهم فى إثارة الفتن وتدبير المكايد ، إلا إذا فارقوا الحياة — بحال مريض بداء عضال ليس له دواء معروف وقد عجز الأطباء عن علاجه إلا بالبتر والاستئصال أو الموت ، واستعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية وبين إعياء الداء فى الشرط ، وتوافر الدواء فى الجواب مقابلة ساخرة ، وبين الداء والدواء سجع يبعث نغماً موسيقياً يوقف عنده .

٣ — « ومن استطال أجله فعلى أن أعجله » : فى استطالة أجله كناية عن إتيان الآثام الذى يدل على أن صاحبها زاهد فى الحياة ، مستهين بها ، شاعر بأنها طالت طولا لايرغب فيه . « وعلى أن أعجله » كناية عن إنهاء الحياة بالقتل وبين جملتى الشرط والجواب تقابل يؤكد المعنى ، ويوحى بالتهـــكم والاستهزاء ، وبينهما انسجام لفظى يبعث لوناً من الموسيقى الساخرة .

٤ — « ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله » : جملة الشرط كناية عن استحقاق الموت ، وذلك أنه دليل على الرغبة فى الموت ، والتخفف من ثقل الرأس ، باقتراف الجرائم التى تؤدى إلى القصاص بالقتل . وجملة الجواب كناية عن القتل نفسه ؛ لأنه إزالة الرأس

عن موضعه ، وإنزاله عن الكتفين وهى تحمل معنى التهكم والسخرية ، وبين ثقل عليه ووضعت عنه مقابلة .

٥ — « ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه » كنايتان أيضا مثل قوله السابق « ومن استطال أجله » . وبين جملتى الشرط والجواب تقابل يوحى — كما يوحى سائر الجمل — بأن الشرط يوازن الجواب ، وأن الجزاء يعادل الذنب ، وفى هذا المسلك سخرية كذلك .

٦ — « إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا » : إن للشيطان طيفا كناية عن سيطرة الشر على بعض النفوس فى البصرة وخضوعها لهذه السيطرة واندفاعها فى طريق الآثام .
« وللسلطان سيفا » : مجاز مرسل فى السيف ، فالمراد العقوبة القاتلة ، مقابلة للشر الذى دفع إليه الشيطان ، وبين سيفا وطيفا موسيقى جميلة هازئة .

٧ — « فمن سقمت سريرته صحت عقوبته » : استعارة تصريحية فى « سقمت » عبر فيها عن خبث النفس وسوء النية بالسقم ؛ لأن فى كل منهما بعدا عن الاعتدال ، وانحرافا عن السلامة ، والبرء . والبراءة . وبين السقم والصحة مقابلة لوحظ فيها التعادل ، وبين سريرته وعقوبته انسجام فى الحروف الأخيرة فيه موسيقى مؤثرة تؤيد المعنى .

٨ — « ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه » جملة الشرط كناية عن هبوط المنزلة بالإثم ، وجملة الجواب كناية عن القتلة الشنيعة التى يصاحبها التشهير . و بين الوضع والرفع مقابلة ساخرة ، وبين ذنبه وصلبه موسيقى تمتع وتسهم فى تحقيق هدف الخطبة .

٩ — « ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة » : فى كل من العافية والهلكة استعارة مكنية ، شبه كلا منهما بالموضع الذى يضيق ويتسع ، وحذف الموضع ورمز له بشىء من لوازمه ، وهو السعة والضيق ، وفيهما إيحاء بأن أهل البصرة قد أشروا وبطروا ، وغرتهم السلامة فتصرفوا كأنما يبغضون الصحة والأمن ، ويرغبون فى الهلاك والدمار .

١٠ — « ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنه بسفك دمه » . « فى سبق بدنه » كناية عن قطع رأسه وأطرافه وطرحها بعيداً عن بدنه ، والتعبير « بسبق » فى الجواب ، مراعاة للفظ الشرط ، وفيه سخرية وهزؤ ، وبين فمه ودمه انسجام فى النطق يبعث نغماً موسيقياً مؤثراً فى تحقيق هدف الخطبة .

١١ — « إنى أنذر ثم لا أنظر ، وأحذر ثم لا أعذر ، وأتوعد ثم لا أعفو » هنا بدأ الحجاج يرسم سياسته بعد التهديد والتحذير . والجمل الثلاث متتابعة يركب بعضها بعضا تهدر كالبحر الغاضب ، وليس السجع فيها إلا موسيقى الموج الصاخب ، أو كأنها قرع الطبول يسبق الضرب والطعن فى المعارك .

١٢ — « وإنما أفسدكم ترنيق ولاتكم » هذا تعليل لما قبله ، فهو يرسم سياسته علاجا لهذا الفساد . وإصلاحا لذلك العوج الذى صاروا إليه بضعف الولاة وعجزهم عن تنفيذ خطة حازمة . وقد حصر لهم أسباب الفساد فى ترنيق الولاة ، وقد أشار إلى ذلك بالتعبير بالحرف « إنما » .

١٣ — « ومن استرخى لببه ساء أدبه » شبه أهل البصرة ، وقد لان حكامهم ورقوا وتهاونوا فى حقوقهم ، فأفلت الزمام من أيديهم ، واضطرب حبل الأمن واختل النظام فعجزوا عن إدارة شئون الأمة ورعاية مصالحها والحفاظ على مقوماتها — بحال دابة لم يشد حزامها ، فاضطرب رحلها ، ومال الراكب على ظهرها ، وعجز عن الاستواء فوق صهوتها ، ثم استعيرت الألفاظ الدالة على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية .

١٤ — « إن الحزم والعزم سلبانى سوطى وأبدلانى سيفى » المراد بالسوط المسلوب العقوبة الخفيفة ، والمراد بالسيف العقوبة العنيفة ، فهما مجازان علاقتهما السببية ، وأما أن الحزم والعزم يسلبان ويبدلان فهو مجاز من لون آخر ، والعبارة توحى بضعف العقاب بالسوط ، وشدة العقاب بالسيف وتحمل معنى التهديد ، وفيها تعريض بضعف الولاة السابقين ، وأن الحزم يعوزهم ، والعزم ينقصهم ، وأن ذلك شىء قد مضى زمانه ، ولم يبق إلا العنف والقسوة على المعاندين العصاة . والمنابذين الجفاة .

١٥ — « فقائمه فى يدى ، ونجاده فى عنقى » . الجملة الأولى كناية عن السرعة فى العقاب والثانية كناية عن الاستعداد النفسى والحسى الدائم لهذا العقاب .

١٦ — « وذبابه قلادة لمن عصانى » تشبيه شبه فيه حد السيف بالقلادة يقلدها من عصاه كفاء عصيانه ، وهو تشبيه ساخر .

١٧ — « والله لا آمر أحدكم أن يخرج ... » أقسم بالله ليؤكد أنه حريص على إنفاذ أمره فى كل شىء مهما يكن صغيراً ، وإن تكن مخالفته لا خطر فيها كالخروج من باب دون باب ، وهو يريد أن يعلمهم الطاعة المطلقة ، وألا يترك الحرية فى شىء إلا بأمره .

نظرة بلاغية

١ — أغفل الحجاج مقدمة الخطبة ، ومضى إلى هدفه من الوعيد والتهديد والتحذير ، ورسم الخطة .

٢ — بعد أن هدد وتوعد وحذر وأنذر ، أخذ يؤكد أن إنذاره يتبعه الإنجاز ، وأن تهديده يتبعه التنفيذ ، ثم ختم الخطبة بما يلخص هدفها ، وهو الطاعة العمياء .

٣ — اعتمد الحجاج فى تحقيق هدفه فى الخطبة على وسائل فنية كثيرة ، منها حمل جمهوره على أجنحة من خياله فى وعيده وإنذاره ، ومنها قصر الفقرات ، ومنها الترادف فى المعانى والألفاظ أحيانا ، والإلحاح على المعنى الواحد إلحاحاً يشعر السامعين بإصراره وصلابته ، ومنها المقابلة بين الكلمات ، والعبارات، ومنها الجرس الموسيقى الصاخب الذى يبعث الرهبة والفزع فى القلوب، ومنها قوة العبارة وجزالة التركيب ومتانة النسج للكلام .

نظرة أدبية

١ — النص من أصداء الصراع على الحكم فى العصر الأموى ، فقد كان الحجاج يخطب فى البصرة بعد خطبته فى الكوفة تمهيداً لإمداد الكتائب التى تحارب الخوارج فى أطراف الدولة الإسلامية فى العهد الأموى .

٢ — ويدل النص على أن العراق كان ثائراً على بنى أمية ، وأن الولاة قبله لم يستطيعوا أن يسوسوه فى ظل الأمويين .

٣ — وكان الحجاج جباراً عنيداً ، لا يأبه بسفك الدماء ،ولا يهمه إزهاق الأرواح ما دام ذلك يجعل الأمن مستقراً .

٤ — الحجاج من الخطباء المعدودين فى اللغة العربية بعامة ، وفى العصر الأموى بخاصة

٥ — كانت الخطبة الناجحة فى العصور الأولى للغة العربية وسيلة من وسائل النجاح للوالى ؛ لأن لها أثراً فى هيبة الحاكم وإجلاله ، وفى تقوية شخصيته فى نفوس رعيته .

المناقشة

١ — « أيها الناس من أعياه داؤه فعندى دواؤه » .

(ا) اشرح الصورة البلاغية فى هذه العبارة وبين أثرها فى خطبة الحجاج .

(ب) لِمَ لمْ يحرص الحجاج على إيراد مقدمة لخطبته ؟ بين أثر بدئه بقوله : « أيها الناس » فحسب . (ح) لخص أفكار الحجاج فى خطبته ، وضع للخطبة عنوانا يشير إلى هدفها وموضوعها .

٢ — « ومن استطال أجله فعلى أن أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله » .

(ا) بين الخيال فى قوله « ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله » ووضح أثره فى الخطبة

(ب) ما المقصود بقوله « ومن استطال أجله » ؟

(ج) فى هذه العبارة وسيلة فنية غير التصوير ـ وضحها .

٣ — « إن للشيطان طيفاً ، وللسلطان سيفاً ، فمن سقمت سريرته صحت عقوبته » .

(ا) ما علاقة « فمن سقمت » بما قبلها ؟ (ب) استخرج صورة بلاغية فى العبارة واشرحها .

(حـ) وضح وسيلة فنية غير التصوير فى العبارة ، وبين أثرها فى تحقيق الهدف .

٤ — « ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة » .

(ا) وضح صورة بلاغية فى هذه العبارة ، وبين أثرها فى الخطبة .

(ب) جمال التعبير فى هذه العبارة أشد تأثيرا واستمالة من التصوير . اشرح ذلك . وحدد مواضع هذا الجمال .

٥ — « من سبقته بادرة فمه سبق بدنه بسفك دمه » .

(ا) اشرح هذه العبارة بعبارة من إنشائك .

(ب) لم حرص الحجاج على الأسلوب الشرطى فى هذه العبارة ؟

(حـ) بين الحكمة فى إعادة لفظ الشرط فى الجواب .

٦ — « ومن استرخى لببه ، ساء أدبه » .

(ا) بين علاقة هذه العبارة بما قبلها . (ب) بين الصورة البلاغية فيها ووضح أثرها فى الكلام .

٧ — « إن الحزم والعزم سلبانى سوطى وأبدلانى سيفى » .

(ا) ما الهدف من التعبير بالسوط وبالسيف ؟ (ب) كيف سلبه الحزم والعزم سوطه ، وماذا فيه من بلاغة ؟

٨ — « فقائمه فى يدى ، ونجاده فى عنقى ، وذبابه قلادة لمن عصانى » .

(ا) هل ترى خلافاً بين معنى الجملة الأولى ومعنى الجملة الثانية فى هذه العبارة ؟ وضح ما تقول . (ب) بين الصورة فى قوله « وذبابه قلادة لمن عصانى »

٩ — ختم الحجاج خطبته بقوله « والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه » .

(ا) ألا ترى الحجاج متعنتا فى قوله هنا ؟ وضح ما تقول .

ب) لم أقسم الحجاج فى هذه العبارة دون غيرها ؟

حـ) إذا كانت العبارة ختاماً للخطبة . فما علاقتها بالخطبة من حيث المعنى واللفظ ؟ وما مدى توفيق الحجاج فيها ؟

أبو حمزة الشارى

يصف أصحابه

هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى من أهل البصرة ، وهو من رؤساء الخوارج ، (وكلمة الشارى ليست لقباً له ، لكنها صفة لكل خارجى ، أى بائع نفسه فى سبيل الله . وكل الخوارج يُدْعَوْنَ الشُّراة) .

وقد قدم مكة على رأس جيش من الخوراج سنة ١٢٩ ﻫ ، ودخلها وأصحابه يرفعون العمائم السود على رءوس الرماح ، فكره الوالى الأموى على مكة أن يقاتلهم فى مكة لحرمتها . ففتح لهم الطريق ، ودخلوها بغير قتال ، وخطب أبو حمزة الخطبة التالية ، وقتل أبو حمزة بالقرب من مكة سنة ١٣٠ ﻫ .

يَاأَهْلَ مَكَّةَ ، تُعَيِّرُونِى (١) بأصْحَابِى ، تَزْعُمُونَ (٢) أَنَّهُمْ شَبَابٌ ، وَهَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إلاَّ شَبَابًا ؟ شَبَابٌ ـ وَاللهِ ـ مُكْتَهِلُونَ (٣) : عَمِيَةٌ (٤) عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ بَطِيئَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ .

قَدْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِمْ فِى آنَاءِ (٥) اللَّيْلِ ، مُنْثَنِيَةً أَصْلاَبُهُمْ بِمَثَانِى الْقُرْآنِ (٦) ، إِذَا مَرَّ أَحَدُهُمْ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ بَكَى شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ شَهَقَ (٧) شَهْقَةً كَأَنَّ زَفِيرَ (٨) جَهَنَّمَ فِى أُذُنَيْهِ . قَدْ وَصَلُوا كَلاَلَ لَيْلِهِمْ بِكَلاَلِ (٩) نَهَارِهِمْ ، أَنْضَاءُ (١٠) عِبَادَةٍ ، قَدْ أَكَلَتْ (١١) الأَرْضُ جِبَاهَهُمْ

---

(١) تعيرونى : تنسبوننى إلى العار وتقبحون عملى ، وتعدونه من العار) .

(٢) تزعمون : تدعون . (٣) مكتهلون : الكهل ماجاوز الثلاثين إلى الخمسين . والمراد لهم رزانة الكهول . (٤) عمية : صفة من الفعل عمى أى لايبصر ، والمراد أنهم يعرضون عن الشر فلا يرونه . (٥) نظر الله إليهم : رضى عنهم . آناء الليل : ساعات الليل . (٦) منثنية : منحنية . أصلابهم : جمع صلب وهو عمود الظهر ، والمراد ظهورهم . مثانى القرآن : آيات القرآن ، وسمى القرآن مثانى لاقتران آيات الرحمة بآيات العذاب فيه . (٨) شهق : تردد البكاء فى صدره . (٨) الزفير : صوت النار .

(٩) كلال : تعب وإعياء . يريد أنهم دائبون على العبادة ولا يستريحون .

(١٠) أنضاء : جمع نضو (بكسر النون) وهو المهزول من الحيوان .

(١١) أكلت جباههم : أخذت منها .

وأيديهم وركبهم ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام ، وطول القيام ، مستقلون (١٢) لذلك في جنب الله ، موفون بعهد الله ، مستنجزون لوعد الله .

إذا رأوا سهام العدو قد فوقت (١٣) ، ورماحه قد أشرعت ، وسيوفه قد انتضيت (١٤) ، وبرقت الكتيبة ، ورعدت بصواعق الموت (١٥) — استهانوا بوعيد (١٦) الكتيبة لوعد الله . فمضى الشاب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه (١٧) ، قد رملت محاسن وجهه بالدماء (١٨) ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ، فكم من مقلة (١٩) في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كف بانت (٢٠) عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكم من خد عتيق (٢١) ، وجبين قد فلق بعمد الحديد . رحمة الله على تلك الأبدان . وأدخل أرواحها في الجنان (٢٢) .

الدراسة والتحليل

الأفكار

تدور خطبة أبي حمزة حول الأفكار الآتية .

١ — زجره أهل مكة ، وتفنيد مازعموا من أن أصحابه لاخبرة لهم ولاتجربة ؛ لأنهم شباب ، فيقول إن أصحاب رسول الله كانوا شبابا ، ولنا فيهم أسوة ، وأصحابي شباب

---

(١٢) مستقلون : يرونه قليلا . جنب الله : حقه ، مستنجزون : طالبون بعملهم تحقيق وعد الله لأهل التقوى من مغفرة وثواب . (١٣) فوقت : ركبت في الأفواس للرمي . أشرعت : صوبت . (١٤) انتضيت : استلت من أغمادها . (١٥) صواعق : جمع صاعقة وهي جسم ناري مشتعل يسقط من السماء في رعد شديد ، فتهلك من تصيبه .
(١٦) وعيد الكتيبة : نذر الشر التي تحملها . (١٨) قدما : القدم الرجل الشجاع ، أو ظرف معناه : إلى الأمام . حتى تختلف رجلاه : تأتي رجل بعد رجل في أثناء سقوطه من فوق فرسه . (١٨) رملت بالدماء : لطخت . (١٩) مقلة : عين .
(٢٠) بانت : قطعت وفصلت . (٢١) عتيق : كريم الأصل والنسب . فلق : شق عمد : جمع عمود . (٢٢) الأبدان : الأجسام . الجنان : جمع جنة .

توافرت لهم حكمة الكهول ؛ فهم على حداثتهم أهل عفة وترفع لايجول بخاطرهم شر ، ولاتحملهم أقدامهم إلى باطل .

٢ — ثم يبرز صورتهم أتقياء يطيعون الله ، ويبيتون ساهرين يرتلون كتاب الله ، ويتطلعون إلى رَوْح الجنة باكين ، ويهلعون من هول النار شاهقين ، ويقبلون على العبادة مثابرين فى غير رفق بأنفسهم ، صائمين بالنهار ، قائمين بالليل ، حتى نالت الأرض منهم فى سجودهم ، وهزلت أجسامهم ، وشحبت ألوانهم ، وهم - مع ذلك - يستصغرون مايفعلون ، ويودون لو يوفون بعهد الله ، ويستنجزون وعده بعبادتهم .

٣ — ويصور إقبالهم على الجهاد فى سبيل الدين ، فإذا أعد العدوّ عدته من سهام ورماح وسيوف ، وأنذرت كتيبته بالشر المستطير ، خاضوا غمار الحرب يلقون الموت الأحمر راغبين فى الاستشهاد . مستهينين بصواعق الكتيبة ورعدها وبرقها ، ومضوا قدما حتى يلقوا ربهم على صهوات خيلهم ، ثم يخروا صرعى يتمرغون فى التراب ، وتهوى الوحوش إليهم ، وتنقض الطيور إلى أجسادهم تنهشها . ولكم عين ترى فى منقار طائر ، أو كف فى فم وحش ، أو رأس ملق على الأرض وهو مفلّق بعمود من حديد فرحمهم الله وأدخلهم فى جناته ،

التصوير والتعبير

١ — « يأهل مكة ، تعيرونى بأصحابى ، تزعمون أنهم شباب » : النداء للزجر ، والجملتان الفعليتان استفهام حذفت أداته ويراد به الإنكار والتعجب . وجملة تزعمون بدل من تعيرونى ، فهو بدل يوضح التعبير . و « أنهم شباب » كناية عن ضآلة التجارب ، وضحالة الخبرات .

٢ — « وهل كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا شبابا ؟ » الاستفهام للنفى ، وفى العبارة تشبيه ضمنى يشبه أبو حمزة فيه أصحابه بأصحاب رسول الله فى التقوى والطاعة وحداثة السن ، وأسلوب الاستفهام برهان يقدمه الخطيب للإقناع .

٣ — » شباب والله مكتهلون ، عمية عن الشر أعينهم . بطيئة عن الباطل أرجلهم » هذا تفصيل لصفات أصحاب أبى حمزة ، وشباب خبر لمبتدأ محذوف : أو بدل من شباب فى جملة « إنهم شباب » وعلى هذا الرأى تكون جملة الاستفهام معترضة . وفى « شباب مكتهلون » تشبيه للشباب بالكهول فى رزانتهم . والقسم المعترض يبرز عاطفة الخطيب وثقته فيما يخبر به ، لكنه يشعر بأنه غريب على السامعين ، ولذلك يؤكده بالقسم .

و « عمية عن الشر أعينهم » استعارة تصريحية ، شبه فيها الصدوف عن الشر الذى

يعترض طريقهم ليغريهم بالوقوع فيه ولا تراء أبصارهم بالعمى . « وبطيئة عن الباطل أرجلهم كناية عن تجنبهم الآثام والذنوب .

٤ — « قد نظر الله إليهم فى آناء الليل » كناية عن رضاه عنهم .

٥ — « مثنية أصلابهم بمثانى القرآن » كناية تصور رغبتهم فى تلاوة القرآن وحرصهم على الاندماج فيه ، وشغفهم به تصويرا حسيا : ومثانى القرآن مجاز مرسل لأن المراد القرآن كله . وذكر الأصلاب وأراد الظهور على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الأصلاب بعض الظهور وقوامها .

٦ — « إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها ،وإذا مر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم فى أذنيه » : قابل الجنة والشوق إليها ، بالنار والفزع منها ، مع البكاء فى الحالين إشارة إلى أنه متأثر حتما بالقرآن سواء منه آيات الرحمة وآيات العذاب : وقوله « كأن زفير جهنم فى أذنيه » كناية عن عمق شعوره بما يقرأ حتى ليحس صوت جهنم يملأ أسماعه حين يقرأ آية فيها ذكر جهنم ، فالكناية تصور أثر القرآن فى قارئه من الخوارج تصويرا حسيا لشدة الخشية من عذاب الله .

٧ — « وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم » كلال الليل كناية عن قيامه بالعبادات المختلفة بالليل من صلاة وقراءة وجهاد أحيانا ، وكلال نهارهم كناية عن الصيام والصلاة والجهاد كذلك ، وقد صورها بآثارها من التعب والإعياء ، وصورها حسية بقوله « وصلوا » كأنها حبال ممدودة .

٨ — « أنضاء عبادة » توكيد لمتاعب العبادة بالليل وبالنهار ، وفى الأنضاء استعارة تصريحية شبه فيها أصحابه فى هزلهم ونحولهم بالإبل التى هدتها الأسفار وحمل الأثقال وعبر بالأنضاء عن أصحابه على سبيل الاستعارة :

٩ — « أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم » استعارة تصريحية أيضا عبر فيها بالأكل عما أخذت الأرض من أعضائهم ، ونقصت من جلودهم . بكثرة الصلاة والسجود .

١٠ — « سهام العدو قد فوقت ، ورماحه قد أشرعت . وسيوفه قد انتضيت » كناية عن الاستعداد التام للمعركة .

١١ — « برقت الكتيبة . ورعدت بصواعق الموت » شبهت الكتيبة التى تحارب الخوارج فى استعدادها مع لمع السيوف وصليلها فى النقع المثار ، وأصوات الرماح وقعقعتها ، وما تنذر به من قتال يسقط الأبطال فيه صرعى — بالطبيعة الثائرة فى يوم عاصف وقد غامت السماء ، ورعدت ، وبرقت ، وسقطت الصواعق المدمرة ، وما يصحب ذلك من هول ، وحذفت الطبيعة ورمز لها بالبرق ، ثم ذكر الرعد والصواعق ترشيحا وتوكيدا على سبيل الاستعارة المكنية ، وهى صورة تبعث الرعب فى النفوس ، وتنخلع لها القلوب هلعا وجزعا ، وتمثل

المعركة فى صخبها وضوضائها ، وما يصحبها من تطاير رءوس ، وإزهاق أرواح ، لكن أصحاب أبى حمزة لا يحفلون ولا يأبهون ، بل يتقدمون ، ويخوضون الموت خوضا .

١٢ — « استهانوا بوعيد الكتيبة لوعد الله » ، موازنة بين الوعيد والوعد ، وانتصار للوعد ؛ لأنه وعد الله . والوعيد كناية عن الخطر الداهم الذى يوحى به استعداد الكتيبة ، ويمكن أن يكون وعيد الكتيبة استعارة تصريحية ؛ لأنه يشبه التهديد بالقول الذى يسبق وقوع الأذى .

١٣ — « تختلف رجلاه على عنق فرسه » كناية عن مصرع الفارس على صهوة جواده ، وقد عبر عن سقوطه بالمظاهر الحسية التى تصاحب مصرعه عند سقوطه على الأرض ، وهى توحى بالشجاعة والكفاح إلى آخر رمق فى الحياة .

١٤ — « وقد رملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى . وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء » هذا تصوير معجب ، لأن الخطيب يستخدم فيه ألفاظا توحى بمظاهر حسية متتابعة ، فترسم صورة مجسمة كأنها واقعة أمام عينك ، ومثل ذلك « كم من مقلة فى منقار طائر ... وكم من كف بانت ... ، وكم من خد عتيق ، وجبين رفيق قد فلق .... » .

والحق أن الخطيب بارع جدا فى هذا التصوير الحسى الذى يلتقط فيه من الواقع مشاهد تثير صورا مجسمة . على أنه يزيد على ذلك بيان قيمة كل مشهد ليكون الرسم مؤثرا ، فالمقلة كانت تبكى من خشية الله فأصبحت فى منقار الطائر ، والكف كانت عمادا لدى السجود ، فأصبحت فى فم وحش ، والخد العتيق كان يسجد لله فأصبح مفلقا معفرا بالثرى ، وهكذا .

١٥ — « رحمة الله على تلك الأبدان . أدخل أرواحها فى الجنان » .

دعاء بالرحمة للأجسام ، وبالجنة للأرواح . وهو ختام موفق ؛ لأنه أعظم نهاية يرجوها الخوارج من جهادهم ، ولا يبتغون بها بديلا .

نظـرة بلاغيـة

١ — دافع أبو حمزة عن أصحابه دفاعا مجيدا ، وقد أبرز فى دفاعه مقومات الشاب من الخوارج : عفة وترفعا عن الخطايا ، إخلاصا فى عبادة الله . وصدقا فى اللقاء .

٢ — أفكار الخطيب مترابطة تكاد تمتزج فتكون فكرة واحدة مرتبة الأجزاء مسلسلة الخواطر .

٣ — للخطيب قدرة فائقة على التصوير الحسّى بالألفاظ التى تثير مظاهر مادية متتابعة يرسم بها مشهدا يكاد يبرز أمام العيون والأبصار .

٤ — وهو - إلى ذلك - يراوح بين الجمل القصيرة والطويلة على حسب مقتضيات المعنى الذى يعبر عنه ، وهى غالبا ذات جرس موسيقى مؤثر .

٥ — وأسلوبه قوى النسج ، متين التركيب ، جزل الألفاظ .

٦ — الخطيب متأثر بأسلوب القرآن الكريم .

نظـــرة أدبيـــة

١ — يصور النص حياة الخوارج تصويرا صادقا لحياتهم تكاد تكون قسمة بين العبادة، والحرب فى سبيل الله ،

٢ — والنص صورة صادقة أيضا لأدب الخوارج بما فيه من قوة ، وصدق ، وروح دينية ، وتأثر بالقرآن الكريم .

٣ — تبرز شخصية أبى حمزة من ثنايا كلماته ، فهو زعيم مخلص لأنصاره حريص على سمعتهم ، معتز بجهادهم ، وهو فصيح اللسان قوى الإيمان .

٤ — تعاليم الخوارج تغرى الشباب ، وتظفر بإعجابهم ؛ لأن قوامها حماسة وتضحية ، واستهانة بالآلام فى سبيل مبادىء الدين ، وعمادها المساواة بين المسلمين جميعا من كل جنس وقبيل فى الحقوق والواجبات وإذا كان الأمر كذلك ، فليس سوى الشباب من يقدر على ممارسة هذه التعاليم ممارسة عملية دائبة .

المناقشة

١ — « يأهل مكة تعيرونى بأصحابى ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا شبابا ؟ شباب والله مكتهلون ، عمية عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم » .

(ا) ما الغرض من النداء ؟ (ب) « تعيرونى بأصحابى » هل يمكن أن يكون أسلوبا خبريا ؟ وضح ما تقول . (ج) ما الغرض من الاستفهام فى العبارة ؟ (د) ما علاقة « شباب والله مكتهلون » بما قبلها ؟ (ه) فى « عمية عن الشر أعينهم » صورة ، وفى « بطيئة عن الباطل أرجلهم » صورة - بين لون كل صورة ، وقيمتها البلاغية .

٢ — « كأن زفير جهنم فى أذنيه » وضح الصورة فى هذه العبارة وأثرها فى الكلام .

٣ — « أنضاء عبادة قد أكلت الأرض جباههم » فى هذه العبارة صورتان ، وضحهما وبين أثرهما فى الكلام .

٤ — « برقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت » اشرح هذه الصورة وبين أثرها فى تحقيق هدف الخطبة .

٥ — « فمضى الشاب منهما قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه » .

(ا) ما معنى « قدما » ؟ (ب) ما الصورة فى العبارة ؟ وما جدواها ؟

٦ — اعتمد أبو حمزة فى التأثير والإقناع على التصوير الحسى الذى ليس فيه صور خيالية أحياناً — اشرح هذه القضية مع التمثيل .

٧ — تعاليم الخوارج تشع من خلال هذا النص — اذكر ثلاثة مبادىء منها .

٨ — ما الأفكار الأساسية التى اشتملت عليها الخطبة ؟

الرسائل

من أين لك هذا ؟

لعمر بن الخطاب

كان عمر بن الخطاب يحصى أموال الولاة قبل توليتهم ليحاسبهم على الزيادة فى أثناء الولاية ، ومن احتج منهم بأن الزيادة كانت من تجارة قال له : « إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً ، وكان يعتبر الهديّة للعامل رشوة ، وكان يضع الرقباء ليبلغوه أحوال الولاة ، فإذا وجد شبهة قاسم الوالى ، وربما عزله وعاقبه . وإليك نصاً يشير إلى شىء من ذلك .

النّصّ

(أ)

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَالِي مِصْرَ :

مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامُ اللهِ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ : بَلَغَنِي أَنَّهُ فَشَتْ لَكَ فَاشِيَةٌ (١) مِنْ خَيْلٍ وَإِبِلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ وَعَبِيدٍ ، وَعَهْدِي بِكَ (٢) قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ لَا مَالَ (٣) لَكَ ، فَأَنَّى لَكَ هَذَا (٤) ؟

وَلَقَدْ كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَلَكِنِّي قَلَّدْتُكَ (٥) رَجَاءَ غَنَائِكَ ، فَاكْتُبْ إِلَيَّ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟ وَعَجِّلْ .

(ب)

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٌو .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانِي كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، يَذْكُرُ فِيهِ فَاشِيَةَ مَالٍ

---

(١) فشت لك فاشية : فشا ظهر وانتشر ، وفشت الإبل كثرت ، والمعنى كثر مالك وانتشر .

(٢) عهدى بك : أعلم عنك من قبل .

(٣) يطلق المال على البقر والإبل ونحوها . (٤) أنى لك هذا ؟ : من أين لك هذا ؟

(٥) قلدتك : وليتك . رجاء غنائك : توقعا لكفايتك وقدرتك على القيام بالعمل .

فَشَالِي ، وَأَنَّهُ يَعْرِفُنِي قَبْلَ ذَلِكَ وَلاَ مَالَ لِي . وَإِنِّي أُعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بِبَلَدٍ السِّعْرُ فِيهِ رَخِيصٌ ، وَأَنِّي أُعَالِجُ (١) مِنَ الْحِرْفَةِ (٢) وَالزِّرَاعَةِ مَا يُعَالِجُ أَهْلُهُ ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةٌ (٣) وَاللهِ لَوْ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ حَلاَلاً مَا خُنْتُكَ .

(ج)

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ تَسْطِيرِكَ (٤) الْكِتَابَ ، وَتَشْقِيقِكَ (٥) الْكَلاَمَ فِي شَيْءٍ ، وَلَكِنَّكُمْ - مَعْشَرَ (٦) الأُمَرَاءِ - قَعَدْتُمْ عَلَى عُيُونِ (٧) الْمَالِ ، وَلَنْ تَعْدَمُوا عُذْراً (٨) ، وَإِنَّمَا تَأْكُلُونَ النَّارَ (٩) ، وَتَتَعَجَّلُونَ الْعَارَ (١٠) ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَسَلِّمْ إِلَيْهِ شَطْرَ مَالِكَ (١١) .

الدراسة والتحليل

الأفكار

(أ) يقول عمر فى رسالته الأولى إلى عمرو بن العاص .

١ ــ بلغنى أنك أصبحت ذا مال كثير ؛ وأنا أعلم أنك لم تكن تملك مالا كثيراً ولا قليلا ، فمن أين لك هذا المال ؟

٢ ــ وقد اخترتك للولاية ، وقد كان عندى كثير من المهاجرين ذوى الفضل والقدرة على الاضطلاع بها خيراً منك ، لكنى آثرتك بها ثقة بكفايتك ، وتوقعا لحسن سياستك وحكمتك فى تدبير شئون مصر ، ونفع أهلها .

٣ ــ فأخبرنى ـ ولا تبطىء ـ كيف حصلت هذا المال ، وكيف جمعت تلك الثروة .

---

(١) أعالج : أزاول وأمارس . (٢) الحرفة : وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة ، ويقال : حرف لعياله أى كسب لهم من كل حرفة ، وكل جهة .

(٣) السعة : البسطة فى المال والكثرة والغنى . (٤) تسطيرك : تأليفك . (٥) شقق الكلام : وسعه ، وبينه . ومعنى العبارة : ليس الأمر كلاما يؤلف وينمق ، فهذا شىء لا يهمنى .

(٦) معشر : جماعة . (٧) عيون المال : خياره وأنفسه وأغلاه . (٨) العذر : ما يدفع به اللوم . (٩) تأكلون النار : أى ما يتسبب لكم دخول النار . (١٠) العار : كل ما يلزم منه سبة أو عيب . (١١) شطر مالك : نصف مالك :

(ب) فردَّ عمرو يقول :

١ — جاءنى كتاب أمير المؤمنين ، وإنى أخبره بأن المال قد توافر لدىَّ لأسباب ثلاثة: أولها أن الأسعار منخفضة فى مصر ، وثانيها أنى أزرع وأحترف كما يحترف أهل مصر ، وثالثها أن عطاء أمير المؤمنين يفيض عن إنفاقى .

٢ — وإنه لا يمنعنى خيانتك أنها حرام ؛ ولكن لأنى والى عمر بن الخطاب العادل الحريص على أموال الرعية ، ولا بد أن أكون وفيا لأهدافه ولمبادئه ، ولأنى أحرص على رضا عمر بن الخطاب ، وأخشى غضبه .

(ج) فرد عليه عمر بن الخطاب يقول :

١ — لم يقنعنى كلامك مهما يكن حسن تأليفه وروعة بيانه ؛ لأنى أعلم أنك وأمثالك من الولاة تسيطرون على خيار المال وأنفسه ، ولكم دائماً قدرة على التبرير وانتحال الأعذار .

٢ — وأنتم إنما تجمعون من المال ما يدخلكم النار ، ويلزمكم الفضيحة والعار .

٣ — فأرسل نصف مالك مع محمد بن مسلمة ، وقد وجهته إليك .

التصوير والتعبير

١ — « بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وغنم وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك أن لا مال لك يقابل بين حاله قبل الولاية وحاله بعدها ، لإثارة اليقظة ، وبعث الشعور والتفكير فى الموقف .

٢ — « أنى لك هذا ؟ » استفهام حقيقى يطلب جوابا ، لكنه لا يخلو من عجب بسبب السياق الذى جاء فيه .

٣ — « ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خير منك » . خبر غرضه اللوم على جحود الفضل ، وإنكار الجميل ، والغض من شأن عمرو ، وقد أكده عمر باللام وقد توقُّعاً لشك عمرو فيه .

٤ — « وقلدتك رجاء غنائك » : يشعر عمرو بن العاص بأنه أخلف ظنه . وفى قلدتك استعارة يمكن أن تكون مكنية فى القلادة المحذوفة ، وأن تكون تصريحية فى الفعل « قلدتك » بمعنى وليتك . والإيحاء واحد على كلا الوجهين .

٥ — « فاكتب إلى من أين هذا المال ، وعجل » : الأساليب الإنشائية حقيقيـــة الغرض .

٦ — ويقول عمرو بن العاص فى رده : « وإنى أعلم أمير المؤمنين أنى ببلد السعر فيه رخيص » : كناية عن قلة نفقات المعيشة ، وإمكان الادخار ، وجمع المال .

٧ — « أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله » : الزراعة تدخـــل فى الحرفة ، وخصها بالذكر لظهورها من بين حرف المصريين . وقوله « مايعالج أهله » محاولة لإرضاء عمر بأن عمرا يشارك الناس نشاطهم لنفى مظنة الترفع عنهم ، وأنه يزاول عملا لا يعاب عليه ولا يؤاخذ من أجله .

٨ — « وفى رزق أمير المؤمنين سعة » : يسوق عَمْرٌو هذه الحجة لنفسه ، وعمر يراها حجة عليه ؛ لأن عمر كان حريصا على أن يغدق على الولاة حتى يتعففوا عما فى أيدى الناس ، لا ليتجروا بما يفيض من أعطيتهم .

٩ — « والله لو رأيت خيانتك حلالا ماخنتك » : هذا من دهاء عمرو ، يريد أن يغرى عمر بالصفح والتجاوز بهذا الثناء الماكر ، الذى لا يرضى عمر ؛ لأن العبارة توحى بأن عمراً يرفع مكانة ابن الخطاب فوق أوامر الدين نفسه ، لـكن عمر لم يقبل منه ، ولم يغره الثناء . وقد صَدَّرَ عمرو عبارته بالقسم لشعوره بأن الخليفة لن يصدقه ، وقد كان تقديره صحيحا ؛ لأن عمر لا يخدع بأساليب عمرو أبداً .

١٠ — ومن رد عمر بن الخطاب على عمرو قوله : فإنى لست من تسطيرك الـكتاب وتشقيقك الـكلام فى شىء » : العبارة حازمة إلى درجة العنف ، فكأنه يقول : دعنى من مكرك وخداعك فليس هذا مما يسوغ عندى ، وعطف التشقيق على التسطير سخرية به كأنه يقول « ومهما يكن قولك فصيحا ، وبيانك قويا فلن أهتم به ، ولن ألتفت إليه ولن أعنى بالنظر إلى شىء منه ؛ لأنى أعرف هدفك منه » .

١١ — « ولـكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون المال » : يذكر معشر الأمراء تمهيدا لما بعده كأنه يذكر سبب قدرتهم على القعود على عيون المال « و « قعدتم على عيون المال » كناية عن السيطرة والتمكن من خيار المال ، والاستبداد به ، وقد عبر عن السيطرة بمظهرها الحسى وهو القعود على المال .

١٢ — « ولن تقدموا عذرا » : كناية عن الـكذب والانتحال ، وهو خبر غرضه التقريع .

١٣ — « وإنما تأكلون النار » : أى مايسبب لـكم عذاب النار ، فهو مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن النار مسببة عن أكل مايجمعون من عيون المال ،

١٤ — « وتتعجلون العار » : كناية ساخرة عن جشعهم وحماقة أساليبهم وهى تحمل إيحاء بالوعيد بكشف أمرهم ، وفضح سوء صنيعهم .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — النصوص السابقة من فنون القول التى تسمى رسائل ، وهى غالباً تبدأ بمقدمة يثبت فيها اسم المرسل والمرسل إليه مع ذكر وظائفهم ، ثم يذكر بعد ذلك لفظ : « أما بعد » كما فى الخطب .

٢ — أسلوب الرسائل — كما رأيت — بعيد عن التفخيم والتعظيم ، ويتسم بروح الديمقراطية فى التخاطب .

٣ — يكاد الأسلوب يكون أسلوب التفاهم باللغة العادية فى الحديث اليومى فيلتزم الكتاب استعمال الألفاظ بلا تنميق ولا تأنق ولا تكلف، والإيجاز هو أوضح سمات هذه الرسائل .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — لموضوع الرسائل أساس من مبادىء الإسلام المقررة ، فقد ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يجمع أموال الصدقات (الزكاة) فلما عاد حاسبه الرسول ، فقدم الرجل بعض ماجمع ، واحتجز بعضاً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بال الرجل نستعمله فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى إلىّ ؟ أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فنظر أ يُهدَى إليه أم لا ؟ » .

وكان لعمر فى رسول الله أسوة ، فمنع الإهداء واعتبره رشوة،وقال «إياكم والهدايا فإنها من الرشا » . وحسبك بهذا مبدأ يكفل رعاية الحقوق ، وصيانة المصالح . ولعلك تعلم أن الجمهورية العربية فى عهدها الثورى قد سنت أخيراً قانون الكسب غير المشروع تطبيقاً لهذا المبدأ السامى .

٢ — تبدو شخصية عمر من خلال هذه الرسائل رجـــلا عادلا ، ساهرا على أموال الرعية ، قويا فى الحق ، صريحا ، لا يحابى ، ولا يجامل ، ولا ينخدع .

أما عمرو بن العاص فتبدو شخصيته رجلا ذكيا داهية واسع الحيلة ،حريصا على جمع المال بمختلف الوسائل ، وشتى الطرق ، غير قانع بعطاء أمير المؤمنين السخى ، وهو إلى ذلك يحاول أن يخدع عمر بالقول الجميل ، والعبارة المنمقة ، والثناء الماكر .

٣ — يدل النص على أن مصر كانت مجالا واسعا للثراء ، وعلى أن الأمراء كانوا يحترفون كأهل البلد .

٤ — يبدو أن عمر أقرّ عمراً على شيء من أسباب جمع الثروة؛ لأنه ترك له شطر ماله .

المناقشة

١ — « بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل ، وإبل ، وبقر ، وغنم وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك أن لا مال لك ، فأنى لك هذا ؟ »

(ا) اشرح معنى : فاشية ـ عهدى بك ـ أنى لك ؟

(ب) ما الغرض من الاستفهام فى العبارة ؟

(ج) « عهدى بك قبل ذلك أن لا مال لك » هذه الجملة تقابل جملة أخرى ـ عين الجملة الأخرى ، وبين هدف المقابلة .

٢ — « ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خير منك ، ولكنى قلدتك رجاء غنائك » .

(ا) ما معنى « رجاء غنائك » ؟ (ب) بين الهدف من الخبر فى العبارة .

(ج) ماذا من البلاغة فى قوله « قلدتك » ؟ .

٣ — أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله ، وفى رزق أمير المؤمنين سعة ، والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك » .

(ا) ما معنى الحرفة ؟ ولم ذكر الزراعة بعدها ؟ (ب) ما فائدة « ما يعالج أهله » ؟

(ج) ما هدف عمرو بن العاص من قوله : « والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك » بين لم أقسم .

٤ — « لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام فى شىء ، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون المال ولن تعدموا عذرا » .

(ا) ما معنى التسطير ؟ وما معنى التشقيق ؟ ولم عطف بعضها على بعض ؟

(ب) ماذا من الجمال فى قوله « قعدتم على عيون المال » ؟

(ج) ما فائدة قوله « معشر الأمراء » ؟

(د) « ولن تعدموا عذرا » وضح أن فى هذه العبارة اتهاما بشىء ما .

٥ — قال عمر « وإنما تأكلون النار وتتعجلون العار » .

(ا) من المخاطبون ؟ (ب) وضح الجمال فى قول عمر « تأكلون النار » .

(ج) ما الغرض البلاغى من الخبر فى قوله « وتتعجلون العار » ؟

(د) لم بدأ العبارة بالحرف « إنما » ؟

بَيْنَ عَدِيّ بْنِ أَرْطَاةَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الأموى الذى ضرب به المثل فى العدل والورع كعمر بن الخطاب ، وبينهما نسب من ناحية الأم . وقد تولى عمر بن عبد العزيز خلافة الأمويين بعد سليمان بن عبد الملك ، وكان عدى بن أرطاة واليا له على العراق ، وعلم عدىٌّ أن بعض عماله اختانوا مالا من أموال الدولة ، وأضافوه إلى أموالهم بغير حق ، فكتب عدىٌّ إلى الخليفة يستأذنه فى أسلوب شديد يتخذه مع الآثمين لإعادة المال إلى بيت المال ، وفيما يلى كتاب عدىٍّ ، وردّ عمر بن عبد العزيز عليه .

النّصّ

(١)

مِنْ عَدِيّ بْنِ أَرطَاةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

أَمَّا بَعْدُ : أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (١) ، فَإِنَّ قِبَلِي (٢) أُنَاسًا مِنَ الْعُمَّالِ قَدِ اقْتَطَعُوا (٣) مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَالاً عَظِيمًا ، لَسْتُ أَرْجُو اسْتِخْرَاجَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا أَنْ أَمَسَّهُمْ (٤) بِشَيْءٍ مِنَ الْعَذَابِ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَصْلَحَهُ اللهُ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي ذَلِكَ أَفْعَلُ ، وَالسَّلَامُ .

(ب)

فَأَجَابَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَمَّا بَعْدُ : فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ اسْتِئْذَانِكَ إِيَّايَ فِي عَذَابِ بَشَرٍ ، كَأَنِّي لَكَ جُنَّةٌ (٥) مِنْ عَذَابِ اللهِ ، وَكَأَنَّ رِضَايَ عَنْكَ يُنْجِيكَ مِنْ سَخَطِ (٦) اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَانْظُرْ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ (٧) عُدُولٌ فَخُذْهُ بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ بِهِ الْبَيِّنَةُ ، وَمَنْ أَقَرَّ لَكَ بِشَيْءٍ فَخُذْهُ بِمَا أَقَرَّ بِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلِفْهُ بِاللهِ الْعَظِيمِ ، وَخَلِّ (٨) سَبِيلَهُ ، وَايْمُ اللهِ لَأَنْ يَلْقَوُا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِخِيَانَاتِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِدِمَائِهِمْ ، وَالسَّلَامُ .

---

(١) أصلح الله أمير المؤمنين : دعاء للخليفة . (٢) قبلى : عندى . (٣) اقتطعوا : أخذوا اغتصابا . (٤) أمسهم : أصيبهم . (٥) جنة : وقاية . (٦) سخط الله : غضبه (٧) بينة : شهود . (٨) خل سبيله : لا تعترض طريقه . (٩) وايم الله : أصله وأيمن الله ، جمع يمين ، وهو أسلوب قسم .

الدراسة والتحليل

الأفكار

(ا) اشتملت رسالة عدى على ما يأتى :

١ — دعاء بدوام الصلاح والرشاد لأمير المؤمنين .

٢ — بعض العاملين قد خانوا الأمانة . واغتصبوا من مال المسلمين أموالا كثيرة وضموها إلى أموالهم .

٣ — إعادة هذا المال إلى بيت المال تقتضى شدة تصيب المغتصبين ببعض الأذى .

٤ — يستأذن عدى الخليفة فى استخدام الشدة فى استرداد المال .

(ب) ويرد عمر بن عبد العزيز على عدى بكتاب يشتمل على ما يأتى .

١ — ينكر عمر على عدىّ أن يستأذنه فى تعذيب المغتصبين ، ويلومه فى أن يعتقد أن الإذن يقيه العقاب ، أو أن رضا أميرالمؤمنين يُجَنِّبه سخط اللهوغضبه إذا جاوزالحق .

٢ — يرسم لعدى سبيل الحق فيأمره أن يسألهم فإذا اعترفوا أخذهم باعترافهم ، وإذا لم يعترفوا فإذا شهد عليهم العدول أخذهم بالشهود ، وإذا لم يعترفوا ولم تكن بينة فليحلفوا بالله وليتركهم .

٣ — ثم بين لعدى أنه لا يريد أن يعاقب أحداً إلا على مبادىء الدين وتعاليمه وأنه خير له أن يتركهم لعقاب الله من أن يعاقبهم بلا برهان ، ويؤكد ذلك بالقسم .

التصوير والتعبير

١ — « أصلح الله أمير المؤمنين » : جملة خبرية يراد بها الدعاء لأمير المؤمنين ، والمقصود استمرار صلاح أمره .

٢ — « فإن قبلى أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما » :
نكر الغاصبين تحقيراً لأمرهم . وعبر باقتطعوا إيحاء بأن عملهم عميق الأثر فى نفس عدى ، وأضاف المال إلى الله لبيان شناعة ما صنعوا ، ووصفه بقوله « عظيما » للتأثير فى الخليفة حتى يوافق على مطلبه .

٣ — « ولست أرجو استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشىء من العذاب » :
التعبير باستخراجه يشير إلى سيطرتهم على المال ومزجه بأموالهم ، وصعوبة إعادته ، ويختار التعبير بالفعل « مسّهم » تخفيفاً للطالب ، ومثله التعبير بشىء ؛ لأنه يعرف مدى

حدب الخليفة على المسلمين .

٤ — « فإن رأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - أن يأذن لى فى ذلك أفعل » . صدر طلب الإذن بحرف الشرط « إن » لأنه يشك فى الاستجابة . وكرر الدعاء للخليفة ، وعبر بالفعل الماضى فى الشرط وبالفعل المضارع فى الجواب حذراً وتخوفاً من إغضاب الخليفة وإثارة مشاعره .

٥ — ويقول عمر بن عبد العزيز فى رده :

« أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر » .

بدء الرسالة يدل على الرغبة فى سرعة الرد « والعجب كل العجب » إنكار شديد على عدى وقوله « فى عذاب بشر » صرخة تخرج من تعذيب الإنسان وإهدار كرامته .

٦ — « كأنى لك جنة من عذاب الله ، وكأن رضاى عنك ينجيك من سخط الله عز وجل » التشبيه يدخل فى سياق الإنكار والتعجب من الاستئذان ، والعبارة توحى باللوم الشديد ، أو السخرية المهذبة ، وقابل بين رضاه وسخط الله ليبعث يقظة الوالى ، ويثير شعوره بخطأ ما أقدم عليه ، ولذلك أضاف « عز وجل » ليضخم السخط .

٧ — « فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشىء فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم » لم يشر الخليفة إلى شىء من التصريح بالعذاب حتى عند ما تقوم البينة أو عند الإقرار ؛ واكتفى بقوله « خذه » عند الإقرار أو البينة مع أن الخليفة يعلم أنه قد يقر ويتبجح ، وقد تقوم البينة ويأبى المغتصب إعادة المال ، لكن المقصود استخدام الوسائل القانونية التى نص عليها الشرع . وفى قوله « خل سبيله » كناية عن تركه حراً بعد اليمين ، وعدم التعرض له ، أو وضع العوائق فى طريقه . وكل هذا يدل على ورع عمر ، وشدة تحرجه .

٨ — « وأيم الله لأن يلقوا الله عزوجل بخياناتهم أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم »

يوازن عمر بين أمرين : الأول ترك الآثمين لله يعاقبهم حسب علمه ، والثانى سفك دمائهم على غير علم فى سبيل استخراج المال ، ثم لقاء الله وهو ظالم . ويفضل عمر الأمر الأول . والموازنة قائمة على غموض الجناية وعدم التحقق من إثمهم . وقوله « بخياناتهم » كناية عن عدم عقابهم فى الدنيا ، وقوله « بدمائهم » مجاز مرسل أطلقت فيه الدماء وأريد قتلهم (علاقته السببية) ويصدر عمر هذه الموازنة بالقسم دليلا على إيمانه القوى بما يقول ، وعلى شعوره بأن الوالى لا يقف مثل موقفه ، ولا يليق هــــذه الموازنة بمثل إيمانه .

نظـــرة بلاغيـــة

نلمس فى الرسالتين إيجازاً وقصداً إلى الفكرة من أقرب طريق ، كما نلمس البعد عن التأنق والتكلف والتنميق ، وإيثار اللفظ السهل ، وتقريب المعنى ، والبعد عن الغريب وعن المبالغة والتفخيم .

نظـــرة أدبيـــة

١ — يصور النص تحرج عمر وورعه ، كما يصور تخوف عدىّ من أثر الاجتهاد فى مخالفة القاعدة الشرعية التى بينها عمر فى كتابه » وكلا الأمرين يوحى بأن الرعية فى عهد عمر كانت تنعم بعدل مطلق .

٢ — التأثر بالقرآن الكريم والحديث واضح فى الرسالتين : قوله « أن أمسهم بشىء من العذاب » من قوله تعالى : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » . وقوله « كأنى لك جنة » من قوله عليه السلام « الصوم جنة » ، وقوله « بينة عدول » من قوله صلى الله عليه وسلم « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » .

٤ — حين ثقلت أعباء الدولة على الخلفاء رأوا أن يسندوا الكتابة إلى طبقة من الكتاب المحترفين . وكان عمر بن الخطاب قد أنشأ ديوان الجنود والأعطية والأموال ، وأنشأ معاوية ديوان الرسائل وديوان ختمها ، وكانت لغة الدواوين الإقليمية لغة الإقليم ، ثم صارت عربية فى عهد عبد الملك ، وفى عهد الوليد بن عبد الملك جنحت الكتابة إلى التجويد والتأنق والتفخيم ثم عادت إلى روح الديمقراطية فى عهد عمر بن عبد العزيز .

١ — « فإن قبلى أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله ـ عز وجل ـ مالا عظيما لست أرجو استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشىء من العذاب ، فإن رأى أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ أن يأذن لى فى ذلك أفعل » .

(ا) مامعنى : قبلى . أمسهم : اقتطعوا ؟

(ب) لم اختار التعبير بالفعل « اقتطعوا » ؟

(حـ) بين الوسائل التعبيرية المختلفة التى اتخذها عدى ليقنع الخليفة بالاستجابة .

(د) لم قال فى الشرط إن رأى » وقال فى الجواب « أفعل » ؟

(هـ) أيهما أدل على المعنى المقصود : «أرجو استخراجه» ؟ أم «أرجو استعادته»؟ ولماذا ؟

(و) لم قال « أمسهم بشيء من العذاب » ، ولم يقل « أفتك بهم مثلا » ؟

٢ — فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر ، كأنى لك جنة من عذاب الله ، وكأن رضاى عنك ينجيك من سخط الله عز وجل » .

(ا) ما دلالة قول عمر « فى عذاب بشر » ؟ (ب) كأنى لك جنة من عذاب الله » بين أن هذا التشبيه منفى . (ح) لم قابل بين رضا الخليفة وسخط الله ؟ وما الأثر الأدبى لقوله « عز وجل » ؟

٣ — بين الوسائل المشروعة لمعاملة المتهم كما قررها عمر بن عبد العزيز .

٤ — « وايم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم » :

(ا) بين أن هذه العبارة تشتمل على مقابلة جميلة .

(ب) لم أقسم عمر فى صدر العبارة ؟ (ح) بين اللون البلاغى فى قوله « بخياناتهم » وقوله « بدمائهم » .

كِتَابُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِب
إلى أهله وهو منهزم

نشأ عبد الحميد بن يحيى فى عهد بلغت فيه الدولة الأموية غاية قوتها ، وقد بدأ حياته معلماً بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام ، واتصل بهشام بن عبد الملك ، واتصل برئيس كتاب هشام سالم مولى هشام ، وصاهره . ثم اتصل عبد الحميد بمروان بن محمد وهو وال على أرمينية ، وقامت بينهما صداقة قوية بقيت حتى آلت الخلافة إلى مروان سنة ١٢٦ هـ ، فانقطع عبد الحميد لخدمته : ثم ألجأت الحوادث مروان بن محمد إلى الهرب ، فأصر عبد الحميد أن يرافقه إلى مصر حيث لقيا مصرعهما سنة ١٣٢ هـ فوضعا نهاية الدولة الأموية ، وهذه الرسالة التى سندرسها الآن كتبها عبد الحميد وهو منهزم .

أَمَّا بَعْد ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً (١) بِالْمَكَارِهِ وَالشُّرُورِ ، فَمَنْ سَاعَدَهُ الْحَظُّ فِيهَا سَكَنَ (٢) إِلَيْهَا ، وَمَنْ عَضَّتْهُ (٣) بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاخِطاً عَلَيْهَا ، وَشَكَا مُسْتَزِيداً لَهَا (٤) .

وَقَدْ كَانَتْ أَذَاقَتْنَا أَفَاوِيقَ (٥) اسْتَحْلَيْنَاهَا ، ثُمَّ جَمَحَتْ (٦) بِنَا نَافِرَةً ، وَرَمَحَتْنَا مُوَلِّيَةً ، فَمَلُحَ عَذْبُهَا (٧) ، وخَشُنَ لَيِّنُهَا ، فَأَبْعَدَتْنَا عَنِ الْأَوْطَانِ ، وَفَرَّقَتْنَا عَنِ الإِخْوَانِ ، فَالدَّارُ نَازِحَةٌ (٨) وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ .

---

(١) المكاره : الشدائد والمشاق ، ومفردها مكره بفتح الميم والراء ، وهو ما يكره الإنسان . محفوفة : محوطة ، يقال حف الشيء حفافا استدار حوله وأحدق به .

(٢) سكن إليها : استأنس بها واستراح إليها .

(٣) عضته بنابها : اشتدت عليه وأصابته بأذاها وضرها . (٤) شكا : أظهر الألم . مستزيدا لها : طالبا إقبالها عليه بالسعادة ، وراغبا فى طول العمر . (٥) أفاويق : جمع فيقة ، وهى اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . استحليناها : شعرنا بحلاوة مذاقها .

(٦) جمحت : يقال جمح الفرس إن عصى أولم يطع ، والمعنى انقلبت علينا ، فصار سرورها شقاء . نافرة : معرضة . رمحتنا : رفستنا ، أى انصرفت عنا وأدبرت ، وأنزلت أذاها بنا . (٧) ملح عذبها وخشن لينها : صار سرورها حزنا .

(٨) نازحة : بعيدة . بارحة : البارح من الطير ماجاء من يمينك إلى يسارك ، والعرب تتشاءم به .

وَقَدْ كَتَبْتُ وَالأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْداً ، وَإِلَيْكُمْ وَجْداً (٩) فَإِنْ تَتِمَّ الْبَلِيَّةُ (١٠) إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا ، وَإِنْ يَلْحَقْنَا ظُفُرُ جَارِحٍ (١١) مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ نَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الإِسَارِ ، وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ (١٢) .

نَسْأَلُ اللهَ الذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ (١٣) لَنَا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارٍ آمِنَةٍ ، تَجْمَعُ سَلاَمَةَ الأَبْدَانِ وَالأَدْيَانِ ؛ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

الدراسة والتحليل

الأفكار

اشتملت الرسالة على ما يأتى :

١ — يصف الكاتب طبيعة الدنيا وتقلب أحوالها وتلونها . ويقول : إنها تسر يوما وتسيء يوما ، ولا تستقر على حال .

٢ — ويصف موقف الناس منها ، فيذكر أنهم فريقان . فريق سعيد الحظ فهو راض عنها مستريح إليها ، مطمئن إلى البقاء فيها ، وفريق جانبه الحظ فهو ساخط عليها ، متبرم بها ، وهو مع ضيقه بها ، وشكواه منها حريص على البقاء فيها طمعا فى تغير حاله وعودتها إلى الإقبال عليه .

٣ — ثم يتذكر ماضيه السعيد ، ويزنه بالحاضر البائس ، فيقول : إن الدنيا قد أقبلت علينا حينا ، ثم أدبرت عنا وتنكرت لنا ، وسلبتنا عزنا ومجدنا ، فأصبح سرورها حزنا ، ونعيمها شقاء ، فنفتنا عن ديارنا ، وباعدت بيننا وبين أحبابنا ، فصرنا غرباء نشعر بالوحشة ، ولا نجد من حولنا إلا نُذُر الشر ، وعوامل اليأس والقنوط .

---

(٩) الوجد : الشوق .

(١٠) البلية : المصيبة . إلى أقصى مدتها : إلى أبعد غايتها .

(١١) إن يلحقنا ظفر جارح : إن نؤسر . الإسار : الأسر .

(١٢) الذل شر جار : الجار هو المجاور المخالط أو الذى يجير من ظلم ، ومعنى الحكمة أن الذل شر ما يصاحب المرء ويخالطه ، أو شر ما يلجأ إليه المحرج المضيق عليه الخائف من القتل .

(١٣) يهب لنا : يمنحنا . ألفة : اجتماع والتئام . آمنة : يأمن من فيها .

٤ — ثم يشير إلى ما يتخوف من مفاجآت الليالى وصروف الأيام ، فيفصح عما يتوقع من شر خطير ، فيقول : إذا قتلت كانت رسالتى آخر العهد بكم وبنا وإذا أسرت عشت تحت وطأة الذلة والعار .

٥ — لكنه مع ذلك لا يفقد ثقته برحمة الله ، فيضرع إليه أن ينجيه من المحنة ، وأن يهيء له ولقومه اجتماعا فى دار آمنة ينعمون فيها بالعافية ، والاطمئنان .

التصوير والتعبير

١ — « جعل الدنيا محفوفة بالمكاره » . تخيل الدنيا مكانا تحدق به الشدائد ، وحذفه ورمز إليه بقوله « محفوفة » على سبيل الاستعارة المكنية ، وهى توحى بأن الصفو لا يخلو من كدر يشوبه ، والهناءة لا بد أن يخالطها شقاء .

٢ — « فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها » : فى ساعده الحظ استعارة تصريحية عبر فيها بالمساعدة عن المصادفة : وفى « سكن إليها » استعارة مكنية شبه فيها الدنيا بزوجة محبوبة يأنس زوجها ، ويطمئن معها .

٣ — « ومن عضته بنابها ذمها » فى العبارة استعارة مكنية تصور فيها الدنيا ناقة تعض بنابها ، وحذفها ورمز لها بالعض ، وشخصها بالناب ؛ وهى توحى بقسوة الحياة وعنفها والجملة تقابل « من ساعده الحظ فيها سكن إليها » .

٤ — « وشكا مستزيداً لها » كناية عن امتزاج الحب لها بالألم منها . وبين الشكوى والاستزادة مقابلة تثير اليقظة ، وتبعث الدهشة .

٥ — « وقد كانت أذاقتنا أفاوق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية ، فى « أذاقتنا أفاويق » استعارة مكنية شبه فيها الدنيا بناقة حلوب لبنها حلو ، وحذفها ورمز لها بالأفاويق ، وجمحت ، ورمحت ، ترشيح للإستعارة وتقوية لها ؛ لأنهما إمعان فى الخيال والتشخيص . وبين قوله « أذاقتنا أفاويق استحليناها » و « جمحت نافرة » « ورمحت مولية » مقابلة تثير العجب من اضطراب أحوالها ، وبعدها عن الاستقرار .

٦ — « فملح عذبها ، وخشن لينها » الفعل « ملح » يقابل استحليناها من ناحية ، وعذبها من ناحية ، والفعل « خشن » يقابل « لينها » والعبارة كناية عن غدر الدنيا ، وخيانتها ، وتغير أحوالها من نقيض إلى نقيض .

٧ — « فالدار نازحة ، والطير بارحة » : الدار نازحة كناية عن معاناة الوحشة ، وقسوة الغربة وحرقة الشوق فيها ، وهى مؤكدة لما جاء قبلها من قوله « أبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الإخوان » ، فهو يعبر عن الفراق بثلاث جمل ، وهذا ما نسميه الإطناب أى

التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من عبارة : وأما قوله « والطير بارحة » فهو كناية عن التشاؤم .

٨ — « وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدا ، وإليكم وجدا » خبر غرضه التحسر وإعلان الأسى ، وبين « إليكم وجدا » و « منكم بعدا » موسيقى حزينة صادرة عن اللفظ والمعنى .

٩ — « فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا » : كناية عن الموت وربما كنى عنه تخفيفا من وقع لفظه الصريح على أهله .

١٠ — « وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذل الإسار » . و « من يليكم » : كناية عن العباسيين - « ويلحقنا ظفر جارح » كناية عن الأسر ؛ لأن الظفر الجارح لايقتل ، ولكنه إصابة تصحبها شرة العداوة ، وعنف الانتقام ، ووطأة القيد .

١١ — « الذل شر جار » العبارة حكمة ذيلت الفقرة لتقرير المعنى ، وتوكيده بجملة محكمة النسج لاتقبل الجدل . وفى العبارة تشبيه ، فقد شبه الذل بجار شرير دائب الإساءة لجاره ، وهو تشبيه يوحى ببغض الأسر والنفور منه . ويمكن أن يكون الجار هو المجير ، ويكون المشبه به هو المجير الذى يضطر المرء إلى اللجوء إليه هربا من القتل ، فهو شر مجير من القتلى .

١٢ — « نسأل الله الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء » : أسلوب خبرى غرضه الدعاء وبين يعز ويذل مقابلة لطيفة .

١٣ — « ألفة جامعة فى دار آمنة ، تجمع سلامة الأبدان والأديان ، فإنه رب العالمين أرحم الراحمين » : قال « جامعة » ثم بين ما تجمع وهو ؛ سلامة الأبدان وسلامة الأديان . وعبر بالآمنة وأراد من يأمنون فيها وهو لون من المجاز ، وطلب الأمن الشامل فذكر الأبدان والأديان معا ، وأخبر عن الله سبحانه بخبرين ثانيهما مترتب على الأول ، فالرحمة أثر من آثار الربوبية . وفى العبارة ألوان من الموسيقى يمكنك إدراكها .

نظـــرة بلاغيـــة

١ — بدأ الكاتب رسالته متجلدا ، ليخفف وقع المصاب على أهله ، لكنه حين تذكر الماضى وقرنه بالحاضر ازداد شعوره برهبة المستقبل ومفاجآته ، فاضطر إلى مصارحة أهله بحقيقة الموقف ، ولم يجد بدأ من التضرع إلى الله أن يتداركهم برحمته ، وبذلك ترى فى الرسالة ترتيبا للأفكار ، وتسلسلا للخواطر ، وترابطا بين الأجزاء .

٢ — عبارات الكاتب قوية النسج ، متينة التركيب ، متأثرة بثروته اللغوية الغنية ،

وتدريبه الطويل ، وهي تجمع بين الترسل والسجع ، وتتسم بكثرة المقابلات والموازنات فتبعث نغما موسيقيا جميلا يدل على براعة الكاتب وقدرته وموهبته الأدبية الممتازة .

٣ — جمعت الرسالة طائفة من الصور البلاغية الصادرة عن خيال خصب وعاطفة متقدة .

نظـــرة أدبيّـــة

١ — تشير الرسالة إلى موقف من المواقف الحاسمة فى التاريخ العربى .

٢ — يبدو فى الرسالة التأثر بالقرآن الكريم ، وبخطب على بن أبى طالب (فى وصف الدنيا) وبالحكم والأمثال .

٣ — الرسالة تختلف عن الرسائل التى درستها من قبل ، فهى رسالة شخصية يعبر بها الكاتب عن مشاعره الخاصة ، ويوجهها إلى أسرته ، وتسمى فى الاصطلاح الأدبى رسالة إخوانية ، أما الرسائل التى درستها من قبل فهى رسائل ديوانية تتناول أموراً عامة من شئون الدولة .

٤ — برغم تقدم الكتابة على يد عبد الحميد (حتى قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد) ، وبرغم أنه وضع لها أصولا وقواعد ، وبرغم أستاذيته للكتاب من بعده ، وبرغم تأثره بالحضارة العربية ، والحضارة الفارسية ، والحضارة اليونانية ، نرى فى رسالته أثر البيئة البدوية فى التصوير والتعبير .

المناقشة

١ — « أما بعد ، فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالمكاره والشرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكا مستزيدا لها » :

(ا) ماذا فى قوله « جعل الدنيا محفوفة بالمكاره » من خيال ؟ بين أثره فى تحقيق هدف الرسالة .

(ب) فى « من ساعده الحظ فيها سكن » صورة » وفى « من عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها » صورة . وضح كلا منهما ، وبين أن بينهما مقابلة تحقق هدفا من أهداف الرسالة .

(ج) « شكا مستزيدا لها » وضح مافى هذه العبارة من جمال .

٢ — « وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية »

(ا) « أذاقتنا أفاويق استحليناها » صورة جميلة . وضحها وبين أثرها فى المعنى .

(ب) أيهما تفضل : أن تجعل ، جمحت ورمحت » تقوية للصورة السابقة ، أم تجعلهما صورتين مستقلتين ؟ ولماذا ؟

(ح) ما فائدة « كانت » ؟

٣ — « الدار نازحة ، والطير بارحة » : اشرح ما فى هذا التعبير من جمال.

٤ — « فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذل الإسار ، والذل شر جار » .

(ا) ما علاقة « والذل شر جار » بما قبله ؟ .

(ب) استخرج الكنايات فى العبارة وبين سر جمالها .

(ج) وضح التشبيه فى قوله « الذل شر جار » .

خَصَائِصُ الأَدَبِ الإِسْلاَمِيِّ

يقسم مؤرخو الأدب العصر الإسلامى فترتين : الأولى تبدأ بظهور الإسلام وتنتهى بنهاية خلافة على بن أبى طالب سنة ٤١ هـ . والثانية تنتهى بنهاية الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ .

الفترة الأولى :

كان الدين أساس حياة العرب سواء منهم المعارضون للدعوة والمؤيدون لها ، وكانت الوحدة تظل المسلمين ، فاتجهت قوتهم نحو الفتوح ، وعن هذه الأصول صدر الأدب فى هذه الفترة .

ا — فى الشعر :

١ — شغلت الدعوة الشعراء ، فأيد الرسول فريق ، وعارضه فريق ، وكان ذلك فى مبدأ الدعوة الإسلامية . وما لبثت أصوات الفريق المعارض أن خفتت .

٢ — أمام إعجاز القرآن الكريم كفّ فريق من شعراء المسلمين عن قول الشعر مثل « لبيد » .

٣ — اتجه أكثر الشعراء إلى ما يلائم الدين من عمل صالح ، وإشادة بالرسول ، وحث على الجهاد ؛ ورثاء للشهداء ، ووصف المعارك ، ومباهاة بالنصر .

٤ — انصرف أكثرهم عن الأغراض التى تجافى روح الدين كالفخر بالباطل ، والهجاء القبلى ، ووصف الخمر ، ومجالس اللهو ، والغزل الصريح .

٦ — كان للقرآن الكريم أثر واضح فى الشعر من حيث المعانى والألفاظ ، والأساليب والصور .

٦ — لان الشعر فى الحضر ، ورق لفظه ، وسلس أسلوبه ، وظل شعر البادية جزلا قوى النسج خشناً أحياناً .

(ب) الخطابة :

كان ظهور الإسلام ثورة تحتاج إلى خطباء يؤيدون الدعوة ، ويحثون على الجهاد ، ويناقشون القضايا التى أوجدتها الحياة الجديدة .

٢ — أخذت الخطابة تتحرر من سمات الخطابة الجاهلية ، فظهر فيها ترابط الفكر ، والروح الإسلامى . وتأثرت بالقرآن والحديث . ومن أئمة الخطابة فى هذه الفترة على بن أبى طالب .

(ج) الرسائل:

دعت حاجة الدولة إلى الاستعانة بالرسائل بين الخليفة والولاة ،وبدأت فطرية،موجزة، ثم أخذت تقوى شيئاً فشيئاً .

الفترة الثانية :

الشعر :

(ا) من حيث الأغـــراض :

١ — ظهرت أغراض جديدة كالشعر السياسى بسبب صراع الأحزاب وقد ازدهر الشعر السياسى فى عصر بنى أمية ازدهارا بعيد المدى ليعكس عنف هذا الصراع . وقد درست أمثلة لذلك :

٢ — ظهر الغزل الحضرى لازدهار الرخاء ، وشيوع الغناء فى المدن ، وانصراف شعراء الحجاز عن المشاركة فى الحياة السياسية منذ انتقال الخلافة إلى الشام ، ويمثل هذا النوع عمر بن أبى ربيعة .

٣ — ظهر الغزل العذرى فى البادية ، وقد قام على العاطفة الصادقة : مع العفة،والحرمان، ويمثله جميل بن معمر .

(ب) من حيث المعانى :

أمدت الحياة الجديدة الشعراء بثروة من الفكر الجديد ، وقد أضاف إليها الشعراء ما عادوا يستمدونه من الشعر القديم ، ولاسيما فى الهجاء والفخر كما فعل الفرزدق وجرير .

(ج) من حيث الأسلوب وبناء القصيدة :

١ — لم يختلف الشعر فى الوزن والأسلوب والصياغة اختلافا كبيراً عن الشعر الجاهلى.

٢ — حافظ الشعراء على النموذج القديم للقصيدة من بكاء الديار ووصف الأطلال وتعدد الأغراض .

٣ — لم يخرج عن نهج الجاهليين فى تعدد الأغراض إلا بعض شعراء الغزل فى مدن الحجاز وباديته . فظهرت فى قصائدهم وحدة الغرض .

الخطابة :

١ — ازدهرت الخطابة فى هذه الفترة لكثرة الأحزاب وتتابع الأحداث ،واستمرار الفتوح . ومقدم الوفود ، فقد كانت الخطابة هى الوسيلة الأولى للاتصال بالجماهير واستمالتها

وإقناعها ، بنشر مذهب ، أو دفاع عن مبدأ ، أو بث للحماسة فى الجنود ، أو وعظ وإرشاد ؛ فكانت هناك الخطبة السياسية ، والخطبة الدينية ، والخطبة الحربية ، والخطبة الإجتماعية . وكانت معانيها متصلة بأغراضها .

٢ — وكان القرآن معيناً فياضاً ينهل منه الخطباء ، وكان الطابع الإسلامى قوياً ،فكانوا يحمدون الله ويمجدونه فى أولها ، ويقتبسون من القرآن ويحاكون أسلوبه ، ويستمدون من صوره ، وطرائق تعبيره ، فهى فى هذه الفترة استمرار للتطور الذى بدأ فى الفترة الأولى .

٣ — لمع من الخطباء فى هذه الفترة زياد ، والحجاج ، وأبو حمزة .

الرسائل :

١ — أصبحت الكتابة فناً مستقلا ، وقد نما وازدهر بنمو الحضارة ، ونضج الحياة الفكرية باتصال الثقافة العربية بالثقافة الفارسية والثقافة اليونانية .

٢ — وقد ظهرت فى العصر الأموى الكتابة الديوانية ، وتأصلت على يد عبد الحميد ابن يحيى .

٣ — تأثرت الكتابة بالقرآن الكريم ، وغلب عليها طابع الإسلام ، من ذكر اسم الله وتمجيده ، والصلاة على نبيه ، واقتباس آيات قرآنية ، ومحاكاة الأسلوب القرآنى ، والأخذ من معانيه وصوره .

٤ — كانت الرسائل موجزة ، ثم اتجهت إلى الإطناب والتفصيل .

٥ — فى آخر العصر الأموى عنى الكتاب بتفخيم العبارة وتجويد اللفظ .

٦ — ظهرت فى الكتابة آثار الثقافات الأجنبية .

التراجم

أولا — زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى

نماذج من شعره

(ا)

درست من معلقة زهير نماذج في الغزل، ووصف الأطلال، والمدح، والدعوة إلى السلام، ووصف الحرب، وضرب الأمثال، والحكم.

(ب)

قال زهير يمدح حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

١ — وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ... عَلَى مُعْتَفِيهِ، مَا تَغِبُّ فَوَاضِلُهْ
٢ — بَكَرْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً، فَرَأَيْتُهُ ... قُعُوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاذِلُهْ
٣ — يُفَدِّينَهُ طَوْراً وَطَوْراً يَلُمْنَهُ ... وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِينَ أَيْنَ مَخَاتِلُهْ
٤ — فَأَقْصَرْنَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ ... عَزُومٍ عَلَى الأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهْ
٥ — أَخِي ثِقَةٍ لَا تُتْلِفُ الْخَمْرُ مَالَهُ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلِفُ الْمَالَ نَائِلُهْ
٦ — تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

(١) أبيض: شريف النسب. فياض: كثير العطاء. معتفيه: طالبي معروفه. تغب: تنقطع. فواضله: عطاياه (٢) بكرت: ذهبت مبكرا. غدوة: قبل طلوع الشمس. الصريم: رملة منقطعة من الرمل، أي مكان منعزل. عواذله: جمع عاذلة وهي اللائمة على إنفاق المال. (٣) يفدينه: يقلن نفديك بأنفسنا وآبائنا ونحو ذلك. طوراً: تارة ومرة. أعيا: أعجز. مخاتله: سبل خداعه وصرفه عن طريقته. (٤) أقصرن: عجزن. مرزأ: مصاب في ماله بكثرة العطايا.

يمدح زهير صاحبه بأنه أبيض، فيختار له وصفا نادراً في البيئة، ويكنى به عن شرف النسب. ثم يصفه بأنه فياض فيشبهه بالسيل الذي يفيض به الوادي، ويؤثر صيغة «فعال» فيشير إلى كثرة الفيض واستمراره، وهو نادر في البيئة أيضاً، ثم يشبهه بالغمامة التي تأتي بالمطر، ولا تختلف «يداه غمامة على معتفيه» وهي نادرة في الجزيرة أيضاً، ثم يتبع =

. . . .

= هذا بقوله « ما تغب فواضله » فيشبهه بشيء كانوا يتمنونه ، وهو الماء الدائم الذى يستطيعون ورده كل يوم ، وهو نادر أيضاً ، وهكذا فى هذا البيت يحشد صورا كثيرة يؤكد بها معنى الكرم ، ففى أول البيت يجىء بنعتين متواليين . ثم يتبعهما بجملة إسمية . ثم يتبع هذا كله بجملة فعلية . وكل منها يقوم على صورة حسية متميزة . يقوم فيها التخيل البصرى المادى بدور كبير. وكل الصور مستمدة من أشياء قليلة الحدوث فى حياتهم فالبياض قليل . والسيل الفياض قليل . والغمامة الممطرة نادرة والفواضل التى لا تغب قليلة .

ثم يقص زهير بعد ذلك قصة حصن وعواذله فيرسم صورة جميلة ، قصيرة ولكنها عظيمة الإمتاع والفكاهة . فنساؤه يلمنه على جوده المسرف ، ويتحايلن فى حمله على الإقلاع أو الإقلال بكل سبيل . ويحدد زهير زمان القصة ومكانها . فالزمان هو الصباح الباكر ، والمكان هو الصريم ، ويجسم الأحداث فيقول قعودا . وهؤلاء النسوة حاذقات بسياسة الرجال ينوعن أساليبهن بين لين وشدة : مرة بالتودد . ومرة باللوم ، محاولات أن ينفذن إليه من ناحية ضعفه ورقته حينا . ومن ناحية خوفه ألسنتهن حينا . ولكنه يبقى كالطود كأنه لا يسمع ما يقلن . حتى ييأسن منه . ولم يجدن ثغرة ينفذن منها ، فينصرفن منه عن رجل جمع المروءة والشهامة على خير مثال يرتجى . فهو « كريم » والكرم هنا كلمة مشحونة بحشد من المعانى الفاضلة . فهى تتضمن شرف النسب . ورفعة الخلق . والإباء ، والنجدة . والشجاعة والسخاء . وممدوح زهير ليس كريما بطبعه فحسب . بل امتحنته التجارب فأثبتت كرمه الأصيل . « فهو مرزأ » فى ماله بالنقصان ولم يجزع ولم يذعر . ولم ينصرف عن سخائه إلى الشح والحرص . وهذا الامتحان الطويل قد أكد فيه عادة السخاء . فتعاونت العادة والطبع . فليس إلى صرفه من سبيل ، وليس هو ممن يثنيهم عذل النساء عن أمر . بل هو « عزوم » على فعل ما يريد . ثم يضيف صفة جديدة بقوله « أخى ثقة » يعتمد عليه فى المواقف ، لأنه أصيل . ويتبع ذلك بوصف عظيم الروعة قليل الوجود فى مجتمعهم الجاهلى ، ففى ذلك المجتمع كان شرب الخمر وإهلاك المال فى شرائها من المناقب الكبرى التى طالما فخر بها الشعراء الجاهليون ، ووجدوا فيها زهوا عريضا . أما حصن فقد وجد الفخر والزهو فى أن يهلك المال فى الجود على من يحتاجون لا على رفاق السكر ، وهو إنما يبذل المال رخيصا فيما توجبه المروءة ، وهو حين يبذله يجد فى نفسه حباً صادقاً لفعل الخير ، ويجد فى فعله لذة لا تعادلها لذة ، وهذا الوصف أيضا وصف نادر الوجود لا بين الجاهليين وحدهم ، بل فى الطبيعة البشرية جمعاء . فجمال المدح هنا هو أن يسجل للمدوح وصفا مخالفا لما جرت به العادة من محبة النفوس للأخذ وكراهيتها للعطاء .

فأنت ترى كيف يجيد زهير الوصف ، وكيف يبرز المعنى فى صورة حسية ، يصوره بألفاظ تبرز المظهر الحسى ، فيرسم بالألفاظ العادية مشهدا مصوراً أمامك حتى لكأنك تراه فى الواقع وهو فوق ذلك اختار للمدح صفات تستحق أن يصورها ، وحلل نفس المرأة تحليل خبير بها ، بصير بطبيعتها واهتماماتها .

(ح)

وقال زهير يرثى :

١ — إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ... مَا تَبْتَغِي غَطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ

٢ — إِنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَا مِرَّةٍ ... بِجُنُوبِ نَخْلَ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ

٣ — يَنْعَيْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ ... عَظُمَتْ مَصِيبَتُه هُنَاكَ وَجَلَّتِ

فى الأبيات صرخة صدر مكلوم للفجيعة التى أصيبت بها غطفان فى غياثها ، وعمادها ، ومعقد أملها ، ومناط رجائها ، وليس هناك رزية أعظم من أصابتها فى هرم واحتشادها مبتغية دفنه ومواراته التراب ! وأى رزية أكبر من افتقاده إذا حلت بالعرب والتمست لها مجنا فاتجهت الركاب تبحث عن مثل قوته تلجأ إليها ، وتلوذ بها ، فلا تجد إلا قبره بجنوب نخل، إن الركاب حينئذ تبكى خير الناس صنيعا عند الشدائد ، وأعظمهم بلاء فى كل مظلمة ، وأكفاهم لكل معضلة تصيب ، أو نائبة تنوب . إن الأبيات تنضح بالشعور الصادق ، والعاطفة الملتهبة ، يدل على ذلك التوكيد فى أول البيت الأول ، وأول البيت الثانى ، والنفى المطلق فى البيت الأول ، قبل استكمال الجملة ، وحذف المفعول فى « أضلت » كأن هرماً حين دفن دفن الناس جميعاً ، والمبالغة فى قوله « خير الناس » ، والإطناب فى « عظمت وجلت » هذا إلى معانى الكآبة والحزن التى توحى بها ألفاظ الأبيات .

نشأته وحياته

هو زهير بن ربيعة ، وقد كنى أبوه بابنته سلمى ، وقد ولد زهير فى أرض غطفان بنجد حيث هاجر أبوه . وقد تبناه خاله بشامة بن الغدير الشاعر الحكيم ، الأصيل الرأى ولبث فى رعاية خاله ، حتى إذا حضرته الوفاة وقسم أمواله قال الزهير : أما أنت فقد

---

(١) الرزية : المصيبة . أضلت : دفنت . (٢) الركاب : القوم على ركائبهم يطلبون ذا مرة . والمرة القوة . نخل : قرية . أحلت: أى جاءت الشهور التى يحل فيها القتال ، وهى غير الشهور التى يحرم فيها القتال (يحرم فى رجب ، وذى القعدة ، وذى الحجة ، والمحرم) .

وورثتك شعرى ، ولم يعطه إلا قليلا من المال . وكان أوس بن حجر زوجا لأمه ، وكان شاعرا وكان زهير راوية له ، وتفتحت قريحة زهير عن شعر جيد فلفت أنظار غطفان وألمع نجمه . ومرت به حرب داحس والغبراء ، وعاش أحداثها ، ورأى صور البؤس التى خلفتها وأعجب بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين احتملا الديات فيها ، فأنشأ فيهما معلقته التى درست جزءا منها . وعمر زهير حتى جاوز المائة .

العوامل المؤثره فى شعره

١ — نشأ زهير فى بيت عريق فى الشعر فأبوه وأختاه سلمى والخنساء ، وخاله بشامة، وزوج أمه أوس بن حجر كلهم شعراء ، وقد تأثر بهم جميعاً .

٢ — عاش طويلا فاكتسب خبرة وتجربة ، ومعرفة بطبائع البشر ، وقدرة على استخلاص الحقائق .

٣ — عاش فى آخر العصر الجاهلى ، وانتفع بحصيلة ماتجمع فيه من ثقافة أدبية ودينية.

٤ — كان زهير قوى الملاحظة ، مرهف الحس ، عميق التفكير طويل الأناة .

٥ — لكثرة ما حفظ من الشعر وما روى من قصائد ، ولكثرة ماشهد من تقدير للجيد ، ونفى للزائف ، كان يتأنى فى قول الشعر وتنقيحه ، فكان يقضى فى نظم القصيدة أربعة أشهر وينقحها فى أربعة ، ويعرضها على ذوى البصر بالكلام فى أربعة ، فلا يعلنها إلا بعد ، حول ، ولذلك سميت قصائده الطويلة بالحوليات .

شخصيته

شخصية زهير من آثار نشأته وبيئته ، فهو رجل متزن ، كثير التأمل عميق التفكير ، طويل الأناة ، حريص على استخلاص العبرة ، والحكمة من كل حدث يمر به ، ميال إلى السلام والوئام ، شديد النفور من الحرب وويلاتها ، ومن الشر فى جميع صوره . وكان عظيم الثقة برأيه وفكره ، شديد الرغبة فى أن يعلنه للناس ليستفيدوا به فى أخلاقهم وعلاقاتهم وعن ذلك كله كان يصدر فيما قال من شعر .

أغراض شعره

١ — المدح : اتصل زهير ببعض الرجال ، ومدحهم ، وأجزلوا له العطاء . منهم هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ؛ وحصن بن حذيفة وكان يرفع هرما منزلة عليه ؛ وقال فيه خير قصائده : وكان هرم يعطيه ويجزل ، وكان يعطيه حتى إذا ألقى عليه التحية ، واستحيا زهير من كثرة عطائه ، فكان إذا رآه فى ملإ من الناس ، قال « عموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت » . وكان يميل فى مدحه إلى الصدق ؛ فلا يغنى فى ممدوحه ، ولا يتملقه .

٢ ـ الوصف : وصف زهير الأطلال والناقة والجواد ، والصيد ، والحرب ، وكل ما أثار حسّه . وقد أجاد في وصفه لدقة ملاحظته ، ورقة حسه ، وطول تأمله فيما يرى . وأبرز ما يمتاز به وصف زهير التصوير الحسيّ الذي يجسم فيه المعقول ، فيصوره كأنه محسوس ملموس مرئي ؛ غنيّ بالأشكال والألوان . وصوره ممتدة فسيحة في كثير من الأحيان .

٣ ـ الحكمة : أجاد في الحكمة ؛ لأناته وطول تجربته ، وإفادته بالثقافة الدينية ، وحكمته صادقة ؛ لأنها ثمرة النفس الخيرة ، والنظرة الصائبة ، والتطلع إلى المثل العليا ، والقيم والمبادىء التي يجب أن تسود المجتمع وأن تقوم بين الناس مقام القانون .

خصائص شعره

من دراساتك لشعر زهير ، تستطيع أن تتبين أن أهم خصائص شعره :

١ ـ براعة التصوير الحسي الذي يعتمد على التخيل البصري ، ومحاولة رسم صورة فسيحة ممتدة تقوم فيها الألفاظ مقام الخطوط والأشكال والألوان والحركات أيضاً .

٢ ـ الصدق الفنيّ ، فتعبيره وصوره لإحساسه وشعوره .

٣ ـ الميل إلى الإيجاز ، وجمع الكثير من المعاني في القليل من اللفظ .

٤ ـ التأنق في اختيار الألفاظ والدقة في تركيب العبارة ، مع البعد عن التعقيد والحشو .

٥ ـ تَحَرّى الإصابة في الفكر ، وإيراد الحكم ، وضرب الأمثال ، وتقرير المبادىء التي يمكن أن يعتبر بها زهير شاعراً ذا مذهب اجتماعي .

رأى القدامى فيه

١ ـ جعله قدامى النقاد أحد ثلاثة يمتازون على سائر الشعراء في الجاهلية هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة .

٢ ـ قال محمد بن سلام وهو من قدامى النقاد « من قدم زهيراً احتج بأنه كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ ، وأكثرهم حكمة في شعره » .

٣ ـ جعله عمر بن الخطاب شاعر الشعراء ؛ لأنه لايتتبع حوشى (١) الكلام ، ولا يعاظل(٢) في المنطق ، ولايقول مالا يعرف ، ولايمدح الرجل إلا بما فيه .

٤ ـ سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال : « زهير » فقال معاوية : وكيف ؟ قال الأحنف : « ألقى على المادحين فضول الكلام (٣) » .

---

(١) حوشى الكلام : غريبه ووحشيه . (٢) يعاظل : يعقد ويصعب . (٣) أخذ لباب الصفات التي يمدح بها ، وأجود العبارات عنها ، وترك لسائر الشعراء نفايات الكلام معنى وعبارة .

المناقشة

١ — وأبيض فياض يداه غمامة   على معتفية ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فرأيته   قعودا لديه بالصريم عواذله

(ا) بين أن التصوير فى البيتين يقوم شاهداً على خصيصة من خصائص شعر زهير.
(ب) كان زهير يمدح بالصفات التى يندر وجودها فى البيئة - وضح ذلك بما فى البيتين.

٢ — أخى ثقة لاتتلف الخمر ماله   ولكنه قد يتلف المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللا   كأنك تعطيه الذى أنت سائله

(ا) فى هذين البيتين أيضاً صفات يندر الوصف بها فى العصر الجاهلى. وضح ذلك.
(ب) بين مواطن الجمال فى البيتين.

٣ — إن الركاب لتبتغى ذا مرة   بجنوب نخل إذا الشهور أحلت
ينعين خير الناس عند شديدة   عظمت مصيبته هناك وجلت.

(ا) بين مظاهر الحزن فى البيتين (ب) « إذا الشهور أحلت » كناية - بين ذلك.

٤ — قال زهير :

بها العين والآرام يمشين خلفة   وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

هذا البيت يقوم دليلا على أن زهيراً يرسم بالألفاظ المجردة صورة ذات خطوط وأشكال وألوان. اشرح ذلك.

٥ — اذكر خصيصتين من خصائص شعر زهير، واستشهد على ماتقول من شعره مع بيان موضع الاستشهاد فى كل بيت تذكره.

٦ — العوامل المؤثرة فى شعر زهير برزت فى أغراض شعره، وخصائصه - وضح ذلك بذكر بعض العوامل، وأثرها فى الأغراض والخصائص مع الاستشهاد بأبيات من شعره.

٧ — الوصف والحكمة أظهر أغراض الشعر عند زهير - بين أن لهذه القضية أسباباً من نشأة زهير وبيئته.

٨ — قال عمر بن الخطاب : « زهير أشعر الشعراء ؛ لأنه لايتتبع حوشى الكلام ولايعاظل فى المنطق، ولايقول مالايعرف، ولايمدح الرجل إلا بما فيه ». اشرح هذا القول، وبين مدى مطابقة قول عمر لما تعرفه من خصائص شعر زهير.

عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب
نماذج من خطبه ووصاياه

(ا)

مرت بك خطبة لعلى يستثير فيها أصحابه ، ويدعوهم لمحاربة معاوية بن أبى سفيان ، وتبين لك ما فيها من قوة العاطفة ، وصدق الشعور ، كما تبين لك تأثر علىّ بالقرآن الكريم فى معانيه وأسلوبه وموسيقى تعبيره وقلنا هناك : إن علياً أخطب خطباء العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن أحدا لا يكاد يجاريه فى فصاحة اللسان وروعة البيان.

(ب)

وإليك خطبة أخرى خطبها بعد التحكيم ، وقصته أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الفوز فى (صفين) سيكون لعلىّ أشاروا على معاوية برفع المصاحف ، والمطالبة بتحكيم كتاب الله فلما فعلوا عرف علىّ أنها خدعة ، وأنها كلمة حق يراد بها باطل ، فأبى ، ثم قبل تحت إلحاح أصحابه ، فلما أُجْرِى التحكم ، وخدع عمرو بن العاص باموسى الأشعرى فأعلن خلع علىّ ، ثارت طائفة من أصحاب علىّ ، وانشقوا عليه ، وكانت محنة ، تألم لها علىّ ، فخطب الخطبة الآتية :

« اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ - وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (١) وَالْحَدَثِ الْجَلَلِ (٢) : وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ (٣)، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي (٤) وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي (٥) « لَوْ

(١) الفادح : الثقيل ، والخطب المصيبة الكبرى . (٢) الحدث الجلل : الأمر العظيم .
(٣) الناصح : مقدم النصيحة . الشفيق : الرفيق القلب الخائف من حلول مكروه .. تورث : تترك . الحسرة : التلهف والحزن . والندامة : الأسف والحزن .
(٤) الحكومة : التحكيم . (٥) نخلت : نقيت وصفيت . مخزون رأيى : أخلصه وأصدقه وأنفسه .

كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ . أَمْرٌ (٦) » فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ (٧) وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ، حَتَّى ارْتَابَ (٨) النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ (٩) ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ ، كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ (١٠) :

«أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ، فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ (١١)».

وأنت ترى أن الخطبة :

١ — بدئت بحمد الله ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، وبالصلاة على رسول الله . ووضع فى ثنايا هذا الحمد جملة معترضة تشير إلى أن المصيبة وإن جلت لاتزيدنا إلا إيمانا ورضا بقضاء الله وحكمه ، وقد كان مرهف الحس حين قال « أتى الدهر » ولم ينسب ذلك إلى حكم الله .

٢ — ثم بين لهم أن مخالفة النصيحة المخلصة تؤدى إلى الأسف والأسى والندم حين لا ينفع الندم .

٣ — وأشار إلى أنه كان يأبى التحكيم ويدرك أنه خدعة ، وأنه كان ناصحا أمينا لكنه لم يسمع رأيه ، ولم يصغ إلى قوله ، وأنه فى ذلك مثل « قصير » مستشار جذيمة الأبرش .

٤ — ثم يذكر أنهم خالفوه مخالفة عنيفة فيها جفوة وقسوة . ومقاطعة واعتزال ؛ حتى لقد أخذ يشك فى صحة ما أبدى من رأى ، وما يشعر به من إخلاص ، فأحجم عن إبداء الرأى السديد ، لإحساسه بأن القول لايجدى ، وأن الصواب لا ينفع ، وأن الحق لا يصغى إليه .

---

(٦) يشير إلى قصة قصير مستشار جذيمة الأبرش ملك الجزيرة حين نصحه قصير ألا يزور الزباء ملكة تدمر عندما عرضت عليه أن يتزوجها (وكان قد قتل أباها، وخالف جذيمة نصح قصير ، وذهب إلى الزباء فقتلته ، فقال قصير عندئذ « لو كان يطاع لقصير أمر » فصارت مثلا ، والقصة المذكورة مورد المثل ، وقصة على مع أصحابه مضرب المثل.

(٧) الجفاة : جمع جاف وهو الغليظ الفظ السيء الخلق . المنابذين : المخالفين .

(٨) ارتاب : شك . والناصح : يعنى نفسه . (٩) ضن : بخل . الزند : العود الأعلى تقدح به النار . القدح : إخراج الشرر . (١٠) أخو هوزان :هو دريد بن الصمة وهو شاعر جاهلى نصح أخاه عبد الله وقومه بعد أن هزموا غطفان ألا ينزلوا عقب هذا النصر بالقرب من غطفان ، ولا بد أن يبعدوا كثيرا حتى لا يدركهم المهزومين ، فخالفوا ونزلوا ، وأدركتهم غطفان فقتلت عبد الله ، واستنفذت أموالها من أصحابه .

(١١) منعرج اللوى : مكان . لم يستبينوا : لم يدركوا .

٥ — ثم شبه نفسه بدريد بن الصمة الذى نصح أخاه فخالفه أخوه ، وهلك هو ومن معه على أثر هذه المخالفة .

وقد اعتمد علىّ فى الاستمالة والإقناع على ما يأتى :

١ — التصوير : فقد جاء باستعارة مكنية فى قوله « الخطب الفادح » ، وباستعارة مكنية فى ، نحلت لكم مخزون رأيى ، إذ جعل الرأى دقيقا ينخل ويخزن لصفاء كل منهما ونقائه من الشوائب . وباستعارة تمثيلية فى قوله « لو كان يطاع لقصير أمر » إذ شبه المضرب بالمورد ، وبكناية عن الإحجام عن إبداء الرأى فى قوله « ارتاب الناصح بنصحه » ، وباستعارة تمثيلية فى قوله « ضن الزند بقدحه » إذ شبه المضرب بالمورد أيضا . وفى « ضن الزند » استعارة مكنية تخيل الزند رجلا يبخل بما كان يعطى ، وتشبيه جميل فى قوله « فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن » .

٢ — واعتمد علىّ أيضا فى الاستمالة والإقناع على قصر الفقرات ، وموسيقى اللفظ ، وتوازن العبارات وسوق الحكمة ، والمثل ، والشعر ، ووضع كل منها فى المكان الذى يلائم الجو النفسى بالتمهيد الملائم .

(ج)

ومن كلمات علىّ :

١ — مَنْهُومَانِ (١) لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ مَالٍ .

٢ — « عَاتِبْ أَخَاكَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ (٢) ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالإِنْعَامِ عَلَيْهِ » .

٣ — إِذَا أَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَى امْرِئٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ (٣) » .

---

(١) النهم : الإفراط فى شهوة الطعام . وفى العبارة استعارة مكنية شبه فيها كلا من طالب العلم وطالب المال برجل مفرط فى الطعام وهو مع ذلك ، لا يشبع ، وحذفه ورمز إليه بلفظ النهم .

(٢) لاحظ المقابلة بين العتاب والإحسان ، وبين الشر والإنعام ، وهى مقابلة تثير العجب ، وتبعث الشعور . ولاحظ السجع الجميل بين « إليه » و « عليه » والتوازن بين الإحسان والإنعام .

(٣) تستطيع أن تدرك الاستعارة المكنية فى الدنيا التى أقبلت ، وأعارت ، وأدبرت ، وسلبت .

٤ — « آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ (١) » .

٥ — ومن وصاياه أنه أوصى ابنه الحسن فقال :

« يَابُنَيَّ ٱحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا ، لَا يَضُرُّكَ مَاعَمِلْتَ (٢) مَعَهُنَّ : أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ ، وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمْقُ ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ ، وَأَكْرَمُ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ (٣) . »

وتدل تلك الكلمات على سعة خبرات علىّ ، وعمق تجاربه ، وصدق بصره بأمور الدنيا وأحوال الناس ، كما تدل الوصية على المثل العليا التى يقدسها علىّ ، والتى ينصبها نبراسا لنفسه فى الحياة ويقدمها معالم للطريق يهتدى بها أبناؤه ، وفلذات كبده .

نشأته وحياته

على بن أبى طالب هو ابن عم رسول الله ؛ وزوج ابنته فاطمة ، وقد درج فى بيته وهو ابن ست سنوات ، يقتدى بخلقه الكريم ، ويستمد من حديثه الحكيم ، وينهل من حكمته الفياضة ، ويتعلم من مواقفه الخالدة . أسلم أول الصبيان ، ولازم رسول الله منذ بدأت الدعوة . واشترك فى الغزوات ، وأبلى فيها أحسن البلاء ، وبويع بالخلافة سنه ٣٥ هـ . فخرج عليه معاوية ، وطلحة ، والزبير بن العوام ومعهما السيدة عائشة ، ثم كانت قصة التحكيم فخرج عليه الخوارج الذين قتلوه فى مسجد الكوفة وهو منصرف من صلاة الفجر سنة ٤٠ هـ .

المؤثرات فى شخصيته وخطابته

١ — النشأة الطيبة فى حجر النبوة ، ورحاب الرسول وكنفه .

٢ — التشبع بالتعاليم الكريمة منذ الصغر ، والوقوف عند حدودها ، وتكوين المثل العليا وتقديسها .

٣ — توقد الذهن ، والفطرة الصافية .

٤ — كتابته للقرآن الكريم وحفظه ، وفهمه ، والتأثر العميق به .

٥ — الصراع الذى حف بحياته وعواصف الخلاف بينه وبين معاوية وبينه ، وبين أصحاب الجمل ، وبينه وبين الخوارج .

٦ — حفظه للشعر القديم والأمثال والحكم .

٧ — معرفته الواسعة بتاريخ العرب وأيامهم .

---

(١) لاحظ التشبيه بين سعة الصدر وآلة الرياسة .

(٢) « ما عملت معهن » كناية عن كفايتهن فى الوقاية والنجاة .

(٣) الحمق : السفاهة والجهل . الوحشة : الشعور بالانقباض من عزلة . العجب : الكبر والزهو . الحسب : مناقب الآباء وشرفهم . ولعلك تلاحظ مافى العبارة من تشبيهات .

كل أولئك جعل عليًّا أفصح العرب ، وأخطب الخطباء بعد رسول الله ﷺ ، وجعل عالما فذا ، ومرجعا موثوقا به ، حتى إذا عرض أمر غامض ولم يكن شاهدا ، قالوا « قضية ولا أبا حسن(١) لها » : ومما يروى عنه فى هذا الصدد ما يأتى :

دخل الجند بأبى محجن الثقفى وندمائه على عمر فسألهم : أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله؟ فأجابه أبو محجن : كيف حرمها الله يا أمير المؤمنين وهو يقول : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات .. » فبادر، عمر، فأرسل إلى على ، فلما حضر ، قال : لو كان القصد من الآية هو ما فهمه الثقفى لساغ لهم أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير ، وأرى أن يقتلوا إن كانوا قد شربوا مستحلين وأن يجلدوا إن كانوا شربوا وهم يعتقدون حرمتها، فسألهم عمر فقالوا : والله ماشككنا فى أنها حرام ، فجعل يجلدهم رجلا رجلا حتى انتهى إلى أبى محجن فلما جلد قال :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباء يوما بصابر

فقال له عمر : أبديت ما فى نفسك ، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك ، فقال على : « ليس لك ذلك يا عمر : ، وما يجوز أن تعاقب رجلا قال سأفعل وهو لم يفعل » .

من نبع هذه النشأة ، ومن ظروف هذه الحياة ، جاء أدب على رضى الله عنه .

أغراض أدبه

أغراض خطبه هى :

١ — إثارة الجيوش والترغيب فى الجهاد ، ورسم طريقة معاملة العدو فى الحرب .
٢ — بيان حق الحاكم على رعيته ، وحق الرعية عليه .
٣ — الدعوة إلى التقوى والعمل الصالح ، وبذل الخير ، ومراقبة الله فى السر والعلن .
٤ — الإجابة عن أسئلة أفراد الرعية .

أما رسائله فبعضها يدور حول الصراع السياسى ، وبعضها فى تبادل الرأى مع عماله وولاته وأصحابه . ولعلىٍّ آثار ضخمة جمعت فى كتاب « نهج البلاغة » الذى جمعه الشريف الرضى أحد شعراء العصر العباسى ، وهو يحتوى على خطبه ورسائله ، وحكمه ، ووصاياه .

خصائص أدبه

من دراستك لخطب على وكلماته وتذوقك لها تلاحظ :

١ — ملاءمتها للمواقف التى تقال فيها ، فهى تلين بلينها ، وتشتد بشدتها وتكون فيضاً

(١) كنية على بن أبى طالب .

من نور الهدى حين تعالج توجيها دينيا ، أو سلوكا اجتماعياً .

٢ — تصور ثقافته بجوانبها المتعددة ، من تاريخ ، واجتماع ، ودين ، وأدب ، وحكمة ، ومثل ، وشعر .

٣ — هى مرآة صادقة لنفسه وحياته ، ومثله العليا ، وقيمه السامية .

٤ — ظهر فى خطبه التأثر بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف .

٥ — تميزت باللفظ النقى ، والتعبير الواضح ، والتركيب المحكم ، والجرس القوى ، والصورة البلاغية المؤثرة ؛ لأنها صادرة عن فطرة صافية ، وشعور صادق بلا تكلف ولا تعسف ، ولا استكراه .

المناقشة

١ — قال علىّ فى إحدى خطبه : « وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيى ، « لو كان يطاع لقصير أمر » ، فأبيتم علىّ إباء المخالفين الجفاة ، والمنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتهـــم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

(ا) بأى مناسبة ألقى علىّ هذه الخطبة ؟ (ب) مامعنى . الحكومة ، نخلت . المنابذين . ارتاب ؟ (حـ) اشرح الصورة البلاغية فى قوله «لو كان يطاع لقصيرأمر» .

(د) ماذا من الجمال فى قوله « ضن الزند بقدحه » ؟ (هـ) اشرح بيت أخى هوازن ، واذكر المناسبة التاريخية ، وبين وجه الشبه بين على وأخى هوزان .

٢ — قلنا « إن عليا أخطب الخطباء العرب بعد رسول الله » فما الأسباب التى نعتمد عليها فى ذلك ؟ وما العوامل التى أثرت فيه حتى صار كذلك ؟

٣ — قال على : « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » .

(ا) ما معنى « منهومان » ؟ (ب) اشرح الصورة البلاغية فى العبارة .

٤ — ثقافة على الدينية جعلته مرجعاً لأصحاب رسول الله بعد وفاة الرسول . اشرح ذلك ، واستشهد على ما تقول بواقعة تاريخية .

٥ — الأغراض التى تناولها على فى خطبه تدل على مصادر ثقافته . اشرح ذلك .

٦ — قال على : إذا أقبلت الدنيا على امرىء أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » اشرح هذه العبارة بأسلوبك ، وبين ما فيها من جمال ، واتخذ منها خصيصة من خصائص كلام على بن أبى طالب .

ثالثاً — جرير

نماذج من شعره

(أ)

درست لجرير نصا يرد به على الفرزدق ، وإليك نماذج أخرى :

(ب)

قال جرير يمدح عبد الملك :

١ — لَوْلاَ الخَلِيفَةُ ، وَالقُرْآنُ يَقْرَؤُهُ مَاقَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلاَ جُمَعُ

٢ — أَنْتَ المُبَارَكُ ، يَهْدِي اللهُ شِيعَتَهُ إِذَا تَفَرَّقَتِ الأَهْوَاءِ وَالشِّيَعُ

٣ — يَا آلَ مَرْوَانَ إِنَّ اللهَ فَضَّلَكُمْ فَضْلاً عَظِيماً ، عَلَى مَنْ دِينه البِدَعُ

٤ — مَا كَانَ دُونَكَ مِنْ مَقْضِيٍّ لِحَاجَتِنَا وَلاَ وَرَاءَكَ لِلْحَاجَاتِ مُطَّلَعُ

فى هذه الأبيات يرى جرير أن عبد الملك هو عماد الدين والدنيا ، وأن الله جعله بركة للناس تستقيم بها حياتهم ، ويستجيب الله لهم باسمه فيما يرجون ، وقد هـدى الله أنصاره وأتباعه ، وتفرق أصحاب الميول المنحرفة وأهل الضلال. ويقول : أنتم يا آل مروان أفضل الناس جميعاً ، وقد رفعكم الله فوق الناس درجات ، ولا سيما على أهل البدع الذين ضلوا فاستحدثوا فى الدين ماليس فيه، وحادوا عن الطريق المستقيم ولولا أنت ياعبد الملك لم تقض لنا حاجه فى هذه الدنيا ، ولم يكن من سبيل إلى بلوغ مأرب ، أو تحقيق أمل ، فأنت معقد كل رجاء ، ومناط كل أمل .

وجرير فى هذه الأبيات متأثر بحسان بن ثابت فى الأبيات التى أنشدها أمام الرسول لدى وفود بنى تميم بشعرائهم على الرسول ؛ والتى أولها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُوا سُنَناً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

وجرير يعرّض بالأحزاب المناوئة لبنى أمية فى البيتين الثانى والثالث ويلح فى هذا التعريض إلحاحا شديداً ، كما يغالى فى آخر البيت الرابع حين يرى أن لاسبيل إلى الحاجات

---

(١) أحكام : أمور الدولة وشئونها . جمع : رمز لشئون الدين. (٢) المبارك : الميمون الذى تقضى باسمه حوائج الناس عند الله . الشيع : جمع شيعة وهى الأنصار. الأهواء : الميول .

(٣) البدع : المستحدثات فى الدين . مطلع : سبيل .

وراء عبد الملك . وهذا مظهر من مظاهر حب جرير لبنى أمية ، ووفائه لهم ، وقوة عاطفته نحوهم .

(ج)

ومن قوله فى الغزل :

١ — إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

٢ — يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إِنْسَانَا

٣ — يَاحَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا

٤ — وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرَّيَّانِ أَحْيَانَا

فى هذه الأبيات يصف جرير سحر العيون وأثره فى المحبين ، فهى كالسهام تصمى العاشق ، فيخر صريعا ،ويعجب أن تكون أضعف الخلق،ثم تقتل أقوى الرجال،وأرجحهم عقولا ، وجرير لايعدل بجبل الريان جبلا آخر من جبال الدنيا ؛ لأنه موطن ذوات العيون الحور ، فله فى نفسه أعلى منزلة ، بل كل من سكنه له عنده أسمى المنازل ، أليس موطن الأحباء ؟ بل هو لايعدل بالريح التى تمر بجبل الريان ريحا ؛ لأنها تمر بموطن الأحباء ، وتأتى من ناحيتهم فتتعطر بأنفاسهم ، وتحمل شذا عرفهم .

ولعلك تلاحظ فى ذلك كله عاطفة جرير تفيض من ثنايا الألفاظ ، وتلاحظ ألفاظه تنبض بالحياة والحركة والشوق ، وتتسم بالرقة والعذوبة ،وتلاحظ توكيداته التى تكشف عن هذه العاطفة فى قوله « ثم لا يحيين قتلانا » ، وقوله . « لا حراك به » . وهو يختار ذا اللب ، وهو أحرى أن يكون أبعد من تأثير سحر الجمال وفتنة العيون وصرعة الهوى ، ويبرز عجبه من هذه الظاهرة : أن يكون الفتور والنعس فى العيون مصدر للقتل والصرع والفناء . ثم تلاحظ أن جبل الريان أصبح كله مصدراً للسحر والجمال والفتنة وأصبح كل من يسكنه حبيبا إلى النفس ، حتى النفحات التى تمر به أصبحت أجمل النفحات ، وأعمقها أثراً فى النفوس ، وأبعثها للشوق ، وأكثرها إثارة .

---

(١) الطرف:العين.الحور:شدة البياض فىالعين مع شدة سوادها. (٢)يصرعن: يقتلن أو يطرحن أرضا . اللب : العقل .إنسانا : يقصدإنسانالعين. (٣) من كان:يعنىأيا كان .

(٤) نفحات : جمع نفحة وهى هبة الريح الطيبة . يمانية : نسبة إلى اليمن .

(د)

ومن قوله فى رثاء زوجته :

١ — لَوْلاَ الْحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
٢ — وَلَهَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُو التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكِ صِغَارُ
٣ — صَلَّى الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ تُخُيِّرُوا وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكِ وَالأَبْرَارُ
٤ — لاَ يَلْبَثُ الْقُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَنَهَارُ

وجرير حزين واله ، يعصر الحزن قلبه ؟ ويملأ الأسى نفسه ، ولكنه لا ينفس عن نفسه بالبكاء حياء واحتشاماً وتحرجاً من تقاليد مجتمعه التى تأبى عليه الاستسلام وعلى مثله البكاء وذرف الدموع . ولولا ذلك لزار قبرها ، وبكى عنده ؛ لأنه ينسم فيه ريح الحبيب ، ويستعيد عنده ذكريات الحب والوفاء . ولقد ولهه فقدها ، وأذهب عقله ، وقد كبر وضعف،ويزيد حزنه شدة،وشعوره مرارة هؤلاء الأطفال الصغار يبكون أمهم،ويفتقدونها وهم فى أشد الحاجة إلى رعايتها . رحمك الله من مفقودة كريمة ، وصلى عليك الملائكة الأطهار . وتلك حكمة الكون ، وطبيعة الحياة يفنيها كر الغداة ومر العشى . وأنت ترى جريرا قد أجاد الرثاء ، وأحسن التأسى ، فهو قد صور نفسه بين نارين : سنه وتقاليد مجتمعه من ناحية ، ولهه وضعفه وأطفاله من ناحية وهو مع ذلك لا يستطيع أن يبكى ولا أن يذرف دمعة يطفىء بها نار الحرقة تضطرم فى صدره ، وهذا ما يشدد قبضة الحزن على فؤاده المكلوم .

وانظر إليه يعبر عن أطفاله بذوى التمائم فيكنى عن لين أظفارهم ، وشدة حاجتهم إلى رعاية ، أمهم أنها كناية باكية حقاً ! .

وانظر إلى رقة قلبه تطل من ثنايا دعائه بالرحمة ، واختيار الملائكة يصلون عليها حتى تقبل صلاتهم وشفاعتهم . على أنه يعود إلى نفسه فيتأسى بحكمة يخضع فيها لسلطان الموت فيواسى نفسه بأن الليل والنهار لا يتركان الناس إلا أن يبليا كل جديد ، ويضعفا كل قوى

(١) الحياء : انقباض النفس عن عمل القبيح،والاحتشام. هاجنى :أثارنى . استعبار:حزن وبكاء . ويقال : استعبر أى جرت دمعته . (٢) ولهت قلبى : حيرته وأذهبت عقله . كبرة : الكبر فى السن . ذوو التمائم : الأطفال الصغار . والتمائم جمع تميمة :وهى ماتعلق فى عنق الطفل لدفع العين . (٣) الأبرار : الصالحون . (٤) القرناء : الأصحاب . لا يلبث : لا ينظر ، أى لا يجعلها تنتظر طويلا ولا تقيم طويلا. يكر : يعود مرة بعد مرة .

ويفنيها كل حى ، وأحرى بمن يكر عليه الليل والنهار أن يفنى . أليس كل كر نقصا فى عمر الإنسان ؟

نشأته وحيـــاته

هو جرير بن عطية بن الخَطَفى من يربوع ، من مضر ، ولد فى اليمامة (منطقة الرياض الحاليّة) فى خلافة عثمان ، وكان فتى موهوباً بالوراثة وكان أبوه شاعرا ، وكذلك أخوه ، وجده ، وقد ساعده فراغه على أن يتغنى بالشعر ، وأن يقوله فيبدع .

وقد بهر جريراً صراع الأحزاب من حوله ، واتخاذ كل حزب شاعراً وسيلة للتفنيد والتأييد ، وتحرك طموحه ، وأخذ يتلمس الفرصة ليظهر فى الميدان ، وقد زار البصرة ورأى الفرزدق ينعم بالعطايا وبالتقدير ، فاشتد تطلعه إلى مثل ذلك . وسنحت الفرصة : رأى غسان السليطى يهجو قوم جرير ، فثارت حميته ورد عليه فألجمه . وانضم البعيث إلى غسان فهجاه جرير هجاء مرّا وتناول فى هجائه بنى مجاشع قوم الفرزدق فخاض الفرزدق المعركة يهجو جريراً ، والتحمت الحرب بينهما دهرًا . وكانت النقائض ثمرتها ، وشغلت الناس من نقاد وعلماء وأدباء ورواة وعامة ، فلمع نجم جرير ، وتطلع إلى الإتصال بالولاة والخلفاء ، فاتصل بالحجاج ومدحه ، وأرسله الحجاج مع ابنه إلى عبد الملك ، فمدحه ، ثم مدح الوليد ، وسليمان ، وهشام .

المؤثرات فى شعره

١ ـــ كان جرير صاحب موهبة موروثة ظهرت مبكرة ، وجذبت إليه الأنظار .

٢ ـــ ساعد الفراغ على نمو هذه الموهبة ، كما ساعدتها النشأة البدوية التى لا تخضع للموادعة .

٣ ـــ كانت الأحزاب ، ومعركة الهجاء ، وحرص الخلفاء على جذب الشعراء وطموح جرير ، وإعجاب العامة ، وتشجيع النقاد . كل أولئك كان شاحذاً ، لموهبته ، دافعاً إلى الانطلاق .

أغراض شعره

١ ـــ الهجاء والفخر :

كان هجاؤه مصحوباً بالفخر ، وحين يعوزه الفخر بجديده يلجأ إلى القديم وكان لاذع الهجاء ، وقد استطاع أن يسقط ثمانين شاعراً ، وكان عنيداً قويا على المشاكسة ، وكان يتقصى مساوئ خصومه ، وينقب عن المساوى الكامنة فى زوايا التاريخ لينشرهـــا

تشهيراً بخصومه ،وقد جمع بين التنديد بالقبيلة وتجريدها من المكارم وبين انتحال الوقائع انتحالا ونسبتها إلى المهجو إذا أعيته المثالب الحقيقية ، وكان يعمد إلى تصوير المهجو فى سخرية وتهكم ، وحين كان يعجز عن ذكر مفاخر لنفسه فخر بشعره أو بأيام أصوله المعرقة فى القدم وقد يلجأ إلى الفخر بمضر كلها ، ومن ذلك قوله فى مهاجاة الأخطل :

مُضَرٌ أَبِي وَأَبُو الْمُلوكِ فَهَلْ لَـكُمْ يَاخُزْرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبٍ كَأَبِينَا
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

٢ — المديح :

أكثر جرير من المدح ، وكان فقره وطموحه ، وموهبته المواتية وحاجة الخلفاء إلى الشعر — كان ذلك كله سببا فى هذه الكثرة .

وكان أكثر مديحه فى خلفاء بنى أمية وأبنائهم وولاتهم ، وكان يفد عليهم ، وينال جوائزهم وكان يشيد بمجدهم ومناقبهم ويروى مآثرهم ومكارمهم .

وكان إذا مدح استقصى صفات الممدوح ، وأطال فيها ، وكان خبيراً بالوتر الذى يستثير الممدوح فيضرب عليه ، ولم يخلط مدحه بالفخر بنفسه أو التعريض بخصمه فنجحت مدائحه .

٣ — النسيب : كان جرير رقيق الإحساس صافى الفطرة برغم فقره وبداوته ، ولقد لاحظت فى نسيبه رقة اللفظ وعذوبته ، وجمال التعبير وسلامته وسهولته ، وإحكام نسجه، كما لاحظت عفته فى نسيبه ، لكن غزله لم يكن مستقلا فى قصائد كغزل عمر ، وجميل ، بل كان فى مطالع القصائد كالتقليد السائد .

٤ — الرثاء : كان جرير فى شعره صادق العاطفة .سواء أكان يمدح أم ينسب أم يرثى، لذا كان رثاؤه حارا صادقا يملأ القلب أسى وحسرة .

خصائص فنه

من النصوص التى درستها تبدو الملامح الآتية :

١ — معانى جرير فطرية قريبة الغور ، لكنه يعرضها فى ثوب أنيق فتبدو جذابة مؤثرة .

٢ — صوره وأخيلته مستمدة من البادية ، مع تأثره بالروح الإسلامى والثقافة الإسلامية

٣ — يشيع فى شعره ولاسيما فى الهجاء روح التهكم والسخرية ، وكان ذلك وسيلة إلى جذب قلوب العامة ، ووسيلة إلى الظفر بخصومه .

٤ — لجرير قدرة على انتقاء اللفظ ومتانة النسج ، وحلاوة العبارة ، والجرس الموسيقى المؤثر .

٥ — كان جرير ذا طبيعة مواتية ، فجال فى ميدان واسع ، وتناول أكثر أغراض الشعر وأجاد فيها ، ولذلك قيل « إنه يغترف من بحر » .

المناقشة

١ — قال جرير :

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم   ياخزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة   لو شئت ساقكم إلى قطينا

(ا) من يخاطب جرير ؟ (ب) لماذا لجأ جرير إلى مضر يفخر بها ؟
(ج) من ابن عمه فى دمشق ؟ (د) ما رأيك فى الشطر الثانى من البيت الثانى ؟

٢ — قال جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهن أضعف خلق الله إنسانا

(ا) فى أى غرض هذان البيتان ؟ اشرحهما .
(ب) ماذا يعجبك فى البيتين ؟

٣ — قال جرير :

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا   ليل يكر عليهم ونهار

(ا) اشرح البيت . (ب) بين علاقة هذا البيت بالأبيات قبله .

٤ — هناك مؤثرات فى شعر جرير . وضحها ، وبين مظهرها فى شعره مع التمثيل .

٥ — استطاع جرير أن يخمل - كما يقول الرواة - ثمانين شاعرا - بين السر فى ذلك .

٦ — اكتب نبذة عن نشأة جرير ، وبين أثر هذه النشأة فى شعره .

رابعاً — عبد الحميد الكاتب

نماذج من كتابته

(ا)

عرضنا عليك عند دراسة الرسائل فى العصر الأموىّ رسالة عبد الحميد إلى أهله وهو منهزم مع مروان إلى مصر ، وقد تبين لك بعض خصائص أدبه ، وسمات شخصيته ، وهاك نماذج أخرى من كتابته :

(ب)

من رسالته إلى عبد الله بن مروان ، وقد وجهه أبوه إلى محاربة الضحاك بن قيس الشيبانى رأس خوارج الجزيرة سنة ١٢٨ هـ .

« فإذا أفضيتَ (١) نحوَ عدوِّكَ ، واعتزمتَ على لقائهم (٢) ، وأخذتَ أُهبةَ (٣) قتالهم فاجعلْ دعامتَكَ (٤) التى تلجأ إليها ، وثقتَكَ (٥) التى تأملُ النجاةَ بها ، وركنَكَ الذى ترتجى منالَ الظفرِ به تقوى الله عزَّ وجلَّ ، مُستشعراً (٦) لها بمراقبتِهِ ، والاعتصام (٧) بطاعتِهِ ، متبعاً لأمرهِ ، متجنّباً لسخطِهِ ، محتذياً (٨) لسُنّتِهِ ثمَّ اصمُدْ (٩) لعدوِّكَ ، المتسمّى بالإسلامِ الخارجِ من جماعةِ أهلِهِ ، المُنتحلِ (١٠) ولايةَ الدِّينِ ، مستحلاً لدماءِ أوليائه (١١) ، طاعناً عليهم راغباً عن سُنّتِهم ، مُفارقاً لشرائعِهم ، يبغيهم (١٢) الغوائلَ ، وينصبُ لهم المكايدَ (١٣) » .

هذا جزء من رسالة طويلة يرسم فيها عبدالحميد على لسان مروان دستوراً كاملا للاستعداد للمعركة ، والالتحام فيها . وهذه الفقرة تشير إلى فكرتين : الأولى : أن يتقى الله ، ولا يخلى

---

(١) أفضيت : وصلت وانتهيت (٢) لقائهم : حربهم (٣) أهبة : استعداد . (٤) دعامتك : سندك وعمادك . (٥) ثقتك : الشيء الذى تأمنه وتعتمد عليه . ركنك : مستندك وعمادك الذى تتقوى به . منال : نيل . (٦) مستشعراً : مضمراً . مراقبته : خوفه وخشيته . (٧) الاعتصام : الاستمساك . (٨) محتذياً : متبعاً . (٩) اصمد : اقصد وتوجه إليه . (١٠) المنتحل : المدعى شيئا ليس له . ولاية الدين : رعاية شئونه وحمايته . (١١) أوليائه : القائمين عليه وأنصاره ومحبيه . (١٢) يبغيهم الغوائل : يبغيهم : يريد لهم . الغوائل : جمع غائلة وهى الداهية . (١٣) المكايد : جمع مكيدة ، وهى الخديعة وتدبير الشر خفية .

نفسه من ذكر الله ليخافه ويخشاه ، ثم يستمسك بطاعته ، ويأتمر بأمره ، وينتهى بنهيه ، ويتخذ من سنته سبيلا لسلوكه وعمله .

الثانية : أن يتقدم لمواجهة عدوه فى صلابة وقوة ويقظة ، وحذر . وألا ينخدع بهذا العدو ، فهو إنما يتظاهر بالدين ، وليس منه فى قليل ولا كثير ؛ لأنه خارج عن الجماعة ، منابذ لجمهور الأمة ، منتحل للقيام بشئون الدين وهو عدو الدين ، يرى حلالا قتل أولياء الله وأنصار الدين ، والقائمين بحماية أهله ورعايتهم ، دائب الذم للمسلمين والقدح فى أعراضهم ، راغب عن كل حق ، مهدر للواجب ، مجانب للسنة ، مفارق لأوامر الدين ، مخاصم للشريعة يريد لأولياء الله كل شر ، ويدبر لهم كل كيد ، ويبغى لهم كل سوء .

وأنت ترى عبد الحميد حريصاً على بسط الفكرتين ، شديد الإلحاح بالجمل المترادفة التى تزيدهما قوة ورسوخاً فى النفس ، وتراه يؤثر الجملة القصيرة غالباً ، ويطيلها أحياناً لكن القوة والتوازن والجرس الموسيقى سمات موفورة فى كل الجمل .

وقد استعان بالصور فى أدائه لفكرتيه ، ومن ذلك : « دعامتك التى تلجأ إليها » ، و « ركنك الذى ترتجى منال الظفر به » ، و « الاعتصام بطاعته » ، و « ينصب لهم المكايد » وهى استعارات يمكنك شرحها ، وتذوقها .

ولعلك تلاحظ أن عبد الحميد فى الفقرة قصر حديثه عن الروح المعنوية التى تملأ نفس الجندى الذى يطيع الله ، ويخلص للجهاد فى سبيله ، وقرن إليها ما يؤدى إليها من التهوين من شأن العدوّ ، فإذا اعتمد الجندى على الله لأنه يتقيه واعتقد أنه ناصره ، وهو فى الوقت نفسه لا يخشى عدوه ولا يرهبه كان النصر مكفولا ، والظفر قريباً .

ومن رسالته إلى الكتاب :

« بِكُمْ تَنْتَظِمُ (١) لِلْخِلَافَةِ مَحَاسِنُهَا ، وَتَسْتَقِيمُ أُمورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللهُ لِلْخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ (٢) ، وَيعمُرُ بُلْدَانَهُمْ ، لَايَسْتَغْنِي الْمُلْكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوجَدُ كَافٍ (٣) إلَّا مِنْكُمْ ، فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمْ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَيْدِيهِمْ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ (٤) .

---

(١) تنتظم : تجمع فى استقامة وتناسق . (٢) سلطانهم : حاكمهم .
(٣) كاف : ذو غناء وتقع فى المشكلات والمعضلات (٤) يبطشون . يصولون ، ويقبضون ويمسكون على الأشياء بقوة وعنف .

فَتَنَافَسُوا يَامَعْشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الآدَابِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَابْدَءُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ (٥) ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا ثِقَافُ (٦) أَلْسِنَتِكُمْ . ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ ، فَإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ (٧) ، وَارْوُوا الأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيهَا ، وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَحَادِيثَهَا وَسِيَرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو (٨) إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ . وَارْغَبُوا (٩) بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيِّهَا وَدَنِيِّهَا ، فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ (١٠) لِلرِّقَابِ ، مَفْسِدَةٌ لِلْكُتَّابِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ ، وَالسُّخْفَ (١١) وَالْعَظَمَةَ ، فَإِنَّهَا عَدَاوَةٌ مُجْتَلَبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ .

وَتَحَابُّوا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ ، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ وَالْعَدْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ (١٢) » .

وقد اشتملت هذه الرسالة على ما يأتى :

١ — مكانة الكتَّاب من الدولة ، وعظم غنائهم فيها ،فيجعلهم عبد الحميد قوام أمرها ، وبهجتها وزينتها ، ويجعل ما يقدمون للسلطان من مشورة ورأى سديد ، وسيلة لصلاحها واعتدال شئونها ، واستقامة أمورها ، وعمـــران ربوعها ، ويؤكد ذلك بأنه لا غناء مثل غنائهم ، ولاغنى للملك عن عقولهم وجهودهم ، ثم يرفعهم فوق ذلك درجة ، فيجعلهم أسماع الملوك وأبصارهم ، وأيديهم .

٢ — وإذا كان الكتَّاب فى هذا المستوى الرفيع فى الدولة ، وكانوا السمع والبصر واليد ، فلابد أن يستكملوا وسائلهم حتى يكونوا أهلا لهذه المنزلة قادرين على توجيه شئون الدولة ، وإمدادها بالرأى السديد ، والعمل الرشيد . فنصحهم بأن يتزودوا بألوان الثقافة وليبدءوا بكتاب الله يحفظونه ويفقهون معانيه ومراميه ، وليأخذوا حظهم من علم المواريث ولينهلوا من لغتهم؛ ليقوموا ألسنتهم ، وليجيدوا خطهم ليكون زينة كتبهم ، وليرووا

---

(٥) الفرائض : علم المواريث الذى يعرفون به كيف تقسم التركات على الوارثين .

(٦) ثقاف ألسنتكم : قوامها ، ووسائل فصاحتها وبيانها . (٧) حلية كتبكم : زينتها .

(٨) تسمو هممكم: تتطلعون . (٩) ارغبوا بأنفسكم : تجنبوا . المطامع : مايشتهيه المرء بغير حق، ومايأمله وقدرته دونه، أو مايحرص عليه وهوملك لغيره . سنيها: رفعيها. دنيها: رديئها .

(١٠) مذلة : سبب للذل . (١١) السخف: ضعف العقل . العظمة . يريد التعاظم. مجتلبة : مكتسبة أى جديدة . إحنة : عداوة . (١٢) سلفكم : السابقين منكم .

الأشعار ويدرسوا معانيها ، وغريبَ ألفاظها ، وتاريخ العرب والعجم وأيامها وسيرها فإن ذلك كله من وسائل الرفعة التي يتطلعون إليها .

٣ — وإذا كانت هذه هي المعرفة التي يجب أن يتزودوا بها فعليهم أن يجتنبوا مايشوبها ، فلاينبغي أن يهبطوا في مطامعهم فيحرصوا على ما في أيدى الناس قل أو كثر ، غلا أو رخص ، فإن ذلك ذل وضعف وفساد . وعليهم أن يجتنبوا الحمق ، والتعاظم فإن هذا لا يجني غير البغضاء والكراهية تغرس في النفوس من حولهم من غير داع يقتضيها .

٤ — ثم دعاهم إلى الوئام والاتحاد ، والنصح والإخلاص ، والتعاون على رفع شأن صناعتهم حتى يجدروا بأسلافهم . والخلاصة أنه يدعوهم إلى التسلح بالعلم والخلق النبيل وأنت ترى أن عبد الحميد مؤمن برسالة الكتاب ، معتز بمكانتها ، مخلص في دعوته إلى السمو بها ، والارتفاع عما يشو بها ويكدر صفوها كما تراه متزن الفكر ، متأنيا في النصح والتعليل له ، وهو في رسالته يرصع قوله بالحكمة ؛ ويقويه بالصورة ، ولكن السمة الغالبة على كلامه إلحاحه في تقرير فكرته ، والتأنق في اختيار لفظه ، والحرص على تصفية عبارته ، وتوزيع الموسيقى بالجمل المترادفة .

(د)

ومن رسائله القصيرة قوله :

« حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيّ ، إذْ جَعَلَكَ مَوْضِعاً لِأَمَلِهِ ، وَرَآنِي أَهْلاً لِحَاجَتِهِ . وَقَدْ أَنْجَزْتُ حَاجَتَهُ ، فَصَدِّقْ أَمَلَهُ » .

فهو يجعل حامل رسالته صاحب حق على الكاتب ، وعلى من يراسله الكاتب ، ويجعلها حقين متساويين ، ثم يشير إلى أنه قد قام بما عليه من حق ، وبقي أن يقوم الجانب الآخر بما عليه . وهي وسيلة للرجاء يلجأ إليها الناس في كل العصور وعبد الحميد كان أهلا لحاجة حامل الرسالة , وقد استجاب « بالإنجاز » ؛ لأن حاجته كانت محصورة في كتابة الرسالة ، فكتبها ، ولكن بقي أن يستجيب الآخر فيحقق « الأمل » . ومن هنا تعرف لماذا عبر هنا بالأمل ، وعبر هناك « بالحاجة » ومن لباقته أيضا أنه لما قال « جعلك موضعا » قال « رآني أهلا » ، وقدم صاحبه على نفسه . والأمر في قوله « صدق أمله » للالتماس ؛ لأن عبد الحميد يوجه الخطاب والأمر لأحد أصحابه من العاملين في الدولة .

نشأته وحياته

عبد الحميد من أصل فارسي ، نشأ بالأنبار ، ثم بدأ حياته العملية معلما للصبيان بالكوفة ، ثم تلفت حوله فوجد الدولة قد بسطت سلطانها على ممالك كثيرة في الشرق والغرب ، ورأى

رجالا يدونون العلوم ، ورجالا ينقلون علوما وآدابا من أمم أخرى ، وكان ذا موهبة ، فوجد الوسيلة لتنميتها فى هذه الحياة الخصبة ، انتقل إلى الشام واتصل بهشام بن عبد الملك ، وكتب له واتصل فى أثناء ذلك بسالم مولى هشام وكبير كتابه وصاهره ، وأفاد من ذلك أيما فائدة ، ثم وصلت الأيام بينه وبين مروان وهو وال على أرمينية ، وتوطدت الصداقة بينهما ، فلما آلت الخلافة إلى مروان سنة ١٢٦ هـ ظل عبد الحميد فى خدمته ، ثم تنشب الفتن ، وتعصف ببنى أمية ، فيصطلى عبد الحميد بنارها مع مروان فيفر معه إلى مصر حيث يلقيان مصرعهما فى سنة ١٣٢ هـ .

شخصيته

١ — كان عبد الحميد على خلق عظيم ، وأروع أخلاقه الوفاء والحفاظ على العهد ، ويشهد بذلك أنه حين رأى مروان بوادر الهزيمة قال له : « إن هذا الأمر زائل عنا لا محالة وسيضطر إليك بنو العباس لأدبك . وإن إعجابهم بك يدعوهم إلى حسن الظن بك ، فاستأمن إليهم لعلك تنفعنى فى حياتى وبعد موتى » . فقال عبد الحميد : « إن الذى أمرتنى به أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بى ، ولكنى أصبر حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل معك » .

٢ — وكان عبد الحميد شديد الغيرة على سلطان العرب يدل على ذلك قوله فى رسالته إلى فرق العرب : « فلا تمكنوا من ناصية الدولة يد الفتنة الأعجمية ، واثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة ، وتصحوا من هذه السكرة ، فسينضب السيل ، وتمحى آية الليل ، والله مع الصابرين » .

٣ — كان لعبد الحميد خبرة بشئون التربية والتعليم منذ كان معلما بالكوفة ، وقد نمت هذه الخبرة باتساع الثقافة وعمقت ، فصار أهلا للإشراف على تربية أبناء الخلفاء وولاية العهد .

٤ — كانت ثقافته متنوعة ، فكان قادرا على الكتابة فى مختلف الشئون .

٥ — كان مؤمنا برسالة الكتاب ودورهم فى خدمة الدولة .

مصادر ثقافته

١ — نشأ عبد الحميد بالعراق ، وكان العراق ممر تيارات الثقافات القديمة والجديدة .

٢ — حين انتقل إلى الشام رأى مجتمعا يموج برجال العلم والأدب حول مقر الخلافة .

٣ — عكف على دراسة آثار البلغاء القدامى ، وكان شديد الإعجاب بخطب على بن أبى طالب ورسائله فحفظها ، وكان يحفظ القرآن والحديث .

٤ — كان عبد الحميد مطلعاً على الثقافة الفارسية . ملما بتقاليد الفرس وعاداتهم فى الكتابة ، وميلهم إلى التفخيم والتمجيد .

٥ — وكان ملما بالثقافة اليونانية عن صهره سالم مولى هشام . وهى التى وجهته إلى دقة الكتابة وتنظيمها .

٦ — كان له من رحلاته واتصالاته , والأحداث التي مرت به مدد فياض من الخبرات.

خصائص كتابته

١ — هو أول من عنى بترتيب الأفكار وتسلسلها فى دقة ونظام ، فهو يقسم الرسالة ويحلل كل قسم فى ترابط وثيق بين الأقسام والأجزاء .

٢ — هو أول من أطال الرسائل والتحميدات ، فمن سمات كتابته الإطناب عن طريق الترادف والتكرار ، وشيوع الصور البلاغية . وله مع ذلك قدرة على الإيجاز .

٣ — له ذوق خاص فى انتقاء اللفظ ورعاية الموسيقى بالتناسق بين الجمل والفقرات والسجع فى بعض المواطن بلا تكلف .

٤ — يكتب عبد الحميد فى أناة وتؤدة فينقح ويصفى ما يكتب .

٥ — يعتبره النقاد ومؤرخو الأدب واضعا لأصول فن الرسائل فى الأدب العربى وبهذا قيل : « بدئت الكتابة بعبد الحميد » .

المناقشة

١ — قال عبد الحميد : « فإذا أفضيت نحو عدوك ، واعتزمت على لقائهم ، وأخذت أهبة قتالهم ، فاجعل دعامتك التى تلجأ إليها ، وثقتك التى تأمل النجاة بها ، وركنك الذى ترتجى منال الظفر به تقوى الله عز وجل ، مستشعرا له بمراقبته ، والاعتصام بطاعته » .

(ا) إلى من وجهت هذه الرسالة ؟ وفى أى مناسبة ؟

(ب) استخرج صورتين منها ، وبين أثرهما فى تحقيق هدف الرسالة .

(ج) اذكر خصيصة واحدة من خصائص فن عبد الحميد تبدو فى هذه الفقرة ووضحها .

٢ — وجه عبد الحميد رسالة إلى الكتاب منها : « فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون ، وأيديهم التى بها يبطشون » .

(ا) وضح الصورة التى رسمها الكاتب ، وبين ما توحى به .

(ب) علام اشتملت رسالة عبد الحميد الكاتب من أفكار ؟ وما علاقة بعضها ببعض ؟ استشهد لكل فكرة بعبارة .

٣ — اذكر الوسائل التى تهيأت لتنمية موهبة عبد الحميد الأدبية .

٤ — اشرح ثلاث خصال توضح معالم شخصية عبد الحميد الكاتب .

٥ — لعبد الحميد مصادر ثقافة متنوعة جعلته قادرا على أن يخوض الكتابة فى كل مجال . وضح ذلك .

٦ — مما درست من نماذج لعبد الحميد الكاتب . اكتب خمس خصائص لفنه الأدبى .

البلاغة

إلمامة بلاغية

الغرض من هذه الإلمامـــة تجميع ما تناثر من قواعد وأصول بلاغية ونقدية خلال الدراسات النصية السابقة ، ليسهل تطبيقها واستخدامها فى إدراك أسرار الجمال فى أساليب الأدباء . . .

التَّعْبِيرُ الْحَقِيقِيّ وَالتَّعْبِيرِ المجازِيّ

حرصنا فى دراستنا للنصوص الأدبية على أن نشير إلى التصوير الذى يتخذه الأدباء وسيلة لنقل مشاعرهم إلى نفوس القراء،أو وسيلة لنقل القراء إلى الجوّ النفسى الذى ينشىء الأدباء فيه آثارهم الفنية . ولقد عرفت أن الصور ألوان مختلفة ، وأن بعضها يعتمد على استخدام الكلمات فى غير معناها الحقيقى ، وأن هذا الاستخدام يسمى استخداما مجازيا ، وتثبيتا لهذا نعرض عليك بعض الأمثلة التى تزيدك بصراً به وإدراكا له :

فإذا قلنا مثلا :

١ — عما قَرِيب تَطْحَنُ أسلحَتُنا طيرانَ العدو ،

٢ — وتَحْصُدُ مدافِعُنا حشودَه ودبّاباته ،

ووازنا هاتين العبارتين بقولنا :

٣ — تَطْحَنُ آلاتُنا آلافَ الأطنَانِ من القَمح كلّ أسبوع .

٤ — ويَحْصُدُ الفلاحُ قمحَه فى الرَّبيع .

أدركت أن الطحن فى المثال الأول مستعمل استعمالا مجازيا ،وفى المثال الثالث مستعمل استعمالا حقيقيا ، وأدركت أن الحصدفىالمثال الثانى مستعمل استعمالا مجازيا،ولكنهفى المثال الرابع مستعمل استعمالا حقيقيا . وأدركت ـ مع ذلك ـ أن الكلمة لم تستعمل استعمالا مجازيا إلا لعلاقة بين المعنى الأصلىللكلمة والمعنى الذىاستخدمت فيه مجازيا ، والعلاقةهنا المشابهة بينعمل الأسلحة وعمل آلة الطحن،والمشابهة بين عمل المدافع وعمل آلاتالحصد.

ويمكن أن تستعمل الكلمة فى عبارة واحدة بمعناها الحقيقى مرة ومعناها المجازى مرة مثل :

١ — يَنْثُرُ الرَّئِيسُ مِنْ فِيهِ دُرَراً تُزْرِى بِدُرَرِ الْغوَّاصِينَ .

٢ — وَغداً تَفِرُّ ثَعَالِبُ الْعَدُوِّ أَمَامَنَا كَمَا تَفِرُّ الثَّعَالِبُ فِى الْحُقُول .

٣ — وَعَمَّا قَرِيبٍ تَعْلَمُ ذِئَابُ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الفِلسْطِينِيينَ لَيْسُوا غَنَمًا تَأْكُلُهَا الذِّئَاب .

فالدّرر مستعملة مرة بمعنى الكلمات ، ومرة بمعناها الحقيقى ، والثعالب مستعملة مرة بمعنى قادة العدّو المخادعين ، ومرة بمعنى الحيوان المعروف ، والذئاب مستعملة مرة بمعنى المعتدين الوحشيين على أهل فلسطين ، ومرة بمعناها الحقيقىّ . وأنت تستطيع أن تميز بين الاستعمال الحقيقى والاستعمال المجازى بالقرائن والسياق .

وفى الأمثلة السابقة كانت العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى المشابهة ، وهناك علاقات أخرى غير المشابهة تجيز استعمال الكلمات فى غير معناها الحقيقى مثل :

١ — أَلْقَى الرَّئِيسُ فِي لِيبِيَا كَلِمَةً كَانَ لَهَا أَعْمَقُ الأَثَرِ .

٢ — وَمَا مِنْ يَدٍ إِلاَّ يَدُ اللهِ فَوْقَهَا .

فالرئيس لم يلق كلمةً بل ألقى خطبةً طويلة أطلقنا عليها كلمة . لأن الكلمة جُزْء الخطبة ، فالعلاقة « الجُزْئِيَّةُ » وكلمة يد معناها القوة والقدرة ؛ لأن اليد سبب لها ، فالعلاقة « السَّبَبِيَّةُ » .

الخلاصة

١ — الْكَلِمَةُ قَدْ تُسْتَخْدَمُ فِي مَعْنًى مَجَازِيٍّ لِعِلاَقَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ .

٢ — الْعِلاَقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ وَالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ قَدْ تَكُونُ الْمُشَابَهَةَ وَقَدْ تَكُونُ الْجُزْئِيَّةَ ، وَقَدْ تَكُونُ السَّبَبِيَّةَ ، وَقَدْ تَكُونُ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا سَتَعْرِفُهُ بَعْدُ .

تمـــرين

بيـّن الكلمات التى استعملت استعمالا مجازيا ، والكلمات التى استعملت استعمالا حقيقيا مما تحته خط فيما يأتى ، واذكر العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى حالة الاستعمال المجازى :

١ — زأر الأسد زئيراً مروّعا . ٢ — خرجت الأمة بالثورة من الظلام إلى النور .

٣ — نشرت الدولة عيونها فى أرض العدو . ٤ — هؤلاء الأبطال أيادٍ على بلادهم .

٥ — يبنى بعض الزعماء مجداً ، ويبنى بعضهم بيوتا .

٦ — نطرد النحس إذا طردنا الصهيونيين .

٧ — إذا ابتسمت لمع فى فمها برق أكثر بريقا من برق السماء .

٨ — ذبحت المدينة خمسين رأسا من الغنم .

٩ — لسلاحنا الجوّى اليوم نسور تملأ الجوّ فتزعج نسور الجبال .

١٠ — دفنوا شهابا من الله يوم دفنوا جمالا .

١١ — بعد ظلام الإقطاع ظهر نور الثورة .

١٢ — فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ اَصْطِبَارِى وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِى (١)

١٣ — إِذَا الْعَيْنُ رَاحَتْ وَهْىَ عَيْنٌ عَلَى الْجَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الأَضَالِعُ (٢)

١٤ — كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

١٥ — أُحِبُّكَ يَاشَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لاَمَنِى فِيكَ السُّهَا وَالْفَرَاقِدُ (٣)

---

(١) هذا يقوله المتنبي حين أصابته الحمى فى مصر . اصطبارى : صبر . أحمم : أصاب بالحمى . اعتزامى : عزيمتى .

(٢) العين الأولى هى أداة الإبصار . والعين الثانية بمعنى من يعرف الأسرار وينقلها . والجوى : شدة الوجد والعشق أو المرض الناشىء عنهما .

(٣) السها : نجم غير لامع فى السماء . الفراقد جمع فرقد وهو نجم ، وفى السماء فرقدان .

التشبيه

فى دراسة النصوص طالعتك صور كثيرة من التشبيه . وقد عرفت هناك أن التشبيه هو عقد صلة بين أمرين لاشتراكهما فى صفة أو صفات ، قد تكون ملفوظة ، أو ملحوظة، فإذا قلت :

١ — إنَّ النَّاسَ كشُجَيْرَاتِ القَمْحِ فى الاسْتِوَاء .

فمعنى ذلك أنك قد لاحظت أن الناس متساوون ، وأنك قد بحثت عن نظير لهم فى هذا الاستواء ، فأسعفك خيالك بحقل من القمح شجيراته متساوية فى طولها ، فربطت بين الناس وشجيرات القمح ، وعقدت صلة بينهما لهذه المشابهة .

وإذا قلت :

٢ — الْهَرَمُ كَالْجَبَلِ فِى الارْتِفَاع .

فأنت قد لاحظت بين الهرم والجبل صفة مشتركة هى الارتفاع ، فعقدت بينهما صلة لهذا السبب .

وإذا قلت :

٣ — كَأَنَّ الْكِتَابَ جَلِيسٌ صَالِحٌ فِى تَهْذِيبِ النُّفُوسِ .

فَأَنْتَ قَدْ لاَحَظْتَ صِفَةً مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الكتاب وَالْجَلِيسِ الصَّالِح هِىَ تَهْذِيبُ النُّفُوسِ .

وإذا قلت :

٤ — كَأَنَّ الْعَزِيمَةَ الصَّادِقَةَ سَيْفٌ قَاطِعٌ .

فأنت قد لاحظت بين العزيمة الصادقة والسيف القاطع صفة هى حَسْمُ الأمور ، والفصلُ فيها .

وإذا قلت :

٥ — هَذَا الدَّوَاءُ مِثْلُ الْحَنْظَلِ مَرَارَة .

فالصفة المشتركة بَيْنَ الدواءِ المعيَّن والحنظل هى المرارة .

وإذا قلت :

٦ — هَذِهِ الطِّفْلَةُ شِبْهُ الزَّهْرَةِ النَّاضِرَة .

فالصفة المشتركة هى النضارة (الرونق والنعومة) .

وإذا قلت :

٧ — سُرْعَةُ هَذَا الْعَامِلِ تَشْبِهُ سُرْعَةَ السُّلَحْفَاةِ .

فالصفة المشتركة هى البطء الشديد .

وإذا قلت :

٨ — حَدِيثُ الشَّخْصِ الْمَحْبُوبِ يُضَارِعُ الشَّهْدَ فِي الْحَلَاوَةِ .

فالصفة المشتركة هى الحلاوة .

وإذا قلت :

٩ — عَضَلُ الْمُلَاكِمِ يُمَاثِلُ الْحَدِيدَ قُوَّةً .

فالصفة المشتركة هى القوة .

وإذا قلت :

١٠ — الرَّأْيُ النَّاضِجُ يُحَاكِي الْحَبْلَ الْمُبْرَمَ :

فالصفة هى المتانة والقوة ، والإقدار على الإبلاغ إلى الغاية .

وإذا قلت :

١١ — الْهَمُّ يُشَابِهُ حَدَّ السَّيْفِ .

فالصفة المشتركة هى الإيلام .

وإذا قلت :

١٢ — الْمَنِيَّةُ تُشْبِهُ نَبْعًا يَشْرَبُ مِنْهُ كُلُّ إِنْسَانٍ .

فالصفة المشتركة هى شُرْبُ الناسِ جميعا .

وفى الأمثلة السابقة كلها رأيت أمرين مشتركين فى صفة أو صفات ، هذان الأمران أحدهما يسمَّى مُشَبَّها ، وهو ماتتحدث عنه ، والآخر يسمى مشبها به وهو الأمر الذى تخيلته فربطت بينه وبين الأمر الأول فى الصفة ، وهذه الصفة المشتركة تكون فى الأمر الثانى أوضح وأقوى ، وتسمى هذه الصفة ، وجه الشبه بين الأمرين . ويسمى الأمران طرفى التشبيه . وقد لاحظت أن الربط بين الأمرين قد يشار إليه لفظا بحرف مثل الكاف وكأن ، أو باسم مثل شبه ، ومثل . أو بفعل مثل : يشابه أو يضارع ، ووسائل الربط هذه تسمى أدوات التشبيه .

الخُلاصَة

١ — التَّشْبِيهُ عَمَلٌ فَنِّيٌّ يُرْبَطُ فِيهِ شَيْءٌ بِشَيْءٍ فِي صِفَةٍ أَوْ أَكْثَرَ بِأَدَاةٍ مَلْفُوظَةٍ أَوْ مَلْحُوظَةٍ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمُمَاثَلَةِ .

٢ — الأَدَاةُ قَدْ تَكُونُ حَرْفًا ، أَوْ اسْمًا ، أَوْ فِعْلاً .

٣ — طَرَفَا التَّشْبِيهِ هُمَا : الْمُشَبَّهُ ، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ .

٤ — أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ هِيَ : الْمُشَبَّهُ ، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ ، وَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ .

٥ — وَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ الصِّفَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَهِيَ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ أَقْوَى وَأَظْهَرُ مِنْهَا فِي الْمُشَبَّهِ .

صور التشبيه

ليست التشبيهات التى مرت بك فى دراسة النّصوص كلها على صورة واحدة ، فإن منها ماذكر فيه أرْكانُ التشبيه الأرْبَعَة مثل :

(١)

١ — الأَبْطَالُ فِي الْمَعْرَكَةِ كَالْجِنِّ نَشَاطًا وَقُوَّةً وَإِرْهَابًا .

٢ — كَأَنَّ أَخْلَاقَ هَؤُلَاءِ الأَبْطَالِ فِي وَقْتِ السِّلْمِ نَسِيمُ الصَّبَاحِ لُطْفًا وَرِقَّةً .

٣ ، ٤ — الْكَرِيمُ كَالْمَاءِ صَفَاءً عِنْدَ الرِّضَا ، وَكَاللَّهِيبِ عِنْدَ السَّخَطِ تَوَقُّدًا وَإِحْرَاقًا .

ففى المثال الأول ذكرت الأركان كلها : المشبه وهو الأبطال ، والمشبه به وهو الجن ، وأداة التشبيه وهى الكاف ، ووجه الشبه وهو القوة والنشاط والإرهاب . وفى الثانى كذلك ذكر : المشبه وهو أخلاق هؤلاء ، والمشبه به وهو نسيم الصباح ، والأداة وهى كأن ، ووجه الشبه وهو : لطفا ورقة . وفى المثال الثالث ذكر المشبه وهو الكريم ، والمشبه به وهو الماء ، والأداة وهى الكاف ، ووجه الشبه وهو الصفاء ، وكذلك فى المثال الرابع : الكريم هو المشبه ، واللهيب هو المشبه به . ووجه الشبه هو توقداً وإحراقا ، والأداة هى الكاف .

وهذه هى الصورة الأولى من صور التشبيه .

والصورة الثانية مثل :

(ب)

٥ — نَظْرَةُ الْجُنْدِيِّ فِي الْحَرْبِ تُشْبِهُ لَهِيبَ النَّارِ .

٦ — وَجْهُ الْمُنْتَصِرِ كَصَفْحَةِ الْمِرْآةِ .

٧ — خُطْبَةُ هَذَا الزَّعِيمِ كَالْقَذَائِفِ .

٨ — كَأَنَّ الْوَطَنَ الْعَرَبِيَّ مِرْجَلٌ عَلَى النَّارِ .

ففى المثال الخامس ذكر المشبه وهو نظرة الجندى ، والمشبه به وهو لهيب النار ، والأداة وهى الفعل « تشبه » ، وحذف وجه الشبه وهو التوقد والاشتغال . وفى المثال السادس ذكر المشبه وهو وجه المنتصر والمشبه به وهو صفحة المرآة ، والأداة وهى الكاف ، وحذف وجه الشبه وهو التلألؤ والإشراق . وفى المثال السابع ذكر المشبه وهو خطبة الرئيس ، والمشبه به وهو القذائف ، والأداة وهى الكاف ، وحذف وجه الشبه وهو اتساع الصدى وشدة التأثير . وفى المثال الثامن ذكر المشبه وهو الوطن ، والمشبه به وهو المرجل ، والأداة وهى كأن .

وبالتأمل تحس أن حذف وجه الشبه يترك للخيال حرية الانطلاق فى تخيل كل رابطة أو صلة يمكن أن تربط بين المشبه والمشبه به .

والصورة الثالثة مثل :

(ح)

٩ — الْقُلُوبُ الطَّيِّبَةُ أَطْيَارٌ فِى الْأُلْفَةِ إِذَا أَنِسَتْ .

١٠ — هَذِهِ الْحَدِيقَةُ جَنَّةٌ فِى جَمَالِهَا وَبَهَائِهَا .

١١ — هَذِهِ الطِّفْلَةُ وَرْدَةٌ فِى النَّضَارَةِ وَالرَّوْنَقِ .

١٢ — كَأَنَّ جَمَالٌ سِرَاجَ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ هِدَايَةً وَإِضَاءَةً .

ففى المثال التاسع ذكر المشبه وهو القلوب ، والمشبه به وهو الأطيار ، ووجه الشبه وهى الألفة ، وحذفت الأداة .

وفى المثال العاشر ذكر المشبه وهو الحديقة، والمشبه به وهو الجنة ، ووجه الشبه وهو الجمال والبهاء ، وحذفت الأداة .

وفى المثال الحادى عشر ذكر المشبه وهو الطفلة ، والمشبه به وهو الوردة ، ووجه الشبه وهو النضارة والرونق ، وحذفت الأداة .

وفى المثال الثانى عشر ذكر المشبه وهو جمال ، والمشبه به وهو سراج الوطن ، ووجه الشبه وهو الهداية والإضاءة ، وحذفت الأداة .

وبالتأمل ترى أن فى حذف الأداة توكيداً لادّعاء أن المشبه هو المشبه به بعينه . والصورة الرابعة مثل :

(د)

١٣ — الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ .

١٤ — أَقْوَالُ الْقَادَةِ سُيُوفٌ مَاضِيَةٌ .

١٥ — قُلُوبُ الْمُسْتَعْمِرِينَ حِجَارَةٌ .

١٦ — الدِّيمقْرَاطِيَّةُ وَالاشْتِرَاكِيَّةُ جَنَاحَا الْحُرِّيَّة .

ففى المثال الثالث عشر ذكر المشبه وهو المؤمن ، والمشبه به وهو مرآة أخيه، و حذف وجه الشبه والأداة معا .

وفى المثال الرابع عشر ذكر المشبه وهو أقوال القادة ، والمشبه به وهو السيوف الماضية ، وحذف وجه الشبه والأداة معا .

وفى المثال الخامس عشر ، ذكر المشبه وهو قلوب المستعمرين، والمشبه به وهو حجارة وحذف وجه الشبه والأداة معا .

وفى المثال السادس عشر ذكر المشبه وهو الديمقراطية والاشتراكية ، والمشبه به وهو جناحا الحرية ، وحذف وجه الشبه والأداة معا .

وإذا كان فى حذف الأداة توكيدٌ للادعاء بأن المشبه هو عين المشبه به ، وإذا كان فى حذف وجه الشبه إطلاق العنان للخيال ، ليتخيل صفات مشتركة كثيرة بين المشبه والمشبه به ، فحذفهما معا معناه أن المتكلم قد عمد إلى الإغراق والمبالغة فى ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه ولذلك أهمل ذكر الأداة التى تدل على أن المشبه أضعف فى وجه الشبه من المشبه به ، وأهمل ذكر وجه الشبه الذى ينم عن اشتراك الطرفين فى صفة أو صفات دون غيرها . وتسمى هذه الصورة الرابعة « تَشْبِيهاً بليغاً»(١) .

(هـ)

لاحظت فى الصورة الرابعة أن المشبه كان مبتدأ، والمشبه به كان خبراً للمبتدإ، ولكن هذه

(١) من المبالغة لا من البلاغة .

حالة واحدة من حالات الصورة الرابعة ، وهناك حالات أخرى كثيرة لهـــذه الصورة الرابعة مثل :

١٧ — تَأَلَّقَ ذَهَبُ الأَصِيلِ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ .

١٨ — ظَهَرَ الأَدِيبُ فِي سَمَاءِ الفَنِّ نَجْمًا لامِعًا .

١٩ — يَغْلِي الشَّرْقُ الأَوْسَطُ غَلَيَانَ المِرْجَلِ .

٢٠ — كَانَ مَاءُ النَّهْرِ فِي الضُّحَا لُجَيْنًا سَائِلاً .

٢١ — عَلِمْتُ كَلامَكَ دُرًّا صَافِيًا .

٢٢ — تَدَفَّقَ مِنْ فِيهِ كَلامٌ جَوَاهِرُ .

٢٣ — كَتَبَ الرَّئِيسُ رِسَالَةً هِيَ عِبَارَاتُ الدُّرِّ وَالْجَوْهَرِ .

٢٤ — أَلْبَسَكَ اللهُ ثَوْبًا مِنَ الْعَافِيَةِ .

فهذه كلها حالات من الصورة الرابعة التي يحذف فيها وجه الشبه والأداة ، فيكون التشبيه بليغا ،وفي المثال السابع عشر أضيف المشبه به إلى المشبه ،فالذهب مشبه به مضاف، والأصيل مشبه مضاف إليه . وفي المثال الثامن عشر جاء المشبه به (نجما) حالا من المشبه (الأديب) وفي المثال التاسع عشر جاء المشبه به مصدراً مبينا للنوع (غليان المرجل) وجاء المشبه محذوفا تقديره غليانا مثل غليان المرجل .

وفي المثال العشرين جاء المشبه به خبراً لكان (أقرب الحالات إلى الحالة الأصلية) وفي المثال الحادي والعشرين جاء المشبه به مفعولا ثانياً (أصله خبر) وفي المثال الثاني والعشرين جاء المشبه به صفة للمشبه (جواهر صفة لكلام) وفي المثال الثالث والعشرين جاء المشبه مضافا (عبارات) ، وجاء المشبه به مضافا إليه (الدر والجوهر) ، وهـــذا عكس ما في المثال السابع عشر . وفي المثال الرابع والعشرين جاء المشبه (العافية) بيانا للمشبه به بعد حرف الجر « من » البيـانية .

الخلاصة

١ — يَأْتِي التَّشْبِيهُ عَلَى صُوَرٍ أَرْبَعٍ ، فَقَدْ تَجْتَمِعُ فِيهِ الأَرْكَانُ الأَرْبَعَةُ ، وَقَدْ تُحْذَفُ مِنْهُ الأَدَاةُ ، وَقَدْ يُحْذَفُ وَجْهُ الشَّبَهِ ، وَقَدْ يُحْذَفُ وَجْهُ الشَّبَهِ وَالأَدَاةُ مَعًا .

٢ — إِذَا حُذِفَ مِنَ التَّشْبِيهِ وَجْهُ الشَّبَهِ وَالأَدَاةُ مَعًا سُمِّيَ التَّشْبِيهُ تَشْبِيهًا بَلِيغًا .

٣ — لِلتَّشْبِيه البَلِيغ حَالاتٌ مُخْتَلِفَةٌ ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُشَبَّهُ مبتَدأً وَالمُشَبَّهُ بِهِ خَبَراً ، وقَدْ يَكُونُ الْمُشَبَّهُ بِهِ مُضَافاً وَالمُشَبَّه مُضَافاً إِليْهِ ، وَقَدْ يَكُون المشَبَّه بِهِ حَالاً ، والمُشَبَّهُ صَاحِبَ الْحَال ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُشَبَّهُ بِهِ مَصْدَراً مُبَيِّناً لِلنَّوْع وَالمُشَبَّه مُقَدَّراً ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُشَبَّهُ بِهِ خَبَراً لفعل نَاسِخ والمُشَبَّه اسْمُهُ ، وقَدْ يَكُونُ المُشَبَّهُ بِهِ مَفْعُولاً ثَانِيًا والمُشَبَّه مَفْعولاً أَوَّلَ ، وَقَدْ يَكُونُ المُشَبَّهُ بِهِ صِفَةً لِلمشَبه مُؤَوَّلَةً بالمُشْتَقّ ، وَقَدْ يَكُون المُشَبَّه بِهِ مُضَافاً إِلَيْهِ والمُشَبَّهُ مُضَافاً ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُشَبَّه بِهِ مُبَيِّنًا بِالمُشَبَّه المَجْرُور بِمِنْ .

تشبيه التمثيل

كان وجه الشبه فى التشبيهات السابقة صفة واحدة ، أو صفات متعددة ، وإذا كان وجه الشبه كذلك سمى وجـــه الشبه مفردا ، ولـكن قد يكون وجه الشبه صورة أو هيئة مثل قوله تعالى :

١ — « مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

فهنا شُبِّهتْ حالُ الذين اتخَذوا الأوثان نصراء ينصرونهم من دون الله وهى ضعيفة لا ينفع الالتجاءُ إليها ـ بحال العنكبوت تتخذ من خيوطها الواهنة بيتا لتقيها هجوم أعدائها وإنه لـوَاه ضعيف ، ووجه الشبه صورة شيء يحتمى بآخر لا يحميه ، فوجه الشبه صورة منتزعة من شيئين ، ولذلك يسمى التشبيه تمثيلا .

٢ — مَثَلُ الاسْتِعْمار الْجَدِيد يُقَدِّمُ العَوْنَ لِلدُّوَلِ الصَّغِيرَةِ لِيُسَيْطِرَ عَلى اقْتِصَادِهَا وَيَمْتَصَّ قُوَّتَهَا ، ويُوَجِّه سِيَاسَتَهَا ، ويُهْدِرُ حُقُوقَهَا مثل مُلْقِي الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لِيَصِيدَهَا وَيَذْبَحَهَا ويَأْكُلَ لحمها .

فوجه الشبه القيام بعمل ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، وهذا الوجه صورة ، ولذلك سمى التشبيه تمثيلا .

ومن ذلك :

٣ — « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

فوجه الشبه هنا صورة من يعمل عملا قليلا ، ولكنه يجنى من ثمار عمله كثيراً ، فالتشبيه تمثيل .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

٤ — « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » .

فوجه الشبه صورة الأجزاء تترابط وتتوثق علاقاتها ، ويتأثر بعضها ببعض بحيث لا يختلف التأثر فى جزء عن جزء ، ولذلك يسمى التشبيه تمثيلا .

ومن ذلك قول المتنبي فى سيف الدولة :

٥ — يَهُزُّ الْجَيْشَ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ

فهو يشبه صورة جانبي الجيش : ميمنته وميسرته ، وسيف الدولة بينهما ، وما فيها من حركة ونشاط وسرعة بصورة عقاب (طائر كاسر معروف بالقوة والمنعة ، وهو خفيف الجَنَاحِ سَرِيعُ الطيرانِ) . تنفض جناحيها وتحركهما ، فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد وهو وجود جانبين لشىء واحد فى حالة حركة ونشاط وتموج سريع ، فالتشبيه تمثيل .

ومن ذلك قول البحترى :

٦ — وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

يشبه الشاعر حال نفسه وامتزاجها بنفس صاحبه بحال امتزاج الماء والراح (الخمر) ، وفناء أحدهما فى الآخر ، فوجه الشبه الصورة الناشئة من امتزاج شيئين متوافقين كل التوافق فالتشبيه تمثيل .

ومن ذلك قوله تعالى :

٧ — « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ » .

يشبه الله حال المنافقين تبدو لهم الدلائل الواضحة ، فيلمحون هدايتها ثم يعودون إلى ما كانوا من ضلال بحال من أوقد ناراً ، فتمتع بضوئها قليلا ، ثم لم تلبث هذه النار أن أطفئت ، فغشيه الظلام الحالك . ووجه الشبه الصورة المكونة من هداية قصيرة يتلوها ظلام وحيرة وارتباك ، فالتشبيه تمثيل .

ومن ذلك :

٨ — « كَأَن جَيْشَ الْعَدُوِّ وَجَيْشَنَا يَنْقَضُّ عَلَيْهِ لَيْلٌ يُطَارِدُهُ صَبَاحٌ » .

فوجه الشبه صورة منتزعة من شيء قبيح يُوَلِّى مسرعاً أمَامَ زَحْف شيءٍ جميل يطارده فى قوة ، فالتشبيه تمثيل .

ومن ذلك :

٩ — « مَثَلُ إِسْرَائِيلَ فِى بَعْضِ بُلْدَانِ إِفْرِيقِيَّة كَمَثَلِ الْجَزَّار يُطْعِمُ الْغَنَمَ لِيذْبَحَهَا » .

فوجه الشبه صورة منتزعة من عمل ظاهره المودة ، والصداقة ، وباطنه العداوة والبغضاء والوحشية .

ومن ذلك :

١٠ — « مَثَلُ النُّجُومِ خِلاَلَ السَّمَاءِ الصَّافِية كَمَثَلِ حَبَّات عِقْد مِنَ اللُّؤْلُؤ انتَثَرَتْ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقَ » .

فوجه الشبه صورة منتزعة من أجسام بيض لامعات متفرقات فوق سطح أزرق .

الخلاصة

١ — تَشْبِيهُ التَّمْثِيل هُوَ مَا كَانَ وَجْهُ الشَّبَهِ فِيهِ صُورَةً مُنْتَزَعَة مِنْ أَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةٍ .

٢ — يمتازُ تشبيه التمثيل بتعدّد الأَجْزاء ، وَالْجُهْدِ الفَنّىّ فى المُلاءمة بينها، وَيَتَّخِذُهُ البُلَغاء من الوسائِل المُوَفّقَةِ فِى رَسْمِ الصُّورَةِ الفسيحة المُمْتدة .

سر الجمال فى التشبيه

أسرار الجمال فى التشبيه لا يمكن حصرها ، ولكننا نورد لك أمثلة تهديك إلى إدراك سر الجمال فيما يعرض لك من تشبيهات ، فإذا قرأت قول الشاعر :

١ — وَأَبيَضَ فَيّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَاتُغِبُّ فَوَاضِلُهْ

ولاحظت التشبيه فى قوله : « يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَىَ معتَفيه » وتأثرت به وحاولت أن تدرك سر تأثرك به تبينَ لك أول أسباب جماله والتأثر به أنه وضعَ فى

السياق الملائم ، فالشاعر يمدح صاحبه بالكرم فبدأ البيت بقوله : « أبيض فياض » ، وعقب بالتشبيه الذى يؤيد هذين الوصفين ويوضحهما ويؤكدهما ، فشبه اليدين بالغمامة ، واختيار الغمامة مشبهاً به فى بيئة صحراوية له أعظم الوقع فى نفوس الذين يطربون للمطر الذى يدعونه غيثا ، ثم حذف أداة التشبيه ووجه الشبه ليؤكد ادعاء أن المشبه هو المشبه به بعينه ، ثم جعل الغمامة فوق المعتفين تغمرهم وتملأ سماءهم ، وتمدهم بالظل وهو نادر وجميل، وهكذا يصور الكرم بصورة حسية معبرة بسبب اختيار مادة التصوير، وطرافتها فى البيئة، واختيار السياق الملائم الموحى للصورة . وإذا قرأت قول الشاعر :

٣ — كَمْ وُجُوهٍ مِثْلِ النَّهَارِ ضِيَاءً لِنُفُوسٍ كَاللَّيْلِ فِى الإِظْلَامِ

رأيت تشبيهاً مؤثراً ، مع أن الشاعر ذكر وجه الشبه ، وأداة التشبيه ، وأوحى إليك أن سر الجمال لابد أن يكون شيئاً غير حذف الأداة ووجه الشبه ، فإذا التمست سببا للجمال أدركت أن الشاعر عميق الإحساس بقبح الخداع والختل والتضليل ، وأنه ضائق بهؤلاء الناس الذين يظهرون غير مايبطنون ، وأنه شديد التعجب لقدرتهم على التهلل وإظهار البهجة ، وقلوبهم مطوية على الحقد الأسود ، وقد استطاع الشاعر أن يصور النفوس تصويراً حسيا فجعلها ليلا مظلما ، وجعل الوجوه البيضاء كالنهار غطاء متقنا لإخفاء وسائل الخداع والمخاتلة .

وإذا قرأت قول الشاعر فى مغنية تغنى بلغة لا يفهمها ، ولكنه يتأثر بغنائها :

٣ — وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيهَا وَلَكِنْ وَرَتْ كَبِدِى فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا (١)
فَبِتُّ كَأَنَّنِى أَعْمَى مُعَنًّى يُحِبُّ الْغَانِيَاتِ وَلَا يَرَاهَا

أعجبت به ، وشعرت بما فى نفسه ، فإذا ماحاولت أن تتعمق سر هذا الشعور ، وذلك الإعجاب تبينت أنه حين سمع أنغام المغنية ، وأثارت فى نفسه كامن الشوق ، فأحرقت كبده وهو لايفهم ماتقول ولا يدرك معانى اللغة التى تغنى بها حاول أن يجد حالة من حالات الإنسان تشبه حالته هذه ، فاهتدى إلى تخيل حالة أدنى إليها من كل حالة وهى حالة الأعمى الذى يعشق الجمال وهو لايبصره بعينه ، فتوفيقه فى هذا الاختيار الذى لاءم به بين حال المشبه وحال المشبه به هو سر الجمال فى هذا التشبيه؛ لأنه جعل المسموعات بالأذن كالمرئيات بالعين، وجعل العشق بالأذن كالعشق بالعين . وهذا الإيغال فى المزج بين أدوات الإحساس هو سر آخر من أسرار الجمال فى هذا التشبيه وإذا قرأت قول الشاعر :

---

(١) ورت كبدى : ألهبته . والشجى : الحزن . والمعنى : المتعب المكدود . الغانيات : الجميلات المستغنيات عن الزينة .

٤ — وَإِنِّي وَإِيَّاكِ كَالصَّادِي (١) رَأَى نَهَلاً ... وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلَفَا
رَأَى بِعَيْنَيْهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ ... وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرَفَا

هذا رجل يهوَى ويعشق ، وهو شديد الحرص على الإبقاء واتصال حَبْل المودة، لكنه يرى من الجانب الآخر صدوداً وهجراً يدعوان إلى صرم المودة وانقطاع حَبْل الهوى ، غير أن عزمه لا يقوى على حبه ، فهو يرى نفسه كالظامىء الذى رأى ماء ، ودونه حفرة عميقة يخاف السقوط فيها لَوْ ذَهَبَ إِلَيْهَا ، فَهُوَ يَنْظر بعينيه ماء يشق عليه ورده ، ولا يقدر أن ينصرف عنه لشدة ما به من الظمأ .

قد يكون حذف وجه الشبه سببا من أسباب الجمال، ولكن الأمر أبعد من ذلك وأعمق. إنه التصوير الحسى لحرقة الهوى ، وشدة الحيرة ، التصوير البارز للصراع النفسى الذى يعتلج فى نفس المحب الوفى لا يلاقى إلا صدًّا وهجرانا ، وهو يكتوى بنارين نار الهوى ، ونار الهجر ، وهو فى الوقت نفسه، لم تتهيأ له قوة العزيمة التى بها يصرم الحبل، ويكافىء صدا بصد ، وهجرانا بهجران ، فالسر فى جمال هذا التشبيه هو هذا الرسم البارز القوى الذى تراه فى هذا العطشان ، وما أمامه من هوة وهو يرى بعينه الماء وهو عاجز عن ورده ، ولا يملك فى الوقت نفسه الانصراف عنه ومثل هذا التصوير الحسى تراه فى قول الشاعر :

٥ — كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ (٢)
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ ... تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
فَلاَ بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرَجِّى ... وَلاَ فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاحُ

فهذا شاعر يصور قلبه يخفق ويضطرب حين يسمع غدو ليلى أو رواحها ، بحال هذه القطاة التى غلبها شرك الصائد فباتت تجاذبه ليلتها ، ولم تتخلص ، وأصبحت كما أمست، فسر الجمال فى هذا التصوير الحسى لحالة الحب والاضطراب والخوف .

ومثل هذا أيضا قول الشاعر :

٦ — كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدٍ ضَبَثَتْ بِهِ ... مُحَاذَرَةَ أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهْ (٣)

---

(١) الصادى: العطشان . النهل المنهل . الهوة :ما هبط من الأرض . عز:صعب وعسر. منصرف : انصراف . دون : أمام .

(٢) يغدى بها : تنقل فى الغداة أى الصباح الباكر . قطاة : طائر معين . عزها : غلبها . يراح : نجاة .

(٣) ضبثت به : قبضت عليه . يقضب : يقطع . الحبل : الوصل والمودة .

فقد صور فؤاده الخائف المروع من الهجر هذا التصوير الحسى البارز المؤثر ، وحسبك بقلب تقبض عليه يد قوية تعصره من خوف الصرم والقطيعة .

وإذا قرأت قول الشاعر :

٧ — وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ وَفَاتِهِ لَكَالغِمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ(١)

فَإِنْ أَغْشَ قَوْماً بَعْدَهُ أَوْ أَزُرْهُمُ فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الأَنَسِ المَحْلُ

أحسست الأثر العميق فى نفس الشاعر لموت إسماعيل ، ورأيته يصف هذا الأثر بتشبيهين : الأول أنه صار بعد الفجيعة كالغمد وقد خلا من السيف يوم الحرب فلا جدوى فى الغمد ولا غناء له ، والثانى أن موته غير طباعه رأسا على عقب ، فأصبح كالحيوان البرى ينفر من الناس ، ولا يقترب منهم إلا إذا اضطره الجوع وأصابه الجهد والضر . وأنت ترى كيف صور الشاعر حزنه تصويرا حسيا فى صورتين متعاونتين على تحقيق هذا الهدف ، ولعلك تلاحظ أن التشبيه بالغمد الخالى ، والتشبيه بالوحش المنعزل يجرى فيهما تيار واحد هو تيار الوحشة والانقباض والعزلة ، وانسجام التشبيهين وجريانهما مجرى واحدا هو من أقوى الأسباب لجمال التشبيه .

وإذا قرأت قول الله تعالى :

٨ — وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ » .

أعجبت بجمال الصورة ، فإذا التمست أسباب هذا الأعجاب عرفت أن التصوير الحسى هو السر ، فقد صور الوثنيين الذين يدعون فلا يستجاب لهم بمن يبسط كفيه إلى الماء ليشرب ، فلا يصل الماء إلى الفم ؛ لأنه يتسرب من بين الأصابع مادامت الكفان مبسوطتين ، فالتصوير الحسى لعدم الاستجابة وسيلة الإقناع فى موقف الوثنيين ، على أن التشبيه يوحى بأن ضلالهم يستمر كعطش من يبسط كفيه ، وقدرة التشبيه على الإيحاء من أسباب جماله ،

ومثل هذا التشبيه فى جماله قول الشاعر :

٩ — وَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَقَابِضٍ عَلَى المَاءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ

---

(١) الغمد : جراب السيف . الروع : الحرب . أغش : آته . يدنيها : يقربها . المحل : الجدب .

فهو يصور بُعْدها منه كلما دنت منه تصويرا حسيا ، فيصور حاله بحال من يقبض بكفه على الماء يحاول إمساكه ، فيسيل ويخرج من بين أصابعه فلا يفيد ، ويبقى عطشان كما بقى الشاعر محروما . وإذا قرأت قول الشاعر في وصف الظل في وادٍ ذى شجر نزله في يوم حار :

١٠ — نزلنا دَوْحَــــهُ فحنا علينا جُنُوَّ المُرْضعات على الفطيم

رأيته قد أراد أن يشبه حنو أغصان الدوح فوقهم وإنقاذهم من الهجير بظله ، فشبهه بحنو المُرْضعات على الفطيم،فاختار شيئا معهودا يتجلى فيه العطف والحنو بأجلى مظاهره، فهذا الاختيار هنا هو سر الجمال ،بالإضافة إلى حسيته وما فيه من توضيح للغموض في حنو الدوح وأغصانه .

وإذا قرأت قول الشاعر :

١١ — وَكأنَّ لَذَّةَ صَوْتِهِ وَدَبِيبَهَا سِنَةٌ تَمَشَّى فى مَفَاصِلِ نُعَّسِ(١)

رأيته يشبه لذة الصوت الشجى الرخيم بالسنة الهادئة التى تمشى فى الجسم ، فتشعره براحة تحتضنه ، وتحمله فى رفق إلى نوم سعيد ، وإيحاء التشبيه هو سر جماله ؛ لأنه يوحى بأن الصوت الجميل يحمل سامعه إلى عالم سعيد من الأحلام ، فى رفق كالسنة التى تكون مقدمة لذيذة لهذه الأحلام الجميلة

. وإذا قرأت قول الشاعر :

١٢ —بَليتُ(٢) بِلَى الأَطْلاَلِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِى التُّرْبِ خَاتَمُهْ

رأيته يشبه الوقوف الذى يدعو نفسه إليه بوقوف الشحيح الذى فقد خاتمه ، ولبث ينقب عليه فى جد وحيرة،فجمال التشبيه نابع من غرابة المشبه به وطرافته فوق مافى التصوير من تجسيم وإيحا، باللهفة والحسرة .

الخلاصة

أسرار الجمال فى التشبيه كثيرة :

١ — فمنها التصوير الحسى للمعانى النفسية والعقلية .

٢ — ومنها صدق الشعور ويَبْدو فى دِقةِ اختيار المشبه به بحيث يعبر

---

(١) السنة : مبدأ النوم .

(٢) يدعو على نفسه بالفناء كالديار التى صارت أطلالا دارسة . والشحيح : البخيل الحريص .

عن حال المشبه كما يراه الأديب تعبيرا دقيقا قادراً على نقل الجو النفسى إلى القارىء نَقْلاً أمينا .

٣ — الإيحاءات التى تَشِعُّ من السِّياق الذى يوضَع فيه التشبيه بحيث يلائم مَاقَبْلَه وما بَعْدَه ملاءَمَةً تَدْعو إلى تَضَافر الصُّوَر والمعانى على تحقيق هَدَفِ الأديب .

٤ — الطرافَة والغرابة ، والبعْد عن الصُّورِ التى أخْلَقَتْها قَرَائح الشُّعَراءِ وابْتَذَلَتْها أقلام الكتاب .

تمرينات

فى كل ما يأتى تشبيه ، والمطلوب منك أن تذكر فى كل تشبيه :

(ا) أركان التشبيه الموجودة والمحذوفة مع بيان هدف الحذف .

(ب) تمييز تشبيه التمثيل من غيره .

(ج) سر الجمال فى كل تشبيه .

١ — كلامُ علىِّ بْنِ أَبى طَالبٍ كالشَّهْدِ حَلاَوَةً .

٢ — أَلَمْ تَرَ أَنَّا نورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا ... يُبَيِّنُ فى الظلماءِ لِلنَّاسِ نورُهَا

٣ — وَإِنِّى لعبدُ الضَّيْفِ مادامَ نَازلاً ... وَمَاشِيمَةٌ لى غَيْرَهَا تُشْبِهُ العَبْدَا

٤ — يُمَنِّينَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا ... رَفِيفَ الْخُزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا(١)

٥ — أَنْتَ كَالْبَحْرِ فى السَّمَاحَةِ وَالشَّمْسِ عُلُوًّا ، وَالْبَدْرِ فى الإِشْرَاقِ

٦ — النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ اسْتِواءً .

٧ — بَيْضَاءُ تسحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرْعَهَا ... وَتَغيبُ فيهِ وَهْوَ وَحْفٌ أَسْحَمُ(٢)

فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ ... وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

٨ — نظرته أَشْبَهُ شَىْءٍ بلهيبِ النار تَوَقُّداً .

---

(١) الخزامى : نبت برى زهره طيب الرائحة . والطل : الندى . وجاده : سقاه .

(٢) من قيام : أى وهى واقفة يصل شعرها إلى الأرض ويزيد . فرعها : شعرها . وحف : غزير أسود . أسحم : شديد السواد . ساطع : منتشر الضوء .

٩ — الماءُ كذائبِ اللُّجَيْنِ صفاءً (١) .

١٠ — أخلاقُكَ في لُطْفِها ورقَّتِها كأنَّها نسيمُ الصباح .

١١ — رميتَهُمْ ببحرٍ من حديدٍ   له في البرِّ خلْفَهُمْ عُبابُ (٢)

١٢ — إذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفتْ   لَهُ عَنْ عدوٍّ في ثيابِ صَديق (٣)

١٣ — أنا صخرةُ الوادي إذا مازُوحِمَتْ   وإذا نطقتُ فإنني الجوزاء (٤)

١٤ — يزُورُ الأعادِي في سَماءِ عَجاجَةٍ   أَسِنَّتُهُ في جانبَيْها الكواكبُ (٥)

فَتُسْفِرُ عنْهُ والسيوفُ كأنَّما   مَضاربُها مِمَّا انفلَلْنَ ضَرائبُ

طَلَعْنَ شُمُوساً والغُمُودُ مشارقٌ   لَهُنَّ ، وهاماتُ الرِّجالِ مَغاربُ

١٥ — هامَ الفُؤادُ بأعرابيَّةٍ سكنتْ   بَيْتاً من القَلْبِ لَمْ تمدُدْ له طُنُبا (٦)

مظلُومةُ القدِّ في تشبيهِهِ غُصُناً   مَظْلُومَةُ الرِّيقِ في تَشْبِيهِه ضَرَبَا

١٦ — كأنَّها الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قابِضِهِ   شعاعُها ، ويراهُ الطرفُ مُقْتَرِبَا (٧)

١٧ — ونَصَبْتَنِي غَرَضَ الرُّماةِ تُصِيبُني   مِحَنٌ أحدُّ مِنَ السُّيُوفِ مَضارِبَا (٨)

هذا الَّذِي أبصرتُ مِنْهُ حاضِراً   مِثْلُ الذي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبَا

كالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رأيْتَه   يُهْدِي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِباً (٩)

كالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلقريبِ جواهراً   جُوداً ، ويبعث للبعيدِ سَحَائِبَا

كالشَّمْسِ في كبدِ السَّماءِ وضَوْءُها   يَغْشَى البلادَ مَشارقا ومَغارِبَا

---

(١) اللجين : الفضة .   (٢) عباب : موج مرتفع أو ماء كثير أو سيل غزير .
(٣) امتحن : اختبر وعرف معرفة دقيقة . لبيب : ذو عقل . (٤) الصخرة : الحجر الصلب العظيم ، وصخرة الوادي أصلب ؛ لأن السيل فصل أجزاءها الضعيفة . الجوزاء : برج في السماء .   (٥) العجاجة : الغبار . هامات الرجال : رءوسهم .   (٦) الطنب : الحبل تشد به الخيمة . الضرب : العسل .   (٧) يعيي : يعجز أي لا تستطيع الكف أن تمسكه . الطرف : العين .   (٨) الغرض : الهدف . محن : مصائب . المضارب : جمع مضرب وهو حد السيف (يشكو خطوب الدهر) .   (٩) الثاقب : المضيء .

١٨ — كَأَن الْفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزَارٌ　　يُرَاعِي مِنْ دُجُنَّتِهِ رَقِيبَا (١)

١٩ — أَشَدُّ مِنَ الرِّيَاحِ الْهُوجِ بَطْشاً　　وَأَسْرع فِى النَّدَى مِنها هُبُوبَا (٢)

٢٠ — كَأَن كُلَّ سُؤَال فِى مَسَامِعِهِ　　قَمِيصُ يُوسُفَ فِى أَجْفَانِ يعقوب

٢١ — وَيومٍ كَلَيْل العاشِقِينَ كَمَنْتُهُ　　أُراقِبُ فيهِ الشمسَ أَيَّانَ تغرُبُ (٣)

٢٢ — وَإِنِّى لَنَجْمٌ تهتدى بِى صُحْبَتِى　　إِذا حَال بين دُون النُّجُومِ سحابُ

٢٣ — رَأَى خَلَّتِى مِنْ حيثُ يَخْفَى مكانها　　فـكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتى تَجَلَّتِ (٤)

٢٤ — إِنَّ الرسُولَ لَنورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ　　مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

٢٥ — كَأَنَّ عَيْنِى لِذِكْرَاهُ إِذا خَطَرَتْ　　فَيْضٌ يسيل عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارُ (٥)

وَإِنَّ صخراً لَمِقْدَامٌ إِذا ركبوا　　وَإِن صخْرا إِذا جَاعُوا لَعَقَّارُ

أَغَرُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ　　كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِى رَأْسِهِ نَارُ

٢٦ — وَكَأَنَّ رايات «الْهُذَيْلِ» إِذا بَدَتْ　　فوق الخميس كوَاسِرُ العِقْبَان (٦)

٢٧ — إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُم　　كَقُلُوبِهِنَّ إِذا التقى الْجَمْعَان

تَلْقَى الْحُسَام عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ　　مثل الْجَبَان بِكَفِّ كُلِّ جبان (٧)

٢٨ — قُصُورٌ كَالكَوَاكِب لامِعَاتٌ　　يَكَدْنَ يُضِئْنَ لِلسَّارِى الظَّلَامَا

٢٩ — سُلَّ سيفُ الفَجْرِ مِنْ غِمْدِ الدُّجَى　　وَتَعَرَّى الليلُ مِنْ ثَوْب الغَلَسْ (٨)

٣٠ — كَشِقَّىْ مِقَصٍّ تَجَمَّعْتُما　　عَلَى غَيْر شَىْءٍ سِوَى التَّفْرِقه (٩)

---

(١) الحب (بكسر الحاء) : المحبوب . ويراعى : يراقب . الدجنة : الظلام . (يصف طول الليل وأن الفجر ليس يطلع كأنه حبيب يخاف رقيبا) . (٢) الهوج : الشديدة . البطش : الأخذ بالقوة . (٣) هذا رجل خائف يستخفى للهرب ليلا .

(٤) الخلة : الحاجة والقذى ما يقع فى العين . (٥) مدرار : كثير دائم . أغر : أبيض كريم . أبلج : مشهور . تأتم : تهتدى . علم : جبل . فى رأسه : فى قمته . (٦) الهذيل : رجل . الخميس : الجيش . كواسر العقبان : من كسرت العقاب جناحيها ضمتها للانقضاض .

(٧) معنى البيتين أن السيف مثل من يحمله . (٨) الدجى : الظلام ، والغلس ظلام آخر الليل . (٩) يصف رجلين بالوشاية .

٣١ — وَرَوْضٍ عنْ صَنيع الغَيْثِ رَاضٍ ... كما رَضِيَ الصديقُ عنِ الصديقِ (١)
يُعيرُ الريحَ بِالنَّفَحَاتِ رِيحاً ... كَأَنَّ ثَراه مِنْ مِسْكٍ فَتيقِ
كَأَنَّ الطَّلَّ منتشرا عَلَيْهِ ... بَقايَا الدَّمْعِ فى الْخَدِّ الْمَشُوقِ
٣٢ — كَأَنَّ مُثَار النَّقْعِ فوق رُءوسِنَا ... وَأَسْيَافنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ
٣٣ — سَفَرَتْ وَوَدَّعها الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ ... سَتَرتْ مَحَاجِرَهَا ، وَلَمْ تَكُ بِرقَعا (٢)
فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ... ذَهَبٌ بِسِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا
٣٤ — فَاذْهَبْ كما ذهبتْ غَوَادى مزنةٍ ... أَثنى عليها السَّهْلُ وَالأَوعَار
٣٥ — كَأَنَّهُ الْمرآة مَجْـــلُوَّةً ... عَلَى بِسَاطٍ أَخْضَرَ قدْ نُشِرْ (٣)
٣٦ — لما تعرَّى الأُفْقُ بِالضِّيَاءِ ... مِثْلَ ابْتِسَام الشَّفَةِ اللَّمْيَاءِ (٤)
وَشَمَطت ذوَائِبُ الظَّلْمَاءِ ... وَهمَّ نَجْمُ اللَّيْـــلِ بِالإِغْفَاءِ
قُدْنَا لِعِين الْوَحش وَالظِّبَاءِ ... دَاهِيَـــةً مَحْذُورَةَ اللقَـــاءِ

---

(١) الروض : البستان . الغيث : المطر . الفتيق : ماظهرت رائحته بالمزج .
(٢) سفرت : كشفت عن وجها للوداع . محاجرها : ماحول العينين . السمط : خيط القلادة .
(٣) يصف غديرا بين الخضرة .
(٤) يصف رحلة صيد ، واللمياء : السمراء . والمقصود بالداهية كلب الصيد .

الاستعارة

فى كل صور التشبيه التى مرت بك لا حظت أن المشبه والمشبه به (وهما طرفا التشبيه) مذكوران دائما فى الكلام ، كما لا حظت أن التَّصْوِيرَ فى التشبيه قائم على ربط المشبه بالمشبه به لما بينهما من علاقة هى المشابهة ، لكنا نرى الأدباء أحيانا يحذفون المشبه ، ويبقون المشبه به فى الكلام ، مثل :

١ — دَلَفْتُ إلى السُّرَادِقِ ، فَرَاعَنِي بَحْرٌ يخطب ، وكواكبُ تُصْغِي ، وَتَعْجَبُ مِنْ جَمَال الدُّرِّ وَالْجَوْهر الَّذِي يَقْذِفُ بِهِ فَمُ الْخطِيب .

فتلمح أن القائل قد أراد أن يشبه الخطيب بالبحر ، فقال « بحر يخطب » فذكر المشبه به ، وحذف المشبه ، كما أراد أن يشبه جمهوره بالكواكب . فقال « كواكب تصغى » وحذف المشبه وذكر المشبه به وهو الكواكب وأراد أيضا أن يشبه كلام الخطيب الجيد الجميل بالدر والجوهر فقال « جمال الدر والجوهر » فحذف المشبه وهو الكلام ، وذكر المشبه به وهو الدر والجوهر ومعنى ذلك أن القائل قد تناسى التشبيه ، وتخيل أن الخطيب بحر ، وأن جمهوره كواكب ، وأن كلامه در وجوهر ، ولذلك جاز له أن يحذف المشبه ، ويقيم المشبه به مقامه ، مدعيا أنه أصبح عين المشبه ، وحينئذ يكون قد استعار اللفظ الذى يدل على المشبه به للمشبه ، وصرح به فى الكلام ، ويسمى هذا الأسلوب استعارة تصريحية .

ومثل ذلك قوله :

٢ — انقضَّتْ نُسُورُنَا عَلى تَحْصِينَاتِ العَدُوِّ فَحَطَّمَتْهَا .

فشبه الطيارين بالنسور ، وحذف الطيارين وهو المشبه ، وذكر النسور وهو المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، ومثله :

٣ — يَحْمِلُ بَعْضُ النَّاسِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ حِجَارَةً لا تَلِينُ لمآسِي غَيْرِهِمْ .

فقد شبه قلوبهم بالحجارة ، وحذف القلوب ، وعبر عنها بالحجارة ومثله :

٤ — ثَوَى هِلَالٌ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ .

فشبه طفله الصغير بالهلال ، وذكر الهلال ، وهو المشبه به ، وحذف الطفل وهو المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

ومثله من فقد ابنه شابا فقال :

٥ — ذَوَى غُصْنٌ فَيْنَانٌ وَهُوَ مُورِقٌ .

فشبه ابنه بالغصن ، وذكر الغصن وهو مشبه به ، وحذف الشاب وهو مشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ، ومثله قول الشاعر فى هذا المعنى نفسه يرثى ابنه :

٦ — يا كوكباً ما كانَ أقصرَ عُمرَهُ وَكَذاكَ عمر كواكب الأسْحَار

فهو يشبه ابنه بالكوكب ، ويذكر المشبه به ، ويحذف المشبه وهو ابنه على سبيل الاستعارة التصريحية ، ومثله قول الشاعر :

٧ — تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صبيتى فَلِلَّهِ كَيفَ اخْتارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ (١)

فهو يشبه ابنه الأوسط بأغلى دُرّة فى العقد ، ويحذف المشبه ويذكر المشبه به وهو واسطة العقد على سبيل الاستعارة التصريحية .

ومن ذلك قول شاعر يهدّد أعداء الدولة :

٨ — وَإِيَّاكُمُ إِيَّاكُمُ وَحَذَارِ مِنْ ضَرَاغِمَةٍ فى الغاب حُمْرِ المَخَالِبِ (٢)

فيشبه الأبطال المدافعين عن الدولة بالضراغمة الحمر المخالب ، ويذكر المشبه به ، ويحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية . ومن ذلك قول الشاعر يتغزل :

٩ — وَبِنَفْسِى أَفْدِى عَلى كُلِّ حَالِ شَادِناً (٣) لَو يُمَسُّ بِالْحُسْنِ أَعْدَى

فهو يشبه الفتاة بالغزال (الشادن) ويذكر المشبه به ويحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ، ومن ذلك قول المتنبى وهو يهجو كافورا :

١٠ — نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثعالِبِها وَقَد بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ (٤)

فيشبه سادة مصر بالنواطير ، ويشبه الأشرار بالثعالب ، ويشبه الغفلة بالنوم (نامت) ويحذف المشبه ويذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، ولعلك تلاحظ أن الاستعارة التصريحية جاءت هنا فى الفعل « نامت » وكانت كل الاستعارات السابقة فى الأسماء لا فى الأفعال .

ومن الاستعارة التصريحية فى الفعل قوله :

١١ — مَزَّقَ الاستعمارُ شَمْلَ أَهْلِ فِلسْطِينَ ،

فقد شبه التفريق بالتمزيق ، واستعار « مزق » بمعنى فرق على سبيل الاستعارة التصريحية ومن ذلك أيضاً قول القائل :

---

(١) الحمام : قضاء الموت . واسطة العقد : الجوهر الأوسط فى القلادة وهو أجودها .
(٢) الضراغمة : الأسود . (٣) الشادن : ولد الظبية . (٤) النواطير : حراس الزرع . والبشم : التخمة . الثعالب : المقصود العبيد .

١٢ — لا نَزَالُ نَرَى فى مُجْتَمَعِنَا فَرْداً يَسْكُنُ قصراً تَمْلأ جَوَانِبُهُ الْفَضَاءَ، وَتُعَانِقُ شُرُفَاتُهُ سُحُبَ السَّمَاءِ.

فهو يشبه الملامسة بالمعانقة ، ثم يستخدم « تعانق » بمعنى تلامس على سبيل الاستعارة التصريحية . ومن ذلك قوله :

١٣ — لا تَعْجَبِي يَاسَلْمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

فهو يشبه بريق الشيب بالضحك ، ثم يعبر بالفعل « ضحك » عن الفعل « لمع » على سبيل الاستعارة التصريحية .

ومن الاستعارة التصريحية فى الشيب أيضا (لكنها فى الاسم) :

١٤ — تَشَعْشَعَ الضَّوْءُ فى سَوَادِ ذَوَائِبِى .

فالضَّوْءُ استعارة تصريحية ؛ لأنه شبه الشيب بالضوء ، وحذف الشيب ، واستخدم بدله الضوء .

فى الأمثلة السابقة كان القائل يحذف المشبه ويذكر المشبه به فتكون الاستعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به ، فهى تصريحية بسبب التصريح بالمشبه به . أما إذا حذف المشبه به وذكر المشبه فإن الاستعارة تسمى « مكنِيَّةً »؛ لأن القائل أخفى المشبه به وكنى عنه مثل:

١ — أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فى غَسَقِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالأَمْسِ نُوَّمَا

فالشاعر هنا يشبه الربيع بإنسان ، ويذكر الربيع ويحذف الإنسان لكنه يذكر رمزاً يدل على الإنسان المحذوف وهو « يختال ضاحكا » فنسمى أسلوبه استعارة مكنية ؛ لأنه حذف المشبه به ورمز له للكناية عنه وهو فى البيت الثانى يفعل ذلك أيضا ؛ لأنه شبه أوائل الورد بالفتيات وحذف الفتيات ، ورمز لها بالنوم كناية عنها ، فأسلوبه استعارة مكنية .

ومثل ذلك قول الله تعالى :

٢ — « إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى ، وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً » .

فقد شبه الرأس الأشيب بالنار ، وذكر الرأس وهو المشبه وحذفت النار وهى المشبه به ، ورمز إليها بالفعل « اشتعل » على سبيل الاستعارة المكنية .

ومن ذلك قول الشاعر :

٣ — أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا

فشبه الخلافة بالعروس ، وحذف العروس وهى المشبه به ، وذكر الخلافة وهى المشبه ، وذكر ما يدل على المشبه به المحذوف ، وهو منقادة ، على سبيل الاستعارة المكنية. ومن ذلك قول الشاعر :

٤ — أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا يُقَعْقِعُ بالأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى (١)

فشبه الحرب بإنسان وحذفه ، ورمز له بالفعل أشار على سبيل الاستعارة المكنية .

٥ — طَارَ الْخَبَرُ فى الْمَدِينَةِ .

شبه الخبر بالطائر ، وحذفه ، ورمز له بالفعل طار على سبيل الاستعارة المكنية . ومن ذلك :

٦ — يُحَارِبُنَا الدَّهْرُ بِجَيْشٍ مِنْ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ .

شبه الدهر بقائد ، وحذفه ، ورمز له بالفعل يحارب على سبيل الاستعارة المكنية ، ومن ذلك قوله :

٧ — حَيَّا اللهُ هَيْئَةً تضِيءُ مُنَاقَشَاتُهَا مُشْكِلاتِ الأُمُورِ .

فشبه المناقشات بالمصباح . وحذفه ، ورمز له بالفعل « تضيء » على سبيل الاستعارة المكنيَّة . ومن ذلك :

٨ — قَصَفَ الْمَوْتُ شَبَابَهُ قَبْلَ أَنْ يُزْهِرَ .

فشبه الشباب بالغُصْن ، وحذف الغُصْنَ ، ورمز له بشيء من خصائصه وهو قصف على سبيل الاستعارة المكنية . ومن ذلك :

٩ — قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

شبه الشر بحيوان مفترس ، وحذفه ، ورمز له بشيء من خصائصه للكناية عنه ، وهو النواجذ ، على سبيل الاستعارة المكنية . ومن ذلك :

١٠ — حَوْلَ بَيْتِى رَوْضَةٌ تمايل فيهـــا أَعْطَافُ الْغُصُون ، وتفتر بها أَنْفَاسُ النَّسِيم .

فقد شبه الغصون بالفتيات ذوات الأعطاف وهى الجوانب وحذفها ورمز إليها بالأعطاف اللدْنة ، كما شبه النسيم بالآنسات وحذفها ورمز لها بالأنفاس على سبيل الاستعارة المكنية، ومن ذلك :

---

(١) الحرب العوان : الشديدة التى قوتل فيها مرة بعد مرة . الأقراب : غمود السيوف . ويقعقع : يصلصل بالسيوف وهو يحركها .

١١ — يُقَوِّمُ الْمُعَلِّمُونَ الأَخْلَاقَ .

شبهت الأخلاق بالرماح التي تقوم وتثقف وتهذب ، وحذفت ورمز لها بالفعل يقوم على سبيل الاستعارة المكنية .

ومن ذلك قولنا :

١٢ — نُحَارِبُ الْجَهْلَ وَالْفَقْرَ وَالْمَرَضَ .

وقد شبهت هذه الثلاثة بالأعداء وحذف المشبه به ، ورمز له بالفعل نحارب على سبيل الاستعارة المكنية . ومن ذلك :

١٣ — صَرِيعٌ تقاضاه السُّيُوفُ حُشَاشَةً   يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ حُمْرٌ أَظَافِرُهْ

شبهت السيوف بقوم يطالبون بالحشاشة . وحذفوا ، ورمز لهم بالفعل تقاضى ، وكذلك شبه الموت بوحش ذي أظافر ، وحذف الوحش ورمز إليه بالأظافر على سبيل الاستعارة المكنية .

الخلاصة

١ — الاستعارَةُ هِيَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعَلَاقَةِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ وَالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ .

٢ — الاستعارَةُ قَائِمَةٌ عَلَى تَشْبِيهٍ تَنَاسَاهُ الْقَائِلُ ، وَحَذَفَ أَحَدَ طَرَفَيْهِ اسْتِغْنَاءً بِهِ عَنِ الآخَرِ ، مَعَ قَرِينَةٍ تَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الأَصْلِيِّ .

٣ — تَكُونُ الاسْتِعَارَةُ تَصْرِيحِيَّةً إِذَا صُرِّحَ فِيهَا بِلَفْظِ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَحُذِفَ لَفْظُ الْمُشَبَّهِ .

٤ — وتكون الاستعارَةُ مَكْنِيَّةً إذا حذف فيها لفظ الْمُشَبَّهِ بِهِ واكتفى فيها بلفظ الْمُشَبَّهِ مَعَ إِسْنَادِ شَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِ الْمُشَبَّهِ به إلى المشبّه .

٥ — الاسْتِعَارَةُ التَّصْرِيحِيَّةُ كَمَا تَكُونُ فِي الأَسْمَاءِ تَكُونُ فِي الأَفْعَالِ .

جمال الاستعارة

١ — قال البحترى فى وصف الربيع :

أَتَاكَ الربيعُ الطَّلقُ يَختالُ ضَاحِكاً ... من الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وَقد نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فى غَسَقِ الدُّجَى ... أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأَمْسِ نُوَّمَا
يُفَتِّقُهَا بَرْدُ النَّدَى فَكأَنَّهُ ... يَبُثُّ حديثاً كَان قَبْلُ مُكَتَّما

السر فى جمال هذه الاستعارات أن الشاعر يحس ، ويجعلنا نحس معه أن الكون كله نباته وجماده وحيوانه وإنسانه وحدة متصلة الأجزاء ، فالزمان والمكان ، والنبات ، والورود ، والنيروز ، والندى كلها تحس إحساسا واحدا ، وتشعر معا ، وتعيش معا ، وتتجاوب كلها بمشاعر واحدة ، فالشاعر قد خالجه الإحساس بالربيع وخيل إليه أنه يختال ضاحكا من الحسن ، يهم بالكلام ليفصح عما فى أعطافه من الحيوية والتفتح والابتهاج . الاستعارة فيها حياة ، وفيها حركة ، وفيها طلاقة وفيها خيلاء ، وفيها ضحك ، وفيها حسن وفيها نطق وشيك . أرأيت البحترى مع النيروز فى الدجى يوقظ الورد النائم ليتفتح قبل صباح العيد ؟ هل شعرت ببرد الندى يفتق غلائل هذه الأكمام ، ويبث بهذا التفتيق روائح الورود الذكية التى تشبه الحديث الذى كان من قبل مكتما؟ وهل شعرت بعذوبة هذا الحديث المبثوث ؟ وهل رأيت إيحاء البحترى بتشبيه أكمام الورود بالقلوب شكلا وموضوعا ؟ وهل أوحى إليك هذا بتشبيه رائحة الورد بحديث الحب ؟ وهل لاحظت إيحاء التعبير بنون النسوة فى « كنّ نوّما » ، وإيثار هذه النون على تاء التأنيث التى لاتغنى غناء نون النسوة فى الإيحاء ، لأنها توحى بأنهن عرائس وسْنَى ينبهن الحبيب الزائر فى غسق الدجى ؟ هذا التصوير المؤثر فى قول البحترى يوحى بأن الشاعر قد انفعل حقا بالربيع ، وعاش فى معانى الربيع وجو الربيع ، ويقظة الدنيا فى الربيع ، وتفتح قلبه حقا فى الربيع . هذه هى وظيفة الاستعارة ، إنها تمزج الأجناس والأنواع فى الكون ، وتجعلها كلها وحدة ، وهذا هو سر جمالها .

ويقول ابن الرومىّ :

٢ — حيَّتْك عنا شَمَالٌ طاف طائفها ... بجَنَّةٍ نَفَحتْ رَوْحاً وَرَيْحَانَا
هَبَّتْ سُحَيْراً فَنَاجَى الغُصْن صاحبهُ ... مُوَسْوِساً وَتَنَادَى الطيرُ إعلانَا
وُرْقٌ تَغَنَّى عَلَى خُضْرٍ مُهَدَّلَةٍ ... تَسْمُو بها وَتَشَمُّ الأَرْضَ أَحْيَانَا

هنا استعارات فى « حييتك شما ـ » وفى « جنة نفحت » وفى « ناجى الغصن » وفى « تنادى الطير » ، وفى « ورق تغنى » وفى « خضر مُهَدلة » وفيها نجد شعور الشاعر بالحياة فى الشمال التى تحيى ، وفى الجنة التى تنفح وفى الغصْن الذى يناجى موسوساً ، وفى الطير تتنادى وفى الورق تتغنى وتترائس على الأغصان التى تسمو بها وتهبط ، إنه حفل بهيج راقص . والاستعارات تنبعث منها إشعاعات موحية بحياة قوية ، فإن « هبت سحيراً » تصور الصبا جنيّة مسحورة ، أو عروساً من عرائس الغاب هبت فى السحر ، ومناجاة الغصن فى وسوسة توحى برقة الحياة ، والصلات بين رفاق الصّبا ولذات الشباب .

وللفظ « ناجى » صورة خيالية . وظل نفسى تكمله صورة « موسوسا » على ما فى الوصف من صدق حسّىّ ، فوسوسة الأغصان والأوراق وقت هبوب الصّبا اللينة الودود حقيقة حسّيّة فوق ما تلقيه من ظلال خياليّة . هذا إلى حركة الأرجحة للورْق على الأغصان وصورتها وإيقاعها مصحوبة بإيقاع غناء هذه الأوراق وتمايلها على الخضر المهدلة وما فى هذا من إيحاء بالشّعْر الجميل المنسدل المهدل . إن تجاوب عناصر الطبيعة فى مجال شعوْرىّ واحد هو السّر الأول فى جمال الاستعارة .

٣ — إذَا مَاذَابَت الأَنْدَا ءُ فَوْقَ الوَرَقِ النَّضْرِ
وَصَبَّ العِطْرَ فى الأَكْمَا مِ إبريقٌ مِنْ التِّبرِ
دَعوْتُ عَرَائِسَ الأَحلا مِ مِنْ عَالَمِهَا السِّحْرِى
تُذِيبُ اللَّحْنَ فى جَفْنَيْـــكِ وَالأَشْجَانَ فى صَدْرِي

الشاعر على محمود طه يلتمس الوسيلة إلى شفاء الفتاة الموسيقية العمياء ، فإذا ذاب النّدَى على الورق النّضْر ، وفاح العطر من الزّهر ، فسيدعو عرائس الفنّ من عالم السحر . يعالجْنَ ربّة الفن والسحر ، وَسَيُعدُّ الشاعر لحنا فيه الدواء السحرى العجيب لتحمله العرائس إلى ربّة الفن ، لتذيب العرائس هذا اللحن فى عينيها ، فيمنحها هذا اللحن المذاب قوة الإبصار . وعند ذلك يبرأ هو من همومه وأشجانه التى حملها منذ رأى الفتاة . أرأيت إلى هذه الصورة ؟ عرائس الأحلام من عالم السحر ستحقق الآمال ، لأنها ستصنع بسحرها ذوبا من اللحن وتقطر منه فى عين الفتاة ، وستبصر الفتاة بقوة السحر ما دام الطب قد عجز وأعياه الدواء . أرأيت كيف جعل من اللحن وهو الكلمات المنغمة دواء ؟ أرأيت كيف تذاب الكلمات وتصب فى العين ، وكيف تذاب الأشجان فى القلوب ؟ وكيف جسمت هذه وتلك ؟ أرأيت كيف مزج الشاعر عناصر الطبيعة واندمج فيها ، وصار جزءا منها فى خدمة الفتاة وإبصارها ؟ أرأيت كيف صور الشمس

إبريقاً من التبر يصب العطر فى أكام الزهر ؟ أرأيت كيف أشرك الشمس فى عالمه ، فجعلها أيضاً متعاونة فى إبصار الفتاة ؟ ألم تصب الشمس عطرها فى الزهر . فأوحت بجمال الصبح وأثره فى الإلهام ؟ فهو لا يدعو العرائس إلا متأثراً بالأنداء والورق النضر ، والزهر والقبر : وهكذا يمزج الشاعر مشاعره بالطبيعة ويستوحيها . ويقول المتنبى :

٤ — رمَانى الدَّهْرُ بالأَرزاءِ حَتَّى فُؤادى فى غشاءٍ من نبَال
فَصِرْتُ إذا أَصَابتْنِى سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

جمال الاستعارة هنا قائم على التجسيم . والتصوير الحسّى للمعانى . فقد جعل الشاعر المصائب سهاماً ؛ لأنها تتلاحق وتتتابع فى سرعة ! ولأنها مصوبة إلى القلب جهاز الحياة فى الإنسان . قوية التأثير شديدة الإيلام : وقد تخيلها لكثرتها قد شملت الفؤاد كله ، فلم يبق فيه مكان لسهم جديد ، ومع ذلك استمرت تنهال عليه ، فأصبح النصل يقع على النصل من تزاحمها وتراكمها ، والشاعر يصور الدهر رامياً يسدد فيصيب ويصمى ، ويمنحه الحياة والقدرة على القصد ، والإلحاح فيما يريد . يصور الحرب قائمة بين الإنسان والدهر لا تخبو ولا تخمد ، ويقول البارودى :

٥ — أَسْمَعُ فى نَفْسِى دَبيبَ المُنَى وَأَلْمَحُ الشُّبْهَةَ فى خَاطِرِى

فهو يعبر عن الشعور بالأمانى والشعور بالشبهة بقوله ، أسمع وألمح ، فيجعل للمنى صوتاً يسمع . ويجعل للظنون والهواجس والشكوك حساً يرى ، ثم يجعل المنى والشك يتصارعان فى نفسه . فجمال الاستعارة هنا قائم على تجسيم المعانى وحركتها فى أعماق النفس : ويقول البحترى :

٦ — صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حُشَاشَةً يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمْرٌ أَظَافِرُهْ
فَما قَاتَلَتْ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودُهُ وَلاَ دافَعَتْ أَمْلاَكُهُ وَذَخَائِرُهْ (١)

هنا استعارات فى « تقاضاه السيوف » . وفى « حمر أظافره » وفى « قاتلت المنايا » وفى « دافعت أملاكه » . وأنت ترى كيف صورت هذه الاستعارات السيوف التى ألحت على الصريع إلحاح الدائن ، تريد أن تأخذ بقية روحه فى إصرار الغريم المطالب ، فمنحها

---

(١) الصريع : المطروح على الأرض ؛ وتقاضاه : تأخذ الدين ، وتقبضه ، والحشاشة بقية الروح فى المريض والجريح يعنى أنه فى النزع الأخير .

حياة . وبعث فيها روحاً ، وعزيمة وإصراراً ، وفى أثناء هذه المقاضاة يتراءى الموت وحشاً ضارياً ، قد ضرجت أظافره بالدماء ، وقد هجم لينشب أظافره فى الصريع ، ويجهز عليه ، صورة بغيضة مروعة لا تنسى ، ولا تبعد عن خيال القارىء مهما يحاول إبعادها . ويخطر للصريع أن يستغيث فلا يجد من حوله من يخف لنجدته . فلا جنوده الذين أعدتهم دولته يقاتلون عنه الموت ، ويذودون المنايا ، ولا أملاكه وذخائره تغنى عنه شيئا لقد ذهب هباء كل ما اجمع وادخر ، وكان فى المعركة وحيداً ، لا نصير له ولا ظهير .

وأنت ترى أن بعث الحياة فى الجماد وتجسيم المعانى وتشخيصها ، وتحريكها ، وإبرازها مقاتلة بغيضة هى سر الروعة فى هذه الاستعارات . ويقول أبو العتاهية :

٧ — أَتَتْهُ الخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا

وقد صور الخلافة . وهى معنى من المعـــانى لا يعدو ولاية أمور المسلمين ، وقد جعلتها الاستعارة غادة مدللة . عزيزة الجانب ، عصيّــة على الطالبين ، منيعة أمام المفتونين بهـا ، وهى لا تزال تصدّ إعراضاً ، وتتأبى إدلالا ، لـكنها تأتى للمهدىّ طائعة مختالة ، تياهة بمكانته ، فخورة به ، راضية سعيدة بالحياة فى ظلاله .

٨ — ثم اقرأْ قوله تعالى : « وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » .

لترى كيف جعل للذل جنـاحا يخفض دليلا على الرحمة , وقوله :

٩ — « إِنِّى وَهَنَ العَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً » .

لترى كيف أبرز الوهن باشتعال الرأس ، وكيف إختار الاشتعال للشيب ، وكيف جعل الاشتعال للرأس لا للشيب !

واقرأ أيضاً قوله تعالى فى وصف النار :

١٠ — « تَـكَادُ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ »

لترى كيف صوّرت كائناً ضخما مغيظا عبوساً ، يغلى صدره حقدا وحنقا .

وانظر إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

١١ — « إِنَّ لَـكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِـكُمْ » .

لترى كَـيْـفَ أبرز حدودَ الله فى صُـورَةٍ حسّـيّـة ماثلة أمام العين شاخصة فى الصـدور .

١٢ — وقول على بن أبي طالب :

« نخلت لكم مخزون رأيى » ، لترى كيف صور الرأى دقيقا صافيا كان مخزونا ، فقدمه لهم بإخلاص صادق . وقول أبي حمزة الشارى فى أصحابه :

١٣ — « أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ قَدْ أَكَلَتْ الأَرْضُ جِبَاهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ » .

لترى كيف أبرز أصحابه فى صورة إبل مهزولة ، وكيف وصف أثر السجود فى جباههم وأيديهم وركبهم .

الخلاصة

سرّ الجمال فى الاستعارة أمران :

١ — أنها تُبْرِزُ الأُمُورَ الْمَعْنَوِيَّةَ فى صُورَةٍ حِسِّيَّةٍ .

٢ — أَنَّهَا تَمْزِجُ الأَجْنَاسَ وَالأَنْوَاعَ فى الكون ، وَتَجْعَلُ العَالَمَ كُلَّهُ وِحْدَةً مُتَّصِلَةً ، مُوَحَّدَةَ الخصائصِ وَالصِّفَاتِ ، لا فَوَاصِلَ بَيْنَهَا وَلاحَوَاجِزَ .

تمرينات

فى النصوص الآتية استعارات ، وفيها تشبيهات ، والمطلوب منك :

(ا) تعيين كل استعارة مع بيان نوعها . (ب) تعيين كل تشبيه مع بيان نوعه .

(حـ) توضيح سر الجمال فى كل تشبيه وكل استعارة .

١ — لقدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ ... وَيُعْطِى اللُّهَى فى كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ (١)

٢ — وَلَما مَضَى معن مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى ... وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ المكارِمِ أَجْدَعَا (٢)

٣ — وَهَاتِفَةٍ فى الْبَانِ تُمْلِى غَرَامَهَا ... عَلَيْنَا وَتَتْلُو مِنْ صَبَابَتِهَا صُحُفَا (٣)

وَلَوْ صَدَقَتْ فِيمَا تَقُولُ مِنَ الأَسَى ... لَمَا لَبِسَتْ طَوْقًا وَمَاخَضَبَتْ كَفَّا

٤ — وَانْثَلَمَ الْمَجْدُ بِهِ ثُلْمَةً ... جَانِبُهَا ليس بمَسْدُودِ (٤)

فَالآن تُخْشَى عَثَرَاتُ النَّدَى ... وَصولَةُ الْبُخْلِ عَلَى الْجُودِ

---

(١) اللهى : العطايا الواحدة لهوة (بضم اللام) .

(٢) العرنين : عظم الأنف . وأجدع : مقطوع .

(٣) هنفت : مدت صوتها . البان : شجر . الصبابة : الحب .

(٤) فى الرثاء . والثلم : الكسر . الصولة : البطش ، والقهر .

٥ — تَضْحَكُ الضَّبُعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ ... وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ (١)

٦ — لَقَدْ أَنْجَزَتْ فيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا ... وَأَخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ

٧ — إِذَا انْتَضَلَ الْقَوْمُ الأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ ... عَيِيًّا وَلا رَبًّا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ (٢)

٨ — كَاللَّيْثِ بَلْ مِثْلُهُ اللَّيْثُ إِذَا ... غَنَّى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ (٣)

٩ — سَقَتْنِي بِعَيْنَيْهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا ... فَدَبَّ دَبِيبَ الرَّاحِ فِي كُلِّ مَفْصِلِ (٤)

١٠ — نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدُ إِذْ عَلِقَتْ ... أَيْدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضُّمَّرِ الْقُودِ (٥)

١١ — أَلَمْ تَرَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ (٦)

١٢ — وَقَدْ كَسَتْهُ الريح مِنْ نَسْجِهَا ... دِرْعًا بِهَا يَلْقَى نِبَالَ الْمَطَرِ (٧)

وَأَلْبَسَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ صِبْغِهَا ... نُورًا بِهِ يُخْطَفُ نُورُ الْبَصَرِ

١٣ — وَتَغْمِزُنِي الْخُطُوبُ تَظُنُّ أَنِّي ... أَلِينُ عَلَى مَعَارِكِهَا الشِّدَادِ

١٤ — كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ ـ وَالفجر ضَاحِكٌ ... يلوح وَيَخْفَى ـ أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

١٥ — إِنْ نَابَ خَطْبٌ فَهُوَ عُرْضَتُهُ ... يَفْرِيهِ مِنْهُ النَّابُ وَالظُّفُرُ

١٦ — صَحَا القلب عن سَلْمَى وَأَقصر بَاطِلُهُ ... وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهُ

١٧ — فَمِنْ جِنَانٍ تُرِيكَ النَّوْرَ مُبْتَسِمًا ... فِي غَيْرِ إِبَّانِهِ وَالْمَاءَ مُنْسَكِبًا (٨)

كَأَنَّ دُولابَهَا إِذْ أَنَّ مُغْتَرِبٌ ... نَأَى فَحَنَّ إِلَى أَوْطَانِهِ طَرَبَا (٩)

بَاكٍ إِذَا عَقَّ زَهْرَ الرَّوْضِ وَالِدُهُ ... مِنَ الْغَمَامِ غدا فيه أَبًا حَدِبَا (١٠)

---

(١) يستهل : يشرق ويتلألأ . (٢) انتضلوا : استبقوا فى الرمى بالسهام والمراد هنا: يتفاخرون . (٣) يمدحه بالشجاعة عند الروع ، وغناء الحديد صلصلة السيوف وقعقعة السلاح . (٤) الراح : الخمر . (٥) الردى : الموت . الضمر : الخيل الضامرة . القود جمع أقود وهو الطويل العنق والظهر ، أو المنقاد ، والمطيع الذلول . والنواصى : الرءوس .
(٦) العارض : السحاب . (٧) فى وصف غدير . (٨) إبانه : وقته .
(٩) أن : صوت عند دورانه . (١٠) عق : ضد بر أى قطع الرحم . الحدب : الرفيق العطوف .

مُشَمِّرٌ فى مَسِيرٍ لَيْسَ يبعِدُهُ عَنِ المَحَلِّ وَلاَ يُبْدِى لَهُ تَعَبَا (١)
مَازَالَ يَطْلُبُ رِفْدَ الْبَحْرِ مُجْتَهِداً لِلْبَرِّ حَتَّى ارتدى النُّوَّار وَالْعُشُبا (٢)
١٨ — فتح تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فى أَثْوابِهَا القُشُبِ (٣)
يَايَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حُفلاً مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ (٤)
١٩ — مِنْ عَهْدِ إِسكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِى اللَّيَالِى وَهْىَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
٢٠ — لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ (٥)
٢١ — كَأَنْ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الْخِلاَفَةُ طَلْقَةً بَشَاشَتُهَا وَالْمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهْ (٦)
٢٢ — إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ كَلاَكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
٢٣ — غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحًى يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِن اللَّهَبِ (٧)
٢٤ — لَنَا جُلَسَاءُ لاَ نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا (٨)
٢٥ — لَمَّا وَرَدْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَعَجْرُفُ دَوْلَةِ الإِمْحَالِ
٢٦ — لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كُفِيتُهَا وَالسَّيْفُ لاَ يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى (٩)
٢٧ — لاَذَنْبَ لِى قَدْ رُمْتُ كَتْمَ فَضَائِلِى فَكَأَنَّمَا بَرْقَعْتُ وَجْهَ نَهَارِ
٢٨ — أَحْيَا الرَّجَاءَ لَنَا بِرَغْمِ نَوَائِبٍ كَثُرتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الآمَالِ (١٠)

---

(١) مشمر : كناية عن الاجتهاد والجد ، ويريد بالمشى الكثير بلا إبعاد : أنه يدور حول مركز لايبعد عنه . (٢) رفد البحر : عطاؤه . ارتدى : اكتسى .
(٣) القشب : جمع قشيب وهو الثوب اللامع الجديد .
(٤) المنى : مايتمناه الإنسان ، وحفل : جمع حافل وهى الناقة امتلأ ضرعها ، والحلب الحلبة من اللبن . ومعسولة : حلوة . يقول : إن أمانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقق ماأملت . (٥) أمير المؤمنين منادى . (٦) البحترى يصف الجعفرى (قصرا)
(٧) يشله : يطرده . (يصف حريق عمورية) . (٨) يصف الكتب . والباء : جمع لبيب وهو ذو العقل . (٩) انتضى السيف : أخرجه من غمده . (١٠) الضمير فى أحيا للحسن ابن رجاء يمدحه أبو تمام . ومصارع الآمال : يراد بها الإخفاق والخيبة .

٢٩ — فَتىً كلما فاضَتْ عُيونُ قَبيلَةٍ دَمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الأَحاديثُ وَالذِّكْرُ
وَمَا ماتَ حَتَّى مَاتَ مضْربُ سَيْفِهِ من الضَّرْبِ واعتلت عليه القنا السُّمْرُ (١)

٣٠ — أَيُّ ديباجة حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةَ حُزْنِي
إِذْ رَمَانِي القَمَرُ الزَّا هِرُ عَنْ فَتْرَةِ جَفْنِ
بِأَبِي شَمْسُ نَهَارٍ بَرَزَتْ فِي يَوْمِ دَجْنِ

الكناية

الأدب الجاهلىّ الذى درسته حافل بالكنايات ، وقد أشرنا إلى كثير منها فى دراسة النصوص ، غير أنك فى حاجة إلى بعض الأمثلة التى تتضح بها أمامك أقسام الكناية ، فإنها ثلاثة أقسام : الأول الكناية عن الصفة مثل :

١ — طَهَ حسيْن أديبٌ يشَار إليه بِالبَنَانِ (كناية عن الشهرة) .

٢ — أخُوكَ سَلِيمُ دَوَاعِى الصدْرِ (كناية عن كراهة الشر والأذى)

٣ — خالدٌ غنِى عن التعريف (» » الشهرة)

٤ — فاطمة غَنِيَّةٌ عَنِ الزِّينة (» » الجمال الطبيعى)

٥ — قَلْب هَذِهِ الفَتَاةِ لايَجُولُ فى مِعْصَمِها (» » سمنتها)

٦ — فلان أديب نال جائزة الدولة التقديرية (» » النبوغ)

٧ — أما فلان فقد نال جائزة نوبل (» » العبقرية)

٨ — هذا طالب يمنح أقصى المكافآت فى الجامعة كل عام . (» » الامتياز)

٩ — هذا تلميذ يلمع اسمه دائما فى لوحة الشرف (» » »)

١٠ — يبتغى أبِى كُلَّ يَوْم مَنْ يُشَارِكُهُ غَدَاءَهُ (» » الكرم)

١١ — خطب الخطيب ثلاث ساعات ولم يطلب كوب ماء (» » القدرة الكلامية)

١٢ — قَلَبَ علىٌّ لصاحبه ظَهْرَ المِجَنّ (» » المجاهرة بالعداوة)

١٣ — المُفَتِّشُونَ حقائِبهُم دَائِماً مُجَهَّزَةٌ . (» » الاستعداد للسفر)

١٤ — قد حَجَزْتُ تَذْكَرَةً لِيَوْمِ الخَمِيس (» » نية السفر)

---

(١) أبو تمام يرثى . ويريد بالبيت الأول أنه يهزم القبائل فيثنى عليه الناس . ومضرب السيف حده . واعتلت : اعتذرت وتثاقلت .

١٥ — إنّ صاحبك طاهرُ الذَّيْل (كناية عن العفة)
١٦ — إن العدَّاء رَكِبَ جناحَىْ طائر (» » السرعة)
١٧ — إن هذا السباح يسبح عشرين ميلا بلا راحة (» » البطولة)
١٨ — يَمْشى فُلانٌ على ثلاثة أرْجل (» » الشيخوخة وأنه يمشى على عصا)
١٩ — فُلانٌ لا يَمشِى إلاّ بِمنظار (» » ضعف البصر)
٢٠ — أولئكَ قَومٌ إذا أَكَلُوا أغلقُوا أبوابَهم (» » البُخل)

القسم الثانى كناية عن موصوف مثل :

١ — إنَّهُمْ ضاربُونَ مَهَرَةٌ يُسَدِّدونَ ضرباتهم إلى مَوَاطنِ الأحقادِ (كناية عن القلوب)
٢ — بعضُ الرجال لا يشفُون بمخضُوبات البَنَان (» » النساء)
٣ — أوَمَن يُنشأ فى الحِلْيَةِ وهو فى الخصام غير مبين (» » النساء)
٤ — كيفَ ألهُو وفى رَأْسِى نَذِيرٌ ؟ (» » الشيب)
٥ — لفلان مَنزِلَةٌ فى كلِّ خفَّاقٍ (» » القلب)
٦ — لم يَسُدْ حتى حمَلَ على رَأسِهِ غُبَارَ وقائعِ الدَّهْر (» » الشيب)
٧ — اعْتَلَّ مَوْطِنُ الحِلْمِ منه فاعْتُبِط . (» » القلب)
٨ — بَنَاتُ الْيَمِّ أقبلت إلى الميناء تَخْتَال (» » السفُن)
٩ — تزوَّج ملِكُ الحيوانِ أمس زوجة جديدة . (» » الأسد)
١٠ — مَاتَ فُلانٌ ، ولَمْ يَرِثْهُ إلاّ فِلذة كَبِده . (» » الابن)
١١ — لم يُعجِبِ ابنتى فى حديقة الحيوان إلا طويلة العُنق (» » الزرافة)
١٢ — أشهَى طَعَامٍ على المائدة بَنَات الماءِ (» » السماك)

والقسم الثالث كناية عن نسبة مثل :

١ — يَشعُّ الذَّكَاءُ مِنْ عَيْنَيْه . (كناية عن نسبة الذكاء له)
٢ — لَهُ فى كل جارحة قَلْبٌ مرهفُ الإحساس (كناية عن نسبة الشعور المرهف له)
٣ — يَعِيشُ مع المروءة تحت سقفٍ واحد (» » » المروءة له)
٤ — الفَضْل يَقْتَفِى آثاره (» » » الفضل له)

٥ — فى ثَوْبه عبقرية تَبْدُو إذا تَكَلَّم أو عَمِل (كناية عن نسبة العبقرية له)
٦ — فى رَأسه عَالِمٌ رِيَاضِىّ (« « « المهارة فى الرياضيات له)
٧ — الحسَبُ والمَجْد مِنْ أصدقائِه (« « « الحسب والمجد له)
٨ — الشجاعة تَجْرِى فى عروقه (« « « الشجاعة له)
٩ — يَسير الجود حيث يَسير (« « « الجود له)

وأحب أن تلاحظ :

١ — أن كل كناية من الكنايات حملت معها دليلها ، وأنها أبرزت المعنى فى صورة حسِّيَّة .

٢ — أن الكناية عن النسبة تذكر معها الصفة أو مايدل على الصفة .

الخلاصة

١ — الكِنَايَةُ لَفْظٌ أُطْلِقَ وَأُرِيدَ بِهِ لازِمُ معْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الأَصْلِيّ أَحْيَانًا .

٢ — الْكَلِمَاتُ فى الْكِنَايَةِ مُسْتَخْدَمَةٌ فى معْنَاهَا الْحَقِيقِىِّ لا المجازىّ ، فقد عرفت أَن المجاز إمَّا لُغَوِىٌّ عَلاَقَتُه الْمُشَابَهَة ، وإما مجاز غَيْرِ لُغَوِىٍّ لَهُ عَلاَقَاتٌ أُخْرَى كَالْجُزْئيَّة والسَّببِيَّة .

٣ — تَنْقَسِمُ الكِنَايَة باعْتِبَارِ المَكْنِىّ عَنه ثلاثة أَقْسَامٍ : كِنَايَةٌ عَنْ صِفَة ، وكِنَايَةٌ عَنْ مَوْصُوفٍ ، وكِنَايَةٌ عن نِسْبَة الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوف ، وفى هذه الأَخِيرة تُذْكَر الصِّفةُ أَوْ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا .

سر الجمال فى الكناية

١ — يقول المتنبى فى قوم هزمهم سيف الدولة :

فَمَسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ... وصَبَّحَهُمْ وبُسْطُهُمُ تُرَابُ
وَمَنْ فى كَفِّهِ منْهُمْ قَنَاةٌ ... كَمَنْ فى كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

فى كل شطر من البيتين كناية : الأولى كناية عن الترف والنعيم ، والثانية كناية عن الذلة والانكسار ، والثالثة عن الرجال ، والرابعة كناية عن النساء . والأولى قد دلت على

المعنى المقصود ، وعبرت عنه تعبيرا حسّيّا . بالنص على أن بسطهم حرير . وهذا التعبير الحسّىّ هو فى الوقت نفسه يقوم برهانا على المعنى وهو الترف والنعيم ، والثانية عبرت عن المعنى ، وعبرت عنه تعبيرا حسيا بالنص على أن بسطهم صارت ترابا ، وقوله « بسطهم تراب » هو الدليل على ذلتهم وانكسارهم وخضوعهم ؛ وشدة حاجتهم بعد الهزيمة . والثالثة عبرت عن المعنى ، وعبرت عنه تعبيرا حسيا بالنص على « فى كفه قناة » ، وهذا النص نفسه هو الدليل والبرهان على أن المقصود بالتعبير رجل ، والرابعة أفادت المعنى المقصود ، وجاءت بالبرهان حسّيا فى قوله « فى كفه خضاب » ، ولذلك نقول إن السر فى جمال الكناية أنها تعطى الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفى طيها برهانها .

٢ — ويقول حصين بن الحمام المرّىّ :

فَلَسْنَا عَلى الأَعْقَابِ تدْمى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلى أَقْدَامِنَا تَقْطُر الدِّمَا

نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا

فى البيت الأول كنايتان إحداهما عن الجبن . فقد ذكر المعنى ، وذكر الدليل معه فى تعبير أبرز المعنى فى صورة حسّيّة ، فالدماء على الأعقاب برهان الجبن ؛ لأنه لا يكون إلا فى حالة الفرار . فيصيبهم الضرب من الخلف كما يصاب الجبناء ، والأخرى كناية عن الإقدام ، وقطر الدم على الأقدام دليل الشجاعة والبسالة ، وهو برهان حسّىّ . وأما البيت الثانى فهى كناية تعرّض بذوى قرباهم الذين اضطروهم إلى محاربتهم ؛ لأنهم بدءوا ظلمهم والعدوان عليهم .

٣ — ويقول الكروّس بن زيد :

لَئِنْ فَرِحَتْ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقدْ فَرِحَتْ بِي بَيْنَ أَيْدِي القَوَابِلِ (١)

أَهَلَّ بِهِ لَمَّا اسْتَهَلَّ بِصَوْتِهِ حِسَانُ الوُجُوهِ لَيِّنَاتُ الأَنَامِلِ

« عند شيبتى » كناية عن قدرته على الدفاع عن القبيلة وإمدادها بأسباب القوة ، « وبين أيدى القوابل » كناية عن بدء وجوده ، و « أهل به » كناية عن فرح الحسان ، و « لينات الأنامل » كناية عن أنهن من بنات الأشراف المترفات الناعمات ، لا يعملن بأيديهن ، وأنت ترى الشاعر قد عبر بالبرهان الذى صحب المعنى فى الكنايات الأربع .

٤ — إِنِّى امْرُؤٌ غرِضٌ مِن كُلِّ مَنْزِلَةٍ لا شِدَّتى تُبْتَغى فيهَا وَلا لِينِي (٢)

---

(١) القوابل : جمع قابلة وهى المولدة . أهل واستهل بمعنى واحد : أى رفع صوته ولينات الأنامل : بنات لأشراف والسادات اللائى لا يخدمن فتخشن أناملهن .

(٢) غرض : ملول . والمنزلة : المكان .

هذا شاعر رأى نفسه فى مكان لايعرف فيه قدره ، فعبّر عن ذلك بقوله : « لاشدقى تبتغى فيها ولا لينى » ، ولذلك فهو لايريد البقاء فى هذا المكان فالشطر الثانى هو البرهان الحسّىّ على معناه .

٥ — وَمَوْلاكَ مَوْلاكَ الذى إنْ دَعَوْتَهُ   أَجابَكَ طَوْعًا وَالدِّماءُ تَصَبَّبُ

والكناية فى قوله « والدماء تصبب » عن استعار نار الحرب ، وتصبب الدماء هو البرهان الحسى على قيام الحرب واشتدادها ، ومثله قول الشاعر :

٦ — يَدْعُونَ سَوَّاراً إذا احْمَرَّ القَنَا   وَلِكُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَوَّارُ (١)

والكناية فى قوله « إذا احْمَرَّ القَنَا » وهى الدليل على الشدة وقيام الحرب وهو دليل حسّىّ كما ترى .

٧ — مشَمِّرٌ للمَنَايَا عَنْ شَوَاهُ إذَا   مَا الوغْدُ أَسْبَلَ ثوبيه عَلى القَدَمِ

والتشمير كناية عن الجد والاهتمام ، وإسبال الثوب كناية عن التراخى وقلة المبالاة . وهذا وذاك دليلان حسّيان على المعنى .

٨ — نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إذا التقَيْنا   وُجُوهًا لاتعرض لِلسِّبَابِ

وفى آخر البيت كنايةٌ عن كرم الوجوه ورفعة شأن أصحابها والدليل الحسّىّ أنها لاتعرض للسباب .

٩ — وَإنْ قَصُرَتْ أَسْيافُنَا كَانَ وَصْلُهَا   خُطَانَا إلَى أَعْدَائِنا فَنُضَارِبُ

وفى « كان وصلها خطانا إلى أعدائنا » كناية ودليل حسّىّ على شجاعتهم وهو سر جمالها ومثله تماما قول الشاعر :

إذا الكُماةُ تَنَحَّوا أَن يُصِيبَهُمُ   حَدُّ الظُّبَاتِ وَصلناهَا بِأَيْدِينا

١٠ — إذا ظَلَمَ المولى فَزِعْتُ لِظُلْمِهِ   فَحَرَّكَ أَحْشائِى وَهَرَّت كِلَابِيَا

وتحريك الأحشاء كناية عن الغضب ، وهرير الكلاب كناية عن الاستعداد للحرب ولبس السلاح الذى يغطيهم فتنكرهم الكلاب ولا تعرفهم فتنبحهم ، وأنت ترى سر الجمال هو الدليل الحسى على المعنى .

١١ — وَعَقِيلِيةٍ يَسْعَى عَلَيْهَا قَيِّمٌ   مُتَغَطْرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخالِها (٢)

والإبداء عن الخلخال كناية عن فزعها ؛ لأن العقيلة تفزع وتعدو للهرب ، فتكشف

---

(١) سوار : اسم رجل .   (٢) العقيلة : كريمة الحى . والقيم الزوج ، والمتغطرس صاحب النخوة

عن ساقها ، فيظهر خلخالها ، وهو الدليل الحسى على الكناية وهو سرّ جمالها .

١٢ — لا يَقَعُ الطّعْنُ إلاّ فى نحورِهِمُ وَمَالَهُمْ عن حياضِ المَوْتِ تَهْليلُ(١)

فى أول البيت كِناية عن إقدام الصحابة فى الحرب على الجهاد ؛ لأنه دليل على أنهم يواجهون الموت بصدورَهم ، وهو الدليل الحسّىّ على إقدامهم وشجاعتهم .

الخلاصة

أَسْرَارُ الجمالِ فِى الكِنَايَةِ يتَلَخَّصُ فِيمَا يَأْتِى :

١ — أَنَّهَا تُبْرِزُ المَعنى فى صورة حِسِّيَّةٍ ، وَهَذِهِ خَاصَّة الفُنُونِ الجميلَةِ .

٢ — أَنَّهَا تُعْطِى الحَقِيقةَ وَمعَهَا بُرْهَانُهَا .

٣ — أَنَّهَا وَسيلةٌ إِلَى أَنْ يَقُول الأَديبُ مَايُريدُ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ يَرَاهُ فِى التَّصْرِيح .

تمرينات

اشرح فيما يأتى كل كناية ، وبين نوعها ، وسر الجمال فيها :

١ — نَالَ أَحَدُ التَّلاميذِ الدَّرَجَاتِ النِّهائِيَّةَ فى جميعِ العُلومُ .

٢ — رَسَبَ طالبٌ مُهْمِلٌ ، وَأَخذَ يقرَعُ سِنَّه .

٣ — عبر بعض جنودنا قناة السويس ، فركب الإسرائيليون جناحى نعامة ، وهاموا على وجوههم فى الصحراء .

٤ — دَرَسْنا هذا العام أبياتا من معلقة الملك الضليل .

٥ — كان العقاد رحمه الله — تحنى له الرءوس فى كل مكان .

٦ — كان العقاد يحمل على أمير الشعراء حَمْلة الغيور على التجديد فى الشعر .

٧ — لايزال من أهل الريف من يعد العشاء وينتظر من يؤاكله .

٨ — قلبت الدول الغَرْبية لنا ظهر المِجَنّ .

٩ — قطع الرحالة رحلته على سفينة الصحراء .

١٠ — اليُمْنُ يَتْبع ظِلّه والمجْد يَمْشى فى رِكَابِه

١١ — فى بيته عدّادٌ تجارى للكَهْرَبا .

١٢ — قومٌ تَرى أرْمَاحهمْ يومَ الوَغَى مَشْغوفَةً بِمَوَاطِنِ الكِتْمان

١٣ — مضى الزمن الذى كانت فيه ربات البيوت ناعمات الأكف .

---

(١) التهليل : الجبن والفرار والتأخر .

١٤ — فمَا جازهُ جُودٌ ولاحلَّ دونه ولكن يسير الجُودُ حيث يَسيرُ
١٥ — لاتشم فى مطبخهم ريح طعام ، ولا تسمع فى بيتهم صليل ملاعق .
١٦ — يَنتفخُ شدقَيهِ ، والحزام يَعصر جَنبَيه .
١٧ — لاتستقر النقودُ فى جيبه . ويداه دائما مبسوطتان، ولاتراهما أبدا ممدودتين .
١٨ — يعتبر المحتاجين شركاء فى ماله .
١٩ — يُقلب كفيه على ماأنفق فى أرضه .
٢٠ — سقفه الزرقاء ، وبساطه الغبراء .
٢١ — يختصر المأكول والمشروب ، ويحمل فى جيبه دفتر (الشيكات) .

المجاز المرسل

تقدم لك أن المجاز نوعان: مجاز لغوى علاقته المشابهة، وهو الاستعارة ومجاز علاقته غير المشابهة، وقد عرفت من علاقاته: الجزئية والسببية، وهنا نورد أمثلة أخرى لهاتين العلاقتين وأمثلة لعلاقات أخرى.

١ — لا ينسى الكريم يداً أسديت إليه.

فكلمة يد هنا مجاز؛ لأنها مستعملة فى غير معناها الحقيقى، فهى هنا بمعنى (النعمة)، والعلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى هى «السَّبَبِيّة»؛ لأن اليد هى التى تمنح النعم، فهى سبب لها.

٢ — توفِّر إدارة القوى العاملة لخريجى الجامعة أرزاقهم.

فكلمة الأرزاق هنا مستعملة فى المناصب، والوظائف لأن الأرزاق مسبّبة عن المناصب، فهى مجاز علاقته «المسبَّبيَّة».

٣ — شاهدت ليبيا، فأعجبت بجمال طبيعتها على الشواطىء.

والحقيقة أننى لم أشاهد إلا جزءا صغيرا من ليبيا، ولكنى أطلقت ليبيا، وأردت هذا الجزء الذى شاهدته، فالعلاقة بين ليبيا والجزء الذى شاهدته أن ليبيا «كلٌّ»، وما شاهدته جزء، فالعلاقة «الكُلِّيّة»، لأن المذكور كُل.

٤ — قبض رجال الأمن على عين من عيون الأعداء.

رجال الأمن قبضوا على رجل لا على عين من عيونه، ولكن لأن العين جزء من الجاسوس المقبوض عليه، ولها شأن كبير فى عمله فقد أطلق الجزء وأريد الكل، فالعلاقة «الجُزْئِيَّة»؛ لأن المذكور هو الجزء.

٥ — أفضلُ شُرْبَ البُنِّ على سائر المشروبات.

والحقيقة أنى شربت القهوة ولم أشرب البن لأن البن لا يشرب، لكن القهوة كانت بنًّا. فكلمة بُنّ مجاز. علاقته ما كان، لأن المذكور هو «ما كان» أصلا للمقصود.

٦ — وُلِدَ لنا اليومَ رَجلٌ.

والمولود يوم يولد لا يكون رجلا، ولكن قد يكون ذلك فى المستقبل فأطلق الرجل على المولود تفاؤلا باعتبار ما سيكون، لأن، المذكور كلمة «رجل» وهى تدل على ما «سيكون».

٧ — تأكل المدينة ألف رأس من الغنم يومياً.

والمدينة لا تأكل، إنما يأكل سكانها، فأطلقنا المحل، وأردنا من يحل فيه، فالعلاقة «المحلية» لأن المذكور هو المحل. وفى العبارة مجاز آخر علاقته الجزئية فى

« رأس من الغنم » ؛ لأنهم لا يأكلون الرءوس وحدها ، بل يأكلونها ومعها الأجسام .

٨ — نَزَلْتُ بِرَجُلٍ كَرِيمٍ ، فَأَكْرَمَ مَثْوَايَ .

والرجل لا يُنزَل به ، إنما ينزل بمكانه وداره ، فأطلق الرجل وهو حالّ بالمكان ، وأريد المكان ، فالعلاقة « الحالِّيَّة » ، لأن المذكور فى الكلام هو الحالُّ .

وإذا تبين لك أن كل مجاز مماسبق كانت له علاقة غير المشابهة ، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى ، فقد سمى هذا النوع من المجاز بالمجاز المرسل أى المطلق الذى لم يقيد بعلاقة خاصة واحدة .

وكل مِنَ الآيات الآتية يشتمل على مجاز مرسل علاقته : السَّبَبِيَّة ، والمُسَبَّبِيَّةُ ، والكُلِّيَّةُ « والجُزْئِيَّة ، ومَا كَانَ ، ومَا سَيَكُونُ ، والمَحَلِّيَّةُ ، والحالِّيَّة ، على الترتيب .

١ — وَاجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخرين (المجاز فى لسان)

٢ — ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً (المجاز فى رزقاً)

٣ — وإنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فى آذانهم (المجاز فى أصابعهم)

٤ — وَارْكَعُوا مَعَ الراكِعِينَ . (المجاز فى اركعوا)

٥ — وآتُوا الْيَتَامَى أمْوَالَهُمْ . (المجاز فى اليتامى)

٦ — إنى أرانى أَعْصِرُ خَمْراً . (المجاز فى خمراً)

٧ — فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . (المجاز فى ناديه)

٨ — فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (المجاز فى رحمة الله)

سِرُّ الجمالِ فِى المجَازِ المُرْسَلِ

نحلل هنا بعض الأمثلة لعلك تهتدى بها فى إدراك أسرار الجمال فى المجاز المرسل .

١ — إن الحزْمَ والعزْمَ سلبانى سَوْطِى ؛ وأبدَلانى به سَيْفِى . استخدم الحجاج السوط والسيف فى معنى العقاب ، والجمال فى ذلك تصوير المعنى تصويراً حسيًّا ، وإبرازه مجسما بذكر الأداة التى تستخدم فى العقاب سواء أكان شديدا ، أم غير شديد ، للإرهاب والتخويف . ومثل قول الحجاج قول الشاعر :

وَوَضْعُ النَّدى فى مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلاَ
مُضِرٌ كَوَضْعِ السيف فى موضع النَّدَى

وقول الآخر :

لا يَغُرَّنكَ ما تَرَى منْ أَناسٍ   إنَّ تَحْتَ الضلُوعِ داءً دَوِيَّا(١)

فَضَعِ الصوتَ ،وارْفعِ السيفَ حتى   لا تَرَى فَوقَ ظَهْرِها أَمَوِيّاً

فالسيف فى جميع هذه الأمثلة يراد به القتل والفتك ، والإهلاك وأما السوط فيراد به مجرد العقاب خفيفاً أو شديداً ، وهو هين إذا قورن بالسيف .

٣ — قال تعالى « فَمَن شَهِدَ مِنكم الشهْرَ فَلْيَصُمْهُ » .

إن الذى يشهد هو الهلال الذى يرى أول يوم فى الشهر ، والهلال سبب فى وجود الشهر فإطلاق الشهر على الهلال مجاز مُرسَل علاقته المُسبَّبيّة وسر الجمال فيه الإيحاء بأن الشهر هو الهدف وليس الهلال إلا وسيلة ، نهتدى بها إن القيام بالواجب وهو صيام الشهر ، فموضع الاهتمام الحقيقى هو الشهر . ولذلك عبر به عن الهلال ولشهر الصيام نفسه إيحاء روحى يفيض فى النفوس ؟ ويغمر القلوب إذا ما ذكر ، هذا فوق ما فى المجاز من إيجاز يغنى عن ذكر كلمات كثيرة ومثل ذلك يمكن أن يقال فى قوله تعالى : « ويُنَزِلُ عَلَيْكم من السماء رزْقاً » فإن فى التعبير بالرزق عن المطر إشعاراً بأن ما ينزل من السماء ليس ماء فحسب ، بل هو خير وبركة ، ووسيلة حياة هذا فوق ما فى التعبير من إيجاز يغنى عن ذكر المطر الذى ينشأ عنه نبات يتخذ منه رزق .

٣ — وقال الله تعالى : « يَقُولُونَ بأفْواهِهِمْ مَا لَيْسَ فى قُلوبِهِمْ »

أطلقت الأفواه وأريد بها الألسنة . وهى بعض الأفواه ، والعلاقة الكلية ؛ لأن الكل هو المذكور ، وسر الجمال فيه إبراز معنى النفاق فى صورة أبشع وأشنع ، لأن المتكلم حين يملأ فمه بالقول الكاذب إنما يؤكد زعمه وادعاءه ويوهم أن باطله حق ،وكذبه صدق ، ونفاقه إيمان ، وذلك أشنع له حين ينكشف الستار . ويبرح الخفاء .

ومثله قوله تعالى :

« وإنّى كُلَّمَا دعوتُهم لتَغفِر لَهُمْ جَعَلوا أصابعَهم فى آذانِهِمْ »

فأطلق « أصابعهم » وأراد أطرافها التى تتسع الآذان لها ، إشعارا بعنادهم وإصرارهم ألا يسمعوا دعوة الإيمان ، ويغلقوا عنها أسماعهم ما استطاعوا وهذا هو سر الجمال فى استخدام الأصابع بدل أطرافها .

٤ — وقال الله تعالى :

« فرَجعنَاكَ إلىَ أمِّك كَىْ تَقَرَّ عَيْنها ولاَ تحْزَن » .

يريد تقر نفسها ويهدأ جسمها ، واختار العين ؛ لأن للعين شأناً كبيراً فى مجال الحزن فهى مرآة النفس ، والحزن أظهر ما يكون فيها وهى مصب الدمع ، ومظهر البكاء ، ولا سيما إذا كانت عين الأم .

ومثل هذا قول الله تعالى « واركعوا مع الراكعين » وقول الشاعر :

وَمَا مِنْ يدٍ إلا يد الله فَوْقها ... ولا ظالِم إلا سيُبْلَى بظالِم

فالركوع من أركان الصلاة التى تبدو للعين ؟ واليد أداة البطش فى مجال القوة عملها فى هذا المجال أظهر من عمل أى جارحة أخرى .

٥ — قال الله تعالى : « وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوالَهُمْ » .

عبر عن الراشدين باليتامى ، باعتبار ما كانوا ، وسر الجمال فيه إثارة الشفقة عليهم والرحمة بهم والإيحاء بطول حرمانهم مع الإشارة إلى العلة التى كانت سبباً فى صيانة أموالهم

٦ — قال تعالى : « فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » .

الطفل لا يكون حليما عندما يولد ، وإنما وصف بالحلم باعتبار ما سيكون ، وسر الجمال فيه بعث التفاؤل ، وتوقع الخير فيه فى مستقبل عمره ، وضد ذلك قوله تعالى : « إِنَّكَ إن تَذَرْهُمْ يضِلُّوا عِبَادَكَ ولا يَلِدوا إلا فاجِراً كفاراً » ، وسر الجمال منه التحذير من تركهم لإضلال العباد .

٧ — وَلَقَدْ نَزَلتِ بِخَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى
قَيْس فأثبت نَعْلَها وقبالها(١)

وهو لم ينزل بقيس ، وإنما نزل بمكانه إيحاء بأن قلبه لا يتعلق بالديار ، بل بمن يسكن الديار .

ومثله قول الشاعر :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وقولا لِقَبْرِه ... سَقَتْكَ الغَوادى مَرْبَعاً ثم مَرْبَعَا

فقلبه مشدود إلى « معن » لا إلى قبر معن . فعبر بمعن عن قبر معن لذلك ، وضد ذلك قول الشاعر :

---

(١) القبال هو الزمام الذى يكون فى النعل بين الأصبع الوسطى والتى تليها . والكلام كناية عن الرشد والتوفيق الذى أصابه قائل البيت (الأعشى) بنزوله على قيس بن معد يكرب .

إنِّى نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهم عن القِرَى، وعنِ التَّرْحَالِ محدُود(١)

لأنه إنما يغضب على الكذابين لا على مكانهم .

٨ — قال الشاعر :

فإنَّ الشَّقِىَّ من تعادِى صدورهم وذو الجَدِّ من لاذوا إليْه.ومن ودُّوا

فعبر عن القلوب بالصدور ، لأنها أماكن القلوب ، وسر الجمال فيه الإشعار بأن العداوة قد غمرت القلب ، وملأت الصَّدر ،

الخلاصة

١ — المجَازُ المُرْسَلُ كَلِمَةٌ اسْتُخْدِمتْ فى غَيْرِ مَعْنَاهَا الحْقِيقىّ لِعَلاَقة غيرِ المُشَابَهَةِ، مع قرينة مانعة من إرادة المَعْنَى الأَصْلِى .

٢ — علاقات المجاز المرسل كثيرة ذكرنا منها : السَّبَبِيَّةَ،وَالمُسَبَّبِيَّةَ ، وَالْجُزْئِيَّةَ، وَالكُلِّيَّةَ ، وَاعْتِبَارَ مَاسَيَكُونَ ، وَاعتبارَ مَا كَانَ ، وَالْحَالِيَّةَ ، وَالمحلِّيَّةَ .

٣ — أَسْرَارُ الجمالِ فِى المجَازِ المُرْسَلِ تَرْجِعُ إلَى :

(ا) التَّوْفِيقِ فى اخْتِيَارِ العَلاَقَةِ بَيْنَ المَعْنَى الأَصلِىّ وَالمَعْنَى المجَازِىّ ، وَهَذَا التَّوْفِيقُ أَسَاسُهُ رَهَافَة حِسّ القَائل وَاتساعُ خَيالِهِ ، وَعمقُ إدْرَاكِهِ لِلكَائنات وَارتباطاتها الدقيقة .

(ب) تَعْبِيرِ المجازِ عَنْ نَفْسِ القائلِ وَعَالَمه الوجْدَانِىّ .

(ج) الإِيجازِ الَّذِى يَجْعَلُ القَوْلَ فَاصِلا فى مَجَالِهِ ، مُصَوِّراً للمعنَى ، تصويرا دقيقًا .

(د) المُبَالَغَة المَقبُولَة الّتِى تَجْعَلُ القَوْلَ أَعْمَقَ أَثَرًا ، وَأَصْدق وَقْعًا .

---

(١) محدود : ممنوع من الطعام ، ومن الرحيل .

تمرينات

بين كل مجاز مرسل ، وعيّن علاقته ، ووضح سر جماله فيما يأتى :

١ — قرّر مجلس الأمن انسحاب المعتدين .
٢ — إذا كان المدير أذُناً فسدَت إدارته .
٣ — سَرَقَ اللصوص مصرفاً فى إحدى المدن الكبرى .
٤ — لم تعنَ المدارس بالنشاط الاجتماعى إلا فى عهد الثورة .
٥ — اطمأنت القاهرة إلى استعداد الجيش .
٦ — نؤثر لبس الكتان فى فصل الصيف :
٧ — إنى معجب بأقلام بعض الأدباء اللبنانيين .
٨ — لك أياد عَلَىَّ لا أجحدها .
٩ — إن الأبرارَ لفى نعيم .
١٠ — سأوقد نارا .
١١ — اخضرت الصحراء ، وأثمرت الأشجار فى البحيرات ، وارتفعت المنازل فوق المستنقعات .
١٢ — تحكمت المستعمرات فى أعناق مستعمريها .
١٣ — قال عليه السلام : «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» .
١٤ — كَفَى بالسَر عيباً أن تراهُ لَه وَجهٌ وَليس له لسان(١)
١٥ — وكَم عَلمته نظمَ القَوافى فلَمَّا قالَ قافية هَجانى(٢)
١٦ — « وأرسلنا السَّماء عليهِم مدرارا »(٣)

---

(١) المراد بالوجه الجمال . والمراد باللسان الفصاحة . (٢) المراد بالقافية القصيدة . (٣) المراد أرسلنا المطر .

الخبر والإنشاء

١ — من أشدّ عيوب الإنسان خفاء عيوبه على نفسه .

٢ — وفاة العقاد من المصائب العظام .

٣ — إذا تكرهتَ أن تعطى القليلَ ولم
تقدرْ على سعةٍ لم يظهر الجودُ

٤ — إذا كنت فى كل الأمورَ معاتباً
صديقك لم تلقَ الذى لا تعاتبه

٥ — لا يؤمننَّكَ شرَّ الجاهل قرابةٌ ولا جوار ولا إلفٌ .

٦ — لا تعدلنَّ عن طريق الحقّ .

٧ — بثّ النوالَ ولا تمنعك قلته فكل ما سدّ فقرا فهو محمود

٨ — قف بالديار وحيّها يا مربع واسأل ، وكيف يجيب من لا يسمع ؟

فى المثال الأول يخبرنا القائل بأن خفاء عيوب الإنسان على نفسه من أشد العيوب ، وهو قول يمكن أن يكون صادقاً ، ويمكن أن يكون كاذباً ، وفى المثال الثانى يخبرنا القائل بأن وفاة العقاد كارثة عظيمة ، ويمكن أن يكون صادقاً فى قوله أو كاذبا ، وفى المثال الثالث يخبرك الشاعر بأنك إذا كففت عن العطاء لقلة ما تملك لم يظهر جودك ، وفى المثال الرابع يخبرك بأنك إذا حرصت على معاتبة كل من يخطىء فلن تجد فى نهاية الأمر من لا تعاتبه ، وهذا وذاك خبر يحتمل أن يكون قائله صادقا فيه وأن يكون كاذبا ، والصدق ما طابق الواقع ، والكذب ما لم يطابق الواقع .

فإذا نظرت إلى المثال الخامس رأيت القائل ينهاك عن أن تأمن شر الجاهل مغترّا بأنه قريبك أو جارك أو أنه يألفك وتألفه ، وهذا قول لا يصح أن يقال لقائله أنت صادق أو كاذب فيه ؛ لأنه لا يعلمنا بحصول شىء أو عدم حصوله . وإنما هو ينهى فحسب . ومثل ذلك فى المثال السادس الذى ينهاك عن أن تحيد عن سبيل العدالة ، فهو لا يصح أن يقال له أنت صادق أو كاذب فيما تقول ، لأنه لم يخبر بشىء ، وكذلك لا يمكن أن يتصف قائل المثال السابع بأنه صادق أو كاذب ؛ لأنه يأمر بمنح الخير ، وينتهى عن الامتناع عنه ، وكذلك لا يمكن أن يتصف قائل المثال الثامن الذى يطالب مربعا بأن يقف على الديار ، وأن يحييها ، وأن يسألها ، ثم يوجه سؤالا فيقول : وكيف يجيب من لا يسمع ؟ لا يمكن أن يتصف بأنه صادق أو كاذب ؛ لأنه لم يخبر بحصول شىء أو عدم حصوله .
ولو أنك تتبعت الكلام لوجدته لا يخرج عن هذين النوعين ، ويسمى النوع الأول خبرا ، ويسمى النوع الثانى إنشاء .

الخلاصة

الكلام قسمان : خبر وإنشاء .

١ — فالخبرُ مايصحُّ أنْ يُقال لقائله إنَّهُ صادقٌ فيه ، أو كاذبٌ ؛ لأن القولَ — بصيغته — يحتملُ الصّدقَ والكذبَ لمُطابقته للواقع أو عدم مُطابقته للواقع بصرف النظر عن قائله .

٢ — والإنشاء مالاَ يَصِحُّ أنْ يُقالَ لقائله إنّه صادقٌ فيه أوْ كاذبٌ ؛ لأنّه لايخبر بشيء ، وإنما يطلب شيْئًا .

أغراض الخبر

١ — كان الشِّعْرُ مِنْ أسلحة المعركةِ بين الإسلام وخصُومه .
٢ — أخمَلَ جرير ثمانين شاعراً ،
٣ — طالَ سهرُكَ فى الليلة الماضية ، ثم نهضْتَ فى الصباح مُبكرا .
٤ — أنت تحسنُ تربية أبنائكَ ، وتعاملهم بالرفقِ ، ولا تألُوا جهدا فى الاستجابةِ لمطالبهم .

٥ — أنا الذى نظَرَ الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صَمَم
٦ — وإذا كانت النفوس كبارا تعبتْ فى مُرادها الأجسامُ
٧ — أتى الزّمانَ بَنُوهُ فى شبيبته فَسَرهم وأتيناه على الهَرَمِ
٨ — إذا ما دَعوتُ الصَّبر بَعدكَ والبُكا أجابَ البكاءُ طوعا ولمْ يجب الصَّبرُ
فإن ينْقَطعْ منك الرجاءُ فإنهُ سيبقَى عليكَ الحزنُ ما بقى الدَّهرُ
٩ — سأغسلُ عَنى العارَ بالسيف جالباً عَلىَّ قضاءُ الله ما كان جالبا
١٠ — أتانى أبيت اللعنَ أنك لمتنى وتلكَ التى أهتَمُّ منها وأنصَبُ
فبتّ كأنّ العائدات فَرشْنَ لى هَراسا بِهِ يعلىَ فراشى ويقشبُ
١١ — أمثالُكم لا يُعَوَّلُ عليهم .

تأمل المثالين الأول والثانى تجد المتكلم يقصد أن يفيد المخاطب حكما تضمنه الخبر فى كل منهما ، ويسمى هذا الحكم « فائدة الخبر » فالمتكلم فى المثال الأول يريد أن يفيد السامع ما كان يجهله من أن الشعب كان يتخذ وسيلة للهجوم وللدفاع حين جاء الإسلام ، وهو فى المثال الثانى يخبره بما لم يكن يعرفه من أن جريرا قد أخمل ثمانين شاعرا فى عصره ثم تأمل المثالين الثالث والرابع تجد المتكلم لا يقصد منهما أن يفيد السامع شيئا مما تضمنه الكلام من أحكام ؛ لأن ذلك معلوم للسامع قبل أن يعلمه المتكلم نفسه ، وإنما يريد أنه يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام ، فالسامع فى هذه الحال لم يستفد علما بالخبر نفسه ، وإنما استفاد أن المتكلم عالم به ، ويسمى ذلك « لازم الفائدة » .

أنظر إلى المثال الخامس تر الشاعر لا يريد إبلاغ خبر ، ولا يريد لازم الفائدة ، بل يريد أن يفخر بأن شعره اشتهر حتى تحقق عند الأعمى ، والأصم ، فرآه الأول وسمعه الثانى مع عجز حاستى السمع والبصر عندهما فما بالك بغيرهما ؟

والشاعر فى المثال السادس لا يريد أن يخبرنا بأن النفوس الكبيرة يصيبها التعب والإعياء فى السعى وراء أهدافها ، بل يريد أن يحث الناس على العمل والجد ، والشاعر

فى المثال السابع لا يريد أن يفيدنا بأن الزمان جاءه بنوه وهو شاب فأ كرمهم ، وأنه جاء على ضعف الزمان فلم يسره ، بل يريد أن يشكو الضعف والعجز عن الاستمتاع بالحياة .

والشاعر فى المثال الثامن إنما يتحسر ويظهر الأسى على فقيده العزيز ، الذى لا يصبر عنه ، ولا يرجو إيابه ، وإنما حظه البكاء والحزن طول الدهر .

والشاعر فى المثال التاسع إنما يهدد الذين اعتدوا على حماه بالانتقام مهما يصيبه من أذى فى سبيل تحقيق هدفه .

والشاعر فى المثال العاشر لا يريد أن يخبر صاحبه بأنه مُعَنًّى يجفوه النوم ولا يستقربه المضجع بل يريد أن يستعطف ويسترحم ، ويطلب الصفح والغفران . والقائل فى المثال الحادى عشر إنما يريد توبيخ قوم ؛ لأنهم يؤثرون العافية ، ولا يحتفلون بجد الأمور ،

الخلاصـــة

١ — يُلقى الخبر أصلاً لأحد غرضين :

(ا) إفادة المخاطب الحُكمَ الذى تَضَمَّنته الجملة ، ويسمَّى ذلك الحكم فائدة الخبر .

(ب) إفادة المخاطب أن المتكلمَ يعرفُ الخبرَ ، ويُسمى ذلك لازمَ الفائدة ،

٢ — وقدْ يُلْقَى الخَبرُ لأغراض بلاغيّة أخرَى تفهم من السياق ،

وهى كثيرة منها : الفَخرُ ، والحثُّ على العمل ، وإظهار الضَّعف ، والتحسر ، والتهْديد ، والاستعطافُ (١) ، والتَّوبيخ .

تمرينـــات

بين الغرض من كل خبر فيما يأتى :

١ — رب إنى فقير إلى رحمتك(٢)

٢ — ذهب الشبابَ فماله من عودة ... وأتى المشيبُ ؛ فأين منه المهرب(٣)

٣ — أخنَى على واحدى ريب الزمان وما ... يبقى الزمان على شىء ولا يذر(٤)

كنا كأنجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

٤ — إن الذى حرم المكارم تغلبا ... جعل النبوة والخلافة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم ... يا آل تغلب من أب كأبينا(٥)

---

(١) قد يذكر الاسترحام بدلا من الاستعطاف . (٢) يسترحم ربه .

(٣) المراد بالسؤال أول البيت . (٤) من قول أعرابية ترثى زوجها .

(٥) السؤال موجه إلى الخبر فقط .

٥ — وَمَن يكُ ذَا فَضل فيبخَل بفضله ... عَلَى قَومه يُستغنَ عنهُ ويذمم(٦)

٦ — فإنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعت لم يَبدُ منهُنَّ كوكب(٧)

٧ — فلسنا كمن كنتم تصيبون سلَّةً ... فنقبل ضيمًا أو نحكِّم قاضيا
ولكن حُكمُ السيفِ فيكم مُسلطٌ ... فنرضى إذا ما أصبح السيفُ راضيا

٨ — يفوت ضجيعَ التُّرَّهات طلابُه ... ويدنو إلى الحاجات من بات ساعيا

٩ — إن تُذنبُوا ثم تأتيني بَقيَّتُكم ... فمَا عَلَيَّ بذنب عندكُم فوتُ

١٠ — وأغُضُّ منْ بَصَرى وأعلمُ ... أنّهُ قد بانَ حدٌّ فوارسى ورماحى

١١ — وإنّى لمن قوم كأن نفوسَنَا ... بها أنَفٌ أن تسكُنَ اللحْمَ والعظمَا

١٢ - ومِلّنى الفراش وكان جنبى ... يملُّ لقاءهُ فى كلِّ عام

١٣ - أنت تغادر البيت يوم الجمعة .

١٤ — ومَكَارِمِي عَددَ النجوم وَمنزلى
مأوى الكرامِ وَمنزلُ الأضيافِ

١٥ — يا كوكبًا مَا كَانَ أقصَرَ عمرَهُ
وكذاك عمرُ كواكبِ الأسحَار

١٦ — حلفت فلَمْ أترك لِنَفسك ريبةً
وليْسَ وراء الله لِلمرءِ مَذهبُ

---

(٦) كل الحكم أو أكثرها تكون للنصح والإرشاد أو للحث على العمل وجد الأمور.
(٧) المدح من الأغراض البلاغية التى يخرج إليها الأسلوب الخبرى .

الانشاء

أساليب الإنشاء كثيرة ، وسندرس منها ثلاثة فقط : الأمر ، والنهى ، والاستفهام ،

١ — الأمر

١ — قال تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ » .

٢ — وقال تعالى : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ (١) عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ » .

٣ — وقال تعالى : « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » .

٤ — وقال تعالى : « عَلَيْكُمْ (٢) أَنْفُسَكُمْ ،لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ »

٥ — وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ إِن مُنِحْتَ إِمَارَةً ... وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَن رَدَى اللَّذَّاتِ

٦ — قِفَا وَدِّعَا نجدا وَمن حَلَّ بالحِمَى ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنا أَنْ يُوَدَّعَا

٧ — « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي »

٨ — أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجَلِ ... بِصُبْحٍ وما الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

٩ — فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنا ... ثَهْلَانَ ذَا الهَضَبَاتِ هل يَتَحَلْحَلُ

١٠ — أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا القَلْبُ رُبَّمَا ... رَأَيْتُكَ تُصْفِي الوُدَّ من لَيْسَ جَارِيَا

١١ — فَإِن تُعْرِضُوا عنا اعْتَمَرْنا ... وكَانَ الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلادِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ من يَشَاءُ

تأمل الأمثلة الأربعة الأولى تجد كلا منها تشتمل على صيغة أمر يطلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب ، ثم إذا أنعمت النظر رأيت طالب الفعل فيها أعلى ممن طلب الفعل منه ، وهذا هو الأمر الحقيقي .

وإذا تأملت صيغ هذا الأمر رأيتها لا تخرج عن أربع هو فعل الأمر كما في المثال الأول «وأعدوا» ، والمضارع المقرون باللام كما في المثال الثاني «لينفق» ، والمصدر النائب عن فعله كما في المثال الثالث (إحسانا) ، واسم فعل الأمر كما في المثال الرابع (عليكم أنفسكم) .

---

(١) قدر : ضيق . (٢) عليكم : ألزموا .

انظر بعد ذلك إلى المثال الخامس (واخفض) تجد الأمر لم يستعمل فى معناه الحقيقى، وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الإيجاب والإلزام ، وإنما يدل على « النصح والإرشاد » . وقد أدركنا ذلك من السياق ، وقرينة الحال .

وإذا تأملت المثال السادس رأيته لا يوجب ولا يلزم ولا يريد تكليفا ، وإنما يتخيل الشاعر صاحبين يستوقفهما ، ويطلب إليهما أن يودعا نجدا معه ، وصيغة الأمر إذا صدرت من رفيق إلى رفيقه أو من ند إلى نده لم يرد بها الإلزام والتكليف . وإنما يراد بها محض « الالتماس » وفى المثال السابع يطلب موسى من ربه أن يشرح صدره وييسر له أمره ، والمخلوق لا يأمر خالقه ، وإنما يتوجه إليه فى خشوع ليعينه على أداء رسالته ، ومثل هذا الأمر من الأدنى إلى الأعلى يفيد « الدعاء » .

وفى المثال الثامن لم يأمر الشاعر الليل ، ولم يكلفه شيئا ؛ لأن الليل لا يسمع ولا يطيع ، وإنما أرسل صيغة الأمر وأراد بها « التمنى » .

وفى المثال التاسع لا يأمر الشاعر صاحبه بأن يدفع ثهلان حقا ؛ لأنه يعلم أن أحداً لا يستطيع أن يدفع جبلا ، وإنما أراد أن يشعره بعجزه ، فالمراد « التعجيز » .

وفى المثال العاشر لا يأمر الشاعر قلبه أن يكف عن الاشتياق أمرا حقيقيا ، لكنه يوبخه على منح ودّه لمن لا يستحق فالمراد « التوبيخ » .

وفى المثال الحادى عشر لا يريد الشاعر إلا التهديد بحرب طاحنة تذل العدوّ ، إذا لم يفتحوا طريق مكة بالحسنى .

الخلاصة

١ — أسلوبُ الأمرِ منْ أساليبِ الإنشاءِ ، والأمرُ طلبُ الفعلِ عَلَى وجْهِ الاستعلاء .

٢ — للأمر أربعُ صيغ . فعلُ الأمر ، والمضارعُ المقرونُ بلام الأمر ، والمصدرُ النائبُ عن فعل الأمر ، واسمُ فعل الأمر .

٣ — يَخْرُجُ الأمرُ عن حقيقته إلى أغراض بلاغيَّة متعدّدة منها ، (ا) النصحُ والإرشادُ (ب)الالتماسُ (ج) الدُّعاء (د) التَّمَنِّى . (ه) التَّعْجيزُ . (و) التوبيخ (ز) التَّهديد .

تمرينات

بين الأغراض البلاغية للأمر فيما يأتى :

١ — « ربّ اغفرلى ولوالدىّ » .

٢ — وقال تعالى : « قل تمتعوا فإنَّ مصيرَكُمْ إلى النَّار » .

٣ — اسلَمْ يزيدُ فما فى الدين من أوَد   إذا سَلِمْتَ وما فى الملك من خلل

٤ — فصبرا فى مجال الموت صبرا   فما نيلُ الخلود بمستطاعِ

٥ — شاورْ سواك إذا نابَتْكَ نائبةٌ   يوما وإن كنتَ من أهل المَشُورَاتِ

٦ — أَوْلِى وفاءَ وإنْ لمْ تبْذُ لى صلةً   فالذكرُ يقنعُنا ، والطيفُ يكفينا

٧ — دَعْ من أعمالِ السِّرِّ مالا يَصْلُحُ لكَ فى العلانية .

٨ — أَرِينِى جواداً مات هَزْلاً لَعَلَّنِى   أَرَى مَا تَرَيْنَ أو بَخيلاً مُخَلدا

٩ — فيا موت زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ   ويا نفسُ جِدِّى إنَّ دَهْرَكِ هازِل

١٠ — قال تعالى : « فَأْتوا بسُورَةٍ من مِثْلِه » .

١١ — أرونى بَخيلاً طال عُمْراً بُبخْلِه   وهاتوا كريماً مات من كثرة البَذْلِ

١٢ — يا خليلَىَّ خَلِّيَانى ومَا بِى   أو أعيدا إلىَّ عَهْدَ الشبَابِ

١٣ — أرِنى الَّذى عَاشَرْتَهُ فوجَدْتَهُ   مُتَغَاضِياً لكَ عَنْ أقلِّ عِثَار

١٤ — إذا لَمْ تستحِ فاصنَعْ مَا شِئْتَ

١٥ — « فادْرَءوا عَنْ أنفسكُمُ الموْتَ إن كنْتمْ صادقين » .

١٦ — « رَبَّنَا إنَّنَا سمعنَا مُنَادياً ينادى للإيمان أنْ آمنُوا بربكُمْ فآمنا ، ربَّنَا فاغفر لنَا ذنوبَنا ، وكفّر عنَّا سيئاتِنا ، وتَوفَّنَا مع الأبرار » .

١٧ — حاوِل جسيات الأمور ولا تَقلْ   إنَّ المَحامد والعلا أرزاق
وارغب بنفسك أنْ تكون مقصراً   عن غاية فيها الطلاب سباق

١٨ — يادارَ عَبْلةَ بالجواء تكلَّمِى   وعِمِى صباحا دار عبلة واسلمِى

٢ — النهى

١ — قال تعالى : « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا » .
٢ — وقال تعالى : « وَلا تَجَسَّسُوا ، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً » .
٣ — قال رجل لابنه : « لا تُكْثِرْ مِنْ عِتاب الأصدقاء » .
٤ — قال رجل محزون : « اللّهمَّ لا تُحَمِّلْنِى مَالا أُطِيقُ » .
٥ — أخى . لا تطْوِ عَنّى سِرَّك ، فَإِنِّى عَوْنٌ لَكَ .
٦ — لا تَعْصِفِى يارِيَاحُ ، ولا تَمْطُرِى ياسَمَاء ، ولا تَحْتَجِبْ ياقمرَ .
٧ — لا تَأْخُذْ حَقَّ غَيْرِك .
٨ — لا تُقْلِع عن عِنَادك .
٩ — لا تَطْلُبِ المجدَ ، فَلَيْسَ هَذا مَجَالَك .
١٠ — لا تَنْتَظِرْ تَعْوِيضاً عَمَّا فَقَدت .

إذا تأملت الآيتين الكريمتين رأيت كلا منهما تشتمل على نهى يطلب الكف عن الفعل ، وإذا أنعمت النظر رأيت طالب الكف هو الله سبحانه ، والمطلوب منهم هم عباده ، وهذا هو النهى الحقيقى . وإذا تأملت صيغة النهى فى كل منهما وجدتها فعلا مضارعا مقرونا بلا الناهية .

انظر إلى المثال الثالث تجد نهيا لم يستعمل فى معناه الحقيقى ؛ لأنه ليس طلبا من أعلى لأدنى ، وإنما هو نهى صادر من أب يشفق على ابنه ويبتغى الخير له . ويرسم لك سبيلا من سبل السلوك الصالح ، فلا يراد بالنهى غير « النّصْح والإرشاد » .

وفى المثال الرابع تجد نهيا موجها إلى الله سبحانه فهو « دعاء » وفى المثال الخامس تجد عبارة صادرة من أخ لأخيه ، وهو نده ونظيره . فالمراد بالنهى « الالتماس » .

وفى المثال السادس ترى نهيا موجها لما لايسمع ولايحس ، ولا يمكن أن يستجيب ، فالنهى يعبر عما يتمناه السارى فى جوف الليل يأنس بنور القمر ويخشى أن يغيب، كما يخشى عصف الرياح ، ومطر السماء فالمراد بالنهى « التّمنى » .

وفى المثال السابع يوجه القائل نهيه لمن يتجاوز حدوده ، ويطمع فيما ليس له فهو « توبيخ » .

وفى المثال الثامن يوجه القائل نهيه إلى من يعمل عملا غير صالح ولا يريد أن يكشف عنه فهو « تهديد » .

وفى المثال التاسع ينهى القائل مخاطبه عن طلب المجد لأنه لايراه أهلا القيام به ؛ لأنه أعجز من أن يسمو إلى هذا المستوى ، فهو « تحقير » وفى المثال العاشر يريد القائل بنهيه « التيئيس »

الخلاصة

١ — النَّهيُ مِنْ أَسَالِيبِ الإِنْشَاءِ .

٢ — النَّهيُ طَلَبُ الكَفِّ عَنْ الفِعْلِ عَلى وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ .

٣ — لِلنَّهيِ صِيغَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ المُضَارِعُ مَعَ لا النَّاهِيَةِ .

٤ — تَخْرُجُ صِيغَةُ النَّهيِ عَنْ مَعْنَاها الحَقِيقِيِّ إلى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ وَالقَرائِن ، منها :

(ا) النصح والإرشاد (ب) الدُّعاء (ج) الالتماس (د) التَّمني .

(هـ) التوبيخ (و) التهديد (ز) التحقير (ح) التيئيس .

تمرينات

عين أساليب النهى والأمر فيما يأتى ، وبين الغرض المقصود من كل أسلوب :

١ — رَبَّنا لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا .

٢ — أخى لا تَضنَّ علىّ بنصحك .

٣ — قال الحطيئة :

فقالَ . هَيَا ربّاهُ ! ضَيفٌ ولا قِرًى
بحقّك لا تَحرِمْهُ تَا اللّيلةَ اللّحْمَا

٤ — قال شاعر يخاطب صاحبه له :

لاتَرْحَلَنَّ فما أبقيْتَ لى جَلَدا
مِمَّا أُطِيقُ بِهِ تَوْديعَ مُرْتَحِلِ

٥ — قال لقيط :

لاتُثمروا المَالَ للأعداء إنَّهم
إن يَظْهَروا يحتوكُمْ والتِلادَ معَا

٦ — لاتطلُبُوا الحاجَاتِ فى غَيْرِ حِينِها ، ولا تَطلُبوها مِنْ غَيْرِ أهلِهَا .

٧ — لَا تطلُعْ أيها الفجر .

٨ — أعَيْنَيَّ جودَا ولا تجمُدا
ألا تَبْكِيَان لِصَخرِ النَّدَى

٩ — لاتطمع فى مَال غَيْرك ،

١٠ — لاتُطِعْ أمر الحكومة .

١١ — أخى . لاتأخذنى بتقصير سبق ، ولا تُخْفِ عَنِّى حاجتك .

١٢ — لاتأمرْ غيرك وتنسى نفسك .

١٣ — لاتَعْمل عملا نافعاً .

١٤ — لاتَنْتَظِرْ عَفواً ، ولا تَعْتذر عَمَّا فعلْتَ .

١٥ — دع المكارمَ لاترحل لبغيتها   واقْعُدْ فإنكَ أنتَ الطَّاعم الكاسى

١٦ — رَبَّنا وآتنا مَاوَعَدْتَنَا عَلى رسلِكَ ، ولا تخْزِنا يَوْمَ القِيَامة .

١٧ — لاتَقْرَبوا النيلَ إنْ لم تَعْمَلوا عَمَلاً

فَمَاؤه العَذْب لم يُخْلق لكسلانِ

١٨ — رَبَّنَا لاتزِغْ قلوبَنَا بَعْد إذْ هَدَيْتَنا .

١٩ — لاتَحْسبِ المجْدَ تمراً أنت آكله

لن تَبْلغ المجْدَ حتى تلْعَقَ الصَّبِرا

٢٠ — وَلا تأكلوا أموالكمْ بينكم بالبَاطِل .

٢١ — لاتطْلُب المجْدَ واقْنَعْ   فَمَطْلَب المجْدِ صَعْب

٢٢ — وَلا تُفْسِدُوا فى الأرْض بَعْدَ إصلاحِها .

٢٣ — ولا تُثْقِلاَ جيدى بِمِنَّة جَاهلٍ

أرُوحُ بها مثل الحمام مطَوَّقا

٣ – الاستفهام

١ – مَنْ أولُ الخُلَفَاءِ الراشدِينَ ؟
٢ – مَتَى يُزْرَعُ القُطْنُ فى مصر ؟
٣ – أنَّى لكَ هَذَا المال ؟
٤ – ألستَ أحْرَصَ الزُّعماءِ على عِزَّةِ العَرَب ؟
٥ – هَلْ تريد أن تَنْجَحَ فى حَيَاتِك ؟ تتَّقِ الله .
٦ – أأجْحَدُ يَدَكَ عندى وهى ظاهِرةٌ كالشمْس ؟
٧ – هل الاشتراكية إلاَّ إنكار الذات وخدمة المجتَمع ؟
٨ – ما للخطوب تَأتى معاً ولا تأتى فرادَى ؟
٩ – هَل يضير القَمَر نباح الكلاب ؟
١٠ – مَنْ هؤلاءِ الذين بَنَوْا مجد مصر ؟
١١ – مَنْ لنَا بالنَّصرِ الذى يقِرُّ السَّلامَ ؟
١٢ – يا دَارُ، أينَ مَنْ كان يَعْمرك ويضىء حجراتك ؟

تأمل الأمثلة الثلاثة الأولى تجدها أسئلة يوجهها من يريد لها إجابة ، وهذا هو الاستفهام الحقيقى .

ثم تأمل المثال الرابع نشعر أن الاستفهام فيه لا يطلب جوابا بل يريد توكيد معنى يقوم فى نفس السائل ، وهو أن المخاطب أعظم الزعماء ، وأشدهم إخلاصا للعرب ، وأقواهم حرصا على رفعة شأنهم فالاستفهام « التقرير » .

وفى المثال الخامس يريد المتكلم أن يدعو المخاطب إلى تقوى الله ؛ لكن يريد أن يمهد لهذه الدعوة بإثارة يقظته ، وبعث الشوق فى نفسه لهذه الدعوة ، فالسؤال تمهيد يراد به « التشويق » . وفى المثال السادس لا يريد السائل أن يسأل نفسه عن جحود النعمة بل يريد أن يشعر المخاطب أنه يعرف فضله ، ويذكر نعمته ، وإن إخفاء النعمة شىء لا يخطر له على بال ولا تتجه إليه نفسه ولا ترضاه ، فالاستفهام « للإنكار » . وفى المثال السابع لا يريد المخاطب أن يسأل عن معنى الاشتراكية . ولا يريد من المخاطب أن يردّ عليه ، إنما يريد أن ينفى عنها كل معنى غير إنكار الذات وخدمة المجتمع ، فالاستفهام « للنفى » ولو أنك استبدلت بأداة الاستفهام حرف نفى لصح المعنى .

وفى المثال الثامن يلحظ السائل أن الخطوب إذا دهمت أحداً جاءت متتابعة متلاحقة كأنما تتضافر وتتظاهر ، وهى ظاهرة تحير السائل ، وتثير دهشته ، ولذلك كان الاستفهام « للتعجب » .

وفى المثال التاسع رأى القائل جماعة من الناس يذمون ما لا يذم ويعيبون ما لا يعاب لجهلهم كالكلاب التى تنبح القمر ، ولا يمكن أن يلحقه من نباحها عار ولا أذى ، فهو يحقر مسلكهم ، ولذلك كان الاستفهام هنا « للتحقير » .

وفى المثال العاشر « لا يطلب السائل من مسئول جواباً يحدد بناة المجد » بل يريد أن يشيد بمكانة الذين بنوا مجد مصر فالاستفهام « للتعظيم » .

وفى المثال الحادى عشر يريد القائل باستفهامه أن يعلن أمنية تخامره ، وهى إقرار السلام والنصر فالاستفهام « للتمنى » وفى المثال الثانى عشر لا يسأل السائل الدار عمن كان يقطنها ويعمرها ، ويشيع الأنس والبهجة فيها ، وإنما يريد إظهار حزنه وأساه ، فالاستفهام « للتحسر » .

ولكنك قد تسأل لمَ يعمد الأدباء عن الأخبار بالأساليب الاستفهامية ، والواقع أن لهم أهدافا ، هى أن يثيروا يقظة القراء ويجذبوا انتباههم ، ويدعوهم للمشاركة فى التفكير والوصول إلى الجواب بأنفسهم لأنفسهم ، وهذا أدعى إلى التأثر وعمق الإدراك .

الخلاصة

١ — الاسْتِفْهَامُ مِن الأسَاليبُ الإنْشَائيّة ، وَهُوَ طَلَبُ العِلْمِ بشىء لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ لَدَى السَّائِلِ ، أو تبيّن مَدَى عِلْمِ المَسْئُولِ به .

٢ — يَخْرجُ الاستفهامُ عَنْ حَقِيقَته إلَى أغْرَاضٍ بَلَاغِيَّةٍ هى :

(ا) التقرير (ب) التشويق (ح) الإنكار (ى) النفى (هـ) التعجّب (و) التحقيرُ (ز) التعظيم (ح) التمنى (ط) التحسر .

٣ — هنَاكَ أغراضٌ أخرى بلاغية للاستفهام يمكن إدراكها مِنْ السياق .

٤ — خروج الاستفهام عَن حقيقته دعوة من السائل للمسئول إلى المشاركةِ فى التفكير ، وهذا سِرٌ مِنْ أسرار جماله .

تمرينات

بين الغرض البلاغى من كل أسلوب استفهامى فيما يأتى .

١ — هَل الدَّهْرُ إلا غَمْرَةٌ وَانجِلاَؤُهَا وَشيكاً ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ وَانفِرَاجُهَا
٢ — أَتُسِيءُ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ؟
٣ — أَلَسْتُمْ خَيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى العَالِمِينَ بُطُونَ رَاحِ
٤ — أَضَاعُونِي وَأَىَّ فتى أضاعوا لِيوْمِ كَرِيهةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ
٥ — فَدعِ الوعيدَ فمَا وَعيدُك ضائِرِي أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ البعُوض يَضِيرُ
٦ — أنْشَا يُمَزِّقُ أثوابى يُؤَدِّبُنِي أبَعْدَ شَيْبِي عِنْدِى يَبْتَغِى الادَبَا
٧ — هَلْ بالطُّلُولِ لِسَائِلٍ رَدُّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمٍ عَهْدُ
٨ — يادَهْرُ فِيمَ فجعتَى بحليلة كَانَتْ خُلاَصَةَ عُدَّتِى وَعتادِى
٩ — أأخْمُلُ وَالنَّباهَةُ فِىَّ لَفْظٌ وَأُقْتِرُ وَالقناعةُ لى عَتَادُ
١٠ — أعِنْدى وَقد مارسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدَّقُ وَاشٍ أو يخَيَّبُ سَائِلُ
١١ — أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟
١٢ — هَلْ جزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ ؟
١٣ — أتعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ ؟
١٤ — أغَيرَ اللهِ تدعون ؟
١٥ — أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ؟
١٦ — مَنْ ذا الّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بإِذْنِهِ ؟
١٧ — فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا ؟
١٨ — فَهَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟
١٩ — أَتأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ؟
٢٠ — هَلْ أدُلُّكُمْ على تجارة تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَليم ؟

٢١ — هَلْ الدَّهْرُ إلا ساعةٌ ثم تَنقضِى   بما كانَ فيها من بَلاءٍ وَمِنْ خفضِ
٢٢ — أُوْلبِسُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ   إذًا لَهَجاني عنْهُ معْرُوفُهُ عِنْدِي
٢٣ — أتَهْجُوه وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ   فَخَيْرُ كُما لِشَرِّكُما الْفِداءُ
٢٤ — إذا الْقَوْمُ قالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أنَّنِي   عُنِيتُ فَلَمْ أكْسَلْ وَلَمْ أتَبَلَّدِ

القواعد النحوية

١ — تمرينات (١) عامة على ما سبقت دراسته

فى المرحلة الاعدادية

التمرين الأول

التصنيع

ليس تصنيع البلاد مظهرا من مظاهر التقـــدم الاقتصادى فحسب ولـكنه تطور شامل للحياة الاجتماعية والخلقية ؛ فإن المجتمع الصناعى له خصائص ومقومات تختلف اختلافا كبيرا عن خصائص المجتمع الزراعى ومقوماته ، ففيه إيمان بالعلم والعمل ، وفيه تقدير للزمن ، وفيه اعتماد على النفس والثقة بها ، وفيه شعور بالقدرة على الخلق والإبداع ، وفيه طموح إلى الترقى فى سلم الحضارة والمدنية ، وفيه يقظة لمتع الحياة ، وحرص عليها ، وعلى أن يعيش العامل كل لحظة فى حياته ؛ وهو يبرأ من الاتـكالية والسلبية التى تتسم بها المجتمعات الأخرى . ومن أجل ذلك كان المجتمع الصناعى أصلب عودا ، وأشد مقاومة للمعتدين ، ولم يكن لقمة سائغة ، ولا غنيمة سهلة للمستعمرين الذين يتخذون من الأمم الزراعية أسواقا لمنتجاتهم . ومن أجل ذلك كان إقدامنا على التصنيع ، وكان توجيه معظم أموالنا إلى الصناعة . إن فى الصناعة سر قوة الأمم ورفعة شأنها .

(ا) اضبط بالشكل أواخر الـكلمات التى تحتها خطوط مع بيان السبب .

(ب) استخرج من القطعة خبرا لإنّ يكون جملة اسمية . (ح) استخرج مفعولا مطلقا منها . (د) « من أجل ذلك كان إقدامنا على التصنيع » عين اسم كان وخبرها فى هذه العبارة . (ﻫ) « إن فى الصناعة سِر قوة الأمم » صلْ ما بإن « ثم اضبط كلمة « سر » ، وبين السبب . (و) استخرج من القطعة مصدراً مؤولاً ، وبين موقعه من الإعراب .

(ز) الصيغ الآتية من المشتقات ، وقد وردت فى القطعة فبين نوع كل منها وفعله :

مظهرا ـ شامل ـ مقومات ـ المجتمع ـ أصلب ـ أشد ـ المعتـدين ـ سائغة ـ المستعمرين ـ منتجاتهم ـ معظم .

التمرين الثانى

خاطب بالعبارة الآتية غير الواحد :

اصطَفِ أصدقاءَك ، ثم ارْعَ حقوقهم ، وأنصِفْهم من نَفْسِك ، وارْجُ رضاهم تسْعَدْ حياتُك .

---

(١) مناقشة هذه التمرينات قبل دراسة الموضوعات الجديدة ضرورية جداً .

التمرين الثالث

فلسطين

ليس فى تاريخ العالم مشكلة تشبه مشكلة فلسطين . وهى ضحية مؤامرة بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر ، حين اجتمع قوم من الصهيونين ، وقرروا أن يطالبوا بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، والتجئوا فى تنفيذ قرارهم إلى بريطانيا وتركيا ، فعرضت عليهم بريطانيا أرضاً فى إفريقية وأستراليا ، فلم يرضوا إلا بفلسطين ، فعرضوا عليهم سيناء فأبوا لأن ريّها عسير ، وقد استمر إلحاحهم على الإنجليز حتى جاءت الحرب العالمية الأولى فنالوا وعداً من « بلفور » وزير خارجية بريطانيا فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بأن يساعدهم الإنجليز على إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، وبعد انتهاء تلك الحرب هيأت لهم إنجلترا السبيل إلى الهجرة من البلدان المختلفة إلى فلسطين التى كانت تحت انتداب الدولة الإنجليزية ، حتى كثر عددهم ، وأعدوا أنفسهم بالسلاح تحت إشراف الإنجليز الذين دربوهم وأشركوهم فى الجيوش المحاربة .

ثم ترك الإنجليز فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فأعلن اليهود دولتهم ، وكان عرب فلسطين عُزْلا فساقهم اليهود سوقا عنيفاً إلى الحدود ، ومن هنا كانت مشكلة اللاجئين . وفى اللحظة التى أعلن فيها اليهود دولتهم اعترفت بها أمريكا ، وأمدتها بالمال والسلاح . وبذلك أقام الإنجليز والأمريكان جسرا إلى الوطن العربى يعبرون عليه متى شاءوا .

(ا) بين فى القطعة : مفعولا مطلقا ، ظرف مكان ، فعلا منصوبا بحذف النون ، فعلا مرفوعا بثبوت النون ، خبراً مقدما لـكان .

(ب) اضبط بالشكل آخر كل كلمة تحتها خط فى القطعة مع بيان السبب .

(ج) استخرج المصادر المؤولة فى القطعة ، وبين موقع إعراب كل منها .

(د) استخرج من القطعة : صفة تكون جملة فعلية فى محل جر ، وصفة أخرى تكون جملة فعلية أيضاً فى محل نصب .

(هـ) استخرج صفة تكون شبه جملة فى محل نصب ، وصفة تكون شبه جملة أيضا فى محل جر .

(و) استخرج من القطعة اسم فاعل ، واسم مفعول ، واذكر فعل كل منهما .

(ز) اذكر فعلين وردا فى القطعة يبدأ كل منهما بهمزة قطع ، وفعلين آخرين يبدأ كل منهما بهمزة وصل ، ومصدرين يبدأ كل منهما بهمزة قطع ، ومصدرين يبدأ كل منهما بهمزة وصل وبين السبب فى ذلك كله .

التمرين الرابع

ابن الفعل للمجهول ، وعين نائب الفاعل ، واضبط الفعل فى العبارات الآتية :

(ا) أحترم الرجل لعلمه النافع لا لماله الكثير .

(ب) الرئيس يطيعه المرءوس ، والمرءوس يحترمه الرئيس .

(ج) سنقيم لك حفل تكريم .

(د) استقبلنى مدير مكتب الرئيس استقبالا حسناً .

(ه) تعهّد البستانى أشجار الورد .

التمرين الخامس

الجيل الجديد

إن هذا الجيل الجديد من الناشئين قد أسعدهم الله بالحياة فى وطن حر كريم ، فرض عليهم أن يكونوا جنود الحرية ، وحماة الكرامة ، فعلى كل ناشىء أن يعد نفسه ليكون جندى الوطن ، فى حربه وسلمه ، واثقاً بأن الأشخاص إلى زوال ، والأوطان إلى خلود.

(ا) اضبط الكلمات التى تحتها خط فى العبارة مع بيان السبب .

(ب) استخرج من العبارة اسم فاعل . ومصدراً . واذكر وزن كل منهما وفعله .

(ج) تعجب من الفعل « يُعِدّ » بصورتين مختلفتين .

(د) استخرج من العبارة مصدراً مؤولا ، وبين موقعه من الإعراب .

التمرين السادس

مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعجوز تبيع اللبن مغشوشا ،فقال لها : ياعجوز ، لاتغشى الناس ، ولا تخلطى لبنك بالماء . فقالت : سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين . وبعد أيام مر بها عمر : فقال لها ياعجوز ، ألم آمرك ألاّ تخلطى لبنك بالماء ؟ فقالت : والله مافعلت ياأمير المؤمنين . فتكلمت بنت لها من داخل الخيمة ، وقالت : يا أماه ، أتغشين المسلمين ، وتكذبين على أمير المؤمنين وتحنثين فى اليمين ، فسمعها عمر وأعجبه قولها وصراحتها ، واختارها زَوْجا لابنه عاصم . وكان صدق الفتاة سببا فى رفعة شأنها ، فقد صارت جدة للخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

(ا) استخرج من عبارات هذه القصة : بدلا . نعتا جملة . مضارعا مجزوما بالسكون ، مضارعا مجزوما بحذف النون . فعلا مضعفا . فعلا أجوف . فعلا متعديا ، فعلا لازما .

(ب) أعرب ماتحته خط فيها . (ج) استخرج منها مصدرا مؤولا ، وبين موقعه من الإعراب. (د) تعجب من صدق الفتاة بصيغتين مختلفتين. (ه) اجعل « عمر بن الخطاب »

مخصوصاً بالمدح فى أسلوب تنشئه ، وأعربه فى أسلوبك . (و) عين فى القصة فعلا يبدأ بهمزة وصل ، وآخر يبدأ بهمزة قطع مع بيان السبب .

التمرين السابع

خرج الحجاج يوما للصّيد ، وانفرد عن حاشيته فى الصحراء ؛ فلقيَه أعرابىّ وهو لا يعرف أنه الأمير ، فقال له الحجاج : أيها الأعرابى ! كيف أميركم ؟ قال : ظلوم غشوم . فسأله . ولم لا تشكونه إلى عبد الملك ؟ فأجاب . لأنه أظلم منه وأغشم .

وبعد قليل لحقت بالحجاج حاشيته ، فعرف الأعرابىّ أنه الحجاج فقال يا حجاج ! السرّ الذى بينى وبينك أحب أن يكون مكتوما ، فضحك الحجاج وأعجبته بديهته .

(ا) زن الكلمات : خرج — انفرد — أعجبته . (ب) بين فى العبارات : اسم مفعول وفعله ، مصدراً مؤولا وموقعه من الإعراب ، ممنوعا من الصرف وإعرابه ، منادى وإعرابه . (ح) من أى أنواع المشتقات : ظلوم غشوم ، وأظلم وأغشم ، (د) أعرب ما تحته خط فى العبارات .

التمرين الثامن

قال الأستاذ أحمد الزين فى صفة صديق : « ما رأيت فى عظمائنا رجلا أبعد من الزهو ، وأقرب إلى التواضع منه ، حتى إن جليسه — وإن كان أقل شأناً — ليشعر أنه نظيره فى القدر والمنزلة ، وتلك أسمى علائم النبل » .

(ا) عين أسماء التفضيل فى العبارة ، وبين فعل كل منها . (ب) استخرج منها مصدراً مؤولا ، وبين موقعه من الإعراب . (ح) استخرج منها اسم مكان واذكر فعله . (د) أعرب ما تحته خط فى العبارة .

التمرين التاسع

١ — قالت الشاعرة العراقية (عاتكة الخزرجى) من قصيدة عنوانها عيد العرب :

اليومُ عيــدٌ يا بنِى قَـومى ، ولـكنْ أى عِيدِ
العـيد أنْ تتوحـَّدوا أنْ تـُرغمُـوا أنـْفَ اليهودِ
أنْ تـُؤْمـنُـوا أن الـتحيـّا ةَ لـكلِّ جبَّـار عنـيدِ

(ا) بين فى الأبيات مصدرين مؤولين يختلف حرف المصدرية فيهما ، واذكر موقع كل منهما من الإعراب . (ب) أعرب ما تحته خط فى الأبيات .

٢ — قال حافظ إبراهيم :

إنـّى لتـُطـْربـُنى الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتـَلاقِى

وتَهُزُّنى ذكرى المروءة والندى بَيْنَ الشمائل هِزَّةَ المشتاق

(ا) عين خبر « إنّ » فى البيت الأول . (ب) أعرب ما تحته خط فى البيتين .
(ح) من أى أنواع المشتقات كلمة « المشتاق » ؟ وما وزنها ؟ (د) لم ضم أول الفعل « تطربنى » .

٢ — قال الشاعر :

وَمَن تَكُنِ العَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الذى يَلْقَاهُ فِيها مُحَبَّبُ

أعرب هذا البيت .

التمرين العاشر

الفتاة العربية

منذ نحو ستين سنة لم يكن للفتاة نشاط فى بلادنا ، وكان « قاسم أمين » أكبر الدعاة لتعليم المرأة ، وقد تُوفِّىَ قاسم فى سنة ١٩٠٨ ولم يستجب لدعوته غير أصدقائه فقد كان كثير من رجال الإصلاح يعارضون فكرته ، ويصدون الناس عن اتباعها .

والفتاة اليوم تشارك الفتى فى مختلف ميادين النشاط بل تنافسه منافسة شديدة، وتتقدم عليه تقدما فى كثير من الأحيان ، وأصبح اشتراكها فى أعمال المجتمع مقياسا لرقىّ الأمة وتقدمها ، وإنك لتراها اليوم فى المتجر بائعة ، وفى المصنع عاملة ، والحقل ، مهندسة وفى ساحة القضاء محامية ، وفى المستشفى طبيبة ، وفى المدرسة معلمة وناظرة ، لكنما بعض الناس يَرَوْن أن تتخصّص فى أعمال أشبه بطبيعتها كالتدريس والتمريض والتطبيب . ولا يزال الخلاف قائما يبدو حينا ويخفى حينا ، على أن قاسما لو بعث اليوم حيًّا لقرت عينه بما ترى .

(ا) اضبط بالشكل آخر ما تحته خط فى العبارات السابقة ، مع بيان سبب الضبط.

(ب) استخرج من القطعة : خبرا لكان جملة فعلية — فعلا مجزوما بحذف النون — فعلا مجزوما بالسكون — مفعولا مطلقاً مبينا للنوع — مفعولا مطلقا مؤكدا — خبرا لأن جملته فعليّة — خبرا مقدما شبه جملة لأحد النواسخ .

(ح) هات من القطعة مصدرين مؤولين ، وبين موقع إعراب كل منهما .

(د) اجعل « قاسم » مخصوصا بالمدح فى جملة ، وأعربه .

(ه) تعجب من « التنافس بين الفتى والفتاة » بصيغتين مختلفتين .

(و) استخرج أسماء الفاعلين فى القطعة ، واذكر فعل كل منها ، واذكر وزن الفعل واسم الفاعل . (ز) اجمع كلمة « مقياس » جمع تكسير ، ثم ضع الجمع فى جملتين بحيث يكون مجرورا بالفتحة مرة ، ومجرورا بالكسرة أخرى .

التمرين الحادى عشر

١ — إنَّ ما تطلبُ حقٌّ ، إنما تطلب حقًّا — لم اختلف ضبط كلمة حق فى الجملتين المذكورتين ؟

٢ — قال الشاعر :

صوتُ الشعوب من الزَّئير مُجمَّعاً فإذا تفرق كان بَعْضَ نُبَاحِ

اشرح هذا البيت وأعربه .

٣ — اجعل الحديث فى العبارة الآتية عن غير الواحد :

على المواطن فى المجتمع الاشترا كىّ أن يُؤَدِّىَ واجبه ، وأن يَسْمُو بنفسه عن التقصير ، ليَنْأى عن مواقف الاعتذار .

٤ — اجعل الإشارة لغير الواحد فى العبارة الآتية .

هذا عربىٌّ ، يَعْفو عن سيئات أخيه ، ويَنْسَاهَا لأنه يَبْتَغى توحيد الجهود .

٥ — قال الشاعر محمود غنيم .

لا تَطْلبوا بالضّعف حقًّا ضائعاً ما للضعيف الحوْل من أشْيَاع

مَنْ عَالَج الباب العَصِيَّ فلمْ يَلِنْ لِيديْه حَطَّمَ جَانبَ المِصْراعِ

(ا) أعرب الشطر الأول من البيت الأول . (ب) استخرج أسلوب شرط فى البيت الثانى وبين الشرط والجواب . (ج) اجمع كلمة « المصراع » وضعها فى جملتين بحيث تكون مرة مجرورة بالكسرة ومرة مجرورة بالفتحة . (د) هات مصدر كل من الفعلين : عالج . وحَطّم ، وزن المصدرين . (ه) استخرج من البيتين اسما مجرورا بالياء وضعه فى جملة من إنشائك بحيث يكون مرفوعا ، وبين علامة رفعه .

(و) استخرج اسم فاعل من البيتين ، واذكر فعله . (ز) إذا عرفت أن كلمة « مِنْ » حرف جر زائد ، فأعرب الشطر الثانى من البيت الأول .

٦ — خاطب بالعبارة الآتية غير الواحد :

إن تُثْنِ على المحسن يُثْنِ عليك حين تكون محسنا .

٧ — ما أجمل الأزهار — الورد أجمل الأزهار .

وضح الفرق بين الصيغتين السابقتين فى المعنى ، ثم أعرب كلمة الأزهار وكلمة أجمل فى الصيغتين .

٨ — أسعدُ بلقائك — أسعدْنى بلقائك .

أعرب كلمة لقاء فى كل من العبارتين :

٩ — ما أحْسَنَ الإجابة عن هذا السؤال ! ما أحْسَنُ الإجابة عن هذا السؤال ؟

أعرب « أحسن » ، و « الإجابة » فى كل من العبارتين :

١٠ — نحن نسعى إلى الحياة المُثْلَى .

غير فى هذه الجملة بحيث تمتنع المطابقة .

١١ — تلك هى الدولة العظمى .

اجعل الإشارة للدولتين بدلا من الدولة ، وغير ما يلزم مع بيان السبب .

١٢ — أعرب ما يأتى :

ما أسعد المجاهدين — نعم الرفيق الكتاب — الوطن نعم المخدوم — كافحنا ونجحنا فى بناء جيشنا فنعم الكفاح .

١٣ — « زعيم الدعاة إلى الحياد أعظم الزعماء » .

ثن كلمة زعيم ، ثم اجمعها جمعا مذكرا ، وغير ما يجوز تغييره فى العبارة .

١٤ — هذا هو المنتج الأكبر .

اجعل الإشارة فى هذه العبارة إلى غير الواحد .

١٥ — موائد — أحمر — تلاميذ — أصبر — أحسن — مآزن — مصابيح — بيضاء — مصانع سمراء — ظمآن .

ضع كل كلمة من هذه الكلمات فى جملتين بحيث تكون مرة مجرورة بالفتحة ، ومرة مجرورة بالكسرة .

١٦ — قال سعد زغلول :

يعجبنى الصدق فى القول والإخلاص فى العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون .

(ا) أعرب ما تحته خط فى العبارة . (ب) بين موقع المصدر « أن تقوم » من الإعراب . (ج) اجعل الإخلاص مخصوصا بالمدح ، وأعربه . (د) هات جمع القانون وضعه فى جملتين بحيث يكون مرة مجرورا بالفتحة ومرة مجرورا بالكسرة .

التمرين الثانى عشر

عين اسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول فيما يأتى .

(ا) ومرادِ النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى

(ب) بنفسى تلك الأرض ما أطيب الرُّبَا وما أحسن المصطاف والمتربعا

(ج) وقل رب أنزلنى منزلا مباركا ، وأنت خير المنزلين .

(د) أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ، وأحسن مقيلا .

(ه) مولد النبى مكة . (و) ملعب اللاعبين النادى .

(ز) يقع مبدأ السنة الدراسية فى أكثر السنوات فى شهر سبتمبر .

(ح) ملعب الأطفال يوم الجمعة ، وعصر كل يوم .

٢ – استخدام المعجمات

(أ) فى البحث عن المعانى

١ – المعجم كتاب يشتمل على عدد كبير من مفردات اللغة مرتبة ، ومع كل كلمة تفسيرها بكلمة معروفة إذا كان لها معنى واحد ، أو بكلمات إذا كان لها أكثر من معنى . وسمّى «معجما» من الإعجام وهو التوضيح .

والمعجمات اللغوية كثيرة منها : (ا) المصباح المنير ، و (ب) مختار الصّحاح ، و (حـ) القاموس المحيط و (د) أساس البلاغة ، و (هـ) لسان العرب وهو أكبرها .

والكلمات مرتبة فى هذه المعجمات على طريقتين :

الطريقة الأولى : ترتيب الكلمات بحسب الحروف الهجائية تبعا للحرف الأول من الكلمة ، فالكلمات التى تبدأ بالهمزة تأتى فى أول المعجم ، ثم الكلمات التى تبدأ بالباء ، ثم الكلمات التى تبدأ بالتاء ، ثم التى تبدأ بالثاء وهكذا ، حتى تأتى الكلمات التى تبدأ بالياء فى آخر الكتاب .

وكل الكلمات التى تبدأ بالهمزة تذكر فى باب واحد يسمى (باب الهمزة) ، وكل الكلمات التى تبدأ بالباء تذكر فى (باب الباء) وهكذا إلى (باب الياء) الذى يجمع الكلمات التى تبدأ بالياء .

وبعض المعجمات يسمى الباب (كتاباً) ، فيذكر (كتاب الهمزة) ، و (كتاب الباء) بدلا من (باب الهمزة) ، و (باب الباء) ، لكن الطريقة واحدة . وعلى هـذه الطريقة الأولى ألّف « مختار الصحاح » و « المصباح المنير » و « أساس البلاغة » . و « مختار الصحاح » يستعمل كلمة « الباب » ، و « المصباح المنير » ، و « أساس البلاغة » يستعملان كلمة « الكتاب » .

الطريقة الثانية : ترتيب الكلمات فى المعجم على حسب الحروف الهجائية تبعاً للحرف الأخير من الكلمة ، فيقسم المعجم أبواباً يشمل الباب الأول منها كل الكلمات التى تنتهى بالهمزات ، والباب الثانى يضم الكلمات التى تنتهى بالباء ، والباب الثالث يجمع الكلمات التى تنتهى بالتاء ، وهكذا حتى يأتى الباب الأخير من المعجم فيجمع الكلمات التى تنتهى بالياء . فكلمة « أبى » مثلا فى معجمات هـذه الطريقة تأتى فى الباب الأخير ، وهى تأتى فى الباب الأول من معجمات الطريقة الأولى .

وعلى هذه الطريقة الثانية ألف « القاموس المحيط » ، و « لسان العرب » . وكل باب

منهما مقسَّم إلى فصول بعدد حروف الهجاء ، فالباب الأول مقسم إلى عدة فصول : الفصل الأول فصل الهمزة باب الهمزة ، والفصل الثانى فصل الباء من باب الهمزة ، والثالث فصل التاء من باب الهمزة ، والرابع فصل الثاء من باب الهمزة ، فباب الهمزة ثمانية وعشرون فصلا على عدد الحروف الهجائية . ثم يبتدىء « باب الباء » ، وهو فصول كذلك أولها فصل الهمزة من باب الباء ، فالفصل على حسب الحرف الأول من الكلمة ، والباب على حسب آخر الكلمة ، فكلمة (طأطأ) مثلا فى باب الهمزة فصل الطاء ، وكلمة (أب) من باب الباء فصل الهمزة . وهكذا .

ومن هذا تدرك أن من الضرورى للكشف فى أى معجم أن تعرف ترتيب الحروف الهجائية حتى يسهل عليك معرفة موضع الكلمة من المعجم : أهى فى أوله ؟ أهى فى وسطه ؟ أهى فى آخره ؟ .

٢ — فإذا أردت الكشف عن كلمة فى معجم من معاجم الطريقة الأولى اتجه نظرك إلى الحرف الأول من الكلمة ، فهو الذى يعين لك باب الكلمة ولنفرض أنها كلمة (جمح) وأن معجمك مختار الصحاح ، فهى فى باب الجيم ولكنك إذا وصلت إلى (باب الجيم) فلن تجدها فى أول الباب ؛ لأن أول كلمة فى هذا الباب تبدأ بالجيم التى تتلوها همزة ، وهى كلمة (جأجأ) ، فعليك أن تقلب الصفحات حتى تصل إلى الجيم التى تتلوها ميم ، وسيمر بصرك بكلمات كثيرة لا تبحث عنها قبل أن تصل إلى بغيتك . فإذا كانت الكلمة التى تبحث عنها هى كلمة « جمن » فستجدها بعد كلمة (جمح) ، لأن (جمن) يتلو الميم فيها (نون) والنون بعد الحاء التى تتلو الميم فى (جمح) ومن هذا تعلم أن الكلمات فى الباب الواحد مرتبة أيضاً . ففى باب الجيم تذكر الكلمات التى أولها جيم وتتلوها همزة أولا ، ثم الكلمات التى أولها جيم وتتلوها باء ، ثم الكلمات التى أولها جيم ويتلوها حرف بعد الباء ، والكلمات التى أولها جيم وتتلوها همزة هى الأخرى مرتبة على حسب الحرف الثالث وهكذا فى كل باب

و « المصباح المنير » و « أساس البلاغة » مثل « مختار الصحاح » فيما تقدم ، غير أنهما يطلقان كلمة (الكتاب) على (الباب) .

٣ — وللكشف فى المعجمات المؤلفة على الطريقة الثانية تنظر إلى آخر الكلمة ، فالحرف الأخير هو الذى يعين الباب ؛ لأن الأبواب — كما تقدم — مرتبة على حسب أواخر الكلمات ، فكلمة (جمح) المتقدمة توجد فى باب «الحاء» لكن باب الحاء ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف الهجاء ، فإذا عثرت على باب الحاء ، فعليك أن تبحث عن فصل الجيم ضمن فصول باب الحاء ، ثم تنظر فى فصل الجيم من باب الحاء ، ولن تجدها فى أول الفصل ، بل

ستجد كلمات كثيرة قبلها مثل (جرح) و (جلح) وستعثر عليها بعد جلح ، لأن الميم وهى الحرف الثانى (جمح) تلى اللام وهى الحرف الثانى من (جلح) .

وتلاحظ هنا أيضاً أن الكلمات مرتبة داخل الفصل الواحد على حسب الحرف الأول، ثم على حسب الحرف الثانى ، ثم على حسب الحرف الثالث كما فى أبواب المعجمات الأخرى. فترتيب الكلمات فى فصل من فصول الباب يشبه ترتيب الكلمات فى أبواب المعجمات الأخرى .

وستجد معانى كلمات (جمح) فى القاموس المحيط أوسع وأكثر تفصيلا منها فى « مختار الصحاح » و « المصباح المنير » و « أساس البلاغة » . ولو أتيح لك الاطلاع على « لسان العرب » لوجدته أوسع الجميع ، وطريقته هى طريقة « القاموس المحيط » كما تقدم .

٤ — الكلمة التى كشفنا عن معناها سابقاً هى (جمح) وهى مكونة من ثلاثة أحرف أصلية وليس فيها زيادة ، لكنك فى بعض الأحيان تحتاج إلى الكشف عن كلمة مثل « استعصم » وقد يخطىء بعض التلاميذ : فيبحث عنها فى باب الألف فى معجمات الطريقة الأولى ، أو يبحث عنها فى فصل الألف من باب الميم فى « القاموس المحيط » فلا يجدها . وعلى التلميذ أن يجرد الكلمة من الزيادات قبل الكشف عن معناها ، وهو إذا جرد الكلمة المذكورة عرف أن حروفها الأصلية هى (عصم) فيجدها فى باب العين فى « مختار الصحاح » ويجد معناها « تَقَوَّى » ، ويجدها فى باب الميم من فصل العين فى « القاموس المحيط » ، فتجريد الكلمة من الزيادة أول خطوة يخطوها من أراد البحث عن معناها فى المعجم .

٥ — فى بعض الأحيان تكون الكلمة معتلة الوسط مثل (رام) ، و (قيمة) أو معتلة الآخر مثل (كبا) ، فإذا أردت البحث عن هذه الكلمات فيجب رد حروف العلة إلى أصلها فكلمة (رام) أصلها (روم) ، وكلمة (قيمة) أصلها (قومة) ، وكلمة (كبا) (كبو) ، وحينئذ يسهل البحث عن معانيها ، وأنت تستطيع أن تعرف أصول حروف العلة من تصريف الكلمة ، فالمضارع من (رام) هو (يروم) ، ومن (كبا) هو (يكبو) والفعل من (قيمة) هو (قوّم) .

الخلاصة

١ — للبحث فى أى معجم عن معنى كلمة يجب قبل كل شىء :

(ا) أن تجردها من الزيادات . (ت) أن ترد حروف العلة إلى أصولها .

٢ — إذا كان الكشف فى « مختار الصحاح » أو « المصباح المنير » ، أو « أساس البلاغة » ، فابحث عن باب الكلمة المجردة ، أو كتابها ، على حسب الحرف الأول،

منها ، ثم قلّب الصفحات ، وانظر حتى تجد الكلمة التى تبحث عنها .

٣ — وإذا كان الكشف فى « القاموس المحيط » أو « لسان العرب » فابحث عن **الباب** الذى يقابل الحرف الأخير من الكلمة ثم ابحث عن الفصل الذى يقابل الحرف **الأول** من الكلمة ثم قلّب الصفحات وانظر حتى تجد الكلمة التى تبحث عنها .

٤ — ملاحظات :

(١) يجب عليك أن تحفظ الحروف الهجائية مرتبة .

(٢) ليس فى كل ما كتبناه نفع لك إلا إذا أخذت نفسك بالتدريب العمليّ على الكشف فى المعجمات كلما اعترضتك كلمة غريبة فى أثناء قراءتك .

(٣) القاموس المحيط أربعة اجزاء :

(ا) وآخر الجزء الأول منها كلمة (جير) .

(ب) وآخر الجزء الثانى كلمة (يقظ) (حـ) وآخر الجزء الثالث كلمة (شهل

(د) والباب الأخير من القاموس المحيط يشتمل على (باب الواو والياء) معاً .

(٤) قد يطلق على القاموس المحيط كلمة (المحيط) أو كلمة (القاموس) . وعلى « المصباح المنير » كلمة « المصباح » ، وعلى « أساس البلاغة » كلمة « الأساس » ، وعلى « لسان العرب » كلمة « اللسان » ؛ وذلك كله للاختصار .

(٥) اللسان عشرون جزءا ، ويعتبر مرجعاً فى أدب اللغة والأساس جزءان ، ويذكر الاستعمالات المجازية للكلمات ، وهو مفيد لك فى بلاغة السنة الأولى .

استخدام المعجمات

(ب) فى ضبط بنية الكلمات

طريق السيـــادة والشرف

قال ذو الإصبع العدوانىّ يوصى ابنه أسيداً : يا بنىّ ، إن أباك قد فنى وهو حىّ ، وعاش حتى سئم العيش » وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغته . فاحفظ عنى : ألِنْ جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم . واسمح بمالك ، واحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريخ فإن لك أجلالا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا ؛ فبذلك يتم سؤددك .

(ا) فى أثناء قراءتك لهذه القطعة قد تريد أن تضبط كلمة (إصبع) ، فتفتح معجمك ؛ لتبحث عن الكلمة وستقصد مباشرة إلى مادة « صبع » ؛ لأنك ستدرك أن الألف زائدة ، ولتفرض أن معجمك . هو « مختار الصحاح » ، فستجد فيه فى مادة « صبع » ما يأتى :

(الإصبع) يذكر ويؤنث . وفيه خمس لغات (إِصبَع) و « أُصبَع » بكسر الهمزة وضمها . والباء مفتوحة فيهما ، و (إِصْبِع) بإتباع الكسرة الكسرة ، و (أُصْبُع) بإتباع الضمة الضمة ، و (أَصْبِع) بفتح الهمزة وكسر الباء .

فإذا فتحت المحيط فى هذه المادة وجدت فيه :

(الإصبع) مثلثة الهمزة ، ومع كل حركة تثلث الباء تسع لغات ، والعاشر « أُصبُوع » بالضم ، ثم يقول : والإصبع كدرهم جبل بنجد ، وذا الإصبع حُرثان بنُ مُحرِّث العدَوانى الحكيم الشاعر الخُطيب نهشت أفعى إبهام رجله ، فقطعها ، فلقب به .

وأنت ترى من ذلك أن المعجمات تضبط الكلمات بتحديد حركاتهـــا ، وبذكر كلمة مشهورة النطق معروفة البنية (كدرهم) لتهدينا فى الضبط ، وأن بعض المعجمات تأتى بالأعلام التى تشتمل على الكلمة . (ب) وربما احتجت فى أثناء قراءتك لهذه القطعة أيضاً أن تضبط الفعل (يكبر) فى قول ذى الإصبع : «يكبر على مودتك صغارهم » ، وأردت أن تتحقق من شكل الباء فى الفعل ، وفتحت المعجم ، وليكن « المختار » ، فوجدت فى مادة « كبر » : « كَبِرَ » : أى أسَنّ ، وبابه طَرِب . و « مَكْبَراً » أيضاً بوزن

مجلس . فإذا فتحت « المصباح » وجدت فيه : (كبر) الصبي وغيره (يكبر) من باب تعب ، مكبرا مثل (مسجد) ، و « كبرا » وزان عنب . فالمعجمان بينا ضبط المضارع بذكر فعل ماض مضارعه مشهور ، فالأول ذكر (طَرب) ومضارعه « مفتوح العين » وكلاهما ذكر المصـــدر على وزن (مفعل) ، والأول ذكر (مجلس) ، والثانى ذكر (مسجد) . وزاد مصدراً هو (كبرا) بوزان عنب .

ومن ذلك ندرك أن المعجمين يذكران أفعالا مشهورة معروفا وزن مضارعها لنضبط عليها بنية المضارع والماضى . (حـ) وإذا أردت الاطلاع على ضبط كلمة (فنى) فى قول ذى الإصبع (قد فنى وهو حىّ) ، وفتحت المحيط رأيته يقول : (كرضى وسعى ، فناء : عُـدم . وفناء الدار مثل كساء ما اتسع من أمامها ، وأنت ترى أنه ذكر أفعالا ماضية (سعى ، ورضى) لضبط الماضى وذكر (كساء) لضبط (فناء) ثقة بأن القارىء يعرف ضبط كساء ، وسعى ، ورضى . (د) وبالكشف عن كلمة (بلغ) فى قول ذى الإصبع (بلغت فى قومك ما بلغته) تجد المختار يقول : وبابه (دخل) ، ويضيف و (بَلغ) الرجل بلاغة صار (بليغاً) وبابه ظرف .

الخلاصة

١ — تضبط المعجمات بنية الأفعال بذكر أفعال مشهورة كثيرة الاستعمال ، ويذكرون من ذلك :

(ا) باب دخل أو قعد أو نصر للفعل المفتوح العين فى الماضى . المضموم العين فى المضارع . (ب) وباب تعب أو طرب أوفرح أو علم ، للفعل المكسور العين فى الماضى ، المفتوح العين فى المضارع . (حـ) وباب ضرب فى المفتوح العين فى الماضى ، المكسور العين فى المضارع . (د) وباب ظرف أو كرم للفعل المضموم العين فى الماضى والمضارع ، وقد تنص على الضبط بتحديد الحركة . فتقول بالفتح أو بالضم أو بالكسر .

٢ — وفى ضبط الأسماء قد تذكر اسماً مشهوراً مثل درهم لإصبع ، وفناء لكساء . وعنب لكبر . وقد تنص على الضبط بتحديد الحركات .

تمرينات

١ — كيف تبحث عن معانى الكلمات الآتية فى المختار والمحيط .

استقام — باع — الأصدقاء — تجشم — صفا — خاف — استدعى .

الإجابة

الكلمة	طريقة البحث
استقام	مجردها (قام) فيبحث عنها فى (قوم) فى باب القاف فى المختار ، وباب الميم فصل القاف فى المحيط .
باع	مضارعها يبيع ، فيبحث عنها فى (بيع) ، فى باب الباء فى المختار ، وباب العين ، فصل الباء فى المحيط .
الأصدقاء	يبحث عنه فى (صدق) فى باب الصاد فى المختار ، وفى باب القاف فصل الصاد فى المحيط .
تجشم	يبحث عنها فى (جشم) فى باب الجيم فى المختار ، وفى باب الميم فصل الجيم فى المحيط .
صفا	مضارعها يصفو ، ويبحث عنها فى (صفو) فى المختار فى باب الصاد ، وفى المحيط فى باب الواو فصل الصاد .
خاف	مضارعها يخاف مصدرها (خوف) ويبحث عنها فى (خوف) فى المختار فى باب الخاء ، وفى المحيط فى باب الفاء فصل الخاء .
استدعى	مجردها (دعا) ، ومضارعها (يدعو) ويبحث عنها فى (دعو) فى المختار فى باب الدال ، وفى المحيط فى باب الواو فصل الدال .

٢ — جرد الكلمات الآتية من الحروف الزائدة ، ثم رتبها بحسب ورودها فى القاموس المحيط ، ثم المختار وهى :

تساءل — استقام — انتفع — اختبر — تفاهم — استعظم .

٣ — بين كيف تكشف عن معانى الكلمات الآتية فى المحيط والمصباح ، ثم اكتب معناها ، وضع كلا منها فى جملة مفيدة .

أسفر — تراشق — اعتمر — انبهر .

٤ — بين كيف تكشف عن معانى الكلمات الآتية فى القاموس المحيط :

حذق — عرين — الكحل — انكدر .

٥ — قال الشاعر :

إن تُبْتَدَرْ غاية يوماً لمَكْرُمة ... تَلْقَ السَّوابقَ منا والمصَلّينا

(ا) اشرح البيت فى عبارة أدبية موجزة . (ب) كيف تكشف فى القاموس المحيط عن معانى الكلمات التى تحتها خط فيه .

٦ — قال الشاعر :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر

(ا) اشرح البيتين . (ب) اشرح كيف تكشف فى القاموس المحيط عن الكلمات التى تحتها خط .

٧ — قال حكيم : ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة : الإنصاف فى المعاشرة ، والمواساة فى الشدة ، والانطواء على المحنة :

(ا) اشرح فى عبارة من إنشائك المعانى التى يهدف إليها الحكيم فى قوله السابق .
(ب) زن الكلمات التى تحتها خط فيه ، ثم اذكر فعل كل منهما مبينا أمجرد هو أم مزيد.
(ج) وضح كيف تكشف فى القاموس المحيط عن معانى الكلمات :
خصال — تجتلب — الانطواء
(د) بين ضبط بنية الكلمات الآتية :
خصلة — جلب — طوى — قال .

٨ — تقاعس ـ استجاب ـ انكسر ـ استعظم ـ تعالى ـ اعتبر ـ قاتل ـ أبطأ .

(ا) زن هذه الكلمات . (ب) جردها من أحرف الزيادة . (ج) اضبط بنيتها بعد تجريدها مستعينا بالمعجمات .

١٠ — قال الشاعر :

صان الكرامة أن تمس وإنما إذلال نفس المرء من زلاته

(ا) إذا عرفت أن البيت قيل فى الرثاء فاشرحه . (ب) اكشف عن معنى كلمتى (صان ـ وزلاته) . (ج) أعرب كلمة (إذلال) ، والمصدر المؤول . (د) بين باب الفعل (صان) مستعينا بالمعجم.

١١ — بين أبواب الأفعال الآتية مستعينا بالمعاجم :
عظم — فهم — ساد — جمع .

تدريب على صياغة الكلمات

بعض ما يقع فيه الإبدال

(١) مصادر تقلب فيها الواو ياء

١ — استوْطن اليهود فلسطين استيطانا بمساعدة الإنجليز والأمريكان .

٢ — ويريدون أن تتسع دولتهم لِتستوْعِبَ يهود العالم استيعابا .

٣ — ويُوعِدُون العرب إيعادا بأن حدود دولتهم سَتوغِلُ فى الوطن العربى إيغالا يصل إلى النيل والفرات .

٤ — إن أمريكا أوْعزت إلى المعتدين إيعازاً بأن يستمسكوا بالأرض التى استوْلوْا عليها استيلاءً بالعدوان .

٥ — ولقد أوْغر(١) هذا صدور العرب الأحرار إيغاراً وأوْقدَ النار فى صدورهم إيقاداً .

فى المثال الأول جاء الفعل (استوطن) ومصدره (استيطان) وتلاحظ أن الواو فى الفعل وهى فاء الكلمة قد صارت ياء فى المصدر (وزنه استِفْعَال) .

وفى المثال الثانى صارت الواو فى الفعل (تستوْعب) وهو مضارع استوْعب ، ياء فى مصدره (استيعاب) ووزنه استفعال .

وفى المثال الثالث صارت الواو فى الفعل (يوعد) مضارع (أوْعد) بمعنى هَدَّد ياء فى المصدر (إيعاد) ووزنه إفعَال .

وفى المثال الرابع جاء الفعل (أوعز) ، والفعل (استَوْلى) وقلبت واو كل منهما ياء فى المصدرين (إيعاز واستيلاء) .

وفى المثال الخامس ترى فعلين أيضاً هما (أوْغرَ) و (وأوْقد) وترى الواو فى كل من المصدرين قلبت ياء (إيغار ، وإيقاد) ولو نطقت بهذه المصادر على أصلها لصارت استوْطان ، واستوْعاب وإوْعاد ، وإوْغال ، وإوْعاز ، واستولاء ، وإوْغار ، وإوْقاد) ، ولا يخفى ما فى هذا من ثِقَل النطق ، فمن أجل خفة النطق ، وملاءمة الياء للكسرة التى قلبت الواو ياء .

القاعدة

الفِعْلُ الذى على وَزن أفعل ، واستَفعَل إذا كانت فاؤه واواً قُلبَت ياءً فِى المصْدَر .

---

(١) أوغر : أحمى صدره وسَعَّرَهُ .

تمرينات

١ — إنّ العربَ الآن يستَوْفزون ليستَوْفوا حقهم كاملا ، ولن يستَوْعروا الطريق ، بل سَيُوقِفُون المعتدين ومَن وَرَاءَهم عند حدودهم . هات مصادر الأفعال التى تحتها خطوط ، وبين ما حدث فيها .

الاجابة

الفعل	المصدر	بيان ما حـــدث
يستوفز	استيفاز	قلبت الواو ياء فى المصدر ؛ لأنها فاء الفعل .
يستوفى	استيفاء	قلبت الواو ياء فى المصدر ؛ لأنها فاء الفعل .
يستوعر	استيعار	» » » » » » » »
يوقف	إيقاف	» » » » » » » »

٢ — هات مصادر الأفعال الآتية ، وبين ماحدث فيها :

أوْدَع — استَوْدَع — أوْبَق (أهلك) . استوْبَقَ (هلك) ـ أوْرث ـ أوْتَرَ (صلى الوتر) ـ أوْرد الخبر ـ أوْثق (ربط) ـ استَوْثق (تبين) ـ استَوقَر (حمل حملا ثقيلا) ـ أوْصل ـ أوْطأ ـ أوْحش ـ استوْحش ـ أومأ (أشار) ـ أوهم ـ أوهن (أضعف) .

٣ — هات مصادر الأفعال الآتية ، وضع كل مصدر فى جملة : أورق ـ استَوردَ ـ أوْصى ـ أوْفد ـ استوْضح .

الاجابة

الفعل	المصدر	الجمـــلة
أورق	إيراق	أورق شجر البستان فى مطلع الربيع إيراقا جميلا .
استورد	استيراد	استيراد السلع يكلفنا أموالا كثيرة .
أوصى	إيصاء	يوصى المعلم إيصاء الوالد .
أوفد	إيفاد	إيفاد الرئيس مندوبا للعزاء يثلج القلوب .
استوضح	استيضاح	استيضاح الغامض واجب على الطالب نحو نفسه .

٤ — هات مصدر كل فعل مما يأتى وضعه فى جملة .

أوْجبَ — اسْتَوْحى — اسْتَوْقدَ — أوْرَى .

ب — اسم الفاعل من الثلاثى المعتل الوسط

١ — قال جمال عبد الناصر رائد العرب : إن الوحدة العربية حقيقة قائمة بين الشعوب العربية.

٢ — إن أىّ سائح يجوب البلاد العربية طائفا بربوعها لَيَحِسّ الحماسةَ الرائعة للوحدة بين أفراد الشعب فى الوطن العربىّ الثائر ،

٣ — إن العمل الدائب الزعماء المخلصين الذائدين عن حقوق العرب والسائرين على هداهم ، سيوقظ الضمائر النائمة ، وينبه النفوس الغافلة على الطريق المستقيم إلى الوحدة العاجلة.

تأمل الكلمات : رائد ، وقائمة ، وسائح ، وطائف، ورائعة ، وثائر ، وذائد ، وسائر ، ونائمة ، تجدها أسماء فاعلين على وزن فاعل كما تعلم ، فإذا بحثت عن أفعالها أدركت أنها : راد ، وقام ، وساح ، وطاف ، وراع ، وثار ، وذاد ، وسار ، ونام على الترتيب .

وأنت تلاحظ أن هذه الأفعال ثلاثية ووسط كل منها ألف ، وتلاحظ أن هذه الألف هى عين الفعل ، فإذا تأملت كل اسم فاعل من أسماء الفاعلين المذكورة أدركت أن هذه الهمزة هى الألف التى كانت عينا للفعل ، قلبت همزة حين صارت عينا لاسم الفاعل .

القاعدة

إِذَا كَانَ وَسَطُ الْفِعْلِ الثُّلَاثِيّ أَلِفًا قُلِبَتْ هَمْزَةً فى اسم الفَاعِلِ مِنْهُ .

تمرينـــات

١ — صُغ من الأفعال الآتية أسماءَ الفاعلين ، وضعها فى جمل : خان ـ شان ـ تاب

الاجابة

الفعل	اسم الفاعل	الجمله
خان	خائن	الإعدام جزاء وفاق لخائن الوطن .
شَانَ	شائن	بئس العمل الشائن خيانة الوطن .
تاب	تائب	التائب من الذنب كمن لاذنب له .

٢ — صغ من الأفعال الآتية أسماء الفاعلين ، واذكر ماحدث فيها من التغيير ، وضع ثلاثة منها فى جمل.

سال ـ قال ـ قاد ـ سار ـ كاد ـ فاز ـ قام ـ لام ـ ناح ـ هال ـ دام ـ دان ـ بات ـ جاع ـ جال ـ حاد ـ حار ـ خار ـ زار ـ ذاع ـ راح ـ راج ـ ساد ـ شاد ـ شاح ـ شاع ـ شال ـ صام ـ صار ـ صاد ـ صاح ـ صال ـ صان ـ طاش ـ ضاع ـ طار ـ ذاق ـ غاب ـ غام ـ فات ـ فاق ـ قاظ ـ لاح ـ لاق ،

٣ — فى أى باب تكشف فى المختار عن الكلمات الآتية : فائر - غائر - غائض - ضائر

٤ — « إيداء » قد يكون مصدرا للفعل « أوْدَى » ، وقد يكون مصدرا للفعل « أيْدَى » فكيف تكشف عن معناه فى المعجم ؟ بيِّن خطوات العمل .

٥ — بيِّن فعل كل مصدر من المصادر الآتية ، وبين ما حدث فيه من تغيير إن وجد : إيسار - إيلاء - إيقاظ - إيقان .

٦ — سائل - جائر فى أى باب من أبواب المصباح تكشف عن معنى هاتين الكلمتين ؟

(ح) اسم المفعول من الثلاثى المعتل الوسط والآخر

١ — إذا اتحدت الأمة العربية صار حَقُّهَا مصُونًا ، وَ بات جَانبها مهيبًا ، وَ بَطْشُهَا مَخْشِيًّا ، وَرضاهَا مَرْجُوًّا فى أَنحاءِ العالم .

وَإِذا وَقَفَ الْوَطَنُ الْعَرَبِىُّ مُتردداً فى إِنْجاز الوَحْدَةَ فَلاَ يَدْرِى إِلا اللهُ كَمْ يَبْقَى مَنْقُوصَ الأَطراف مغزُوًّا مِنْ كُلِّ جَانب مَرميًّا بقذائف البُغاث المُسْتَنْسِرِ ، مَجْفُوًّا فى كل مَجالٍ ، مَعِيبًا فى كل عَيْن ، مَلُومًا عَلَى كلّ لِسَان .

(١) إذا تأملت العبارتين السابقتين وجدت أسماء للمفعول منها « مصون » ، وفعله الماضى « صان » ، وهذه الألف التى فى وسط الفعل أصلها واو بدليل ظهورها فى المضارع « يصون » ، وفى المصدر « صون » وأنت ترى أن اسم المفعول هو « مَصُون » بالواو .

ومثل « مصون » اسم المفعول « ملوم » الذى جاء فى العبارة الثانية ، ومثلهما كل فعل ثلاثى وسطه ألف أصلها واو ، فاسم المفعول من ساد ، ورام ، وقال ، وساق ، وعال ، وقاد وذاق : مَسُود ، ومَرُوم ، ومَقُول ، ومَسُوق ، ومَعُول ، ومقُود . ومذُوق .

(٢) وإذا تأملت فى العبارة الأولى أيضاً وجدت من أسماء المفعول « مهيب » ، وفعله هاب ، والألف التى فى وسط الفعل أصلها ياء بدليل ظهورها فى المصدر « الهيبة » ، وأنت تلاحظ أن اسم المفعول من هذا الفعل هو « مهيب » بالياء ، ومثلها « معيب » فى العبارة الثانية ، وهكذا تستطيع أن تصوغ اسم المفعول من كل ثلاثى وسطه ألف أصلها ياء ، فاسم المفعول من زان ، وشان ، وكال ، وصاد ، ودان ، وشاد ، وباع هى : مزين ، ومَشِين ، ومَكِيل ، ومَصِيد ، ومَدِين ، ومَشِيد ، ومَبِيع .

(٣) وإذا تأملت أيضاً فى العبارة الأولى وجدت فيها من أسماء المفعول « مَرْجُوّ » وفعله « رجا » وهو معتل الآخر ، ومضارعه يرجو بالواو .

وأنت تلاحظ أن اسم المفعول منه « مَرْجُوّ » بالواو وهكذا تستطيع أن تصوغ اسم المفعول من كل فعل ثلاثى معتل الآخر إذا قلب حرف العلة فى مضارعه واواً ، وذلك تلاحظه فى اسمى المفعول الواردين فى العبارة الثانية وهما « مَجْفُوّ » و « مغزُوّ » ومثل ذلك أيضاً اسم المفعول من كل فعل من الأفعال : شكا ، ومحا ، وكسا ، ورشا ، وتلا ، ودعا ، وسلا وجلا : تقول : مَشْكُوّ ، وممحُوّ ، ومكسُوّ ، ومرشُوّ ، ومتلوّ ، ومدعوّ ، ومسلُوّ ، ومجلُوّ .

(٤) وإذا تأملت أيضاً فى العبارة الأولى . وجدت من أسماء المفعول « مَخْشِىّ » ، وفعلها خشى يخشى ، ومصدرها الخشية ، فحرف العلة الأخير ياء، واسم المفعول «مخشىّ»، ومثل هذا اسم المفعول : مَرمِىّ، فى العبارة الثانية ، وهـكذا تستطيع أن تصوغ اسم المفعول من كل فعل ثلاثىّ ، معتل الآخر ، إذا قلب حرف العلة فى مضارعه ياء ، أو ألفا مثل بَكى ، ورَضى وهَدَى ، وبَنَى ، وشَوَى ، تقول : مَبْكِىّ، ومَرْضِىّ، ومهدِىّ ومبنِىّ، ومَشْوِىّ .

القاعدة

١ — اسْمُ الْمَفْعُولِ مِنَ الْفِعْلِ الثُّلَاثِىّ الْمُعتلّ الوَسَطِ ، بِأَلِفٍ أَصْلُهَا وَاوٌ ، يَـكُونُ عَلَى مِثَال : مَصُون ، وَمَلُوم .

٢ — اسْمُ الْمَفْعُولِ من الفِعْلِ الثُّلَاثِىّ الْمُعْتَلّ الْوَسَطِ بِأَلِفٍ أَصْلُهَا ياء ، يَـكُونُ على مثال : مَهِيب ، وَمَعِيب .

٣ — اسْمُ الْمَفْعُول من الفِعْل الثُّلاثِىّ المُعتلّ الآخِرِ الذى يُقْلب حرفُ العلة فى مُضَارِعه وَاواً ، يـكُون عَلَى مثال : مَرْجُوّ ، مَغْزُوّ ، مَجْفُوّ .

٤ — اسْمُ الْمَفْعُول من الفِعْـل الثُّلاثِىّ المُعْتَل الآخر الّذِى يُقْلَبُ حَرْفُ العِلّةِ فِى مُضَارِعِهِ يَاءً أَوْ أَلِفاً يَـكُونُ عَلَى مِثَالِ : مَخْشِىّ ، وَمَرْمِىّ .

تمرينات

١ — صغ اسم المفعول من الأفعال الآتية ، وبين السبب :

محا ـ دنا منه ـ عفا عنه ـ تلا ـ جلا عنه . رسا عنده ـ خلا منه ـ رنا إليه ـ سلا ـ سما إليه ـ حنا عليه ـ عفا عنه ـ هفا إليه ـ بنى ـ ثوى فيه ـ جنى ـ ذوى ـ سعى ـ إليه ـ رمى ـ رعى ـ رقى إليه ـ طغى عليه ـ كـفى ـ لتى ـ مشى فيه ـ نوى ـ ـ هَوِى ـ بان ـ باع ـ هام ـ مال ـ هال التراب ـ سام ـ حام حوله ـ جاد ـ ذاد ـ عام فيه ـ قام فيه ـ هاله الأمر .

الفعل	اسم المفعول	السبب
محا	مَمْحُوّ	فعله ثلاثي واوي اللام فجاء على مثال «مَرْجُوّ»
دنا منه	مَدْنُوّ منه	
عفا عنه	مَعْفُوّ عنه	
تلا	مَتْلُوّ	
جلا عنه	مَجْلُوّ عنه	
رسا عنده	مَرْسُوّ عنده	
خلا منه	مَخْلُوّ منه	
رنا إليه	مَرْنُوّ إليه	
سلا	مَسْلُو	
سما إليه	مَسْمُوّ إليه	
حنا عليه	مَحْنُوّ عليه	
عفا عنه	مَعْفُوّ عنه	
هفا إليه	مَهْفُوّ إليه	
بنى	مَبْنِيّ	فعله ثلاثي يائي اللام فجاء على مثال «مرضيّ»
ثوى فيه	مَثْوِيّ فيه	
جنى	مَجْنِيّ	
ذوى	مذويّ	
سعى إليه	مَسْعِيّ إليه	
رمى	مرميّ	
رعى	مرعيّ	
رقى إليه	مرقيّ إليه	
طغى عليه	مطغيّ عليه	
كفى	مكفيّ	

الفعل	اسم المفعول	السبب
لَقِى مشى فيه نوى هَوِى	مَلْقِى ممْشى فيه مَنْوِىّ مهوى	فعله ثلاثى يائى اللام جاء على مثال «مَرْضِىّ»
بان له باع هام فيه مال إليه هال التراب	مبين له مَبِيع مَهِيم فيه مَمِيل إليه مَهِيل	فعله ثلاثى معتل الوسط بالياء جاء على مثال «مدين»
سام حام حوله جاد ذاد عام فيه قام فيه هاله الأمر	مسُوم مَحُوم حوله مَجُود مَذُود مَعُوم فيه مَقُوم فيه مَهُول	فعله ثلاثى معتل الوسط بالواو جاء على مثال «مصون»

٢ — هات اسم المفعول من الأفعال الآتية ، وبيِّن السببُ :

زَارَ - قَضَى عليه - زَانَ - سها عنه - هَوِىَ إليه - ذاد - ذاع عنه - هان عليه - دان .

٣ — إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجـــوم

(١) استحرج اسم مفعول من البيت ، واذكر فعله . (ب) فى أى باب من أبواب المختار تبحث عن معنى « غامرت » ؟ (ج) أعرب ماتحته خط فى البيت .

٤ — ضع مكان كل فعل فى الجمل الآتية اسم مفعول منه :

(ا) المحامى دُعى إلى الدفاع . (ب) المحسن يقال عنه كل خير . (ج) المريض يزار فى المستشفى . (د) حكم القاضى يخشاه الناس .

٥ — قدم نائب الفاعل ، وأكمل الجملة باسم مفعول من الفعل فيما يأتى :

(ا) بنى المنزل بناء حديثا . (ب) بيع القطن بثمن غال . (ج) غزيت البلاد المسالمة . (د) يرْعى حَقُّ الأفوياء . (ه) دِينَ المعتدون . (و) يُتلى القرآنُ الكريم فى الحفل . (ز) يُجْنَىَ القطن فى سبتمبر . (ح) شين الكسول ، وزين النشيط

٦ — فى أى مادة تكشف فى معجمك عن كل كلمة من الكلمات الآتية :

مَشِيد - مَحْشُوّ - مَفْدِىّ - مَدِينٌ - مَشِين - مجفو - مَروع - مَزيد - مروِيَّة - مَذوق .

٣ ـ أفعال المقاربة

١ ـ حاول الاستعمار الغربى أن يوهم مصر منذ زمن بعيد أنها لا تصلح للصناعة ، وأَوْشَكَ المصريون أن يتأثروا بهذه المحاولة ، ولم يَكَادُوا يفكرون فى الصناعة إلا بعد ثورة سنة ١٩١٩ .

٢ ـ ثم كانت يقظة يوليو سنة ١٩٥٢ فكَرَبَتْ آثار الدعاية الكاذبة أن تندثر ، وكَادَتْ آثار المحاولة الآثمة أن تتبدد .

٣ ـ وَطَفِقَتْ مصانعنا تسابق الزمن ، وأَخَذَتْ بعض المصنوعات المصرية تشق طريقها إلى أسواق العالم ، وشَرَعَتْ المصانع تمد الأسواق الخارجية بكثير من السلع الجيدة ، وأنشأ العمال المصريون يقدرون تبعاتهم ، وجَعَلُوا يجودون أعمالهم .

٤ ـ وعسى الأيام القادمة أن تشهد آثار الكفاح وحرى المصريون أن ينالوا مكانتهم تحت الشمس ، واخْلَوْلَقَ العامل المصرى أن يجنى ثمرة الكفاح الطويل .

(١) تأمل الأفعال التى تحتها خطوط تجدها دخلت على جمل اسمية ، وتجد بعد كل منها اسما مرفوعا ، ولكن المعنى لا يتم به مع هذه الأفعال ؛ لأن كل فعل منها محتاج إلى خبر مثل كان وأخواتها .

(٢) تأمل معنى الأفعال . كَادَ ، وكَرَبَت وأوشكَ فى العبارة الأولى والعبارة الثانية تجد كل فعل منها يدل على قرب وقوع الخَبَر ، ولذلك تسمى هذه الأفعال « أفعال المقاربة » ، وهو العنوان الذى أطلق على هذا الموضوع . وتأمل معنى الأفعال : طفقَ ، وأَخَذَ ، وشَرَعَ ، وأنشأ وجعل فى العبارة الثالثة تجد كلا منه يدل على الشروع فى عمل والابتداء فيه ، ولذلك تسمى « أفعال الشروع » وهى كثيرة فى اللغة لا نقتصر على ما ذكر .

وتأمل معنى الأفعال : عَسَى ، وحَرَى ، واخْلَوْلَقَ فى الفقرة الرابعة تجد كلا منها يدل على رجاء حصول الخبر ، ولذلك تسمى « أفعال الرجاء » .

ومن هذا يتبين لك أن إطلاق « أفعال المقاربة » على جميع أفعال هذا الباب من باب التغليب .

(٣) تأمل خبر كل من هذه الأفعال فى جميع العبارات تجده جملة فعلية فعلها مضارع ، ولكنك تلاحظ أن هذا المضارع مقترن بأن فى بعضها ، وغير مقترن بأنْ فى بعضها الآخر وإذا أنعمت النظر ، وجدت المضارع فى أفعال الشروع مجرداً من أن وفى أفعال الرجاء مقترنا بأن ؛ لكنك فى أفعال المقاربة تجده مقترنا بأن حينا ، وغير مقترن حينا .

(٤) لعلك لاحظت أن جميع الأفعال جاءت ماضية ماعدا كاد فقد جاءت مرة بالماضى ،

ومرة بالمضارع ومثلها « أوشك » من أفعال المقاربة فإنها يأتى منها المضارع ، فنقول : يوشكُ عهد النور أن يعم الشرق الأوسط وإفريقية ، ومثلهما : طفق ، وجعل من أفعال الشروع ، تقول : يطفق الطفل يأكل فلا يكف — إذا ترك — حتى يمجّ الطعام ، ومثل : يجعل المصباح يخفق ، ثم ينطفىء .

القاعدة

١ — أَفْعَالُ الْمُقَارَبَةِ هى كَادَ وَكَرَبَ ، وَأَوْشَكَ ، وهى تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ وقُوعِ الْخَبَر .

٢ — أَفْعَالُ الشُّرُوعِ كثيرةٌ ، وَمنها طَفِقَ وَجَعَل وَشَرَع ، وَأَخَذ ، وَأَنْشَأَ ، وَهى تدُلُّ على بدْءِ وقُوعِ الْخَبر .

٣ — أَفْعَالُ الرَّجاءِ هى : عَسَى ، حَرَى ، اخْلَوْلَقَ ، وهى تَدُلُّ عَلى رَجَاءِ وُقُوعِ الْخَبَرِ .

٤ — تَعْمَلُ هذه الأَفْعَالُ عَمَلَ كَانَ ، لَكِنَّ خبرَها يكُون جُمْلةً فِعْلِيَّة ، فِعْلُها مُضارعٌ مُجَرَّدٌ مِن أَنْ مَعَ أَفْعَال الشُّرُوعِ ، وَكَادَ وَكَرَبَ ، وَيَتجردُ مِنهَا أَحْيَانًا مَعَ أَوْشَكَ وَعَسَى .

٥ — الأَفْعَالُ : كَاد ، وَأَوْشَكَ ، وَجَعَل ، وطفق يأْتِى منها مُضَارِعٌ يعمل عمل المَاضى . أَمَّا باقِى الأَفْعَالِ ، فَلاَ يأْتِى مِنْهَا غيرُ المَاضِى .

تمرينات

١ — عينّ فيما يأتى أفعال المقاربة والرّجاء ، والشّروع وبين اسم كل منها ، وخبره :

(ا) كَرَبَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهُ يَذُوبُ   حِينَ قَالَ الْوُشَاةُ هِنْدٌ غَضُوبُ

(ب) سَقَاهَا ذَوُو الأَرْحامِ سَجْلاً عَلَى الظَّمَا   وَقد كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا (١)

---

(١) السجل : الدلو . و « ها » عائدة على « عروق » فى بيت سابق . « وكربت أعناقها أن تقطعا » كناية عن البؤس والشقاء .

(ج) يُوشَكُ مَنْ فَرَّ من منيَّتِهِ في بَعْضِ غِرَّاته يُوافِقُها
(د) وَلَوْ سُئِلَ النَّاسُ التُّرابَ لأوْشَكُوا إِذَا قيلَ هَاتُوا أَنْ يَمَلُّوا وَيمنعوا
(هـ) عَسَى الكربُ الّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قريبُ
(و) قال الله تعالى : « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ » .

(ز) أخذت حكومة الثورة تعمر الصحراء منذ زمن طويل
(ح) جَعَلَ العامل يَظْفَرُ بحقه .
(ط) طفق الفلاح في عهد الثورة ينمو وعيُه الاجتماعيّ .
(ى) تُوشِكُ الصواريخُ أنْ توقفَ العدوان .
(ك) اخلَوْلَقَت القرى أن تهتم بالصناعة الريفية .
(ل) حَرَى الدّخْل القوميُّ في مصر أن يكفي السكان .

٢ — أعرب ما يأتي :

(ا) كرب عهد الظلام في إفريقية ينقضى .
(ب) أوشكت الصناعة المصرية أن تنافس صناعات قديمة .
(ج) أخذت الحركات التحررية تعم الشرق .

الإجابة

(ا) كرب : فعل ماض من أفعال المقاربة يعمل عمل كان ، واسمها : عهد ، وعهد مضاف والظلام مضاف إليه مجرور بالكسرة ، في إفريقية : حرف جر ، وإفريقية مجرور بالفتحة ؛ لأنه ممنوع من الصرف ، ينقضى فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة ، وفاعله ضمير ، يعود على عهد ، والجملة الفعلية خبر كرب في محل نصب .

(ب) أوشك : فعل ماض من أفعال المقاربة ، الصناعة اسمها مرفوع بالضمة ، والمصرية نعت مرفوع ، وأن تنافس حرف ناصب ، وتنافس فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير يعود على الصناعة و« أن تنافس » خبر أوشك . وصناعات مفعول به منصوب بالكسرة . وقديمة صفة منصوبة بالفتحة .

(ج) أخذت : فعل ماض للشروع ، والحركات اسم أخذ ، مرفوع بالضمة ، والتحررية صفة مرفوعة ، وتعم : فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير يعود على الحركات . والشرق مفعول به ، وخبر أخذ ، جملة (تعم) .

٣ ــ أعرب ما يأتى :

(ا) أوشك المهندسون أن ينتهوا من بناء القواعد .

(ب) عَسىَ الدفاع أن ينتصر على العدوان .

(ج) أخذ العرب يقضون على مطامع الطامعين .

(د) عَسىَ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم .

٤ ــ أدخل على كل جملة مما يأتى فعلا من أفعال الرجاء مع استيفاء هذه الأفعال :

(ا) الدول تتجه إلى استخدام الذرة فى علاج الشعوب وإطعامها .

(ب) الأمم المتحدة تسعى فى القضاء على أسباب الحروب .

(ج) الدولة تعنىَ بالقرية عنايتها بالمدينة .

٥ ــ أدخل على كل جملة من الجمل الآتية فعلا من أفعال الشروع مع استيفاء هذه الأفعال التى تعرفها :

(ا) نساء مصر يخضن جميع ميادين العمل الاجتماعى .

(ب) العمال يصيرون أعضاء فى مجالس إدارة الشركات .

(حـ) القرى تحرص على المياه النقية .

(د) سنابل القمح تنضج .

(هـ) الباحثون يفيضون فى بحوثهم عن الذرة .

(و) أخبار القناة تحتل مكانا بارزا فى صحف العالم .

٦ ــ أدخل على كل جملة مما يأتى فعلا من أفعال المقاربة :

(ا) الشمس تشرق . (ب) المباراة تبدأ . (حـ) الطائرة تغادر المطار . (د) السفينة تبحر . (هـ) المساكن الشعبية تتسع لكل طالب . (و) الاستعمار يخشى الشعوب . (ز) المطر يهطل . (ح) العالم يخشى الحرب .

٧ ــ بيّن أفعال الشروع فيما يأتى :

(ا) أخذت النساء أماكنهن فى الحقل . (ب) أخذت النساء تنافس الرجال .

(حـ) قام الجنود بواجبهم فى الجبهة ، وعلينا أن نقوم بواجبنا فى الإنتاج . (د) قام الشباب المصرى يجيد التصويب والتسديد . (هـ) جعل العامل إتقان عمله نصب عينيه .

(و) جعل العامل يحرص على تجويد عمله . (ز) أنشأت الحكومة المصانع الكبرى .

(ح) أنشأت الحكومة تعنى بجميع المصانع . (ط) هب الشعب يطلب حقه .

(ى) هب النائم من نومه ، ونهض ليستأنف عمله فى يومه الجديد .

٨ — يكاد الجاهل إذا اقترب منك أن يحرقك بناره ، ويوشك إن جاورك أن يجنى عليك . وعسى الجوع أن يجعل منه سبعا ضاريا ، واخلولق الشبع أن يجعله ملكا فظا ، وكرب إن وافقته أن يقودك إلى جهنم ، فإن خالفته أخذ يكيدلك ، ويوردك مواردالردى.

(ا) أعرب ماتحته خط فى العبارة . (ب) استخرج أخبارالأفعال: يكاد ،يوشك ، عسى ، اخلولق ، حرى ، كرب : أخذ . (حـ) ضع كلمة « موارد » فى جملتين بحيث تكون مرة مجرورة بالفتحة ، ومرة مجرورة بالكسرة . (د) فى أى مادة تكشف فى معجمك عن كلمة « موارد » ؟

لا النافية للجنس

١ — أفزَع إلى الريف فى أول الصيف ، فما أعظم ما أرى ! .

لا جمالَ كفنّ مهما بلغ أروع من مشاهد المزارع المنبسطة الناضرة . لا طيبة قلوبٍ خالية من شوائب التكلف مثل طيبة الفلاحين . لا نَشَاطَ قوم فى ظل الحرية مثمرٌ مثل نشاطهم . لا زارعى أرض متخلفون عن موعد زراعتهم . لا ربّاتِ بيوتٍ منصرفاتٌ عن مساعدة أزواجهن . كلهم يكدحون .

٢ — فى مثل هذا الوقت ينطلق تلاميذ المدارس ، وأعضاء الجمعيات التعاونية ، ومهندسو الزراعة يساعدون الفلاحين . لا تلميذاً من تلاميذ المدارس متوان عن العمل فى الحقل . لا نسوةً من نساء القرية متراخيات عن العمل فى حقول الأرز . لا عضواً من أعضاء الجمعية التعاونية مهمل فى أداء واجبه . لا مالكين أرضاً معتمدون على سواهم فى الإشراف على حقول قطنهم . كلهم كادحون .

٣ — رعى الله أهلَ الريف وحيّاهم .

لا عاملَ مقصّرٌ فى أداء واجبه .

لا فلاحَ كسلان عن عمله .

لا مالكَ غافلٌ عن إنتاج أرضه .

لا موظفين معطّلون لمصالح الزراعة .

لا سيداتِ مؤثراتٌ للعافية والراحة فى البيوت . كلهم يعملون .

٤ — إنهم سيجنون ثمرة كدحهم لا محالةَ وإن الإنتاج سيتضاعف بهذا التعاون ولا شك وإننا نجدّد نشاطنا بهذه الزيارة لا جرمَ(١) .

وسنكرر هذه الزيارة لا بدّ(٢) .

(١) تأمل كلّ جملة دخلت عليها « لا » تجدها جملة اسمية . وإذا أنعمت النظر أدركت أن « لا » تنفى الخبر عن جنس المبتدأ (اسمها) ، ومن أجل ذلك تسمى « لا النافية للجنس» فى هذه المواضع وأمثالها .

(٢) فى الفقرة الأولى تجد « لا » قد نصبت كل مبتدإ دخلت عليه ، ومعنى هذا أنها من أخوات « إن » . لاحظ اسم « لا » فى أمثلة الفقرة الأولى تجده منصوبا ، ولاحظ أن المبتدأ فى أمثلة هذه الفقرة مضاف .

---

(١) لا جرم : لا محالة (أو حقا) . (٢) لابد : لا عوض - لافراق . لامحالة: لا حيلة .

(٣) لاحظ أمثلة الفقرة الثانية تجد كل مبتدأ فيها متصلا بشيء يتمم معناه (وقد عرفت معنى ذلك فى المنادى). تأمل إعراب هذه الأسماء تجدها منصوبة كالمضاف .

(٤) تأمل أمثلة الفقرة الثالثة تجد اسم « لا » ليس مضافا ، ولا شبيها بالمضاف ، وتجده أحيانا مضبوطا بفتحة بلا تنوين إذا كان اسما مفردا (غير مثنى ولا مجموع) ، فهو مبنىّ على الفتح ، فإذا كان مثنى أو مجموعا فهو مبنىّ على الياء أو على الكسرة ، أى على ما ينصب به لو كان منصوبا .

(٥) تأمل أمثلة الفقرة الرابعة تجد اسم « لا » مبنيًّا على الفتح أيضا ، لأنه ليس مضافا ، ولا شبيها بالمضاف ، غير أنك تلاحظ أن خبر « لا » محذوف ، وأنه يمكن تقديره ، والواقع أن خبر « لا » يحذف كثيراً مادام مفهوما من الكلام .

(٦) ولعلك لاحظت أن اسم « لا » فى جميع هذه الأمثلة نكرة ، وأن خبرها أيضا نكرة ، وأن اسمها متصل بها لا يفصلهما فاصل ، وأنها لم تسبق بحرف جرّ ، وهذه هى شروط عملها ؛ فإن كان اسمها معرفة بطل عملها ووجب تكرارها مثل لاالتلميذُ متوانٍ ولا النسوةُ ولا عُضْوهُ الجمعية عن عمل فى الحقل . وإن فصل بينها وبين المبتدأ فاصلٌ فكذلك يلغى عملها ويلزم تكرارها مثل : لافى الريف كَسْلانُ ولاخامِلٌ ولا غافِلٌ . وإذا سُبقت بحرف جرّ بطل عملها أيضا ، وجُرّ الاسم بحرف الجرّ مثل كلهم يعملون بلا استثناء ، وبلا سأمٍ :

القاعدة

١ — لاَ النَّافيةُ لِلْجِنْسِ تنْفِي خَبَرَهَا عَنْ جِنْسِ اسْمِهَا .

٢ — يُنْصَبُ اسْمُ لا النافيةِ لِلْجِنْسِ إذا كَانَ مُضَافاً ، أَوْ شَبِيهاً بِالْمُضَافِ .

٣ — يُبْنَى اسْمُ لا على مَايُنْصَبُ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُضَافاً وَلاَ شَبِيهاً بِالمُضَافِ وَيسمَّى حِينئذٍ مُفْرَداً أى لَيْسَ مُضَافاً وَلا شَبيهاً بالمُضَاف .

٤ — يُشْتَرَطُ فِى عَمَلِ لا عَمَلَ « إنَّ » أَنْ يكُون اسمُهَا وَخَبَرُهَا نكرتين ، وَأَلا يُفصَلَ عنها اسمُهَا وَأَلاّ يدخُلَ عليها حَرْفُ جَرّ ، فَإنْ فُقِدَ شَرطٌ من الشَّرْطَيْنِ الْأَوَّلينَ بَطَلَ عَمَلُهَا وَلَزِمَ تَكْرَارُهَا (١) .

وَإنْ فُقِدَ الشّرْطُ الثالث جَرَّ مَابَعْدَهَا بِحَرفِ الْجَرّ .

---

(١) قد تتكرر (لا) وهى عاملة مثل : لا حول ولا قوة إلا بالله .

٥ — قدْ يُحْذَفُ خَبر « لا » إذا فُهِمَ من الجملة .

تمرينات

١ — بين فى الجمل الآتية « لا » العاملة عمل « إن » وغير العاملة مع بيان السبب :

(١) لا أحد قادر على إثارة أسباب الخلاف بين قادة الثورات التحررية فى إفريقية .
(ب) لا عندنا اليوم مُـرَوِّجُـو إشاعات ، ولا خونة .
(٣) لا محمودٌ فى الدار ولا هاشمٌ . (٤) بعض الناس يغضب من لا شىء .
(٥) لا أنت من صَفِىّ ولا أنا من رأيك فى شىء . (٦) تعزَّ فلا إلْـفَـيْن بالخلود تمتَّعا . (٧) لا فى الدنيا خلود ، ولا فيها سعادة . (٨) لا سبيل إلى الراحة إلا على جسر من التعب . (٩) أودى الشباب فلا لذات للشيب .
(١٠) لا ناصر حق مخذول . (١١) لا أمل لامرىء فى حياة خصبة إن لم يبذل جهداً فى سبيل العلم . (١٢) لا كريما عنصره سفيه . (١٣) لا اشتراكية بغير إنكار الذات . (١٤) لا عزة لأمة إن لم يحرص شبابها على كرامتها . (١٥) لا شهيد اليوم منسىّ . (١٦) لا متنافسين فى خدمة الأمة مجحود فضلهم . (١٧) لا عاصياً لوالده ناجح فى حياته . (١٨) لا زميلَىْ سلاح ينسيان ذكريات الزمالة .
(١٩) لا العامل مقصر ولا المهندس . (٢٠) لا الشجاعة قاتلة شجاعاً ، ولا الجبن مبطل عمر جبان .

٢ — بين المعرب والمبنىّ من أسماء لا النافية للجنس فيما يأتى مع توضيح حالة الإعراب وحالة البناء .

(١) لا خائن اليوم بين ربوعنا . (٢) لا رجل قادر وحده على عمل وطنى كبير .
(٣) لا أمريكيا جنسه ، ولا إنجليزيا أصله موثوق برأيه فى قضية الشرق الأوسط .
(٤) لا مضحيا بنفسه فى سبيل الوطن خامل . (٥) لا أخوين دائم خصامهما .
(٦) لا أمّ لى ولا أب إن قصرت فى حق وطنى .
(٧) لا مصرىّ اليوم جاحد نعمة الثورة . (٨) لا عملا فى سبيل الحق ضائع .
(٩) لا مؤمنا بحق وطنه متخلف عن أداء ما عليه من الضرائب . (١٠) لا نجاح لولد يَعُق أباه أو يَعْصِى معلمه . (١١) لا عاصين لآبائهم موفقون فى أعمالهم .
(١٢) لا كرامة لامرىء بغير عمل جاد ، وخلق متين .
(١٣) لا خطر من الفيضان بعد بناء السد العالى . (١٤) لا متعطلين فى مصر .
(١٥) لا واثقين بأنفسهم مخفقون . (١٦) لا مجرم ناج من عقاب . (١٧) لا قائد ناجح بغير إخلاص واستقامة . (١٨) لا مستغلين للفلاحين اليوم فى رُبوعنا .

(١٩) لا مطالبا بحقه مَلوم . (٢٠) لا وسيلة إلى الحرية غير العمل الوطنى .

٣ — اجعل الحديث فيما يأتى عن غير الواحد مع تغيير ما يلزم تغييره :

(ا) لا مخلوقَ مخلّد . (ب) لا إقطاعىَّ فى مصر . (حـ) لا مستغِلاً وظيفته مُـمْـهل . (ى) لا خائنا وطنه إلا ملاق جزاءه ولو بعد حين . (هـ) لا ناصر حق مخذول ، ولا حافظا عهدا منسىّ ، ولا واثقا بالله ضائع .

٤ — أعرب ما يأتى :

(ا) لا أرض أخصب من أرضنا . (ب) لا معتصما بحبل الله مخفق .

(حـ) لا صاحب عمل مستغل فى عهد الثورة .

الإجابة

(ا) لا أرض : لا النافية للجنس من أخوات إنَّ أرض اسمها مبنى على الفتح لأنه غير مضاف ولا شبيه بالمضاف . أخصب : خبر لا مرفوع . من أرضنا : جار ومجرور ، وأرض مضاف ، والضمير (نا) مضاف إليه فى محل جر .

(ب) لا معتصما : لا نافية للجنس من أخوات « إن » . ومتعصما اسمها ، منصوب لأنه شبيه بالمضاف ، وعلامة نصبه الفتحة : بحبل . جار ومجرور متعلقان باسم لا ، حبل مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة ، مخفق : خبر لا مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة .

(جـ) لاصاحب : لانافية للجنس ، وصاحب اسمها منصوب لأنه مضاف ، وعلامة نصبه الفتحة ، وعمل مضاف إليه مجرور بالكسرة ، مستغل : خبر لا مرفوع . فى عهد الثورة : جار ومجرور ، ومضاف إليه مجرور بالكسرة .

٥ — أعرب ما يأتى :

(ا) لاصانع مظلوم . (ب) لاحامل شهادة جامعية متعطل اليوم .

(جـ) لامؤديا واجبه مجهول المكان . (د) لازَوجين متخاذلان ، ولا أخوين متعاديان . (هـ) لامتعاونينَ مخفقون . (و) لاجليسَىْ سوء ناجحانِ .

(ز) لا مصّا نعِى أشرار سالمون من شرهم .

٦ — احذف أداة النفى فى الجمل الآتية ، وضع مكانها لا النافية للجنس ، وغير ما يلزم :

(ا) لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا . (ب) لا يجنىَ ثمر بلا غرس . (جـ) لن تحصل على وَرْد بلا شوك يَخزكَ . (د) لن تَطْعَمَ العسل بغير إبر النحل .

(هـ) ليس فى مصر حديث عن فيضان النيل بعد بناء السد العالى . (و) مافى مكاتبنا

رئيس ولامرءوس ، ولافى مصانعنا عامل وصاحب عمل ، ولافى السياسة سيد ومسود ، كلنا عمال . (ز) لايفلت مذنب من عدل الله .

٧ـــ قال المتنبى فى المدح :

فلا موت إلا من سنانك يتقى ولا رزق إلا من يمينك يقسم

اشرح البيت وأعربه

الأجابة

الشرح : يقول : إنك (ياسيف الدولة) لاينهى الآجال غـــيرك لأنك أشجع الناس وأكثرهم بطشا ، ولايرزق الناس سواك لأنك أكرم الناس .

الإعراب : الفاء على حسب ما قبلها ، ولانافية للجنس من أخوات إن ، وموت اسمها مبنى على الفتح لأنه مفرد (لا مضاف ولا شبيه به) إلا حرف استثناء ملغى ، ومن سنانك جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر (لا) ، ويتقى فعل ونائب فاعل ، والجملة حال، (إعراب الشطر الثانى مثل إعراب الشطر الأول)

٧ـــ اقرأ الأبيات الآتية ؛ واشرح كلا منها ، وأعرب ما تحته خط فيها :

(ا) وَلا خَيْرَ فى حُسْنِ الجسومِ وَنُبْلِها إذا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسوم عقُولُ

(ب) وَلا كُتُبَ إلا المشرفية عِندَهُ وَلاَ رُسُلٌ إلا الخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ (١)

(ج) لا خَيْلَ عِنْدكَ تُهْدِيهَا وَلا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ (٢)

(د) لاقَوْمَ أَكْثَرَ منهم يَوْمَ قَالَ لَهُمْ مُحَرِّضُ الْمَوْتِ عَنْ أَحْسَابِكُمْ ذُودُوا (٣)

(ه) شَرُّ الْبِلادِ مكَانٌ لا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الإنْسَانُ مَا يَصِمُ (٤)

(ز) وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الْكتائب

(ح) وَلا عَيْبَ فيه غَيْرَ مَا خَوْفِ قَوْمِهِ عَلى نَفْسِهِ أَلاَّ يَطُولَ بَقَاؤُهَا

---

(١) المشرفية : السيوف والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير يقول إنه لا ولاين .

(٢) يخاطب الشاعر نفسه فى مطلع قصيدة يمدح بها . وإسعاد النطق : عونه .

(٣) ذودوا : دافعوا . يصفهم بالكثرة والاستجابة لداعى الحرب .

(٤) يصم : يعيب من الوصمة وهى العار . (يعاتب الشاعر سيف الدولة الحمدانى)

٨ — اقرأ الآيات الكريمة الآتية ، وأعرب ما تحته خط فيها :

١ — « لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ(١) وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى(٢) لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ».

٢ — « إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ » .

٣ — « رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ » .

٤ — اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَرَيْبَ فِيهِ » .

٥ — « وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ » .

٦ — « لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ » .

٧ — « لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ(٣) مِنْ نَجْوَاهُمْ » .

---

(١) الطاغوت الشيطان . (٢) العروة ما يستمسك به ويعتصم . والوثقى الموثوق بها.

(٣) التثريب اللوم والتقبيح والتعبير .

أسلوب لا سيما

١ — نقيم في القاهرة شتاء ، وقد تَعَوَّدْتُ في يوم الجمعة أن أمر صباحا ببعض المكتبات ، ولا سيما مكتبةٌ أدبيةٌ لعلّي اشترى كتابا يعجبني ، وأحيانا أزور بعض الحدائق ، ولاسيما حديقةٍ هادئة . وفي بعض الليالي أشاهد ماتعرضه القناة الخامسة ولاسيَّما حوارا مفتوحا .

٢ — أما في فصل الصيف فلابد من زيارة أحد الشواطىء ولاسيَّما الشاطىءُ الهادىء لنستمتع ببعض ألوان الرياضة ، ولاسيَّما الاستحمامِ ، واللعبِ في الماء . ثم نعرّج في عودتنا على قريتنا لنستشعر البهجة في الجلوس إلى أقربائنا في الريف في ليالي سبتمبر الجميلة ولاسيَّما ليلةً مقمرة .

(١) اقرأ الفقرتين السابقتين ، ولاحظ الأساليب التي وضعت تحتها خطوط ، تجد كلا منها قد اشتمل على « لاسيما » وإذا أنعمت النظر وجدت أن مابعد لاسيما مفضل على ما قبلها ففي المثال الأول فضلت مكتبة هادئة على سائر المكتبات ، وكذلك بقية الأمثلة في الفقرتين.

(٢) « لاسيما » لفظ مركب من ثلاث كلمات : لا النافية للجنس ، و « سيّ » بمعنى مثل و « ما » . وأنت تلاحظ أن « سيّ » مضبوطة بالفتحة ، فهي منصوبة دائما ؛ لأنها مضاف وهي اسم « لا » . أما كلمة « ما » فهي اسم موصول ، أو اسم نكرة بمعنى شيء ، وهي في الحالين مضاف إليه . وقد تكون زائدة ، وعندئذ تكون كلمة « سيّ » مضافة إلى مابعدها أما خبر « لا » فهو محذوف دائما في هذا الأسلوب ، وتقديره « موجود » .

(٣) انظر إلى الاسم الواقع بعد « لاسيَّما » تجده أحيانا نكرة ، وأحيانا معرفة ، وتجده في حالة التنكير مرفوعا ، كما في « مكتبة » أو مجرورا كما في « حديقة » ، أو منصوبا كما في « حوارا مفتوحا » في الفقرة الأولى ، و « ليلة مقمرة » في آخر الفقرة الثانية . وتجده في حالة التعريف إما مجرورا وإما مرفوعا ، ولا تجده منصوبا . وسبب ذلك أن الاسم الذي بعد « لاسيما » يكون مجرورا إذا كانت « ما » زائدة فتكون « سيّ » مضافا ، ويكون هذا الاسم مضافاً إليه مجروراً .

أما إذا كانت « ما » موصولة أو نكرة موصوفة (بمعنى شيء) فيكون رفع الاسم بعد لاسيما على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ، وهذا الخبر قد يكون نكرة وقد يكون معرفة أما حالة نصب الاسم بعد « لاسيما » فلا تكون إلا على أساس أن « ما نكرة ، وأنه

تمييز لها ، ولذلك لاينصب الاسم بعدها إلاّ إذا كان نكرة ، واعتبرت « ما » أيضا نكرة . فلذلك لا يجوز نصب (الاستجام) و (الشاطىء الهادىء) بعد لاسيما فى الفقرة الثانية .

القاعدة

١ — أُسْلُوبُ « لا سِيَّمَا » يَجِيءُ لِتَفْضِيلِ مَابَعْدَهَا عَلى مَاقَبْلَهَا فِي الْحُكْمِ .

٢ — الاسْمُ الْوَاقِعُ بَعْدَ « لا سِيَّمَا » قَدْ يَكُونُ نَكِرَةً ، وَحِينَئِذٍ يَجُوزُ رَفْعُهُ ، أَوْ نَصْبُهُ ، أَوْ جَرُّهُ ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْرِفَةً فَيَجُوز رَفْعُهُ وَجَرُّهُ فَقَط .

(ا) أعرب :

أحِبُّ الْفَاكِهَةَ ، وَلا سِيَّمَا التُّفَّاح .

الإعراب :

أحبُّ فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا . الفاكهة : مفعول به منصوب بالفتحة . ولاسيما : الواو حرف اعتراضى ، لا نافية للجنس تعمل عمل « إن » و « سىّ » اسم بمعنى مثل منصوب بالفتحة ، وما : اسم موصول أو نكرة موصوفة بمعنى (شىء) وسىّ مضاف و « ما » مضاف إليه فى محل جرّ . والتفاحُ : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو . والجملة الاسمية صلة الموصول أو صفة لما على أنها نكرة موصوفة . ويجوز أن تكون « ما » زائدة ، وسىّ مضاف ، والتفاح مضاف إليه فيكون مجرورا بالكسرة وخبر لا محذوف تقديره (موجود) فى الحالين .

(ب) أعرب « عيداً » فى الأسلوب الآتى :

« ما أعْظَمَ أعْيَادَنا وَلا سِيَّمَا عِيداً فى ٢٣ يوليو » !

الإعراب :

عيداً تمييز لما منصُوب ، على أن « ما » نكرة ، ويجوز أن نقول (عيدٌ) فيعرب خبرا كما تقدم فى المثال السابق ، أو (عيدٍ) فيعرب مضافا إليه كما تقدّم أيضا ، وخبر لا محذوف على كل حال .

تمرينات

١ — اضبط كل اسم وقع بعد لاسيّما بكل وجه ممكن مع بيان السبب :

(ا) إن من واجبنا التعاون مع العرب ولاسيما الدول العربية المتحررة .

(ب) إن الدول المنصفة فى العالم تساندنا ولاسيّما الاتحاد السوفيتى .

(ج) إن وحدة العرب خطر على مصالح الدول الغربية ، ولاسيما مصالح أمريكا وإنجلترا .
(د) الثورة مستمرة فى تصفية الجيوب التى تعرقل تقدمها ، ولاسيما جيوب الرجعية .
(هـ) الجمعيات التعاونية تفيد مجتمعاتنا فى كل مكان ولاسيما مجتمع الريف .
(و) شواطىء مصايفنا بهجة للعين والقلب ولاسيما مصيف رأس البر .
(ز) يطربنى الشعر حين يقرأ قراءة صحيحة ، ولاسيما قراءة تمثل المعنى .
(ح) الكتاب أحب جلسائى إلىّ ولاسيما كتاب يعبر عن مشاعر إنسانية .
(ط) أبتهج لأيام كثيرة ولاسيما يوم قامت فيه ثورة يوليو العظيمة .
(ى) تكافىء الحكومة الفلاحين ولاسيما فلاح يرتفع بإنتاج أرضه .

٢ — ضع مكان النقط فيما يأتى اسماً مناسبا للمعنى واضبطه بكل وجه جائز :

(ا) لوحات الشرف فى المدرسة تثيرالهم ولاسيما . . . (ب) لكل مقوم من مقومات القومية العربية أثر فى تقريب الوحدة ولاسيما ... (ج) فلنحتفل بأيامنا المجيدة ولاسيما ...
(د) حطمت الثورة أعداءها ولاسيما . . . (هـ) كل قوانين الثورة رائعة الأثر ولاسيما . . . (و) عجبت من اختيال كثير من الطيور فى حديقة الحيوان ولاسيما . . .
(ز) آلمنى إخفاق كثير من الطلاب ولاسيما . . . (ح) أعجبت بمناظر كثيرة فى الريف ولاسيما . . . (ط) آثار بلادنا معروفة فى جميع أنحاء العالم ولاسيما . . .
(ى) كل المصريين يشعرون بتبعاتهم نحو فلسطين ولاسيما . . .

٣ — ضع مكان النقط مايتمم المعنى فيما يأتى :

(ا) . . . ولاسيما الوَرْد . (ب) . . . ولاسيما قراءة واعية . (ج) . . . ولاسيما السباحة . (د) . . . الأنغام الهادئة : (هـ) . . . ولاسيما تغريد الأطيار .
(و) . . . ولاسيما الكذب . (ز) . . . ولاسيما الشعر . (ح) . . . ولاسيما الأحياء الوطنية . (ط) . . . ولاسيما المجتهدون . (ى) . . . ولاسيما أمّى .

٤ — عبر عن معانى الجمل الآتية مستخدما أسلوب « لاسيما » .

(ا) زملائى كلهم شجعان وبخاصة مهندس كيماوى . (ب) الأشجار فى الطرق نافعة وأنفعها شجر ذو أوراق كثيفة . (ج) الملابس البيضاء تلائم الصيف وأكثرها ملاءمة الملابس الكتانية . (د) أحيّى أفراد أسرتى كل صباح وكل مساء ، وأختم بأمى .
(هـ) أعطف على إخوتى وأخواتى وبخاصة أخت صغيرة . (و) أفضل الفنون الجميلة وأوقعها فى نفسى الموسيقى . (ز) أحب الشعر وأروعه عندى ما صدق فيه الشاعر .
(ح) كل منشآت الثورة نافعة ، وأنفعها المصانع . (ط) تتحمل الدول العربية كلها

عبء الحرب مع العدو الغادر، وأكثرها تحملا الدول المتاخمة للأرض المحتلة . (ى) للإنسانية أعداء كثيرة ، وأشدها فتكا وأبغضها إلىّ الجهل .

٥ — أعرب ما يأتى :

أوثر الحلم فى كلّ المواقف ولاسيَّما الحلم عن قدرة . (ب) أقرأ التاريخ ولاسيما سير العظماء . (ج) يسخر الناس من المتكبرين ولاسيما متكبر يجهل قدرة نفسه . (د) أجل أصدقائى ولاسيما صديق سليم دواعى الصدر . (ه) أميل فى وقت فراغى إلى قراءة القصص ولاسيما قصة واقعية . (و) أعاون المحتاجين ولاسيما قريب فقير . (ز) أمارس كثيرا من النشاط الرياضىّ ، ولاسيَّما لعبة جماعيّة . (ح) نتعاون مع كل الشعوب ولاسيما شعب يطلب حريته .

٥ – المقصور والمنقوص والممدود

(ا) تثنية المقصور وجمعه

١ – اصطَفَى فتَيان أمس للعبور ، وقد عَبَرا وسَنَيَان يبرُقان فوق رأسيهما : سنًى من الأرض وسنى من السماء (ضوء البرق) .

٢ – نجح الفتيان المُصطَفَيَان المُستَدعَيَان للعمل الخطير فى أداء ما كلفا به

٣ – يمثل عمل هذين الفتيين تدور على العدوّ رَحَوان(١) طاحنتان رحا الاستنزاف ، ورحا الحرب الشاملة بعد حين .

٤ – يعتمد هذا العدوُّ من أمريكا وإنجلترا على عَصَوَيْن لاتُرهِبان الشعوب : عصا قديمة بالية ، وعصا يحركها الحمق فلا تجنى إلا على نفسها . وسيف الشعوب لهما بالمرصاد .

٥ – ليس هذان الفتيان إلا مثلا صالحا للجنود المُصطَفَيْنَ الأخيار على الجبهة ، المُرتجَيْنَ فى الدفاع عن الحمى . وهم المُرتَضَوْن فى ذيادهم عن الديار ، والأدنَوْنَ إلى تحقيق أمانىّ العرب فى جميع الأقطار .

٦ – ستدور رَحَوَاتُ حرب على العدوّ من الشرق والغرب وسيَصْلَى بشَبَوات سُيوف لاقِبَل له بها (الشبا حد السيف) ، وستَدُقّ شظَيَاته (عظم الركبة) دقًّا لاقيامة له بعدها . وسيعلم أن لَظَيَات (اللظى النار أو لهبها) الحرب ونكباتها الكُبْرَيات لم تُصب غَيْرَ من أوقدوها معتدين ، وسيعلم أن الحرب ليست مَلْهَيَات قمار ، ولا مُنتَدَيات سُمّار ، ولا مجتَنَيات أزهار .

١ – اقرأ الأمثلة السابقة ، ولاحظ مفرد كل منها تجده اسما مقصورا .

لاحظ الأمثلة فى العبارات الأولى والثانية والثالثة تجد الأسماء المقصورة مثناة ، وتجد الألف قد قلبت ياء فى : فَتًى ، وسَنًى ، ومُصطَفًى ومُستَدعًى ، وقلبت واوًا فى رحًا ، وعصًا وإذا تأملت أدركت أن الألف التى قلبت ياء فى فتى وسنى أصلها ياء ، والتى قلبت واوًا فى رحا وعصا أصلها واو ، أما فى مُصطَفًى ومُستَدعًى فلأن الألف خامسة فى الأول ، وسادسة فى الثانى .

(١) فضلنا مذهب من يجعل ألفها واوا .

٢ — لاحظ أمثلة العبارة الخامسة تجد المقصور قد جمع جمع مذكر سالماً ، وتلاحظ أنه عند الجمع قد حذفت ألف المصطفىَ ، والمرتجَى ، والمرتضَى ، والأدنَى وبقى ماقبلها مفتوحا مهما تكن حالة الإعراب (رفعا ، أو نصبا ، أو جرا) .

٣ — لاحظ الكلمات المقصورة فى العبارة السادسة تجدها جمعت جمع مؤنث سالما ، وتجد ألفها قد عوملت معاملتها عند التثنية ، فردّت إلى أصلها إن كانت ثالثة كما فى رحا وشبا ، وشطى ، ولظى ، وقلبت ياء إن كانت رابعة أو أكثر .

القاعدة

١ — إِذَا ثُنِّيَ المَقْصُورُ رُدَّتْ أَلِفُهُ إِلَى أَصْلِهَا (الواو أو الياء) إِنْ كَانَتْ ثَالِثَةً ، وَقُلِبَتْ يَاءً إِنْ كَانَتْ رَابِعَةً أَوْ أَكْثَر .

٢ — إِذَا جُمِعَ الْمَقْصُورُ جَمْعَ مُذَكَّرٍ سَالِمًا حُذِفَتْ أَلِفُهُ ، وَبَقِيَ مَاقَبْلَهَا مَفْتُوحًا .

٣ — إِذَا جُمِعَ الْمَقْصُورُ جَمْعَ مُؤَنَّثٍ سَالِمًا عُومِلَتْ أَلِفُهُ مُعَامَلَتَهَا عِنْدَ التَّثْنِيَة .

تمرينات

١ — ذهبت يوم الجمعة إلى المستشفى لزيارة المرضى - لاتحكم بالهوى - أعلى الناس خلقًا أقربهم إلى التواضع .

(ا) استخرج الأسماء المقصورة من الجمل السابقة . (ب) ثن اسما من الأسماء المقصورة فى العبارة السابقة ، وضعه فى جملة من إنشائك ، وبين حكم الألف . (ح) اجمع اسما مقصوراً منها جمع مؤنث سالما فى جملة وبين حكم الألف . (د) اجمع اسما مقصورا منها جمع مذكر سالما ، وبين حكم الألف ، واضبط ماقبل علامة الإعراب فيه .

٢ — اجمع الأسماء الآتية جمع مؤنث سالما ، وبين ماحدث فيها من تغيير :
هدى ، منى ، هوى ، ضحا [أسماء بنات] ، مهاة (اسم بنت) فتاة ، قطاة (طائر) لهاة (لحمة فى سقف الفم) .

الكلمة	جمعها	ماحدث بها من تغيير
هدى	هديات	قلبت الألف ياء لأن أصلها ياء
منى	مُنَيَات	« « « « « «
هوى	هويات	« « « « « «
ضحا	ضَحَوَات	« « « واواً لأن أصلها واو
مهاة	مهوات	« « « « « « « وقد عوملت معاملة مها (بلا تاء)
فتاة	فتيـــات	قلبت الألف ياء لأن أصلها ياء وقد عوملت معاملة فتى بعد حذف التاء .
قطاة	قطوات	قلبت الألف واواً ؛ لأن أصلها واو
لهاة	لهـــوات	قلبت الألف واوا ؛ لأن أصلها واو

٣ ـــ ثن الأسماء الآتية ، وبين ماحدث فيها من تغيير عند التثنيه :

مُصَلّى ـ مبنى ـ مُدلًى ـ مُعَنَّى ـ مُشترَى ـ مُستثنَى ـ الحمى ـ موسى ـ عيسى ـ رضا ـ قفا ـ الثرى ـ المدَى ـ الجنى (العسل) الجوَى ـ منادى ـ أعلى ـ معافى ـ أدنى

٤ ـــ اجمع الأسماء الآتية جمع مذكر سالما وبين ماحدث عند الجمع .

المنادَى ـ المُعافَى ـ المُواسَى ـ المُستثنَى ـ الأقصى ـ المُعَنّى ـ المجتَبَى (المختار) ـ المُبتَلَى ـ الأسمى ـ العُقبى .

٥ ـــ اجمع الأسماء الآتية جمع مؤنث سالما ، وبين ماحدث فيها من تغيير عند الجمع .

حصاة ـــ مباراة ـــ مشتراه ـــ مرتجاه ـــ مستثناة ـــ مناداة ـــ قناة ـــ هناة (عيب صغير) ـــ العصاة ـــ الصلا (وسط الظهر) شذا (اسم فتاة) السفاة (شجرة فيها شوك) .

تثنية المنقوص وجمعه

١ — هزمت بورسعيد العدو الطَّاغِيَ المُعْتَدِيَ .

٢ — وهكذا تهزم جمهوريتنا كل مُعْتَدٍ طَاغٍ .

٣ — هزمت بور سعيد الجيشين الطاغِيَيْنِ المُعْتَدِيَيْن ،

٤ — وهكذا تهزم جمهوريتنا كلَّ مُعْتَدِيَيْنِ طاغِيَيْنِ .

٥ — إن قادة العرب ساعُون لتحرير الأجزاء المحتلَّة من الوطن العربّى ، ماضُونَ فى رفع شأنه ، بانونَ لاقتصاده على أساس سليم . وما يزالون داعين إلى الوحدة غيْرَ وَانِينَ فى أداء واجبهم نحو تحقيقها .

(١) لاحظ الأسماء المنقوصة فى العبارتين الأولى والثانية تجدها مفردة ، وتجد ياء المنقوص فى المعتدى والطاغى مذكورة ، وفى معتد وطاغ محذوفة لأنّ المنقوص منوّن (أنت تعرف أنه إذا نون فى حالتى الجر والرفع حذفت ياؤه) .

ثم لاحظ هذه الأسماء فى العبارتين الثالثة والرابعة تجدها مثناة ، وتجد ياءها بقيت كما هى فى المعتدى والطاغى ، وردّت عند التثنية فى معتدٍ وطاغٍ .

(٢) لاحظ الأسماء المنقوصة فى العبارة الخامسة تجدها مجموعة جمع مذكر سالما ، وتجد الياء فيها حذفت عند الجمع . وضُمَّ ماقبل الواو ، وكُسِرَ ما قبل الياء .

القاعدة

١ — إِذا ثُنِّيَ المنقوصُ أُلْحِقَتْ به عَلَامَةُ التَّثْنِيَةِ مِن غَيْرِ تَغْيِيرٍ ، فإذا كانت ياؤه مَحْذوفَةً للتنوين رُدَّتِ الْيَاءُ قَبْلَ التَّثْنِيَةِ .

٢ — إِذَا جُمِعَ الْمَنْقُوص جَمْعَ مُذَكَّرٍ سَالِماً حُذِفَتْ يَاؤُهُ ، وَضُمَّ مَاقَبْلَ الْوَاو فِي حَالَةِ الرَّفْع وَكُسِرَ مَاقَبْلَ الْيَاءِ فى حَالَتَى النَّصْبِ وَالْجَرِّ .

تمرينات

١ — اقرأ العبارات الآتية ، وأجب عن الأسئلة التى تليها :

إن المحامى المخلص لمهنته يتعاون مع القضاة على إظهار الحقيقة . والقاضى لاهمّ له إلاّ أن ينشد العدل ، ويحكم بالحق : والجانى يحترم الدفاع السليم وإن اقتص منه .

يبذل كل عربى دمه الغالى فى سبيل تحرير وطنه . جزاء المعتدى على العرب الفناء .

(١) استخرج كل اسم منقوص فى العبارات السابقة :

(ب) ثن اسما منقوصا من الأسماء المنقوصة في العبارات السابقة .
(حـ) اجمع جمع مذكر سالما اسما منقوصا منها في جملة بحيث يكون في حالة الرفع .
(د) اجمع جمع مذكر سالما اسما منقوصا من الأسماء السابقة في جملتين بحيث يكون مرة في حالة نصب ، ومرة في حالة جرّ .

٢ — في العبارات الآتية أسماء منقوصة والمطلوب منك تعيينها ، وبيان ما حدث فيها عند التثنية ، أو عند الجمع . ثم إعراب كل منها :

(١) على الجبهة جيشان متفانيان (٢) لسنا متخلين عن دورنا في العالم العربي .
(٣) لا يمكن أن يكون المسئولون عن الأسلحة الذرية أقوى من شعوب العالم كافة .
(٤) نبني جدارين واقيين للمخبأ . (٥) الوالد والمعلم مصباحان هاديان .
(٦) لا تقوم علاقة طيبة بين زميلين متعاليين بعضهما على بعض .
(٧) ما أبعد المسافة بين بانيين : بان للمجد وبان للعمائر .
(٨) هذان مُصَلِّيان يأتم أحدهما بالآخر . (٩) البيت والمدرسة مربيان متعاونان .
(١٠) ما أسعد العافين عن الناس ! (١١) لنعم الساعيان وجدتما على كل حال .
(١٢) رفع القاضيان الجلسة ، وأخذا يتشاوران . (١٣) إن المعادين لكل جديد لا يتطورون . (١٤) العرب الموالون لأمريكا معادون لقومهم .
(١٥) إن المراعين لحقوق العرب من القادة أولئك هم المهتدون .
(١٦) أعضاء الناديين متفانون في سبيل الظفر بالكأس .
(١٧) إن الطلاب المؤدين لواجبهم ينجحون . (١٨) المتراخون المتوانون في أعمالهم يخفقون . (١٩) الراضون بما قسم الله لهم ، الساعون في زيادة دخلهم ، الرامون بكل سهم نحو كل هدف ينفعهم ، المتحدُّون لكُلِّ عَقَبَة في طريقهم أولَئِكَ هُمُ البانون لمستقبلهم . (٢٠) قد أفلح المصَلُّون الخاشعون .

تثنية الممدود وجمعه

١ — لهذا الشاعر ابتداءان جيدان ، ولبعض الشعراء ابتداءات كثيرة جيدة .
٢ — هذان زعيمان وضّاءان ، وهناك زعماء غير وضّائين .
٣ — فى مصر صحراوان تحتويان كنوزا كثيرة . وفى بلاد العرب صحراوات عامرة بالخير الكثير .
٤ — يطل على الميدان بناءان شامخان (أو بناوان) .
٥ — المشّاءون أبغض الناس إلى نفسى (أو المشّاوون)
٦ — هذان كساءان ثمينان (أو كساوان) .
٧ — ارتفعت الدعوات الصالحات إلى السماءات (أو السماوات)
٨ — فى الجمهورية العربية حذّاءون ماهرون (أو حذاوون)

(١) تأمل الأسماء التى تحتها خطوط فى العبارات السابقة تجد كلا منها اسماً معربا فى آخره همزة قبلها ألف زائدة . وقد عرفت فى دراستك السابقة أن هذه الأسماء وأمثالها تسمى « أسماء ممدودة » .

أعد النظر فى المثالين الأول والثانى تجد كلمة ابتداء وكلمة وضاء ، وتدرك أن الهمزة فيهما أصلية ؛ لأنها موجودة فى المصدر والفعل ، ولذلك لم يحدث تغيير فى هذه الهمزة عند التثنية ولا عند الجمع (مذكرا أو مؤنثا) .

(٢) تأمل كلمتى صحراوان ، وصحراوات فى المثال الثالث ، وهما مثنى صحراء وجمعها تدرك أن همزة صحراء قلبت واوا عند الجمع ، وعند التثنية وذلك ؛ لأن الهمزة زائدة للتأنيث

(٣) تأمل المثالين الرابع والخامس تجد كلمة بناء ، وكلمة مشاء قد بقيت الهمزة فى كل منهما عند التثنية وعند الجمع وجاز أن تقلب واوا ، وذلك لأن أصلها ياء .

(٤) تأمل الأمثلة : السادس والسابع والثامن تلاحظ أن الكلمات : كساء ، وسماء ، وحذّاء (صانع الأحذية) بقيت الهمزة فيها عند الجمع وعند التثنية ، وجاز قلبها واوا . وذلك لأن أصلها واو .

القاعدة

١ — المَمْدُود اسْمٌ مُعْرَبٌ فِي آخِرِهِ هَمْزَةٌ قَبْلَهَا أَلِفٌ زَائِدَةٌ ، وَتَكُونُ الهَمْزَةُ نَفْسُهَا زَائِدَةً إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ أَلِفٍ مَسْبُوقَةٍ بِثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ أَصْلِيَّةٍ .

٢ — إذَا كَانَتْ الْهَمْزَةُ أَصْلِيَّةً بَقِيتْ فى التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْع .

٣ — وَإِذَا كَانَتِ الْهَمْزَةُ زَائِدَةً لِلتَّأْنِيثِ قُلِبَتْ وَاواً عِنْدَ التَّثْنِيَةِ وَعِنْدَ الْجَمْع .

٤ — وَإِذا كَانَت الْهَمْزَةُ مُنْقَلِبَةً عَنْ وَاوٍ أَوْ عَنْ يَاءٍ جَازَ بَقَاؤُهَا ، وَجَازَ قَلْبُهَا وَاواً عِنْدَ التَّثْنِيَةِ .

تمرينات

اجتزاء - كحلاء - فناء - صفاء - امتلاء - شفاء - صنعاء - هجاء - خضراء - بيضاء - عشواء - رفّاء - فأفاء .

(ا) استخرج من الأسماء السابقة ماهمزته أصلية وما همزته زائدة ، وما همزته منقلبة عن ياء ، وما همزته منقلبة عن واو . (ب) ثن من هذه الأسماء أربعة تكون الهمزة فى الأول أصلية . وفى الثانى زائدة ، وفى الثالث منقلبة عن ياء ، وفى الرابع منقلبة عن واو .

(ج) اجمع اسماً واحداً منها جَمْعَ مُذَكَّر سالما ، وبين حكم الهمزة فيه .

(د) اجمع اسما واحدا منها جمع مؤنث سالما ، وبين حكم الهمزة فيه .

٢ — من الفعل « سما » اشتق اسما منقوصا ، واسما مقصورا ، وخذ من مادته أيضاً اسما ممدودا ، ثم هات مثنى كل منها فى جملة .

٦ — هات اسما منقوصا ، واسما مقصورا ، واسما ممدودا من مادة الفعل « استشفى » . واجمع المنقوص جمع مذكر سالما ، ثن المقصور ثم اجمعه جمع مؤنث سالما ، واجمع الممدود أيضا جمع مؤنث سالما .

٤ — خذ من الفعل « اصطفى » اسما مقصورا ، واسما منقوصا ، واسما ممدودا ، واجمع الأول جمع مذكر سالما ، وثن الثانى ، والثالث فى جمل .

٥ — عين الأسماء الممدودة فيما يأتى ، وبين ماحدث فيها من التغيير عند التثنية والجمع

(ا) هاتان فتاتان هيفاوان قداهما سمراوين ، وعيناهما نجلاوان ، لكن الهم ينال من حوباويهما . (ب) إن من لايرى فضله مقلتاه عمياوان . (ج) قد اختط لنفسه فى الفكر والعمل طريقين عذراوين . (د) فى الشرق الأوسط والشرق الأقصى يثير الأمريكان حربين هوجاوين ، ولقد دسوا أنوفهم دساً فى هاتين الهيجاوين . (ﻫ) قال رجل يمدح آخر : لو قدرت لقددت لك من خد الهلال حذاوين . (و) سئل أعرابى ماذا تحب؟ : قال : البيضاوين . هند والفضة . (ز) سمع الشاعر ثناءين على قصيدته وثلاثة هجاءات .

(ح) قد يحمل الكريم فى صدره شحناء ، ويحمل اللئيم شحناء ، وشتان ما بين الشحناوين ،

(ط) إن لها عينين سوداوين أشد وقعا فى القلوب من طعنات السيوف . (ى) لقاءات الامم المتحدة مثمرة . (ك) لله ملك السماوات والأرضين . (ل) قال أعرابى كهل . فى قلبى داءان : داء من سحر الهوى ، وداء من حسرة المشيب . (م) شتان مابين بكاءين : بكاء عند الفرح ، وبكاء عند الأسى . (ن) ماعلمت حرباوين كوزيرين فى دولتين كبيرتين معروفتين .

٦ — المقاتل الأقوى عدة ، والأعلى تدريبا هو حامى الحمى .

اجعل الحديث فى هذه العبارة عن المثنى المذكر ، وجمع الذكور .

٧ — عَدّاء مصر هو السابق أو المصلى فى كل مباراة عالمية .

اجعل المبتدأ مثنى مرة ، وجمع مذكر سالما مرة فى هذه العبارة وغير مايلزم .

٨ — بانى السد العالى ماض فى سبيل بناء كل مجد ، وهو الأعلى جَدّا فى كل مجال والأوفى كلمة فى كل محفل .

٩ — سماء البلاد العربية وضاءة فى فصل الربيع .

ثن المبتدأ ، ثم اجمعه ، وغير مايلزم فى الحالين .

٦ — أَشْهَرُ أَسْمَاء الأَفْعَال المُتَدَاوَلَة

١ — صدر الميثاق فَسَرْعَانَ(١) ماشعرنا بثمرات غرسه .

٢ — هَيْهَات(٢) لعهدكم أيها المستغلون .

٣ — شَتَّان(٣) عهدان : عهد اندثر بظلمه وظلامه وعهد جاء بعدله ونوره .

٤ — وَىْ (٤) لقوم يرون النور ويقبعون فى الظلمات .

٥ — أُفٍّ (٥) لإقطاعىٍّ يحدث نفسه بالمستحيل من أمانيه .

٦ — بخ بخ (٦) ياجمال ! لقد نقلت مصر قرنا من الزمان فى ليلة .

٧ — هاك (٧) - ياصديق - كتابا فى تاريخ الاشتراكية .

٨ — هَيَّا (٨) إلى قراءة هذا الكتاب ، لتعلم أنا خطونا خطوات موفقة على طريق الكفاية والعدل .

٩ — هَلُمَّ (٩) ، فاشرح لأهل بلدك مايجهلون من أعماق الفكر الاشتراكى وأصوله الضاربة القدم .

١٠ — وراءكم(١٠) أيها المستعمرون ، فمالكم اليوم مكان فى الدول الاشتراكية .

١١ — عليكم(١١) أنفسكم ، ولا تطمعوا فيما لامطمع فيه .

١١ — إليك(١٢) عنا أيها المستعمر الممتص لدماء الشعوب .

١٣ — حذار (١٣) تسللا إلى ربوعنا .

١٤ — وأما أنت يا أمة العرب فدَرَاكِ مافات ، وخذى بأسباب الوحدة ،

١٥ — وَنزَال(١٤) إلى معركة يعلم فيها الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

(١) تأمل الكلمات التى تحتها خط فى العبارات السابقة تجدها تفيد معانى الأفعال ، ولكنها ليست أفعالا ؛ لأنها لاتقبل علاماتها ، من تاء الفاعل ، وياء المخاطبة ونحوهما ، ولهذا سميت أسماء أفعال أى أعلاما لمعانى هذه الأفعال ، ورموزا لها .

---

(١) سرعان : أسرع . (٢) هيهات : بعد . (٣) شتان: افترق . (٤) وى : أعجب .
(٥) أتضجر . (٦) بخ بخ :استحسن . (٧) هاك : خذ . (٨) هيا : تعال .
(٩) هلم : أقبل . (١٠) وراءكم : تأخروا . (١١) الزموا شأن أنفسكم .
(١٢) إليك : تنح . (١٣) حذار : أحذرك . (١٤) انزل .

(٢) لاحظ أن أسماء الأفعال فى الأمثلة الثلاثة الأولى تدل على الزمن الماضى ، فهى أسماء للأفعال الماضية ، وأسماء الأفعال فى الأمثلة ٤ ، ٥ ، ٦ تجدها تدل على المضارع فهى أسماء للأفعال المضارعة ، وأسماء الأفعال فى الأمثلة ٧ ، ٨ ، ٩ تجدها تدل على الأمر ، فهى أسماء لفعل الأمر ،

(٣) لاحظ أسماء الأفعال فى الأمثلة ١٠ ، ١١ ، ١٢ تدرك أن كلا منها قد يستعمل ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، فهى أسماء أفعال منقوله عن الظرف والجار والمجرور ، ويتصل بها ضمير الخطاب ، وهذا الضمير يتغير بتغيير المخاطب . ولاحظ أنها كلها أسماء لفعل الأمر .

(٤) لاحظ أسماء الأفعال فى الأمثلة ١٣ ، ١٤ ، ١٥ تجدها كلها على وزن « فَعَالِ » (بفتح الفاء وكسر اللام) ، وهى قياسية تستطيع أن تصوغ أمثالها من كل فعل ثلاثىّ متصرف تام ، فتقول من نشط وترك ، وكتب : نشاط ، وتراك ، وكتابِ بمعنى أنشط واترك ، واكتب ، وهكذا .

القاعدة

١ — اسْمُ الفِعْلِ كلِمَةٌ تدُل عَلَى معنى الفِعْل ، وَلَكِنها لا تتصَرَّف تَصَرُّفَهُ وَلا تَقبَلُ علامَاتِه .

٢ — اسْمُ الفِعْلِ ثَلاَثةُ أَقْسَام : اسْمُ فِعْل مَاضٍ ، وَاسْمُ فِعْل مُضَارع ، وَاسْمُ فِعْلِ أَمْر .

٣ — اسْمُ الفِعْلِ إمَّا مَوْضُوعٌ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ اسْمَ فِعْلٍ وَإمَّا مَنقُولٌ ، أَمَّا المَوْضُوعُ فَهُوَ لِلْمَاضِي وَالْمُضَارع وَالأَمر وَأَمَّا الْمَنْقُول فَهُوَ لِلأَمْرِ فَقَطْ ، وَيُنْقَلُ عَنْ الظَّرفِ ، وَالْجَارِّ وَالْمَجْرُور [1] وَيَتَّصِلُ بِهِ ضَمِيرُ الْمُخَاطَب ، وَيَتَغَيَّر الضَّمِير بتغير المخاطب .

أَمَّا المَوْضُوعُ فَلاَ يَتَغَيَّرُ لَفْظه مَعَ الْمُثَنَّى وَالْجَمْع .

٤ — كُلُّ أَسْمَاءِ الأَفْعَالَ مبْنِيَّة ، وَكلها سَمَاعِيَّة مَاعَدَا صيغة « فَعَالِ » فَهِى قِياسِيَّةٌ .

٥ — أَسْمَاءُ الأَفْعَالِ تَعْمَلُ عَمَلَ مُسَمَّاهَا .

---

(١) قد ينقل من المصدر مثل رويد ، وبله .

تمرينات

١ — استخرج كل اسم فعل من العبارات الآتية ، وبيّن معناه ، وزمنه :

(ا) تكلم تلميذ فى أثناء الدرس فقال له المعلم : صَهْ ، لا تضيع وقتك ووقت زملائك .
(ب) قال الوالد لابنه ناصحا : تذرع بالحلم ، وحذار أن تضيع حقك بالغضب .
(ج) فى القرآن الكريم : « وَيْ كأنّه لا يُفلحُ الكافرون » وفيه : « وغلّقتِ الأبوابَ وقالتْ : هَيْتَ(١) لكَ » ، وفيه : « والقائلينَ لإخوانِهمْ هَلُمَّ إلينا » .

(د) قال الشاعر القديم :

فدَعَوْا نَزالِ ، فكنت أولَ نازلٍ ... وعلام أركبه إذا لم أنزلِ

(هـ) قال المريض : أوّهْ(٢) ، لقد هدّني الدّاءُ العضال .

(ز) قال أعرابيّ :

وَاهاً لِسَلْمَى ثم واهاً واهَا(٣) ... هِيَ المُنَى لو أنّنا نلْناها

(ح) وقال أعرابى آخر . « وَا(٤)، بأبى أنتَ وفُوكِ »
(ط) رآنى مدرس الرياضة أعالج مسألة صعبة ، فقال : مَهْ يافتى ، ليس هذا هو الحل ، وهاك السبيل ، وأرشدنى . (ى) سمع رجل صديقه يتحدث حديثا أعجبه ، فلما هم بالسكوت قال : إيه(٥) يارجل . (ك) أمامك يا بُنىّ ، فالطريق أمامك معبد .
(ل) دونك الورق والقلم ، واكتب ما أملى عليك من رسائل . (م) مكانك تُحْمَدى أو تستريحى . (ن) عليك نفسك لا تتدخل فى شئون غيرك . (س) إليكَ ، لا تقدم لى عونا تمنّ علىّ به . (ع) رويد(٦) أخاك لا تعجل عليه ، فالسرعة مظنة الخطأ .
(ف) لقد قرأت كثيرا من كتب الأدب بله(٧) القصص . (ص) تراك وصل اللئيم ، فإن له غدْرة . (ق) لا تقل : آه ، عند النكبة ، وتجلد للشامتين . (ر) إذا نصح أبوك ، فقل : آمين ، ولا تزدْ . (س) يقول المؤذنون : « حىّ على الفلاح » ليدعوك إلى الصلاة .

٢ — أعرب ما يأتى :

(ا) عليك نفسك . (ب) دونك مكافأة لامتيازك . (ج) هيهات خِلٌّ كنا نواصلهُ . (د) تراك سوء الظن .

---

(١) هيت لك : هلم . (٢) أتوجع . (٣) واهاً : أتلهف . (٤) وا : أعجب .
(٥) إيه : امض فى حديثك . (٦) أمهل . (٧) أترك .

الاجابة

(ا) عليك : اسم فعل أمر بمعنى الزم . وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ونفسك مفعول به منصوب بالفتحة ، ونفس مضاف والضمير مضاف إليه فى محل جر .

(ب) دونك : اسم فعل أمر بمعنى خذ ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ، ومكافأة مفعول به منصوب بالفتحة ، ولامتيازك ، جار ومجرور ، ومضاف إليه .

(ح) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد ، وخل فاعله ، وكنا : كان واسمها ، ونواصله: فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن ، والهاء مفعول به وجملة (نواصله) خبر كان ، وجملة « كنا نواصله » نعت الفاعل (خِل) .

(د) تراك اسم فعل أمر (قياسىّ) ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وسوء الظن : مفعول به والظن . مضاف إليه مجرور بالكسرة .

٣ — أعرب العبارات الآتية :

(ا) إليك إعراب العبارة . (ب) دونك الجائزة التى وعدتك بها .

(ج) هيهات عهد السلام . (د) طَعَانِ كل عدو مخاتل .

٤ — ضع كلا من أسماء الأفعال الآتية فى جمل من تعبيرك :

مكانك ـ ورائك ـ سرعان ـ هاك ـ قَراءِ ـ زَحافِ ـ عليك ـ هلم ـ هات ـ رويدَ ـ بَلْهَ .

٥ — صغ من كل فعل ما يأتى اسم فعل يؤدى معنى الأمر منه :

عَزَمَ ـ ضَرَبَ ـ ثَبَتَ ـ جَلَسَ ـ بعُدَ ـ قفَزَ ـ وثَبَ ـ حَمِدَ ـ طمح ـ صرَع ـ ركِبَ ـ خفَضَ .

٦ — رويد المنى أيها المصرى ، مكانك فى المعركة ، ودونك السلاح ، ثم هجام ، لتموت أو تعيشَ عزيزاً ، فهيهات نصر بلا تضحيات .

خاطب بهذه العبارة المثنى المذكر ، وجماعة الذكور .

٧ — مه أيها التلميذ ، وعليك نفسَك ، أمامك ، وهلم إلى العمل ، ونشاطِ ، وإياك والخمول ، لتبنى مجداً لنفسك ولأمتك .

خاطب بالعبارة الآتية المفردة المؤنثة ، والمثنى المؤنث ، وجماعة الإناث .

٨ — (ا) سرعان ما بَنَتْ(١) ألمانيا اقتصادها بعد الحرب . (ب) رويد(٢) الخيال، وتراك قول « لو » فإن « لو » مفتاح الشر . (ج) هاك الكتاب ، وبله التأجيل .

أعرب هذه العبارات .

(١) تؤول ما والفعل بمصدر . (٢) رويد : مبنى غير منون .

٧ — كَمْ الاستفهاميّةُ ، وَكَمْ الخبرية

١ — سأل الشيخ حفيدته ، فقال : كم طالبةً كانت فى فصلك فى العام الماضى ؟ قالت : كان فى فصلى ثلاثون طالبة . فسأل : وكم طالبةً منهن نجحت فى الشهادة الإعدادية ؟ قالت : كلهن نجحن وقبلن بالمدرسة الثانوية .

٢ — عاد الشيخ يسأل : درجات كم طالبةٍ منهن كانت فوق الستين فى المائة ؟ قالت : درجات أكثرنا كانت فوق الستين — قال : وفى كم سنةٍ دراسية حصلت هؤلاء الطالبات على هذه النتيجة ؟ قالت فى سنة واحدة ، وكأنك ياجدى لا تثق بقدرتنا على الجد ومنافسة الفتيان .

٣ — قال الرجل : لكن : كم كانت تستذكر الطالبة فى كل ليلة ؟ قالت ثلاث ساعات أو أربع ساعات ، كما يفعل الفتيان .

٤ — اغتبط الرجل بإجابة حفيدته وقال : رحم الله قاسم أمين ! كم سنة كافح من أجل هذه الغاية ، وكم ليلة سهر فى سبيلها وكم من زعيم مصلح قاومه ، وكم من تهمة وجهت إليه وإلى أسرته .

٥ — قالت الحفيدة : إن عهدنا يختلف ياجدى ، فكم فتيات تقلدن مناصب عالية ونجحن ، وكم طبيبات ومهندسات يؤدين واجبهن على خير وجه ، وكم ربات بيوت فى المدن والقرى يقمن متطوعات بأداء رسالة اجتماعية لا قِبَلَ للرجال بها .

قال الرجل : كم من مؤامرات دبرت لقاسم أمين ؛ وكم من مشكلاتٍ ومتاعب لاقى فى سبيل تحقيق الهدف النبيل .

٦ — ليته يبعث اليوم ليبتهج بهذه الظاهرة العظيمة ، فكم تمنى أن يرى ثمرة كفاحه ، وكم خطب ، وكم كتب ، وكم كان واثقاً ببلوغ الغاية ونجاح الوسائل .

(١) لاحظ ما تحته خط فى الفقرة الأولى تجد « كم » ، وتشعر أن الشيخ يسأل بها حفيدته ويطلب بها جواباً عن عدد ، وتجد لها تمييزاً يليها ، وهو اسم مفرد منصوب ، فهى « استفهاميّة » .

(٢) تأمل كم الاستفهامية فى الفقرة الثانية تجد تمييزها مفرداً مجروراً ، وتدرك أن سبب ذلك أن كم قد سبقت بمضاف فى المثال الأول ، وبحرف جر فى المثال الثانى .

(٣) لاحظ كم الاستفهامية فى الفقرة الثالثة فلا تجد لها تمييزاً يليها ، لكنه مفهوم من السياق ، وهذا سر حذفه .

(٤) لاحظ «كم» فى الفقرة الرابعة تجد لها أربعة أمثلة، ولا تجدها تطلب جواباً، وإذا تأملت أدركت أنها تخبر عن كثرة مايليها، (سنة، ليلة، زعيم، تهمة)، وإذا أمعنت النظر لاحظت أن التمييز مفرد مجرور باضافة «كم» إلى التمييز أو بحرف جر فهى «كم الخبرية».

(٥) انظر إلى الفقرة الخامسة تجد فيها «كم» الخبرية خمس مرات، وتجد التمييز فيها كلها مجروراً، تارة بمن، وتارة بالإضافة (إضافة كم إلى التمييز).

(٦) أنظر إلى الفقرة السادسة تجد كم الخبرية، ولا تمييز لها، فقد حذف للدليل عليه، كما حذف فى كم الاستفهامية.

القاعدة

١ — «كَمْ» قَدْ يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ العَدَدِ، وَتَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ فَتَكُون اسْتِفْهَامِيَّة، وَقد تُفيدُ الإِخْبَارَ عَنِ الكَثْرَةِ وَلاَ تَطْلُبُ جَوَاباً، فَهِيَ خَبَرِيَّة.

٢ — تمييز الاسْتِفْهَامِيَّةِ مُفْرَدٌ مَنْصُوبٌ، إلاَّ إِذَا، سُبِقَتْ كَمْ باسْم أُضِيفَ إِلَيْهَا، أَو بِحَرْفِ جَرٍّ يَجُرُّهَا، فَتَمْيِيزُهَا يَكُونُ مُفْرَداً مَجْرُوراً.

٣ — تَمْيِيزُ الْخَبَرِيَّةِ قَدْ يَكُونُ مُفْرَدًا مَجْرُورًا بالإِضَافَة، أَوْ بِمِنْ، وَقَدْ يَكُونُ جَمْعاً مَجْرُوراً أَيْضاً بِالإِضَافَةِ أَوْ بِمِنْ.

٤ — قَدْ يُحْذَفُ تَمْيِيزُ كَمْ الاسْتِفْهَامِيَّة، وَتَمْيِيزُ كم الْخَبَرِيَّة إِذَا دَلَّ عَلَيْهِمَا دَلِيل.

تمرينات

١ — عين كم الخبرية، وكم الاستفهامية فى العبارات الآتية:

(ا) كم حروب خضتها، وكم قرن غلبت. وكم مصاعب اقتحمت.

(ب) بكم قرش اشتريت هذا المنظار؟

(ج) كم عدد الطائرات التى أغارت على الجبهة اليوم؟

(د) إن العدوّ لا يرعى القانون الدولى، فكم قرار خالف، وكم حريات انتهك، وكم دُورٍ حطّم، وكم من أطفال قَتَل، وكم نساء عَذب، لكن العرب سيقتصون منه لذلك كله.

٢ — أعرب ما يأتى:

(ا) كم بلداً تحرّر؟ (ب) كم جَلْسةً جلست إلى الطبيب؟ (ج) كم يوماً لبثت فى لبنان؟ (د) كم بلداً زُرْتَ هناك؟ (ه) كم فداناً عندك؟ (و) كم من كتاب قرأت فى الصيف. (ز) كم فتيات تقلّدْن المناصب وقد نجحن.

الاجابة

(ا) كم اسم استفهام، مبتدأ. بلداً: تمييز منصوب.
تحرر. فعل ماض مبنى، وفاعله ضمير يعود على بلداً، والجملة الفعلية خبر المبتدأ (كم).

(ب) كم: اسم استفهام، مفعول مطلق للفعل (جلس)، وجلسة: تمييز منصوب.
وجلست: فعل وفاعل، و (إلى الطبيب): جار ومجرور وجملة «جلست» نعت لجلسة.

(ج) كم: اسم استفهام ظرف زمان للفعل (لبث)، ويوما تمييز منصوب، ولبثت فعل ماض وفاعله. و (فى لبنان): جار ومجرور، ولبنان مجرور بالفتحة، لأنه ممنوع من الصرف.

(د) كم: اسم استفهام مفعول به مقدم للفعل (زرت) وبلدا: تمييز منصوب، وزرت فعل وفاعل. والجملة الفعلية صفة لبلدا، وهناك: اسم إشارة يدل على المكان (ظرف) فى محل نصب.

(هـ) كم: اسم استفهام مبتدأ، وفداناً: تمييز منصوب، وعندك: ظرف مكان، خبر المبتدأ (كم).

(و) كم: اسم يدل على كثرة العدد (خبرية) وهو يعرب هنا مفعولا به مقدماً للفعل (قرأت) ومن حرف جر، وكتاب: تمييز مجرور بمن، قرأت فعل وفاعل، (فى الصيف) جار ومجرور.

(ز) كم: اسم يدل على كثرة العدد (خبرية)، وهو يعرب هنا مبتدأ، وفتيات تمييز مجموع مجرور، لأن كم مضاف وفتيات مضاف إليه. تقلدن: فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ، والمناصب: مفعول به، و (قد نجحن) جملة حالية من نون النسوة (الفاعل).

٣ — أعرب الجمل الآتية:

(ا) كم قصة قرأت فى الصيف؟ (ب) كم مباراة رياضية قد شهدت؟
(ج) كم من شوارع فى المدينة قد أصلحت. (د) كم من قرية أضأناها.
(هـ) بكم قرش اشتريت قلمك؟ (و) درجات كم طالب زادت على خمسين فى المائة؟

٤ — أعرب كم والاسم الذى بعدها فيما يأتى:

(ا) كم مشروع صناعىّ نفذته الثورة! (ب) كم فداناً يمكن أن يملكه الفرد فى جمهوريتنا؟
(ج) كم سدًّا على النيل؟ (د) كم عيناً فى خزان أسوان؟
(هـ) كَمْ أيام ممتعة قضينا فى ربوع الريف! (و) كم مآذن ينادى فوقها باسم الله!

٥ — عبر عما يأتى مستخدماً «كم» الخبرية، واستوف أنواع تمييزها:

(ا) كثرة المعاهد العالية فى الجمهورية العربية المتحدة . (ب) كثرة المصايف التى زرتها فى الأعوام الماضية . (ج) كثرة اللعبات التى تمارسها فى الصيف .
(د) كثرة المحصولات الزراعية فى مصر . (هـ) كثرة المعلمات فى المدارس الإبتدائية .

٦ — قال الشاعر على لسان جبل .

وَكَمْ مَرَّ بى مِنْ مُدلِجٍ وَمؤوِّبٍ   وَقَالَ بِظِلِّى من مَطِىٍّ وَرَاكِبِ (١)

وقال آخر :

كَمْ وَاثقٍ بالنَّفْسِ نَهَّاضٍ بِهَا   سَادَ البَرِيَّةَ فِيهِ وَهُوَ عِصَامُ (٢)

اشرح البيتين وأعربهما بإيجاز .

الاجابة

(ا) البيت الأول :

المعنى : الناس يمرون بى ليلا ونهارا ، ويمضون وأنا مقيم لا أتحول . حتى مللت مقامى .

الإعراب : الواو على حسب ما قبلها ، وكم خبرية مبتدأ ، خبرها جملة « مَرَّ بى » وهى فعل وفاعله ضمير يعود على كم ، وضمير المتكلم فى محل جر بالباء . ومن حرف جر ، ومدلج تمييز مجرور بمن ، ومؤوب معطوف عليه (والشطر الثانى كالشطر الأول) .

البيت الثانى :

المعنى : كثير من الرجال الذين يثقون بقدراتهم ، ينهضون بهمة فيسودون الناس فى التاريخ وهم يعتمدون على أنفسهم لا على مجد آبائهم .

الإعراب : كم خبرية مبتدأ : واثق : تمييز كم مجرور بالإضافة . بالنفسْ : جار ومجرور متعلقان بواثق . نهاض تمييز آخر ، بها ، جار ومجرور ، يتعلقان بنهاض . ساد : فعل ماض وفاعله ضمير يعود على « كم » والجملة الفعلية خبر المبتدأ . والبرية مفعول به ، وفيه جار ومجرور (حال) وهو عصام ، جملة حالية مكونة من مبتدأ وخبر .

٧ — أعرب ما تحته خط فيما يأتى :

(ا) قال الشاعر :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِىَ صَالحٍ   بَوَّأْتُهُ بِيَدَىَّ لَحْدَا

---

(١) المدلج : الذى يسير الليل كله ـ المؤوب : الذى يسير النهار كله . قال : نزل وقت القيلولة .

(٢) فيه : أى فى التاريخ لأن البيت فى الحديث عن التاريخ . وعصام رجل ساد قومه اعتمادا على جهوده الخاصة ، ونسب إليه فقيل عصامى .

(ب) وقال الشاعر :

وَكَم مِنْ لَئِيمٍ وَدَّ أَنِّي شَتَمْتُهُ   وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلْقَمُ

(ج) وقال الشاعر :

وَكَم قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ   تَمُوتُ إِذَا لَمْ تَحْيِهِنَّ أُصُولُ

(د) وقال الله تعالى :

١ — « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ » .

٢ — « وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ، فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ نَائِمُونَ » .

٣ — « وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَت ظَالِمَةً ، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِين » .

٤ — « وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا » .

٨- حذف التنوين من العلم الموصوف بابن

بين عليّ ومعاوية

وجَّه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه جَريرَ بن عبد الله البَجليَّ إلى معاويةَ رَحمه الله، ليأخذه بالبيعة له، فقال له: إن حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، لكني اخترتك، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك: خيرُ ذي يمن. ائت معاوية فخذه بالبيعة. فقال جرير: والله يا أمير المؤمنين، ما أدخرك من نصرتي شيئا، وما أطمع لك في معاوية، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنما قصدي حجة أقيمها عليه. فلما أتاه جرير دافعه معاوية، فقال له جرير: إن المنافق لا يُصلّي حتى لا يجد من الصلاة بدًّا ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدأ، فقال معاوية: إنها ليست بخدعة الصبي عن اللبن؛ إنه أمر له ما بعده، فابلعني ريقي.

فناظر معاوية عمرو بن العاص. فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جريرٌ، فقال له معاوية: ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله، ثم كتب لعَمرو بمصر طُعْمَةً فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته بشعر فيه:

أتاني جرير والحوادث جَمّةٌ ... بتلك التي فيها اجتداعُ المعاطس

وكتب له رسالة ختمها بشعر منه:

أرى الشام تكره ملكَ العراق ... وأهلَ العراق لهم كارهينا

وكلا لصاحبه مبغضاً ... يرى كل ما كان من ذاك دينا

في القطعة ثلاثة أعلام هي: عليّ، وجرير، وعمرو، وَرَدَتْ مرّة موصوفة بكلمة ابن، ومرة غير موصوفة: جاءت موصوفة في:

«وجَّهَ عليٌّ بن أبي طالب»، «جرير بن عبد الله البجلي» «ناظر معاوية عمرو بن العاص»

وجاءت غير موصوفة في:

فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنما قصدي حجة.

فلما أتاه جرير دافعه معاوية» «ثم كتب لعَمْرٍو بمصر طعمة».

وإذا تأملتها في حالتيها: حالة الوصف، وعدم الوصف وجدتها فنونت في الحالة الثانية ولم تنون في الحالة الأولى، مع أنها غير ممنوعة من الصرف والتنوين بدليل تنوينها في الحالة الثانية.

فما السبب في عدم تنوينها في الحالة الأولى؟

بالتأمل يبدو لك أن السبب هو وصف الأعلام بكلمة «ابن» في الحالة الأولى.

الخلاصة

يُحْذَفُ تَنْوِينُ العَلَمِ إِذَا وُصِفَ بِابْنٍ .

تمرينات

١ — اقرأ العبارات الآتية ، ثم أجب عن الأسئلة بعدها :

(ا) من قادة العرب الأبطال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وعمرو بن معدى كرب وعلى بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص . (ب) ومن شعراء العرب المشهورين لبيد بن ربيعة وجرير بن الخطفى ، وزهير بن أبي سلمى وكعب بن زهير ، وأحمد بن الحسين المتنبي .

(ج) من أشهر خطباء العرب قُسّ بن ساعدة الأيادى ، وعلى بن أبي طالب ، وزياد ابن أبي سفيان ، والحجاج بن يوسف الثقفي .

(ا) اضبط بالشكل ماتحته خط مع بيان سبب الضبط . (ب) بين الأعلام التى لم تنون وسبب عدم تنوينها .

٢ — تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساء هن شرفُ مَنْ هُنَّ منه ؛ منهن أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصى بن أمية ، ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى . فكان الناس يرون فى هذا النسب أهدافا سياسية ، ويحرضون عبد الملك بن مروان على خالد . وفى ذلك يقول بعضهم :

عليك أمير المؤمنين بخالد ... ففى خالد عما تحب صدود
إذا ما نظرنا فى مناكح خالد ... عرفنا الذى ينوى وأين يريد .

(ا) عين فى القطعة الأعلام التى امتنع تنوينها بسبب الوصف بكلمة «ابن» . (ب) عين فى القطعة الأعلام التى امتنع تنوينها بسبب أنها مضافة . (ج) عين فى القطعة الأعلام التى امتنع تنوينها ؛ لأنها محلاة بأل . (د) أعرب ماتحته خط فى القطعة والبيتين .

٣ — قال عمر بن الخطاب لابنة هرم بن سنان : ما وهب أبوك لزهير بن أبي سلمى ؟ فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر . فقال عمر : لكن ما أعطا كموه لا يفنيه الدهر .

(ا) فى هذه العبارة ثلاثة أعلام موصوفة بكلمة « ابن » فأيها لم ينون بسبب الوصف بابن ، وأيها لم ينون بسبب آخر ؟ (ب) ما معنى قول عمر « ما أعطا كموه لا يفنيه الدهر » ؟ (ج) أعرب ما تحته خط فى العبارة .

٤ — محمد بن عبدالوهاب — عباس بن محمود — يزيد بن معاوية — جمال بن عبد الناصر — أحمد بن الحسين .

٥ — قال عمران بن حطان أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع وكان ضيفا عليه ، ثم دعاه لمقابلة عبد الملك بن مروان :

يارَوْحُ كم من أخى مثوى نزلت به قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى إذا خفت فارقت منزله من بعدما قيل : عمران بن حطان
قدَ كنت جارك حولا ما تروعنى فيه روائع من إنس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأدركنى ما أدرك الناس من خوف ابن مروان

(ا) لماذا امتنع تنوين كلمة « عمران » ؟ (ب) استخرج من الأبيات :

١ — اسما مجرورا بالياء ٢ — ظرفا للزمان ٣ — جملة فى محل جر ٤ — مصدرا مؤولا .

٩ — التَّصْغِيرُ

ا ـ أغراضه وصيغه

(١)

قال حسن (وهو تلميذ صغير يعيش فى القاهرة) : ذهبنا إلى قريتنا بعد الامتحان بأيام قلائل ، وقضينا الصيف فى منزل صغير بناه أبى فى المزرعة التى يملكها فى القرية ؛ وهو يطل على النهر الصغير الذى يمر بالقرية وحوله بستان فيه أشجار ، وأزهار .

وكثيراً ما كنت أستيقظ مبكراً ، وأطوف بالبستان فكان يجذب اهتمامى بلبل صغير لطيف يغرد ، وهو يقف على غصن لَدْنٍ من أغصان شجره مثمرة ، فيخيل إلى أنه ثمرة من ثمارها وقد كانت هذه النزهة القصيرة فى الصباح أجمل أوقات النهار عندى . وبعد أن قضينا أشهر الصيف عدنا إلى القاهرة قبل الدراسة بقليل ، ونحن فى صحة ونشاط .

(٢)

قال حسن (وهو تلميذ صغير يعيش فى القاهرة) : ذهبنا إلى قريتنا بُعَيْدَ الامتحان ، وقضينا الصيف فى مُنَيْزِلٍ بناه أبى فى المزرعة التى يملكها فى القرية ، وهو يطل على النُّهَيْرِ الذى يمر بالقرية ، وحوله بستان فيه أشجار وأزهار .

وكثيرا ما كنت استيقظ مبكراً ، وأطوف بالبستان . فكان يجذب اهتمامى بُلَيْبِلٌ يغرد وهو يقف على غُصَيْنٍ من أغصان شجرة مثمرة ، فيخيل إلىّ أنه ثمرة من ثمارها . وقد كانت هذه النزهة القصيرة أجمل أوقات النهار عندى . وبعد أن قضينا أشهر الصيف عدنا إلى القاهرة قُبَيْلَ الدراسة ، ونحن فى صحة ونشاط .

تأمل الكلمات التى وضعت تحتها خطوط فى القطعة (٢) وهى القطعة (١) نفسها ، تجدها حلت محل كلمة وصفتها فكلمة « بُعَيْدَ الامتحان » حلت محل : « بعد الامتحان بأيام قلائل »

وكلمة : مُنَيْزِل : حلت محل : منزل صغير :

وكلمة : النُّهَيْر : حلت محل : النهر الصغير .

وكلمة : بُلَيْبِل : حلت محل : بلبل صغير .

وكلمة : غُصَيْن : حلت محل : غصن لَدْن (ناعم) .

وكلمة : قُبَيْل الدراسة : حلت محل : قبل الدراسة بقليل .

ولعلك لاحظت أن المعنى لم يتغير بهذا التغيير الذى حدث فى بنية الكلمة وحذف الوصف ؛ وتدرك من ذلك أن التغيير فى البنية أغنى عن الصفة التى كانت فى العبارة قبل تغيير بنية الكلمة .

أما هذا التغيير فهو — كما ترى — يتلخص فى ضم الحروف الأول من الكلمة ، وفتح الحرف الثانى منها ، وزيادة ياء ساكنة بعد الحرف الثانى .

ولما كانت الصفة التى حذفت بعد التغيير تدل على تصغير فى الحجم كما تلاحظ فى الأمثلة رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ أو تقرب الزمان كما فى المثالين الأول والأخير، فإن هذه التغيير فى بقية الكلمات يسمى « التصغير » لكن الحقيقة أن أغراض هذا التغيير أكثر من تصغير الحجم، أو تقريب الزمان ، فقد يكون لتصغير شأن الإنسان كما تطلق على الرجل التافه الذى لا يحسن شيئا كلمة (رُجَيْل) ، وقد يكون للتمليح كما تقول لولد لطيف (وُلَيْد) ، وقد يكون لتقريب المكان كالزمان - كما تقول إن المدرسة بُعَيْد الجسر ، تريد أنها بعده بمسافة قصيرة . بل يكون لأغراض تخالف التقليل كما يقول بعض الناس للداهية العظيمة : « دُوَيْهِيَة » وهو على كل حال مقصده الاختصار ، وهو ميزة من ميزات اللغة العربية التى لا توجد فى غيرها على قواعد وضوابط مطردة كاللغة العربية .

وأنت تلاحظ أن الكلمات التى صُغِّرت ، قد صارت على وزن مُعَيَّن ، فالكلمات الثلاثية منها على وزن « فُعَيْل » ، والكلمات الرباعية قد صارت على وزن « فُعَيْعِل » فإن « بُعَيْد ، ونُهَيْر ، وغصَيْن ، وقُبَيْل ، على صيغة « فعَيْل » والكلمتان : منَيْزِل ، بلَيْبِل على صيغة « فعَيْعِل » وقد تكون على وزن « فعَيْعيل » إذا كانت الكلمة المصغرة خماسية فيها حرف علة قبل الآخر مثل عصفور ، فيصغر على « فعَيْعِيل » ومَنصُور يصغر على « فُعَيْعِيل » وكذلك مفتاح ونحوها .

وهذه الأوزان غير الأوزان الصرفية التى تعرفها فإن حروف الزيادة لا تدخل فى الوزن عند التصغير كما يحدث فى الميزان الصرفى، وإنما هذه الصيغ صيغ اصطلاحية خاصة بالتصغير . ويبدو لك ذلك إذا وزنت « مُنَيْزِل » مثلا وزن تصغير ، ووزن صرف .

الخلاصة

١ — التَّصْغِيرُ : تَحْوِيلُ الأَسْمَاءِ إِلَى صِيَغ « فُعَيْل » أو « فُعَيْعِل » ، أو فُعَيْعِيل للدَّلَالَة عَلَى صغر حَجْمِها ، أو قِلَّةِ شَأْنِهَا ، أَو قُرْبِ مكَانِها أَوْ زَمَانِها ، أَو غَيْرَ ذَلِكَ .

٢ — يُصَغَّرُ الاسْمُ الثُّلَاثِيُّ بِتَحْوِيلِهِ إِلَى « فُعَيْل » وَالرُّبَاعِيُّ إِلَى « فُعَيْعِل » وَالخماسِيُّ إِلَى « فُعَيْعِيل » .

تمرينات

١ — صغر الأسماء الآتية مع ضبطها :

قمر - حسن - كلب - فرع - حفل - عَلَم - جمل - نجم - روض .

٢ ـــ صغر الأسماء الآتية :

مكتب ـ مسرح ـ ضفدع ـ مقعد ـ برقع ـ ثعلب ـ برزخ ـ خندق ـ جورب ـ محسن ـ

٣ ـــ صغر الأسماء الآتية :

قنديل ـ منديل ـ مسكين ـ خنزير ـ غطريف ـ برميل .

٤ ـــ الأسماء الآتية مصغرة ، هات مكبرها فى جمل تامة .

رجيل ـ ذؤيب ـ دريهم ـ وليد ـ عليم .

٥ ـــ الأعلام الآتية وردت مصغرة ، اذكر الأعلام المكبرة منها :

حسين ـ سهير ـ نصير ـ زهير ـ نمير ـ حصين ـ كليب ـ خليف ـ دريد ـ عمير ـ كميت ـ عبيد ، بجير ـ هذيل ـ مسيلمة .

٦ ـــ صغر الكلمات الآتية :

زينب ـ قمطر ـ مقرىء ـ عيد ـ قفل ـ بُرد ـ هدهد ـ جمل ـ قلم ـ أرنب .

قال الشاعر يهجو رجلا كان مدحه فلم يُصِبْ منه مغنما :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بِالْمَدِيحِ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِى بِأَنَّكَ خَامِلٌ فِى النَّاسِ
نَادَيْتُ لَمَّا أَنْ جَسَسْتُكَ بِالْهِجَا أَكُلَيْبُ خُذْهَا مِنْ يَدَىْ جَسَّاسِ

(ا) اشرح البيتين .

(ب) فى البيتين اسم مصغر ، عينه ، واذكر مكبره . (ج) أعرب ماتحته خط فيهما .

ب ـــ تصغير ما اتصلت بآخره زيادة

— ١ —

سمعت صرخة عرفت فيها صوت أختى نُعَيْمَى ، فنهضت أبحث عنها ، فرأيتها على الشاطىء الآخر للنهر المقابل لمنزلنا ، فسرعان ما عبرت القُنَيْطِرَةَ ، فوجدتها تجالس القُرَيْفِصَاءَ ، وهى تردد : العقرب ! العقرب ! وترتعش . فبادرت بإسعاف الصغيرة الحُسَيْنَاء ، ثم بحثت عن العُقَيْرِبَاء فقتلتها ، وأنا أقول : أىَّ شقيراءَ عزيزة أصبت ياحُمَيْقَاءُ .

ثم لا طفت نُعَيْمَى ، وجمعت لها باقة من الزهر ؛ لأنى رأيت بجانبها زُهَيْرَةَ بيضاء كانت قطفتها . لكنى قدمت لها أزهارا منها الحُمَيْرَاءُ كلون الشفق ، ومنها الصُّفَيْرَاءُ كالزعَيْفِران ، وكلها نضارة نُعَيْمَى الشُّقَيْرَاءِ .

— ٢ —

وكان لنا بستانى اسمه سلمان ، وكنا ندعوه سُلَيْمَان لخفة ظله ، وجمال رُوحه ، وسَعة صدره حتى لا يُرى — أبدا — غُضَيْبَان .

وكان مخلصا يسهر الليل فى الحقل يُقَيْظَانَ مثل الدُّيَيْدِبَان(١) ، ولشد ما تألم لما أصاب نُعَيْمَى .

فى العبارات السابقة كلمات مصغرة نذكر لك مكبرها فيما يأتى لتعرف كيف صغرت :

	المصغر	المكبر	المصغر	المكبر
ا	زهيرة	زهرة	نُعَيْمَى	نُعْمَى
	الحُمَيْراء	الحَمْرَاء	الصُّفَيْراء	الصَّفْرَاء
	الحُسَيْنَاء	الحَسْنَاء	الشُّقَيْراء	الشَّقْراء
	سُلَيْمَان	سَلْمَان	غُضَيْبَان	غَضْبَان
ب	القُنَيْطِرة	القنطرة	القُرَيْفِصَاء	القرفصاء
	العُقَيْرِباء	العقرباء	الزُّعَيْفِرَان	الزعفران
	الدُّيَيْدِبَان	الديدبان		

فإذا عددت الحروف الأصلية فى الأسماء المكبرة فى الأمثلة (ا) ، وجدتها ثلاثة زيدت عليها تاء التأنيث فى (زهرة) ، وثلاثة زيدت عليها ألف التأنيث المقصورة فى (نعمى) .

وثلاثة زيدت عليها ألف التأنيث الممدودة فى الحسناء ، والشقراء ، والحمراء ، والصفراء) وثلاثة زيدت عليها الألف والنون فى (سلمان) و (غضبان) . ولذلك عوملت هذه الأسماء كلها معاملة الاسم الثلاثى عند التصغير .

ضُمَّ أوَّلُها ، وفتح ثانيها ، وزيدَتْ الياءُ الساكنةُ بعد الحرف الثانى ، ولم يحدث فيها أى تغير سوى هذه الأعمال الثلاثة التى تحول الاسم الثلاثى إلى صيغة (فُعَيْل) .

وإذا عددت حروف الأسماء المكبرة فى (ب) وجدتها أربعة زيدت عليها تاء التأنيث فى (قنطرة) ، وأربعة زيدت عليها ألف التأنيث فى (القرفصاء والعقرباء) وأربعة زيدت عليها ألف ونون فى (زعفران ، وديدبان) ولذلك عوملت معاملة الاسم الرباعى الذى ليس فيه بعض هذه الزيادات عند التصغير : ضُمَّ أوَّلُه وفتِح ثانيه ، وزيدت عليه ياءٌ ساكنة بعد الثانى وكُسِرَ مابعد الياء الساكنة الزائدة .

ولم يحدث فيها أى تغيير سوى هذه الأعمال الأربعة التى تحول الاسم الرباعىّ إلى صيغة « فُعَيْعِل » .

الخلاصة

١ — يُصَغَّرُ تَصْغِيرَ الثُّلاثِيِّ كُلُّ اسْمٍ ثُلاثِيِّ الأُصُولِ خُتِمَ بِياءِ التَّأْنِيث ، أو أَلِفِهِ المَقْصُورَةِ أو المَمْدُودَةِ أو الأَلِفِ وَالنُّونِ الزَّائِدَتَيْنِ .

٢ — يُعامَلُ مُعامَلَةَ الرُّباعِيِّ فِي التَّصْغِيرِ كُلُّ اسْمٍ لَحِقَتْهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ تاءُ التَّأْنِيثِ أو أَلِفُهُ المَمْدُودَةُ ، أو الأَلِفُ وَالنُّونُ الزَّائِدَتانِ .

تمرينات

١ — صغر الأسماء الآتية :

غضبان ـ حيران ـ جوعان ـ عمران ـ سعدان ـ صحراء ـ ليلى ـ مَدْرَسة ـ مكتبة ـ عندنان ـ وسنان ـ عطشان ـ بشرى ـ سُعْدى ـ أربعاء ـ مهرجان ـ نعمان ـ هندباء ـ مرحلة ـ خنساء ـ عقربان .

الاجابة

الاسم	مصغره	الاسم	مصغره
غضبان	غُضَيْبان	عطشان	عُطَيْشان
حيران	حُيَيْرَان	بشرى	بُشَيْرَى
جوعان	جُوَيْعَان	سعد	سعَيْدَى
عمران	عُمَيْران	أربعاء	أرَيْبِعَاء
سعدان	سُعَيْدَان	مهرجان	مُهَيْرِجان
صحراء	صُحَيْراء	نعمان	نُعَيْمان
ليلى	لُيَيْلَى	هندباء	هُنَيْدِباء
مدرسة	مُدَيْرِسة	مرحلة	مُرَيْحِلَة
مكتبة	مُكَيْتِبه	خنساء	خُنَيْسَاء
عدنان	عُدَيْنَان	عقربان	عُقَيْربان
وسنان	وُسَيْنان	كسلان	كُسَيْلان

٢ — صغر الأسماء الآتية وبين التغيير الذى يحدث فى كل كلمه .

نظارة ـ مسطرة ـ خنفساء ـ وردان ـ نحلة ـ منزلة ـ حسنىً ـ بيداء .

٣ — اذكر مكبر كل من الكلمات الآتية :
مُسَيْبِحة ـ قُطَيْرة ـ وريدة ـ وريقة ـ وريقاء ـ مكينسة .
٤ — صغر الكلمات الآتية ، ثم ضعها فى جمل :
ترجمان ـ سلمى ـ أسعد ـ سعيد ـ ثعلبان ـ أحمد .
٥ — قال الشاعر :

سِرْ إنِ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا لا اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ

(ا) ماذا يريد الشاعر أن يقول ؟ (ب) عين الاسم المصغر فى البيت واكشف عن معناه فى المعجم .

(حـ) فى أى باب وأى فصل من القاموس المحيط تكشف عن معنى « رفات » ؟
(د) بين فى البيت حرف عطف وعين المعطوف والمعطوف عليه ، وإعراب الأخير .

حـ — تصغير المعتل والمضعف

الأمثلة :

١ — (ا) لمنزلنا الريفى بابان أحدهما أماميّ فى الجهة الشمالية . والآخر بويب خلفيّ فى الجهة القبلية . (ب) لنا جوير لا يكف عن الصياح ؛ لغياب أمه فى عملها .
٢ — (ا) لا قُوَيْمة للرجل إذا لم يخدم وطنه . (ب) مُوَيْتَة كريمة خير من حياة ذليلة .
٣ — (ا) من آية إخلاص المُيَيْسر أن ينفق من ماله فى البعثات الرسمية . وحسنه نيابته عن أمته . (ب) كل ذى عمل يستيقظ مبكرا ، والحريص على المواعيد له مُيَيْقظ يوقظه فى الوقت المناسب .

٤ — (ا) كل نييب يكبر فيصير نابا . (ب) كل عييب يصوّره الناس عاباً .
٥ — (ا) أنقذ المتهم شُوَيْهِد برّأه من تهمته وقد صدقه القاضى لبراءته وطهارته .
(ب) يطلق النقاد على الكاتب الناشىء (كويتب) .
٦ — (ا) يجمع التلميذ النابه مقالاته فى كتيّب يودعه مكتبة المدرسة . (ب) أعجب أخى الصغير غُزَيِّل فى حديقة الحيوان . (حـ) شرب الغنم من جُدَيِّل يترقرق ماؤه .
(د) خطونا خطية نحو التنظيم تتلوها خطوة وخطوات . (هـ) إن العصا من العُصَيَّة
(و) لابد للناجح من حُسَيِّد يحسده .
٧ — (ا) التقط الطفل عُصَيْفِيراً حديث الولادة ، سقط من عش فوق شجرة .
(ب) القراءة على ضوء مصيبيح تضعف البصر .
٨ — (ا) وضع التلميذ كراساته على رفيف فى مكتبته . (ب) لى عُميم أنا أكبر منه سناً .

(ا) تأمل الأسماء المصغــــرة فى الأمثلة (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) تجدها قبل التصغير أسماء ، حرفها الثانى من حروف العلة ، ففى (١) (باب) و (جار) وفى (٢) : (قيمة) (ميتة) ، وفى (٣) : موسر ، وموقظ ، وفى (٤) : (ناب) ، و (عاب) وفى (٥) : (شاهد) ، و (كاتب) . وتجد الحرف الثانى عند التصغير فى جميع هذه الكلمات لم يبق كما كان فى الاسم المكبر ، بل تغير فقلبت الألف فى (١) واوا وقلبت الياء فى (٢) واوا ، وقلبت الواو فى (٣) ياء ، وقلبت الألف فى (٤) ياء ، وقلبت الألف ، فى (٥) واوا .

وإذا بحثت عن السبب وجدت حروف العلة فى جميع الأمثلة ماعدا (٥) قد أعيدت إلى أصلها . فالألف فى (باب) أصلها واو فردت إلى أصلها ، والياء فى (قيمة) أصلها واو ، فردت إلى أصلها ، والواو فى موقظ أصلها (ياء) فردت إلى أصلها والألف فى (باب) أصلها ياء فردت إلى أصلها ، وهكذا الباقى . أما فى (٥) فإن الألف زائدة ليست من أصول الكلمة ، فتقلب واواً . ونخلص من ذلك كله أن الحرف الثانى إذا كان ألفا ، أو واوا ، أو ياء ، فإن كان أصليا رُدّ إلى أصله ، وإلا قلب واوًا .

(ب) أنظر بعد ذلك إلى الأمثلة فى رقم (٦) تجد حرف العلة فى الاسم المكبر يقع بعد الحرف الثانى (كتاب - غزال - جدول - خطوة - عصا - حسود) ، وعند التصغير تكون الياء الساكنة بعد الثانى ، ويكون حرف العلة بعد الياء الساكنة ، فيقلب ياء سواء أكان ألفاً ، أم كان واوا . وإذا كان ثالثاً فى الاسم المكبر .

(حـ) انظر إلى المثالين فى رقم (٧) تجد الواو فى عصفور ، والألف فى مصباح تقع بعد الحرف الذى يلى الياء الساكنة وهو مكسور فى صيغة «فعيعيل» ، ولذلك يقلب ياء .

(د) انظر إلى المثالين فى رقم (٨) تجد الاسمين المكبرين هما (رف - عمّ) وهما مضعفان ، وقد رأيت هذا التضعيف قد زال عند التصغير .

الخلاصة

١ — إِذَا كان ثانى الاسم حرفَ عِلَّة منقلبا عن حرف من أحْرُفِ العِلَّةِ رُدَّ إلى أصله عند التصغير .

٢ — إذا كان ثانى الاسم ألفاً زائدةً قُلِبتْ واوًا فى التصغير .

٣ — إذا كان ثالثُ الاسم ألفاً أو واوًا قلبتا ياءً عِنْدَ التصغير .

٤ — كُلٌّ من الواوِ الرابعة والألفِ الرابعة فى تصغير الخماسىّ تُقْلبُ ياءً عند التصغير على صيغة « فُعَيْعِيل » .

٥ — يُفَكُّ إِدْغَامُ الثُّلاثِىِّ المُشَدَّدِ عِنْدَ التصغير .

تمرينات

١ — صغر الأسماء الآتية :

غار ـ غاب ـ ريف ـ ميزة ـ عيد ـ عود ـ مورق ـ موقن ـ عمود ـ مقال ـ صبور ـ ميعاد ـ موئس ـ طائر .

نموذج الإجابة

الاسم	مصغره	الاسم	مصغره
غار	غُوَير	غاب	غُيَيب
ريف	رُييف	ميزة	مُيَيْزَة
عيد	عويد	عود	عويد
مورق	مويرق	موقن	مُيَيْقن
عمود	عميّد	مقال	مقيّل
صبور	صبيّر	ميعاد	مويعيد
موئس	مييئس	طائر	طويئر

٢ — صغر الكلمات الآتية وضعها فى جمل :

رسول ـ أسوان ـ خالد ـ باقة ـ ساعة ـ صيغة ـ ريبة ـ ميقات ـ ميزان ـ حَسّان .

٣ — صغر الكلمات الآتية ، وبين التغيرات التى طرأت عليها .

منصور ـ مفتاح ـ عش ـ دب ـ هم ـ قطة ـ باع ـ قاع ـ فيل ـ ناقة ـ زينة ـ عار ـ عامل ـ قائم ـ ناهض .

٤ — استخرج الكلمات المصغرة فى العبارات الآتية . وبين ماحدث فيها من التغيير .

١ — كل امرىء يشكو هُميمه إلى الله .

٢ — رأيت حويرثا يسوق ثورين وكأنه مهندس فى تخطيطة .

٣ — تنزل بعض الصويعقات فى جزر المحيط الهندى .

٤ — صار العامل الزراعى مويلكا الأرض التى كان يزرعها .

٥ — يسعى بعض الناس إلى مجيد زائف .

٦ — يستعمل التلاميذ فى غرفة الأشغال الفنية مُنَيْشِيراً ، وقُدَيما .

٧ — إذا قامت الحرب الثالثة كانت الدويهية التى لاتبقى ولا تذر .

٨ — بعض الحراس لايعدو أن يكون ذؤيبا يحرس ، أو لصيصا يتظاهر بالأمانة .

٩ ــ قال الشاعر القديم :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ
غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ

(ا) بَيِّن الأسماء المصغرة فى البيتين ، واذكر مكبرها . (ب) اكشف فى معجمك عن الكلمات . غراء ـ فرعاء ـ عوارض ـ الوجى . (ج) اشرح البيتين .
(د) صغر الكلمات : غَرَّاء ـ فَرْعاء ـ الوَجى ـ وداع .

د ــ تصغير المؤنث الثلاثى

مَـــلَك

ملَك طفلة صغيرة كثيرة الحركة فى الفصل ، قالت لها مدرستها يوماً : يا « مليكة » لا تتكلمى كثيراً واجلسى معتدلة . قالت « ملك » إن « نويرة » « وفويزة » ، و « زيبب » يحدثننى ويسألننى وأنا مضطرة ألا أخاصمهن ! فقالت هدى وهى تلميذة فى الفصل ، إن « مليكة » على حق ، فزينب ، ونور ، وفوز يكثرن من سؤالها . فقالت ملك : أشكرك يا « هُدَيّة » ،

البحث

فى العبارات السابقة أسماء لأربع فتيات هذه الأسماء هى : « ملك ، وهدى » ونور ، وفوز ، واسم فتاة خامسة هو « زينب » وقد لاحظنا أن هذه الأسماء وردت مصغرة فزيدت تاء التأنيث فى « ملك » ، « فوز » ، « ونور » ، « وهدى » ولم تزد التاء فى « زينب » وندرك من ذلك أن الاسم الثلاثى المؤنث عند التصغير تزاد عليه تاء ، بخلاف الاسم غير الثلاثى فلا تزداد فيه التاء .

الخلاصة

إِذَا صُغِّرَ الاسمُ الثُّلَاثِيُّ المُؤَنَّثُ ، وَكَانَ خَالِيًا مِنْ عَلَامَةِ التَّأْنِيث لَحِقَتْ آخِرَهُ تاء التَّأْنِيث .

تمرينات

١ ــ صغر الأسماء الآتية ، وبين السبب فيما طرأ عليها من تغيير خاص .

سوق ـ قدم ـ نار ـ دار ـ بئر ـ أم ـ أرض ـ عين ـ أذن ـ كأس ـ فأس .

نموذج الإجابة

الكلمة	تصغيرها	بيان ما طرأ عليها من تغيير
ســـوق	ســـويقة	زيدت التاء ؛ لأنها ثلاثى مونث
قـــدم	قديمة	» » » » » »
نار	نويرة	قلبت الألف واواً لأن أصلها واو، وزيدت التاء . لأنها ثلاثى مؤنث
دار	دويرة	قلبت الألف واواً وزيدت التاء لأن الألف أصلها واو ، ولأنها ، مؤنث ثلاثى .
بـــئر	بؤيرة	زيدت التاء ، لأنها مؤنث ثلاثى .
أم	أميمة	فك الإدغام، وزيدت تاء لأنها مؤنث ثلاثى
أرض	أريضه	زيدت التاء ؛ لأنها مؤنث ثلاثى
عين	عيينـــه	زيدت التاء ، لأنها مؤنث ثلاثى
أذن	أذينـــة	زيدت التاء . لأنها مؤنث ثلاثى
كـأس	كئيسة	» » » » » »
فأس	فؤيسة	» » » » » »

٢ — صغر الأسماء الآتية ، وبين ما طرأ عليهـــا من تغيير خاص (وهى كلها أعلام لمؤنث) : جُـمُـل - بـثـن - مريم - حسن - قمر - غصن - فاطمة - منى - نعم .

٣ — صغر الأسماء الآتية ، وضعها بعد التصغير فى جمل :

بوق - ذوق (اسم فتاة) - دون - خِوان - ثور - سحابة - كسول ، مقود - ذلول - عصا - رجل - ريح - نَـفْس - دلو - .

٤ — قال الشـاعر :

وقد عَلِمَت عِرْسِى مُلَيْكَةُ أنَّنى
أنا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عَلَيْهِ وعَادِيَا

(ا) بين الاسم المصغر فى البيت . (ب) صغر الكلمات : عرس : عادى - ليث :
(ح) اشرح البيت (د) أعربه :

ه — تصغير الجموع

الأمثلة :

(ا) ما أعظم أثر الأزيهار تقدم للأصيحاب ، والأحيباب !
(ب) سرعان ما انقضت أشَيهر الصيف التى قضيناها فى مرمى مطروح .
(ح) من أجمل ما رأيت فى المتحف تلك الأعيمدة الرخامية الملونة .
(د) فجعتنا حوادث الأيام بأخ عزيز توفى وله غليمة ضعاف .

٢ (ا) مات الصديق عن جويريات لايدرين فداحة المصاب . ولم يترك لهن غير دريهمات .
(ب) فى كل مصنع صُنَّاع مهرة ، وصُوَيْنِعون ، ولكلٍّ أجره على حسب مهارته الفنية .

١ — تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجد فيها الكلمات المصغرة . أزيهار وأصيحاب ، وأشيهر ، وأعيمدة، وغُلَيْمَة ، وتستطيع أن تفهم أن مكبَّرها: أزهار ، وأنهار ، وأشهر ، وأعمدة ، وغلمة . وهى كلها جموع ، وفيها أسماء رباعية ، وأسماء ثلاثية ، وخماسية فأزهار وأصحاب خماسية ، وأعمدة رباعية وأشهر رباعية ، وغلمة ثلاثية ، ولكنك تلاحظ أن الخماسية وهى أزهار وأصيحاب . صغرت تصغير الثلاثى ، ومن ذلك تدرك أن الجمع الذى على وزن « أفعال » يصغر تصغير الاسم الثلاثى ، أما ما كان على وزن « أفْعِلة » كأعمدة أو « أفْعُل » كأشْهُر ، فإنها تصغر تصغير الرباعى ، المفرد ، وأما ما كان على وزن فِعْلَة كغلمة ، فيصغر تصغير الثلاثى .

ثم تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد الكلمات المصغرة هى : جويريات ، ودريهمات وصوينعون . وتستطيع أن تدرك أن مكبر جويريات هو « جوارى » ومكبر دريهمات هو « دراهم » ومكبر « صوينعون » هو صناع . ولكننا لم نصغر هذه الجموع على لفظها بل أتينا بمفردها وصغرناه ثم جمعناه ، غير أننا نجمعه جمع مؤنث سالما إذا كان مؤنثا ، كما فى « جوارى » فإن مفردها « جويرية » جمعناه على « جويريات » وأما دراهم مفرده درهم فصغرناه على « دريهم » ثم جمعناه جمعاً مؤنث سالما لأنه لغير العاقل .

أما صناع فإن مفرده « صانع » صغرناه على « صوينع » ثم جمعناه جمع مذكر سالما ومن ذلك تدرك أن الجمع إذا لم يكن على الأوزان المذكورة فى الطائفة الأولى (أفعال، أفعلة، أفعُل ، فِعله) فإن تصغيره يكون بتصغير مفرده ، ثم جمعه . فإذا كان لمذكر عاقل جمع جمع مذكر سالما ، وإذا كان لمؤنث أو لغير عاقل جمع جمع مؤنث سالما .

الخلاصـــة

١ — إذا كان الجمع على وزن أفْعَال أو أفْعُل ، أو أفْعِلَة أو فِعْلة ، صغر على لفظه ، غير أن الوزن الأول يعامل معاملة الاسم الثلاثى .

٢ — إذا كان الجمع على غير الأوزان السابقة يصغر مفرده ، ثم يجمع جمع مذكر سالما إذا كان لعاقل ؛ وجمع مؤنث سالما إذا كان لمؤنث أو لغير عاقل .

تمرينات

١ — صغر الأسماء الآتية :

أعباء ـ أنظمة ـ ظرفاء ـ أرغفة ـ أغربة ـ أبطال ـ أعلام ـ رقاب ـ مُدًى ـ قرى ـ أسطر ـ جيرة ـ صواحب ـ علِيَة ـ سيوف ـ ضيوف ـ أصناف ـ رُباً ـ فتية ـ صبية .

نموذج الأجابة

الكلمة	تصغيرها	الكلمة	تصغيرها
أعباء	أعيباء	أنظمة	أنيظمة
ظرفاء	ظُرَيِّفون	أرغفة	أريغفة
أغربة	أغَيْرِبة	أبطال	أُبَيْطال
أعلام	أعَيلامَ	رقاب	رُقَيْبَات
مدى	مُدَيَّات	قرى	قريَّات
أسطر	أسيطر	جيرة	جويرة
صواحب	صويحبات	عليه	عُلَيِّة
سيوف	سويفات	ضيوف	ضييفون
أضياف	أضَيِّاف	ريا	ريَّيات
فِتية	فُتَيَّة	صِبية	صُبَيَّة

٢ — صغر كل اسم من الأسماء الآتية :

أقلام ـ نسور ـ أطعمة ـ خطَا ، أجمال ـ أصلاب ـ أزمّة ـ أشربة ـ أكلب .

٣ — هات مكبر الأسماء المصغرة الآتية :

مصينع ـ صغيرى ـ تويج ـ سنيِّم ـ مزينة ـ صويمعات .

تمرينات عامة

على التصغير

١ — صغر الأسماء الآتية :

نفس ـ أنفس ـ نفوس . كاب ـ كلاب ـ أكاب ـ أنهار ـ أنهر ـ كتب ـ صور ـ قربه نجلاء ـ كثبة ـ بررة ـ شجرة ـ جرحى ـ قتلى ـ مرضى ـ قردة ـ ركع ـ سجد ـ عذّال .

٣ — الأسماء الآتية أعلام لفتيات ، فصغرها :
سَحَر - مَهَا - سعاد - رباب - رضا - شمس - عز - أمل - بدر - ضحا .
٣ — الأسماء الآتية أسماء مؤنثة ، فصغرها : ساق - سنّ - أذن - رِجْل - كف - ضلع .
٤ — صغر الأسماء الآتية ، وبين ماحدث فى بعضها من إعلال : غزوة - صبور - جدول - ربوة - غراب - عماد - رباط .
٥ — اذكر مكبر الأسماء الآتية : قُسَيِّمة عُدَيّة - فُتَيَّا - قُصَيّا - مُخيلية
٦ — صغر الأسماء الآتية مع بيان ما يطرأ عليها من تغيير (إن كان) : آخر - آكل - صباح - شراع - جسور - ثروة - هفوة - عائشة صادق - دلو - مروان - رشوان غسان - دهان -
٧ — بُحَيرة - الكُوَيت - بُجَير - زُهَير - كُثَيِّر - بُثَينة -
ضع كل كلمة من الكلمات المصغرة السابقة فى مكانها المناسب فيما يأتى :
١ — سيكون ماء السد العالى أكبر . . . صناعية فى العالم .
٢ — . . . إقليم عربى على شاطىء الخليج العرب .
٣ — أسلم . . . بن . . . قبل أخيه كعب بن زهير .
٤ — من شعراء الغزل فى العصر الأموى . . . غزة وجميل . . .
٨ — صغر الأسماء الآتية وبين ماحدث فيها من تغيير : خيفه - سيف - سيرة - بدّال - جزار - ميزان - كروان - عضو - أسود .
٩ — اذكر مكبر كل من الكلمات الآتية ، وبين ما أحدث التصغير فيها . حسيّم - صويغة - سوَيْقة - سُوَيْقية - شويعر - أميمة - عشيم .
١٠ صغر الأسماء الآتية مع بيان سبب التغيير إذا حدث :
حال - عادة - ريش - ريبة . غار - صائم - ناد .
١١ — صغر الأسماء الآتية ، وبين سبب التغيير إذا حدث تغيير :
عدنان - ريان - سكران - صديان - أحور - كبوة - رسالة .
١٢ — قد يوصف الرجل بالحسن فيقال له « حسّان » وقد يوصف بالحس المرهف فيقال : « حسان » فصغر كلا من الصفتين ، وبين سبب التغيير « إذا حدث »
١٣ — شمس - قمر - نور - ورد .
قد يسمى بهذه الأسماء رجال « وقد يسمى بها نساء فصغرها على الاعتبارين » .

١٤ — ثُرَيّة - ثُرَيّا .

هات مكبر كل من هاتين الكلمتين .

١٥ — « مدرسة » .

صغر هذه الكلمة ، ثم زنها على ميزان التصغير مرة ، وعلى الميزان الصرفى مرة أخرى .

١٦ — صغر الكلمات الآتية :

مصفاة - صحراء - شكوى - مهاة .

١٧ — قال المتنبى :

ماأبعد العيب والنقصان من شرفى ‏ ‏ ‏ أنا الثريا وذان الشيب والهرم

(ا) هات مكبر الاسم المصغر فى البيت . (ب) اشرح البيت . (ج) أعربه .

(د) صغر الأسماء : العيب - النقصان - الشيب .

١٨ — قال أبو العلاء المعرى :

وَكَمْ مِنْ طَالِب أَمَدِى سَيَلْقَى ‏ ‏ ‏ دُوَيْنَ مَكَانِي السَّبْعَ الشِّدَادَا

(ا) عين الاسم المصغر فى البيت . (ب) اشرح البيت . (ح) أعرب ما تحته خط فيه .

(د) صغر الكلمتين طالب - الشداد .

١٩ — قال الشاعر القديم :

لَوْلا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ العدَمِ ‏ ‏ ‏ وَلَمْ أقَاسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ

(ا) عين اسماً مصغراً فى هذا البيت واذكر مكبره . (ب) اشرح البيت .

(ح) إذا عرفت أن الدُّجَى جمع « دُجْيَة » فصغر هذا الجمع .

وصغر « الظلم » . (د) أعرب البيت .

٢٠ — قال الشاعر فى صديق له حُبِسَ وقيِّد وكان بينهما قطيعة :

خَبَرٌ أَتَانِي عَن عُيَيْنَة مُوجِعٌ ‏ ‏ ‏ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الأَكْبَادُ

لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ ‏ ‏ ‏ أَمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الأَقْيَادُ

نَحَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّه ‏ ‏ ‏ عِنْدَ الشَّدَائِد تَذْهَبُ الأَحْقَادُ

(ا) اشرح الأبيات . (ب) اذكر اسماً مصغرا فيها . (ج) أعرب ما تحته خط منها . (د) صغر الكلمات : الأحقاد ـ الشدائد ـ موجع ـ النصيحة .

٢١ ـــ قال الشاعر يشكو الزمن :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ، نَالَ النَّاس حَظَّهُم وأَخْطَأَتنِي مَعَ اسْتِحْقَاقِهَا الرُّتَبُ
وَعَاقَنِي عَنْ طِلَابِهَا أُصَيْبِيَةٌ يَأْبَى فِرَاقَهُمُ الإِشْفَاقُ وَالْحَدَبُ

(ا) استخرج كلمة مصغرة فى البيتين . (ب) اشرح البيتين . (ج) أعرب ما تحته خط فيهما . (د) استخرج منهما جملة محل رفع .

النسب

ا — طريقته

ب — المختوم بالتاء

القرية فى الصين

يغمر القرية الصينية نشاط ثقافى رياضى يدعو إلى الإعجاب، فقد نهضت فيها الحركة التعاونية والجمعيات التعاونية تتلقى من الحكومة عونا ماديا وفنيا ؛ فلكل جمعية مكتبة ريفية. ونشرات زراعية ، وقاعة للاحتفالات ، وردهة يجتمع فيها الفلاحون للتسلية فى أوقات الفراغ ، وساحات لمختلف الألعاب الرياضية ، ومتجر تعاونى ، وعيادة طبية ، ومخزن للأسمدة ، والآلات الحديثة . ونحن نعجب بالشعب الصينى ؛ لأنه يعمل فى صمت لبناء وطنه وهو صديق للشعب المصرى ، ولا زلنا نذكر مظاهر للصداقة والود أيام العدوان الغادر على بور سعيد المدينة العربية الباسلة .

البحث

(ا) تأمل الكلمات التى تحتها خط فى القطعة السابقة تدرك أن :

كلمة : ثقافى ، منسوبة إلى ثقافة .

وكلمة : رياضىّ منسوبة إلى رياضة .

وكلمة تعاونية منسوبة إلى تعاون .

وكلمة زراعية منسوبة إلى زراعة .

وكلمة ماديا منسوبة إلى مادة .

« فنية منسوبة إلى فن .

« الصينىّ منسوبة إلى الصين .

« المصرىّ منسوبة إلى مصر .

« العربية منسوبة إلى العرب .

وتجد أن هذه الكلمات المنسوبة نسبت إلى وطن أو جنس . أو صفة ، أو غير ذلك . وأنها قد نسبت إلى هذه الأشياء رغبة فى توضيحها أو تخصيصها بناحية من نواحى الحياة أو أعمالها ، ومن أجل ذلك تصير الكلمة المنسوبة صفة للمنسوب بعد أن كانت اسما للمنسوب إليه وأنها قد صارت كذلك بسبب زيادة ياء مشددة مكسور ماقبلها على الاسم المنسوب إليه ، ولذلك تسمى هذه الياء «ياء النسب» ؛ لأنها هى التى حولت الاسم من منسوب إليه إلى منسوب .

(ب) أعد النظر إلى الكلمات الآتية : (ثقافىّ - رياضىّ - مادىّ) تجد الاسم المنسوب إليه فيها هو (ثقافة ، رياضة ، مادة) وهى أسماء مؤنثة بتاء التأنيث وتجد أنّ هذه التاء قد حذفت عندما ألحقت ياء النسب بالكلمات المنسوبة إليها .

الخلاصة

١ — للنسب : زِيَادَةُ يَاءٍ مُشَدَّدَةٍ مَكْسُور مَاقَبْلَهَا فِى آخِرِ الكلمة ، فَيُسَمَّى مَدْلُولُهَا مَنْسُوبًا ، وَيُسَمَّى الْمُجَرَّدُ مِنْهَا مَنْسُوبًا إِلَيْهِ .

٢ — الاسْمُ الْمَخْتُومُ بِتَاءِ التَّأْنِيثِ تُحْذَفُ مِنْهُ التَّاءُ عِنْدَ النَّسَبِ إِلَيْهِ .

تمرينات

١ — انسب إلى الكلمات الآتية :

مكة - القاهرة - الإسلام - الأزهر - الصحافة - خير - كتابة - هاشم - غزة - المعرة حمدان - العباس - فاطمة - الهجرة .

الاجابة

الكلمة	النسب إليها	الكلمة	النسب إليها
مكة	مكّىّ	القاهرة	القاهرىّ
الإسلام	الإسلامىّ	الصحافة	الصحافىّ
الأزهر	الأزهرىّ	خير	خيرىّ
كتابة	كتابىّ	هاشم	هاشمىّ
غزة	غزّىّ	المعرة	المعرّىّ
حمدان	حمدانى	العباس	العباسىّ
فاطمة	فاطمىّ	الهجرة	الهجرىّ

٢ — انسب إلى الكلمات الآتية :

العراق . لبنان . الأردنّ . حلب . بيروت . الحبشة . برتقاله . شمس . صحة . الموصل . سياحة . تهامة . عصر . فضة ، أسطوانة . أرض . ملاحة . جامعة .

٣ — قال المتنبي يمدح ابن العميد .

عَرَبِىٌّ لِسَانُهُ ، فَلْسَفِىٌّ رَأْيُهُ فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ

(ا) اشرح البيت . (ب) بين الكلمات المنسوبة فيه ، وبين كل اسم منسوب إليه .

(ح) النسب إلى المختوم بالألف

المـــوالد

من العادات المسيطرة على أهل الريف إقامة الموالد، وإعداد العدة لها، والاحتفال بها. وهم يَؤُمونها من مختلف أنحاء البـــلاد ؛ فيجتمع فى مولد السيد البدوى فى طنطا القنوى والدشنى، والإسنوى، والمنياوى، وغيرهم، ويجتمع فى مولد السيد إبراهيم الدسوقى فى دسوق القاهرى والبِنْهِىُّ والطَّهْطَوِىّ والطَّمَوِىّ والطنطاوِىّ، وغيرهم. ويجتمع فى مولد السيد عبد الرحيم فى قنا الأجَوِىُّ، والسَّنَفِىّ، والحلْفَاوِىّ، والسَّخَوِىُّ، والأدفِينى، والبيلىُّ، والتَّلَوِىّ وغيرهم. وأولئك يشدون الرحال إلى مولد الحسين والسيدة زينب فى القاهرة حيث يختلط الحابل بالنابل، ويجعلونها سوقاً يبيعون فيها ويشترون، وهى سوق لاتشبهها سوق أخرى أسبوعية ولا سنوية، وتلك حسنتُها التى لاحسنة لها سواها ، فإن لها مَساوِئَ لاتحصى، وفيها يزاول الناس أعمالا مانزل بها كتاب مُوسوِىٌّ ولا عيسَوِىٌّ ولا مُصطفَوِىّ، إنما هى عادات رَجعِيّة قَهْقَرِيَّة يجب أن يتخلى عنها شعبنا الصاعد.

البحث

فى العبارات السابقة كلمات منسوبة منها :

١	قنوىّ وقد نسبت إلى قنـــا	طموىّ، وقد نسبت إلى طـــما
	سخوىّ، وقد نسبت إلى سخـا	تلوىّ، وقدى نسبت إلى تـــلا

ومنها :

٢	دشنىّ، وقـــد نسبت إلى دشْنا	بنْهِىّ، وقد نسبت إلى بنهـــا
	أسنْوىّ، وقد نسبت إلى إسْنا	طهطوىّ، وقد نسبت إلى طهْطا
	حلْفاوى. وقد نسبت إلى حلْفا	منياوىّ، وقد نسبت إلى المنْيا
	طنطاوىّ، وقـد نسبت إلى طنطا	

ومنها :

٣	السنفىّ، وقـد نسبت إلى سَنَفَا	البيلىّ، وقد نسبت إلى بيَـــلا
	الإدفينى، وقـد نسبت إلى إدفينا	مـصطفىّ، وقد نسبت إلى مُصطفَى
	قَهْـقَرِىٌّ وقد نسبت إلى قَهْـقَرَى	

(١) تأمل الكلمات المنسوب إليها فى الطائفة الأولى تجدها ثلاثية مختومة بالألف، وتجد الألف قلبت واوا عند النسب إليها.

(٢) وتأمل الكلمات المنسوب إليها فى الطائفة الثانية تجدها رباعية ثانيها ساكن، وتجد الألف عند النسب قد حذفت فى بعضها، وقلبت واوا فى بعضها، وفى بعضها الثالث قلبت واوا مع زيادة ألف قبل الواو. ففيها ثلاث طرق عند النسب إليها.

(٣) ثم تأمل كلمات الطائفة الثالثة تجدها قسمين:

القسم الأول كلمات رباعية ثانيها متحرك، والقسم الثانى كلمات خماسية أو أكثر، وفى هذين القسمين فى الطائفة الثالثة حذفت الألف.

الخلاصة

إذا أُرِيدَ النَّسَبُ إلى المختوم بألف:

(ا) فإن كانت ثالثةً قُلِبتْ واوا.

(ب) وإن كانتْ رابعةً وثانى الاسم ساكنٌ جاز ثلاثةُ أوجه: حذفُ الألف، وقلبُها واوا، وقلبُها واوا مع زيادة ألف قبل الواو.

(حـ) وإن كانت الألفُ رابعة وثانى الاسم متحرك، أو كانت الألف خامسةً أو أكثر وجب حذفُها.

تدريب

١ — انسب إلى الكلمات الآتية:

كسلا - فرنسا - شبرا - قها - مستشفى - شذا - بخارى - طما - طلخا - هوى - كمثرى - بردى - قصارى - كسرى.

الكلمة	النسب إليها	الكلمة	النسب إليها
كسلا	كسلِىّ	فرنسا	فرنسىّ
شبرا	شبرى ـ شبروى ـ شبراوى	قها	قهوى
شذا		بخارى	
مستشفى		طما	
بخارى		طلخا	
طما		بردى	
هوى		قصارى	
كمثرى		كسرى	

أكمل النسب إلى الكلمات التى لم ينسب إليها فى الجدول .

د ـــ النسب إلى الممدود

مشكلتنا الكبرى

أدّت جميع البحوث الاجتماعية فى مصر إلى حقيقة لاريب فيها ، وهى أن مشكلتنا الكبرى هى قلة الأرض الزراعية ، وتزايد السكان المستمر بنسب عالية ، ولقد كان من حظنا أن وادى النيل ضيق تحف به من جانبيه مساحات صحراوية واسعة ، وقد أظهرت البحوث المبنية على الحقائق الكيمياوية أن الأرض السَّيناوية ـ كأرض الوادى الجديد ـ صالحة للزراعة لايعوزها إلاّ الماء .

ولقد تجاوزنا الآن مرحلة البحوث الابتدائية الإنشائية ، وبلغنا مرحلة التجارب العملية فاستخرجنا المياه الجوفية وقمنا بالحرث والزرع ، وأنتجنا إنتاجا يدل على أن تعمير الصحراء عمل أساسى فى توفير المواد الغذائية والكساوية وخطوة بنائية واسعة فى علاج المشكلة الكبرى .

البحث

فى العبارة السابقة كلمات منسوبة منها :

١. الصحراوية ونسبت إلى صحراء
الكيمياوية ونسبت إلى الكيمياء

٢. الابتدائية ونسبت إلى ابتداء
الإنشائية ونسبت إلى إنشاء

٣	الغذائية	ونسبت إلى الغذاء
	الكساوية	ونسبت إلى الكساء
	بنائية	ونسبت إلى بناء

(١) وإذا تأملت الأسماء المنسوب إليها فى الطائفة الأولى وجدتها أسماء ممدودة ، وهمزتها للتأنيث ، ولذلك قلبت الهمزة واوا عند النسب .

(٢) وإذا تأملت المنسوب إليها فى الطائفة الثانية ، وجدت همزتها أصلية ؛ لأن «ابتداء» مصدر فعله « ابتدأ » ، وإنشاء مصدر فعله (أنشأ) ؛ ولذلك بقيت الهمزة عند النسب .

(٣) وإذا تأملت الأسماء المنسوب إليها فى الطائفة الثالثة وجدت الهمزة منقلبة عن أصل ، فالهمزة « فى الغذاء » منقلبة عن واو ؛ لأن فعله «غذا يغذو» والهمزة فى كساء منقلبة عن واو ؛ لأن فعله « كسا ، يكسو » والهمزة فى بناء منقلبة عن ياء ؛ لأن فعله « بنى يبنى» ولذلك جاز بقاؤها فى بعض الكلمات (بنائية وغذائية) وجاز قلبها واوا فى بعضها (كساوية) ويجوز فى كساء « كسائية » ويجوز فى بناء وغذاء ، (بناوية وغذاوية)

الخلاصة

عِنْدَ النَّسَبِ إِلَى المَمْدُودِ يُنْظَرُ إِلَى هَمْزَته :

(ا) فإنْ كَانت لِلتَّأْنيثِ قلِبَتْ وَاواً .

(ب) وَإِنْ كَانتْ أَصْلِيَّةً بقيتْ .

(ﺣ) وَإِن كَانت مُنْقَلِبة عنْ أَصْلٍ جَازَ بقاؤُهَا هَمْزَة وَجَازَ قَلْبُها وَاواً .

تدريب

انسب إلى الأسماء الآتية ، وبين سبب ما يطرأ عليها من تغيير :

فناء ـ صفاء ـ شفاء ـ امتلاء ـ اجتزاء ـ إبراء . قضاء . أرجاء . وقاء . مراء ـ فضاء . كفاء ، لألاء . فأفاء . وضاء ، مشاء ـ رفاء . حداء . حذاء . سماء . خضراء ـ صنعاء . هيفاء . بيضاء

الكلمة	النسب إليها	بيان سبب ما يطرأ عليها عند النسب
فناء	فنائى ـ فناوى	يجوز قلب الهمزة واوا ، وبقاؤها ؛ لأنها منقلبة عن أصل .
إبراء	إبرائى	بقيت الهمزة ؛ لأنها أصلية ، وفعلها « أبرأ » .
صفاء		
شفاء		
امتلاء		
اجتراء		
قضاء		
إرجاء		
وقاء		
مراء		
فضاء		
كفاء		
لألاء		
فأفاء		
وضاء		
مشاء		
رقاء		
حداء		
حذاء		
سماء		
خضراء	خضراوى	قلبت الهمزة واواً ؛ لأنها مزيدة للتأنيث .
صنعاء		
هيفاء		
بيضاء		

أكمل النسب إلى الكلمات المذكورة فى الجدول السابق ، مع بيان ما يطرأ عليها عند النسب .

هـ ــ النّسب إلى المختوم بالياء المشدّدة

(١) أنابيب البترول

يحلم الاستعمار بمد أنابيب تنقل البترول العربي من مصادر إنتاجه إلى شواطىء البحر الأبيض ؛ للاستغناء عن قناة السويس فى نقل البترول ــ وما الأنابيب التى تنقل البترول السُّعودىّ وغيره إلى الموانى السُّوريّة واللبنانية إلا مشروعات مصغرة لما يحلم به الاستعمار . ولعلك تعلم أن الأنابيب التى تصل إلى حيفا قد عطلت منذ كان الاستعمار الصّهيونىّ فى فلسطين . ولعل ذلك كله يوحى إليك بأن للاستعمار إصبعا فى الحركة الانفصالية السورية ؛ لإبعاد الجيش الجمهورىّ العربى عن مصالح الاستعماريين وأغراضهم فى بلاد العرب .

(٢) الموظف فى المجتمع الجديد

إخلاص الموظف فى المجتمع الجديد أمر حَيَوىّ لنجاحه فى عمله ، وأساس من أسس الإصلاح الاجتماعىّ المأمول . ومن مظاهر إخلاصه أن يتجرد من حب السلطان الزائف ، وأنه يقتصر على نفسه فيحاسبها فى كل يوم عما عملت ، وأن يتأدب بالأدب النَّبَوىّ ، فلا يتخذ من منصبه وسيلة إلى المنافع الهَدَوِيّة ، وهو يعلم أنها رشوة لاريب فيها ، وألا يكون غَوَوِيًّا فيؤثر أصدقاءه وذوى قرباه عند التنافس على المطالب أو المناصب .

البحث

فى العبارة رقم (١) كلمات منسوبة منها :

البترول السعودى نسبت إلى السعودية .

الموانى السورية نسبت إلى سوريّة .

الاستعمار الصهيونىّ نسبت إلى الصهيونيّة .

الجيش الجمهورى « « الجمهورية .

وفى العبارة رقم (٢) كلمات منسوبة منها .

حيوىّ نسبت إلى حَىّ .

نبوى « « نبىّ .

الهدوية نسبت إلى هدية .

غووى « « غىّ

تأمل الكلمات المنسوب إليها فى كلتا القطعتين ، تجدها جميعها تنتهى بياء مشدّدة .

ثم تأمل كلمات القطعة الأولى مرة ثانية تلاحظ أن الياء المشددة جاءت بعد أكثر من

حرفين ولذلك حذفت عند زيادة ياء النسب . وتأمل كلمات القطعة الثانية تلاحظ أن الياء المشددة جاءت تارة بعد حرفين ، وتارة بعد حرف واحد ففى كلمة (نبىّ) جاءت بعد حرفين فحذفت الياء الأولى عند النسب ، وقلبت الثانية واوًا ، وفتح ماقبلها ومثل ذلك « هدية » وفى الكلمتين «حىّ ، غى» جاءت الياء المشددة بعد حرف واحد ، فردت الأولى إلى أصلها وقلبت الثانية واوًا . وفتح ماقبلها ، وأنت تعرف أن الياء الأولى فى «حىّ» أصلها ياء ؛ لأن الفعل (حيي) ، والياء الأولى فى (غىّ) أصلها واو ؛ لأن الفعل «غَوَى» .

الخلاصة

الاسمُ المختُومُ بِيَاءٍ مُشَدَّدَةٍ عِنْدَ النسَبِ إليْهِ :

(ا) إذَا كَانَتْ ياؤُهُ المُشَدَّدَةُ بعْدَ ثَلاثَةِ أحْرُفٍ أَوْ أكْثَرَ حُذِفَتْ .

(ب) وَإِذَا كَانَتْ ياؤُهُ المُشَدَّدَةُ بَعْدَ حَرْفَيْنِ حُذِفَتْ الأُولَى لِزِيادَتِهَا ، وَقُلِبَتْ الثَّانيةُ وَاواً ، وَفُتِحَ مَاقَبْلَهَا .

(جـ) وَإِذَا كَانت ياؤُهُ المُشَدَّدَةُ بعد حَرْفٍ وَاحِدٍ ، رُدَّت اليَاءُ الأُولى إلَى أَصْلِهَا وَقلِبَتْ الثَّانيَةُ وَاوًا ، وفُتِحَ ماقبْلَهَا .

تدريب

انسب إلى الأسماء الآتية . وبين سبب مايطرأ عليها من تغيير :

مرمىّ ـ غربىّ ـ منسىّ ـ الإسكندرية . الدقهلية . إفريقية . الانتهازية . الاشتراكية . سخىّ ـ قوىّ ـ عصىّ ـ شقىّ ـ سوىّ ـ علىّ . أمية . وصيّة ـ شهيّة . رَىّ . لَىّ . طىّ . رِعىّ . شىّ . نِيَّة . غية . كىّ .

الكلمة	النسب إليها	سبب ماطرأ عليها
مرمىّ	مرمِىّ	حذفت الياء المشددة
غربىّ		
منسىّ		
الإسكندرية		
الدقهلية		
إفريقية		
الانتهازية		
الاشتراكية		
سخىّ	سخوِىّ	حذفت الياء الأولى ، وقلبت الثانية واوا وفتح ماقبلها
قوىّ		

الكلمة	النسب إليها	سبب ماطرأ عليها
عصىّ		
شقىّ		
سوىّ		
علىّ		
أمية		
وصيّة		
شهيّة		
رى	روى	رُدت الياء الأولى إلى أصلها ، وقلبت الثانية واوا
لىّ		
طىّ		
عىّ	عيوِىّ	ردت الياء الأولى إلى أصلها ، وقلبت الثانية واوا
شىّ		
نيَّة		
غيَّة		
كىّ		

أكمل النسب إلى الكلمات فى الجدول السابق ، مع بيان مايطرأ عليها من تغيير ، وسببه .

ملاحظة

إذا كان الاسمُ مختوماً بياء غَير مُشدّدَة فحُكْمُها حُكْمُ المختوم بألف : تُقلب واواً إذا كانت بعد حَرفين مثل : الصدوىّ فى النسب إلى الصّدِى (العطشان) وتقلب واواً أو تحذف إذا كانت رابعة فى اسم ثانية ساكن مثل : النّادِوىّ والنادىّ فى النسب إلى « النّادى » . وتحذف إذا كانت خامسة أو أكثر . مثل المهتدِى فى « المهتَدِى » والمستكفى فى المستكفى » .

(و) النسب إلى الثلاثى المحذوف الآخر

جذور قوْميتنا

ليس لقومية فى العالم جذورٌ أعمق من جذور قوميتنا العربية ، فلن تجد أمة واحدة على سطح الأرض تتحقق فيها الوحدة اللّغوية ، والأصل الأبوى كأمتنا العربية ، ومهما يقل من أن فى بعض شعوبها دما فرعونيـــا ، أو دما فينيقيا أو غيرها فإنه

عناصرنا الدّمويّة أنقى — مع هذا — من عناصر أى أمة فى الوجود .

فلا عجب إذا رأينا الولاء الأخوىّ يستعلنُ فى كل مكان بين الشعوب العربية ، حين يكف الاستعمار وعملاء الاستعمار عن دسائسهم ومؤامراتهم .

البحث

فى العبارات السابقة كلمات منسوبة منها :

اللغوية ، نسبت إلى اللغة . الأبوى ، نسبت إلى الأب .

الدموية ، نسبت إلى الدم الأخوىّ نسبت إلى الأخ .

وإذا تأملت الكلمات المنسوب إليها وهى (لغة ، وأب ، وأخ ، ودم ، لاحظت أن كلا منها يتكون من حرفين اثنين ، وأنت تعرف أن كل كلمة عربية فعلا كانت أم اسما لابد أن تتكون من ثلاثة أحرف ، فكلمة دم أصلها . دَمْوٌ ، وأب أصلها « أَبَو » وأخ أصلها « أخو » ولغة أصلها « لُغَو » وكلها قد حذفت لاماتها ، وفى « لغة » عوض عن اللام هاء فى آخره . فعند النسب إلى جميع هذه الكلمات تُرَدّ اللام المحذوفة ، وتقلب واوا إن لم تكن فى الأصل واوا ، وتُرَدّ إلى الواو إن كانت واوا . وبعض الكلمات المحذوفة اللام تكون لامها أصلها ياء مثل « يد » فأصلها « يَدْىٌ » ، وتقول فى النسب إليها « يَدَوِى» .

الخلاصة

إِذَا نُسِبَ إِلَى الثُّلَاثِيِّ المَحْذُوفِ اللامِ ، رُدَّتْ لامُهُ وَقُلِبَتْ وَاواً .

تدريب

أنسب إلى الكلمات الآتية :

سنة - شفة - غد - مائة - كُرَه - أخت - غَد - بِنْت - أَمَه .

تنبيهات

٢ — فى النسب إلى العلم المضاف :

(ا) إذا كان المضاف كلمة ابن ، أو كلمة أب مثل أبو رقيبة ، أو ابن خدة ، نسبت إلى المضاف إليه وقلت « رُقَبِىّ »(١) و « خَدَىّ » .

(ب) وإذا كان المضاف كلمة « عبد » مثل عبد الرحمن وعبد الحميد . نسبت إلى المضاف إليه وقلت (رحمانى) . و (حميدى) . (ح) أما إذا كان مثل جمال الدين ، أو صلاح الدين نسبت إلى الأول فقلت جمالى ، وصلاحى خوف اللبس إذا قلت « دينى » .

---

(١) فى النسب إلى كلمة فعيلة . تحذف الياء ما دام غير مضعف .

٢ — سُمِعَ عَنِ العَرب كلمات منسوبة على غير القواعد التى سبق شرحها ونذكر لك بعضها فيما يأتى ، حتى لاتشك فى صحتها إذا مرت بك فى مطالعاتك :

الكلمة	نسبها المسموع	الكلمة	نسبها المسموع
قرية	قَرَوِىّ	أُمَيَّة	أَمَوِىّ (بالفتح)
دَهْر	دُهْرِىّ (بالضم)	البَصْرة	البِصْرى (بالكسر)
مرو	مَرْوَزِىّ	بادية	بدوى
البحرين	بحرانىّ	حروراء (قرية بالعراق)	حروى
جَلولاء (قرية بفارس)	جَلُولى	رقبة	رقبانى (للعظيم الرقبة)
شَعْر	شعرانى (لكثير الشعر)	تحت	تحتانى
فوق	فوقانى	لحية	لحيانى
الرىّ	الرازى	يمن	يمانى
رب	ربانىّ	روح	روحانى
حق	حقانىّ	طيء	طائىّ

٣ — قد يستغنى عن صيغة النسب بصوغ صيغ على وزن « فاعل » أو « فعّال » من الاسم المنسوب إليه : مثل : طاعمٍ ، وكاسٍ ، ولابن من الطعام والكسوة واللبَن .

ومثل : نجّار ، وبزاز ، وعطار من النجارة والبزازة والعطارة .

٤ — فى النسب إلى الجمع تنسب إلى المفردمثل : دوَل تقول فى النسب إليها : دَوْلىّ وكتب تقول فى النسب إليها : كتابىّ ومسلمون تقول فى النسب إليها : مَسْلِمى .

تمرينات عامة

على النسب والتصغير

(١) خطبة زياد بن أبى سفيان فى البصرة

خطب زياد بن أبى سفيان حين قدم واليامن قبل معاوية على البصرة خطبة ، منها :

« أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء(١) ، والضلالة العمياء(٢) ، والغى الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم(٣) ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ، ولايتحاشى

(١) جهالة جهلاء: شديدة . (٢) الضلالة العمياء: التى لاهدى فيها (٣) السفيه: ضد الحليم .

عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته . فى الزمن السرمدىّ(١) الذى لا يزول ! أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات(٢) ؟ واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه من تركِكم الضعيف يقهر ، ويؤخذ ماله ؟ » .

الأسئلة :

(ا) بين فى القطعة كلمة منسوبة ، وبين الاسم المنسوب إليه .

(ب) أنسب إلى الكلمات : غىّ ـ الجهلاء ـ أبى سفيان . معاوية ـ البصرة ـ الدنيا ـ الفانية .

(حـ) صغر الكلمات : النار ـ عين ـ شهوات ـ الفانية ـ مال ، سفيان . سفهاء . مسامع .

(و) أعرب ما تحته خط فى الخطبة .

(٢) اقرأ العبارات الآتية ، ثم أجب عن الأسئلة التى بعدها ،

١ ـ قال عبد الحميد الكاتب : « أرغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنِيِّها ودَنِيِّها . فإنهما مذلة للرقاب . مفسدة للكتاب ٢ ـ قال جمال عبد الناصر : « نحن شعب الجمهوريّة العربية المتحدة ـ طليعة القومية العربية سننتصر فى معركتنا الاجتماعية كما انتصرنا فى معركة الحرية من أجل إقامة المجتمع الاشتراكىّ الديموقراطى التعاونى » ٣ ـ الجزائر قطر عربىّ أصيب باستعمار فرنسا أكثر من مائة وثلاثين سنة : وكانت الجزائر قبل هذا الاستعمار ذات سيادة واستقلال وكان لها مكانة بين الدول . ٤ ـ إن القارة الإفريقية اليوم تزحف نحو الحريّة ، وتشتعل فيها جذوة الوطنية ، ولا سبيل إلى وقف زحفها ، والقومية العربية تؤازها ، صادقة النية ولن تدخر وسعا فى مساعدتها على تحقيق أهدافها القومية ، وآمالها الوطنية .

(ا) استخرج الكلمات المنسوبة فى العبارات السابقة وبين الأسماء التى نسبت إليها .

(ب) أنسب إلى الكلمات الآتية : عبد الحميد ـ عبد الناصر ـ سنيّها ـ دنيّها ـ فرنسا مائة ـ سنة ـ الدُّوَل ـ النيّة . (حـ) صغر الكلمات الآتية :

الكاتب ـ مطامع ـ رقاب ـ كتّاب ـ جذوة ـ آمال ـ أهداف . (د) أعرب ما تحته خط فى العبارات .

(٣) أعلامنا العربية

« نحن العرب نعتز بوطننا الكبير الذى يمتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربىّ» .

---

(١) السرمدى : الدائم (٢) كناية عن تمكن الشهوات من أنفسهم وانصرافهم إلى متع الدنيا .

ونعتز بأعلامنا العربية التى هى رمز أمتنا المجيدة . إن كل علم عربى هو رمز إلى قطعة من عالمنا الكبير ، ندافع عنه بأرواحنا ، ونحرص عليه مرفوعاً فى السماء خفاقاً فى عزة وكرامة .

إن كل عربى يعرف علم دولته ويفديه ، ويعرف أعلام الدول العربية الأخرى ويحميها. فهى أعلام شقيقة لدول شقيقة . (ا) بين الكلمات المنسوبة فى العبارات السابقة ، والأسماء التى نسبت إليها . (ب) صغر الكلمات : أعلام ـ أمّة ـ أرواح . (ج) انسب إلى الكلمات : رمز ـ سماء ـ الدُّوَل . (د) أعرب ما تحته خط فى العبارات السابقة . ٤ — انسب إلى الكلمات الآتية: قُرَّاء ـ رداء ـ زِفتَى ـ نعمى ـ سيناء ـ ثَرَى ـ ببا ـ فداء . ٥ — انسب إلى الكلمات الآتية ، وبين ما طرأ على كل منها سخىّ سخا ـ سخ ٦ — بين الاسم المنسوب إليه فيما يأتى : تجارى ـ دَوْلى تهامىّ ـ زَهْرِىّ . ٧ — هات مصادر الأفعال الآتية ، ثم انسب إليها : اجترأ ـ أملى ـ امتلأ ـ التجأ ـ اهتدى ـ استرضى . ٨ — عين فيما يأتى : المنسوب . والمنسوب إليه . واذكر ما طرأ عليه بسبب النسب : (ا) اليونانيون يحبون المصريين .

(ب) القاهريون يهرعون إلى الإسكندرية صيفاً . (ج) الكسائى نحوىّ .

(د) الشافعى فقيه صاحب مذهب . (ه) الفاطميون أبدعوا كثيراً من الأعياد الدينية . (و) المدنى لا يستغنى عن القروىّ .

٩ — كان الخليفة أبو بكر أول المسارعين إلى الدخول فى الإسلام من الرجال ، وكان أكبر معاون للنبي عليه الصلاة والسلام ، واحتمل معه كثيراً من الأذى ، وكان صاحبه فى الهجرة ، ورفيقه فى الغار ، وكان المصدق للنبي فى كل ما يقول فسماه الصديق ، وبعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى كان الخليفة الأول للمسلمين .

(ا) انسب إلى الكلمات الآتية : أبو بكر ـ النبي ـ الهجرة ـ الأعلى ـ الأذى .

(ب) أعرب ما تحته خط فى القطعة .

١٠ — الأسماء الآتية للمؤنث ، صغرها وبين ما دخلها من تغيير :

شوْق ـ حسن ـ هالة . خال ـ ندى ـ عز ـ زين .

١١ — هات مكبر كل اسم مصغر فيما يأتى :

رُؤَيْس ـ رُوَّيس ـ زهيراء ـ كتيّب ـ كويتب ـ صُوَيْنع ـ صُنَيْعَة ـ صُنَيِّعة .

١٢ — قال الشاعر :

وَهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلاَّ وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إلاَّ فى مَنَابِتِهَا النَّخْلُ (١)

(١) الخطى : الرمح . الوشيج : شجر الرماح .

(ا) فى البيت اسم منسوب . عيّنه ، واذكر المنسوب إليه . (ب) صغر الإسم المنسوب إليه فى البيت السابق . (حـ) اشرح البيت ، وأعرب ما تحته خط فيه .

١٣ — إذا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا   أَصَبْتَ حَكِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

(ا) اشرح البيت . (ب) صغر كلمة : جاهل ، وكلمة : الخنا (حـ) أنسب إلى كلمة الخنا .

١٤ — قال عمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً   عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ (١)   وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

(ا) عيّن الكلمات المصغّرة ، واذكر مكبرها فى البيتين . (ب) عين الكلمات المنسوبة ، وبين المنسوب إليه فيهما . (حـ) أعرب ما تحته خط فى البيتين . (د) اشرح البيتين .

١٥ — قال عمر بن أبي ربيعة :

قَالَ لِي : وَدِّعْ سُلَيْمَى وَدَعْهَا   فَأَجَابَ الْقَلْبُ : لَا أَسْتَطِيعُ

لا تلمنى فى اشتياقى إليها   وابكِ لى مما يُجِنّ الضلوع

(ا) اشرح البيتين . (ب) عين اسما مصغرا فى البيت ، واذكر مكبره . (حـ) أنسب إلى الاسم المصغر الذى فى البيت . (د) صغر مفرد كلمة (الضلوع) . ثم اجمعه .

١٦ — قالت الخنساء ترثى أخاها صخراً :

فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي   عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ   أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْراً   وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

(ا) انثر الأبيات بعبارتك . (ب) صغر الكلمات الآتية : الباكين . إخوان . نفس . شمس . طلوع . الخنساء . (حـ) أنسب الى الكلمات الآتية : الخنساء . أخ . صخر . (د) أعرب ما تحته خط فى الأبيات .

---

(١) استقل القوم : ارتحلوا ومضوا .

١٧ — قال الشاعر يرثى :

طَوَتْكَ خُطُوبُ دهْرِكَ بعد نَشْرٍ كذاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيًّا
فَلَوْ نَشَرَت قُوَاكَ لِيَ المَنَايا شَكَوْتُ إِلَيْكَ مَاصَنَعَتْ إِلَيَّا
بَكَيْتُكَ يَاأُخَيَّ بدمعِ عَيْنِي فلم يُغنِ البكَاءُ عَلَيْكَ شَيًّا
كَفَى حَزَنًا بدفنِكَ ثُمَّ أَنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا
وَكَانَتْ فى حَيَاتِكَ لِيَ عِظَاتٌ وَأَنتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

(ا) اشرح الأبيات . (ب) أعرب ماتحته خط فيها . (حـ) استخرج من الأبيات اسما مصغرا ، وبين مكبره . (د) صغّر الكلمات : خطوب . عين . يد . (هـ) انسب إلى الكلمات . طىّ . حىّ . منايا . أخ . يد . حياة . البكاء .

١٨ — قال أحمد رامى فى « الجندى المجهول » :

ياشَهِيدَ العُلَا وَرَمْزَ الفِدَاءِ لَكَ مِنِّى تَحِيَّةُ البُسَلَاءِ
يامِثَالاً يَضُمُّ كُلَّ الضَّحَايَا فِي سَبِيلِ الفَخَارِ وَالعَلْيَاءِ
كُلُّ مَافِي الأَنَامِ مِن شَرَفِ النَّفْـسِ وَحُسْنِ البَلَاءِ فى الهَيْجَاءِ
مَاثِلٌ مِنْكَ ، نَاطِقٌ بِلِسَانِ الصَّمْـتِ ، بَادٍ ، وَأَنت طَىَّ الخَفَاءِ
كَمْ يَزُورُ اليَتِيمُ قَبْرَكَ ظَنًّا أَنْ تَكُونَ الأَبَرَّ فِي الآبَاءِ
وَتَطُوفُ الثَّكْلَى بِمَثْوَاكَ زَعْماً أَنْ تَكُونَ الأَعَزَّ فِي الأَبْنَاءِ
وَيَثُوبُ الأَخُ الحَزِينُ رَجَاءً أَن تَكُونَ الأَخَ الحَبِيبَ النَّائِى
جَمَعَتْهُمْ بِكَ الأَمَانِي فَأَصْبَحْـتَ لَهُمْ مَبْعَثَ الأَسَى وَالعَزَاءِ

الأسئلة :

(ا) يزور الجندى المجهول كثير من الناس ذكرت القطعة بعضهم : فمن هم ؟ ومامقصد كل منهم من الزيارة ؟ (ب) كيف يكون الجندى المجهول مبعث الأسى والعزاء ؟ (حـ) أعرب ما تحته خط فى الأبيات : (د) انسب إلى الكلمات : تحية . الضحايا . العلياء . البلاء . الهيجاء . طى . الخفاء . الفداء . ثكلى . مثوى . الأبناء . الآباء . الأخ . رجاء . النائى . الأمانى . الأسى . العزاء . (هـ) صغر الأسماء الآتية : البسلاء . النفس . ناطق . ثكلى . الحزين .

١١ — حروفُ الجرّ الزائدة

١ — من قَوْل الرسول صلى الله عليه وسلم : « فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه » ومن قوله أيضاً « مَا بَعْدَ الموت من مُسْتَعْتَب ، وما بعد الدنيا مِنْ دار إلا الجنة أو النار » .

٢ — لعلك شديد الإعجاب بفصاحة محمد صلى الله عليه وسلم ، أليس الله بهاديه وراعيه؟ أليس بموح إليه ماينطق به ؟

٣ — لم يزعمْ زاعمٌ أن أحداً كرسول الله فى روعة البيان ، بل أجمع صيارفة الكلام أنه ليْسَ كمثله بشر فى هذا المجال .

(ا) تأمل الفقرة الأولى تلاحظ أن حرف الجر « من » وردفيها خمس مرات . وإذا أنعمت النظر أدركت أن هذا الحرف فى قوله « فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه » يربط الفعل « يأخذ » والاسم المجرور « نفسه » ، فالجار والمجرور « من نفسه » مرتبطان (أو متعلقان) بالفعل . والفعل يسمى « متعلَّقا » . فإذا لم يكن فعل ، فى مثل « من قول الرسول » وفى مثل « من قوله » قُدِّر متعلَّق محذوف مثل يوجد ، أو يروى ، أو يؤثر ، لكنك إذا نظرت إلى « من » فى قول الرسول « من مستعتب » أو قوله « من دار » فإنك لا ترى متعلَّقا ، ولا تستطيع أن تقدّره وذلك لأن « من » فى « من مستعتب ، ومن دار » ، زائدة ، يمكن حذفها ، فتقول « ما بعد الموت مستعتب ، وما بعد الدنيا دار » ، وفائدتهما حينئذ توكيد الكلام .

(ب) تأمل الفقرة الثانية تجد الباء فى « بفصاحة » وفى « ينطق به » مثل « من » فى « من قول الرسول » تحتاج إلى متعلَّق ، هو « الإعجاب » « وينطق » لكن الباء فى « بهاديه » ، وفى « بموح » ، زائدة للتوكيد أيضاً ، ويمكن حذفها والاستغناء عنها .

(ج) وإذا بحثت أمر الكاف فى الفقرة الثالثة . وجدتها أصلية تحتاج إلى متعلَّق فى قولنا « كرسول الله » وزائدة يمكن الاستغناء عنها . ولا متعلق لها فى « ليس كمثله بشر » .

الخلاصة

١ — حروفُ الجرّ قسمان :

(ا) أَصْلِيَّةٌ ، لايمكن الاسْتِغْنَاء عَنْهَا ، وَلَهَا مُتَعَلَّق .

(ب) زَائِدَةٌ ، يُمْكِن الاسْتِغْنَاء عَنْهَا ، وقَدْ جِيء بِهَا للتَّوْكِيد .

(ج) مِنْ حُرُوف الجَرّ الَّتِي تُزَاد كَثِيرا . الْبَاء . وَمِنْ ؛ وَالكَاف . وَأَكْثَر مَا يُزَاد الأَوَّلَان فِى النَّفْي .

٣ — الحروفُ الزّائدَة لاعمل لها إلا الظّاهِر ، والكلمات بَعْدَها تُعْرَبُ على تقدير عَدَم وجُودها .

تمرينات

١ — عين حروف الجر الأصلية ، وحروف الجر الزائدة فيما يأتى :

(ا) أعظِمْ بما قامت به الثورة من مشروعات التنمية. (ب) وجهت الثورة جهودها إلى الإصلاح الرّأسِىّ والإصلاح الأفقِىّ فى الزراعة . (ح) عَنِيتُ الثورة باستخراج المعادن من باطن الأرض . (د) ليس من شك فى أن منشآت الثورة لها أثر كبير فى الإنتاج ، وليس بمستحيل ما نأمله من مضاعفة الإنتاج . (ه) ليست مضاعفة الإنتاج بمستنكرة على قوم لا يألون جهداً ، ولا يَدّخرون من وُسع للنهوض ببلادهم وكفاهم بذلك مجداً ، وحسبهمْ به فى سجل الفخار . (و) الميثاق كمصباح يهدى للعمل المثمر ، وليس كمثله مصباح .

٢ — ضع الباء فى ثلاث جمل بحيث تكون مرة أصلية لها مُتَعَلق ، (وعيّنه) ، ومرة زائدة بعد نفى ، ومرة زائدة فى الإثبات .

٣ — عين فى الآيات الآتية كل حرف زائد ، وأعرب ما بعده .

(ا) « وَمَامِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا » .

(ب) « وَمَارَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ » .

(ج) « أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ » .

(د) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

(ه) « وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا » .

الاجابة

(ا) مِنْ زائدة ، قبل المبتدأ ، والتقدير وما « دابةٌ » .

(ب) الباء زائدة فى الخبر والتقدير ، وما رَبُّكَ ظَلامٌ أو ظَلاماً .

(ح) الباء زائدة فى خبر ليس ، والتقدير « أليس الله أحْكَمَ الحاكمين .

(د) الباء زائدة فى فاعل كفى والتقدير كفى الله وكيلا » .

٤ — عين فى الأبيات الكريمة الآتية كل حرف زائد ، وأعرب ما بعده .

(ا) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ » .

(ب) « وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » .

(جـ) « وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ » .

(د) « مَالَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ » .

(هـ) « مَايَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ » .

(و) « وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ » .

(ز) « وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ » .

(ح) « ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ » .

(ط) « وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعدائِكُمْ ، وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرا » .

(ى) « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ » .

(ك) « ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ ، وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً » .

(ل) « إِنَّ مَاتُوعَدُونَ لآتٍ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ » .

١٣ — أسلوب الإغراء والتحذير

ذهب الطلاب إلى معلمهم النابه أن ينصحهم في أول العام الدراسي، فقال: أما إذ رغبتم فإني مستجيب لكم:

١ — أبنائي:

الإيمانَ بالله؛ فإنه باب لكل فوز.

الحرصَ على الفهم؛ فإنه أول درجات السلم إلى المعرفة.

الإنصافَ من النفس، فإنه وسيلة لامتلاك القلوب.

الإيجازَ والدقةَ؛ فإنه لا ثمرة لعمل يجيء بعد أوانه. ولا قيمة لعمل تعوزه الدقة.

القراءةَ القراءةَ؛ فإنها منبع المعرفة الحقيقية.

٢ — أبنائي، إياكم والإسرافَ في إنفاق الوقت، فإنه أثمن ما يملكه الإنسان.

الكبرَ والإعجابَ بالنفس؛ فإنهما يصرفان عن كل خير.

حب الذات حبَّ الذات؛ فإنه مِعْوَلٌ يحطم قوام المجتمع.

الكذبَ فإنه مفتاح كل فساد.

(١) اقرأ الفقرة الأولى تجد المدرس يحث طلابه على أمور محمودة، يغريهم بها ليبنوا مستقبلهم على أسس قوية تكفل لهم النجاح في الحياة. وهذا الأسلوب يسمى أسلوب الإغراء، ويسمى كلٌّ من الإيمان، والحرص، والإنصاف، والإيجاز والدقة، والقراءة القراءة (مما وضع تحته خط). مغرى به.

ثم اقرأ الفقرة الثانية تجده يحذر طلابه أموراً بغيضة ليجتنبوها، ويبتعدوا عن خطرها، وهذا الأسلوب يسمى أسلوب التحذير، ويسمى كل من الإسراف، والكبر، والإعجاب، وحب الذات حب الذات، والكذب «محذراً منه».

(٢) أعد قراءة الفقرتين تجد كل اسم مغرى به منصوباً، وتجد كل اسم محذر منه منصوباً أيضاً، والنصب في كليهما بفعل محذوف تقديره في الإغراء «الزم» وفي التحذير «احذر».

(٣) أنعم النظر مرة أخرى في الفقرتين تجد المغرى به إما مذكوراً وحده (مفرداً) مثل الإيمان والحرص والإنصاف، وإما معطوفاً عليه مثل «الإيجاز والدقة»، وإما مكرراً مثل «القراءة القراءة»؛ ونجد المحذر منه كذلك ما عدا صورة خاصة به هي ذكره بعد «إيا» في المثال «إياكم والإسراف».

القاعدة

١ — « أُسْلُوبُ الإِغْراءِ أُسْلُوبٌ يَحُثُّ المخاطبَ عَلى القِيَامِ بِأَمْرٍ مَرْغُوبٍ فِيهِ يُسمّى « مُغْرًى بِهِ » .

٢ — « أُسلوبُ التحذيرِ أُسْلُوبٌ يُنَبِّهُ المخاطبَ على اجْتِنَابِ أَمْرٍ غيرِ مرغُوبٍ فيه يُسَمَّى مُحَذَّراً مِنْهُ » .

٣ — كُلٌّ مِنَ المُغْرَى بِهِ ، وَالمحذَّرِ مِنْه منصُوب بفعل مَحْذُوف تقديرُهُ فى الإِغْراءِ (الزمْ) ، وتقديرُهُ فى التَّحْذِيرِ « احذر » . وَحذفُ الفِعْلِ وَاجِبٌ إلاَّ إذَا كانَ المُغْرَى بِهِ وَالمحذر مِنْهُ مفردا ، فَيجُوز ذِكْرُهُ .

٤ — للإِغْراءِ ثَلَاثُ صُوَرٍ ، وَللتحذيرِ أَربعُ صُوَرٍ .

تمرينات

١ — أعرب مايأتى :

(ا) النارَ . (ب) إيَّاكَ والتوانى . (حـ) المروءةَ والنجدةَ . (د) الأمانةَ الأمانةَ .

الإجابة

(ا) النار : محذر منه ، مفعول به منصوبٌ بفعل محذوف جوازا تقديره « احذر » .

(ب) إيا : مفعول به منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره « احذر » والكاف حرف خطاب . والواو حرف عطف ، والتوانى : مفعول به منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره « احذر » (حـ) المروءة : مغرى به ، مفعول به منصوب بفعل محذوف تقديره الزم . والواو حرف عطف ، والنجدة معطوف على المروءة منصوب مثله . (د) الأمانة : مغرى به منصوب بفعل محذوف تقديره ، الزم . الأمانة : توكيد لفظى منصوب كالمؤكَّد .

٢ — أعرب مايأتى :

(ا) الأسد الأسد . (ب) الحلم عند دواعى الغضب .

(حـ) الكسل . (د) الإهمال والتأجيل . (هـ) القراءة والفهم .

(و) عملك عملك . (و) إياك والتواكل .

٣ — استخرج كل اسم مُغْرًى به أو محذرٍ منه فى العبارات الآتية وأعربه :

(ا) العدو العدو ؛ فإنه لايكف عن الغدر . (ب) إياكم والتهاون فى حق الوطن .

(حـ) القتال والجهاد فإنهما رسالة الرجال الأحرار .

(د) الجد والمثابرة فهما وسيلة النجاح . (هـ) إياك والإسراف فى المزاح ؛ فإنه يذهب الهيبة . (و) العدل والرحمة ، فهما يتكاملان . (ز) عيون العدو ، فإنها

مبثوثة فى كل مكان . (ح) الاتحاد والعمل ؛ فإنهما عماد القوة ، وقوام النصر .
(ط) النفاق النفاق ، فإنه رمز الخسة والضعف . (ى) اللعب فى الشوارع والسيارات .
(ك) الكذب والخداع . (ل) العقوق العقوق ، فإنه سمة اللئام .

٤ — حذر صديقا لك أن يقوم بما يأتى : عصيان الأبوين - تأجيل عمل عن موعده - المصلحة الذاتية - محاباة الأقارب . الخداع . الطعام المكشوف فى الأسواق . رفع صوت المذياع - قطيعة الجيران - السهر الطويل .

٥ — أغر أخاك بما يأتى : الوفاء - خفض الجناح للوالدين - النهوض من النوم قبل طلوع الشمس - رعاية العمال - العطف على الأجير - حق الأسرة - الرفق بالفلاح .

٦ — أعرب ما تحته خط فيما يأتى :

(ا) المخابىء عند الغارة - الذوق فى معاملة الناس . طاعة الوالدين - الرفق الرفق فى معاملة صغار التلاميذ ، إياك أن تترفع على الزملاء الإهمال والتذلل .

(ب) قال الشاعر :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِراءَ [1] فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَّاءٌ ، وَلِلذَّمِّ جَالِبُ

(ج) قال الشاعر :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَا لَه كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سلاحِ

(د) قال الله تعالى :

نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا [2]

(هـ) قال الشاعر :

إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِى إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ [3]

(و) قال الشاعر :

وَلَكِنَّنِي لَمْ أَنْسَ مَا قَالَ صَاحِبِي نَصِيبَكَ من ذُلٍّ إِذَا كُنْتَ خَالِيًا [4]

---

(١) المراء : الجدال الملح .
(٢) احذروا عقرها ، ولا تذودوها عن المورد . (٣) توسعت موارده : سهلت أوائله ، وضاقت مصادره . صعب إتمامه .
(٤) أى منفرداً لا نصير لك .

١٣ – اسلوب الاختصاص

١ — نحن — المصريين — قادة التحرير فى إفريقية وآسيا .
٢ — إننا — معشر الثوار — للاستعمار بالمرصاد فى كل مكان .
٣ — بنا — أحفاد العرب — تتحرر الأجزاء المحتلة فى الوطن العربى .

(١) تأمل الأساليب السابقة ، تلاحظ أن كلمة المصريين فى الجملة الأولى بيّنت المقصود من الضمير « نحن » وفسرته ، فلو أنك قلت . « نحن قادة التحرير ، لم يتبين السامع المقصود من الضمير ، ففى كلمة المصريين بيان ، وتفسير للضمير السابق عليها .

وهكذا فى « معشر(١) الثوار » وفى « أحفاد العرب » .

(٢) يسمى هذا الاسلوب أسلوب الاختصاص ؛ لأن المتكلم يخص اللفظ المبيِّن للضمير بالحكم الذى أسند إلى الضمير . فهو يذكر الضمير ، ثم يتلوه بالاسم المختص أو المخصص بالحكم لكنه يطلق عليه لفظ « المخصوص » .

(٣) واذا تأملنا أدركنا أنه منصوب بفعل محذوف تقديره « أخص » .

(٤) و نلاحظ أنه اسم معرّف إما بأل ، وإما بالإضافة .

القاعدة

١ — أُسْلُوبُ الاخْتِصَاصِ : أُسْلُوبٌ يُذْكَرُ فِيهِ اسْمٌ ظَاهِر بعد ضَمِيرٍ ، لِقَصْرِ الْحُكْمِ الّذِى أُسْنِدَ إِلَى الضَّمِيرِ عَلَى هَذَا الاسْمِ الظّاهِر .

٢ — الاسْمُ الظّاهِرُ الّذِى يُذْكَرُ بَعْدَ الضَّمِيرِ فى هَذَا الأُسْلُوبِ يُسَمَّى مَخْصُوصاً .

٣ — الْمَخْصُوصُ مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ وُجُوباً تَقْدِيرُهُ «أَخُصُّ» أَو «أَقْصِدُ» .

تمرينات

١ — استخرج الاسم المخصوص فى العبارات الآتية :

(ا) لنا — معشر المصريين — تاريخ عريق . (ب) نساؤنا — معشر الفلاحين — يعملن معنا فى الحقول . (ج) إننا — أبناء الفلاحين — نجدد نشاطنا بزيارة الريف . (د) نحن — الشعب الليبى — نحب جمال عبد الناصر . (ه) إننا — شبان السودان — نفدى مصر بأرواحنا . (و) علينا ثُوّارَ الجزائر — دين للشعب المصرى . (ز) بنا — طلاب الجامعة — تنهض البلاد . (ح) منا — أبناء الريف — ينبعُ القادة والعلماء . (ط) علينا — سكان المدن — أن نذكر أهل الريف مصدر الخير .

---

(١) معشر : جماعة .

٢ — ضع المخصوص المناسب فى المكان الخالى مما يأتى :

(ا) نحن ... قادورن على طرد العدو . (ب) إننا ... نغرس الفضيلة فى نفوس الناشئين . (ج) بنا ... تتبوأ مصر مكانها فى المحافل الدولية . (د) نحن ... نشكو قلة السلاح بأيدينا . (ه) علينا ... أن نكشف عن خيرات الصحراء .

٣ — ضع خبراً مناسبا تتم به الجملة فى المكان الخالى مما يأتى :

(ا) نحن — فتيات مصر — ... (ب) إننا — معشر المعلمين — ...

(ج) أنا — العامل — ... (د) نحن — جنود الصاعقة — ...

٤ — ضع مبتدأ مناسبا لكل خبر فى أسلوب اختصاص ، واضبط المخصوص فيما يأتى :

(ا) ... فى سماء مصر . (ب) ... حريصون على أموال الدولة .

(ج) ... متحذرون للهجوم . (د) ... نسالم ولا نستسلم . (ه) ... نخرج ثمرات الأرض . (و) ... نذود عن الحمى .

٥ — أعرب ما يأتى :

(ا) حقنا — معشر اللاجئين — لن يضيع . (ب) نحن - العمال - نبنى اقتصاد الدول . (ج) بلادنا - معشر المصريين - تهزم الغزاة .

الإجـــابة

(ا) حقنا : حق مبتدأ مرفوع بالضمة ، وهو مضاف ، ونا مضاف إليه ضمير المتكلمين فى محل جر . معشر اللاجئين : مخصوص بالحكم ، منصوب بفعل محذوف تقديره « أخص » ، معشر مضاف ، واللاجئين مضاف إليه مجرور بالياء ؛ لأنه جمع مذكر سالم.

لن يضيع : حرف نصب ، وفعل مضارع منصوب بالفتحة ، وفاعله ضمير يعود على (حقنا) ، والجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدأ .

(ب) نحن : ضمير المتكلمين مبتدأ مبنى فى محل رفع . العمال : مخصوص بالحكم منصوب بفعل محذوف تقديره أخص ، نبنى : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن ، والجملة الفعلية خبر المبتدأ (نحن) : اقتصاد الدولة ، اقتصادِ مفعول به منصوب بالفتحة ، وهو مضاف ، والدولة مضاف إليه مجرور بالكسرة.

(ج) بلادنا : مبتدأ مرفوع بالضمة ، وهو مضاف ، وضمير المتكلمين (نا) مضاف إليه فى محل جر . معشر المصريين : مخصوص بالحكم ، وهو منصوب بفعل محذوف تقديره (أخص) وهو مضاف ، والمصريين مضاف إليه مجرور بالياء ؛ لأنه جمع مذكر سالم .

تهزم : فعل مضارع مرفوع بالضمة وفاعله ضمير مستتر تقديره هى ، يعود على « بلادنا » والجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدأ (بلادنا) والغزاة : مفعول به منصوب بالفتحة .

٦ ــ أعرب ما يأتى :

(ا) نحن ــ أبناء العراق ــ أُسُودُ الجبهة الشرقية . (ب) إنا ــ السوريين ــ نحب مصر . (حـ) أنا اللبنانىَّ ــ أرحب بالفدائيين .

(د) أنا ـ الحسين ـ فداء لكل عربى .

نماذج وتمرينات عامة

١ ــ قال أحمد شوقى يلخص مزايا الشريعة الإسلامية :

والدين يسرٌ ، والخلافة بيعةٌ والأمر شورى ، والحقوق قضاء

أعرب البيت ؛ ثم انسب إلى شورى وقضاء .

الاجابة

الإعراب . الدين : مبتدأ مرفوع بالضمة . يسر : خبر مرفوع بالضمة . الخلافة : مبتدأ مرفوع بالضمة ، بيعة : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة . الأمر : مبتدأ مرفوع بالضمة شورى خبر المبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على الألف ؛ لأنه اسم مقصور . الحقوق ـ مبتدأ مرفوع بالضمة ، قضاء خبر المبتدأ مرفوع بالضمة .

النسب إلى شورى : شورِىّ . شورَوِىّ ، شورَاوِىّ .

النسب إلى قضاء : قضائىّ ، أو قضاوىّ .

٢ ــ قال أحمد شوقى يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزّمانِ تَبَسُّمٌ وَثناءُ

أعرب البيت : ثم ثن ضياء ، وثناء . والهدى .

الأجابة

ولد : فعل ماض مبنى للمجهول ، الهدى ، نائب فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف لأنه اسم مقصور ، فالكائنات : الفاء سببية ، والكائنات مبتدأ مرفوع بالضمة ، وضياء : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة ، فم الزمان . فم مبتدأ مرفوع بالضمة ، الزمان مضاف إليه مجرور بالكسرة ، تبسم : خبر المبتدأ وثناء معطوف على الخبر مرفوع مثلهُ ، التثنية : ضياءان وثناءان أو ثناوان ، والهديان .

٣ ــ قال الأستاذ على الجندى :

ذهب الحــقد والحسد ومضى البؤسُ والنــكدْ

وانقضى الظلمُ وانطوتْ دولة الصيِّد والصَّيَدْ(١)
والتقى الناسُ إخــوةً لا ذئابٌ ولا نَقَدْ(٢)
وتســاوى بنو الغنِيَ وبــنو الفقر فى الرَّغَدْ

(ا) أعرب هذه الأبيات بإيجاز (ب) « التقى الناس إخوة » قدم الفاعل ثم أعرب العبارة (حـ) « ذهب الحقد » قدم الفاعل ، ثم أعرب العبارة .

الأجابة

ذهب الحقد : ذهب فعل ماض ، والحقد فاعل مرفوع ، والحسد : معطوف عليه مرفوع وسكن آخره للشعر ، ومضى البؤس : فعل ماض ، وفاعل . والنكد : معطوف على الفاعل مرفوع . وانقضى . فعل ماض ، والظلم فاعل مرفوع ، وانطوت : فعل ماض ، والتاء للتأنيث : ودولة فاعل مرفوع . ودولة مضاف والصّيد مضاف إليه مجرور بالكسرة ، والصَّيَد معطوف مجرور بالكسرة ، وسكن للشعر . والتقى : فعل ماض ، والناس فاعل ، وإخوة ؛ حال منصوبة بالفتحة . لا ذئاب : لا نافية للجنس غير عاملة ، وذئاب مبتدأ مرفوع بعد لا لتكرارها وخبر المبتدأ محذوف تقديره « بينهم » مثلا ، ولا نقد : الواو حرف عطف . ولا حرف نفى ، نقد مبتدأ مرفوع بعد لا لتكرارها ، وسكن للشعر ، وخبره مثــل خبر « ذئاب » . وتساوى فعل ماض . بنو الغنى : فاعل مرفوع بالواو ؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم . والغنى مضاف إليه مجرور تقديراً لأنه مقصور . وبنو الفقر ، معطوف على الفاعل ، مرفوع مثــله بالواو ، والفقر مضاف إليه مجرور بالكسرة . فى الرغد : جار ومجرور ، شبه جملة حال من الفاعل والمعطوف عليه. (ب) الناس التقوْا إخوة . الناس مبتدأ مرفوع ، والتقوا فعل وفاعل والجملة خبر المبتدأ وإخوة حال من الفاعل منصوبة بالفتحة (حـ) الحقد ذهب : الحقد مبتدأ مرفوع بالضمة . وذهب فعل ماض فاعله مستتر تقديره هو يعود على الحقد ، والجمله الفعلية خبر المبتدأ .

٤ ــ قال الشاعر :

سَافِر تَجِدْ عِوَضاً عَمَّن تُفَارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْش فى النَّصَب

(ا) أعرب البيت . (ب) اجعل الخطاب فى البيت للمثنى المذكر ، ثم للجمع بنوعيه ، وأعرب كل حالة .

الاجابة

سافر : فعل أمر ، والفاعل أنت ، تجد . فعل مضــارع مجزوم بالسكون فى جواب

---

(١) الصيد ، جمع أصيد وهو المتكبر ، الصيد (بفتح الياء) الكبر . (٢) النقد . الغنم الصغير .

الأمر ، وفاعله أنت . عوضا : مفعول به منصوب . عمن : عن حرف جر ، ومن اسم موصول مجرور محلا . والجار والمجرور يتعلقان بعوضاً . تفارقه : فعل مضارع مرفوع والفاعل أنت ، والهاء مفعول به وجملة تفارقه صلة الموصول لا محل لها من الإعراب . وانصب : فعل أمر ، فاعله أنت مستتر . الفاء للسببية . إن : حرف توكيد . لذيذ . اسم إن ، والعيش مضاف إليه مجرور . فى النَّصَبِ : جار ومجرور شبه جملة خبر إنّ .

(ب) سافروا تجدوا عوضاً عمن تفارقونه وانصبوا . . .

وسافروا : فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل ، تجدوا فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر بحذف النون والواو فاعل تفارقونه : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وانصبوا : فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل .

سافرن تجدن عوضاً عمن تفارقنه . وانصبن : سافرن فعل أمر مبنى على السكون ، وتجدن : فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة فى محل جزم . تفارقن : مضارع مبنى على السكون ، وانصبن فعل أمر مبنى على السكون ونون النسوة فاعل فى جميع هذه الأفعال .

سافرا تجدا عوضاً عمن تفارقانه ، وانصبا ...

سافرا : فعل أمر مبنى على حذف النون ، وتجدا فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر بحذف النون ، وتفارقان مضارع مرفوع بثبوت النون ، وانصبا فعل أمر مبنى على حذف النون ، وألف الاثنين فاعل فى جميع هذه الأفعال .

٤ — وقال الشاعر :

فانهضى بالتراث يا أمةَ الضا ... د تفوزى بأغنم الأرباح

واجعلى الوحدة الشديدة نبراساً ... يُجَلِّى لنا فسيح البراح

أعرب البيتين :

الأجابة

انهضى : فعل أمر مبنى على حذف النون ،وياء المخاطبة فاعل . بالتراث : جار ومجرور متعلقان بالفعل (انهضى) يا أمةالضاد : يا حرف نداء . أمة منادى منصوب ؛ لأنه مضاف ، والضاد مضاف إليه مجرور بالكسرة . وتفوزى : فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر بحذف النون ، والياء فاعل ، بأغنم الأرباح : الباء حرف جر وأغنم مجرور بالباء ، وجر بالكسرة مع أنه ممنوع من الصرف ؛ لأنه مضاف ، والأرباح مضاف إليه مجرور بالكسرة .

واجعلى : فعل أمر : فاعله ياء المخاطبة ، والوحدة مفعول أول منصوب ، والشديدة

نعت منصوب ، ونبراساً : مفعول ثان منصوب ، ويجلى : فعل مضارع مرفوع تقديراً ، فاعله يعود على نبراساً . والجملة الفعلية صفة لنبراساً . ولنا : جار ومجرور متعلقان بالفعل يجلى . وفسيح مفعول به للفعل يجلى ، والبراح مضاف إليه مجرور .

٥ — قال الشاعر :

طريق العلا أنْ يرفَعَ الشعبُ رأسه وألا يراه المستبدُّون طيِّعا
طريقُ العلا أن يعرف الشعب حقَّه ولا ينثنى عن غاية الحق إصْبعا

(ا) أعرب البيتين . (ب) أنسب إلى علا .

الأجابة

طريق العلا : طريق مبتدأ مرفوع ، والعلا مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة،لأنه مقصور . أن يرفع : مصدر مؤول خبر المبتدأ ، الشعب فاعل الفعل يرفع ، مرفوع بالضمة ، رأسه : مفعول به ، والهاء مضاف إليه فى محل جر ، وألا يراه : الواو حرف عطف وأن حرف نصب ، ولا حرف نفى ، يرى مضارع منصوب بالفتحة المقدرة ، والهاء مفعول به والمصدر المؤول معطوف على خبر المبتدأ ، والمستبدون فاعل مرفوع بالواو .طيعاً : مفعول ثان (على أن يرى علمية) أو حال (على أن يرى بصرية) طريق العلا : مبتدأ ، ومضاف اليه أيضاً ، أن يعرف : مصدر خبر المبتدأ .

الشعب : فاعل . حقه : مفعول به ، والهاء ضمير مجرور محلا بالإضافة .

ولا ينثنى : الواو حرف عطف ، ولا حرف نفى وينثنى فعل مضارع منصوب لأنه معطوف على يعرف وسكن للشعر وفاعله ضمير مستتر يعود على الشعب ، وعن : حرف جار ، وغاية مجرور بعن ، والحق مضاف إليه مجرور ، والجار والمجرور (عن غاية الحق) متعلقان بالفعل « ينثنى » . وإصبعا تمييز منصوب . .

(ب) — النسب الى عُلاً : عُلَوِىّ

٦ — قال الشاعر :

حَصَادُ الْحُقُولِ لِفَلَّاحِهَا وَخَيْرُ الْمَصَانِعِ لِلْعَامِلِ
وَحُكْمُ البِلَادِ لِإِصْلَاحِهَا وَلَا حُكْمَ لِلِّص وَالْجَاهِل

أعرب البيتين .

الأجابة

حصاد : مبتدأ مرفوع بالضمة ، والحقول : مضاف إليه مجرور بالكسرة لفلاحها جار مجرور والضمير « ها » مضاف إليه محلا . والجار والمجرور خبر المبتدأ ، وخير مبتدأ

والمصانع مجرور بالكسرة لأنه مضاف إليه وجر بالكسرة مع أنه ممنوع من الصرف لاقترانه بأل وللعامل : جار ومجرور : خبر المبتدأ .

وحكم البلاد : مبتدأ ، ومضاف إليه ، ولإصلاحها جار ومجرور خبر المبتدأ .

ولا حكم : لا نافية للجنس ، وحكم اسمها مبنى على الفتح . للص جار ومجرور خبر « لا » والجاهل معطوف على اللص مجرور بالكسرة .

٧ — قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبة له فى الأمم المتحدة :

« إننا نؤمن بأمة عربية واحدة ... لقد كانت للأمة العربية وحدة اللغة ، ووحدة اللغة هى وحدة الفكر . وكانت للأمة العربية وحدة التاريخ ، ووحدة التاريخ هى وحدة الضمير ، ولسنا نرى أساساً قومياً أمكن منْ هذا الأساس ، ولا أثبت وليس مجرّدَ صدفة أن جميع الدول العربية التى حصلت على استقلالها لم تلبث بعد الاستقلال أن نصت فى دساتيرها على أن شعوبها إنما هى جزء من الأمة العربية »

(ا) أعرب هذه الفقرة - (ب) « لسنا نرى أساساً قومياً أمْكَنَ من هذا الأساس » اجعل الضمير « نا » للمخاطبين واكتب الجملة صحيحة ، ثم أعربها .

الإعراب : إننا : إن حرف توكيد وناسخ ، ونا اسمها منصوب محلا ، ونؤمن . فعل مضارع مرفوع ، وفاعله مستتر تقديره « نحن » ، والجملة الفعلية خبر إنّ مرفوعة محلا . بأمة : جار ومجرور متعلقان بالفعل « نؤمن » عربية : نعت مجرور بالكسرة . واحدة : نعت مجرور بالكسرة . لقد : اللام وقد للتوكيد ، كانت : فعل ناسخ وتاء التأنيث ، للأمة : جار ومجرور خبر كان مقدم . العربية : نعت مجرور . وحدة اللغة : اسم كان مرفوع ، واللغة مضاف إليه مجرور . ووحدة : الواو حرف عطف ووحدة مبتدأ : واللغة مضاف إليه ، وهى مبتدأ ثان ، ووحدة : خبر هى ، والفكر مضاف إليه ، والجملة الإسمية خبر « وحدة اللغة » وكانت : فعل ناسخ وتاء التأنيث . للأمة : جار ومجرور خبر كان ، ووحدة اسمها . والتاريخ مضاف إليه مجرور . ووحدة : مبتدأ ، التاريخ مضاف إليه . وهى : مبتدأ ثان . وحدة : خبر المبتدأ الثانى ، والضمير مضاف إليه ، والجملة الإسمية خبر المبتدأ (وحدة التاريخ) . ولسنا : ليس واسمها . نرى : فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر (نحن) والجملة الفعلية خبر ليس منصوب محلا . وأساساً مفعول أول لنرى ، وقوميا : نعت له . أمكن . مفعوله الثانى . من هذا : جار ومجرور متعلقان باسم التفضيل « أمكن » . الأساس : بدل من هذا مجرور . ولا أثبت : حرف عطف وحرف نفى » ومعطوف على « أمكن » منصوب . ليس مجرد صدفة : فعل ناسخ ، وخبره ، ومضاف إليه . وأن جميع : أن واسمها ، والدول

مضاف إليه . والعربية نعت للدول مجرور . التى : اسم موصول نعت ، وحصلت: فعل وفاعله المستتر وهى جملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول . على استقلالها : جار ومجرور متعلقان بحصلت ، وها ضمير مضاف إليه فى محل جر ، لم تلبث : حرف جازم ، وتلبث فعل مضارع مجزوم ، وفاعله ضمير يعود على « جميع الدول العربية » ، والجملة الفعلية من الفعل والفاعل خبر « أنَّ » والمصدر المؤول من « أن » واسمها وخبرها اسم ليس . بعد الاستقلال : ظرف ومضاف إليه . « أنْ » حرف (مصدرى ونصب) . نصّت : فعل ماض مبنى على الفتح والتاء للتأنيث والفاعل ضمير يعود على الدول . والمصدر المؤول من «أن» و «نصت» مجرور بحرف جر محذوف والتقدير مالبثت عن النص (أى ماأبطأت) . فى دساتيرها : جار . ومجرور ومضاف إليه . ودساتير جرت بالكسرة مع أنها ممنوعة من الصرف ؛ لأنها أضيفت إلى « ها » . على: حرف جر . أن شعوبها: أن واسمها ومضاف إليه. إنما : حرف توكيد . هى : مبتدأ . جزء خبر المبتدأ . ومن الأمة : جار ومجرور صفة للخبر . العربية : نعت للأمة مجرور . وجملة «إنما هى جزء» خبر «أن» والمصدر المؤول من أن واسمها وخبرها مجرور بحرف الجر « على » .

ب — لَسْتُم تَرَوْنَ : أساساً قوميًّا أمكن من هذا الأساس :

الإعراب : لستم : ليس واسمها ضمير الخطاب ، وترون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ، والجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب خبر ليس . (الباقى سبق إعرابه) .

٨ — قال محمد الأسمر :

وَمَنْ لَمْ تُؤَدِّبْهُ الْحَوَادِثُ حَوْلَهُ ، تَوَلَّاهُ دَهْرٌ للملوك مُؤَدِّبُ

أعرب البيت :

الإعراب : من : اسم شرط مبتدأ . لم : حرف جازم . تؤدبه : فعل مضارع مجزوم بلم ، وعلامة جزمه السكون ، والهاء مفعول به ، والحوادث فاعل الفعل (تؤدب) . وحوله ظرف مكان منصوب بالفتحة ، والضمير مضاف إليه ، وشبه الجملة حال من الحوادث ، تولاه : فعل ماض جواب الشرط والهاء مفعول به . دهر : فاعل مرفوع . للملوك : جار ومجرور متعلقان باسم الفاعل (مؤدب) . ومؤدب : نعت لدهر مرفوع . والجملة من فعل الشرط وجواب الشرط خبر المبتدأ (من) .

٩ — قال محمود غنيم :

وَأَقْبَحُ مَاتَرَى عَرْشٌ حَرِيصٌ وَتَاجٌ لَا يُزَيِّنُهُ السَّمَاحُ

أعرب البيت :

الإعراب : أقبح مبتدأ مرفوع بالضمة وهو مضاف ، وما : مضاف إليه اسم موصول ترى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف ، وفاعله ضمير المخاطب المستتر (أنت) وعائد الصلة ضمير محذوف تقديره (ماتراه) وجملة الصلة لامحل لها من الأعراب عرش : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة . جريص : نعت مرفوع . وتاج: معطوف على عرش . ولا يزينه : حرف نفى ، وفعل مضارع مرفوع بالضمة ، والضمير مفعول به يعود على تاج ، والسماح : فاعل مرفوع بالضمة ، ، والجملة الفعلية صفة لتاج فى محل رفع .

١٠ — قال محمود غنيم :

حماة العرب أحرزتم لمصر نجاحا لا يضارعه نجاح

دعوا أمر البلاد يليه قوم لهم ذمم مطهرة وراح(١)

أعرب البيتين :

الإعراب : حماة العرب:منادى منصوب بالفتحة ، لأنه مضاف ، والعرب مضاف إليه مجرور بالكسرة : أحرزتم : فعل ماض ، والتاء فاعل . لمصر : جار ومجرور متعلقان بالفعل (أحرز) ، ومصر مجرورة بالفتحة لأنها ممنوع من الصرف . نجاحا : مفعول به ، منصوب . لا يضارعه : حرف نفى ، وفعل مضارع مرفوع ، والضمير مفعول به منصوب ؛ محلا . ونجاح : فاعل الفعل يضارع . والجملة الفعلية المنفية صفة (نجاحا) ، فى محل نصب . دعوا : فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل . أمر البلاد . مفعول به منصوب ، ومضاف إليه مجرور . يليه : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة ، والهاء مفعول به وقوم فاعله مرفوع . والجملة الفعلية حال من « أمر البلاد » . لهم : جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم . ذمم : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة . مطهرة : نعت للمبتدأ مرفوع . وراح : معطوف على « ذمم » مرفوع مثله : والجملة الاسمية « لهم ذمم » صفة قوم فى محل رفع

١١ — من خطبة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر فى ذكرى الهجرة :

« سيدى يارسول الله : ما أطيب الحديث عنك : وما أجمل التأمل فى سيرتك : فما أشبه الليلة بالبارحة ! وما أحوج عالم اليوم إلى نورك ! وما أحوجه إلى روحك ! فقد ضل الناس وبغوا فى الأرض ، وضاع الحق بينهم ، وساد الباطل فيهم . إن كنت قد رحلت عنا فقد تركت لنا سيرة عطرة امتلأت بصور من ذكريات خالدة تنير لنا الطريق وتفتح أمامنا الأمل والرجاء »

---

(١) جمع راحة وهى اليد .

أعرب هذه الفقرة :

الإعراب :

سيدى منادى مضاف إلى ياء المتكلم منصوب تقديرا ، وحرف النداء محذوف. يارسول الله ؛ حرف نداء ، ومنادى منصوب بالفتحة، وهومنصوب ، لأنه مضاف.ولفظ الجلالة مضاف إليه . ما أطيب . ما : أداة تعجب ، نكرة تامة بمعنى شىء مبتدأ فى محل رفع . أطيب فعل ماض ، وفاعله ضمير يعود على ما ، وجملة «أطيب» خبر «ما» مرفوعة محلا .

الحديث : مفعول به منصوب . عنك : جار ومجرور شبه جملة حال من المفعول (الحديث) . وما أجمل : مثل ما أطيب . والتأمل مفعول به . فى سيرتك : جار ومجرور متعلقان بالتأمل . فما أشبه : الفاء سببية.وأشبه الليلة : مثل «ماأطيب الحديث»وبالبارحة: جار ومجرور متعلقان بأشبه . وما أحوج عالم اليوم - مثل (ما أطيب الحديث) - إلى نورك : جار ومجرور متعلقان بأحوج - وما أحوجه - مثل (ما أطيب) . إلى روحك - جار ومجرور متعلقان بأحوج - فقد - الفاء سببية وقد للتوكيد . ضل الناس : فعل وفاعل وبغوا : فعل وفاعل . فى الأرض : جار ومجرور (حال) وضاع الحق : فعل وفاعل - بينهم - شبه جملة حال . وساد الباطل: فعل وفاعل . فيهم: شبه جملة حال - إن كنت : حرف شرط وفعل الشرط ، والتاء اسم كان ، قد رحلت جملة فعلية خبر كان ، فقد : جواب الشرط مقترن بقد ، فاقترن بالفاء - تركت - جواب الشرط - والتاء فاعل . لنا : جار ومجرور - سيرة : مفعول به عطرة : نعت منصوب كالمنعوت - امتلأت : فعل ماض وفاعله ضمير يعود على سيرة : والجلة الفعلية صفة فى محل نصب - بصور - جار ومجرور متعلقان بالفعل (امتلأ) - من ذكريات : جار ومجرور نعت لصور خالدة - نعت لذكريات تنير : فعل وفاعل (ضمير) جملة فعلية صفة لذكريات فى محل جر . لنا : جار ومجرور متعلقان بالفعل «تنير» الطريق مفعول به ، منصوب - تفتح فعل مضارع مرفوع، وفاعلة ضمير يعود على ذكريات . أمامنا . ظرف مكان ، ونا مضاف إليه فى محل جر - أبواب . مفعول به ، منصوب - الأمل : مضاف اليه ، والرجاء معطوف عليه مجرور -

١٢ — أَبَا الزَّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِى   بِمَدْحِكَ ، بَيْدَ أَنَّ لِى انْتِسَابَا

أعرب البيت :

الإعراب : أبا الزهراء : منادى منصوب بالألف ؛ لأنه اسم من الأسماء الخمسة مضاف إلى الزهراء ، وهى مجرورة بالكسرة مع أنها ممنوعة من الصرف ؛ لأنها محلاة بأل -

قد : حرف توكيد ، جاوزت ، فعل ماض ، والتاء فاعل ـ قدرى : مفعول به ، والياء فى محل جر بالإضافة .

بمدحك : بمدح : جار ومجرور ، والكاف مضاف إليه فى محل جر . والجار والمجرور شبه جملة حال . بيد : اسم بمعنى غير ، منصوب على الاستثناء . أن : حرف توكيد ناسخ ، لى : جار ومجرور شبه جملة خبر أن مقدم . انتسابا ـ اسم أن مؤخر ، منصوب بالفتحة ، والمصدر المؤول من أن واسمها وخبرها ، مضاف لبيد .

١٣ — جَيْشُ العُرُوبَةِ يَامُحَرِّرَ أَرْضِهَا   لَكَ فى النُّفُوسِ الْحُبُّ وَالإعْظَامِ

أعرب هذا البيت .

الإعراب : جيش العروبة . منادى منصوب ؛ لأنه مضاف والعروبة مضاف إليه مجرور بالكسرة ، يا محرر : حرف نداء ، ومنادى منصوب ، لأنه مضاف . وأرضها . مضاف إليه مجرور بالكسرة ، وها . مضاف إليه مجرور محلا . لك : جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم . فى النفوس جار ومجرور (حال) . الحب : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة . والإعظام . معطوف ، مرفوع .

١٤ أعرب قول الشاعر .

من يزرع الشر يحصد فى عَوَاقِبِهِ   ندامة ولحصْدِ الزّرع إبّان

الإعراب : من . اسم شرط مبتدأ مرفوع محلا . يزرع فعل الشرط مضارع مجزوم وفاعله ضمير يعود على «من» . الشر : مفعول به منصوب بالفتحة . يحصد . جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون ، وفاعله ضمير يعود على «من» فى عواقبه : جار ومجرور . حال مقدمة من ندامة . وخبر المبتدأ . فعل الشرط وجوابه . وندامة مفعول به منصوب . لحصْد . جار ومجرور ، والزرع مضاف إليه مجرور . والجار والمجرور شبه جملة خبر المبتدأ المؤخر «إبّانُ» .

١٥ — أعرب قول الشاعر :

من سالَمَ الناس يسلَمْ من غوائلهم   وعاش وهو قرير العين جَذْلانُ

من . مبتدأ ، اسم شرط : سالم . فعل ماض وفاعله ضمير يعود على (مَنْ) . الناس . مفعول به منصوب . يسلم : جواب الشرط مجزوم . وفاعله ضمير يعود على « من » أيضا من غوائلهم : جار ومجرور متعلقان بيسلم . وهم : ضمير مضاف إليه فى محل جر ، وغوائلهم : مجرورة بالكسرة مع أنها اسم ممنوع من الصرف ، لأنها أضيفت . وعاش : معطوف على يسلم وفاعله ضمير يعود على من . وهو . الواو حالية ، هو . مبتدأ مرفوع محلا . قرير خبر المبتدأ ، والجملة الاسمية حال .

العين . مضاف إليه مجرورة بالكسرة . جذلان . خبر ثان للمبتدأ (هو) وخبر « من » جملة الشرط وجملة الجواب معا ،

١٦ — أعرب البيت ، وهو لشاعر ، فى حزب سياسى .

إِذَا اسْتَلَمُوا زِمَامَ الأَمْرِ عَاثُوا وَإِنْ حُرِمُوا زِمَامَ الأَمْرِ نَاحُوا

الإعراب :

إذا . ظرف للزمان المستقبل يفيد الشرط . استلموا . فعل ماض فعل الشرط ، مبنى على الضم وفاعله الواو . زمام : مفعول به منصوب بالفتحة . الأمر : مضاف إليه مجرور بالكسرة . عاثوا : فعل ماض مبنى على الضم جواب الشرط ، وفاعله الواو . وإن حرموا : فعل ماض فعل الشرط (إن) مبنى للمجهول ، مبنى على الضم ، والواو نائب فاعل . زمام : مفعول به . الأمر مضاف إليه مجرور بالكسرة . ناحوا : جواب الشرط ، فعل ماض مبنى على الضم ، والواو فاعل .

١٧ — أعرب . لولا الدواءُ ماشُفِى المريضُ ، ولواحْتَمَى المريض لسلم .

الإعراب . لولا . حرف امتناع لوجود ، يفيد الشرط . الدواء مبتدأ مرفوع وخبر المبتدأ محذوف تقديره موجود . ماشفى . ماحرف نفى ، شفى فعل ماض مبنى للمجهول . المريض . نائب الفاعل مرفوع وجواب الشرط « ماشفى » ولو احتمى . لو حرف امتناع لامتناع ويفيد الشرط ـ واحتمى فعل ماض مبنى على الفتح المقدر فعل الشرط ـ وفاعله المريض ـ لسلم ـ جواب لو ، واللام للتوكيد ، وسلم فعل ماض مبنى على الفتح ، وفاعله ضمير يعود على المريض .

١٨ — أعرب البيت الآتى :

الدين للديَّان جَلَّ جَلاَلُه لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَّدَ الأَقْوَامَا

الإعراب :

الدّين : مبتدأ مرفوع ، للديان : جار ومجرور خبر المبتدأ . جل جلاله : فعل وفاعل ومضاف إليه ، وهى جملة دعائية لو : حرف امتناع لامتناع . شاء : فعل الشرط . ربك : فاعل مرفوع ، ومضاف إليه مجرور محلا . وحّد : فعل ماض جواب الشرط ، والفاعل ضمير يعود على ربك ـ الأقوام ، مفعول به ، منصوب بالفتحة ، والألف فى آخره لمد الصوت فى الشعر .

١٩ — أعرب البيت الآتى :

وحّدوا الرأى والعزيمة وامضوا لم تَسُد أمة عراها انقسام

الإعراب :

وحدوا . فعل أمر ، مبنى على حذف النون . والواو فاعل. الرأى . مفعول به منصوب بالفتحة : والعزيمة معطوفة على الرأى منصوبة . وامضوا . مثل وحدوا .

لم تسد . لم حرف جازم للنفى ، تسد . فعل مضارع مجزوم بالسكون . أمة . فاعل مرفوع بالضمة . عراها . عرا فعل ماض مبنى على فتح مقدر . وها ضمير يعود على أمة مفعول به منصوب محلا . انقسام فاعل الفعل عرا . والجملة من الفعل والفاعل صفة لأمة فى محل رفع .

٢٠ — أعرب البيت الآتى .

وَلَسْنَا بِأَعْدَاءٍ لِخَاطِبِ وُدِّنَا وَلَـكِنَّنَا أَعْدَاءُ مَنْ يَتَقَلَّبُ

الإعراب :

لسنا ؛ ليس فعل ناسخ واسمها ضمير المتكلمين فى محل رفع . بأعداء : الباء حرف جر زائد . أعداء خبر ليس منصوب بالفتحة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

لخاطب : جار ومجرور . خاطب مضاف وودّنا مضاف إليه مجرور . وودّ مضاف وضمير المتكلمين مضاف إليه مجرور محلا . والجار والمجرور « لخاطب » صفة لأعداء . لكننا : لكن ، واسمها ضمير المتكلمين فى محل نصب . أعداء : خبر لكن مرفوع بالضمة أعداء مضاف ، « ومَنْ » مضاف إليه ، ومن : اسم موصول مبنى فى محل جر : يتقلب : فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير يعود على اسم الموصول ، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .

٢١ — إِنَّ الَّذِى قَسَمَ البِلَادَ حَبَاكُمُ بَلَداً كَأَوْطَانِ النُّجُومِ مَجِيداً (١)

إن . حرف ينصب المبتدأ ويرفع الخبر الذى اسم موصول مبنى على السكون ، اسم إن فى محل نصب . قسم : فعل ماض مبنى على الفتح ، وفاعله ضمير مستتر يعود على (الذى) البلاد مفعول به منصوب بالفتحة والجملة من الفعل والفاعل « قسم » لامحل لهامن الإعراب صلة الاسم الموصول . حباكم . فعل ماض مبنى على الفتح المقدر على الألف . فاعله ضمير مستتر يعود على الذى ، والكاف مفعول به فى محل نصب والجملة الفعلية « حباكم » فى محل رفع خبر إن . بلدا . مفعول ثان « لحبا » منصوب بالفتحة ، كأوطان . جار

---

(١) حباكم : أعطاكم .

ومجرور صفة فى محل نصب « لبلدا » النجوم مضاف إليه مجرور بالكسرة مجيداً صفة ثانية « لبلد » منصوب بالفتحة .

٢٢ — وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَبًا جَدِيداً (١)

وخير . الواو تعرب بحسب ماقبلها . خير: مبتدأ مرفوع بالضمة وهومضاف والناس مضاف إليه مجرور بالكسرة ذو حسب . ذو خبر المبتدأ مرفوع بالواو ؛ لأنه اسم من الأسماء الخمسة . وحسب : مضاف إليه مجرور بالكسرة . قديم : نعت لحسب مجرور بالكسرة ـ أقام . فعل ماض مبنى على الفتح فاعله ضمير يعود على « ذو حسب » لنفسه : جار ومجرور متعلقان بالفعل « أقام » حسبا : مفعول به منصوب بالفتحه . جديداً . صفة منصوبة بالفتحة والجملة الفعلية « أقام » فى محل رفع صفة للخبر « ذو حسب » .

٢٣ — فَانْفُضُوا النَّوْمَ وهُبُّوا لِلْعُلاَ فَالْعُلاَ وقفٌ على مَنْ لَمْ يَنَمْ

فانفضوا ـ الفاء على حسب ماقبلها « وانفضوا ـ فعل أمر مبنى على حذف النون لأنه متصل بواو الجماعة والواو فاعل ، النوم مفعول به منصوب بالفتحة ، وهبوا : الواو حرف عطف : هبوا : فعل أمر مبنى على حذف النون ، لأنه متصل بواو الجماعة ، واو الجماعة فاعل، للعلا : اللام حرف جر « والعلا . اسم مجرور بالام ، وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف . والجار والمجرور متعلقان بالفعل . فالعلا : الفاء حرف تعليل ، العلا مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على الألف ، وقف . خبر المبتدأ مرفوع بالضمة . على من حرف جر . ومن اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر والجار والمجرور متعلقان بالمصدر (وقف) . لم ينم . لم حرف جزم ، وينم فعل مضارع مجزوم بلم ، وعلامة جزمه السكون ، وفاعله ضمير يعود على الاسم الموصول « من » والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .

٢٤ — وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّى وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلاَبا

ومانيل . الواو على حسب ماقبلها ، وما حرف نفى . نيـــل . مبتدأ مرفوع بالضمة المطالب مضاف إليه مجرور بالكسرة « وجر بالكسرة مع أنه ممنوع من الصرف لاقترانه بأل « بالتمنى » الباء حرف جر والتمنى مجرور بالباء ـ وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء ـ لأنه اسم منقوص « لاتظهر عليه الكسرة والجار والمجرور شبه جملة فى محل رفع خبر المبتدأ « نيل »

---

(١) حسب : المراد مجد .

ولكن . الواو حرف عطف . ولكن حرف استدراك تؤخذ فعل مضارع مبنى للمفعول مرفوع بالضمة . والدنيا : نائب فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف لأنه مقصور » لاتظهر على الألف فيه حركات الإعراب « غلاباً . مفعول مطلق منصوب أو حال منصوبة بالفتحة .

٢٥ — وَإِذَا هَبَّتِ الشُّعوبِ إِلَى الغا يَاتِ شَقَّتْ لِنَيلِهِنَّ الْجِبالا

وإذا : الواو على حسب ما قبلها . إذا : أداة شرط غير جازمة وهى ظرف زمان يفيد معنى الاستقبال . ويضاف إلى الجملة الفعلية التى بعده . هبت فعل ماض مبنى على الفتح وهو الشرط والتاء للتأنيث والشعوب فاعل مرفوع بالضمة إلى الغايات : جار ومجرور متعلقان بالفعل « هبت » وجملة(هبت الشعوب) مضاف إليه فى محل جر : شقت : جواب الشرط . وهو فعل ماض مبنى على الفتح ، والتاء للتأنيث وفاعله ضمير يعود على الشعوب - لنيلهن : اللام حرف جر . ونيل مجرور باللام - وعلامة جره الكسرة . ونيل مضاف والضمير (هن) مضاف إليه فى محل جر - والجار والمجرور (لنيل) متعلقان بالفعل (شقت) والجبال مفعول به منصوب بالفتحة والألف زائدة لمد الصوت فى الشعر .

٢٦ — وإِذَا الشُّعُوبُ تَخَاصَمَتْ فَالْحَقُّ فى حَـــدِّ الْحُسَام

الواو حرف يعرب على حسب ما قبله وإذا أداة شرط ظرفية تفيد معنى المستقبل وتضاف إلى جملة فعلية بعدها — ولا يليها إلا فعل والشعوب فاعل لفعل محذوف تقديره تخاصمت » ويدل عليه ويفسره الفعل بعده والجملة الفعلية الشرطية فى محل جر مضاف إليه . تخاصمت : فعل ماض مبنى على الفتح والتاء للتأنيث وفاعله ضمير يعود على الشعوب فالحق : الفاء واقعة فى جواب الشرط لأنه جملة اسمية ، الحق : مبتدأ مرفوع بالضمة . فى حد : فى حرف جر وحد مجرور « بفى » وعلامة جره الكسرة والحسام مضاف إليه مجرور وشبه الجملة المكون من الجار والمجرور فى محل رفع خبر المبتدأ (الحق) .

٢٧ — قال الشاعر :

فَمَا الْحَدَاثَةُ عنْ حلم بِمَانِعَـة قَدْ يوجَد الْحَزْم فى الشُّبَّانِ والشِّيبِ

(ا) هات اسم فاعل من الحزم واسم مفعول من (مانعة) ومن (يوجد) .

(ب) أعرب البيت(١) .

(ملاحظة : سنعاون الطالب فى الإعراب بإشارات موجزة فى الهامش)

---

(١) الباء فى بمانعة زائدة ومانعة خبر المبتدأ مرفوع تقديراً .

٢٨ — قال الشاعر :

أَخْلِقْ بِذِى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

(ا) اجعل الشطر الأول لغير الواحد . (ب) أعرب البيت(١) .

(ج) هات اسم مفعول من « يحظى » .

٢٩ — قال الشاعر :

ومَنْ تَكُنِ العَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ ... فَكُلُّ الَّذِى يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

(ا) اجعل الحديث فى الشطر الثانى عن غير الواحد . (ب) هات اسم مفعول من « يلقى » . (ج) ثن العلياء ، واجمعها جمع مؤنث سالما . (د) أعرب البيت(٢) .

٣٠ — وإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً ... تَعِبَتْ فى مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

(ا) هات مضارع الفعل (تعبت) وأسنده إلى ضمائر الرفع البارزة مع التوكيد بالنون .

(ب) هات اسم الفاعل من « كان » وبين ماحدث فيه من تغيير .

(ج) أعرب البيت (٣) . (د) صغر « مراد » و « الأجسام » .

٣١ — ومَا شَرَفُ الإِنْسَانِ إِلَّا بِنَفْسِهِ ... وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ تَلِيدٍ ومُطْرَفِ

(ا) فى أى باب فى المختار ، وأى باب فى القاموس تكشف عن « مطرف »

(ب) أعرب البيت (٤) . (ج) صغر « مال »

٣٢ — أَعْزِزْ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى جِيرَانَنَا ... يُتَخَطَّفُونَ ونَحْنُ مَكْتُوفُو اليَدِ

(ا) استخرج اسما مشتقا من البيت : وهات اسم مفعول من نرى فى جملة .

(ب) أعرب البيت (٥) . (ج) صغر « جيران »

٣٣ — واللهِ مَادُونَ الجَلَاءِ ويَوْمِهِ ... يَوْمٌ تُسَمِّيهِ الكِنَانَةُ عِيداً

(ا) هات اسم الفاعل من (تسمى) وثنه ، واجمعه جمعاً سالماً . (ب) صغر « عيد » .

---

(١) أخلق فعل تعجب بمعنى أجدر وأحق وفاعله هنا المصدر المؤول (أن يحظى ، والباء أصلية فى بذى الصبر) . (٢) الفاء فى أول الشطر الثانى واقعة فى جواب الشرط والجملة فى محل جزم . (٣) جملة كانت واسمها وخبرها فى محل جر بالإضافة إلى « إذا » و « إذا » أداة شرط ظرفية غير جازمة منصوبة محلا بجوابها « تعبت » (٤) (بنفسه) شبه جملة خبر وجواب الشرط فى البيت محذوف لدلالة الشطر الأول عليه . (٥) المصدر المؤول فاعل أعزز . الواو فى ونحن واو الحال .

وانسب إلى « الجلاء » . (ج) أعرب البيت (١) .

٣٤ — لَسنا نَضِنُّ عَلَى الِحمَى بِدِمَائِنَا فَلَنَا أَوَائِلُ عَلَّمُونَا الْجُودَا

(ا) استخرج اسما مقصوراً وثنه ، وانسب إليه . (ب) أعرب البيت (٢) .

(ج) هات مفرد « دمائنا » ثم انسب إليه .

٣٥ — لا تَحْسَبِ المجدَ تمْراً أنتَ آكلُهُ لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

(ا) استخرج من البيت اسماً مشتقاً وبين نوعه . (ب) هات اسم فاعل من كل فعل من البيت . (ج) فى أى باب وأى فصل فى القاموس تكشف عن معنى كلمة (تعلق) .

(د) أعرب البيت(٣) : (ه) هات أسلوب إغراء يكون « المجد » مغرى به فيه .

(و) هات أسلوب تحذير يعبر عن معنى البيت واستخدم كلماته .

٣٦ — لَابُدَّ لِلضِّيقِ بَعْدَ اليَأْسِ مِنْ فَرَجٍ وكُلُّ دَاجِيَةٍ يوْمًا لِإِشْرَاقِ

(ا) فى أى باب فى القاموس تكشف عن معنى « داجية » . أعرب البيت(٤) .

٣٧ — لاَ تَيْأَسَنَّ وإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

(ا) خاطب بالفعل المؤكد « لاتيأسَنَّ » غير الواحد . (ب) هات اسم الفاعل واسم المفعول من تيأس واستعنت . (ج) أعرب البيت(٥) .

٣٨ — فَنِعْمَ صَدِيقُ الْمَرْءِ مَنْ كَانَ عَونَهُ وبئس امْرأً مَنْ لا يعينُ علَى الدَّهْرِ

(ا) أعرب البيت(٦) .

٣٩ — مَنْ لَمْ يَعِشْ حُرًّا على وجه الثَّرَى فَلْيَتَّخِذْ فى بَطْنِهِ أُخْدُوداَ

(ا) ثن الاسم المقصور فى البيت وانسب اليه . (ب) فى أى باب وأى فصل فى

---

(١) لفظ الجلالة مقسم به مجرور بحرف القسم وهو الواو وكلمة (دون) ظرف شبه جملة خبر مقدم وجملة تسميه نعت مرفوع . وعيدا مفعول ثان .

(٢) جملة « علمونا » نعت . (٣) جملة « أنت آكله » نعت جملة اسمية فى محل نصب تحسب تنصب مفعولين .

(٤) لاهى النافية للجنس ، وبد اسمها « ومعنى بد ، مفر ومهرب » وخبرها محذوف تقديره موجود . (٥) الفعل تيأسن فى محل جزم . جملة « إن طالت » تعرب حالا ، وإن زائدة ، والمصدر المؤول «أن ترى» مجرور بحرف جر محذوف تقديره « من » والجار والمجرور متعلقان بالفعل فى أول البيت . (٦) جملة « نعم صديق المرء » خبر المبتدأ « من كان» و «من» هو المخصوص بالمدح وامرأ» تمييز منصوب وفاعل بئس مستتر يفسره التمييز «من مخصوص بالذم» .

القاموس تكشف عن معنى كلمة «أخدودا» (ج) اجمع «أخدود» وضع الجمع فى جملتين بحيث يكون مرة مجروراً بالكسرة ومرة بالفتحة (د) أعرب البيت[1] .

٤٠ — فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَّمَا

(ه) أعرب البيت[2]

٤١ — وكُلُّ امْرِئٍ يولى الجميلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ

(ا) هات اسم الفاعل من الفعلين : يولى وينبت . (ب) أعرب البيت[3] .

(ح) كيف تكشف فى المعجم عن (يولى) ؟

٤٢ — لَقَدْ صَحَّ أن الضَّعف ذلٌّ لأَهْلِهِ وأنَّ عَلَى الأَرْضِ القوىَّ مُسَيْطِرُ

«ا» كيف تكشف فى المعجم عن كلمة «مسيطر» ؟ زن هذه الكلمة .

«ب» أعرب البيت[4] .

٤٣ — فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنَمْ عَنْهُ أَهْلُهُ ولاَ نَالَهُ فى الْعَالِمِينَ مُقَصِّرُ

«ا» هات اسم الفاعل من الأفعال : ضاع - لم ينم - ناله - واستخرج اسم فاعل من البيت ، واذكر فعله . «ب» أعرب كل البيت[5] .

٤٤ — وتَرَى الْجَدَاول فى الأصيل كأنَّهَا مِنْ فِضةٍ فيهَا النُّضَارُ أُذِيبَا

«ا» ضع كلمة «جداول» مجرورة فى جملتين بحيث تكون فى الأولى مجرورة بالكسرة ، وفى الأخرى مجرورة بالفتحة . «ب» كيف تكشف فى القاموس عن معنى «النضار» ؟

«ج» إذا كان جمع أصيل هو «أصائل» ضع الجمع مجروراً فى جملة واضبطه بالشكل . «ه» أعرب البيت[6] .

---

(١) الفعل يعش «مجزوم بلم» «على وجه الثرى» شبه جملة حال . وكذلك فى بطنه» وجملة فليتخذ المقترنة بالفاء ، لابتدائها بفعل طلبى فى محل جزم جواب الشرط .

(٢) الباء «بمبتاع» زائدة . ومبتاع خبر ليس منصوب بفتحة مقدرة . مرتق منصوب تقديرا . سلما مفعول به لاسم الفاعل «مرتق» . من خشية الموت حال شبه جملة .

(٣) جملة تولى نعت فى محل جر ، ومثلها «ينبت العز» . (٤) فاعل «صح» المصدر المؤول من أن واسمها وخبرها «والقوى» فى الشطر الثانى اسم «أن» وعلى الأرض جار ومجرور متعلقان بمسيطر ، «ولأهله» فى آخر الشطر الأول نعت شبه جملة .

(٥) جملة «لم ينم عنه» نعت ، وجملة «لا ناله فى العالمين مقصر» معطوفة عليها فى محل رفع . (٦) فى الأصيل شبه جملة حال ، من فضة . شبه جملة خبر كأن . النضار مبتدأ .

٤٥ — وَلِي شِيمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وعَزْمَةٌ تَفُلُّ شَبَاةَ الْخَطْبِ وهُوَ عَسِيرُ

« ا » اجمع شباة جمعا سالما ، وبين ما حدث فيها . «ب» تأبى : هات من هذا الفعل اسم مفعول . «ج» أعرب البيت(١) « د» صغر « شيمة » .

٤٦ — وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنُوبُنِي وَحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

« ا » هات اسم الفاعل من « أثنى » ثم ثنه فى جملة . «ب» أعرب البيت(٢) .

«ج» هات اسم الفاعل من الفعل ينوب ، وبين ما حدث فيه .

٤٧ — دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وثَوَانِ

(ا) لماذا كسرت همزة إن ؟ (ب) أعرب البيت(٣) .

(ج) هات اسما مشتقاً من البيت وبين فعله .

٤٨ — وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ

(ا) « متى أجزه حلماً على الجهل يندم : «اجعل الفعل أجزه» للمخاطب غير الواحد .

(ب) أعرب البيت(٤) (ج) اجعل الحلم مغرى به ، والجهل محذرا منه فى جملتين .

٤٩ — وَاحْذَرْ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ وإِنْ علا فَالْمَرْءُ يُفْسِدُهُ الْقَرِينُ الأَحْقَرُ

(ا) هات من الفعل ، علا ، اسم تفضيل وضعه فى جمل بحيث يكون مطابقاً لموصوفه فى حالة المفرد والمثنى ، والجمع بنوعيهما) .

(ب) أعرب البيت(٥) . (ج) اجعل « مقارنة اللئيم » محذرا منه فى جملة بصيغة التكرار .

٥٠ — لا يَبْلُغُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَاهُ من أرب إلاّ بِتَرْكِ الَّذِي يَخْشَاهُ مِنْ ضَرَرِ

(ا) أعرب البيت(٦) . (ب) هات اسم مفعول من الفعلين (يهواه ويخشاه)

---

(١) شيمة مبتدأ مؤخر . الدنايا : اسم مقصور منصوب بالفتحة المقدرة وجملة تأبى صفة لشيمة فى محل رفع : وجملة تفل مثلها «صفة لعزمة» والواو فى «وهو عسير» للحال .

(٢) حسب مبتدأ خبره المصدر المؤول أو حسب خبر مقدم : والمصدر مبتدأ مؤخر.

(٣) دقات مبتدأ . قائلة : خبر جملة « إن الحياة دقائق مفعول به لاسم الفاعل . ثوان معطوف على الخبر المرفوع . ورفعه بالضم المقدر على الياء المحذوفة .

(٤) الواو فى « وأحلم » للعطف : الجملة الشرطية فى محل رفع خبر « أن » . وجملة أنه سدت مسد مفعولى أعلم . (٥) الواو فى « وإن علا » حالية وقد تكون شرطية جوابها محذوف أو تكون بمعنى قد .

(٦) من أرب شبه جملة حال ، من ضرر جار ومجرور حال ، وإلا ، ملغاة والجار والمجرور بعدها متعلقان بالفعل يبلغ .

٥١ — جاء فى الميثاق :

« إن مشكلة التزايد فى عدد السكان هى أخطر العقبات التى تواجه جهود الشعب المصرى فى انطلاقه نحو رفع مستوى الإنتاج فى بلاده بطريقة فعالة وقادرة »

(ا) اضبط بالشكل ما تحته خط مع بيان سبب الضبط .

(ب) عين خبر إن فى العبارة .

(ﺟ) عين فى العبارة مصدراً صريحاً ، وضع مكانه مصدرا مؤولا فى جملته .

(د) ثن كلمة مستوى ، واجمعها جمع مؤنث سالما ، فى جملتين من تعبيرك .

٥٢ — لقد مضى إلى غير رجعة ذلك الزمن الذى كان فيـــه مصير الأمة العربية وشعوبها وأفرادها يتقرر فى العواصم الأجنبية ، وعلى موائد المؤتمرات الدولية أو فى قصور الرجعية المتحالفة مع الاستعمار .

(ا) أعرب ما تحته خط فى العبارة .

(ب) عين خبر كان فى العبارة .

(ﺟ) استخرج من العبارة الأسماء المنسوبة . وبين المنسوب إليه .

(د) استخرج من العبارة اسم مكان ، وبين فعله .

(ﻫ) كيف تـكشف فى القاموس المحيط عن كلمه الاستعمار ؟

٥٣ — أسست مدينة حلوان جنوبى القاهرة زمن الرومان على شاطىء النيل ، وجدد بناؤها أيام العرب فى عهد عبد العزيز بن مروان ، فأنشئت فيها القصور الفخمة ، وجعلت مقر الحكومة ، واشتهرت بجفاف الهواء ، وبالمياه المعدنية ولذا يقصدها الناس للتشتية والاستشفاء .

(ا) اضبط بالشكل ما تحته خط ، وبين سبب الضبط .

(ب) فى أى باب تكشف فى القاموس المحيط عن كلمة الاستشفاء .

(ﺟ) من الفعل : « يقصد » صغ اسم مكان ، واسم فاعل ، واسم زمان ، واسم مفعول وضع كلا منها فى جملة يتضح فيها معناه .

(د) ثن كل اسم ممدود فى العبارة ، ثم انسب إلى جميع هذه الأسماء الممدودة مع ذكر الأوجه الجائزة فى التثنية والنسب .

٥٤ — من الميثاق :

« إن الإنسان العربى ، قد استعاد حقه فى صنع حياته بالثورة ، إن الإنسان العربى سوف يقرر مصير أمتـه على الحقول الخصبة وفى المصانع الضخمة ومن فوق السدود

العالية وبالطاقات الهائلة المتفجرة بالقوى المحركة »

(ا) أعرب ما تحته خط . (ب) عين خبر إن فى العبارة .

(ﺟ) استخرج كل اسم فاعل ، وهات فعله ، وبين ما حدث فيه من تغيير إن كان .

(د) كيف تكشف فى القاموس والمختار عن كلمتى : استعاد ، والمتفجرة ،

(ﻫ) استخرج كل نعت فى العبارة .

٥٥ — إن مقدرة الشعب المصرى يجب أن توضع موضع الاختبار إيجابيا بالتزامه هذا الهدف الذى ينبغى وضعه دائما أمام النضال الوطنى . بل إن المقياس الحقيقى للإرادة الوطنية يرتبط ارتباطاً مباشراً باختصار مدة مضاعفة الدخل القومى إلى أقل من عشر سنوات بكل المسافه التى يطيق الجهد الوطنى تحملها » - من الميثاق .

(ا) أعرب ما تحته خط فى العبارة . (ب) « يطيق الجهاد الوطنى تحملها » ضع مكان تحملها مصدراً مؤولا ، وأعد كتابة الجملة .

(ﺟ) استخرج كل نعت من العبارة . (د) فى أى مادة تكشف فى القاموس عن كلمة مسافة .

(ﻫ) ضع كلمة أعوام « بدل سنوات » ، وغير ما يلزم تغييره فى العبارة مع بيان السبب .

٥٦ — إن التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الزراعة لا يؤمن بتأميم الأرض وتحويلها « إلى مجال الملكية العامة » وإنما « هو يؤمن » استنادا إلى الدراسة والتجربة بالملكية الفردية للأرض فى حدود « لا تسمح بالإقطاع » من الميثاق .

(ا) اضبط بالشكل أواخر الكلمات التى تحتها خطوط . (ب) أعرب ما بين القوسين .

(ﺟ) لا يؤمن بتأميم الأرض - ما محل هذه الجملة من الإعراب ؟

(د) من أى أنواع المشتقات كلمة « مجال » وما فعله ؟

٥٧ — « إن المواجهة الثورية لمشكلة الأرض فى مصر ، كانت بزيادة عدد الملاك . لقد كان ذلك هو الهدف من قوانين الإصلاح الزراعى التى صدرت سنة ١٩٥٢ ، وسنة ١٩٦١ » .

(ا) اضبط بالشكل أواخر الكلمات التى تحتها خطوط مع بيان السبب .

(ب) استخرج كلمتين منسوبتين فى العبارة . وبين المنسوب إليه .

٥٨ — جاء فى الميثاق :

« إن حرية النقد ضاعت فى هذه الفترة بضياع حرية الصحافة ، ولم يكن الأمر هو مجرد

القوانين الصارمة التى وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد وتوسعت فى هذه المحظورات إلى حد كاد أن يجعل الظلام دامسا وشاملا .

(ا) أعرب ما تحته خط فى العبارة . (ب) هات اسم الفاعل من الفعل « ضاعت » وبين ما حدث فيه من تغيير . (ج) هات كل اسم مفعول فى العبارة ، واذكر فعله .

(د) هات كل اسم فاعل فى العبارة ، واذكر فعل كل .

٥٩ — جاء فى الميثاق :

« إن أجيالا متعاقبة من شباب مصر لقنت أن بلادها لا تصلح للصناعة ، ولا تقدر عليها » أعرب هذه العبارة .

٦٠ — إن المفاهيم الثورية الجديدة للديمقراطية السليمة لابد لها أن تفرض نفسها على الحدود التى تؤثر فى تكوين المواطن ، وفى مقدمتها التعليم والقوانين واللوائح الإدارية » .

(ا) أعرب « لابد لها أن تفرض نفسها » .

(ب) عين خبر إن ، واسمها فى أول العبارة .

(ج) اضبط ما تحته خط مع السبب .

مسابقة النصوص المقررة

* إن أسرة النصوص المقررة ترجو لك التوفيق والفوز فى امتحانك .
* لاشك أنك تريد الحصول على هدية النصوص المقررة للصف الثانى الثانوى .
* ارسل امتحان اللغة العربية الذى أديت الامتحان فيه هذا العام إلى مكتبة الأهرام بالفجالة قبل نهاية شهر يونيو المقبل .
* املأ البون الآتى وارسله مع الامتحان فى مظروف مغلق إلى مكتبة الأهرام بالفجالة قبل نهاية شهر يونيو .

الاسم : ....

محافظة : ....

المدرسة التى أنت فيها : ....

اسم مدرس اللغة العربية : ....

العنوان الذى ترغب إرسال الهدية عليه : ....

....

الميثاق

الباب الأول

نظرة عامة

أولا : معجم مفردات الباب *

(١) التجربة الثورية : سميت تجربة ؛ لأنها تؤدى إلى تغيير المادة التى تجرى عليها التجربة ، ومادة التجربة هنا هى الشعب المصرى نفسه فى حالة انفجاره وتصادمه مع القوى الرجعية على أرضه . المجالات : يقصد بها الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية .
(٢) الصدق الثورى : المراد به أن ثورة الشعب صادرة عن رغبة صادقة وإرادة حقيقية فى التغيير . (٣) إرادة الثورة العنيدة : العزم الصادق الذى لا يلين .
(٤) وضوح الرؤية : معناه أن الشعب يرى أهدافه واضحة ، ويرى الطريق إلى الهدف واضحاً أمامه . (٥) الدائب : المثابر فى صبر . (٦) التحديات : هى العقبات والقوى المختلفة التى تقاوم الشعب وتقف فى سبيل آماله . (٧) الاستمرار المعاصر : المرحلة المعاصرة من مراحل الكفاح المستمر منذ زمن طويل . (٨) عبر التاريخ : على مدى السنين . (٩) قيود الاستغلال والتخلف : القيود المادية كالاستعمار والفقر ، والقيود المعنوية كالجهل والخوف وعدم الثقة بالنفس . (١٠) الاعتبارات البالية : الفروق الطبقية ، والاتجاهات الاستعمارية . (١١) الرواسب : المقصود بها تقديس الحاكم والإقطاعيين والرأسماليين .
(١٢) السلبيات : المعوقات كالملكية ، والحزبية ، وانعزال الجيش عن المشاركة فى النضال الشعبى . (١٣) طاقة التغيير : الطاقة هى القوة الكامنة فى الشعب ، والتغيير الثورى هو التغيير الأساسى التقدمى الشامل لطبقات الأمة . وفجرها : أخرجها فى قوة من مكمنها لتعمل عملها الذى تقدر عليه . (١٤) جحافل الشر : جيوشه . وتتربص : تترقب وتتحفز للوثوب . والمقصود بالعود الأخضر من الأمل : الأمل الناشىء فى أول ظهوره ، ومبدأ نموه أى فى مرحلته الأولى . (١٥) المدججة : المغطاة بالسلاح ، ويقصد قوة الاستعمار فى مصر وفلسطين وعدن وليبيا وقبرص ، وتركيا ، والجنوب العربى ، وخليج العرب . (١٦) الهشيم : اليابس المتكسر الذى لا غناء فيه ولا غذاء . (١٧) يمارس : يقوم بالعمل أو يشرع فى مزاولته . (١٨) ترويضه : تذليله . (١٩) المواجهة الثورية : المقاومة والمصارعة للإزالة والتغيير . (٢٠) الصمود : التقدم فى ثبات وعزم .

---

* معجم المفردات يشمل شرح جميع المفردات والتراكيب والمصطلحات التى جاءت فى نص الميثاق .

(٢١) قمعه : إذلاله أو ضربه بقصد إذلاله . (٢٢) مجابهة : مواجهة بالجبهات .

(٢٣) الأعباء : الأثقال والأحمال ، والمقصود المتاعب والآلام . (٢٤) أبعادها : المقصود قيمتها ، وأصل الأبعاد الطول والعرض والعمق وهى تحدد الحجم . (٢٥) نظرة كاملة : يقصد تخطيطاً شاملا للأهداف والوسائل التى تحقق الأهداف ، وذلك ببحث المراحل وتقدير صعوبات التنفيذ ، والتفكير فى حلول المشكلات المحتملة .

(٢٦) الحافلة : الممتلئة بالأخطار وبالصعاب . (٢٧) نحتتها : اشتقتها وأخذتها .

(٢٨) الرابضة : المقيمة . (٢٩) تسخير : إخضاع وتذليل وتوجيه .

(٣٠) يطمس : يخفى ويمحو . (٣١) أسلمها : سلمها كأنها أمانة فى عنقه .

(٣٢) تلقائيا : طواعية واقتناعا لا إكراه فيه . (٣٣) نور الأمل يقصد أن هذه المبادىء تمثل الآمال التى كافح الشهداء فى سبيلها، وتقدموا فى طريق النضال مشدودين إلى ضوئها

(٣٤) التصدى : التعرض والمراد تحمل المسئولية . (٣٥) تعمق النضال : الجد والصلابة لبلوغ الغاية ، مع دقة التخطيط والحرص على الإتقان فى تنفيذ التفاصيل والمراحل . وأما توسيع المضمون فمعناه الشمول فى ميادين الكفاح والتشعب فى الاتجاهات ، حتى يؤثر النضال فى جوانب الحياة المختلفة . (٣٦) عاتقه : العاتق الكتف (ما بين العنق والمنكب) . و « حمل على عاتقه » كناية عن التكفل والضمان . (٣٧) يطوّر : يحرك إلى صورة أفضل، والمقصود تنفيذ هذه المبادىء وإخراجها ـ بعد التخطيط ـ لإدارة الأعمال ذات النتائج والآثار فى حياة الشعب . (٣٨) يلقنْ طلائعه : الطلائع هى القيادات الثورية من الجيش والشعب ، ويلقنها : يفضى إليها باحتياجاته وأمانيه . وأسرار الآمال : حقيقتها الخالصة من الزيف . (٣٩) حفاظا : حراسة ورعاية . (٤٠) الصدق : الإخلاص والعمق فى الاتجاهات الثورية . (٤١) هذا هو المقياس الأول . (٤٢) المنطق التقليدى: الطريق المألوف المقبول قديما . (٤٣) المبدع : المبتكر الخالق . وفى هذه الفقرة يتبين المقياس الثانى وهو أن أنصاف الحلول لا تجدى . (٤٤) ذخيرة قيمة: تراث تنتفع به الشعوب ، ومثال تحتذيه .

(٤٥) الشاملة : المتعددة فى اتجاهاتها من سياسة واجتماع واقتصاد وعلم .

(٤٦) غمار ثورات : غمار : جمع غمر وهو عباب البحر وأمواجه ويقصد أن الثورات، كالبحار المصطخبة . (٤٧) المفهوم التقليدى :المعنى العادى المألوف من قبل .

(٤٨) الأصيلة : النابعة من خصائص الأمة ومطالبها الحقيقية .

(٤٩) إبّان نضاله : وقت نضاله . (٥٠) تذويب الفوارق : التذويب هو تحويل المادة الجامدة إلى مادة سائلة . والمراد هنا الإزالة والمحو . والفوارق بين الطبقات أى فى تكافؤ الفرصة ، فلا تعطى طبقة فرصا تحرم منها طبقة أخرى ، وكذلك لا تملك طبقة ثروات الأمة وغيرها من الطبقات فى حرمان . (٥١) قيم أخلاقية : القيم هى المبادىء

والاتجاهات الراسخة فى النفوس ، وهى التى توجه سلوك الإنسان ، وتحدد نظرته إلى الأشياء وتقديره لها . (٥٢) عبر : اجتاز وانتقل . (٥٣) الشاسعة . البعيدة .

(٥٤) المصالح القائمة : أى مصالح الطبقة الواحدة أو الاستعمار أو الحاكم حينذاك .

(٥٥) وعى عميق ، المقصود بالوعى العميق إدراك الحقيقه الطبيعية الخالدة وهى التطور واتجاه الحياة إلى التقدم يوما بعد يوم . (٥٦) التجارب الإنسانية : الحالات التى مرت بها الشعوب والأمم ، والمقصود هنا النظم المختلفة التى أنشأتها الأمم ، وتأثرت بها فى ميادين الحياة المختلفة . (٥٧) يصد نفسه عنها : يصرف نظره ونفسه عنها ، وينفـــر منها ، والعقد هى الآثار العاطفية والوجدانية التى تركتها أحداث معينة تؤدى إلى كراهية الأشياء وبغضها . (٥٨) التجربة الرائدة : الثورة المصرية الفريدة فى تاريخ الثـورات بما لها من مقاييس خاصة انفردت بها دون سواها من الثورات السابقة عليها . (٥٩) أصداء بعيدة المدى : آثار عميقة وشاملة كأنها ردود الأصوات وأصداؤها .

ثانيا ـ الأفـكار الأساسية

فى الباب الأول

محور هـذا الباب هو « الصدق الثورى » ، وينبثق من هـذا المحور عناصر عدة يمكن إيجازها فيما يأتى :

١ ـــ الصدق الثورى مكن الشعب من تغيير حياته فى مجالات مختلفة .
٢ ـــ جحافل الشر والظلام كانت تتربص بآمال الأمة لولا الصدق الثورى .
٣ ـــ الصدق الثورى مكن الطلائع الثورية من إعلان المبادىء الستة .
٤ ـــ الطلائع الثورية ووعى الشعب .
٥ ـــ الصدق الثورى حقق مقاييس جديدة للعمل الوطنى .
٦ ـــ كيف تمكن الشعب من تحقيق الثورة الشاملة ؟
٧ ـــ أصداء الثورة فى مختلف الآفاق .

ثالثا ـ تفصيل الأفـكار

١ ـــ الصدق الثورى مكن الشعب من تغيير حياته :

فى يوم ٢٣ من يوليو سـنة ١٩٥٢ قامت الثورة ، فبدأ الشعب العـربى فى مصر مرحلة جديدة من مراحل الـكفاح من أجل الحرية ، وهى تجـربة تختلف فى طبيعتها عن التجارب السابقة ؛ لأنها ليست ثورة سياسية فحسب ، وإنما هى ثورة سياسيـــة اجتماعية علمية

اقتصادية فى وقت واحد ، وهى بذلك طراز فريد بين الثورات ، ومع هذا لم يكن طريقها ممهداً ، بل قامت وسط جو مظلم ، وظروف قاسية ، وأخطار متربصة . غير أن الشعب كان مصمماً على تغيير حياته من أساسها ، وكان صادق العزم على تحقيق آمال عريضة ، وبناء مستقبل عظيم . وكان مخلصاً فى ثورته ، بصيراً بأهدافه ، دائباً فى تحطيم كل عقبة تعترض سبيله ، وكل خطر ، وكل ظلام ، ومضى يحقق نموذجا رائعا للثورة الوطنية من حيث تعدد الاتجاهات ، وتنوع الأمانى والأهداف . فلا عجب إذا قلنا : إن الثـــورة المصرية هى النموذج العصرى المتطور للنضال الذى قام به الإنسان الحر فى العصور المختلفة عبر التاريخ وهو الصورة الجديدة للكفاح الذى يربط بين حرية الوطن وحرية المواطن . أى بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، ويسعى إلى تحطيم القيود المختلفة التى تعوق الإنسان العربى عن تحقيق الحياة الكريمة سواء أكانت هذه القيود تتصل بالمادة أم تتصل بالروح .

إن فى صدق الرغبة فى التغيير ، والإرادة الصلبة التى لا تلين ، ووضوح الطريق الثورى والإخلاص لقضية الثورة — فى ذلك كله يكمن السر الذى جعل الشعب المصرى فى يوم ٢٣ يولية ينظر إلى الحياة بعين جديدة ، ويقدس فيها قيما جديدة ، ويحتقر كل قديم بال من الاتجاهات التى تبدد قوته ، ويدرس كل المعانى التى خلفتها فى نفسه قرون الاستبداد والظلم ، ويحطم كل المعوقات التى تعطل إرادته وتشل حركته ، ثم انطلق يشكل حياته تشكيلا جديداً ويبنى المستقبل الذى فيه مجده وسعادته .

٢ — جحافل الشر :

إن قدرة الشعب على تغيير حياته تغييراً ثورياً تبدو على حقيقتها إذا ما تصورنا قوى الشر والفساد التى كانت واقفة بالمرصاد لتبديد كل أمل فى الخير يظهر على ضفاف النيل العظيم :

(ا) لقد كان الإنجليز يحتلون البلاد ، وتحيط بها قواعدهم المسلحة من كل جانب ، ويحرصون كل الحرص على إرهاب الشعب وتحطيم قوته .

(ب) وكان الملك الدخيل يحكم هو وأسرته على حسب الهوى والمصالح الشخصية ، ويفرضون الذل والخنوع .

(ح) وكان الإقطاعيون يملكون الحقول ويحتكرون ثمراتها ، ولا يتركون للفلاحين غير الهشيم الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع .

(د) وكان أصحاب رءوس الأموال من الأجانب والوطنيين يسيطرون على الحكومة ويستغلون الثروة المصرية لمصالحهم الخاصة ، والشعب منها محروم . وقد تحالفت هذه القوى الأربع على الشعب ، فكانت مواجهتها من الخطورة بمكان عظيم .

(ه) ولقد ضاعف المواجهة الثورية لتلك القوى أن القيادات السياسية وهى الأحزاب المنظمة لكفاح الجماهير من أجل الحرية والاستقلال قد خضعت واحدة بعد أخرى للملك والاستعمار ، ثم خضعت أيضا للإغراءات الطبقية ، فسلبتها هذه الإغراءات كل قدرة لها على النضال والكفاح ، بل أصبحت أداة طيعة فى أيدى الملك والاستعمار ، لخداع الجماهير باسم الديمقراطية والبرلمان والانتخاب .

(و) وزاد الأمر خطورة أن هذه القوى المعادية للشعب حاولت أن تضعف الجيش ، وأن تصرفه عن تأييد الشعب فى نضاله ، وكادت تستخدمه فى ضرب هذا النضال وتهديده وتحطيمه .

وفى يوم ٢٣ يوليو لم يكن يغيب عن بال الثائرين أنهم يواجهون هذه القوى المتحالفة ضدهم ، ولم يكن يغيب عن بالهم احتمال انقضاضها مجتمعة عليهم ، لكنهم — بإيمانهم وثقتهم بأنفسهم واعتزازهم بقوتهم — مضوا مصممين على مجابهة الصعاب والأخطار والظلام عاقدين العزم فى إصرار على إحراز النصر وبلوغ الهدف ، مهما يكن من أعباء يحتملونها وتضحيات يقدمونها ، توكيداً لحرصهم على حقهم فى حياة حرة كريمة .

٣ — الصدق الثورى مكن الطلائع الثورية من إعلان المبادىء الستة :

إن طاقة الشعب الثورية تظهر على حقيقتها إذا ماذكرنا أن هذا الشعب بدأ يواجه هذه القوى وليس له تنظيم شعبي يمده بالقوة فى مواجهة مشاكل المعركة التى يخوضها ، وليس له أيضا تخطيط كامل مفصل يلتزمه فى التغيير الثورى ؛ فهو لم يكن يملك فى هذه الظروف الحافلة بالقوى المتحالفة والصعاب والمخاطر إلا إرادة الثورة ، والرغبة فى تغيير الحياة على هدى المبادىء الستة المشهورة التى اشتقت من احتياجات الشعب ومطالبه وآماله . وقد كان إعلان هذه المبادىء فى تلك الظروف ، وقوى الشر متحفزة للوثوب على الثورة والقضاء عليها دليلا على صلابة هذه الإرادة الثورية وعنادها الذى لا يلين ، وتحديها الذى لا يشوبه ضعف ، ولا يخالطه خوف ، وكان كل مبدأ يواجه قوة من قوى الشر والفساد :

١ — فى مواجهة جيوش الاحتلال كان المبدأ الأول هو « القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين » .

٢ — وفى مواجهة الإقطاع الذى يملك الأرض ، ويستبد بمن عليها كان المبدأ الثانى هو « القضاء على الإقطاع » .

٣ — وفى مواجهة رأس المال الذى يسخر موارد الثروة المصرية ، ويخضعها لمصالحه الخاصة كان المبدأ الثالث هو « القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال » .

٤ — وفى مواجهة الاستغلال والاستبداد نتيجة لهذا كله كان المبدأ الرابع هو « إقامة عدالة اجتماعية » .

٥ — وفى مواجهة المؤامرات التى تحاول إضعاف الجيش واستخدامه فى تهديد التحفز الثورى كان المبدأ الخامس هو « إقامة جيش وطنى قوى » .

٦ — وفى مواجهة الديمقراطية المزيفة وخداع الجماهير والمحاولة الخائنة لطمس معالم الحقيقة الوطنية كان المبدأ السادس هو « إقامة حياة ديمقراطية سليمة » .

إن هذه المبادىء لم تكن نظرية عمل ثورى ، ولكنها كانت دليلا للعمل الوطنى يمثل إرادة الشعب ، ويبرز تصميمه على بلوغ الشوط إلى مداه ، كما كانت تعبيراً عن آمال الشعب فى مراحل نضاله الطويل أسلمها هذا النضال إلى الطلائع الثورية من داخل الجيش ومن خارجه .

٤ — الطلائع الثورية ووعى الشعب :

إن الشعب كافح طويلا فى سبيل هذه المبادىء ، وكتبها بدماء الشهداء من أبنائه كما كتبها بنور الأمل الذى كافح هؤلاء الشهداء من أجله .

إن هذه المبادىء أمانة تسلمتها الطلائع الثورية من كفاح الأجيال السابقة ، ومن أجل ذلك دفع الشعب بطلائعه إلى العمل الثورى على هداها .

أخذ بعد ذلك يرسى قواعد النضال ، ويضع الأسس ، ويجد فى تسليح نفسه وتأمين ظهره ، ويخطط للنصر تخطيطا طويلا ، ثم هو إلى ذلك أخذ يوسع مجالات النضال ، ويبسط رقعتها ويطيل أبعادها ويمد فى آفاقها ، فلقد حمل الشعب فى أعقاب الثورة أعباء عمليتين عظيمتين :

أولاهما : أنه أخذ ينقل هذه المبادىء إلى طور جديد ، فيمارسها تجارب ، ويجسمها أعمالا ، ويرسم لتنفيذها خططا متصلة تتأثر بتاريخه القومى السابق ، وتصنع له تاريخاً جديداً ، فإذا بهذه المبادىء التى صارت خططا متصلة تؤدى إلى غايتها وتلتقى عند الأهداف التى يأملها الشعب ويرجوها .

والأخرى : أنه أخذ يوحى إلى رجال الثورة بمطالبه وأمانيه ، ويذكرهم دائما بها حتى لا يحيدوا عن أهداف الشعب واحتياجاته الحقيقية ، وأخذ — إلى جانب ذلك — يقدم إلى صفوف الطلائع عناصر جديدة صالحة للكفاح ، قادرة على المساهمة فى بناء المجتمع الجديد ، وصنع المستقبل المأمول .

والشعب مع ذلك لإشفاقه على هذه الطلائع ، وحرصه على استمرارها فى طريقها أقام

من وعيه حارساً عليها يحميها من نفسها ، كما يحميها من غيرها . يحميها من الضالين والمنحرفين والحاقدين والموتورين ، ويحميها من الغرور والانحراف والفتور ، من أجل ذلك ظل يقاوم انحراف الغرور والنسيان فيهم ويرشدهم إلى طريق الواجب ، كما ظل واقفاً بالمرصاد لمن يحاول النيل منهم بكل سبيل .

٥ — الصدق الثورى حقق مقاييس جديدة للعمل الوطنى :

إن الإرادة الثورية وقد تسلحت بالصدق والإخلاص — وضعت مقاييس جديدة للعمل الوطنى ، هذه المقاييس هى :

(ا) لا يمكن أن تقف عقبات أو عوائق فى طريق إرادة التغيير الثورى ، فلا يخضع هذا التغير إلا لمطالب الشعب وحاجاته .

(ب) الحل الوسط لا يجدى : فإن إرادة الثورة فى الشعب — بصدقها — رفضت الحل الوسط الذى يعتمد على التفكير الإصلاحى الصادر عن تبرع الحاكم وعطائه ، وذلك برغم الظروف التى واجهها النضال الشعبي من سيطرة خارجية وسيطرة داخلية ، وعدم تنظيم سياسى ، وعدم نظرة كاملة للعمل .

(ج) فى التفجير الثورى يكشف الشعب عن طاقات هائلة كامنة فيه قد يجهلها من نفسه .

(د) الشعوب المغلوبة على أمرها قادرة على الثورة ، بل قادرة على الثورة الشاملة .

٦ — كيف استطاع شعبنا أن يحقق الثورة الشاملة ؟

خاض الشعب غمار ثورات متعددة فى وقت واحد ، وكان لكل ثورة أعداء ، وقد استطاع الشعب أن ينتصر عليهم جميعاً ، وأن يخرج من هذا النصر بقوة مكنته من الاندفاع إلى مرحلة الانطلاق ، وهى المرحلة التى لا يستطيع شىء فيها أن يقف أمام قوة اندفاعه فى طريق التقدم ،

(ا) فى نضال الشعب مع الاستعمار استطاع أن يشل فئات من المجتمع كانت تخدعه وتتظاهر باشتراكها معه فى حرب الاستعمار لأن مصالحها موقوفة على بقاء الاستعمار ومع أن معركة الشعب ضد الاستعمار كانت تحتاج إلى تعاون جميع الطبقات فى الوطن فإن الشعب حقق انتصاره حين حمى معركته بعزل هذه الفئات عن صفوفه .

(ب) فى معركة الشعب الاقتصادية : ضرب الشعب جميع الاحتكارات المحلية بالرغم من أنها تملك المدخرات القادرة على تنمية الثروة القومية ، لكن الشعب لم يغب عن باله أن الرأسمالية الكبيرة استطاعت فى ظروف كثيرة أن تستغل الثورات لنفسها ،

وتحول نتائجها إلى أرباح خاصة لها . وقد ضربها الشعب فى الوقت الذى كانت تتصور فيه أن حاجة الشعب إليها ماسة وشديدة . وإلى هذا فد حرص الشعب على أن يسيطر فى معركته الاقتصادية على كل أدوات الإنتاج .

(ج) وفى أثناء المعركتين معركة التحرير ومعركة التطوير صمم الشعب على تذويب الفوارق بين الطبقات ، وأصر على أن يستخلص للمجتمع الجديد علاقات اجتماعية جديدة تعتمد على قيم أخلاقية جديدة وثقافة وطنية جديدة . وهو — فى إصراره على توفير هذه العلاقات الإنسانية الكريمة فى أثناء عبوره من عهد الاقطاع والرأسمالية إلى عهد الاشتراكية — تمكن أن يجتاز المسافات الشاسعة بين العهدين بدون إراقة دماء .

إن النضال ضد الاستعمار والإقطاع والرأسمالية فى سبيل إقامة علاقات اجتماعية جديدة هو فى الواقع سلسلة من الثورات كان لابد لها أن تتم على مراحل يستريح — الشعب بعد كل مرحلة منها ليستجمع قواه ويواجه المرحلة التالية ، لكن الشعب تمكن من إنجاز هذا العمل العظيم فى وقت واحد ، فحقق بثورته الشاملة تجربة ثورية فريدة من غير استثناء بين الثورات العالمية المشهورة فى التاريخ . إن وراء هذه القدرة عدة أسس كانت هى الضمانات الكفيلة بنجاح المعركة الهائلة ، وكانت هى الأسلحة التى حطمت كل العقبات فى طريقه الثورى ، وهى :

أولا : إرادة تغيير ثورى ترفض أى قيد أو حد لحقوق الجماهير ومطالبها .

ثانياً : قيادة استطاعت بما لها من إرادة ثورية صادقة أن تسيطر على سلطة الدولة ، وتوجهها إلى خدمة الشعب صاحب الحق الطبيعى والشرعى فى البلاد .

ثالثاً : الوعى العميق بالتاريخ أى الإدراك الكامل للحقيقة الخالدة فى الحياة وهى التطور والتقدم مع الزمن على أساس من الماضى ، فالجمود ليس من شأن الجنس البشرى ؛ لأن الجنس وليد تاريخه . ومقوماته فى أى وقت ناشئة من آثار الأحداث المتعاقبة عبر العصور ، وهو من ناحية أخرى يصنع التاريخ بما يبتدع من مقومات الحضارة ، وما ينشىء من وسائل المدنية . والوعى بهذه الحقيقة الخالدة حافز على العمل ، ودافع إلى التطوير ، من هنا كان الوعى بالتاريخ من الضمانات التى هيأت النجاح للثورة الشاملة .

رابعاً : عقول متفتحة لدراسة التجارب البشرية فى مختلف الأقطار ، واعتبارها تراثاً إنسانياً يمكن الإنتفاع بثمراتها ونتائجها فى كل مكان ، فلا تعصب ينأى بالقيادة الثورية عنها . ولا بغض يصدها عن اقتباس ما يجدى منها .

خامساً : إيمان عميق بالله ورسله ، ولا شك أن الإيمان يمد المكافحين بفيض من القوة والثقة والاطمئنان إلى النجاح .

٧ ــ أصداء الثورة فى مختلف الآفاق :

كان للثورة فى مصر آثار امتدت إلى آفاق الوطن العربى الكبير ، فدفعت القوى الكامنة فى هذا الوطن إلى الحركة . وكان ذلك تقديراً للشعب المصرى ، باعتباره قدوة تحتذى من ناحية ، وقوة لثورته ومدداً لنشاطه من ناحية ثانية ، ودليلا على وحدة الشعوب فى الوطن العربى من ناحية ثالثة .

ولما كانت مصر قد حملت المسئولية الثورية الأولى فى المنطقة العربية ، وكان تجاوب الشعوب العربية معها من أسباب انتصارها فإن على الشعب المصرى أن يجعل هذا الانتصار فى خدمة الثورة الشاملة فى بقية الشعوب العربية ، على أن أصداء النصر قد تجاوزت الوطن العربى كله إلى آفاق جديدة فى آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية ، فأثرت فى حركة التحرير فى مالى وغينيا ، والكونغو وأنجولا من إفريقية ، وأثرت فى حركة التحـــرير فى إيران وسيلان وأندونسيا من آسيا . وأثرت فى كوبا من أمريكا .

فلم تكن الثورة المصرية محدودة الأثر فى مصر أو فى الوطن العربى ، وإنما كانت عالمية الأثر ، فإن معركة السويس . وهى دور من الأدوار البارزة فى التجربة الثورية لم تكن لحظة اكتشف فيها الشعب المصرى نفسه فقط ، وإنما كانت لحظة رأت فيها كل الشعوب المغلوبة على أمرها أن فى نفسها طاقات عظيمة كامنة تجهلها من نفسها ، وأنها تقدر على الثورة بل إن الثورة هى طريقها الوحيد ، لقد كانت الثورة المصرية مرآة رأت فيها الشعوب قواها الكامنة التى كانت تخفى عليها .

رابعا — المناقشة

١ ــ فى الباب الأول من الميثاق : « إن طاقة التغيير الثورى التى فجرها الشعب المصرى يوم ٢٣ يولية تتجلى بكل القوى العظيمة الكامنة فيها إذا ماعادت إلى الذاكرة كل جحافل الشر والظلام التى كانت تتربص بكل عود أخضر للأمل ينبت على وادى النيل العظيم » .

(ا) اشرح الكلمات : تتجلى ــ الكامنة ــ الجحافل ــ تتربص . (ب) يشير الميثاق بجحافل الشر والظلام إلى قوى معينة كانت فى مصر . اذكر هذه القوى .

(ج) بين التصوير فى قوله « فجرها الشعب » ، وقوله « عود أخضر للأمل » وقوله « جحافل الشر والظلام » وبين أثر هذا التصوير فى هدف العبارة .

٢ ــ فى الباب الأول من الميثاق : إن إرادة الثورة فى تلك الظروف الحافلة لم تكن تملك

---

* راعينا فى الفقرات التى جاءت فى المناقشة أن تكون من نص الميثاق .

عن دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التى نحتتها إرادة الثورة من مطالب النضال الشعبي واحتياجاته » .

(ا) مامعنى الكلمات : الحافلة — نحتتها ؟ بين الجمال فى اختيارها للتعبير فى هذا المقام .
(ب) اذكر المبادىء الستة المشهورة ، وبين مغزى إعلانها غداة الثورة .

٣ — « هذا الشعب العظيم مضى بعد ذلك فى تعميق نضاله وتوسيع مضمونه » .

(ا) إلام يشير اسم الإشارة « ذلك » فى العبارة ؟ (ب) مامعنى تعميق النضال وتوسيعه؟
(ج) ماالوسائل التى اتخذها الشعب لتعميق النضال وتوسيعه ؟

٤ — فى الميثاق : « إن إرادة الثورة لدى الشعب العربى المصرى ، والصدق الذى سلحت نفسها به حققت مقاييس جديدة للعمل الوطنى » .

(ا) مامعنى إرادة الثورة ؟ وما معنى الصدق الثورى ؟ (ب) ماالجمال فى قوله « سلحت نفسها به » ؟ (ج) أذكر ثلاثة مقاييس جديدة للعمل الوطنى حققتها إرادة الثورة لدى الشعب العربى المصرى .

٥ — لكن العمل العظيم الذى تمكن الشعب المصرى من إنجازه بالثورة الشاملة ذات الاتجاهات المتعددة يصنع حتى بمقاييس الثورات العالمية تجربة ثورية جديدة . إن هذا العمل العظيم قد تحقق بفضل عدة ضمانات تمكن النضال الشعبي من توفيرها » .

(ا) بين المقصود بالثورة الشاملة ذات الاتجاهات المتعددة ، واذكر كيف أنجزها الشعب . (ب) اذكر بالتفصيل الضمانات التى أشار إليها الميثاق فى العبارة السابقة .

(ج) اشرح معنى كل كلمة من الكلمات الآتية لغويا : إنجاز . تجربة . ضمانة . نضال .

٦ — من الميثاق : « إن أصداء النصر الذى حققه الشعب المصرى فى مصر لم تقتصر على آفاق المنطقة العربية وإنما كانت للتجربة الجديدة الرائدة آثارها البعيدة فى حركة التحرير فى إفريقيا وآسيا وأمريكا » .

(ا) اشرح معنى الكلمتين : أصداء . الرائدة . (ب) بين كيف كان تجاوب الشعوب العربية مع الثورة المصرية قوة لها وتوكيداً لوحدتها . (ج) اشرح أثر الثورة المصرية فى إفريقيا ، وفى آسيا ، وفى أمريكا .

الباب الثانى

فى ضرورة الثـورة

أولا ــ معجم مفردات البـاب

(١) الأغلال : جمع غل وهو طوق من حديد يوضع فى العنق أو اليد ، والمقصود هنا كل ما من شأنه أن يعطل الحرية. كبلتها : قيدتها. كاهلها : كتفها (٢) عوامل القهر والاستغلال : الاستعمار والملكية والرأسمالية ، والإقطاع . (٣) تصرعها : تغلبها وتقضى عليها .
(٤) مواجهة جذرية : مواجهة الأمور من أساسها العميق . تـكفل : تضمن. الطاقات: القدرات . والمعنوية منها إرادة الحرية والطموح والعزم ، والقيم العملية ، والفنية والخلقية عامة . وأما المادية فهى القوى البشرية الممثلة فى الجيش وما له من سلاح وعتاد ، والمال والإنتاج . (٥) التحدى . المقصود المسابقة والمباراة والمقاومة . (٦) تتطلع إليه : ترجوه وتتمناه . (٧) أداة النضال : وسيلته وطريقته . (٨) الوعى : هو الإدراك الكامل المصحوب باليقظة لكل الظروف المحيطة . (٩) تتمرد على سياط التعصب : أسلحته وأدواته وعوامله وتمردها عليه ثورتها على هذه العوامل ، وإباؤها الخضوع لها ، وحرصها على الفهم والاقتناع . (١٠) الحركة السريعة : المرونة والقدرة على الانطلاق ، والمقصود الاستعداد لجميع الطوارىء والظروف المغيرة . (١١) مثله الأخلاقية :الصدق مع النفس ومصارحة الجماهير، وإيثار مصلحتها على المصلحة الذاتية أو الطائفية أو العقيدية ، أو الحزبية.
(١٢) الانسياق الانفعالى إلى الدروب الفرعية : الانفعال هو التــأثر العاطفى الذى ينحرف بصاحبه ويدفعه إلى غير الهدف الحقيقى ؛ لأن الانفعال يجافى الأسلوب السليم فى التفكير ويحجب عن رؤية العواقب والنتائج . والدروب الفرعية: جمع درب ، وهو الطريق . (١٣) تهدر : تضيع . (١٤) تباشر دورها : تؤدى دورها . (١٥) بلورت : جمعت وأبرزت . (١٦) المعاناة : تحمل العناء والألم . (١١) مضمونها : مفهومها ، ومحتواها المعنوى . (١٨) حرية الوطن : استقلاله ، وحرية المواطن : قدرته على المشاركة فى حكم وطنه . (١٩) وسيلة وغاية :الاشتراكية وسيلة إلى الديمقراطية السليمة ، وغاية ؛ لأنها هدف يتحقق عنده كرامة الإنسان ، وحريته الاجتماعية . وهى كفاية ؛ لأنها أداة لزيادة الإنتاج وعدل ؛ لأن فيها توزيع الثروة القومية ، وتـكافؤ الفرص والمساواة بين الناس . (٢٠) الدعوة الجماهيرية : الدعوة الموجهة إلى الجماهير لا إلى الحكومات ورؤسائها ، لتكون وحدة شعوب لا حكومات . (٢١) نداءات مستمرة : شعارات ترفع رمزا للأمانى والآمال . (٢٢) مقومات الشخصية الوطنية : عناصر تكوينها ، وهى جغرافية وتاريخية وفكرية وجنسية . (٢٣) منهاج : طريقة . (٢٤) وزنها

المادى والمعنوى : وزنها أى قيمتها وأثرها . والمادى : الغنى والقوة العسكرية ، والمعنوى : التأثير فى اتجاهات الشعوب . (٢٥) طفرة : وثبة . (٢٦) رادعا : مانعا وزاجرا . (٢٧) فعليا وفكريا : فعليا من حيث إلغاء الزمن فى قطع المسافات ، وفكريا من حيث الصلات الثقافية . (٢٨) التكتلات الاقتصادية والاحتكارية : التكتلات الاقتصادية كاندماج الشركات وكالأسواق المشتركة ، والاتفاقات النقدية . والاحتكارات كشركات العالم الكبرى التى تعمل فى الميادين الحساسة كالبترول والمعادن ونحوها . (٢٩) الإسهام الإيجابى : المشاركة العملية المثمرة . (٣٠) حملت تأثيرها : أى أن التغيرات العالمية أثرت فى وسائل العمل من أجل الأهداف العربية . (٣١) فى القرن التاسع عشر : كثر الكلام عن الاشتراكية ، وبرزت لها صور مختلفة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأذاع كارل ماركس حينئذ آراءه . (٣٢) الرعب الذرى : الخوف الشديد من آثار الحرب الذرية ، وميزان الرعب الذرى كناية عن كثرة الأسلحة الذرية البالغة الخطورة ، فكأن كل قنبلة ذرية جديدة بمثابة ثقل فى ميزان يرتفع مشيرة درجة أو درجات تدل على ارتفاع حدود الخوف والفزع والرعب . (٣٣) العنصرية : القائمة على التعصب لعنصر خاص هو اليهودية والصهيونية . (٣٤) التجارب الفنية : التطبيقات العملية فى الإنتاج (٣٥) التفاعل الخلاق : الاتصال الذى يصحبه تأثير وتأثر وخلق صور جديدة نتيجة لذلك . (٣٦) مشعل الحضارة : مصباحها ، والغرض تراثها ، ومصادرها ، وأصولها . (٣٧) زيت جديد : والمقصود مدد من المقومات الحضارية ، وإضافة أصل جديد إلى الأصول القديمة ليقوى ضوء المصباح بهذه الإضافة الجديدة . (٣٨) الطليعى : التقدمى الريادى (٣٩) النواة : الأصل الذى ينمو .

ثانيا — الأفكار الأساسية

فى الباب الثانى

محور هذا الباب أن الثورة ضرورية لتغيير الحياة فى الأمم التى طال أمد تخلفها ، وجثمت على صدرها قوى طاغية .

ويمكن إيجاز عناصر هذا الباب فيما يأتى :

١ — الأسباب التى جعلت الثورة هى الطريق الوحيد إلى المستقبل المأمول .

٢ — تحتاج الثورة إلى قدرات تتسلح بها لانتزاع النصر الحاسم .

٣ — الأهداف الثلاثة الكبرى للثورة العربية .

٤ — الظروف الجديدة التى تواجه الثورة تحتم شق طرق جديدة أمام أهدافها .
٥ — الطرق الجديدة تستفيد من التجارب السابقة لدى الأمم المختلفة .

ثالثاً — تفصيل الأفكار

[١] الثورة هى الطريق الوحيد إلى المستقبل المأمول ، وأسباب ذلك :

١ — أن الاستعمار والإقطاع والرأسمالية كلها لاتستسلم طوعا ، ولا تعطى ما استلبته عن رضا ، فلابد من صرعها والانتصار عليها وتحطيمها .

٢ — أن الأمة العربية أرغمت على التخلف نتيجة للقهر والاستغلال وأنها لا تستطيع أن تطوى مسافة هذا التخلف بينها وبين غيرها بوسائل العمل التقليدية ولا بد لها من ثورة تعبىء فيها كل قواها لتغيير حياتها تغييراً جذريا يمكنها من تعويض ما فات .

٣ — أن الكشوف العلمية الضخمة تضاعف الفوارق بين الأمم المتقدمة والأمم المتخلفة ، فهى تيسر للمتقدمين أن يكونوا أكثر تقدما ، وتفرض على المتخلفين أن يكونوا أشد تخلفا برغم بذل الجهود ومضاعفة العمل ، لكن طريق الثورة هو الذى يهىء الأمة مواجهة هذا التحدى الكبير ويهىء لها السبيل لتعويض ما فاتها على مر السنين .

[٢] تحتاج الثورة إلى قدرات .....

إن الثورة العربية وهى — كما تقدم فى الباب الأول — الصورة المعاصرة للنضال العربى تحتاج إلى أن تسلح نفسها فى معركة المصير التى تخوض غمارها الآن بقدرات ثلاث هى أسلحتها التى تنتزع بها النصر ، وتحقق الأهداف وتحطم الأعداء الذين يعترضون سبيلها ، وهذه القدرات هى :

أولا : الوعى القائم على المنهج العلمى فى التفكير ، والناتج من المناقشة الحرة الرصينة الحريصة على الحياد العلمى ، والبريئة من آثار التعصب للرأى أو للجنس ، والمنزهة من السيطرة والإملاء .

ثانياً : المرونة التى تقدرها على الحركة السريعة ، استجابة للظروف الطارئة التى لا تزال تفاجىء النضال العربى فى ميادين الاقتصاد والسياسة ، مع التزام الأهداف والمثل الخلقية المقررة ، ولا تستطيع الثورة ذلك كله إلا بإعداد نفسها واعتبار شعبها بكل قواه فى حالة طوارىء دائمة .

ثالثاً : الفهم العميق للأهداف ، والوعى اليقظ لما يحيط بها من ظروف ، ومايتربص

لها من أعداء ، والجد الدائب فى تحقيق هذه الأهداف ، والثبات على الطريق دون تأثر بدواعى الانفعال العاطفى ، خشية الانسياق إلى طرق فرعية ودروب جانبية تبعد الثورة عن الطريق السليم ، وتبدد قواها وطاقاتها فى غير جدوى ، أو فى سبيل أهداف صغيرة لا قيمة لها ، وتكون ملهاة لها عن أهدافها الأصلية .

إن هذه القدرات الثلاث ، أو الأسلحة الثلاثة تستمد قيمتها من الظروف المحيطة بالثورة ، فإن للثورة ـ كما سبق ـ أعداء يتربصون بها الدوائر هنا وهناك وهم يبحثون عن ثغرة ينفذون منها إلى المقاتل ، وهذه الأسلحة درع فيها حصانة وصيانة ، وأمن وسلامة .

[٣] الأهداف الثلاثة الكبرى للنضال العربى :

حين قامت الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ أعلنت المبادىء الستة تحت عنوان « أهداف الثورة » ولكن الشعب الذى عمق النضال ، ووسع مضمونه ، قد تبلورت لديه الأهداف فى نهاية المطاف ، فصارت فى الميثاق حرية ، واشتراكية ، ووحدة ، وهى أصدق تعبيراً عن آمال الأمة وضميرها ، ولقد أتى على الشعب عهد طويل من المعاناة والأمل معاً ، كان له أكبر الأثر فى تفصيل مفهوم هذه الأهداف ورسم حدودها وتوضيح معالمها ، فأصبحت الحرية معبرة عن حرية الوطن ، وخلاصه من براثن الاستعمار ، وانطلاقه إلى بناء المستقبل المنشود ، كما أصبحت معبرة عن حرية المواطن وخلاصه من الاستغلال والحاجة ، وانتقاله إلى حالة يستطيع فيها أن يشارك فى حكم وطنه ، ويسهم فى سياسته وبناء مجتمعه .

وأصبحت الاشتراكية وسيلة إلى الحرية الاجتماعية والحرية السياسية ، كما أصبحت غاية فى ذاتها تحقيقاً لكرامة الإنسان ، والاشتراكية أيضاً أصبحت كفاية أى زيادة فى الإنتاج ، وعدلا فى توزيع الثروة وتكافؤ الفرص .

وأصبح طريق الوحدة هو الدعوة الجماهيرية — لا الدعوة الحكومية ـ لعودة الأمر الطبيعى لأمة مزقها أعداؤها لمصالحهم ، وطريقها أيضاً الدعوة السلمية حتى تقتنع الشعوب عن رضا فتجمع على قبولها . فتكون الوحدة من عمل الشعوب والجماهير لا الحكومات ولا الأحزاب .

لقد كانت هذه الأهداف نداءات ، وشعارات ، وآمال ، ولكن الثورة العربية اليوم تتحمل الأعباء فى شق طريق جديد أمامها .

[٤] الظروف الجديدة التى تواجه الثورة تحتم شق طريق جديد :

إن مصدر الحاجة إلى طريق جديد ليس هو الرغبة فى التجديد ولا هو الكرامة

الوطنية التى تأبى نقل حلول من بلاد أجنبية لمشاكلها ، بل مصدر الحاجة إلى طريق جديد هو أن الثورة تواجه ظروفا جديدة تحتاج إلى حلول جديدة .

ومع أن ظروف الشعوب وتاريخها وما يحيط بها من عوامل مختلفة تفرض اختلافا فى طريقة كل منها لحل مشكلاته فإن الذى يفرض حلولا مختلفة أيضا حقاً هو الظروف التى تسود العالم اليوم ، وتحكمه ، وهى تغيرات عميقة شاملة طرأت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وهى بطبيعتها تؤدى إلى تغيير شامل وعميق أيضاً فى الجو الذى تناضل فيه الأمم لنيل حقوقها . إن الأهداف العربية لم يتغير مفهومها ، ولكن النضال من أجـــل هذه الأهداف مطالب اليوم بأن يجد الحلول الملائمة ، والأساليب المسايرة للتطور العام فى العالم .

إن أبرز التغيرات هو :

١ ـــ كثرة الحركات الوطنية فى أنحاء العالم وانتصارها على الاستعمار حتى صار لها أثر عالمى فى اتجاهات الشعوب والأمم والهيئات .

٢ ـــ وقوف المعسكر الشيوعى فى مواجهة المعسكر الرأسمالى ، وازدياد قوته المادية ، وأثره المعنوى فى سياسة الدول واتجاهات الأمم .

٣ ـــ الكشوف العلمية الكبيرة وأثرها فى وسائل الإنتاج والتطور الاجتماعى .

٤ ـــ الطفرة التى حققها الكشف العلمى فى أسلحة الحرب ، حتى أصبحت هذه الأسلحة نفسها رادعا يحول دون نشوب الحرب التى تخشى أهوالها جميع الأطراف .

٥ ـــ التقدم العجيب فى وسائل الاتصال بين الشعوب فعلياً وفكريا .

٦ ـــ زيادة تأثير القوى المعنوية فى العالم كالأمم المتحدة ، والدول المحايدة ، والرأى العام العالمى .

٧ ـــ اتجاه الاستعمار إلى العمل غير المباشر كغزو الشعوب من الداخل والتكتلات الاقتصادية ، والاحتكارات الكبرى ، والحرب الباردة وما تشتمل عليه من تشكيك الأمم الصغيرة فى قدرتها على النمو وتطوير نفسها والإسهام فى خدمة المجتمع الإنسانى .

وقد تفاعلت هذه التغيرات الضخمة مع إرادة الثورة الوطنية وأدى هذا التفاعل إلى أن يبحث النضال العربى عن وسائل جديدة للعمل الوطنى الذى يحقق أهدافه الثلاثة : الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة ، واهتدى إلى أن :

(١) الطريق إلى الحرية لم يعد هو أسلوب المساومة والمفاوضة مع الاستعمار ،

فاستطاع الشعب المصرى — بسبب التغيرات السابقة أن يدافع عن حريته فى بور سعيد وأن يحقق انتصاراً حاسماً ما زالت أصداؤه تتردد فى أنحاء العالم ، كما تمكن الشعب الجزائرى من الثبات فى ثورته ضد فرنسا سبع سنوات إصراراً على الحرية .

(٢) وأن العمل فى سبيل الاشتراكية لم يعد حتما عليه أن يلتزم بقوانين قديمة ، بل فتح لنفسه آفاقا جديدة ، وقام بتجارب ناجحة تختلف تماما .

(٣) وأما الوحدة فإن وسائل القرن التاسع عشر فى تحقيق الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية لم تعد صالحة فى الوقت الحاضر ، بل أصبح اشتراط الدعوة السلمية الجماهيرية والإجماع الشعبي ضرورة لازمة حرصاً على الوحدة الوطنية للشعب العربى ، ولا سيما أن أعداء الوحدة ما زالت قواعدهم على الأرض العربية فى قصور الرجعية المتعاونة مع الاستعمار ، وفى مستعمرات إسرائيل التى يتخذها الاستعمار مركزاً للتهديد العسكرى .

فالثورة العربية لابد أن تواجه العالم الحاضر بفكر جديد ، ووسائل جديدة تلائم مشكلاته وتطوراته .

(٥) الطرق الجديدة تستفيد من تجارب الأمم السابقة .

وليس معنى البحث عن وسائل جديدة انعزالا عن التجارب التى وصلت إليها الشعوب المناضلة من قبلنا فى تطبيقات العلم ووسائل الإنتاج .

إن التجارب الاجتماعية لا تعيش فى عزلة فى هذا العالم الجديد ، والتجارب الاجتماعية جزء من الحضارة تنمو بالاتصال الخصب ونظرات العقول المتفتحة ، والتفاعل المثمر . ولم تنعزل قط حضارة عبر التاريخ بل كان مشعل الحضارة ينتقل من بلد إلى بلد . ويفيد ويستفيد ، فى كل مكان انتقل إليه قوة ومدداً جديداً مما أضافته البيئة الجديدة التى انتقل إليها فالتجارب تنتقل ؛ ولكنها لا تنقل وتحفظ وتكرر من غير تغيير .

وتلك مسئولية القيادات الشعبية فى الجمهورية العربية التى فرضت عليها الظروف أن تكون هى الدولة النواة فى طلب الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة للأمة العربية . إن هذه القيادات مطالبة أن تدرس التاريخ، وأن تتأمل الواقع ، وأن تصنع المستقبل فى ثقة وثبات ، وإيمان .

رابعا — المناقشة

١ — فى الميثاق : « ولابد والأمر كذلك من مواجهة جذرية للأمور تكفل تعبئة جميع الطاقات المعنوية والمادية للأمة فتحمل هذه المسئولية » .

(ا) اشرح الكلمات : جذرية . تكفل . الطاقات المعنوية — الطاقات المادية .
(ب) وضح الأسباب التى تجعل هذه المواجهة الجذرية ضرورية .
٢ — فى الباب الثانى من الميثاق : « والثورة العربية أداة النضال العربى وصورته المعاصرة تحتاج إلى أن تسلح نفسها بقدرات ثلاث تستطيع بواسطتها أن تصمد لمعركة المصير التى تخوض غمارها اليوم ، وأن تنتزع النصر محققة أهدافها » .
(ا) ما المقصود بالصورة المعاصرة للنضال العربى ؟
(ب) اشرح الكلمات : أداة النضال ، تصمد ، تخوض .
(حـ) اذكر القدرات الثلاث التى أشارت إليها العبارة .
٣ — فى الباب الثانى من الميثاق : « إن عهودا طويلة من العذاب والأمل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للأمة ، وهى الحرية والاشتراكية والوحدة »
(ا) ما معنى : بلورت . نهاية المطاف ؟
(ب) بين العلاقة بين المبادىء الستة وهذه الأهداف الثلاثة .
٤ — من الباب الثانى فى الميثاق : « لقد كانت هذه الأهداف نداءات مستمرة للنضال العربى ، ولكن الثورة العربية الآن تواجه مسئولية شق طريق جديد أمام هذه الأهداف » .
(ا) ما المقصود بالأهداف المذكورة فى العبارة .
(ب) وما معنى أنها كانت نداءات مستمرة ؟
(حـ) اذكر الأسباب التى جعلت الثورة العربية تواجه شق طريق جديد الآن .
٥ — من الباب الثانى فى الميثاق . « وإذا كانت أهداف النضال العربى هى الحرية والاشتراكية والوحدة ، فإن التغييرات العالمية حملت تأثيرها إلى وسائل العمل من أجلها » .
(ا) بين كيف قضت التغييرات العالمية بتغيير وسائل العمل إلى الحرية .
(ب) وضح أن العمل الاشتراكى ليس عليه أن يلتزم بوسائل القرن التاسع عشر .
(حـ) أشار الميثاق إلى وسائل جديدة لإقامة الوحدة . اشرح هذه الوسائل .
٦ — اشرح العمل غير المباشر الذى اتجه إليه الاستعمار فى العصر الحاضر .
٧ — ما واجب القيادات الشعبية فى الجمهورية العربية المتحدة إزاء أهداف الأمة العربية ؟ وكيف نشأ هذا الواجب ؟
٨ — كيف توفق بين ضرورة الثورة والدعوة السلمية لتحقيق الوحدة ؟
٩ — بين أثر المعسكر الشيوعى فى تغيير وسائل العمل من أجل الأهداف العربية .
١٠ — كيف ينبغى أن يكون موقفنا من التجارب السابقة التى مارسها غيرنا من الشعوب ؟

الباب الثالث

جذور النضال المصرى

أولا — معجم مفردات الباب

(١) سدود : فواصل وحدود . (٢) تيارات التاريخ : الحوادث الكبيرة .
(٣) الوعى : الوعى هنا بمعنى القصد .(٤) أنار معالمها :أوضحها (٥) الوجدان الروحى: الشعور الدينى ، والإحساس الخلقى ، والاتجاه العاطفى . (٦) فى إطار التاريخ الإسلامى : فى ظله ، وبفضل مبادئه . (٧) ببسالة : بشجاعة . (٨) مسئوليات حاسمة : واجبات لها أثر كبير فى مجرى التاريخ ،والمقصود المعارك الفاصلة . (٩) ذخائره الحافلة: موروثاته .

(١٠) يموج : ينشط ويتحرك بقوة كالبحر ذى الأمواج . (١١) لمحات : نظرات والمقصود الحقائق . (١٢) يحمل آفاقا : المقصود أنه فتح آفاقا ، وبعث آمالا .
(١٣) المتحفزة : المتوثبة . (١٤) أفدح الأضرار : أثقل الأضرار .
(١٥) حملة فريزر سنة ١٨٠٧ م . (١٦) استنزاف مواردها : استخراجها كلها لنفسها.
(١٧) بابا مفتوحا : يقصد أن النكسة كانت ثغرة ينفذون منها . (١٨) مروعة : مفزعة . (١٩) المحن : المصائب . (٢٠) الرواد : الطلائع . (٢١) ألواناً رائعة من الأزهار : يقصد ثمرات الفكر والعلم . (٢٢) بمثابة الومضات : بمنزلة الأضواء .

(٢٣) المصطنعة والموهومة : المتكلفة والخيالية (٢٤) بثقلها : بقوتها .
(٢٥) تخفت : تسكت أو تضعف . (٢٦) يجلجل : يرفع صوتا مدويا . (٢٧) الخمود: سكون لهب النار . (٢٨) حوافز الثورة : دوافعها . (٢٩) تقييمها : يقصد تقدير قيمتها ووزنها . (٣٠) تمصير بعض أوجه النشاط المالى : يقصد بنك مصر وشركاته .

(٣١) تستشف : تكشف . (٣٢) مخطط : رسم وتصميم . (٣٣) بالفور : وزير خارجية إنجلترا سنة ١٩١٧ م ، وقد وعد اليهود فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين . (٣٤) واختصت ، يشير إلى معاهدة « سايكس بيكون » المشهورة .
(٣٥) تصدروا : وقفوا فى الصدر أى المقدمة ، والإشارة هنا إلى الجواسيس الإنجليز فى الجزيرة العربية ، وإلى الأسرة الهاشمية التى أقيمت لها عروش فى العراق ، وسوريا والأردن.
(٣٦) مصيريا . أى فى مصيرها ومستقبلها . (٣٧) الجوهر الحقيقى :الاستقلال الصحيح.
(٣٧) مضمونه : معناه وحقيقته . (٣٩) ملهاة : مشغلة .
(٤٠) هباء : غبار ضائع فى الهواء . (٤١) بمثابة صك : بمنزلة عقد .
(٤٢) صلبها : أصلها .

ثانيا ـ الأفكار الأساسية

فى الباب الثالث

١ — نضال الشعب المصرى على أرض المنطقة العربية عبر العصور .

٢ — يقظة الشعب المصرى إبان الحملة الفرنسية .

٣ — محمد على والنكسة .

٤ — التدخل الأجنبى فى مصر ومجالات نشاطه .

٥ — الشعب المصرى لم يستسلم للمصائب .

٦ — ثورة سنة ١٩١٩ ، وأسباب فشلها .

ثالثا — تفصيل الأفكار

١ — نضال الشعب المصرى :

البلاد العربية مرتبط بعضها ببعض منذ فجر التاريخ ، فلم يكن هناك حدود ولا سدود، وكانت كلها تتأثر بكل حدث تاريخى يحدث فى إحداها ، وكان الشعب المصرى يؤثر فى شعوب سائر البلاد العربية ويتأثر بها بقصد ، أو بغير قصد ،ويتفاعل نضالهمع نضالها تفاعل الكل مع الجزء ، وهذه حقيقة يؤكدها .

(ا) اتصال الشعب المصرى فى عهد الفراعنة صانعى الحضارة الإنسانية الأولى بالشعوب العربية .

(ب) اشتراكه التاريخى مع الشعوب العربية فى عهد الرومان واليونان .

(ج) اندماجه فى الدولة العربية الإسلامية منذ عهد عمر بن الخطاب .

(د) صد موجات الاستعمار الأوربى التى غزت بلاد العرب باسم الصليب والصليب منها برىء .

(ه) وقوفه فى وجه غزوات التتار الذين اكتسحوا سهول الشرق ، واجتازوا جباله حاملين الخراب معهم والدمار ، وإنزال الهزيمة بهم ، وسحقهم فى عين جالوت .

(و) إسهامه بأعظم نصيب فى حفظ التراث العربى ، ومقومات الحضارة الإسلامية بإنشاء الأزهر الشريف الذى كان حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية بعد ذلك باسم الدين ، وهى استعمار ورجعية ، والدين منها برىء .

٢ — يقظة الشعب إبان الحملة الفرنسية :

يزعم بعض المؤرخين أن الحملة الفرنسية صنعت اليقظة فى مصر مع مطلع القرن التاسع عشر ، والحقيقة أن الحملة الفرنسية حين جاءت :

(ا) وجدت إشعاعا فكريا وسياسيا يصدر من الأزهر ويتجاوزه إلى ربوع البلاد المختلفة .

(ب) وجدت الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى الذى يتستر تحت قناع الخلافة ، ويفرض تناقضا وتصادما بين الدين والحياة الحرة الكريمة .

(ج) وجدت الشعب المصرى يحمل عبء المقاومة العنيفة لسيطرة المماليك ويتمرد عليهم ، دفعا لما يحاولون من فرض الظلم والاستبداد على الشعب الأصيل .

ومع هذا فقد جاءت الحملة الفرنسية معها بزاد جديد لطاقة الشعب الثورية فى ذلك الوقت ، ويتمثل هذا الزاد فى اللمحات العلمية الحديثة ، التى طورتها الحضارة الأوربية بعد أن أخذتها من الحضارات القديمة وفى مقدمتها الحضارة الفرعونية والحضارة العربية .

ولقد أدى هذا الزاد إلى شعور الشعب المصرى بالثقة بنفسه حين رأى حضارته تعود إليه فى ثوب جديد ، فانفسحت أمامه الآمال الواسعة ، وامتد خياله إلى آفاق أبعد ومثل أعلى .

وزاد هذه الثقة قوة ما كشفه العلماء من أسرار التاريخ المصرى القديم موضع فخر الشعب واعتزازه .

٣ — محمد على والنكسة :

وقد كانت يقظة الشعب المصرى فى ذلك الوقت هى القوة الدافعة وراء عهد « محمد على » لكن محمد على لم يؤمن بالحركة الشعبية التى حملته إلى عرش مصر ، فاتخذها نقطة وثوب إلى مطامعه الشخصية ، ولو آمن «محمد على» بهذه الحركة لمضت مصر بخطى واسعة إلى المستقبل، كما مضت اليابان التى بدأت تقدمها فى هذا الوقت نفسه . وبرغم ما يردده المؤرخون من أنه مؤسس الدولة الحديثة فى مصر ، فإن المأساة فى ذلك أنه انساق إلى مغامرات فردية عرقلت اليقظة المصرية ، وعوقت الحركة الشعبية ، بل قضى « محمد على » على القيادات الشعبية متمثلة فى عمر مكرم وأنصاره وزملائه ، ونسى كل شىء غير مجده الشخصى ، وسلك سبيلا استهلك فيها مال الأمة ، وقوتها البشرية فى معارك النزعات الذاتية الحمقاء ، فأصيبت البلاد بنكسة هوت بها إلى القاع .

٤ — التدخل الأجنبى فى مصر :

إن هذه النكسة فتحت الباب للتدخل الأجنبى ، فى حين أن الشعب نفسه لم يكن ضعيفا ، بل كان قويا ، وقد صد غزوات متتالية عن أرضه كان أقربها فى ذلك الوقت حملة « فريزر » ضد رشيد ، ومن سوء الحظ أن هذه النكسة وقعت فى مرحلة من مراحل

تطور الاستعمار ، وتحوله من مجرد الاحتلال واستنزاف الموارد إلى مرحلة الاحتكارات المالية رغبة فى تثمير رءوس الأموال المنهوبة من المستعمرات ، فوجه الاستعمار نشاطه إلى مجالين خطيرين ، هما : قناة السويس ، وتحويل مصر إلى مزرعة قطن لمصانعه ؛ وبذلك مرت مصر فى تجربة قاسية استغلت فيها ثرواتها للمصالح الأجنبية التى وجدت لها سندا ضخما من أمراء أسرة محمد على ، وأصدقائهم ، وقد مكن لهم من ذلك فداحة النكسة التى ، أصيبت بها حركة اليقظة المصرية .

٥ — كانت النكسة فادحة حقا ، ولكن الشعب لم يستسلم للمصائب ، ولم يسكت : فقد استطاع الشعب فى هذه الفترة أن يختزن طاقاته ، لإطلاقها فى اللحظة المناسبة ، وكانت هذه الطاقات تتمثل فى العلم الذى حصله شبابه الرواد الذين سافروا أيام اليقظة إلى أوربا ، ليدرسوا وينهلوا من العلم الحديث ؛ فاستطاعوا بعد عودتهم أن يجلبوا معهم بذورا صالحة ما لبثت أن أخرجت ثقافة جديدة رائعة على ضفاف النيل الخالد ، لفتت بأضوائها أنظار العناصر المتطلعة إلى التقدم فى المنطقة وجذبتهم إليها ، فصارت مصر منبرا للفكر العربى كله ومسرحا لفنونه ، وملتقى لكل الثوار العرب الذين اجتازوا الحدود المصطنعة والموهومة ، إلى حيث الثقافة ، والعلم والفن .

ولقد أحس الاستعمار بهذه القوى تتحفز وتتجمع ، وكانت بريطانيا خاصة لاتحول أنظارها عن مصر لوقوعها فى طريق الهند ،ومن هنا وجهت اهتمامها كلها إلى المعركة الثورية التى لاحت مقدماتها بين قوى الشعب المتحفزة ، وأسرة محمد على .

فلما قامت ثورة عرابى التى تعتبر قمة لردالفعل الثورى ضد النكسة كان الاحتلال البريطانى هو التعبير الواضح عن رغبة الاستعمار فى بقاء النكسة واستمرارها ، لمواصلة القهر والاستغلال ضد الشعب المصرى .

غير أن قوة الاحتلال ، ومؤامرات المصالح الاحتكارية ، والإقطاع الذى أنشأته أسرة محمد على باحتكارها للأرض ، أو توزيعها على أصدقائها ، أو أصدقاء المستغلين الأجانب كل ذلك لم يطفىء شعلة الثورة فى نفوس المصريين فبقيت النـــداءات الثورية فى مواجهة الإرهاب الذى تسنده قوى الاحتلال بل انطلقت أصوات جديدة تعبر عن إرادة الحياة ؛ فما كادت أصداء المدافع التى ضربت الإسكندرية ، وأصداء القتال فى التل الكبير تسكت ، وما كاد صوت أحمد عرابى يسكت حتى جلجل صوت « مصطفى كامل » ينادى بالحرية والاستقلال وإنهاء الاحتلال ، وارتفع صوت « محمد عبده » ينادى بالإصلاح الاجتماعى والدينى ، وارتفع صوت « لطفى السيد » ينادى بأن تكون « مصر للمصريين » وارتفع صوت « قاسم أمين » ينادى بتحرير المرأة .

ومن عجب أن تنطلق هذه الأصوات فى فترة ظل الاستعمار أنها فترة خمود ، لكنها فى الواقع كانت فترة من أخصب الفترات فى تاريخ مصر ؛ لأنها فترة عاد الشعب فيها إلى نفسه يبحث فى عيوبه ومشكلاته ومقوماته ، ويحاسب نفسه كما يفعل الجيش المنهزم عن أسباب هزيمته ، وما فيه من نقص فى التدريب أو الأسلحة أو التخطيط استعداداً لجولة جديدة ، فأخذ الشعب يحصى ويقوم قدراته ، وشرع يعد نفسه لمرحلة جديدة من مراحل النضال ، وكان ذلك كله مقدمة لثورة جديدة ، فما لبثت أن تفجرت ثورة سنة ١٩١٩ .

٦ — ثورة سنة ١٩١٩ ، وأسباب فشلها :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وبعد خيبة الأمل فى الوعود البراقة التى قطعها الحلفاء على أنفسهم فى أثناء الحرب ، وفى مقدمتها وعود « ويلسن » الرئيس الأمريكى الذى مالبث أن تنكر لها ، واعترف بالحماية على مصر ، وتفجرت ثورة سنة ١٩١٩ .

واعتلى سعد زغلول قمة الثورة ، وأخذ يقود النضال الشعبى العنيد الذى وجهت إليه الضربات المتلاحقة أكثر من مائة عام دون أن ييأس أو يستسلم ، لكن الثورة قد فشلت ولعل أسباب فشلها كانت من الدوافع التى حركت ثورة سنة ١٩٥٢ ، وهذه الأسباب هى:

أولا : أن قيادة الثورة أغفلت إغفالا يكاد يكون تاما المطالب الاجتماعية للشعب ، وقد يكون تبرير ذلك واضحاً فى أن قادة الثورة وهم أساس الأحزاب السياسية كانوا من طبقة الملاك الكبار للأراضى فلم يكن من الطبيعى أن يتجهوا إلى المطالب الاجتماعية لجماهير الشعب .

ومع أن اندفاع الشعب فى الطريق الثورى كان سببه واضحاً وهو أن للشعب أهدافاً اجتماعية يبتغى تحقيقها من ثورته ، فإن قيادة الثورة لم تلتفت إلى ذلك ولم تنظر إليه بوعى واهتمام ، حتى لقد شاع تحليل خاطىء فى هذه الظروف ردده بعض المؤرخين مضمونه أن الشعب المصرى لايثور إلا فى حالة الغنى واليسار ، ولقد استدلوا على ذلك بأن الثورة قامت فى وقت ارتفعت فيه أسعار القطن بعد الحرب العالمية الأولى ، وهـذا وهم واستدلال سطحى ، فإن هذه الأسعار لم يستفد منها إلا طبقات الملاك والتجار والمصدرين الأجانب وبذلك زاد التفاوت والتناقض بينهم وبين الكادحين من الفلاحين الذين لم تتغير أحوالهم بارتفاع هذه الأسعار فكان الحرمان فى القاعدة ، والغنى فى القمة من أسباب الثورة .

لقد كان المحرومون هم وقود الثورة ، ولكن القيادات أغفلت مطالبهم الاجتماعية ولم تتبين أن الثورة لاتحقق غايتها بالنسبة للشعب إلا إذا امتد اندفاعها إلى ماوراء طلب الاستقلال ، ووصلت إلى أعماق المشكلة الاجتماعية والاقتصادية .

لقد اقتصرت الدعوة الاقتصادية فى ذلك الوقت على تمصير بعض أوجه النشاط المالى على أيدى بنك مصر وشركاته « بزعامة طلعت حرب » . ولم تظهر دعوة إلى توزيع الثروة أو تكافؤ الفرص ، أو زيادة الإنتاج ، أو الإصلاح الزراعى ، وهذا هو المطلب الأساسى الحيوى ، والحقيقى الذى كان يجب البدء به بلا إبطاء .

ثانياً : أن القيادات الثورية لم تلتفت إلى القومية العربية ، ولم تستطع أن تدرك أنه ليس هناك تناقض ولا تصادم بين الوطنية المصرية والقومية العربية ، وغفلت عن سياسة عدوها الذى كان يعامل الأمة العربية كلها بسياسة واحدة ، وكان عليها أن تفطن لذلك وتتعلم منه ، فقد منح اليهود وعد « بلفور » لإنشاء إسرائيل فاصلا يمزق امتداد الأرض العربية ، ولتكون قاعدة لتهديدها ، وبهذا خسرت القضية العربية فى أخطر ساعات نضالها طاقة الثورة المصرية ، وتمكن الاستعمار من تمزيق أوصال الأمة العربية ، واختصت بريطانيا بشبه الجزيرة والعراق ، وانفردت فرنسا بسوريا ولبنان، بل وصل الهوان بالأمة العربية فى ذلك الوقت إلى أن بعض الجواسيس البريطانيين فى البلاد العربية تصدروا قيادة الحركة العربية الثورية دجلا وتزييفاً ، وكانت بأمرهم تقام العروش لمن خانوا القضية العربية وانحرفوا عن أهدافها ، حدث كل هذا والثورة المصرية تتصور أن هذا لا يعنيها ولا يرتبط بمصيرها .

ثالثاً : لم تفطن القيادة الثورية إلى أساليب الاستعمار فى مواجهة ثورات الشعوب ، ذلك أن الاستعمار فطن إلى أن استخدام القوة العسكرية يزيد ثورات الشعوب التهابا، فاستخدم الخديعة سلاحاً جديداً ، وقدم تنازلات شكلية عن بعض سلطاته ، فسمح بإقامة برلمانات مزيفة ، وقد خلطت القيادة الثورية بين الزيف والحقيقة ، لكن الأوضاع الطبقية ، وقدرة الأحزاب على حشد أنصارها من ملاك الأرض والرأسماليين فى هذه البرلمانات — قد زين ذلك كله للقيادات هذا الخلط ، لأنها رأته يحقق أغراضها ، ويوفر مصالحها ، ويؤكد سيطرتها على الكادحين من العمال ، والفلاحين .

إن الاستعمار فى هذه الفترة قد أعطى استقلالا اسمياً ، وسلب مغزاه ومعناه . ومنح من الحرية مظهرها ، واغتصب حقيقتها ،

وهكذا انتهت الثورة باستقلال زائف لا معنى له ولا روح ، وبحرية عرجاء لا حق لها إلا فى الحركة تحت حراب الاحتلال .

وقد سبب هذا الاستقلال المزيف خطورة أخرى مضاعفة ، فإنه قد أوقع الوطن باسم الدستور فى محنة الخلافات الحزبية الحامية ، فصارت تتصارع على الغنائم لكنها غنائم بلا نصر .

وكان العاقبة أن أصبح الصراع الحزبى ملهاة للشعب عن جد الأمور ، وفيه تحترق الطاقات الثورية للشعب ، وتستهلك قواه بلا ثمرة ، وتنفق جهوده فى غير جدوى .

وانتهت المأساة بمعاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ، والمصيبة فيها أن الأحزاب كلها قد وقعت عليها ، فكانت وثيقة الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة ١٩١٩

إن هذه المعاهدة تنص فى مقدمتها على استقلال مصر ، لكن كل عبارة من عباراتها تسلب هذا الاستقلال كل قيمة له و كل معنى .

لقد كانت هذه المعاهدة ثمرة نضال دام أربعة وسبعين عاما ، ومن سخرية الزمن أن سماها بعض موقعيها « معاهدة الشرف » ! .

رابعا — المناقشة

١ — جاء فى الباب الثالث من الميثاق : « وكان الفتح الإسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة ، وأنار معالمها ، وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحى . وفى إطار التاريخ الإسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة والإنسانية » .

(ا) ما معنى : أنار معالمها ؟ وما معنى : صنع لها ثوباً من الوجدان الروحى . وما معنى : فى إطار التاريخ الإسلامى ؟ (ب) ما الحقيقة التى أشير إليها فى هذه العبارة ؟

(ج) بين الأدوار التى قام بها الشعب المصرى دفاعا عن الحضارة والإنسانية .

٢ — جاء فى الميثاق فى الباب الثالث : « لم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت » .

(ا) كيف تفند رأى الذين يزعمون غير ما فى هذه العبارة . (ب) بين مدى أثر الحملة الفرنسية فى حركة الشعب المصرى كما ورد فى الميثاق .

٣ — « إن هذه النكسة فتحت الباب للتدخل الأجنبى فى مصر على مصراعيه ، بينما كان الشعب قبلها قد رد بتصميم ونجاح محاولات غزو متوالية » .

(ا) ما المراد بالنكسة المذكورة فى هذه العبارة ؟ بين أسبابها .

(ب) ما مدى التدخل الأجنبى الذى أشير إليه فى العبارة ؟

(ج) اذكر مثالا لغزو رده الشعب المصرى بنجاح قبل هذه النكسة .

٤ — فى الباب الثالث من الميثاق : « على أن روح هذا الشعب لم تستسلم ، وإنما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة أن تختزن طاقات تحفزت لإطلاقها فى اللحظة المناسبة » .

(ا) ما معنى المحن العصيبة ؟ (ب) ماذا يراد بهذه المحن العصيبة ؟ (ج) وضح الطاقات التى اختزنتها روح الشعب . (د) ما معنى تحفزت ؟ اذكر متى تحفزت .

٥ — فى الباب الثالث من الميثاق : « ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار

والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثاً فى أعماق النفس وتجميعاً لطاقات الانطلاق من جديد » .

(ا) ما معنى الخمود ؟ (ب) بين كيف كانت هذه الفترة من أخصب الفترات فى تاريخ مصر .

٦ — إن ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ تستحق الدراسة ، فإن الأسباب التى أدت إلى فشلها هى نفس الأسباب التى حركت حوافز ثورة سنة ١٩٥٢ » .

اشرح هذه العبارة بما قرأت فى الميثاق فى الباب الثالث .

٧ — ناقش العبارتين الآتيتين :

(ا) إن الشعب المصرى لا يثور إلا فى وقت الرخاء » .

(ب) « كانت معاهدة سنة ٣٦ بمثابة صك الاستسلام للخديعة » :

٨ — لم أنشأ الاستعمار إسرائيل ، وكيف السبيل إلى إفساد أغراضه ؟

٩ — ماذا تعرف عن معاهدة سايكس بيكو ، وعن وعد بلفور ؟

الباب الرابع

درس النكسة

أولا — معجم مفردات الباب

(١) الحافلة : المملوءة . (٢) منطق المساومة والاستسلام : يشير إلى سياسة الأحزاب مع الإنجليز . (٣) التأهب النفسى : الاستعداد النفسى ، وهو التهيؤ للقيام بالثورة .

(٤) معدنه : عنصره وأصله . (٥) الواجبات المضللة : اللافتات المزيفة ، وهو يشير إلى مظاهر الديمقراطية من دستور ، وبرلمان ، وانتخاب . (٦) الأطلال المتهاوية : المعنى اللغوى الأطلال : الآثار الخربة ، والمراد المبادىء التى أهدرت وأضيعت .

(٧) الشعارات : الرموز والمقصود النداءات المعبرة عن ثورة سنة ١٩١٩ .

(٨) دعامة ، أساس وسند . (٩) الانتهازيين . هم الذين ينتهزون الفرص ، ويغتنمونها بغير استحقاق لها . (١٠) الغنائم : المكاسب ، والمقصود المناصب ، وعضوية البرلمان ، وقضاء المصالح الخاصة . (١١) فئات طفيلية : جماعات ليست أصيلة فى الموضوع تبتغى الفائدة ، وتعيش على غير جهدها ، والمقصود أولئك الذين كانوا يعيشون فى حواشى الأحزاب السياسية وأنديتها ، ولا عمل لهم فى السياسة . (١٢) الانحراف : الميل عن الطريق المستقيم وهو إسلام الشعارات إلى ملاك الأرض وجريهم وراء أغراضهم ، ومصالحهم الذاتية .

(١٣) الإغراء : إخضاع النفوس إلى عوامل الطمع . (١٤) نزحها : استخراجها .

(١٥) المطاف . السير . (١٦) يجرفهما : يجرهما ، ويذهب بهما . (١٧) الفلول : البقايا ، والمقصود الأحزاب السياسة التى اشتركت أعضاؤها أو بعضهم فى ثورة ١٩١٩ .

(١٨) مهينة : غير كريمة . (١٩) يملى إرادته : يفرض إرادته على غيره .

(٢٠) حرية رغيف الخبز : القدرة على كسبه بطريقة كريمة . (٢١) بهتت عليها : يريد أصبحت غير حقيقة . (٢٢) هانو على الشيطان : يتخيل أن شيطانا قد وعدهم ، ومناهم ببلوغ الحكم على أن يكونوا عبيدا له ، فلما ملكهم سخر منهم ، وتخلى عنهم ، فلم يستطيعوا الوصول إلى مقاعد الحكم إلا بدفع ثمن معلوم . وهذا تصوير لمدى الهوان الذى صاروا إليه بسبب الشهوة فى الحكم ، والتفريط فى حق الوطن ، والاعتماد على غير القاعدة الشعبية . (٢٣) تخلع جذورها من التربة الشعبية: تنفصل عن القاعدة الشعبية ، ولا تستمد منها قوتها . (٢٤) المتأزمة الشديدة الحرجة . (٢٥) نزواتها : شهواتها وحماقاتها .

(٢٦) الانتداب والوصاية : من الأسماء التى تستخدم أقنعة للاستعمار .

(٢٧) الطبيعة . الحق الثابت . (٢٨) طابعاً استفزازياً : صفة وهيئة مثيرة .

(٢٩) لأحدهؤلاء العملاء . هوالملكعبدالله . (٣٠) البخس : الزهيد . (٣١) ضابط إنجليزى : هو الضابط « جلوب » الذى كان قائدا للجيش الأردنى ، وهو إنجليزى وجاسوس لليهود . (٣٢) وعد بلفور . فى هذه الحرب كانوا ينفذونه ، وقد أعطوه سنة ١٩١٧ ونفذوه سنة ١٩٤٨ . (٣٣) بإصرار عميق : تصميم ثابت الجذور .

(٣٤) نهش : أكل كما تفعل الكلاب والوحوش . (٣٥) العنصرية النازية : يشير إلى ألمانيا فى عهد هتلر . (٣٦) حياتها المترفة : الناعمة . (٣٧) ولاءه : إخلاصه وتخصصه . (٣٨) القوى الشعبية : القوى الممثلة للشعب . (٣٩) المتداعى : المنهار ، الآيل إلى السقوط . (٤٠) شامخا : عاليا . (٤١) جدوى : فائدة . (٤٢) يكدس : يجمع .

ثانياً — الأفكار الأساسية
فى الباب الرابع

تناول هذا الباب الحديث عما يأتى :

١ — فترة الأزمة الكبرى التى أعقبت نكسة ثورة سنة ١٩١٩ .
٢ — مرحلة غضب الشعب ، وقد كانت تمهيداً لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .
٣ — أسرار العظمة والقوة فى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

ثالثاً — تفصيل الأفكار

١ — فترة الأزمة الكبرى :

هى الفترة التى تتسم بالخديعة ، وهى المدة التى بين انتكاسة سنة ١٩١٩ ، ومرحلة التمهيد لثورة ١٩٥٢ ، حين بدأت يقظة الشعب وتنبهه إلى الخطر الذى يهدده ، من سياسة المساومة والمفاوضة والاستسلام ، وهى فترة عصيبة حقاً ، فقد تجمعت فيها على الشعب عوامل اليأس التى كانت خليقة بأن تخنق فيه كل رغبة فى التغيير ، أو أن تشل قواه ، فتمنعه من الحركة ، وهذه العوامل التى اصطلحت عليه هى :

أولا : تميزت هذه الفترة بالواجهات المضللة التى تخفى وراءها مصرع كل هدف سعت إليه ثورة سنة ١٩١٩ ، ومن هذه الواجهات المضللة :

(ا) التنظيمات الحزبية :

لم يكن لقيادة ثورة ١٩ فيها إلا دور هزيل ، لأنها فقدت ثوريتها ، وأسلمت شعارات الثورة إلى كبار ملاك الأرض ، وقد انضم إليهم الانتهازيون والطفيليون ، ثم المثقفون

الذين أغرتهم المكاسب الحزبية ، والرأسماليون الذين ورثوا فى الحقيقة دور المغامرين الأجانب فى استغلال ثروة الشعب ونزحها لأنفسهم .

ومن أجل هذا ضعفت الأحزاب ، وأدى بها ضعفها إلى الارتماء فى أحضان القصر تارة ، وأحضان الاستعمار تارة أخرى والواقع أن القصر والاستعمار كليهما كانا فى صف واحد بحكم مصالحهما ، وهو الصف المعادى للشعب ، والمضاد لاتجاه التقدم ؛ لأن الشعب عدو لها ، وفى تقدمه نهايتهما معا .

(ب) الديمقراطية المزيفة .

كان الهدف من الحياة النيابية فى تلك الفترة خدعة الشعب عن مطالبه الحقيقية ، فإن الشعب فيها لم تكن له سلطة ، بل كان هو أداة فى يد السلطة وضحية لها ، ولم تكن أصوات الجماهير فى الانتخابات هى التى تقرر خطة العمل الوطنى ، بل كانت هذه الأصوات توجه وفقا لأهواء السلطات الحاكمة وأصدقائها وأذنابها ، وكان ذلك كله نتيجة طبيعية لإغفال الجانب الاجتماعى من أسباب ثورة ١٩١٩ فإن الذى يحتكر رزق الفلاحين والعمال يحتكر أصواتهم ، ويوجهها على حسب إرادته لأن القدرة على الكسب الشريف الحر هى الوسيلة الأولى لحرية إبداء الرأى فى الانتخاب .

ثانياً : العامل الثانى هو القصر الذى وجد باب السيطرة على الشعب مفتوحا على مصراعيه ، فاقتحمه متجاوزا كل الحدود ، وسلب كل قيمة الدستور الذى كان قد منحه ، فلم يعد إلا قصاصة ورق بهتت عليها الحقوق الشكلية التى كانت قد ألقيت إلى الشعب ، ليتلهى بها عن مطالبه واحتياجاته الحقيقية .

وقد رضيت القيادات الشعبية بالخضوع أمام سلطة القصر ، وركعت تلتمس الرضا الذى يصل بها إلى مقاعد الحكم ، وما ذلك . إلا لأنها تخلت عن الشعب . وأهدرت كل قيمة له ، ناسية أنه مصدر قوتها ، وسر عزتها وكرامتها ، وقد انتهى بها الضعف إلى حد أنها لم تعد تستطيع الوصول إلى الحكم إلا بعد دفع ثمن معلوم للقصر ووسطائه .

وهكذا هانوا على الشيطان الذى باعوا له أرواحهم ؛ لأن كل قيادة وطنية تخلع جذورها من التربة الشعبية ، وتنفصل عن مصدر غذائها ، وسر حياتها تحكم على نفسها بالذبول وبالموت .

ثالثاً : العامل الثالث هو الاستعمار الذى استهان بنضال الشعب العربى فى هذه الفترة استهانة فاقت كل حدود الاحتمال البشرى . ولسوف يبقى الوطن زمانا طويلا يشعر

بالكراهية المرة للاستعمار بسبب هـذه الفترة التى استهان فيها الاستعمار حتى بحق الحياة للشعوب العربية :

(ا) إنه فى هـذه الفترة تنكر لكل عهوده التى قطعها على نفسه خلال الحرب العالمية الأولى ، وضرب الأمل فى الاستقلال والوحدة ضربات قاسية ؛ وقسم البلاد العربية بين دوله وفق النزوات والأهواء ، واخترع كلمات مضللة لتغطية الجريمة مثل الوصاية والانتداب لتكون قناعا يخفى وراءه الاستعمار .

(ب) اغتصب قطعة من الأرض العربية فى فلسطين ، ومنحها من غير حق للحركة الصهيونية ؛ لتكون سلاحا فى يده ليضرب به العرب إذا حاولوا النهوض ، ولتكون فاصلا بين بلاد الوطن العربى فى آسيا وإفريقيـة ، ولتكون أداة امتصاص لجهود الأمة العربيـة تشغلها عن بناء المستقبل . ولقد تم هذا العمل بطريقة استفزازية لاتقيم وزنا لوجود الأمة العربية وكرامتها ، فلا شك أنه بتدبيره كانت قيادة الجيوش العربية فى فلسطين للملك عبدالله وكانت العمليات العسكرية تحت هذه القيادة فى يد ضابط إنجليزى يتلقى أوامره من الساسة اليهود أنفسهم .

إن الأمة العربية لن تنسى مرارة هذه التجربة ، ولقـد خرجت منها بإصرار عميق على كراهية الاستعمار وهزيمته . إنها خرجت بدرس عظيم الفائدة عن حقيقـة الاستعمار : إنه ليس نهبا لموارد الشعوب فحسب ، إنه قبل ذلك عدوان على كرامتها وكبريائها ، واستهانة بحقها فى الحياة : إن هذا هو درس النكسة .

٢ — مرحـلة غضب الشعب :

لقد عبر الشعب عن غضبه فى مظاهر كثيرة

(ا) رفض رفضاً عنيداً أن يشترك فى الحرب التى كانت فى نظره صراعا على المستعمرات بين النازية من ناحية والاستعمار من ناحية أخرى ، ذلك الاستعمار الذى جر على الإنسانية كلها ويلات لاحدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل ، وسخر الشعب من كل الشعارات التى رفعها المتحاربون ليخدعوا بها الشعوب ، مثل السلام والرخاء ، وحقـوق الشعوب ، ومحاربة الفاشية .

(ب) سحب الشعب المصرى تأييده لكل من تعاونوا مع سلطة الاحتلال ، وعمت الشباب موجة من السخط عليهم ، وكثرت تنظيماتهم السرية ، فدوت فى مصر فى ذلك الوقت طلقات الرصاص وانفجارات القنابل . ولقد كانت هذه المظاهر معبرة عن سخط الشعب وغضبه ، وكانت فى الوقت نفسه تمهيدا للثورة ، وليست ثورة ؛ لأن الغضب مرحلة سلبية والثورة عمل إيجابى لإقامة أوضاع جديدة .

(ج) عبرت الجماهير فى القرية وفى المدينة عن إرادتها الحقيقية ، فقامت ثورات الفلاحين ضد استبداد الإقطاع فى بعض القرى ، ووصلت إلى حد الاشتباك المسلح . وشب حريق القاهرة الذى كان فى حقيقته ثورة تعبر عن السخط الشعبى أكثر مما كان تدبيرا لعقول وأيد مجرمة ، فإن الفئة الحاكمة فى القاهرة التى كانت غارقة فى الترف كانت غافلة عن احتياجات الشعب وآلامه . ومن هنا كانت شرارة الغضب هى التى أشعلت من الحرائق أكثر مما أشعلت يد التدبير الخفية التى بدأت الحريق .

٣ — أسرار العظمة فى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

إن أسرار العظمة فى هذه الثورة تبرز فيما يأتى :

(ا) أن قوات الجيش التى خرجت لتنفيذها فى ليلة ٢٣ يوليو كانت أداة شعبية للثورة ، استولت على الأمور فى الجيش ، واختارت له المكان الصحيح ، وهو جانب النضال الشعبى ، وبذلك قامت الثورة بتصحيح أوضاع بالغة الأهمية ، متحدية بذلك إرادة القوى التى أرادت عزل الجيش عن النضال الشعبى .

ففى تلك الليلة وقف الجيش فى مكانه الطبيعى تحت قيادة التوجيه الشعبى وفى خدمة أمانى الشعب .

وفى تلك الليلة أعلن الجيش ولاءه للنضال الشعبى . ومن هنا فتح الطريق أمام إرادة التغيير ، وهو هدف الثورة ومطلبها .

فانضمام الجيش إلى النضال الشعبى كان له أثران عظيمان فى الليلة نفسها :

أولا : تسليح النضال الشعبى فى مواجهة قوى السيطرة الأجنبية بدرع من الصلب تصد عنه ضربات الخيانة والغدر .

ثانيا : سلب قوى الاستغلال الداخلى أداتها التى كانت تهدد بها ثورة الشعب .

(ب) الوعى الثورى الأصيل :

١ — فإن الوعى الثورى الأصيل هو الذى مكن الشعب من الرؤية الواضحة البعيدة المدى ، فلم يتحول الحدث الكبير إلى مجرد تغيير للوزارة القائمة أو لنظام الحكم ، ولم يتحول إلى دكتاتورية عسكرية متحكمة تضيف تجربة فاشلة إلى تجارب أخرى فاشلة سبقت فى التاريخ وكان يمكن أن يحدث ذلك أو شىء مثله ، لكن أصالة الوعى الثورى منحت جميع العناصر الوطنية إدراكا صحيحا لدورها فى توجيه النضال ، وفرضت أن يكون الحدث الكبير لليلة ٢٣ يوليو خطوة على طريق تغيير جذرى شامل يعيد الأمانى الوطنية إلى مجراها السليم الذى ضاع بسبب انتكاسة ثورة ١٩١٩ .

٢ — والوعى الثورى الأصيل هو الذى وضع القوى الشعبية وفى طليعتها قوى الفلاحين والعمال موضع القيادة الفعلية .

٣ — والوعى الثورى الأصيل هو الذى تمرد على دعاة الإصلاح واختار طريق الثورة الشاملة ؛ لأنه يدرك احتياجات الوطن التى لا تكتفى بترسم البناء القديم المنهار، وصلبه بقوائم تسنده وإعادة طلائه ، بل تتطلب بناء جديدا ثابت الأساس شامخ القمم ، والوعى الثورى الأصيل هو الذى أدرك أن سقوط النظام القديم سقوطا سريعا كاملا يقطع بعدم جدوى محاولات الترميم .

٤ — والوعى الثورى الأصيل هو الذى مكن من اجتياز العقبات التى تعترض طريق التغيير الثورى، فقد كان هناك أنقاض النظام القديم وحطامه تسد الطريق كما كانت هناك رواسب متعفنة من مطامعه البالية . وكان هناك القيادات السياسية التى سقطت تحت الأنقاض بانحرافها عن الأهداف الثورية الأصلية لثورة ١٩١٩ ، وكانت الأوضاع الطبقية قد أبعدت عناصر صالحة للقيادة عن صفوف القوى الشعبية المتطلعة للثورة ، وفى الوقت نفسه لم تكن الطلائع التى صنعت أحداث ليلة ٢٣ يوليو قد أعدت نفسها لتحمل مسئولية التغيير الثورى الذى تصدت لمقدماته ، وإن كانت قد فتحت الطريق للثورة تحت راية المبادىء الستة فإن هذه المبادىء كانت أعلاما ، ولم تكن أسلوب عمل ومنهاج تغيير جذرى مفصل .

لقد كان الأمر صعباً ، ولكن الوعى الثورى الأصيل مكن الشعب من تحطيم كل هذه العقبات ، وتحريك المبادىء الستة نحو تصميم مفصل لبناء المجتمع الجديد ، فراح الشعب يجمع مواد البناء ويحشد القوى الثورية القادرة على المشاركة فيه من صفوف الجماهير .

وهكذا استطاع الشعب بوعيه الكامل أن يحطم العقبات ، فأوكل إلى جيشه مهمة حماية البناء ، وراح يشرف بوعى وجدارة على التحول الرائد الخلاق نحو الديمقراطية .

رابعاً — المناقشة

١ — فى الباب الرابع من الميثاق : « إن هذه الفترة التى يمكن أن ننظر إليها الآن باعتبارها فترة الأزمة الكبرى كانت حافلة بالواجهات المضللة التى تخفى وراءها الأطلال المتهاوية من بقايا ثورة ١٩١٩ » .

ا) حدد الفترة المشار إليها فى هذه العبارة .

ب) ما الواجهات المضللة ؟ (ج) ما الأطلال المتهاوية ؟

٢ — فى الباب الرابع من الميثاق : « وانتهى الأمر إلى حد أنهم هانوا على الشيطان الذى باعوه أرواحهم ، فوصل بهم الهوان إلى حد أن تغيير الوزارات أصبح له ثمن معلوم يدفع للقصر ووسطائه » .

ا) ما مرجع الضمير فى « أنهم هانوا على الشيطان » ؟

ب) ما المقصود من الشيطان ؟ (جـ) ولم وصل بهم الهوان إلى هذا الحد ؟

د) العبارة تشير إلى عامل من عوامل اليأس التى اصطلحت على الشعب فى تلك الفترة اذكر عاملا آخر .

٣ — فى الباب الرابع من الميثاق : « ولسوف يبقى الوطن زمانا طويـــلا يشعر فى حلقه بمرارة الذل الذى أحسه فى هذه الفترة المتأزمة من جراء استهانة الاستعمار بنضاله استهانة فاقت كل حدود الاحتمال البشرى » .

(ا) اشرح إيحاء التعبير بقوله « يشعر بمرارة الذل » (ب) ما معنى المتأزمة ؟

(جـ) بين كيف استهان الاستعمار بنضال الوطن ؟ (د) بين أن هذه العبارة تشير إلى درس النكسة .

٤ — فى الباب الرابع من الميثاق : « ولقد عبر الشعب المصرى عن نفسه برفضه العنيد أن يشترك فى الحرب التى لم تكن فى نظره إلا صراعا على المستعمرات والأسواق بين العنصرية النازية وبين الاستعمار البريطانى الفرنسى الذى سيجر عـــلى البشرية كلها ويلات لا حدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل » .

(ا) ما المراد بالحرب التى أشير إليها فى هذه العبارة ؟ (ب) لم رفض الشعب أن يشترك فيها ؟ (جـ) فسر الكلمات : عنيد ـ عنصرية ـ نازية ـ ويلات ـ دمار .

(د) العبارة تشير إلى بدء مرحلة الغضب الشعبى . صف مظاهر غضب الشعب قبل ثورة ١٩٥٢ .

٥ — فى الباب الرابع من الميثاق : « إن أعظم ما فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها لم تكن هي صانعة الثورة ، وإنما كانت أداة شعبية لها »

(ا) اشرح هذه العبارة . (ب) هناك أسرار أخرى لعظمة ثورة ١٩٥٢ . اذكرها.

٦ — فى الباب الرابع من الميثاق : « إن الباب الذى انفتح على مصراعيه ليلة ٢٣ يولية ظل مفتوحا لفترة طويلة قبل أن يدخل منه التغيير الحتمى الذى طال انتظاره » .

بين الأسباب التى أدت إلى تأخر هذا التغيير ، ثم بين كيف استطاع الشعب أن يصل إلى التحول الرائد نحو الاشتراكية .

٧ — أجب من الباب الرابع بإيجاز عن الأسئلة الاتية :

(ا) لمَ نشعر بكراهية نحو الاستعمار ؟ (ب) ما أهداف الاستعمار من إنشاء إسرائيل ؟
(ج) لم وضع عنوان « درس النكسة » للباب الرابع ؟ (د) ما موقف الاستعمار من الوطن العربى بعد الحرب العالمية الأولى ؟ (هـ) اذكر سراً واحداً تجده أهم أسرار العظمة فى ثورة ١٩٥٢ . (و) ما الأسباب الحقيقية لاتساع حريق القاهرة ؟

الباب الخامس

الديمقراطية السليمة

أولا — معجم مفردات الباب

(١) بأسره : بأجمعه . (٢) اقتحام : هجوم بشدة . (٣) انفعالا : الانفعال هو التأثر النفسى الشديد استجابة لمؤثر من المؤثرات المختلفة فى الإنسان ، وهو عادة لا يصحبه تفكير سليم : لأنه يعطل المنطق . (٤) المفجر : سبب الانفجار المباشر أى إظهار الخفايا فى عنف وشدة . (٥) الترجمة : التعبير والمظهر . (٦) تكريسها : تخصيصها .
(٧) غداة النصر : غداة معناها الصباح ، والمقصود يوم النصر . (٨) قبضة الغاصب : يده القابضة . (٩) تدعمها : تقويها بوضع دعامة تسندها . (١٠) هشة : ضعيفة سريعة التكسر . (١١) تنهج : تسلك . (١٢) المراهقة الفكرية : التفكير الذى تنقصه الخبرة والتجربة والمعلومات والاتزان ، ولا يعتمد كثيراً على المنطق العلمى
(١٣) ممارسة : ممارسة الشئ القيام به عملياً . (١٤) يتورع : يتعفف ، ويتحرج
(١٥) بدباباته : يقصد وزارة مصطفى النحاس فى فبراير سنة ١٩٤٢ . (١٦) بعض الأحزاب : يقصد حزب الأحرار الدستوريين . (١٧) منة : عطية ومنحة .
(١٨) يضيرها : يؤذيها . (١٩) متنفساً : منفذاً ومكاناً للتخفيف . (٢٠) صمامات : يقصد مفاتيح . (٢١) تبعات : مسئوليات . (٢٢) المفاهيم : المعانى . (٢٣) هالاته الهالات الأضواء المحيطة بالشىء . (٢٤) لا تأبه : لا تهتم والمقصود الشارات والمعالم
(٢٥) ضراوة : الضراوة الولع بأكل اللحم ، والمراد الوحشية واعتياد الإيذاء .
(٢٦) حسمها : حلها وقطعها . (٢٧) يتحسس : يتعرف . (٢٨) معين . منبع ومصدر .

ثانياً — الأفكار الأساسية
فى الباب الخامس

١ — العمل الثورى الصادق .
٢ — الديمقراطية المزيفة ومظاهرها .
٣ — معالم الديمقراطية السليمة .

ثالثاً — تفصيل الأفكار

١ — العمل الثورى الصادق : العمل الثورى لا يمكن أن يكون صادقا ولا كاملا إلا إذا كان شعبياً تقدمياً فى وقت واحد ، فالثورة لا تكون ثورة إلا إذا قام بها الشعب كله،

فليست الثورة عمل فرد ، ولا عمل طائفة ؛ لأن عمل الفرد شذوذ وخروج على المجتمع ، وعمل الطائفة عداوة وصدام مع المجتمع ، وإنما قيمة الثورة بمقدار تعبيرها عن جماهير الشعب ، وبمقدار ما تستطيع تعبئته من قوى هذه الجماهير لفرض إرادتها على الحياة فى الوطن . فالثورة حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليحطم كل المعوقات والعقوبات التى تعترض طريقه وهو يبنى حياته التى يرجوها .

والثورة لا تكون ثورة — أيضاً — إلا إذا كانت عملا يتسم بالتقدمية ، فالجماهير لا تطالب بتغيير حياتها رغبة فى التغيير نفسه ، أو تخلصاً من ملل أصابها ، وإنما تطلب الجماهير التغيير ، وتسعى إليه ؛ لأنها تحاول أن تحقق آمالها وتصل إلى صورة من الحياة أسعد من حياتها ، فالتقدم هو غاية الثورة وهدفها ، والتخلف الذى تشعر به الجماهير فى أحوالها المادية والاجتماعية هو الدافع لإرادة التغيير والانتقال بكل قوة وتصميم مما هو قائم بالفعل إلى ما ينبغى أن يقوم بالأمل . إن التخلف هو المفجر للطاقة الكامنة فى الشعب ، والتقدم هو الهدف ، فالثورة قفزة قوية لاجتياز مسافة التخلف الاقتصادى والاجتماعى تعويضا للماضى ، بما فيه من ضيق وحاجة ، وتطلعا إلى المستقبل ، بما فيه من مثل أعلى يريده الشعب لنفسه ، أو لأجياله القادمة .

ومن ذلك يتضح أن العمل الثورى الصادق يحقق الديمقراطية والاشتراكية فى وقت واحد ، فليست الديمقراطية إلا التعبير الدقيق عن شعبية العمل الثورى فهى توكيد السيادة للشعب ، ووضع السلطة كلها فى يده وتخصيصها لتحقيق أهدافه وليست الاشتراكية إلا التعبير الصحيح عن تقدمية العمل الثورى ، فهى إقامة مجتمع الكفاية والعدل ، والكفاية تعنى وفرة الإنتاج ووفاءه بمطالب الشعب المادية ، والعدل يعنى توزيع هذا الإنتاج وثمراته وأصوله على مقدار الجهد المبذول . والاشتراكية أيضاً إقامة مجتمع العمل وتكافؤ الفرص ، والعمل يعنى زيادة الإنتاج وتدفقه حتى يفى باحتياجات الشعب ، وتكافؤ الفرص يعنى المساواة والعدل فى تهيئة الظروف التى تمكن كل فرد فى المجتمع أن يعمل ويحقق أقصى ما تهيئه له قدراته وإمكاناته والمجتمع الاشتراكى — أخيراً — هو مجتمع الإنتاج الوافر ، ومجتمع الخدمات الموزعة توزيعاً عادلا فى مجالاتها المختلفة من صحة وتعليم ونحوها .

وعلى هذا التصوير الذى رسمه الميثاق تكون الاشتراكية والديمقراطية وجهين متلازمين للعمل الثورى الصادق كما يتلازم وجها قطعة معدنية من النقود . فالاشتراكية هى الحرية الاجتماعية (التقدمية) والديمقراطية هى الحرية السياسية (الشعبية) ولا يمكن الفصل بينهما ، وهما جناحا الحرية الحقيقية ، وبدونها أو بدون واحدة منهما لا يستطيع شعب أن يمضى إلى آفاق المستقبل المأمول .

ولكن ممارسة الحرية فى سبيل العمل إلى المستقبل يحتاج إلى وعى ثورى عميق .
فكثير من الحركات الشعبية قد أخفق فى ممارسته للحرية السياسية ، لأنه ظنها غاية يقف عندها ، وكثير من الحركات الشعبية قد انتكس ؛ لأنه حين أراد أن يغير حياته داخلياً انتهج نظريات لا تنبع من أعماق الشعب على أرض الوطن .

أما نحن فى تجربتنا التى بدأت فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فقد كان عمق الوعى الثورى لدى شعبنا ، مع وضوح الرؤية أمامه ، وصدق الرغبة فى التغيير قد هيأ له يوم النصر فى معركة السويس أن يحسن تقدير موقفه ، فإن استطاع أن يفطن وسط مهرجانات النصر وأفراحه إلى أنه لم يحصل على الحرية فى معركة السويس ، وإنما هو — فقط — قد استخلص إرادته كى يصنع بها الحرية ثورياً ، والصنع الثورى الحرية هو الحصول على الحرية الإجتماعية إلى جانب الحرية السياسية .

إن معركة السويس قد كشفت لشعبنا عن قدراته الكامنة ، واستعداداته الضخمة ، وقد مكنه الكشف من أن يضع هذه القدرات فى خدمة العمل الصادق ، وبذلك كان النصر ضد الاستعمار فرصة لبدء العمل الحقيقى ، كما كان مجرد مركز أكثر ملاءمة لمواصلة العمل فى سبيل الحرية الحقيقية (ذات الجناحين) ، وضماناتها مزدهرة على أرض مصر إلى الأبد فالشعب المصرى فى معركة السويس استخلص إرادته لا ليضعها فى المتحف ، وإنما استخلصها ودعمها بكل طاقاته الوطنية ، وجعل منها أداة لتحقيق مطالبه . ذلك أنه قد فطن إلى أن أخطر مراحل النضال فى سبيل المستقبل هى هذه المرحلة التى تحصل فيها الشعوب على الحرية السياسية . وموضع الخطر فيها أنها تنسى نفسها عند أول انتصار لها ضد القوى الاستعمارية ، وتتوهم خطأ أن أهدافها قد تحققت . ومن هنا تترك واقعها الاقتصادى بلا تغيير غافلة أن عناصر الاستغلال الداخلى متصلة عن قرب بالقوى الخارجية ، ومتعاونة معها على تبادل المنافع على حساب الجماهير .

إن هذه الشعوب تنخدع بالواجهات الدستورية ، وتتصور أن الحرية قد استوفت حقوقها . وهذه الشعوب تكتشف بعد فوات الأوان أنها بقصورها عن التغيير الثورى فى معناه الاقتصادى سلبت الحرية السياسية ضمانها الحقيقى ، ولم تترك لنفسها غير مجرد واجهة هشة لا تلبث أن تنهار بسبب التناقض بينها وبين واقع الشعب الاقتصادى . وهذا أحد سببين خطيرين لإخفاق الحركات الشعبية .

وهناك سبب آخر — كما تقدم — وهو أن الحركات الشعبية — وهى تحاول التغيير الاقتصادى — تتخذ نظريات مستوردة لهذا التغيير ، ناسية أن الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لا يمكن

استيرادها من الخارج . حقاً هناك قوانين طبيعية للعمل الاجتماعى تسود فى كل مكان لكن ذلك ليس معناه الاعتماد على هذه النظريات الجاهزة ، والاستغناء عن التجربة وليس معنى وجوب التجربة أننا نزعم — مقدما — خطأ جميع النظريات السابقة ، أو أن نقطع برفض الحلول التى وصل إليها غيرنا ، فإن ذلك مسلك يتسم بالتعصب وضيق الأفق ، ولا سيما أن إرادة التغيير الداخلى الاجتماعى فى بدء ممارستها تكون فى حال أشبه بحال المراهق من حيث حاجته إلى كل زاد فكرى وكل خبرة سابقة ، غير أنها مطالبة بأن تدرس هذه الخبرات دراسة عميقة ، وأن تفهمها ، وتهضمها ، وتمثلها غذاء يمتزج بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية فهى محتاجة إلى إدراك ما يجرى حولها كحاجتها إلى التجربة والممارسة والحاجة إلى التجربة فى حياة الأمم — شأنها فى حياة الأفراد — وسيلة النضج والنمو ووضوح الرؤية .

ومن ذلك كله يبدو أن ثورة يوليو لم تنقل واجهة دستورية ، ولم تلتزم بنظريات جامدة مستوردة ، وأنها تجنبت بذلك خطرين كبيرين ، فكانت تجربتها عملا ثوريا صادقا .

ثانيا : الديمقراطية المزيفة :

إن الخطر الحقيقى الذى وقعت فيه ثورة ١٩١٩ هو أن قيادتها استسلمت إلى ديمقراطية الواجهات الدستورية التى لا تحتوى على أى مضمون اقتصادى ، إن ذلك لم يكن خطراً على الحرية الاجتماعية ، وحدها ؛ بل ما لبثت الواجهة الدستورية نفسها أن انهارت ، وظهر الزيف فى هذه الديمقراطية واضحا لكل إنسان ، ومن مظاهر هذا الزيف .

١ — تحكم الاستعمار : لم يقم الاستعمار وزنا لكلمة الاستقلال المكتوبة على الورق ولم يتحرج أن يمزقها متى شاء .

٢ — ديمقراطية الرجعية : لم تكن تمثل هذه الديمقراطية إلا ديمقراطية الرجعية ، والرجعية حريصة على صلتها بالاستعمار وتعاونها معه فكان من الطبيعى فى عهد هذه الديمقراطية ألا تعمل الوزارات إلا بوحى من ممثل الاستعمار بمصر ، بل إنها أحيانا لم توجد إلا بمشورته وأمره ، ووصلت الحال فى إحدى المرات أنها جاءت إلى الحكم على دباباته وفى ظل حرابه وهذا يؤكد مرة أخرى أنه لا معنى للديمقراطية السياسية أو الحرية فى صورتها السياسية من غير الديمقراطية الاقتصادية أو الحرية فى صورتها الاجتماعية .

فالنظام السياسى فى أى بلد صورة للوضع الاقتصادى السائد فيه ، وتعبير عن المصالح المتحكمة فى هذا الوضع ، فإن كان الإقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا فالحرية

السياسية فيه لا تكون غير حرية الإقطاع ، والشكل السياسي للدولة لا يخدم غير مصالحه ، وإن كان رأس المال المستغل هو القوة الاقتصادية السائدة فالأمر كذلك :

وقد كانت القوة الاقتصادية في مصر قبل ثورة يوليو في يد التحالف بين الاقطاع ورأس المال المستغل، فكانت الأشكال السياسية تعبيراً عن هذه القوة وواجهة لها ، ولقد حدث أن بعض الأحزاب في تلك الظروف لم يتورع عن أن يرفع في غير حياء شعاراً مؤداه أن الحكم يجب أن يكون لأصحاب المصالح الحقيقية ، وهم الإقطاعيون ، وأصحاب رءوس الأموال . وكان هذا اعترافاً بالحقيقة المرة ؛ والمهزلة التي فرضتها القوى المسيطرة على الشعب باسم الديمقراطية على هذا الأساس لم تكن إلا دكتاتورية الرجعية .

وقد صدر دستور سنة ١٩٢٣ منحة من الملك وتفضلا ، ولم يكن البرلمان الذي أقيم على أساسه إلا حامياً لمصالح الرجعية التي منحت الدستور ، برغم ما كان يرتفع في بعض الأحيان من أصوات تنادي بحقوق الشعب ، فإنها كانت تتبدد هباء بلا جدوى . وربما كان هذا متنفساً مقصودا للسخط الشعبي ، ولا يضير الرجعية في شيء ما دام زمام التوجيه في يدها ، والأغلبية مضمونة لها على كل حال .

٣ ــ الانتخابات : إن فقدان الحرية الاجتماعية سلب كل قيمة لحق التصويت الممنوح للشعب ؛ لأن حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها بطريقة كريمة أصبحت أمام ثلاثة احتمالات لا رابع لها .

(ا) في الريف كان على الفلاح أن يخضع لإرادة صاحب الأرض ، وإلا تحمل تبعة العصيان طرداً وتجويعاً .

ب) في الريف والمدينة كان شراء الأصوات يمكن رأس المال المستغل من أن يأتي بأعوانه . أو بمن يضمن ولاءهم لمصالحه .

(ح) في الريف والمدينة كانت الحكومات تزور الكشوف إذا ما أحست معارضة لإرادتها .

على أنه في جميع الأحوال كان التأمين النقدي الباهظ كفيلا بصد القوى العاملة عن ممارسة لعبة الانتخابات ، وفي الوقت نفسه كانت أمية العامل والفلاح سبباً قوياً في تعطيل حريتهما في الإقتراع الذي يستحيل أن يكون سريا بالنسبة إليهما .

٤ ــ التنظيم الشعبي : لم يكن هناك تنظيم شعبي يحقق صدق التمثيل ، لطوائف الشعب العامل أو يمكنها من إسماع صوتها للمسئولين ، فلم يكن لها تأثير في الأوضاع المفروضة داخل الوطن .

(ا) فلم تتمكن ملايين الفلاحين من صغار الملاك من تنظيم أنفسهم فى تعاونيات تمكنهم من تحسين إنتاجهم ؛ وإسماع أصواتهم للأجهزة الادارية المحلية . فضلا عن قصور الحكم فى العاصمة ، فطحنتهم الإقطاعيات الكبيرة طحنا .

(ب) وعاش عمال الزراعة فى بؤس تحت نظام كالسخرة وتحت مستوى أجور يهبط إلى حد الجوع ، كما كان عملهم يجرى من غير ضمان للمستقبل ، ولم يكن فى قدرتهم أن يصنعوا شيئا .

(ج) ولم يكن فى طاقة عمال الصناعة والتجارة أن يتحدوا إرادة التحالف بين الإقطاع ورأس المال المسيطر على جهاز الدولة وسلطة التشريع . وأصبح العمل سلعة من السلع يتحكم رأس المال فى ثمنها ، وواجهت نقابات العمال صعوبات وعوامل أفسدتها وعوقت حركتها .

٥ — النقد : وفى هذه الفترة ضاعت حرية الصحافة بسبب :

(ا) قوانين النشر التى فرضت حظر النقد لجهات معينه ، حتى عاشت الصحافة — وهى أكبر مجال لحرية الرأى — فى ظلام دامس وشامل .

(ب) التقدم الآلى فى مهنة الصحافة جعل منها عملية رأسمالية معقدة بسبب احتياجاتها إلى الآلات الحديثة ، وإلى الكميات الضخمة من الورق ، فلم تكن قادرة على الحياة إلا إذا ساندتها الأحزاب الحاكمة الممثلة لمصالح الإقطاع ورأس المال ، أو إذا اعتمدت على رأس المال المستغل الذى يملك الإعلان بحكم ملكيته للصناعة والتجارة ، وهذا يخضعها لإرادة رأس المال . ويجعلها تتلقى وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية منه ، وليس من جماهير الشعب .

٦ — العلم : كان من المتوقع أن يكون العلم قادراً على أن يفتح منافذ جديدة للأمل ، لكن حرية العلم تعرضت هى الأخرى لعبث الرجعية .

(ا) تدخلت الرجعية فى نظم التعليم ومناهجه حرصا على مصالحها . وعلى سيطرة المفاهيم التى تؤدى إلى خضوع الشعب واستسلامه فطالما لقن الشباب فى المدارس أن مصر لا تصلح للصناعة » وطالما شوهت هذه المدارس تاريخ البلاد وأبطالها الوطنيين فى الوقت الذى تمجد فيه غيرهم ممن خانوا الأمانة ونكثوا العهد .

ولقد حرصت الرجعية على أن يكون الهدف من التعليم تخريج موظفين يعملون فى خدمة الأنظمة القائمة وتحت قوانينها ولوائحها التى لا تهتم بمصالح الشعب ولم يحدث أن اهتمت المدارس بالتوجيه الاجتماعى ، أو تربية الفكر ، أو الشخصية ؛ أو التربية الوطنية ، أو تنوير الأذهان على صورة من الصور .

(ب) واتجهت الرجعية المتحكمة إلى المثقفين الذين كان فى استطاعتهم أن يكونوا رواداً وطلائع ثورية فكسرت شوكتهم . وفرضت عليهم إما الاستسلام لإغراء الامتيازات الطبقية ومسايرة الركب ، وإما الانزواء فى ظلام النسيان وكان لها ما أرادت .

ثالثاً : الديمقراطية السليمة:

إن عمق الوعى الثورى قد فضح هذا التزييف، ووضع شعار الديمقراطية السليمة ضمن المبادى الستة ، ثم رسم معالم ديمقراطية الشعب رسماً نابعا من الواقع ، ومتأثراً بالتجربة ، ومتطلعا إلى الأمل كما يأتى :

(ا) إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، وهذا هو معنى العمل الثورى الصادق الذى يحقق جناحى الحرية ، وهما الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، وتطبيقا لهذا المبدأ لا يتوافر للمواطن حرية التصويت فى الانتخاب إلا إذا توافرت له ضمانات ثلاث .

١ — أن يتحرر من سيطرة الإقطاع ورأس المال تحرراً كاملا .

٢ — أن يكون له نصيب عادل من ثروة بلاده .

٣ — أن يأمن غدر الإقطاع ورأس المال ويتخلص من كل خوف وقلق على مستقبله ومستقبل أسرته .

وهذه الضمانات هى قوام الحرية الاجتماعية التى تجعل المواطن قادرا بحق على أن يمارس حريته السياسية ، ويشارك بصوته فى حكم بلده ، وتشكيل حكومته .

(ب) إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل طبقة واحدة من دون سائر الطبقات ؛ لأنها حتى بالمعنى الحرفى تعبر عن سلطة مجموع الشعب وسيادته . وأما الصراع بين الطبقات — وإن كان لا يمكن تجاهله أو إنكاره فإنه ينبغى أن يكون فى إطار الوحدة الوطنية التى لا تسود فيها طبقة على طبقة ولا تتحكم طبقة فى طبقة ، فلابد فى ذلك الصراع من تذويب الفوارق بين الطبقات .

ولقد كشفت التجربة عند بدء العمل الثورى أنه لابد من تصفية الرجعية وتجريدها من أسلحتها ، ومنعها من محاولة العودة إلى السيطرة على الحكم وتسخيره لمصالحها ، وبذلك تجنب الأمة أخطارا دموية هائلة يمكن أن تحدث من عمل الرجعية التى تحرص على احتكاراتها ومراكزها التى تمارس منها الاستغلال ، ولا تتنازل عنها طواعية واختيارا .

والرجعية تستند إلى سلطة الدولة ، وسلطة المال ، وسلطة الاستعمار حليفها الطبيعى ، وملجئها الحصين .

ومصالح الرجعية تناقض مصالح الشعب ، فدموية الصراع لابد منها إلا إذا جردت من جميع أسلحتها قبل كل شيء . وبهذا يمكن أن ينفسح الطريق للحلول السلمية بين الطبقات فلا يبقى إلا وسائل العمل الديمقراطي ونحن مطالبون بالحرص على ذلك خشية الأضرار التي يحتمل أن تصيب الوطن إذا قامت حرب أهلية في ظروف يشتد فيها الصراع الدولي ، وتعنف فيها عواصف الحرب الباردة .

ومن أجل ذلك كله يجب إسقاط التحالف بين الرجعية ورأس المال المستغل ، لينفسح المجال للتفاعل الديمقراطي بين قوى الشعب العاملة : الفلاحين ، والعمال ، والجنود ، والمثقفين ، والرأسمالية الوطنية (غير المستغلة) . إن تحالف هـــذه القوى هو البديل الشرعي من تحالف الإقطاع مع رأس المال المستغل ، وهو القادر على إحلال ديمقراطية الشعب محل ديمقراطية الرجعية .

(ج) إن الوحدة بين القوى الشعبية هي التي تقيم الاتحاد الاشتراكي العربي ؛ ليكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لإمكانيات الثورة ، والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة .

ولابد أن يتعرض الدستور عند وضعه لشكل التنظيم السياسي للدولة لعدة ضمانات .

١ — التنظيمات الشعبية لابد أن تمثل القوى المكونة للأغلبية ، وهي القوى التي طال استغلالها ، وهي صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة ، وهي الوعاء الذي يختزن طاقات ثورية دافعة بسبب الحرمان الذي قاسته زمنا طويلا . ومن هنا يجب أن يضمن الدستور للفلاحين والعمال نصف المقاعد في جميع التنظيمات الشعبية والسياسية ، على المستويات بمـــا فيها المجلس النيابي باعتبارهم أغلبية الشعب ، وباعتبارهم القوى التي طال حرمانها من حقها في صنع مستقبلها .

٢ — أن تتأكد سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق السلطة التنفيذية في الدولة ، فذلك يضمن سيادة الشعب وقيادته للعمل الوطني ، واندفاعه الثوري . كما يجب أن تنتقل سلطة الدولة تدريجيا إلى أيدي السلطات الشعبية ، فإنها أقـــدر على الإحساس بمشاكل الشعب وحسمها .

٣ — خلق جهاز سياسي جديد داخل إطار الاتحاد الاشتراكي لتجنيد العناصر الصالحة للقيادة ، وتنظيم جهودها ، وبلورة الحوافز الثورية للجماهير واحتياجاتها ؛ وبحث الحلول الصحيحة لها .

٤ — ضمان جماعية القيادة في مرحلة الإنطلاق الثوري ، فانها عصمة من جموح الفرد ، وتأكيد الديمقراطية ، وضمان الاستمرار الدائم المتجدد ؛ لأن الفرد يفنى ، والجماعة باقية .

٥ — التنظيمات الشعبية ، ولا سيما التعاونية والنقابية ، قوى لابد أن تقوم بدور فعال

فى إرساء مبادىء الديمقراطية ، وإن الحركة التعاونية ، والنقابية مصدر لاينقطع ، ومعين لا ينضب للقيادات الواعية التى تلمس حاجات الجماهير ، وتشعر بمطالبها . ولقد انفسح المجال أمام هذه المنظمات ، ولا ضغط اليوم يخنق حريتها .

وإن تعاونيات الفلاحين فضلا عن دورها الإنتاجى لهى أقدر عـلى معرفة مشاكل الفلاحين وحلولها .

وقد آن الوقت لـكى تقوم نقابات العمال الزراعيين ، لتصل إلى ما وصلت إليه نقابات عمال الصناعة والتجارة بقوانين يوليو العظيمة من مركز طليعى فى قيادة النضال الوطنى ، ومشاركة فى الإدارة والأرباح ، وأجور ملائمة ، وساعات للعمل محددة .

(د) النقد .

إن النقد وسيلة من وسائل الحرية ، وضمانة من ضماناتها ، ولقد كان أخطر ما يعطله هو تسلل العناصر الرجعية إلى المنظمات السياسية .

ولـكن استبعاد الرجعية فتح الطريق أمام ديمقراطية الشعب ، وأعطى أوثق الضمانات لحرية الاجتماع والمناقشة .

وكانت سيطرة رأس المال على الصحافة تسلب حرية الرأى أعظم وسائلها ، فصارت الصحافة اليوم ملـكا للشعب ، وتخلصت من تأثير الطبقة الحاكمة ومن تحكم رأس المال،ومن الرقابة ، فصارت أداة من أدوات حرية الرأى للشعب وضمانة لقدرته على النقد الحر .

والنقد الذاتى من معالم ديمقراطية الشعب . وأصل من أصول البحث عن الحقيقة ، وهو فوق ذلك قيمة من القيم الخلقية العالية .

(هـ) المفاهيم الثورية الجديدة للديمقراطية :

لابد أن تفرض هذه المفاهيم نفسها على المجالات والعوامل التى تؤثر فى تـكوين المواطن، وفى مقدمتها التعليم واللوائح والقوانين .

ومن هنا يجب أن تعاد دراسة المفاهيم التعليمية ثورياً لتخرج إنسانا قادراً على المشاركة فى إعادة تشكيل الحياة على أرض الوطن . وكذلك ينبغى أن تعاد صياغة القوانين لتـكون صالحة لخدمة العلاقات الاجتماعية الجديدة ، وتـكون قادرة على تحقيق العدل لـكل فرد من غير موانع معادية أو تعقيدات إدارية .

وأما اللوائح الإدارية التى وضعت فى ظل الطبقة الواحدة فيجب أن تتغير تغيراً جذريا فى أسرع وقت ، لتـكون قادرة على خدمة الشعب كله خدمة ديمقراطية .

إن التطور الديمقراطى فى هذه المجالات لتلك الميادين سيهيء للشعب ثقافة جديدة

نابضة بمعانى الحق والخير والجمال ، معتمدة على قيم عميقة الإحساس بالإنسان ، قادرة على إضاءة جوانب نفسه فكراً ووجدانا ، وعلى تحريك دوافع العمل الخلاق المبدع فيه ، فيمنحه ذلك قدرة على ممارسته للديمقراطية ، وفهمهلأصولها واتجاهاتها ، وبصره بمضمونها وحقيقتها النقية الصافية .

رابعاً — المناقشة

١ — فى الباب الخامس من الميثاق : « إن الشعوب لا تستخلص إرادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ ، وإنما تستخلص الشعوب إرادتها ، وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها . إن هذه المرحلة من النضال هى أخطر المراحل فى تجارب الأمم » .

(ا) اشرح : قبضة الغاصب . تضعها فى متاحف التاريخ . تدعمها .
(ب) ما معنى تجارب الأمم ؟
(ج) ماذا يقصد من قوله « إن هذه المرحلة أخطر المراحل » ؟

٢ — فى الباب الخامس من الميثاق . « إن الثورة بالطبيعة عمل شعبي وتقدمى » اشرح معنى شعبية العمل وتقدميته .

٣ — « إن إرادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئولياتها تجتاز فترة أشبه بالمراهقة الفكرية ، تحتاج خلالها إلى كل زاد فكرى »

(ا) فى أى مناسبة سيق هذا القول ؟ (ب) ما معنى المراهقة الفكرية ؟
(ج) بين ما رسم الميثاق فى وسيلة التغيير الاجتماعى .

٤ — « إن مصر وقعت بعد المعركة الشعبية الثورية سنة ١٩١٩ فى الخديعة الكبرى للديمقراطية المزيفة »

(ا) ما معنى المزيفة ؟ وما معنى الخديعة ؟ وما معنى الديمقراطية ؟
(ب) اذكر بإيجاز مظاهر التزييف المقصودة فى العبارة .

٥ — اشرح مظاهر التزييف فى العلم كما ذكرها الميثاق .

٦ — « إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، إن المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات إلا إذا توافرت له ضمانات ثلاثة »

(ا) ما معنى الديمقراطية السياسية ؟ وما معنى الديمقراطية الاجتماعية ؟
(ب) ما معنى الضمانات ؟ اذكر الضمانات الثلاثة .

يا ولدي هذا عمك جمال

القصة

حديث من القلب ، وخواطر من الوجدان ، وذكريات من العقل يروى فيها الكاتب أحداث حقبة من الزمن عاشها لحظة بلحظة . . وانفعالا بانفعال .

إنها حقبة السنوات الأربع التى تلت قيام الثورة المصرية ليلة ٢٣ من يولية سنة ١٩٥٢ إلى انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية بإجماع شعبي فى يونية سنة ١٩٥٦ يروى أحداث هـــذه الفترة لكى تعرف أجيال مصر وأجيال الأمة العربية المستقبلة قصة الصراع بين الحق والباطل .. بين المثل العليا والانحلال .. بين شعب أعزل إلا من الإيمان بحقه وسيادته ، والاستعمار المتجبر المغرور بقوته وجبروته .

وهى كما قال عنها كاتبها إحساسات وانفعالات أقرب ما تكون إلى الذكريات منها إلى المذكرات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه ياولدى

(أ) فترة من الزمن

لم أكن أتوقع أن أبدأ فى كتابة هذه الكلمات لك فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ ألف وتسعمائة وسبع وخمسين أى بعد شهرين فقط من مولدك . . أثناء اعتـــداء بريطانيا ، وفرنسا ؟ وإسرائيل على وطننا الحبيب مصر(١) . وستقرأ يابنى فى كتب التاريخ عن هذه الحقبة(٢)؟ ولكننى عشتها لحظة بلحظة ، وأنفعالا بانفعال (٣) . عشتها كما عاشها كل مواطن مصرى ـ وقتذاك ـ كانت تظلله سماء ـ مصر ، وترتوى عروقه بماء نيلنا المقدس .

(ب) حديث القلب والعقل والوجدان :

ولن أحدثك حديث الكتاب أو المؤرخين ، وإنما سأحدثك حديثا فيه من قلبى ، وفيه من عقلى ، وفيه من وجدانى(٤) .

وكما قلت لك يابنى ! لم أكن أتوقع أن أمسك بقلمى لكى أسطر لك هذه الكلمات ، وعمرك على الأرض لم يتجاوز الشهرين . فقد ولدت يابنى ، وأنا فى شغل شاغل عن بيتى وأهلى . لقد كنا نخوض معركة الموت والحياة من أجل مصر أمنا . معركة نسينا فيها الأهل والعيال . ونسينا فيها كل شىء . وتضاءلت(٥) ، وانمحت(٦) من نفوسنا كل عاطفة لأهل أو ولد إلا عاطفة واحدة كانت تشغل كياننا فى ليلنا ونهارنا ، بأعنف مما يحسه الفرد نحو أهله وولده .وكانت تلهب(٧) عزائمنا للدفاع عما هو أقدس وأجل من الأهل، والمال، والولد وهى مصر .

(حـ) أمارات ميلاد

لقد جاءنى أول خطاب عن قرب قدومك وأنا لاه(٨) عنك إننى أذكر تلك الليلة من

(١) يشير إلى العدوان الثلاثى على مصر فى أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

(٢) الحقبة : الفترة من الزمن .

(٣) انفعالا بانفعال : الانفعال، التأثر الشديد بأمر من الأمور ويريد بقوله لحظة بلحظة وانفعالا بانفعال أنه عاش تجربة العدوان عن قرب، وشارك فى تحمل مسئولياتها والعمل على مقاومتها .

(٤) وجدانى : إحساسى . (٥) تضاءلت : صغرت .

(٦) وانمحت : زالت . (٧) تلهب : تشعل والمراد تقوى.

(٨) لاه : مشغول .

شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ الف وتسعمائة وست وخمسين، وكنت كعادتى أمضى سحابة النهار(٩) فى مبنى مجلس قيادة الثورة إلى جوار الرئيس جمال مع بقية الزملاء ... حيث كنا نتلقى الأنباء ونضع أنفسنا تحت تصرفه ... وكنت أنصرف بعد ذلك إلى مكتبى فى « جريدة الجمهورية » لكى أكتب مقالى ... وأظل حتى أقرأ آخر برقية من برقيات وكالات الأنباء ... وفى ذلك اليوم وعلى خلاف عادتى بقيت فى مبنى مجلس قيادة الثورة .. كتبت مقالى من هناك وأرسلته إلى الجريدة وبينما أنا أناقش بعض الزملاء إذ دق جرس التليفون فى غرفة نوم الرئيس جمال، وكنت أنا المطلوب، وأبلغنى أنك فى الطريق إلى الدنيا يا بنى . وأن والدتك تنتظر قدومك بين لحظة وأخرى .

(د) مصر قبل كل شيء

وصدقنى يا بنى أننى نسيت كل ما يتعلق بك بمجرد أن وضعت سماعة التليفون ورحت أكمل حديثى السابق مع الزملاء فقد كنا نتناقش فى مختلف الاحتمالات التى قد يلجأ إليها الأعداء بعد أن اتضحت نواياهم الحقيقية وهى تحطيم مقاومة الشعب المصرى كلية، والقضاء على قواته المسلحة قضاء تاما، وكانوا قد توسلوا بمؤامرة ٢٩ (من) اكتوبر سنة ١٩٥٦ ألف وتسعمائة وست وخمسين المشهورة(١٠) لكى يحققوا هذه الأهداف .

(هـ) الولد الأول

وحين أيقظونى فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى، لكى ينبئونى بأنك أتيت إلى عالمنا، وأنك ولد لم يغير هذا الخبر من الأمر شيئا، ولو أنه فى ظروف أخرى كان يمكن أن يكون حدثا خطيرا فستعلم يا بنى أننا نحن الفلاحين نعتبر ولادة الولد انتصارا لا لشىء إلا لأنه ولد وليس بنتا، ولعل هذه العادة موروثة عن أجدادنا العرب الذين كانوا يحتفلون بالولد، ويتجاهلون البنت، وقد نشأت فى قريتنا على هذه التقاليد .

ولو أنه قد يكون لى رأى آخر اليوم .

إلا أننى كأى فلاح فى قريتنا، لا أستطيع إلا أن أحترم تقاليد بيئتنا الساذجة(١١) الطيبة فهذه التقاليد هى عصارة(١٢) تجاريب الأجيال . وهى التى علمتنا السماحة وغرست فى نفوسنا اليافعة(١٣) مبادىء الخلق، والشرف، والكرامة .

---

(٩) سحابة النهار : طول النهار .

(١٠) يشير إلى تآمر إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وقيامهم بعدوان ١٩٥٦ بعد أن بدأت إسرائيل بالهجوم فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ ثم أرسلت إنجلترا وفرنسا إنذارهما إلى مصر باحتلال بور سعيد والإسماعيلية والسويس لحماية قناة السويس وضمان الملاحة فيها .

(١١) الساذجة : البسيطة . (١٢) عصارة : خلاصة . (١٣) اليافعة : الفتية .

إلا أنه فيما يتعلق بك يابنى ! ، فإن المسألة فى نظر بيئتنا لها أهمية أخرى غير ما تمليه تلك التقاليد ، فقد ولدت يابنى بعد أربع بنات هن أخواتك اللاتى يكبرنك، وخامسة ماتت وهى طفله(١٤) .

فالأمر والحالة هذه، كان يوجب الاحتفال بمقدمك يابنى .

(و) مستقبل مصر أجلّ من كل احتفال

ولكن على العكس من ذلك تماما ، لم أفعل شيئا أكثر من أن أشكر الطبيب الذى تولى أمْرَكَ ، وعُدْتُ إلى سريرى بجريدة الجمهورية ؛ لكى أصيب بعض الراحة لما يأتى به الغد .

لم أحتفل بك إذن يابنى ! . . بل لم أفكر لحظة واحدة فى هذا الأمر ، ولم أحس أبدا بما يحس به كل أب فلاح جاء، ولد .

ليس لأن المناسبة كانت لاتستحق الاحتفال ، وليس لأننى أسوى فى عاطفتى بين البنت والولد ، ولكن الأمر كان أكبر وأجل من كل ذلك .

كان هناك أولا أبناؤنا ، وأطفالنا ، ونساؤنا ، ورجالنا الذين نفقدهم كل يوم بل كل ساعة فى بورسعيد ، وفى سيناء ، وفى غزة ، وفى جميع أنحاء مصر بفعل قنابل بريطانيا ، وفرنسا وأساطيلهما مضافا إليها قنابل حلف الاطلنطى(١٥) وأساطيله وعتاده بأكمله .

التحليل

تحدث الكاتب فى مقدمة كتابه عن الآتى :

ا — فترة من الزمن عاش أحداثها لحظة بلحظة ، وانفعالا بانفعال ، وشارك فى تحمل مسئولياتها مع كل مواطن مصرى يحب مصر ويعيش من أجلها .

ب — مذكرات أب لابنه ضمنها حديث القلب ، والعقل ، والوجدان ولم يكن يتوقع أن يكتبها لابنه فى هذا الوقت الذى لم يتجاوز فيه الشهرين من عمره حيث ولد ، والأب فى

(١٤) لقد توفيت هذه الطفلة(راوية) نتيجة مرض أصابها أثناء محنة من المحن التى ابتلى بها الكاتب الثائر فى عهود الظلم والظلام التى سبقت الثورة ، وكانت قصتها درسا يمنع تكراره لأبناء الوطن فى عهد الثورة والأمان .

(١٥) حلف شمال الاطلنطى أو منظمة معاهدة شمال الأطلنطى : منظمة دولية أنشئت بمقتضى معاهدة تعرف باسم ميثاق شمال الاطلنطى ووقع عليه فى سنة ١٩٤٩ : الولايات المتحدة الأمريكية. وبلجيكا، وكندا،والدنمارك، وفرنسا،وإيسلندا،وإيطاليا، ولكسمبورج وهولندا ، والنرويج ، والبرتغال ، والمملكة المتحدة ثم انضمت إليه اليونان وتركيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، ومن أهم مبادئه تعهد الدول الأعضاء بالتسوية السلمية لسائر المنازعات الدولية ، وتنمية المقدرة الفردية والجماعية على مقاومة الاعتداء المسلح ، واعتبار الهجوم المسلح على أىٍّ منها هجوما عليها جميعها ، وقد انسحبت منه فرنسا .

شغل شاغل عن البيت والأهل والأبناء بالدفاع عما هو أقدس من البيت ،والأهل، والأبناء بالدفاع عن الأم العزيزة . . مصر .

(ح) تباشير نبأ وأمارات ميلاد تصل الأب وهو مشغول ليله ونهاره مع زملائه الذين وضعوا أنفسهم تحت تصرف السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وتلقى مايوجه به من أجل مقاومة العدوان .

د — الأب ينسى أمارات قدوم ابنه ، ويروح ليكمل مع زملائه دراسة كل احتمال يمكن أن يصل بالعدو إلى أهدافه من تحطيم مقاومة الشعب المصرى والقضاء على قواته المسلحة .

هـ — معرفة قدوم الابن الجديد الوحيد بعد خمس بنات فى مجتمع من عاداته المتوارثة وتقاليده الأصيلة الاحتفال بميلاد الأولاد والإحساس بالرضا والارتياح .

و — لم يحتفل الأب بابنه بل لم يفكر لحظة واحدة فى هذا الاحتفال ، ولم يحس بما يحس به أب فلاح جاءه ولد بعد خمس فتيات، واكتفى بشكر الطبيب معترفا بأن المناسبة وإن كانت تستحق الاحتفال فإن مصر ، وأبناءها ، وأطفالها، ونساءها، ورجالها أجل وأكبر من كل احتفال .

المناقشة

— ١ —

— « وستقرأ يابنى فى كتب التاريخ عن هذه الحقبة ، ولكننى عشتها لحظة بلحظة وانفعالا بانفعال ، عشتها كما عاشها كل مواطن مصرى — وقتذاك — كانت تظلله سماء مصر ، وترتوى عروقه بماء نيلنا المقدس ،... »

(ا) هات مرادف : الحقبة . لحظة بلحظة . انفعالا بانفعال .

(ب) ما الحقبة التى يشير إليها الكاتب ؟

(ح) كيف عاش المصريون هذه الحقبة ؟

(د) « تظلله سماء مصر » « عاش تحت سماء مصر » أى التعبيرين أجمل؟ ولماذا ؟

— ٢ —

— «فقد كنا نتناقش فى مختلف الاحتمالات التى قد يلجأ إليها الأعداء ، بعد أن اتضحت نواياهم الحقيقية ، وهى تحطيم مقاومة الشعب المصرى كلية والقضاء على قواته المسلحة قضاء تاما ، وكانوا قد توسلوا بمؤامرة ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٤٦ لتحقيق هذه الأهداف» .

(ا) فسر : يلجأ — توسلوا .

(ب) ماذا تعرف عن مؤامرة ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٥٦ والمتآمرين فيها ؟

(ج) وضح دور الكاتب فى مقاومة هذا التآمر من خلال دراستك لمقدمة كتابه .

— ٣ —

ــ أشار الكاتب إلى بعض عاداتنا فى الريف . وضحها ، وبين جذورها ، والدروس التى استفدناها منها .

— ٤ —

« كان هناك أولا أبناؤنا وأطفالنا ، ونساؤنا ، ورجالنا الذين نفقدهم كل يوم ، بل كل ساعة فى بورسعيد ، وفى سيناء ، وفى غزة ، وفى جميع أنحاء مصر بفعل قنابل بريطانيا وفرنسا ، وأساطيلهما مضافا إليها قنابل حلف الأطلنطى » .

(ا) على يد من كان يموت أطفالنا وأبناؤنا ونساؤنا ورجالنا فى غزة ؟

(ب) على يد من كان يموت هؤلاء فى جميع أنحاء مصر ؟

(ح) عن أى شىء شغل الكاتب بهؤلاء ؟

(د) ماذا تعرف عن حلف الاطلنطى ؟

الفصل الأول

الأفكار

١ — حلف الأطلنطى وأهدافه .
٢ — حلف الأطلنطى والعدوان الثلاثى على مصر .
٣ — مسئولية مصر تجاه التحرر العالمى .
٤ — أقدم وثيقة لإعلان حقوق الإنسان .
٥ — قصة الوثيقة فى سطور .
٦ — تسجيل الوثيقة .
٧ — هدف القصة ومغزاها .
٨ — بين وثيقة مصر ووثيقة فرنسا .
٩ — معركتنا معركة جميع الشعوب .
١٠ — أول دروس الحياة .

التحليل

عرض الكاتب فى هذا الفصل ما يأتى :

١ ـ حلف الأطلنطى وأهدافه

(ا) حلف الإطلنطى يابنى! تنظيم أنشأته أمريكا، وبريطانيا وفرنسا، وجمعوا له دول غرب أوربا ، لكى يفرضوا حصارا ضد روسيا ، ويكون من شأنه تأمين من يفزعون (١) من الشيوعية، ومد يد العون الأمريكى لبريطانيا،وفرنسا بعد أن خرجتا من الحرب العالمية مفلستين (٢) ضعيفتين .

(ب) ولقد كان من الممكن أن تعيش هاتان الدولتان على معونات أمريكا عيشة شرف ووفاء ، ولكنهما خرجتا من الحرب العالمية الثانية لتمارسا(٣) أحط أساليب الاستعمار ضد الشعوب الصغيرة ..وحرمانهامن ممارسة سيادتها عن . طريق أمريكا، وأسلحة حلف الأطلنطى من جهة ، وعن طريق النفوذ الأمريكى فى هيئة الأمم(٤) من جهة أخرى .

---

(١) يفزعون : يخافون . (٢) مفلستين : فقيرتين . (٣) لتمارسا : لتزاولا .
(٤) هيئة الأمم : منظمة دولية أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية لتحل محل عصبة الأمم فى حفظ السلام ، وحل المنازعات الدولية وتحقيق التعاون الدولى الاقتصادى =

٢ — حلف الأطلنطى والعدوان الثلاثى على مصر

(ا) أسلحة حلف الأطلنطى هى التى كان مقدرا لها أن تفتك بقوات مصر المسلحة تحت ستار إسرائيل، لولا يقظة الرئيس جمال عبدالناصر الذى أصدرأوامره بسحب قواتنا من سيناء فى اللحظة المناسبة .

(ب) أسلحة حلف الأطلنطى جاءت إلى مصر لتخلع (جمالا) وتقضى على الثورة ، وتعيد مصر هذه المرة مستعمرة بريطانيا ، وفرنسا ، وإسرائيل .

(ج) أسلحة حلف الأطلنطى جاءت لتقضى على القومية العربية وحقها فى الحرية ، والحياة العزيزة الكريمة بعد الحصول على البترول ، والثروات ، واستغلال دخل القناة .

٣ — مسئولية مصر تجاه التحرر العالمى

(ا) لقد كتب القدر على مصر أن تتحمل مسئولية خوض معركة التحرر للشعوب الصغيرة، وتاريخ هذه المعركة تاريخ قديم طويل كتبه آباؤنا وأجدادنا بدمائهم عبر القرون (٥) . وكان كل جيل يسلم الأمانة إلى الجيل الذى يليه ، وكانت كل معركة يخوضها شعبنا تزيده عَزْماً وتصميما وكل قطرة دم حرة سالت على أرضنا كانت تغذى شجرة الحرية التى تمد ظلالها اليوم على وادينا الأخضر من أقصاه إلى أقصاه .

(ب) لم يستسلم هذا الشعب للغزو ولا للطغيان، وإنما قاوم العدوان بكل السبل والوسائل، وحقق الانتصار دائما على أعدائه .

(ج) إن هذا الشعب الذى سجـــل حضارة قديمة فى مجالات العلوم والفنون قد دون فى ماضيه القريب سجلا حافلا(٦) بالكفاح من أجل القيم البشرية التى يظن الغرب أنه حاميها فى الوقت الذى يدوسها فيه ويزدريها (٧) .

٤ — أقدم وثيقة لاعلان حقوق الانسان

فى سنة ١٧٩٥ م وفى الوقت الذى كانت فيه دول كثيرة من الدول التى تدعى أنها دول عظمى ، لاتزال شعوبها تجهل القيم الحضارية والحقوق الأساسية للإنسان كان الشعب المصرى يفرض إرادته على حكامه فى وثيقة أجمع المؤرخون على أنها بحق الوثيقة الأولى لإعلان حقوق الإنسان قرر فيها الشعب المصرى :

= والاجتماعى، ووقع على ميثاقها فى ٢٦ يونية ١٩٤٥ إحـــدى وخمسون دولة : من بينها مصر .

(٥) عبر القرون : على مر القرون .

(٦) سجلا حافلا : السجل مايسجل فيه العمل، والحافل الغنى ويريد بذلك تاريخا غنيا بالكفاح . (٧) يزدريها : يحقر من أمرها .

(ا) عدم الموافقه على ضرائب جديدة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب .

(ب) نزول الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

(د) ألا تمتد يد ذى سلطان إلى أى فرد من أفراد الشعب إلا بالحق والشرع .

واعترف حكام الشعب فى هذه الوثيقة بخطئهم ، وأعلنوا توبتهم، وندمهم .

٥ — قضية الوثيقة فى سطور

(ا) نقل القصة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى كتابه تاريخ الجبرتى (شهر ذى الحجة من عام ١٢٠٩هـ ، ١٧٩٥م) .

(ب) فى أوائل ذى الحجة من هذا العام قدم وفد من مركز بلبيس بمحافظة الشرقية إلى المشايخ فى الأزهر يشكو من ظلم الحكام واستبدادهم وقابل الوفد الشيخ الشرقاوى(٨) الذى تحركت فيه المسئولية الدينية والوطنية شأن رجال دين ذلك العصر ، ولم يثبط(٩) الشيخ عزائم رجال الوفد ، وإنما أشعل جذوتهم(١٠) ، وألهب حماستهم وأحسن توجيههم .

(ح) غضب الشيخ لكرامة الشعب ، وتوجه إلى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وأغلقوا أبواب الجامع ، وأمروا الناس بترك الأسواق والجوامع والمتاجر ، وركب الشيخ فى اليوم التالى وسار خلفه خلق كثير إلى منزل الشيخ السادات(١١) القريب من منزل إبراهيم(١٢) (بك) ، شيخ البلد فلما رأى شيخ البلد هذه الجماهير أرسل أيوب(١٣) (بك) الدفتر دار إلى العلماء ليسألهم عما يريدون .

(د) وأجاب العلماء : نريد العدل الذى لاتقوم حياة بدونه . . نريد إبطال الحوادث والمكوسات(١٤) . . نريد رفع الظلم عن الشعب . . نريد إقامة الشرع ؛ لأنه شرع الله وقد آمنا به . . نريد إبطال الحوادث وإقرار الأمن وعدم فرض ضرائب من غير استئذان الشعب .

---

(٨) الشيخ عبـــد الله الشرقاوى من علماء الأزهر وكان له أرض فى بلبيس ذلك الوقت . (٩) يثبط : يعوق ويضعف . (١٠) أشعل جذوتهم : أثار غضبهم وفى التعبير تصوير بيانى .

(١١) الشيخ محمد السادات كان من أعظم شيوخ العصر مقاماً، وأعزهم منزلة لدى الشعب، ومن قادة ثورته .

(١٢) إبراهيم بك أحد أمراء المماليك فى مصر كان رقيقاً شركسياً اشتراه محمد أبوالدهب ثم أعتقه . . وأصبح شيخا للبلد . (١٣) أيوب بك الدفتر دار أحد أمراء المماليك فى مصر ومنصبه المنصب التالى لمنصب شيخ البلد . (١٤) المكوسات، الضرائب .

ولما اعتذر مندوب شيخ البلد عن الضرائب بكثرة النفقات . قال العلماء : وما الباعث على الإسراف فى النفقات ، والأمير يكون أميراً بالعطاء لا بالأخذ ! ! .

(هـ) وبلغ الأمر غايته وخشى حكام مصر وقتذاك مغبة الثورة ، واجتمع الأمراء فى اليوم التالى ، وأرسلوا إلى العلماء الذين حضر منهم الشيخ السادات، والسيد عمر مكرم(١٥) ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى(١٦) ، والشيخ الأمير(١٧) . وكانوا جميعاً من رسل الثورة ، وقادتها الظاهرين ، واحتدم(١٨) النقاش بين شعب أعزل إلا من الإيمان والتصميم وبين حاكميه ، وأعلن الحكام أنهم تابوا ، ورجعوا ، وأنهم سيشدون على أيدى أعوانهم(١٩) ؛ ليكفوا عن سلب أموال الناس .

٦ — تسجيل الوثيقة

والأهم من هذا كله أن قاضى القضاة كان موجودا ، وسجلت الوثيقة على الأمراء وأمضاها الوالى العثمانى ، وإبراهيم (بك) ، ومراد (بك)(٢٠) .

وكان تسجيل هذه الوثيقة اعترافاً صريحاً بأن حقوق الشعب حقوق مشروعة، وأن مطالبه مؤيدة ، وسجّل قاضى القضاة هذه المطالب ، ووثّق هذه الوثيقة، لتكون أقدم وثيقة لحقوق الإنسان أعلنها شعب مصر منذ مائة وخمسة وسبعين عاما ، ليفهم الناس هذا الشعب على حقيقته ، وليدرك العالم أن مصر العظيمة فى القديم ، لاتزال هى.. هى مصر البارة بالإنسانية، والحريصة على كرامة الفرد فى تاريخها الحديث .

٧ ـ هدف القصة ومغزاها

(أ) إن سطور هذه القصة الساذجة لتعكس يا بنى ! روح شعب مصر الصبور المكافح ، وفهم هذا الشعب منذ القدم للمعانى والقيم الإنسانية ، ومبدأ عدم فرض ضريبة لا يقرها الشعب وهو مانادى به الشعب المصرى فى وثيقته أروع دليل على ما لشعب مصر من وعى ديمقراطى أصيل من صميم بيئته المصرية التى ورثت تقاليد حضارات خالدة بما شادت من مجد ، وعلم، وعمران .

---

(١٥) السيد عمر مكرم زعيم مصرى برز على مسرح السياسة فى آخر أيام المماليك . ساعد « محمد على » على ارتقاء ولاية مصر، ثم عارض سياسته فى الشئون الداخلية . فنفى إلى دمياط، وتوفى سنة ١٨٢٢م (١٦) الشيخ البكرى من علماء الأزهر وقادة الثورة فى ذلك العصر . (١٧) الشيخ الأمير من علماء الأزهر وقادة الثورة فى ذلك العصر . (١٨) احتدم : اشتد . (١٩) يشدون على أيدى أعوانهم : يحاسبونهم بشدة .

(٢٠) مراد بك : أحد أمراء المماليك الذين حكموا مصر فى أواخر القرن الثامن عشر =

٨ ـ بين وثيقة مصر ووثيقة الثورة الفرنسية

إن الثورة الفرنسية كلها لتتضاءل(٢١) أمام المغزى العميق(٢٢) للحوار الذى دار بين العلماء وممثل شيخ البلد .

لقد قامت الثورة الفرنسية وأسفرت(٢٣) ثورتها عن مبادئ ثلاثة هى :

الحرية — والاخاء — والمساواة

غير أن هذه المبادىء الثلاثة سرعان ما أصبحت شعاراً لا مدلول له داخل فرنسا نفسها ثم مالبثت أن صدرت فرنسا هذه المبادىء إلى الخارج على صـــورة استعمار خبيث يفتك بالشعوب البريئة ، ويجعل من أبناء هذه الشعوب أحط من الحيوان .

بينما العدالة الاجتماعية التى لم يعرفها العالم إلا حديثاً قررها شعب مصر فى حواره الساذج مع حكامه حين اشتكى ممثلو الشعب من فداحة الضرائب قائلا لهم :

« وما الباعث على الإكثار من النفقات، والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ ؟ » إن هذه العبارة الهادئة المرسلة ـ يابنى ! تعنى أن الحاكم يجب أن يرفع عن كاهل (٥) رعيته الأعباء (٢٦) . فلا يكلفهم من النفقات الباهظة(٢٧) مالا يطيق . . أن الحاكم لا يستحق تأييد شعبه إلا إذا كانت سياسته هى العطاء أى توفير الحياة الكريمة لجميع أفراد هـــذا الشعب بإعطائهم حقوقهم ، وإعطائهم فرصاً متكافئة فى الحياة . . وإعطاء الشعب نصيبه العادل فى أمواله وميزانيته فلا يستأثر لنفسه ، ولا لحاشيته ولا لفئة دون فئة بما يكون ملكا لهذا الشعب . .

وهل تكون العدالة الاجتماعية غير هذا المعنى . . ؟ أو هل تفسر العدالة الاجتماعية بغير هذا التفسير . . ؟

٩ ـ معركتنا معركة جميع الشعوب الصغيرة

أطلت عليك يابنى ! — لأذكر لك شيئاً عن تاريخ بلادك — ولأربط ماضينا بحاضرنا قبل أن أروى لك قصة المعركة التى شغلتنى عنك . والتى كتب علينا أن نخوضها فى مصر باسم

وكان يقوم بشئون الجيش ، بينما كان يقوم إبراهيم بك بالشئون الإدارية فى مصر .

(٢١) تتضاءل : تقل قيمتها . (٢٢) المغزى العميق : المعنى البعيد .

(٢٣) أسفرت : كشفت . (٢٤) فداحة الضرائب : ثقل الضرائب .

(٢٥) كاهل : الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق، وهو الثلث الأعلى بين الكتفين..

(٢٦) الأعباء : جمع عبء ، والعبء الحمل الثقيل .

(٢٧) الباهظة : التى تجاوزت حد الاعتدال .

جميع الشعوب الصغيرة ، على أن بعض حكام هذه الشعوب الصغيرة يجهلون هذه المعركة ويحاولون أن يضللوا شعوبهم، ويشوهوا لهم قداسة هذه المعركة الفاصلةفى تاريخ البشرية ، والتى أصر الشعب المصرى على أن يخوضها من أجل نفسه ومن أجل أمته العربية ، ومن أجل الشعوب الصغيرة المغلوبة على أمرها التى تؤمن بالمثل التى نؤمن بها ، والتى حارب من أجلها أباؤنا وأجدادنا فى تصميم وإيمان .

١٠ ـ أول دروس الحياة

إننا نخوض هذه المعركة منذ طفولتنا يابنى ! ولا تعجب لقولى ، فقد نشأنا فى جيل كان كل مايحيط به هو المتناقضات (٢٨) .

والسنون التى عشتها فى القرية قبـــل أن أنتقل إلى المدينة ـ يابنى ! ستظل بخواطرها وذكرياتها زادا يملأ نفسى، ووجدانى بالصفاء والإيمان ، فهناك تلقيت يابنى أول دروس فى هذه الحياة .

تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة ، التى لا تبخل على الناس بالزرع والثمر . وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة .

تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء الصامدة ، وعلى أغصان الصفصافة الخجول الوديعة .

تعلمتها عـــلى حافة الجدول الصغير الذى ينقل إلى الحقول ترياق(٢٩) الحياة فى رضا وقناعة . .

تعلمتها فى ظلال الأمسيات البريئة مع زملائى من شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شوارع القرية الساكنة الهاجعة . . . وتعلمتها أيضا على أستاذى الحبيب . . جدتى . .

المناقشـة

— ١ —

« ولكنهما خرجتا من الحرب العالمية الثانية لتمارسا أحط أساليب الاستعمار ضد الشعوب الصغيرة وحرمانها من ممارسة سيادتها عن طريق أمريكا وأسلحة حلف الأطلنطى من جهة ، وعن طريق النفوذ الأمريكى فى هيئة الأمم من جهة أخرى .

(١) هات مرادف ; ممارسة ونقيض: الاستعمار .

---

(٢٨) المتناقضات : الأشياء يناقض بعضها بعضا ويريد الاضطراب السياسى قبل الثورة .

(٢٩) ترياق : دواء .

(ب) ماذا تعرف عن هيئة الأمم ؟

(ج) اذكر دولتين من الدول الصغيرة التي عانت من الاستعمار الانجليزي ، ودولتين من الدول التي عانت من الاستعمار الفرنسي .

(د) وضح الدور الذي أراده حلف الاطلنطي من العدوان الثلاثي على مصر .

— ٢ —

« في الوقت الذي كانت فيه دول كثيرة تدعي أنها دول عظمى لا تزال شعوبها تجهل القيم الحضارية والحقوق الأساسية للإنسان كان الشعب المصري يفرض إرادته على حكامه في وثيقة أجمع المؤرخون على أنها بحق الوثيقة الأولى لإعلان حقوق الإنسان » .

(ا) لم عبر بقوله : تدّعي ؟ وما المراد من القيم الحضارية ؟ .

(ب) ماذا حوت وثيقة الشعب المصري من مبادىء ؟

(ج) لخص في إيجاز قصة هذه الوثيقة .

— ٣ —

« ولما أعتذر مندوب شيخ البلد عن الضرائب بكثرة النفقات. قال العلماء : وما الباعث على الإسراف في النفقات والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ .

(ا) هات مرادف : اعتذر . الإسراف .

(ب) اذكر عالما من هؤلاء العلماء ودوره في العمل الثوري المصري .

(ج) وضح مايحويه رد العلماء على المندوب من مبادىء ومثل .

— ٤ —

— « إن الثورة الفرنسية كلها لتتضاءل أمام المغزى العميق لهذا الحوار » .

(ا) فسر : تتضاءل — المغزى العميق .

(ب) اذكر هذا الحوار .

(ج) وازن بين وثيقة إعلان حقوق الإنسان المصرية ، والوثيقة الفرنسية ، مبينا رأيك فيهما .

— ٥ —

« تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة التي لا تبخل على الناس بالزرع والثمر » .

(ا) أي شيء تعلم الكاتب على يد الأرض ؟ .

(ب) في العبارة تصوير جميل . وضحه.

الفصل الثانى

الأفـكار

١ — جدتى .
٢ — أحاديث جدتى .
٣ — إنذاران مرفوضان.
٤ — بين عهدين ،
٥ — انتصار الشعب .
٦ — موضوع الكتاب .
٧ — الاستعمار الذى تجاربه .
٨ — نحو عالم جديد .

التحليـل

١ — جدتى

(ا) تفتحت عيناى أول ما تفتحت — يا بنى — على ذلك الحديث ، الذى كانت تحكيه لى جدتى — لوالدى — كل ليلة قبل النوم ، وهو الحديث الذى كنت أنتظر قدوم الليل من أجله .

(ب) أما جدتى التى علمتنى كل شىء ولم تبخل على عقلى ، وروحى بأى شىء ، فهى التى كانت ترعانى وأخى الأكبر . وقد تركنا والدنا الموظف فى السودان فى كنفها — كما كانت تقوم على أمر العائلة بأكملها ، وعلى زراعة المساحة الصغيرة من الأرض التى تمتلكها العائلة.

(ج) ومع أنها — رحمها الله — كانت أمية — لا تقرأ، ولا تكتب — فقد كانت ذات فطرة واعية ، وذكاء ، وشخصية قلما يجدها الإنسان فيمن تعلموا . . تلقت دروسها من مدرسة الحياة وكانت تصرفاتها كلها سديدة . . فلا عجب أن قصدها الرجال النصيحة ، ولا عجب أنها فى كل ما كانت تشير به رزينة الحجة(١) ، ثاقبة البصر(٢) ، تعرف للنفس البشرية ضعفها ، وتحاول أن تدخل السرور إلى قلوب أهل القرية الطيبين .

٢ — أحاديث جدتى

(ا) وأحاديث جدتى كانت دروسا وعبرا(٣) .. فأول ما حدثتنى عنه ، كان حديثها عن عمها الذى كان يعمل ضابطا بالجيش المصرى أيام ثورة عرابى التى انتهت باحتلال انجلترا لمصر فى سنة ١٨٨٢ . .

---

(١) رزينة الحجة : قوية الدليل .
(٢) ثاقبة البصر : بعيدة النظر .
(٣) عبرا : جمع عبرة ، والعبرة العظة .
(٤) ثورة عرابى : الثورة التى قام بها أحمد عرابى الزعيم والقائد المصرى سنة ١٨٨٢ .

تقول جدتى : لقد فوجئت القرية الوادعة(٥) يوماً بدخول فارس على جواده يركض(٦) فى سرعة رهيبة، ثم احتوته القرية(٧) .. فى وقت كان الناس مفتونين بعرابى الضابط المصرى الذى تحدى الخديوى التركى من أجل الضباط المصريين .. ثم من أجل إقامة حياة ديمقراطية يتولى فيها الشعب أموره بنفسه حانقين(٨) على الخديو الخائن الذى استنجد بالانجليز. وحين اندفع الفارس إلى داخل القرية اندفعت من خلفه الجموع .

وكان جميع أهل القرية فى شوق إلى سماع الأنباء عن جيشهم ، وعن عرابى ، فاندفعوا وراء الفارس ثم فوجىء أهل القرية بسقوط الفرس والفارس فى منعطف(٩) ضيق ، وأخذت دماء الفارس تنزف بغزارة . . ولم يكن ذلك الفارس غير ابن قريتهم فنقلوه إلى منزله ، وكان على بعد خطوات منه ، أما الحصان فلم يلبث أن مات .

(حـ) كان الفارس عم الجدة الذى يعمل ضابطا بالجيش المصرى ، فقص قصته ، قصة الجيش المصرى كله الذى قاتل فى الإسكندرية ، وكفر الدوار ، وصد الغزاة الإنجليز غير أن الغزاة تحولوا إلى قناة السويس فدخلوا منها بالتآمر مع «ديلسبس» الذى كان يطمئن «عرابى» بأن القناة لن تستخدم فى غزو مصر .

(د) ومن سخرية القدر — يابنى ! — أن المشهد نفسه يتكرر بعد مرور أربع وسبعين سنة . فإن الإحتلال البريطانى الذى بدأ سنة ١٨٨٢ م كان قد انتهى على يد ثورة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ باتفاقية الجلاء التى وقعت فى ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وانتهى جلاء آخر جندى بريطانى عن أراضينا يوم ١٨ من يونيه سنة ١٩٥٦ ، ولم تمض ثلاثة أشهر على تحرير أرضنا حتى بدأت إسرائيل فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ م عدوانها على مصر بالاشتراك مع بريطانيا ، وفرنسا اللتين لم تلبثا أن بدأتا دورهما فى المؤامرة الدنيئة يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ م .

٣ — انذاران مرفوضان

(ا) فى سنة ١٨٨٢ اتفقت بريطانيا وفرنسا على غزو مصر ، وأبحرت الأساطيل البريطانية والفرنسية فعــلا إلى مصر . . غير أن انجلترا أقنعت فرنسا بالعودة

= للقضاء على النفوذ الأجنبى فى البلاد ، وانتهت بهزيمته عن طريق الخيانة التى تسربت إلى صفوفه ـ واحتلال البلاد .

(٥) الوادعة : الآمنة . (٦) يركض : يسرع فى جريه .
(٧) احتوته القرية : حفظته بداخلها . (٨) حانقين : الحنق أشد الغضب .
(٩) منعطف : انحناء فى الطريق .

لكى تنفرد بالفريسة ، وعادت المراكب الفرنسية .. وجاءت المراكب الانجليزية وحدها إلى الإسكندرية .

(ب) وقصة الإنذار الفاجر الذى أرسلته فرنسا ، وبريطانيا إلى مصر يوم ٣٠ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وقد وصف أحد البريطانيين هذا الإنذار بأنه « عمل قذر » .

هى قصة الإنذار الإنجليزى نفسه الذى أرسل إلى قيادة الجيش المصرى سنة ١٨٨٢ م .

(ح) فى سنة ١٨٨٢ طالب الإنجليز نزع سلاح طوابى(١٠) الإسكندرية ، واحتلال المدينة وفى سنة ١٩٥٦ طالب الإنجليز السماح لهم باحتلال بور سعيد، والإسماعيلة، والسويس، وأشركوا معهم إسرائيل فى احتلال سيناء .

ومصر التى رفضت إنذار ١٨٨٢ هى مصر التى رفضت إنذار ١٩٥٦ ، وأصرت على القتال .

٤ — بين عهدين

(أ) فى سنة ١٨٨٢ كان هدف بريطانيا هو السيطرة على مصر من أجل قناة السويس .. ومن أجل مركز مصر الاستراتيجى .. ومن أجل تثبيت دعائم استعمارها فى أفريقية وآسيا ، وتأمين عملية امتصاص شعوب القارتين، لتحقيق رفاهية الشعب البريطانى ، وفى سنة ١٩٥٦ كان هدف بريطانيا هو السيطرة على مصر من أجل استعادة قناة السويس . ومن أجل مركز مصر الاستراتيجى . . ومن أجل تثبيت دعائم استعمار بريطانيا الذى بدأ ينهار فى أفريقية وآسيا . . ومن أجل مقاومة تيار القومية العربية . . ومن أجل استمرار امتصاص ثروات هذه الشعوب .

هذا هو أساس المعركتين من وجهة نظر بريطانيا .

أما من من وجهة نظر مصر فإن الأمر فى سنة ١٩٥٦ يختلف عنه فى سنة ١٨٨٢ .

— ففى سنة ١٨٨٢ كانت مصر تحت حكم الخديو التركى توفيق وهو إلى جانب كونه حاكما أجنبيا عن مصر قد أجمع المؤرخون على ضعف شخصيته ، وتخاذله وارتمائه فى أحضان بريطانيا ، وفرنسا لدرجة أنه كان لايبرم أمرا من أمور الدولة إلا بموافقة القنصل البريطانى

---

(١٠) طوابى : جمع طابية والطابية موقع عسكرى . وقد أرسل الأميرال « سيمور » قائد الأسطول الإنجليزى إنذاره فى ٤ يولية سنة ١٨٨٢ وأرسل فى ٩ يولية يطالب تسليم الحصون وفى ١٠ يولية أرسل إنذاره النهائى والذى أعلن فيه أنه سينفذ إنذاره فى ١١ يولية سنة ١٨٨٢ .

والقنصل الفرنسي . . وقد وقف إلى جانبه القنصل البريطاني « إدوارد ماليت » عندما دخل عليه عرابي يعرض مطالب الجيش والشعب . تأكيدا للخيانة ، وإعلانا عن خضوعه الكامل للدخيل الأجنبي ، وتهديدا بحماية هذا الدخيل له .

ـــ أما في سنة ١٩٥٦ فكان يحكم مصر ابن مصر البار ـــ المغفور له ـــ جمال عبدالناصر المصري العربي الذي تكون لحمه من تراب مصر ، وامتلأت عروقه بالدماء الحارة من نيل مصر ، ويمتاز ـــ يابني ـــ عمك جمال الذي أحبه وأحترمه منذ كنا ضابطين صغيرين في « منقباد » سنة ١٩٣٨ بالإقدام ، والإيمان بمصر واستقلالها وكرامتها إيمانا صلبا عنيدا كنت ألمس ذلك في معاملته لأصدقائه ، وفي معاملته لرؤسائه من الضباط العظام ، وفي معاملته لأفراد البعثة البريطانية التي كانت مفروضة على جيشنا .

(ب) وفي سنة ١٨٨٢ كان الشعب المصري يعاني من الخونة المأجورين (١٢) من ضباط الجيش الأتراك والأرناءوط الذين يعتبرون أنفسهم سادة ، والمصريين عبيدا ، ويحتكرون (١٣) المناصب القيادية في الجيش لأنفسهم أما الضباط المصريون ، فهم فلاحون لا يصلحون لهذه المناصب ، وكذلك كانت المناصب المدنية والسياسية في الدولة وقفا على هؤلاء الخونة من دون المصريين « الفلاحين » كما كانوا يسمونهم وحين قررت الجمعية التشريعية المصرية أن تمارس عملها (١٤) باسم الشعب في الرقابة على الحكومة والميزانية ، ومقاومة التدخل الأجنبي الذي كان يتمثل في الإشراف الثنائي لبريطانيا وفرنسا على مالية مصر أوعزت فرنسا وإنجلترا لتوفيق « الدمية » (١٥) بتعطيل الجمعية ، ثم تلا ذلك التدخل العسكري سنة ١٨٨٢ .

أما في سنة ١٩٥٦ فقد تخلص الشعب المصري من كل خائن وعميل ، وتحررت مصر من رجال الأحزاب الذين نشأوا في أحضان الاستعمار ، وتمكنت الثورة من القضاء على الإقطاع بعد أن أنهت حكم أسرة محمد علي وأعلنت الجمهورية . وتم القضاء على الاستعمار الذي لا يعيش إلا على الخيانة والإقطاع بعد القضاء على أعوانه من الخونة داخل البلاد ومن حكام أسرة محمد علي الأجنبية .

---

(١١) يعاني : يتحمل الآلام .
(١٢) المأجورين : الذين يخونون البلد مقابل ما يقدم لهم من أجور وأموال .
(١٣) يحتكرون : يجعلون المناصب وقفا عليهم . (١٤) تمارس عملها : تباشر سلطاتها .
(١٥) الدمية : اللعبة الصغيرة والتعبير يؤكد استسلام الخديو الكامل لممثل فرنسا وممثل بريطانيا .

(حـ) وفى سنة ١٨٨٢ كانت مصائر شعبنا فى أيد أجنبية تعبث بها كيف تشاء فمصر التى كانت تتمتع بحكم ذاتى تخضع من الوجهة القانونية للحكم العثمانى، وعاشت مصر فى صراع مع الطامعين والمستعمرين منذ فجر التاريخ.

إن المعركة التى انتهت بهزيمة إنجلترا وفرنسا فى بورسعيد سنة ١٩٥٦ يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر عندما جاءت فرنسا سنة ١٧٩٨ لغزو مصر، ثم عندما جاءت انجلترا سنة ١٨٠٧ للغرض نفسه.

أرادت إنجلترا من معركة ١٩٥٦ أن تحقق ما كانت تريده فى سنة ١٨٠٧، وسنة ١٨٨٢ من تثبيت الاستعمار، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب.. ومع أن مصر كانت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولاية عثمانية، فإن الاستعمار لم يتوقف لحظة عن الرغبة فى السيطرة على مصر، وكانت تبعية مصر للحكم التركى من العوامل التى كانت تسهل تحقيق هذه الأطماع فى السلم والحرب على السواء؛ لأن بلاط[16] الخليفة العثمانى صاحب الولاية على مصر كان يخضع تماما لأوامر بريطانيا وفرنسا ومشورتهما فى كل مايتعلق بمصر وتركيا التى كانت تحتمى بريطانيا وفرنسا بخليفتها العثمانى فى إصدار ما تشاء إحداهما من أوامر لمصر هى تركيا التى تخفت فى موانيها عن أعيننا الأساطيل الفرنسية والإنجليزية التى قامت بالعدوان على مصر سنة ١٩٥٦.

— والنتيجة التى تقدمها لنا حوادث التاريخ أن أطماع فرنسا وانجلترا فى مصر قديمة، وأن تبعية مصر للحكم العثمانى كانت تساعد على تحقيق هذه الأطماع، وأن الدولتين كانتا تعملان مجتمعتين ضد مصر — من خلال الخليفة العثمانى — إذا اتفقتا كما حدث فى موقعة «نفارين»،[17] وفى سنة ١٨٨٢ حينما أرسلت الدولتان أساطيلهما إلى مصر، ثم تخلف الأسطول الفرنسى بمشورة انجلترا.

وأن كلامنهما تعمل على حدة — ومن خلال الخليفة العثمانى — إذا اختلفتا كما حدث فى سنة ١٧٩٨ بالنسبة لفرنسا، وفى سنة ١٨٠٧ بالنسبة لبريطانيا، وأن دور تركيا فى كل الحالات وخلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر هو نفس دورها فى سنة ١٩٥٦ فى خدمة الدولتين المستعمرتين، وخدمة الاستعمار بصفة عامة.

---

(١٦) بلاط: البلاط فى اللغة الأرض المستوية الملساء والبلاط هنا كناية عن الحكم.

(١٧) معركة نوارين معركة بحرية وقعت بين أسطول الحلفاء (فرنسا وروسيا وانجلترا) والأسطول المصرى والعثمانى بتدبير انجلترا التى أرادت تحطيم الأسطول المصرى العثمانى فى هذه المعركة سنة ١٨٢٨.

— وقد تطور الأمر إلى ماهو أشد بشاعة من ذلك فقد فرضت الدولتان سيطرتهما على مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بحجة الدين الذى أقرضوه للخديو إسماعيل مستغلين سفه هذا الخديو واستهتاره وأصبح صندوق الدين (١٨) صاحب الولاية على مالية مصر ومصير الشعب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وبدأت عملية إفقار الشعب ، وتأخيره ، ومنعه من العلم والتقدم على يد بريطانيا وفرنسا بعد أن كانت تتم على يد تركيا العثمانية .

أما فى سنة ١٩٥٦ فقد تغير الموقف تغيراً حاسماً ، غير أن الجشع والغدر أعمى المستعمرين عن رؤية هـــذا التغير . فمصاير شعب مصر لم تعد فى يد بريطانيا ، ولا فرنسا ولا تركيا ولا الثلاثة مجتمعات ، وإنما عادت لصاحبها شعب مصر ، وجاءت ثورة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ فغيرت وجه التاريخ إلى الأبد ، وإن نظرة واحـــدة إلى مبادىء هذه الثورة تعطيك الفكرة الصحيحة عما حدث فى مصر — يابنى ! — ، وكيف عادت السيادة على مصر إلى شعب مصر . إن هذه المبادىء هى :

١ — القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .

٢ — القضاء على الإقطاع (١٩) .

٣ — القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم .

٤ — تطبيق العدالة الاجتماعية .

٥ — إقامة جيش وطنى قوى .

٦ — إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

٥ — انتصار الشعب

(ا) وحدد الشعب المصرى أهدافه . . . وبدأ معركته ضد أعدائه فى إيمان ، وعزم ، وتصميم ، ولم تمض سنوات ثلاث حتى كانت الانتصارات تتحقق ، وحتى أخذت عجلة الثورة تطحن فى طريقها كل العقبات .

---

(١٨) صندوق الدين : أول هيئة رسمية أوروبية أنشئت بغرض التدخل الأجنبى فى شئون مصر ، ويتمثل فى لجنة شكلت بمرسوم أصدره الخديو إسماعيل فى مايو سنة ١٨٧٦ م - من مندوبين عن الدول الدائنة لمصر تتولى تسلم المبالغ المستحقة من إيرادات البلاد .

(١٩) الإقطاع : يعنى تحكم أصحاب الملكيات الزراعية الواسعة فى رقاب الفلاحين الذين يعملون بالأرض ، وقد نشأت حركة الإقطاع بعد استيلاء محمد على - على أرض مصر ، ثم أعيد توزيع هذه الأرض من جديد على أتباع الأسرة الحاكمة من الشراكسة والأتراك وقلة من المصريين المتصلين بالحكم .

(ب) ولم يكن الطريق سهلا ولا ممهداً ؛ ولم تواجه الثورة العقبات فقط من الرجعيين وأنصار الحكم الفاسد ، وإنما واجهت العقبات من داخل الثورة نفسها حينما تنكر بعض رجالها لمبادئها ، تعاونا مع الرجعيين لولا يقظة عمك « جمال » .

٦ ـ موضوع القصة وهدفها

إن تاريخ السنوات الأربع التى تلت قيام الثورة ، إلى انتخاب عمك جمال رئيساً للجمهورية بإجماع شعبي هائل . هذا التاريخ — يابنى ! — هو ما سأرويه لك فى الفصول القادمة ، لكى تعرف أنت والجيل الذى تنتمى إليه قصة الصراع الجبار بين الحق والباطل... بين المثل العليا والانحلال .. بين شعب أعزل إلا من الإيمان بحقه وسيادته والاستعمار المتجبر المغرور بقوته وجبروته(٢٠) .

٧ ـ الاستعمار الذى نحاربه

(ا) آمنت الثورة بأنه من المستحيل تحقيق أى تقدم والشعب يرزح تحت أعباء سيطرة أجنبية أياً كان لون هذه السيطرة ، وانطلاقا من هذا الإيمان كان أول مبدأ من مبادىء الثورة القضاء على الاستعمار .

والاستعمار مع خبثه ،وشدة فتكه يحاول أن يطور نفسه،ويغير أسلوبه ، ويعدد أشكاله، ويبدل اسمه وهو فى كل هذا يرمى إلى هدف واحد هو الجشع والفتك بالجماعات، وامتصاص دماء الشعوب .. ظهر أول ما ظهر باسم شركات أجنبية ، ثم تطور إلى احتلال عسكرى ، ثم تطور إلى حماية ، ثم سمى نفسه انتدابا، وعادوا فقالوا وصاية ، ثم طوروه فسموه الأحلاف .

(ب) وقد ابتلى شعبنا بأشد هذه الأساليب فتكا وتدميرا :

عرف الحماية والاحتلال العسكرى على يد بريطانيا ، وعرف الشركات الأجنبية التى تحصل على امتيازات على يد فرنسا وبريطانيا كشركة قناة السويس التى اتخذت منها فرنسا وبريطانيا ذريعة (٢) للهجوم على مصر سنة ١٩٥٦ من أجل إعادة مصر إلى مناطق النفوذ من جديد .

(ج) إن قصة عدوان ١٩٥٦ لم تعد قصة كفاح الشعب المصرى وحده ، وإنما أصبحت قصة كفاح الشعوب الصغيرة التى تحارب من أجل التحرر . . أصبحت قصة فضيحة من يسمون بالكبار ، وهم كبار فى الغدر والإجرام، أصبحت قصة من يسمون أنفسهم بزعماء العالم الحر ، والحرية فى نظرهم تعنى التحرر من كل القيم ، ومبادىء الشرف ، والعدالة ، والمثل الإنسانية التى تحفظ على الناس إنسانيتهم .

---

(٢٠) جبروته : تسلطه وظلمه .

(٢١) يرزح : يئن . (٢٢) ذريعة : مبرراً .

(د) وعرف العالم كل هذا عن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بزعماء العالم الحر بعد معركة ١٩٥٦ ولم يبق بعد طريق لإخفاء هذه الحقيقة عن الشعوب التى تطالب بالحرية وتنشد الاستقلال .

٨ ـ نحو عالم جديد

(ا) إننى أكتب لك يا بنى ! هذه الصفحات فى فترة تطور حاسمة من تاريخ العالم لن تراها ، ولكنك ستقرأ عنها .. وسيتخذ منها المؤرخون نقطة انطلاق تسجل بدء تاريخ جديد لهذا العالم . . وأخطر شىء فى هذه الحقبة أن الشعوب اليوم أصبحت هى التى تملى تاريخها بإرادتها ،وكفاحها ..ولن تستطيع قوة هؤلاء المستعمرين أن تقهر إرادة الشعوب بعد اليوم .

(ب) لقد استيقظت الشعوب وحطمت الستار الحديدى الذى فرض على حدودها وأرزاقها ومقدراتها . . وأصبحت الشعوب لا تؤمن بغير التعايش السلمى مع الآخرين من غير أن تتدخل فى شئونها .

ـ عالم تختار فيه الشعوب ما تريده لنفسها من نظم بملء حريتها .
ـ عالم لا تحرق فيه المحاصيل فى بلد(٢٤) ويموت من الجوع الملايين فى البلد الآخر .
ـ عالم لا يفرق بين الجنس أو اللون أو العقيدة .
ـ عالم لا يرث أحقاد القرون الماضية التى فتكت بالبشرية وسببت الحروب .
ـ عالم يستأصل(٢٥) الاستعمار من جذوره ؛ لأن الاستعمار سبب البلاء والشقاء ،

وسوف تعرف فى الفصل التالى : كيف حدث هذا ؟

المناقشة

— ١ —

ـ فوجئت القرية الوادعة فى يوم بدخول فارس على جواده : يركض فى سرعة رهيبة ثم لم يلبث أن احتوته القرية ...

(ا) ضع الكلمات : (الوادعة . يركض . احتوى) فى جمل توضح معناها .

---

(٢٣) الستار الحديدى : الحاجز القوى الذى يشبه الستار المصنوع من الحديد ويراد به عزل كل بلد عن بقية البلدان الأخرى ليبقى جاهلا ضعيفا لا يرى التقدم حوله .

(٢٤) يشير إلى بعض البلاد التى تحرق ما يتبقى لديها من محصولات زراعية ولا تقدمها للبلاد المحتاجة لأغراض استعمارية وفى مقدمة هذه الدول أمريكا .

(٢٥) يستأصل : يقضى على أسبابه قضاء تاما .

(ب) من هذا الفارس وإلام انتهى أمره ؟

(جـ) لخص ما رواه الفارس للأهل والأصدقاء .

— ٢ —

— «وقصة الإنذار الفاجر الذى أرسل إلى مصر يوم ٣٠ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ .. هى نفس قصة الإنذار الذى أرسل إلى قيادة الجيش المصرى سنه ١٨٠٢ » .

(أ) تحدث عن قصة الإنذار الأول والإنذار الثانى .

(ب) ما موقف مصر من الإنذارين وماذا كانت نتيجة كل منهما ؟

— ٣ —

وهكذا كانت مصائر الشعب المصرى ملكا للعابثين الأجانب فى فرنسا ، وبريطانيا ، وحليفتهما تركيا سنة ١٨٨٢ .. أما فى سنة ١٩٥٦ فقد تغير الحال على صورة حاسمة لم يحاول أن يفهمها أصحاب الجشع والغدر من المستعمرين .

(أ) هات مرادف : العابثين . حاسمة . الجشع .

(ب) اذكر ثلاثة فروق أساسية بين وضع مصر سنة ١٨٨٢ ، ووضعها سنة ١٩٥٦ .

(جـ) لم يحل كون مصر ولاية عثمانية دون وقوع العدوان عليها . اشرح ذلك معللا له .

(د) ما دور تركيا فيما أصاب مصر عام ١٨٨٢ م ثم عام ١٩٥٦ م .

— ٤ —

«ولم يكن الطريق سهلا ولا ممهداً يا بنى فإننا لم نواجه العقبات فقط من الرجعيين وأنصار الحكم الفاسد ، وإنما واجهناها أيضا من داخل الثورة نفسها » .

(أ) هات معنى : ممهداً . العقبات . الرجعيين .

(ب) اذكر ثلاث عقبات واجهت الثورة من خارجها ، وعقبة من داخلها .

(و) أكتب مبادىء الثورة الستة .

— ٥ —

« والاستعمار على خبثه وكونه أفتك سلاح يدمر حياة الشعوب وأمنها ، وسلام العالم كله ، فإنه يتطور أيضا فى أساليبه المجرمه.. وفى كل أسلوب يتخذ له اسماً ، وتتعدد الأسماء والأساليب ولكن الهدف واحد .

(أ) فسر الكلمات : خبثه . أفتك . أساليب .

(ب) اذكر أربعة مراحل تطور إليها الاستعمار من أجل خداع الشعوب .

(ج) ابتلى شعب مصر بكثير من هذه الأساليب . وضح أسلوبين ابتلينا بهما على يد بريطانيا ، وثالث على يد فرنسا .

(د) تتعدد أساليب الاستعمار ، وتتطور ولكن الهدف واحد . اشرح هذه العبارة .

— ٦ —

« إننى أكتب لك يابنى هذه الصفحات فى فترة تطور حاسمة من تاريخ العالم لن تراها ولكنك ستقرأ عنها ، وسيتخذ منها المؤرخون نقطة انطلاق تسجل بدء تاريخ جديد فى كل شىء لعالم جديد فى كل شىء .

(ا) لماذا سيقرأ عنها الابن ولن يراها ؟

(ب) اذكر أربع سمات من سمات هذا العالم الجديد .

الفصل الثالث

الأفكار

١ — خلاصة الفصول السابقة .
٢ — الطريق إلى العالم الجديد .
٣ — ثورة ٢٣ يولية ومكانها بين الثورات.
٤ — قوام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ .
٥ — شخصية القائد الراحل جمال .
٦ — لماذا ننتصر ؟

التحليل

١ — خلاصة الفصول السابقة

لم أتوقع أن أسطر لك هذه المذكرات وعمرك على الأرض لم يتجاوز الشهرين ولقد حدثتك عن أسلحة حلف الإطلنطى ، والعدوان الثلاثى على مصر ... وحدثتك عن تاريخ أقدم وثيقة لإعلان حقوق الإنسان ... وحدثتك عن الدروس التى تعلمتها فى القرية ... وحدثتك عن الإنذارين المرفوضين . . وبينت لك أن طريق الثورة لم يكن ممهداً سهلا بل صادفتها عقبات من خارجها،وأخرى من داخلها .. وحدثتك عن عالم جديد لا يرث أحقاد القرون الماضية والقلق الذى يشقى الإنسان .

٢ — الطريق الى العالم الجديد

سأروى لك - يابنى ! - كيف حدث هذا العالم الجديد ، ولن تكون روايتى تاريخا وإنما هى إحساسات وانفعالات أقرب ما تكون إلى الذكريات منها إلى المذكرات . ولكى تعرف ما حدث يجب أن تلم(١) أولا بثورة ٢٣ يوليو ، وتلم ثانيا بشخصية عمك « جمال عبد الناصر » . وسترى أن الحديث عن الثورة، وأهدافها وأحداثها منذ قيامها فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حتى ساعة كتابة هذه الذكريات فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ لا بد أن يعود فى كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك « جمال » وسترى أن الحديث عن شخصية « جمال » سيعود بنا إلى الحديث عن فطرة شعب مصر ومقوماته (٢) فى القرية والمدينة والحقل والمصنع . هذه

---

(١) تلم : تحيط وتعرف .

(٢) مقوماته : جمع مقوم والمقومات عوامل البقاء والخلود .

المقومات التى هزمت بريطانيا وفرنسا ، وإسرائيل ، وهى الدول التى تملك أحدث أدوات الدمار .

٣ ـ ثورة ٢٣ يوليو بين الثورات

(أ) إن حديث ثورة ٢٣ يوليو - يا بنى - حديث شيق[٣] على ما فيه من قسوة وشجى[٤] وصراع من قبل أن تبدأ الثورة فى الداخل ، وهو اليوم حديث العالم كله فى الخارج إن ثورة ٢٣ يوليو حدث تاريخى له شخصيته المستقلة عن كل ما سبقه من ثورات مماثلة . حدث له مميزاته التى لن يستطيع أن يدركها إلا من عاش فى البيئة المصرية،أو تعرف عليها تعرفاً كاملا .

وفى هذا القرن قامت ثلاث ثورات مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا كبيراً فبعد الحرب العالمية الأولى وبعد هزيمة تركيا قام مصطفى كمال أتاتورك[٥] بثورته المشهورة لكى يجدد شباب تركيا ، واستطاع أن يرسى خلال فترة حكمه قواعد عدة لنهضة تركيا واستقلالها . . ثم جاءت ثورة موسولينى[٦] فى إيطاليا الثانية فى الترتيب بعد ثورة تركيا ، وقد صرح موسولينى مراراً بأن ثورة إيطاليا ، إنما كانت نهجا من المدرسة الكمالية أى مدرسة كمال أتاتورك .. ثم كانت الثورة الثالثة فى ألمانيا بقيام « هتلر »[٧] وهو الذى لم يكن يخفى إعجابه بموسولينى وثورته ، ويعلن أن موسولينى أستاذه الذى سار على نهجه .

ويتضح من خلال عرض الثورات الثلاث أنها تنتمى إلى مدرسة واحدة ، وأنها على اختلاف ظروفها كانت تستهدف أول ماتستهدف مصلحة الشعوب التى قامت فيها،ثم جاءت

---

(٣) شيق : يستريح الإنسان لسماعه .

(٤) شجى : حزن .

(٥) كمال أتاتورك : مؤسس تركيا الحديثة وقد اتخذ اسم أتاتورك بدلا من اسمه الذى كان معروفا به مصطفى كمال : ومعنى أتاتورك أبو الأتراك . . وحرر تركيا من كل سيطرة أوربية ، ومات فى الثامنة والخمسين سنة ١٩٣٨ م .

(٦) موسولينى : ديكتاتور إيطالى أسس الفاشية وتزعمها وحول حكومته إلى دكتاتورية شديدة بطشت بكل معارضيه ، ودخل الحرب العالمية الثانية إلى جانب ألمانيا ، وأسر فى نهاية الحرب وقدم للمحاكمة وأعدم رميا بالرصاص سنة ١٩٤٥ .

(٧) أودلف هتلر :ديكتاتور ألمانى وزعيم الحزب النازى . ، وكان سببا فى جر العالم إلى الحرب العالمية الثانية وتحمل ويلاتها ، ولما دارت الدائرة على جيوش ألمانيا فى آخر الحرب العالمية الثانية انتحر هتلر فى ٣٠ من إبريل سنة ١٩٤٥ م .

بعد ذلك : الانحرافات ففشلت الفاشستية(٨) فى إيطاليا والنازية(٩) فى ألمانيا وتتعثر الثالثة حتى اليوم فى تركيا .

وهناك ثورة رابعة وقعت قبل تلك الثورات الثلاث . وهى الثورة البلشفية(١٠) فى روسيا : ولم تقرن بالثورات الثلاث ؛ لأنها مدرسة قائمة بذاتها فى وطن له ظروفه التى شكلتها محنه وآلامه .

(ب) أما ثورة ٢٣ يوليو التى وقعت فى مستهل (١١)النصف الثانى من هذا القرن فهى حدث جديد منفصل تمام الانفصال عما سبقه من ثورات فى نفس القرن وأسباب هذا الاختلاف ترجع إلى أن :

— ثورة ٢٣ يوليو مدرسة قائمة بذاتها استمدت مقوماتها من ظروف شعب مصر وعاداته ، وأخلاقه .

— ثورة ٢٣ يوليو اتخذت من المثل العليا شعارا تمسكت به ،وحافظت عليه على الرغم مما سببه ذلك من تعويق لها فى بعض الأوقات ، وأكبر دليل على التمسك بهذه المثل العليا تنازل قائد هذه الثورة بمحض أرادته عن القيادة ليدفع برجل آخر إلى قيادتها ، ولا يكتفى بذلك بل يخدم تحت إمرته جندياً شريفاً مخلصاً .

(ج) إن من يتتبع تاريخ الثورات يرى عكس ذلك حيث يقوم قواد الثورات بإخلاء الطريق لأنفسهم بالقتل والاغتيال والإرهاب . والتاريخ يقرر أن من عيوب مصطفى كمال أنه لم يبق على زميل عاونه إلا قتله . ، ويذكر كذلك حمام الدم الذى خاضه هتلر بنفسه وبيده ، ويقرر أيضاً أن موسولينى لم يمتنع عن القتل إلا حين قتل .

وترى فى ثورة مصر عكس ذلك : ترى «جمالا» الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية سنتين متتاليتين قبل قيام الثورة يسعى إلى إقناع الهيئه بضرورة تنصيب قائد من خارجها من أجل مصلحة الوطن .. ولم يكتف بذلك بل بادر عقب انتخابه للمرة الثالثة رئيساً بالإجماع بعد قيام الثورة ، وطرد « فاروق » فتنازل إلى « محمد نجيب » عن هذه الرياسة ..ويحق لنا أن

(٨) الفاشستية : النظام السياسى والاقتصادى الذى أقامه موسولينى بإيطاليا وقضى عليه بعد الحرب العالمية الثانية .

(٩) النازية : نظام حزبى أقامه هتلر وأحسن تنظيمه واستطاع هذا التنظيم أن يصل بهتلر إلى الوزارة فى يناير سنة ١٩٣٣ وانتهى هذا الحزب بنهاية الحرب العالميه الثانية .

(١٠) البلشفية : تعنى غالبية الأعضاء وهو التنظيم الرئيس للاشتراكية الروسية منذ سنة ١٩٠٢ وتحول بعد ذلك إلى الحزب الشيوعى الذى يقود الحكم فى روسيا الآن .

(١١) مستهل : أول

نتساءل لماذا تصرف « جمال » على هذا النحو ؟ وسوف تقودنا إجابة هذا السؤال إلى الكشف عن جانبٍ من جوانب شخصية جمال عبد الناصر الذى سوف نسترشد بشخصيته طول هذا الحديث .

٥ — شخصية جمال عبد الناصر

(ا) عرفت، فى هذا الفصل أن الهيئة التأسيسية وافقت قبل قيام الثورة على تعيين قائد «مسن» للثورة من خارج الهيئة وقد وافقت الهيئة على ذلك إلا واحدا عارض فى هذه الخطوة هو أبوك وبعد أن صدر هذا القرار أذكر أننى اجتمعت على انفراد بعمك جمال فى شقته ، وأخذت أتناقش معه وأبدى له تخوفى الشديد من ذلك .. وكان محور خوفى أن الرجل بحكم سنه ، وعقليته ، وجيله لن يستطيع أن يفهم العمل الثورى ،وقد يشكل هذا خطرا جسيما على الثورة وبخاصة عند البدء .

(ب) وبدا على عمك « جمال » أنه اقتنع بكلامى ، وأخذ ينفث دخان سيجارته(١٢) على عادته حين يكون مستغرقا فى التفكير(١٣) ثم مالبث أن قطع الصمت قائلا : « يجب أن تحسب حساب النفس البشرية . . نحن جميعاً فى الهيئة التأسيسية زملاء وفى سن واحدة ورتبنا تكاد تكون واحدة وقد جمعتنا فى هذا العمل الصداقة أولا ثم الأخوة والمحبة اللتان ولدتا الثقة ثانيا ودليل ذلك أننا نتآمر(١٤) ليل نهار ولا يحس بنا أحد ، وأخشى ماأخشاه أننا إذا جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة فى نفس واحد منا(١٥) ونحن بشر والنفس البشرية مليئة بالانفعالات ، وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات ، بل لاأريد أن أفرض احتمالا واحدا فى الألف فيه شك من انفعال فى نفس أى واحد فينا ؛ لأن المسئولية مسئولية مستقبل شعب ، وبالثقة ، والمحبة نستطيع أن نحقق المستحيل » .

هكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن تبدأ الثورة ،وهكذا كان عمك جمال يحسب حساب كل شىء مهما كان مستبعدا فانهار أمامه إيدن(١٦) » الذى كانوا يعتبرونه أستاذا من أساتذة فن السياسية فى العالم .

---

(١٢) ينفث دخان سيجارته : يخرجه بقوة وذلك كناية عن عمق التفكير ، وانشغال الذهن .
(١٣) مستغرقا فى التفكير : موجهاً إليه كل اهتمامه .
(١٤) نتآمر : ندرس أمورنا وننظم أنفسنا لتغيير أوضاع الحكم والسيطرة فى مصر .
(١٥) ثغرة : فتحه صغيرة ويريد بها دافع أنانية بسيط .
(١٦) ايدن : رئيس وزراء بريطانيا عند عدوان ١٩٥٦ على مصر ، ومدبر هذا العدوان .

٦ — لماذا ننتصر

(ا) لهذا عرف ساسة أمريكا وغيرها أن ذهب العالم لا يشترى المثل والمبادىء فى مصر ولهذا عادت العزة والشرف لشعب عريق بل لمنطقة بأسرها ، وأصبحت كلمة «عرب» ذات مغزى يفخر به الأصدقاء ، ويرهبه القراصنة الأعداء ، ولهذا أصبحت ثورة ٢٣ يوليو قذى فى عين فرنسا .

ولهذا فزع الإنجليز ، وخرجوا يصرخون فى هذيان جنونى انتهى بهم إلى الهزيمة والإفلاس .

(ب) والمعركة لم تنته بعد ، تخوضها مصر بنفس الروح التى تحطم القيود ، وتنسف السدود إذا غضبت أو ثارت .

وقد انتصرت الثورة وانتصر جمال فى كل معركة خاضها باسم الشعب . . انتصر على أدعياء الدين . . وانتصر على تجار السياسة . . وانتصر فى مارس سنة ١٩٥٤ ، وانتصر فى فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ . . وانتصر فى معركة الأحلاف ، وانتصر فى معركة العروبة . . وانتصر فى معركة تسليح مصر . . وانتصر فى معركة القناة ، وانتصر فى معركة وحدة مصر وسورية وحاول أن يتوج انتصاراته باتحاد الدول العربية .

ولنبدأ منذ البداية أى من يوم ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ .

المناقشة

— ١ —

— « وفى هذا القرن الذى نعيش فيه قامت ثورات ثلاث كانت كلها تكاد تكون مؤدية بعضها إلى بعض فبعد الحرب العالمية الأولى وعلى أثر الهزيمة التى منيت بها تركيا قام مصطفى كمال أتاتورك بثورته المشهورة .

(ا) وضح معنى ما تحته خط .

(ب) اذكر الثورتين اللتين سارتا على نهج ثورة أتاتورك .

(ج) وازن بين هذه الثورات الثلاث والثورة المصرية مبينا أوجه الاختلاف فى الموازنة .

(د) لم أخرج الكاتب الثورة الروسية من مدرسة هذه الثورات الثلاث ؟

— ٢ —

« وأذكر أنه بان على عمك « جمال » أنه أقتنع ، وأخذ ينفث دخان سيجارته على عادته حين يكون مستغرقاً فى التفكير ثم لم يلبث أن قطع الصمت قائلا : » .

(ا) هات مرادف : ينفث . مستغرقاً . لم يلبث .
(ب) بأى شىء اقتنع جمال عبد الناصر ؟
(جـ) لخص وجهة نظر جمال عبد الناصر التى رد بها على السادات .

— ٣ —

وهكذا وضع عمك « جمال » شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن تبدأ الثورة ، وهكذا كان عمك « جمال » يحسب حساب كل شىء مهما كان مستبداً .

(ا) كيف طبق « جمال » شعار المثل العليا فى ثورته .
(ب) بين ثلاثة آثار إيجابية ترتبت على وضع هذا الشعار موضع التنفيذ .

الفصل الرابع

الأفكار

١ — توقيت الثورة .
٢ — أقدار تتدخل .
٣ — القرار الأول .
٤ — ثورة فى الطريق .
٥ — أول معارك التنظيم .
٦ — قيام الثورة .
٧ — ماض لن يعود .
٨ — انتصارات تحققت .
٩ — الثورة وإنجلترا .
١٠ — الثورة وأمريكا .
١١ — الصداقة التى نريدها .
١٢ — « جمال » المثل الأعلى للصداقة .

١ — توقيت الثورة

(ا) أتفق الضباط الأحرار فى اجتماعات الهيئة التأسيسية التى شكلت سنة ١٩٥١ أن يكون عام ١٩٥٥ عام قيام الثورة . . وكان ذلك التقدير مبينا على الحساب الدقيق الذى كان يحسبه « جمال » كعادته يوما بيوم منذ تولى أمر هذه الثورة عام ١٩٤١ أى قرابة تسع سنوات استطاع جمال خلالها أن يطور الفكرة من عمل حماسى لا يرتكز على تنظيم ـ إلى عمل ثورى متكامل يقوم على وعى ويرتكز على تنظيم واضح الأهداف .

(ب) وكانت نظرية عمك جمال أن الثورة لن يكتب لها البقاء مالم يكن لها تنظيم يسندها ويشد أزرها . وشأنها فى ذلك شأن الجيوش فى حاجتها إلى « قاعدة ثابتة » تؤمن لها كل احتياجاتها قبل المعركة وأثناءها ، وتمنحها تدفق القوة فى كل الظروف .

(حـ) وكان جمال يطلق تعبير « القاعدة الثابتة » على تنظيم الضباط الأحرار بعد أن فقد الشعب ثقته فى القادة والأحزاب ، وأخذ يتطلع إلى قواته المسلحة أمله الوحيد فى تحقيق حريته . . ومن أجل هذا كان لا بد من أن يستكمل التنظيم قوته قبل الثورة . . ومن أجل هذا كان عام ١٩٥٥ العام المقدر لقيامها ،

٢ — أقدار تتدخل

(ا) ولكن الأقدار كانت قد أعدت للثورة تاريخا غير الذى قدرناه ، ومهدت لتقديرها بسلسلة من الأحداث كان أولها إلغاء مصر معاهدة التحالف مع بريطانيا(١) فى نهاية عام ١٩٥١ ، . واجتمعت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار برياسة جمال عبد الناصر لكى تبحث الموقف الذى كان يتدهور بسرعة ، ويسوء يوما بعد يوم .

---

(١) المعاهدة التى ألغيت هى معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا التى وقعت ==

وعلى الرغم من أن تشكيل الضباط الأحرار كان بمد حركة المقاومة التى قامت فى منطقة القناة ضد الوجود الانجليزى بالأسلحة والذخائر والضباط . فإن صورة المستقبل كانت قاتمة(٢) ؛ لأن الوزارة التى كانت فى الحكم وقتئذاك لم تكن تعنى الكفاح والمقاومة بقدر ما تعنى المكاسب الحزبية . . وهى ككل وزارة حزبية تؤثر(٣) السلامة مع المنصب ، والجاه والمال على كل شىء ؛ ولأن ملك البلاد التى يقاوم شعبها الاحتلال البريطانى جنرال فى جيش هذا الاحتلال .

(ب) وخافت هيئة الضباط الأحرار من يأس الشعب بعد سيطرة الحكومة على المقاومة وتوقفها بالفعل فى مستهل سنة ١٩٥٢ بعد استشهاد شباب برىء لم يكن يقاوم فى ظل خطة وتنظيم ، . وبعد أن أصبحت حالة الفوضى فى البلاد تنذر بأوخم العواقب(٤).. شعب يحقد على الملك والأحزاب ، وحكم وحكومة تعادى الشعب وتهادن الاستعمار(٥) ومستعمر خبيث يتربص ببلادنا(٦) ويجيد الدس والتآمر واقتناص الفرص(٧) للسيطرة على الشعوب من داخلها .

٣ — القرار الاول

(ا) وفى الاجتماع الذى عقد فى الأسبوع الأول من يناير سنة ١٩٥١ صدر أول قرار بتحديد موعد قيام الثورة وكان شهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، ويترتب . عليه تعبئة كل قوى الضباط الأحرار داخل القوات المسلحة لمواجهة مايطرأ من أحداث .

(ب) وكانت أسباب اختيار شهر نوفمبر لقيام الثورة هى .

أولا : الاستفادة من تنقلات القوات التى تتم فى شهر يوليو من كل سنة فى حشد وحدات كاملة من الوحدات الموالية للثورة بالقاهرة ,

ثانيا : أن يكون الملك والوزراء قد عادوا من مصيفهم إلى القاهرة فتكون الضربة واحدة وسريعة من غير حاجة إلى إراقة دماء .

= فى ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٦ ، وألغيت هذه المعاهدة بالقانون رقم ١٧٥ فى ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٥١ .

(٢) قاتمة : شديدة السواد ويراد بالمستقبل القاتم المملوء بالتوقعات والأحداث .

(٣) تؤثر : تفضل. (٤) تنذر بأوخم العواقب : تهدد بأشد العواقب سوءا .

(٥) تهادن الاستعمار : تسالمه وتتخلى عن مقاومته . (٦) يتربص ببلادنا : ينتظر الفرصة المناسبة لضربها . (٧) اقتناص الفرص : توقع الفرص المناسبة والاستفادة منها . والتعبير صورة بلاغية .

٤ ـ ثورة فى الطريق

(ا) وفى الاجتماع الذى عقد فى الأسبوع الأول من يناير كذلك كلف عبد الحكيم عامر بعمل دراسة دقيقة للموقف من وجهة نظرنا، ومن وجهة نظر الأعداء الذين سوف نواجههم.. وبعد اتخاذ قرار بدء الثورة فى نوفمبر ١٩٥١ وصرف النظر عن عام ١٩٥١ بدأ جمال عبد الناصر يعمل ليل نهار، فيحضر الاجتماعات المستمرة للجان الضباط الأحرار فى مختلف أنحاء القاهرة، ويعود إلى منزله متأخراً، ليعد محاضراته التى سيلقيها فى كلية أركان الحرب فى الصباح. ثم يفرغ منها ليكون فى انتظاره اجتماع جديد فى مكتبه أو فى منزله.

(ب) وراحت أيام شهر يناير سنة ١٩٥٢ تمضى، وجاء يوم ٢٥ يناير الذى ضربت فيه قوات بريطانيا المسلحة بأحدث الأسلحة دار المحافظة بالأسماعيلية وهدمتها فوق ضباط وجنود البوليس البواسل الذين أبوا أن يسلموا بناء على طلب قائد الإمبراطورية المظفر. وكان رد الفعل عنيفا وسريعا فى اليوم التالى احترقت مدينة القاهرة وعاشت العاصمة الجميلة فى فوضى مروعة(٨) عدة ساعات إلى أن نزلت قوات الجيش.. وكلفت هذه الساعات العاصمة كثيرا من العناء حتى أن «إيدن» عندما حاول تبرير عدوانه على مصر فى ١٩٥٦ ادعى أنه يريد أن يحمى الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم من تكرار ماحدث فى يناير ١٩٥٢ وهو يريد بهذه المغالطة الصريحة إخفاء هدف إعادة السيطرة الأجنبية على البـــلاد من جديد..

(ج) ومضى يوم ٢٦ يناير بحوادثه الحزينة العنيفة التى جعلت الملك يفكر فى الهروب من مصر، وأعد حقائبه، وعرض ذلك على من يريد استصحابه معه، وعرف الضباط الأحرار بذلك، وبدأ التفكير فى تقديم موعد بدء الثورة إلى شهر مارس ١٩٥٢ بدلا من شهر نوفمبر ١٩٥٢ غير أن الأمور عادت إلى الاستقرار، وعدل الملك عن فكرته، ليعيش آخر فصول حياته كملك، وليكتب إلى الأبد مصير أسرته التى استندت فى حكمها على تأييد فرنسا، أو تركيا، أو إنجلترا هذه الدول التى عبثت كل مقدسات هذا الشعب الوادع الأمين.

(د) وعاشت البلاد فى حالة من الفوضى لم يسبق لها مثيل: خمس وزارات سقطت فى خمسة أشهر، وملك لاه فى القمار والسهرات وشعب يعانى ويقاسى ويضطرب، ومستعمر ينفث السموم، ويجمع الأسلاب(٩).

(٨) مروعه: مخيفة.
(٩) الأسلاب: الغنائم

• اول معارك التنظيم

وجاء شهر يوليو سنة ١٩٥٢ ، وأراد جمال أن يجرب قوة التنظيم في معركة حقيقية تبين مدى صلابته ، وكانت معركة انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط التى خاضها التنظيم بقائمة نجحت بكاملها ، وتحدى المجلس الجديد الملك علانية ورفض ضم عضو إليه سقط على الرغم من تزكية(١٠) الملك له .

وجاء النصف الأول من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ وميعاد قيام الثورة كما هو فى نوفمبر وعادت الأقدار فغيرت هذا الحساب أيضا . حيث استقالت الوزارة الخامسة فى ١٩ يوليو ١٩٥٢ ، وجاءت الأنباء من الإسكندرية بأن الملك سيعهد بوزارة الحربية إلى الرجل الذى سقط فى انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط على الرغم من تزكية الملك له ، وكان معنى هذا أن صراعا لابد أن ينشأ بين تنظيم الضباط الأحرار والوزير الجديد من أجل البقاء . . . وكان قرار بدء الثورة .

٦ـ قيام الثورة

(ا) وفكر جمال بسرعة وانتهى إلى قرار هو أنه إذا كان لابد من صراع فليكن هذا الصراع من أجل مصر لا من أجل بقاء تشكيل الضباط الأحرار .

(ب) وكان قرار بدء الثورة ، وعرفه الأعضاء الذين كانوا فى مصر يوم ٢٠ يوليو ١٩٥٢ ، وسافر «حسن إبراهيم» بالطائرة إلى سيناء لإبلاغنا بالقرار هناك ، وكان نصه :

تحددت الفترة من ٢٣ يوليو إلى ٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ لبدء المشروع » وكان المشروع هو الثورة .

(ح) وفى كل هذه المراحل والخطوات كان « جمال » هو الذى يسيطر على الأحداث يوجهها وهو فى كل مايصدر عنه إنما يصدر من أجل مصر ، وإنقاذ مصر ، وبعث مصر .

(د) وقامت الثورة فى ليلة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ .

٧ — ماض لن يعود

(ا) لن أحدثك يابنى ! عن تفاصيل ماحدث ساعة بساعة ؛ لان ذلك غير مستطاع ، وإنما سوف أروى لك الحوادث من وحى ماطبعته فى عقلى من إحساسات ، وما عكسته على وجدانى من انفعالات ، وهى قبل كل شىء رواية عن نفس ،فإن أصبت فليس لى فضل وإن أخطأت فليس على ذنب .. وسوف التزم حدود ما أحسه، وينفعل به ضميرى من غير تزويق

---

(١٠) تزكية : ترشيح وتأييد .

أو افتعال . حتى أكون صادقا مع نفسى؛ لأن أروع متعة فى الحياة أن يكون الإنسان صادقا مع نفسه فتبرأ نفسه من العقد والأزمات . . واحرص يابنى – على أن تكون صادقا مع نفسك دائما حتى تنعم بالهدوء والسلام .

(ب) تعلم يابنى أن تغفر للناس ، وألا يسيطر عليك غضب ، أو حقد ، أو كراهية . ولكن تعلم إلى جانب هذا ألا تغفر أو تتهاون أبدا مع من يعتدى على وطنك . . فإنه لا كرامة ، ولا شرف لإنسان إذا كانت كرامة وطنه فى التراب،وكان شرف وطنه يداس بالأقدام .. هكذا كان جمال .. ومن أجل ذلك نحبه .. ومن أجل ذلك يكرهه المستعمرون فى بريطانيا ، وفرنسا ، وأمريكا .

(ح) إننى يابنى لن أستطيع أن أصور لك حياة الشقاء التى عشناها وعاشها أباؤنا وأجدادنا عبر القرون نتيجة لسيطرة الأجنبى :

ملك الأجانب الأرض . . وأصبحت الأرض ومن عليها ملكا للوالى التركى ، وهان الشعب وهدمت بيوته . . وصودرت أرزاقه ، . وانتهكت مقدساته . . واتفقت بريطانيا وفرنسا طوال القرن التاسع عشر على اغتصاب مصر ، وأرزاق مصر بالغدر تارة . . والخديعة تارة ، وقوة السلاح تارة أخرى .

٨ – أنتصارات تحققت

لقد تحطمت مظالم ستمائة سنة توالى فيها الحكم التركى من عهد سليم الأول(١١) ، ثم الحكم الفرنسى على يد نابليون(١٢) ، ثم التركى مرة أخرى على يد الخديويين ، ثم الفرنسى والبريطانى من خلال السيطره المالية (١٣).

وفى سنة ١٨٨٢ احتلت بريطانيا مصر ، وانفردت بحكمها حتى كان القرار الذى اتخذه جمال بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لإنهاء مذلة دامت ستمائة عام .

وأصبح يوم ٢٣ يوليو وعرفت مصر ، وعرف العالم أجمع أن جيش مصر قد تحرك . أما الشعب فقد هلل مؤيداً حيث تحققت أهدافه وآماله بأيدى ضباط كلهم من المصريين ليس بينهم تركى ولا بريطانى . وأما المعسكر الغربى الذى كان يخشى تدخله . فقد أذهلته الضربة(١٤) السريعة التى تمت فى سرية أذهلت مخابراته فوقف حائراً لا يدرى ماذا يفعل ولا كيف يتصرف .

---

(١١) سليم الأول سلطان ضم مصر إلى سلطان تركيا بعد هزيمة « طومان باى » فى معركة الريدانية سنة ١٥١٧ .

(١٢) نابليون بونابرت الذى قاد حملة فرنسا إلى مصر واحتلالها سنة ١٧٩٨ .

(١٣) السيطرة المالية ممثلة فى لجنة صندوق الدين وقد أنشئ هذا الصندوق بمرسوم فى مايو ١٨٧٦ .

(١٤) أذهلته الضربة : أفقدته صوابه فلم يحسن التصرف .

٩ — الثورة وانجلترا

(أ) كان لبريطانيا جهاز مخابرات متغلغل فى كل الأوساط ، وكانت سمعة هذا الجهاز أسطورية . ، كان يعنى القوة الخارقة والقدرة على معرفة كل شىء حتى مايجول فى خواطر الناس لا ماتنطق به ألسنتهم غير أن الضربة أذهلت بريطانياوشلت مخابراتها ، فقامت وتمت قبل أن يعلم جهازهم من الأمر شيئا .

(ب) وطعن الثوار هيبة بريطانيا فى الصميم من أول لحظة فتجاهلوا سفارتها التى كانت منذ ساعات مصدر السلطان والنفوذ فى البلاد كل التجاهل ، وكان التجاهل تصرفا عاديا بعد كل ما قاسيناه على يد بريطانيا من ظلم وإذلال .

١٠ ـ الثورة وأمريكا

(ا) اختلف موقف الثورة من أمريكا عنه من انجلـــترا ، ومع ماهو معروف عن الصداقة الوطيدة بين الدولتين . . فإن قادة الثورة كانوا يحسون بالآمال العريضة فى أمريكا كلما ذكروا المواقف بين روزفلت وتشرشل . . وكيف كان يدافع الأول عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب الضعيفة ضد جشع بريطانيا وطمع فرنسا وبخاصة موقف روزفلت من محادثات الدار البيضاء (١٥) ذلك الموقف المؤيد لاستقلال المغرب وهو ماأراد تشرشل أن يتحاشاه .

(ب) كما ذكر قادة الثورة إلى جانب هـــذا معارك أمريكا التى خاضتها ضد الاستعمار البريطانى لها وتعاليم جورج واشنطن (١٦) عن الحرية والتى كتبها الشعب الأمريكى وقتذاك بدمائه وكفاحه وظنوا أن مانادت وتنادى به أمريكا منذ الحرب العالمة الثانية من حق تقرير المصير حقيقة لادعاية .

(ج) وكان نتيجة ذلك أن ناقض تصرف الثورة حيال أمريكا تصرفها حيال بريطانيا وانعقدت صداقة وطيدة بين قادة الثورة والسفير الأمريكى الذى كان مخلصا حقا غير أن الأيام كشفت عن وجود خلاف كبير بين رأى السفير ، ورأى ساسة أمريكا الذى يعتمد بعضه على آراء الاستعماريين من أمثال « إيدن » ويعتمد بعضه الآخر على النفوذ الصهيونى

---

(١٥) يشير إلى مؤتمر الدار البيضاء فى الفترة من ١٤ يناير إلى ٢٦ يناير وفيه تقابل روزفلت الرئيس الأمريكى ، وتشرشل رئيس وزراء بريطانيا وتعهد بأن يواصلا الحرب حتى تلقى دول المحور سلاحها دون شرط .

(١٦) جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية . ولد فى سنة ١٧٣٢ وتوفى فى سنة ١٧٩٩ كان الأول فى الحرب والأول فى السلام والأول فى قلوب مواطنيه .

فى أمريكا ، وعلى الكونجرس (١٧) ، وعلى المال فى أمريكا ، ويعتمد بعضه الثالث على آراء بعض المتهوسين الأمريكان الذين يعتقدون أن فى أستطاعتهم شراء كل شىء بالدولار ، حتى المبادىء والخلق فاذا رفضت ذلك اتهموك بالهدم ، والشيوعية ، وتهديد السلام .

١١ ـ الصداقة التى نريدها :

ا ـــ قامت الثورة معتمدة على الصداقة . وسعت من أول يوم إلى كسب الأصدقاء الذين يؤمنون بصداقة الأحرار غير أن ذلك لم يرض المستعمرين فبدأ الخلاف وكان عدوان ١٩٥٦ على مصر ومع ذلك لم تتزعزع الثقة فى فهم الصداقة بمعناها الصحيح ؛ لأن الصداقة بهذا المعنى أمل البشرية الباقى للعيش والأمن . ولن يعيش العالم فى سلام إلا عن طريق الصداقة الحرة صداقة الشعوب قبل صداقة الحكومات ، صداقة الأحرار والاحترام المتبادل بعد أن أثبت العدوان أن المدفع والدبابة لا يفرضان الصداقة وإنما يولدان الحقد والمرارة .

(ب) وكانت الصداقه شعار « جمال » وهو يبنى تنظيمه ؛ لأن الصداقة معنى يتسم مع طبعه ويحفز فيه كل طاقات الإنتاج والحماس فكان يسعده أن يوقف اجتماع شعبه من شعب التشكيل أو يلغيه ؛ ليساعد زميلا فى شرح مشكلة من المشكلات ، وقد يكون هذا الزميل لاصلة له بالتنظيم . . وقد نجحت هذه الصداقة بمفهومها الحقيقى أن تجعل بناء الضباط الأحرار قويا عميق الإيمان والأهداف ، وفى أن توفر الحرية التامة لنشاط ماقبل الثورة ، ولكن أروع ماحققته هذه الصداقة كان يوم ١٧ من يوليو سنه ١٩٥٢ أى بعد أن تنازل الملك وغادر البلاد بيوم واحد .

١٢ ـ جمال المثل الأعلى للصداقة

(ا) فى يوم ١٧ من يوليو سنه ١٩٥٧ اجتمعت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار « لأول مره بعد قيام الثورة ، وكان عددنا تسعة برئاسة جمال الرئيس المنتخب من قبل الثورة وقد فوجئنا مع بدء الاجتماع بجمال يقدم استقالته من رئاسة الهيئة طالبا انتخابا جديدا بعد أن انتقلت الثورة من مرحلة إلى مرحلة ، وحققت أول نجاح بطرد الملك والظهور إلى حيز الإعلان . ورفضنا جميعا إجراء هذا الانتخاب ، لأن الانتخاب السابق لم يكن قد مضى عليه سوى بضعه أشهر . ولأن المشاكل التى تواجه الثورة تدعوها إلى التمسك بأوضاعها .

(ب) وأصر جمال على طلبه ، وأجرى الانتخاب ، وفى لحظات معدودة جمع « كمال الدين حسين » أوراق الانتخاب وفضها فكانت إجماعا على جمال دليل ثقتنا جميعا فى هذا الصديق الذى حرص فى ساعة النصر على أن ينتصر للمبادىء والقيم .

---

(١٧) الكونجرس : السلطة التشريعية فى الولايات المتحدة الامريكية تأسس سنة ١٧٨٩ بمقتضى المادة الأولى من الدستور ويتكون من مجلس الشيوخ ومجلس النواب .

(ج) ومن هذه اللحظة أيضا تحدد الطريق الذى سارت فيه الثورة إلى ساعة كتابة هذه الكلمات ومن هذه اللحظة أيضا كتب لهذه الثورة أن تكون مدرسة قائمة بذاتها تختلف عما سبقها من ثورات ، وكتب لها أن تكون حدثا عالميا لا فى تاريخ مصر وحدها بل فى تاريخ البشرية كلها أصبحت نقطة تحول بين تاريخ أصيب فيه العالم بكوارث الاستعمار الذى عصف بالقيم وأذل الشعوب ، وتاريخ تحررت فيه البشرية لتحفظ للإنسانية قيمها ولتدك الاستغلال والمستغلين .

(د) لقد خاض — يابنى — جمال معارك مريرة ولا يزال يخوضها من أجل البشرية واستطاع أن ينتصر فى معاركه :

انتصر فى معركة السياسة على دهاقين (١٨) السياسة الذين أفنوا عمرهم فى الخبرة والدهاء وانتصر فى المعركة الأدبيـة حين وقف من خلفه شعوب تعدادها ألف وخمسمائة مليون نسمة . وانتصر فى المعركة العسكرية على جيوش بريطانيا وفرنسا . . أتعرف كيف انتصر ؟

المناقشة

— ١ —

« وفى هذا الاجتماع وبعد دراسة شاملة أصدرنا أول قرار بتحديد موعد قيام الثورة وكان شهر نوفمبر ١٩٥١ على أن يبدأ فى الحال بتعبئة كل قوى الضباط الأحرار داخل القوات المسلحة لمواجهة أية أحداث قد تطرأ »

(أ) ضع الكلمات : شاملة — تعبئة — تطرأ — فى جمل توضح معناها .
(ب) لماذا اتخذ القرار بتقديم موعد قيام الثورة ؟ .
(ج) وضح أسباب اختيار شهر نوفمبر لقيام الثورة .

— ٢ —

وكان رد الفعل مفاجئا ومذهلا فى اليوم التالى وبخاصة بعد أن فقد الشعب ثقته فى الحكم إذ احترقت القاهرة وعاشت العاصمة الجميلة فى فوضى مروعة لعدة ساعات إلى أن نزل الجيش »

(أ) فسر : مفاجئا . مذهلا . مروعة .
(ب) على أى شىء رد الشعب بالمظاهرات التى أدت إلى حرق القاهرة ؟
(ج) ما رد هذا الفعل العنيف على الملك فى ذلك الوقت ؟

(١٨) دهاقين : دهاتها وأساتذة فنها .

— ٣ —

« وصمم عمك جمال أن يجرب التنظيم أو « القاعـــدة الثابتة » فى معركة حقيقية لكى يعرف مدى صلابته » .

(أ) ما معنى : وصمم جمال . . مدى صلابته .

(ب) لم أطلقوا « القاعدة الثابتة » على التنظيم ؟

(ح) وضح التجربة التى تمت ونتيجتها .

— ٤ —

« تعلم — يابنى — بألا تغفر أو تتهاون أبدا مع من يعتدى على وطنك . . فإنك لن تعرف السلام أبدا ووطنك معتدى عليه ولا كرامةولا شرف لأى إنسان إذا كانت كرامة وطنه فى التراب أو كان شرف وطنه يداس بالأقدام .

(أ) « كرامة وطنه فى التراب » وضح التصوير البيانى فى هذه العبارة .

(ب) بم نصح الكاتب فى هذه الفقرة ؟ .

(ح) فى الفقرة السابقة لهذه الفقرة من القصة نصيحة بتعلم التسامح مع الناس . فكيف توفق بين معنى الفقرتين ؟ .

— ٥ —

أما المعسكر الغربى . . وهو ما كان يهمنا . . فقد أذهلته الضربة السريعة التى تمت فى سرية مطلقة وأقلام مخابراته تملأ شوارع مصر وأجواءها فى تلك الأوقات .

(أ) وضح معنى : أذهلته الضربة السريعة .

(ب) اشرح موقف الثورة بعد قيامها من بريطانيا ،

(ح) لم اختلف موقف الثورة مع أمريكا عنه فى إنجلترا ؟

— ٦ —

« أصبحت هذه الثورة نقطة تحول بين تاريخين : تاريخ أصيب فيه العالم بكوارث الاستعمار الذى عصف بالقيم ; وتاريخ تحررت فيه البشرية لتحفظ للإنسانية قيمها وتدك الاستغلال » .

(أ) فسر : كوارث . عصف . قيمها .

(ب) ما المقومات التى جلعت من هذه الثورة نقطة تحول فى تاريخ البشرية ؟

(ح) لقد خاضت الثورة بقيادة جمال عدة معارك منتصرة من أجل تحرير البشرية . اذكر معركتين من هذه المعارك .

— ٧ —

« فنحن نصر إصرارا كاملا على أن أمل البشرية الباقى للعيش والأمن (لن يكون إلا فى الصداقة الحرة) — صداقة الشعوب قبل صداقة الحكومات صداقة الأحرار التى تنبثق من الاحترام المتبادل بعد أن أسفرت معركة العدوان عن صدق ماقلنا » .

(أ) أعرب ماتحته خط .

(ب) استخرج من الفقرة مشتقين مختلفين ، وبين نوع كل منهما وفعله .

(ح) وضح موقع الجملة التى بين القوسين من الإعراب .

(د) استخرج من الفقرة مصدرا مؤولا وحوله إلى مصدر صريح .

الفصل الخامس

الأفـــكار

١ — فلسفة الحكم الجديد .
٢ — إصرار وانسحاب .
٣ — صمت وذهول .
٤ — الهيئة التأسيسية للثورة .
٥ — جمال ينتصر للثورة والثوار .

التحليل

١ فلسفة الحكم الجديد

(أ) انتصر عمك جمال ، وينتصر فى كل معاركه ؛ لأنه صادق مع ربه ومع نفسه يحاسب نفسه أقسى حساب فى الوقت الذى يتلمس فيه العذر للآخرين .

وعمك جمال — يا بنى — هادىء دائما . ويعرف تماماً مايريد . فبعد أن انتخب بالإجماع رئيساً للهيئة التأسيسية طلب من الهيئة أن تقرر الفلسفة التى سيقوم عليها الحكم فى البلاد بعد أن أصبح ذلك الحكم مسئولية تلك الهيـــئة . . وأوضح أن هناك فلسفتين للحكم هما الديمقراطية(١) والديكتاتورية(٢) ، وشرح مزايا وعيوب كل فلسفة من الفلسفتين . وأنهى حديثه . . وأعطانا الحديث واحدا . . واحدا .

(ب) وانطلقنا جميعا — ماعدا عمك « خالد محى الدين » الذى كان بالإسكندرية ، ندلل بالحجج والبراهين على فساد الديمقراطية ولم تكن تعوزنا لذلك الحجج والبراهين :

١ — فالحياة الديمقراطية بمصر فى الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ لم تكن غير سلسلة محكمة من الفساد ، والرشوة ، والمحسوبية ، وتحول الكفاح من مقاومة المستعمر إلى صراع بين أبناء البلد الواحد من أجل المنصب والجاه .

٢ — والدستور لم ينفذ منذ صدوره حيث اعتبره الملك منحة منه للشعب . . واستغله رجال الأحزاب فجعلوا من المطامع والأحقاد أعمالا قانونية فى وقت كان المفروض فى الدستور أن يحمى الشعب من حكامه .

---

(١) الديمقراطية : كلمة مركبة أصلا من كلمتين يونانيتين هما : ديموس أى الشعب وكراتوس أى الحكم ومعناها فى السياسة : حكومة الشعب وتشمل كل نظام سياسى يعتبر إرادة الشعب مصدرا لسلطة الحكام .

(٢) الديكتاتورية : تعنى حكم فرد ، أو حكم فئة : وصلت إلى الحكم ، وسيطرت على مقاليده بطريقة دستورية .

٣ — والملك الذى نص الدستور على أنه يملك ولا يحكم . . رأيناه يحكم قبل أن يملك وأصبح الصراع على أشده بين الزعماء والأحزاب من أجل الوصول إلى الحكم وسيطر الملك الذى يعطى الحكم ويمنعه على نفوس الزعماء وضمائرهم باسم الديمقراطية .

٤ — شهدنا وشهد العالم كله أكبر مأساة خلقية بطلها ملك لاهدف له غير إشباع شهواته ، ولا عمل لزعماء مصر غير التسابق من أجل إشباع هذه الرغبات بالاستسلام والتطرف فى إظهار الولاء ، ونسى كل زعيم حساب الشعب ، وأصبح لاهم له غير تمجيد صنم يعربد(٣) « فى كابرى(٤) » من أجل البقاء فى الحكم والمحافظة على الصولجان .

٥ — والبرلمان الذى نص الدستور على أن يمثل الشعب ، ويحاسب الحكومات إذا به من أول يوم يصبح مسئولا أمام الحكومة ، وأصبحت الرشوة والفساد يمارسان تحت قبة البرلمان ، وباسم الشعب الذى وصل بممثليه إلى مقاعدهم فداسوا مصالحه ، وحطوا من كرامته .

٦ — وبريطانيا تسعد كل السعادة بتلك الديمقراطية ، ويسرها أن تطلق اسم الديمقراطية على هذه الفوضى المخزية ، وتستخدمها سلاحاً لتفريق أبناء الشعب لتبقى هى المعززة المستفيدة من كل صراع .

(ح) ورددنا جميعا هذه الآراء ، وانتهينا إلى أن الديمقراطية أداة فساد ، ولا معدى لنا ولا مفر من اختيار الدكتاتورية فلسفة لنظام الحكم الجديد . . . وكنا جميعا نكاد نجزم أن « جمالا » سيشاركنا الرأى بعد أن اتفق رأينا على رفض الديمقراطية . . ثم بدأ جمال هادئا كعادته ففسر الديمقراطية ، وكيف أنها تعنى أن تكون للشعب الكلمة الأولى فى حكمه ودلل على سلامة هذا المعنى بنفس الحجج التى سردناها . وأوضح أن الشعب لو فرض إرادته على حكامه لما عبث الملك . ولو علت إرادة الشعب لما خان رجال الأحزاب والوزارات ثم عاد فبين أن الثورة قامت لتخلص هذا الشعب مما عاناه من استبداد لا لتبدأ عهدا جديدا من الاستبداد والتسلط وشعبنا ينفر بطبيعته من تسلط القوة مهما كان نوع هذه القوة . . . وذكر أن ما كان يطبق قبل الثورة لم يكن ديمقراطية ، إنما كان ديكتاتورية حزبية . . وما تقرير ضريبة الأطيان بأثر رجعى فى أحد البرلمانات السابقة إلا تطبيق لشر أنواع الديكتاتورية التى تقرر باسم البرلمان .

---

(٣) يعربد : يرتكب أقبح الأخطاء .

(٤) كابرى : جزيرة صخرية غرب نابلى بإيطاليا مشهورة بمناظرها الرائعة وكهوفها الجميلة وأشهرها الكهف الأزرق — ومناخها المعتدل والجزيرة كعبة السياح من أنحاء الدنيا .

وانتهى فقرر حقيقة رأى ألا نتجاهلها . وهى أن مغزى هذه الثورة يكون قد انتفى تماما إذا نحن اخترنا الديكتاتورية فلسفة للحكم الجديد .

(د) وانتهى إلى النقطة الأخيرة ، وهى أنه لن يستطيع أن يكيف نفسه مع نظام ديكتاتورى يتنافى مع طبيعته ، وقال بالحرف الواحد :

« حتى لو اقتنعت بالدكتاتورية ، فأنا أحس أننى لن أستطيع أبدا أن أكون ديكتاتورا أو حتى فردا فى نظام ديكتاتورى » .

٢ — اصرار وانسحاب

(ا) انتهى جمال من بسط رأيه وساد الجلسة جو مشحون بالعصبية (٥) حيث لم يكن يساور أحدا مناشك(٦) فى أننا متفقون تمام الاتفاق على المنهج الديكتاتورى ، وجرت المناقشة ؛ ليتم الأمر بعد مناقشة ، شأننا فى كل أمر من الأمور. ولكن حديث جمال واللهجة التى تحدث بها أشعرنا جميعا أن وراء حديثه تصميما صلبا . . وقد عودنا — يابنى — عمك جمال أن تصميمه لا يأتى إلا بعد أناة(٧) وروية فإذا ماصمم فإن قوى الأرض كلها لا تثنيه عن ذلك التصميم .

(ب) وبدا لى يابنى أن مصير الثورة يتأرجح فى شدة وعنف . . وخطر لى أن تأجيل هذه المناقشة من غير أخذ الأصوات كما تقضى اللائحة قد يتيح(٨) الفرصة لكى تهدأ نفوسنا جميعاً حتى لا يؤدى التصويت فى هذا الجو إلى تصدع خطير . . ثم أفزعنى خاطر آخر هو أن عمك جمال سيتنحى بالتأكيد عن الاشتراك فى هذه الثورة إذا ماجاءت نتيجة التصويت كما هو ظاهر : . فطلبت الكلمة ، وتناولت المناقشات من زاوية قصدت بها تأجيل المناقشة غير أنى لا أذكر مافلته ولكنى أذكر أن عمك جمال تنبه لما أقصده .

(ج) فاندفع «جمال» يهاجمنى مقرراً أن المناقشة يجب أن تنتهى إلى قرار، لأن الأمر أخطر من ألا يبت فيه فى الحال . . وأخذت الأصوات وكانت الأصوات سبعة أصوات فى صالح الديكتاتورية ، وصوتا واحدا فى صالح الديمقراطية هو صوت عمك جمال . .وصوتاً غائباً . هو صوت عمك خالد محى الدين الذى كان فى الإسكندرية . . ووقع ما كنت أخشاه إذ أعلن عمك جمال احترامه لرأى الأغلبية ، وأعلن استقالته وانسحابه من الثورة ودعا لنا بالتوفيق ثم جمع أوراقه وغادر مبنى القيادة إلى منزله .

---

(٥) مشحون بالعصبية : مملوء بانفعالات حادة . (٦) يساور أحد شكا : يتطرق إليه أقل شك فى اتفاق الجميع على رفض الديمقراطية بمفهومها الذى كانت تطبق به فى مصر.
(٧) أناة : تريث وتمهل . (٨) يتيح : يهيىء .

٣ — صمت وذهول

خرج جمال وبقينا نحن السبعة فى ذهول المفاجأة . . لم يتحرك منا أحد ، وأخذ ينظر بعضنا إلى بعض فى صمت مطبق(٩) ، وكأنما كانت عيوننا تنطق بما يجول فى ضمائرنا ، بل لعل الصدمة كانت مروعة إلى الحد الذى ألجمت فيه ألسنتنا (١٠) ؛ لأن انسحاب عمك جمال على تلك الصورة يابنى كان منطويا على كارثة مدمرة للثورة لعدة اعتبارات منها :

١ — أما الاعتبار الأول : فهو أن جمالا عقل الثورة ، ومدبرها ، ورائدها ، فحتى هذه اللحظة مثلا وبعد مضى عدة سنوات على قيام الثورة كان جمال وحده هو الذى يعلم بالضبط عدد الضباط الأحرار ، ومن هم الذين خرجوا يوم ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ ؟ ومن هم الذين لم يخرجوا ؟ ومازلنا بين الحين والآخر نسمع أسماء ضباط ولا نعرفهم ، فيقدم لنا عمك جمال صورة كاملة عن دورهم فى الثورة .

ولكن عمك جمالا - يابنى - يرفض وسوف يرفض أن يصرح بأسماء بعض الضباط الذين خانتهم أعصابهم فى اللحظة الأخيرة فلم يشتركوا فى الثورة ساعة قيامها إيمانا منه بالمبادىء التى اختارها لنفسه والتى جعلت من الثورة عملا جديدا ، ونهجاً مستقيما ، يقوم على الخلق ، ويتمسك بالمبادىء .

٢ — وأما الاعتبار الثانى : فهو أن انسحاب « جمال » أوجد فراغاً خطيرا لانستطيع نحن الثمانية الباقين أن نملأه ؛ لأنه انسحاب الرجل الذى أسس الهيئه التأسيسية للثورة ، هذا بخلاف ما لعمك جمال من شخصية متزنة نحترمها جميعا ، وتعودنا أن نعتمد عليها فيما كان يقابلنا من مواقف وأزمات قبل قيام الثورة ، كما تعودنا أن نجد فى أسلوبه راحة وثقة وعمقا .

٤ — الهيئة التأسيسية للثورة

(أ) تولى — يابنى — عمك جمال أمر الثورة سنة ١٩٤٣ وكان معه وقتذاك أعمامك عبد اللطيف بغدادى ، وخالد محى الدين ، وحسن إبراهيم ، وكنت قد قبض على فى سنة ١٩٤٢ ، ولم يكن لهذا التنظيم الذى تولى جمال مسئوليته جهاز ، وإنما كانت هناك جماعات من الضباط تجمعهم الصداقة أو زمالة الدراسة ويربط بين الجميع شعور كراهية السيطرة البريطانية التى اتخذت أشكالا متعددة داخل الجيش أو خارجه . . . ومن هنا اتسمت كل خططنا بالحماسة أمام كل حـــدث ، فعندما هجمت إيطاليا على مصر سنة ١٩٤٠ (١١)

---

(٩) صمت مطبق : صمت تام وفى التعبير تصوير بلاغى (١٠) ألجمت ألسنتنا : عقدت ألسنتنا وفى التعبير تصوير بلاغى . (١١) فى الحرب العالمية الثانية .

أردنا أنتهاز الفرصة والقيام بثورة ضد الإنجليز الذين لم يكونوا قد استكملوا سلاحهم ، فطلبوا من الجيش المصرى أن يعطيهم أسلحته ، وكادوا أن يتسلموها لولا رفض الضباط الأحرار أن يسلموا سلاحهم وهم أحياء . وحدث مثل ذلك التفكير عندماسلمت فرنسا . وعندما وصل « روميل(١٢) » بجيوشه إلى العلمين .

(ب) فلما تسلم «جمال» مسئولية التنظيم أخذ يكون الجهاز أو القاعدة التى لابد من إيجادها لتنطلق منها الثورة ، ولتكون حصنا يدفع عن الثورة الدس والمؤامرات ، وكان جمال يرى أننا إذا نجحنا فى إيجاد جهاز قوى، وأنفقنافى ذلك عمرنا كله فإننا نكون قد أدينا واجبنا كاملا نحو الأجيال المقبلة التى يبقى عليها أن تطلق الشرارة ليبدأ الطوفان .

(ج) وظل «جمال» يعمل ليل نهار منذ سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٨ ، ثم استأنف نشاطه فى هذا العمل بعد عودته من حصار الفالوجا(١٣) إلى أن كانت سنة ١٩٥٠ حيث فرغ من بناء القاعدة الأساسية : لتنظيم الضباط الأحرار فى شعب ، ولجان ، وأصبح الأمر يتطلب إيجاد هيئة عليا للتنظيم ، وكان هذا هو بدء مولد « الهيئة التأسيسية » .

وجمال الذى جمع أعضاء الهيئة التأسيسية فرادى أولا ، ثم فى هيئة ثانيا لم يكن من المتصور أن ينسحب من الهيئة دون أن يترك فراغا خطيرا لايوجد من يملؤه .

٥ — جمال ينتصر للثورة والثوار

(ا) أعود إلى حيث السبعة بعد انسحاب جمال . . لقد انسحب «جمال» وأمسكنا عن الحديث وبعد فترة لاأدرى الآن مقدارها انتهينا إلى قرار حاسم هو لابدأن يعود جمال رئيسا للهيئة التأسيسية ، ولتكن فلسفة الحكم هى الديمقراطية كما يريدها . .

وكانت هذه المعركة أول معركة انتصر فيها جمال . . انتصر لنا ضد نفوسنا ، وانتصر لمصر لجنبها الدماء والأحقاد والويلات(١٤) التى تلازم الديكتاتورية وحكم الأفراد .

---

(١٢) روميل : قائد ألمانى درب فيلق الصحراء الألمانى تمهيدا للعمليات الحربية فى صحراء شمال أفريقيا ، وقد تسلم قيادة هذا الفيلق سنة ١٩٤١ : حالفه النصر فى المراحل الأولى ثم هزمه القائد البريطانى « مونتجومرى » فى معركة العلمين التى كانت من المعارك الفاصلة فى الحرب العالمية الثانية .

(١٣) فى معارك الجيش المصرى بفلسطين سنه ١٩٤٨ .

(١٤) الويلات : صنوف العذاب .

وكانت هذه المعركة أول تطبيق لمبادىء المدرسة الجديدة التى جعلت من ثورة يوليو ١٩٥٢ نهجا جديداً فى الثورات ، فعلى الرغم من أن القوات المسلحة يرأسها ضباط شباب قاموا بالثورة ، فإن طلقة واحدة لم تطلق عند قيام الثورة ، وعند تنازل الملك . . ولم تنصب المشانق كما حدث فى ثورة فرنسا . . ولم يقتل أحد غيلة كما كان يحلو لأتاتورك . ولم يقذف بأحد فى أعماق السجون كما كان يفعل موسولينى .

وإنما استخدمت القوات المسلحة كل ثقلها فى إرغام أعداء الشعب على التسليم ، ولم تلجأ إلى الصلف حتى مع هؤلاء الأعداء الذين تساقطوا أمام الثورة كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف .

(ب) وحين عاد عمك جمال إلى مكانه على كرسى رئاسة الهيئة التأسيسية لم يكن ذلك إيذانا ببدء تطور تاريخى خطير فى مصر وحدها ، بل كان فى تاريخ البشرية كلها إذ أراد الله تعالى أن تنهار على يديه أكبر امبراطوريتين عرفهما العصر الحديث وهما تملكان من وسائل الفتك أحدثها فى حين كان عمك « جمال » لا يملك غير إيمان راسخ بربه تجلى فى أروع صورة عندما كانت طائرات انجلترا وفرنسا تقذف مدن مصر بالقنابل فيقول جمال « الله أكبر من كل سلاح وأقوى من كل من يصور له الغرور أنه أقوى الأقوياء » .

(ج) وبهذا الإيمان لم ينتصر جمال لمصر وحدها ، وإنما لكل الشعوب التى عانت من السيطرة الأجنبية ، واستعمار الرجل الأبيض الذى لم يعرف يوماً الخلق والضمير . . وفى الوقت الذى فشلت فيه إنجلترا وفرنسا ظهرت أمريكا ، لتكمل نفس المعركة بسلاح الدس السياسى والإغراء بالدولار والتخويف بالأساطيل حتى تحقق أهداف الاستعمار القديم لصالح إمبراطوريتها بعد أن أيقنت بأفول نجم[١٥] سابقيها من المستعمرين .

المناقشة

— ١ —

« أقول : انطلقنا جميعا ندلل بالحجج والبراهين على فساد الديمقراطية ، ولم تكن تعوزنا فى هذا الأمر الحجج والبراهين .

(ا) فسر معنى « ولم تكن تعوزنا الحجج والبراهين » .

(ب) اذكر ثلاث حجج برهنوا بها على فساد الديمقراطية .

(ج) اشرح كيف دلل جمال عبد الناصر على سلامة معنى الديمقراطية من نفس الحجج التى أوردها زملاؤه .

(١٥) أفول نجم : مغرب نجم : والتعبير كناية عن ضياع نفوذ بريطانيا وفرنسا .

— ٢ —

« بل لعل الصدمة كانت مروعة إلى الحد الذى ألجمت فية ألسنتنا . . . فانسحاب عمك جمال على تلك الصورة يابنى كان منطويا على كارثة مدمرة للثورة لعدة اعتبارات »

(ا) هات مرادف الكلمات : الصدمة . ألجمت . منطويا . كارثة .

(ب) انسحاب جمال مثل رائع فى التضحية ودرس عظيم فى مثالية القيادة . وضح .

(ج) كان انسحاب جمال عملا مدمرا للثورة لعدة اعتبارات . اذكر اعتبارين منها .

— ٣ —

وكانت هذه المعركة هى أول معركة انتصر فيها عمك جمال وهو لم ينتصر بالمعنى المادى الذى قد يتبادر إلى الأذهان . . وإنما انتصر لنا . . وانتصر لمصر .

(ا) وضح المراد من : لم ينتصر بالمعنى المادى — يتبادر إلى الأذهان .

(ب) ما المعركة التى يشير إليها ؟

(ج) كيف انتصر جمال لزملائه ؟ وكيف انتصر لمصر ؟

— ٤ —

كانت هذه المعركة أيضا يابنى أول تطبيق لمبادىء المدرسة الجديدة التى جعلت من ثورة ٢٣ يوليو نهجا جديدا فى التاريخ .

(ا) وضح معنى نهجا جديدا فى التاريخ .

(ب) اشرح مظاهر هذا النهج موازنا بين نهج هذه الثورة وغيرها من ثورات سبقتها فى القرن العشرين .

— ٥ —

انهارت على يديه هاتان القوتان يابنى (وهما تملكان من أسلحة الدمار والفتك أحدثها) فى الوقت الذى لم يكن عمك جمال (يملك إلا إيمانا راسخا بربه وبوطنه) .

(ا) أعرب ماتحته خط فى الفقرة السابقة .

(ب) استخرج منها اسم فاعل وبين فعله .

(ج) وضح موقع الجملتين اللتين بين الأقواس من الإعراب .

الفصل السادس

الأفكار

١ — مراحل خالدة فى تاريخ الثورة .
٢ — ثورة تقوم .
٣ — الثورة وأمريكا .
٤ — آمال عراض .
٥ — رفضنا السيطرة على الجيش .
٦ — رفضنا السيطرة الاقتصادية .
٧ — أمريكا والسيطرة على الشرق الأوسط .

التحليل

١ ـ مراحل خالدة فى تاريخ الثورة

* — مرحلة الآمال : تبدأ مع بدء الثورة ، وتنتهى بعقد اتفاقية الجلاء أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

* — مرحلة التضليل : وتبدأ من أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، وتنتهى فى يناير سنة ١٩٥٥ .

* — مرحلة ظهور النوايا : وتبدأ من ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وتنتهى مع عقد صفقة الأسلحة التشيكية فى سبتمبر ١٩٥٥ .

* — مرحلة المساومة : وتبدأ من سبتمبر سنة ١٩٥٥ . وتنتهى فى ٢٠ يولية سنة ١٩٥٦ مع سحب مشروع تمويل السد .

* — مرحلة المؤامرة : وتبدأ يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ مع تأميم القناة ، وتنتهى مع العدوان فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

* — مرحلة الإذلال بالقوة : وتبدأ مع الإنذار البريطانى الفرنسى يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ وتنتهى فى يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦

* — مرحلة الفضيحة الكبرى : وتبدأ يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ وتنتهى مع الإنسحاب يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦

* — مرحلة الإصرار على المؤامرة : وتبدأ من يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦ والتى لم تنته حتى كتابة هذه السطور

المرحلة الأولى — مرحلة الآمال

٢٣ من يوليو ١٩٥٢ : أكتوبر ١٩٥٤

٢ — ثورة تقوم

(أ) أعود بك — يابنى — إلى اجتماعات الهيئة التأسيسية فى مستهل عام ١٩٥٢ ، وتقدير الموقف الذى وضعه عمك عبد الحكيم عامر ، وترك فيه نقطتين من غير مناقشة . وهما : احتمال تدخل بريطانيا ، واحتمال تدخل أمريكا فى مراحل الثورة الأولى .

(ب) ولم يكن يخفى على أحد سعى بريطانيا دائماً لفرض المزيد من سيطرتها على البلاد كانت تفرض حمايتها على الأحزاب ، ليقوم كل حزب بدوره فى الوقت المناسب ، وتعلم الملك — وبخاصة بعد حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢[1] — درسا جعله يمتنع عن معارضة بريطانيا حتى يعيش من أجل شهواته ونهمه لجمع المال وأنعمت عليه بريطانيا برتبة جنرال فى جيشها تكريما له على هذا الخضوع والانقياد ، ولهذا كان أمر تدخل بريطانيا لحماية الملك وحماية الأحزاب عند قيام الثورة حقيقة راجحة الاحتمال .

(ج) وإلى جانب بريطانيا كانت أمريكا التى عقد الملك معها عن طريق سفيرها المستر «كافرى» صداقة متينة حتى يتقى بأمريكا غدر بريطانيا إن وقع يوما من الأيام : ورحبت أمريكا بهذه الصداقة ، وعملت على تعزيزها بعد أن أحست بأهمية المنطقة العربية وقد مكنت كراهية الشعب العربى لبريطانيا أمريكا من ادعاء محاربة الاستعمار وتبنى دعوى الحريات وحق تقرير المصير ؛ وانتقل مركز الثقل من السفارة البريطانية إلى السفارة الأمريكية وأصبح رضا السفير الأمريكى عن كل رئيس وزراء مصرى جديد شرطاً فى الوصول إلى رياسة الوزارة .

(د) وناقشت الهيئة التأسيسية تقرير عمك «عبد الحكيم» وناقشت النقطتين اللتين ترك بحثهما ، وترك أمر تدخل بريطانيا ، أو تدخل أمريكا إلى ساعة وقوعه ، فلم يكن هناك من قواتنا مايخصص لمقابلة هذا التدخل وعولنا على أن تبدأ الثورة فإذا تدخلت إحدى الدولتين أوهما معا مع استبعاد تدخل أمريكا حولنا المعركة إلى مقاومة شعبية تجمع الشعب والجيش وقامت الثورة فى ليلة ٢٢/٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ، وفى الساعة الثانية من

---

(١) يشير إلى حادثة محاصرة الدبابات الانجليزية قصر عابدين فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ لترغم الملك على إعادة حزب الوفد إلى الحكم ، وقبـــل رئيس حزب الوفد المصرى ، ورضيت له وطنيته أن يأتى إلى الحكم بقوة الدبابات البريطانية .

صباح يوم ٢٣ يوليو : أى بعد حوالى الثلاث ساعات من قيامها كنا نسيطر على جميع القوات المسلحة من صحراء سيناء ، إلى القاهرة : إلى الإسكندرية وفى اللحظات الهاجعة التى تصاحب ظهور أشعة الفجر كانت أصوات جرارات المدافع تنساب فى نغم(٢) متدفق من أمام مبنى القيادة لكى تؤمن المراكز الحيوية(٣) فى العاصمة .

٣ — الثورة وأمريكا

(أ) قامت الثورة وخطر لنا أن نخبر أمريكا عن طريق سفارتها بأن ثورة مسلحة قد قامت وسيطرت على الموقف ، وأن قيادة هذه الثورة قد رأت أن تخطر أمريكا حتى لا تستغل بريطانيا هذه الفرصة فتشوه الثورة وأهدافها لأمريكا ، وأن الثورة سوف تقاوم أى تدخل أجنبى بكل ماتملك ومهما كان الثمن ، وأوفدنا إلى السفارة الأمريكية ضابطا طرق أبوابها مع أول خيط من خيوط النهار ، وأبلغ المسئولين فيها ما اتفقنا على إبلاغه ، وجاء الرد على خلاف ماتوقعنا من تحفظ أمريكا أو معاداتها حيث أظهرت تفهما عجيبا للموقف فى وقت كان سفيرها الحامى الأول للملك .

(ب) وأكثر من هذا كان المستر «كافرى» واعياً وحصيفا عندما استنجد به الملك صبيحة يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ عندما حوصرت سراى رأس التين فلم يبادر إلى استدعاء قوات أمريكا لحماية الملك ، وإنما أرسل لنا مستشار السفارة الأمريكية ليطلب فقط باسم الحكومة الأمريكية تأمين حياة الملك وكنا قد قررنا من قبل : أن يطرد الملك بعد تنازله عن العرش ، واستبعدنا من أنفسنا قرار محاكمته أو إعدامه .

(ج) وهكذا بدا لنا أن أمريكا تفهم الأوضاع بعقلية غير استعمارية ، وبدا لنا أن لأمريكا سياسة مستقلة لا تسير فى ذيل السياسة البريطانية ، ولهذا كان تصرف الثورة تجاه أمريكا يختلف عن تصرفها تجاه بريطانيا من أول لحظة ، وأن صداقة قوية انعقدت بيننا وبين السفير الأمريكى مستر «كافرى» ، وأن الرجل كان مخلصا فى صداقته حقا ، ومن أول يوم لبينا جميعا دعوته لنا فى منزله على العشاء قبل أن يعلم فى مصر وخارج مصر من هم رجال ثورة مصر .

(د) وفى الوقت الذى قاطعنا فيه سفارة بريطانيا تمام المقاطعة كان السفير الأمريكى دائم الاتصال بنا والتفهم لحقيقة أهدافنا مما جعلنا نحس أول الأول أن أمريكا صادقة فيما تدعيه

---

(٢) تنساب فى نغم متدفق : تصوير بيانى يوضح الأثر الجميل الذى تركه صوت جرارات المدافع الثائرة لدى الشعب . (٣) المراكز الحيوية : المواقع الهامة مثل : السفارات والبنوك ، والشركات ، والوزارات .

من وقوفها بجانب حق الشعوب فى تقرير المصير . . ويقينى اليوم بعد كل ماحدث ويحدث أن المستر « كافرى » كان رجلا مخلصا وأن أراءه شىء وآراء حكام واشنطن شىء آخر .

٤ ـ أمال عراض

(أ) وقامت الثورة ، وأطلقنا على المرحلة التى تلت قيامها مرحلة الآمال ؛ لأن أهم ماكانت تتميز به هذه المرحلة ـــ منذ قيام الثورة حتى توقيع اتفاقية الجلاء فى اكتوبر سنة ١٩٥٤ هو الآمال العراض .

(ب) ولما كانت تصرفات السفير الأمريكى تدعو إلى الثقة فقد بدأنا أول تجربة عملية مع أمريكا وطلبنا منها السلاح الذى كان يفتقر(٤) إليه الجيش المصرى بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بناء على سياسة استعمارية مرسومة ، وأردنا أن نخرج على بريطانيا متعهد السلاح الوحيد لجيشنا والتى تحاول أن تبقى علينا من غير جيش ، ومن غير سلاح حتى نفقد الجيش الذى يحمى الدولة ضد كل تدخل أو سيطرة تفرض عليها من الخارج .

٥ ـ رفضنا السيطرة على الجيش

(ا) وطلبنا من المستر «كافرى» الاتصال بحكومته بشأن تسليح الجيش المصرى بمالنا . وجاء رد الحكومة الأمريكية فى صورة نسخة مما يسمى « ميثاق الأمن المتبادل » وهو عبارة عن اتفاقية أحاطتها أمريكا بكل وسائل التشويق والدعاية المغرية ودعوى تدفق السلاح على من يوقع عليها من غير مقابل . . وقرأنا الاتفاقية . . فكان ظاهرها بريئا براءة عجيبة أما باطنها فيعكس السيطرة والقيود ، . سوف يكون الجيش المصرى خاضعاً لبعثة عسكرية أمريكية تتولى التخطيط والتدريب وبذل النصيحة .

(ب) وقد جربنا هذا اللون وحتى سنة ١٩٤٧ فى بعثة بريطانية كانت أخطر نكبة حلت بالجيش المصرى . . منعت السلاح عن الجيش لخدمة السياسة البريطانية . وتجسست على ضباطه لحساب بريطانيا . واشترت سلاحا بريطانيا قديماً للجيش المصرى على أنه سلاح جديد وقام أفرادها بمطاردة كل ضابط مصرى يعرف لوطنه كرامة أو عزة .

(ج) وظننا أول الأمر أن أمريكا غير جادة فى عرضها ثم تبين لنا أنها تعنى كل ماجاء فى اتفاقية الأمن المتبادل التى ليست سوى استعمار جديد أنكى(٥) وأشد مما عانيناه على يد بريطانيا . كنا ندفع لبريطانيا ثمن السلاح ، ولكن أمريكا تريد ثمنه سيطرة ونيلا من السيادة والكرامة .

---

(٤) يفتقر : يحتاج .
(٥) أنكى : أسوأ صورة .

(ج) ورفضنا عرض أمريكا . وحكينا لها قصة البعثة البريطانية . ولم تقتنع أمريكا بمنطقنا . وتدخل سفيرها لينقذ الموقف بعد أن رأى خيبة أملنا فى منطق أمريكا الذى لا يختلف عن منطق بريطانيا إلا فى أنه أشد حمقا وتجاهلا لأمانينا وحريتنا . . ويظهر أن الرجل استخدم كل نفوذه حتى يفهم حكام واشنطن الحقائق . وردت أمريكا بموافقتها على صفقة أسلحة للبوليس المصرى كان ثمنها مدفوعاً قبل قيام الثورة بوساطة حكومات مابعد يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٦ بعد ضرب محافظة الإسماعيلية بجنود بريطانيا وحريق القاهرة ، وأخبرونا بأن هذه الصفقة دليل حسن نوايا أمريكا وأن تسليح الجيش المصرى قيد البحث لدى المسئولين .

٦ — رفضنا السيطرة الاقتصادية

(ا) عندما قامت الثورة كانت البلاد مشرفة على الإفلاس . فالاحتياطى نفد وأصبحت خزينة الدولة مدينة بأكثر من خمسة وأربعين مليونا من الجنيهات ، وهبط رصيد البلادمن الذهب والعملات الخارجية . وأشاع الأجانب جوا من الذعر فى السوق المصرية بسحب كثير من رءوس أموالهم بعد حريق القاهرة . فى وقت كان الاقتصاد المصرى تحت سيطرة إنجلترا ، وفرنسا ، واليهود من مختلف الجنسيات الأخرى ، وكانت هذه السيطرة أخطر أسلحة الاستعمار . فعن طريقه حاولت بريطانيا وقبل أن يمضى على قيام الثورة أكثر من ستة أشهر إذلال مصر بامتناعها وهى العميل الوحيد عن شراء القطن المصرى بحجة وجود فائض من قطننا لدى الغزالين . ولم يكن لبريطانيا من هدف سوى ضرب الاقتصادالمصرى بقطع المورد الأساسى للعملة الأجنبية حتى تقوم ثورة أخرى ، أو تخضع الثورة لسيطرة الإنجليز كما كان يسلم من قبل الملك والأحزاب . ولكن الثورة لم تسلم وحررت سوق القطن المصرى من احتكار بريطانيا وحلفائها . وباعت مصر قطنها للدول أوربا الاشتراكية والصين ولقد كانت هذه التجربة الدافع لدراسات مستفيضة(٦) وبحث سيطرة الدول الاستعمارية على اقتصادنا عن طريق البنوك والمؤسسات التجارية وطبقة العملاء من المصريين الذين باعوا ضمائرهم للمستعمر ، وعن طريق البنوك والعملاء حققت بريطانيا مآربها(٧) السياسية بالتعسف مع التجار . وإطلاق الشائعات حول الاقتصاد المصرى ، وادعاء الأزمات ، ودعوى الإفلاس .

(ب) وواجهت الثورة هذه السيطرة بمحاولة جادة لبناء اقتصاد مصرى قائم على دراسة

---

(٦) مستفيضة : زائدة واسعة :

(٧) مآربها : جمع مأرب والمأرب الهدف .

وتخطيط واستعانت بذوى الخبرات من أجل وضع خطة لمواجهة أخطر معاركها ضـــد الاستعمار، لأنها معركة تتعلق بلقمة العيش التى يمسك بها كل مواطن رمقه(٨) ويريد الحصول عليها من غير تهديد أو مساومة وانتهت الدراسات بضرورة توافر رأس المـــال واستثماره فى قيام صناعات توفر حاجات البلاد، وتستوعب(٩) العمال، وتحقق الرخاء واستقدمت الثورة الخبراء وشرعت فى دراسة وضع مشروع السنوات الخمس، وبقيت مشكلة رأس المال بشقيها :

الشق الأول : إحجام رءوس الأموال الوطنية لجو عدم الثقة الذى أشاعه الاستعمار وعملاؤه فى السوق المصرية .

الشق الثانى : الحاجة إلى رءوس الأموال الأجنبية التى يمكن عن طريقها اســـتيراد الآلات والعدد اللازمة للتصنيع .

(ج) وكان طبيعيا ألا تفكر الثورة فى بريطانيا حين دراسة مشكلة رأس المال الأجنبى لأسباب كثيرة منها : الخلاف بيننا وبينها حول جلاء جنودها عن أراضينا ، ومنها إفلاس بريطانيا نتيجة خروجها من الحرب العالمية الثانية وحاجتها إلى وقت طويل لبناء نفسها .

وفكرنا فى الاستعانة بأمريكا ؛ لوعودها التى كانت لا تخطر على بال ، ولأنها خرجت من الحرب مزدهرة ، وأبلغنا أمريكا أننا نرحب برءوس الأموال الأجنبية الأمريكية التى تدخل مصر للاستثمار واعتقدنا أن الأموال الأمريكية ستقبل علينا ؛ لأن الأمريكى رجل بيع وشراء ، ودولار ، وقد أتحنا له فرصة لا تعوض للكسب الحلال ، وجاء رد واشنطن اتفاقية مطبوعة على غرار أسلوب اتفاقية الأمن المتبادل التى عرضوها علينا عندما طلبنا السلاح ، وأخبرونا بأن هذه الاتفاقية المالية يتمتع بخيرها اثنتان وعشرون دولة وقعوها فتدفقت عليهم رءوس الأموال بغير حساب ، وكشفت هذه الاتفاقية عن وجه أمريكا ؛ لأنها تنص على أن رأس المال الأمريكى الخاص الذى يدخل إلى مصر تضمنه الحكومة الأمريكية لصاحبه نظير فائدة معلومة بينهما . وإذا أراد صاحب رأس المال أن ينسحب لسبب من الأسباب أو طبقت على أمواله القوانين المصرية حلت الحكومة الأمريكية محل صاحب رأس المال وأوجدت ذريعتها للتدخل وفرض النفوذ والسيطرة .

(د) ورفضنا هذه الاتفاقية كما رفضنا اتفاقية الأمن المتبادل ، وكشفنا وعود أمريكا

---

(٨) رمقه : الرمق بقية الحياة (٩) تستوعب : تتسع لكل من يريد عملا يقدر على أدائه .

وأمسكنا بمفاتيح السياسة الأمريكية(١٠) ولما يمضى على الثورة أكثر من عدة شهور . . ولكننا كنا نأمل دائما أن يأتى اليوم الذى تفهم فيه أمريكا أنها على خطأ إذا كانت تؤمن بحق تقرير المصير . . وكنا نأمل أن تفهم أمريكا لماذا رفضنا اتفاقية الأمن المتبادل مع أن جيشنا فى أمس الحاجة إلى السلاح ؟ ولماذا رفضنا اتفاقية رأس المال فى وقت يترنح(١١) فيه اقتصادنا من فرط الإعياء : . ولكن أمريكا لم تفهم حتى بعد فشل العدوان ، وبعد أن أصبح من المستحيل قهر إرادة الشعوب بطرق جديدة من أخطر ألوان الاستعمار.

(هـ) فاتفاقية الأمن المتبادل مع كل من يطلب سلاحا أمريكيا ليست إلا استعمارا مباشرا صريحاً يبدأ بالبعثة العسكرية ، وينتهى بالسيطرة الأمريكية . وكان من نتيجة ذلك أن كل بلد وقعت هذه الاتفاقية تعانى اليوم من الفراغ بين الشعب والحكم ، وتنتظر اليوم الذى تنتصر فيه إرادة شعوبها من جديد .

واتفاقية رأس المال التى تقدمها أمريكا لكل دولة تطلب مالا للاستثمار ليست هى الأخرى إلا استعمارا من أخبث ألوان الاستعمار . وأن الدول التى قبلتها تواجه كارثة محققة نتيجة خضوع اقتصادياتها لأمريكا ، وحياتها على التسول والاستجداء .

وعلى الرغم من رفضنا للاتفاقيتين ، وتفسيرنا الصريح لهما ، فإن أمريكا عادت إلى الابتسام مرة أخرى بل إلى أمال أكثر إشراقا مما بدأت به مرحلة الآمال .

٧ — أمريكا والسيطرة على الشرق الأوسط

(ا) عقدنا اتفاقية السودان مع بريطانيا فى مارس سنة ١٩٥٣ ، وحطمنا الصخرة التى كانت تتحطم عليها كل مفاوضات مصر مع بريطانيا من أجل جلاء قواتها عن بلادنا وطلبنا من بريطانيا الدخول فى مفاوضات الجلاء . وبدأت المفاوضات ، وساومت بريطانيا كعادتها لكى تبقى مصر تحت سيطرتها ـ وقامت أمريكا بدور الوسيط . واستطاع « مستر « كافرى » سفير أمريكا فى هذه الفترة أن يزيل بعض مافى نفوسنا تجاه أمريكا بعد أن رفضنا اتفاقية « الأمن المتبادل » واتفاقية « رأس المال » . غير أن أمريكا ظلت مخلصة لأهدافها التى تحويها الاتفاقيتان . وتأكد لنا أن أمريكا تؤمن بهذه الأهداف إلى حد الغرور .

(ب) وكان يسيطر على أمريكا وساستها منذ الحرب العالمية الثانية حلم السيطرة على

---

(١٠) مفاتيح السياسية الأمريكية : الوسائل التى تصل عن طريقها هـذه السياسة إلى أهدافها والتعبير تصوير بلاغى .

(١١) يترنح : يسقط ، وفى التعبير تصوير بيانى .

منطقة الشرق الأوسط وإخضاعها لأحلاف الغرب، لأن ذلك يحكم حلقة الحصار التى تفننت أمريكا فى فرضها حول الاتحاد السوفيتى . وعلى الرغم من أن أمريكا وحلفاءها خاضوا الحرب الثانية جنبا إلى جنب مع روسيا ضد دول المحور (ألمانيا — وإيطاليا — واليابان) فقد انقلب الحلفاء إلى أعداء ، وانقسم العالم إلى كتلتين شرقية تتزعمها روسيا ، وغربية تتزعمها الولايات المتحدة .

(ج) ومن هنا نشأ جوهر مشكلتنا مع أمريكا والغرب الذى حاول إذلالنا بالعدوان المسلح ؛ لأننا نصر على التمسك بالحياد الإيجابى . فى حين نصر أمريكا على ربطنا بجانبها فلما فشلت تآمرت مع حلفائها لتجويع شعب مصر بسحب معونة السد العالى . والحصار الاقتصادى . وإطلاق صحافتها لتصور فى سعار محموم[١٢] جمال عبد الناصر ديكتاتورا متعنتا ؛ لأنه يتمسك بحقوق شعبه وكرامته وسيادته . ولكى توهم العالم بأن مصر البلد الصغير غول سوف يفتك بأمن العالم وسلامته .

المناقشة

— ١ —

« ولكننا فى تلك اللحظة كنا نستبعد تدخل أمريكا فى الوقت الذى كنا نرجح فيه تدخل بريطانيا وبخاصة فإنه كان على رأس حكومتها مستر « تشرشل » وهو الرجل الاستعمارى الكريه « البغيض » .

(ا) ما اللحظة التى يشير إليها الكاتب فى قوله « ولكننا كنا فى تلك اللحظة » ؟
(ب) لماذا استبعد الثوار تدخل أمريكا ، ورجحوا تدخل بريطانيا ؟
(ج) وضح موقف الثوار من احتمال التدخل .

— ٢ —

وفعلا اتفقنا بعد مناقشة قصيرة على أن نوفد ضابطا ذهب وطرق أبواب السفارة الأمريكية مع أول خيط من خيوط النهار وأبلغ المسئولين فيها ما اتفقنا على إبلاغه إياهم ، وكان رد الفعل على خلاف ما توقعنا »

(ا) هات مرادف : نوفد — رد الفعل — طرق أبواب .

---

(١٢) سعار محموم : جنون شديد .

(ب) وضح ما أبلغه الضابط لرجال السفارة .
(ج) لم كان رد الفعل الأمريكى على خلاف ماتوقع الثوار ؟
(د) « مع أول خيط من خيوط النهار » تصوير جميل . وضحه .

— ٣ —

« إن هذا العرض ليس إلا استعمارا جديدا أنكى وأشد مما عانيناه على يد بريطانيا فقد كنا مع بريطانيا ندفع ثمن السلاح برغم كل ألاعيبها ولكن أمريكا لا تريد ثمنا للسلاح » .
(ا) فسر : أنكى — عانيناه — ألاعيبها .
(ب) وضح العرض المشار إليه .
(ج) لم كان هذا العرض استعمارا جديدا ؟

— ٤ —

« عندما قامت الثورة كانت البلاد قد أشرفت فعلا على الإفلاس اقتصادياً » .
(ا) هات مرادف : أشرفت ، ونقيض : الإفلاس .
(ب) وضح مظاهر إفلاس البلاد فى هذه الفترة .

— ٥ —

« وشهدنا نحن فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ أول تجربة بريطانية لإذلال مصر بعد الثورة ، وذلك عن طريق استخدام سلاح الضغط الاقتصادى » .
(ا) فسر المراد من سلاح الضغط الاقتصادى .
(ب) وضح هذه التجربة . وأسلوب تغلبنا عليها والدرس الذى استفدناه منها .

— ٦ —

وكان طبيعيا ألا نفكر فى بريطانيا ونحن ندرس مشكلة رأس المـــال الأجنبى لأسباب كثيرة :
(ا) فسر معنى : مشكلة رأس المال الأجنبى .
(ب) بين الأسباب التى جعلتنا لا نفكر فى بريطانيا .
(ج) لم اتجهت الثورة إلى أمريكا لحل هذه المشكلة ؟

— ٧ —

« ورفضنا هذه الاتفاقية أيضاً بأشد مما رفضنا إتفاقية الأمن المتبادل ؛ لأنها فى جوهرها أبشع من أى استعمار ظهر على وجه الأرض إلى يومنا هذا » :
(ا) ضع الكلمات : (جوهر . أبشع . استعمار) فى جمل توضح معناها .

(ب) وضح المراد من اتفاقية الأمن المتبادل والجانب الاستعماري فيها .
(ج) بين الاتفاقية المشار إليها في قوله : «ورفضنا هذه الاتفاقية» ، ووضح سبب رفضها

— ٨ —

« ولكن واشنطن ظلت مخلصة لأهدافها التي تحويها تانكما الاتفاقيتان بل أسوأ من ذلك اتضح لنا أن واشنطن (تؤمن بوسائلها وأهدافها) إلى حد السفه والغرور .

(ا) هات مرادف : تحويها . السفه : الغرور .
(ب) وضح أهداف واشنطن في المنطقة العربية .
(ج) أعرب ماتحته خط في العبارة .
(د) بين موقع الجملة التي بين القوسين من الإعراب .
(ه) استخرج من العبارة مشتقين مختلفين وبين نوعهما وفعل كل منهما .
(و) هات من العبارة مصدرا مؤولا وحوله إلى صريح ، ومصدرا صريحا وحوله إلى مصدر مؤول .
(ز) كيف تكشف في معجمك عن معنى « تحويها » ؟

الفصل السابع

الأفكار

١ — الغرب والسيطرة على المنطقة العربية . ٥ — الاستعمار القديم والاستعمار الحديث.
٢ — عوامل تحرك السياسة الأمريكية . ٦ — الكاتب فى عيد ميلاده .
٣ — أمريكا تجدد الأمل . ٧ — الأمل فى علاقات جديدة .
٤ — أمريكا والمفاوضات المصرية الانجليزية. ٨ — مؤامرة حلف بغداد .

التحليل

١ — الغرب والسيطرة على المنطقة العربية

(ا) إن أول خلاف وقع بيننا وبين الغرب بزعامة أمريكا كان على نظرية الأحلاف التى تريد أمريكا بها أن تكمل الحلقة الوحيدة الباقية من حلقات تطويق روسيا وعندما رفضنا اتفاقية « الأمن المتبادل » حاولت أمريكا السيطرة على المنطقة عن طريق نظرية الدفاع عن الشرق الأوسط . . وبدأتها باصطناع خرافة الخطر الشيوعى الداهم(١) الذى يهدد المنطقة . . وبدا واضحاً لنا — يابنى ! — من خلال اتفاقية « الأمن المتبادل » و « اتفاقية رأس المال » أن السياسة الأمريكية ليست لله . . ولا لحق تقرير المصير . . ولا لنصرة الشعوب الصغيرة . . وليست سياسة بريئة مجردة من الأهداف والغايات كما يحاول الدبلوماسيون الأمريكان أن يقنعوا الناس. وإنما هى سياسة ذات أهداف وغايات أشد جشعاً وأكثر فتكا من كل ما استنبطه(٢) الاستعمار القديم .

(ب) إن إله أمريكا ليس الإله الذى نعرفه والذى أرشدتنا إليه كتب السماء .

وإنما إله أمريكا الدولار . . الدولار هو الذى يعز ويذل . . هو مصدر كل القيم . . هو المنظم لهذا الكون . . هو الذى ينحنى له دهاقين السياسة ، وقادة الشعوب هو الذى يأخذ بريقه(٣) بالأبصار ويسيل له لعاب الناس فى كل الأمصار . . هو النور إذا وجد والظلمة إذا اختفى . . هو الذى يهب الحماية والاستقلال وكل ماعداه ذل . . ولم يكف أمريكا أن يكون الدولار دينا لها داخل حدودها بل تعدى الأمر ذلك إلى التبشير بهذا الدين(٤) الجديد خارج أمريكا ، وحمل الناس على اعتناقه بكل وسائل التبشير ، فإذا

---

(١) الداهم : النازل على غير توقع . (٢) استنبطه : توصل إليه .
(٣) بريقه : لمعانه والمراد تأثيره الشديد . (٤) التبشير بهذا الدين : العمل على نشر هذه المعتقدات الأمريكية .

لم تجد . كان التهديد ، وكان الوعيد ، وحيكت(٥) المؤامرات وتحركت الأساطيل .

(ج) وفى الوقت الذى أكتب فيه هذه الكلمات من مستهل(٦) سنة ١٩٥٧ بعد مضى خمس سنوات تقريباً من رفض اتفاق « الأمن المتبادل » و « اتفاق رأس المال » وبعد وقوع تطورات هائلة أحدثت تغييراً شاملا فى تاريخ البشرية لا زلنا نرى أن السياسة الأمريكية كما هى إيماناً بأهدافها بل زادت سوءاً وتبجحاً بعد أن كانت تصطنع الحياء .

٢ — عوامل تحرك السياسة الأمريكية

ويقينى يا بنى أن رسم السياسة الأمريكية على هذا النحو يرجع إلى عدة أسباب من أهمهـــا :

أولا : أن الإله الذى اتخذته أمريكا لنفسها (عبادة الدولار) إله أبكم(٧) وأعمى وأصم(٨) : فبينما إله البشرية كلها يصفح ويرحم ، فإن إله أمريكا لا يعرف الرحمة .. وبينما إله البشرية لا يفرق بين أسود وأبيض فإن إله أمريكا لا يحب إلا ذاته . . ووراء هذا تكمن تصرفات أمريكا فى السياسة وفى كل مظاهر الحياة .

ثانياً : سيطرة الصهيونية العالمية على كل شىء فى أمريكا ، ولم يأت ذلك اعتباطا(٩) ، وإنما يرجع إلى أن إله الصهاينة هو نفس إله الأمريكان . . . والصهيونية تخطط لما تخطط له أمريكا من سيطرة على العالم . . . والصهيونية وأمريكا يؤمنان بأن كل جريمة ترتكب لصالحهما فهى حق وعدل ، وكل فضيلة لا تعود عليهما وحدهما بالمغانم فهى رذيلة مذمومة مهما كان رأى الشرائع والأديان .

إن سيطرة الصهيونية على أمريكا تشكل المحور الأساسى لعلاقتنا مع أمريكا ، وتفسر الكثير من تناقض تصرفات أمريكا نحونا ، وسوف يبقى ذلك مابقيت هذه السيطرة . . اعترف « ترومان » رئيس أمريكا بقيام إسرائيل قبل أن تعلن العصابات الإسرائيلية فى تل أبيب عن وجودها ، وخرجت صحافة أمريكا تعلن عن احتضانها لربيبتها دولة إسرائيل واستهانت أمريكا بشعب يشرد ، وحق يسلب . . وأخذت تغدق مساعداتها على إسرائيل ، واعتدت إسرائيل ، ودمغها العالم كله بالعدوان إلا أمريكا وحدها فإنها اعتمدت لهـــا المساعدات مكافأة على العدوان فى وقت رفضت فيه أن تبيع مصر قمحا وأدوية كان الشعب فى حاجة إليهما ، ومصر المعتدى عليها وإسرائيل هى المعتدية .

---

(٥) حيكت : دبرت . (٦) مستهل : مطلع . (٧) أبكم : لا ينطق .
(٨) أصم : لا يسمع . (٩) اعتباطا : ارتجالا وبغير تقدير

ثالثا : اعتقاد أمريكا بأنها تستطيع شراء كل شيء بالدولار حتى الضمائر والخلق والكرامات . .

وسترى يابنى أن هذا المنطق الأمريكى ظل وسيظل يوجه سياسة أمريكا خلال المراحل الثمانى التى أروى لك قصتها . والتى بدأت بمرحلة الآمال . . وسترى أن هذا المنطق انتهى بأمريكا إلى نوع من (الهستريا) فتتهم الوطنية بالشيوعية حينا . . وترسل أساطيلها إلى شواطئنا لكى تؤكد للدول العربية بأسها فى مشاهد تثير السخرية والإشفاق حينا .

٣ — أمريكا تجدد الأمل

(ا) وعلى الرغم من المعانى التى خرجنا بها من قصة اتفاقيتى الأمن المتبادل ورأس المال ، فإننا لم نفقد الأمل فى أمريكا . . وقلنا : لعل أمريكا تعود إلى رشدها ، ونعرف أننا لن نقبل أية سيطرة أجنبية تحت اسم أو ستار ، وأن الدولار لن يكون لنا إلها نعبده من دون الله . .

وحدثت المفاجأة الأمريكية التى قوت الأمل وجددت الرجاء ، فقد أرسلت الحكومة الأمريكية تطلب أن نوافيها ببيان الأسلحة والمعدات التى نريد شراءها . . واعتقدنا أن أمريكا بدأت تفهم موقفنا وتريد صداقتنا وأعددنا الكشوف . . بعد أن حاولنا إقناع أمريكا بأننا نريد أن نبنى بلدنا ولن نستطيع ذلك والتهديد قائم على حدودنا ، وفى قلب وطننا العربى ، وأرسلنا الكشوف . . وانتظرنا نمنى النفس بالآمال .

(ب) ولم يمض وقت طويل حتى جاء الرد . . وكان إيذانا ببدء فترة المراوغة وكسب الوقت من جانب أمريكا التى تريد أن نعدل خططها وصولا إلى أهدافها . . ولتغرقنا فى حلم لذيذ يحجب عنا رؤية الحقيقة .

قالت أمريكا فى ردها : إنها تلقت كشوف السلاح المطلوبة للقوات المسلحة المصرية .. وأنها أعدت بعض هذه الأسلحة للشحن ، وأنها فى انتظار بعثة من الضباط المصريين تعاين السلاح قبل الشحن ، وتعاين أنواعا أخرى من السلاح قد تكون ذات فائدة ولم ترد فى الكشوف .

(ج) ولم نضيع دقيقة من الوقت فأعدت القيادة العامة أفراد البعثة،وزودتها بالتعليمات اللازمة .. ومن جهة أخرى درست التفاصيل المالية الخاصة بهذه الصفقة مع سفارة أمريكا.. حيث أنها صفقة تجارية بحتة لا علاقة لها بالسياسة ، والقيود ، والمساومات .

وسافرت البعثة . . وترقبنا أنباءها فى شوق ولهفة . . ومع أن الوضع الداخلى كان يستحوذ على كل اهتمامنا فإننا كنا نعتقد من أول يوم للثورة أن أى بناء فى الداخل سوف

يكون بناء على الرمال إذا لم يكن الشعب جيش قوى قادر على دفع أى عدوان عليه من الخارج ، وعدونا يقبع على حدودنا ، ويتربص بنا ليل نهار فى وقت يتلقى فيه كل يوم طوفانا من السلاح والمعونات لكى يفرض وجوده بالحرب والعدوان .

(د) وفوجئنا بعودة البعثة من أمريكا . . وأوضحت أنه لم يكن هناك سلاح معد للشحن . . وأنها لم تعاين سوى أسلحة صغيرة لسنا فى حاجة إليها وأوضحت فى تقريرها كيف أنها أهملت إهمالا تاما من جانب الحكومة الأمريكية ، وأن المسئولين الذين احتكوا بأفرادها كانوا لا يعلمون شيئا عن هذا الموضوع . . وأحس أفراد البعثة بحذر شديد فى معاملة كل من قابلوه . . وتركوا لا أحد يتصل بهم . . ولا أحد يجيبهم .

وهكذا اتضح أن ذلك لم يكن سوى نوع من التخدير فى وقت كانت سفارة أمريكا فى مصر لا تزال تجزل الوعود ، وتطلق البخور وتبشر بالخير العميم .

٤ — أمريكا والمفاوضات المصرية الانجليزية

(ا) عادت بعثتنا من أمريكا فى مستهل سنة ١٩٥٢ . . وظلت أمريكا تحاور وتناور طوال سنتى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ محاولة كسب الوقت وتخديرنا أطول فترة ممكنة أملا فى مجىء اللحظة الحاسمة التى نسلم لها فيها تريد من استقلالنا وسيادتنا .

(ب) ففى مارس سنة ١٩٥٣ بدأت مفاوضات السودان بيننا وبين بريطانيا وانتهت بتوقيع اتفاقية السودان ، وتلا ذلك مفاوضات الجلاء بيننا وبين بريطانيا فى نفس الصيف من هذا العام . . وغنمت أمريكا الفرصة فطلبت إلينا أن نؤجل موضوع السلاح إلى ما بعد الاتفاق مع بريطانيا حفاظا على علاقات بريطانيا بأمريكا . . وطلبت منا أن نقدر ظروفها ، وأن نثق فى أنها سوف تبيعنا كل ما نريد من سلاح بعد الاتفاق مع بريطانيا ، ووافقنا على هذا العرض موافقة من عرف نوايا أمريكا بعد اتفاقيتى الأمن المتبادل . . ورأس المال . . وموقفها من البعثة المصرية .

(ج) وبدأت المفاوضات بيننا وبين بريطانيا فى صيف سنة ١٩٥٣ من أجل الجلاء فى جو كئيب مظلم . . وبدأت بريطانيا بداية لا يمكن معها المضى شهراً واحداً ؛ لأنها تؤمن بالمساومة كخلق ومبدأ، ونحن نرفض المساومة ونعتبرها خلقا رديئا فى الشرف والكرامة . ولأنها حين تساوم فى قضية الجلاء إنما تساوم فى شىء لا يخصها بينما المساومة من مصر تعنى تسليمها فى أعز شىء وهو السيادة . . . . ، . . . .

واستمرت هذه المفاوضات قرابة سنة ونصف استخدمت فيها بريطانيا كل وسائل الحيل والخداع لكى تنال من سيادة مصر ، وانقطعت المفاوضات أكثر من مرة . . وبعد

المرة الثانية اجتمعنا وقررنا القيام بمعركة مسلحة لطردها من مصر وحددنا لهـا شهر يناير سنة ١٩٥٥ وكلفت جميع الوزارات بتوجيه سياسة الوزارات والدولة من أجل هذه المعركة .

(د) وفى فترة المفاوضات بدت سياسة أمريكا فى صورة باسمة . . . وبذل سفيرها فى القاهرة كل مايستطيع لكى يصحح أخطاء واشنطن فى علاقاتها بنا لمصلحة أمريكا ذاتها ، وفى مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا قدمت أمريكا مساعدة أدبية لمصر . . ولكن هل كانت أمريكا تؤمن بحق مصر وهى تقدم هذه المساعدات؟ إن الواضح أن أمريكاأخذت بمشورة سفيرها « مستر كافرى » ولكن لكى تحقق من الأغراض مافشلت انجلترا وفرنسا فى تحقيقه من عدوانهما على مصر سنة ١٩٥٦ لقد كانت أمريكا تريد ـ ولا تزال ـ فرض سيطرتها على مصر بوسائل تظن أنها تخفى على الناس فى الوقت الذى أصبحت فيه سخرية كل الناس .

(ه) يقولون فى مسألة تأميم القناة : إن جمالا صلب ويثير المتاعب عندما لا يقبل المساومة . . ويقولون : إنه ديكتاتور يريد أن يملى إرادته . . وحتى لو سلمنا أن المساومة لا تتنافى مع الشرف ففيم كان يساوم — يابنى ! — عمك جمال فى تأميم القناة ؟ إن القناة قناة مصر وجزء لايتجزأ منها باعتراف معاهدات دولية سلمت بها بريطانياوغيرها ومصر أممت شركة القناة المصرية التى تخضع للقانون المصرى . . والتزمت مصر بعد التأميم أن تباشر جميع المسئوليات التى كانت تقوم بها الشركة المؤممة . . وأعلنت رسميا تمسكها بمعاهدة سنة ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة . . فماذا بقى ليساوم عليه جمال؟ لم يبق إلا شىء واحد وهو أن يسلم لهم « جمال » بما يريدون من فرض احتلال أمريكى انجليزى فرنسى جماعى على مصر بعد احتلال انجليزى استمر أربعة وسبعين عاما .

٥ — الأستعمار القديم والاستعمارالحديث

(ا) بدأت أمريكا تترك أساليب بريطانيا الاستعمارية ، وتلجأ إلى وسائل جديدة لكى تحقق لنفسها أهداف الاستعمار البريطانى المنهار ويتمثل هذا التطور فى :

— كانت بريطانيا تطلق على وجودها فى بلد ما احتلالا . . وتطلق أمريكا اليوم على ذلك كلمة « الأمن المتبادل » .

— وكانت بريطانيا تتحكم فى أرزاق العباد بسيطرتها على منطقة الاسترلينى . . وتريد أمريكا اليوم أن تتحكم بسيطرتها على البنك الدولى .

ــ وكانت بريطانيا تتوسل إلى تحقيق أهدافها الاستعمارية بإحداث الفتن وتدبير المؤامرات . . وتفعل أمريكا نفس العمل اليوم تحت اسم « الخطر الشيوعى » تارة ، و « الشيوعية الدولية » تارة أخرى ،

(ب) ولما فشل عدوان بريطانيا وفرنسا فى مصر سنة ١٩٥٦ قامت أمريكا لتحقيق أهداف هذا العدوان بطرق سلمية تتمثل فى :

ــ رفض أمريكا الإفراج عن أرصدة مصر ، وبيع القمح والدواء . . فى وقت قدمت لإسرائيل المعتدية كل ماتريد وكان هدفها من ذلك إسقاط جمال عبد الناصر .

ــ ترديد أمريكا وعلى لسان قاداتها حق إسرائيل فى استخدام قناة السويس وخليج العقبة وهم يظنون بذلك أن مصر سوف تسلم ــ تحت هذا الضغط ــ لمطالب إسرائيل وأطماعها :

ــ أمريكا تعلن على لسان وزير خارجيتها تأييدها لفرنسا ضد المجزرة البشرية فى الجزائر ، وتعلن عن تصميمها على تزويد فرنسا بالمزيد من الأسلحة وتحرك أسطولها السادس فى البحر الأبيض المتوسط للتهديد والوعيد ومحاولة تفتيت العالم العربى وفرض النفوذ الغربى عليه .

وتؤكد هذه المقارنات عدم إحداث تغير فى سياسة أمريكا بين سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٥٧ وأن أية مساعدات تقدمها أمريكا لابد لها من ثمن .

١٦ ــ الكاتب فى عيد ميلاده

(ا) من عادة الكاتب أن يحتفل بعيد ميلاده على غير ماتعود الناس أن يحتفلوا بأعياد الميلاد حيث يركن فى يوم عيد ميلاده إلى الوحدة والتأمل فى الماضى، والحاضر، والمستقبل واستعادة ماضى حياته منذ بدأ يدرك الأشياء ويحس الكون من حوله . . واستعراض موكب عمره عبرالسنين الماضية بكل مافيه من مشاهد الألم والأمل .. السذاجة والنضج .. الفشل والنجاح . .الخطأ والصواب .

(ب) إحساس الكاتب بالسعادة والسرور ، لأنه يجد نفسه ويعرفها من خلال رحلة هذا الموكب . . يعرفها فى الخطأ كما يعرفها فى الصواب .. يعرفها فى الفشل كما يعرفها فى النجاح ؛ ولأنه يؤمن بأن من وجد نفسه واهتدى إليها طابت له الأيام(١٠) ، وعمر قلبه اليقين ، واستطاع أن ينعم ضميره بالنور والصفاء .

---

(١٠) طابت له الأيام : ابتسمت .

المرحلة الثانية ـ مرحلة التضليل

٧ ـــ الأمل فى علاقات جديدة

(ا) وفى يوم ذكرى مولد سنة ١٩٥٤ الذى يوافق يوم ٢٥ من ديسمبر كل سنة جلست أتأمل على عادتى . . كان الاتفاق المصرى البريطانى الخاص بالجلاء قد وقع فى أكتوبر من نفس العام . . وتأهبنا لاستقبال مرحلة جديدة فى العلاقات مع بريطانيا وأمريكا :

ـــ أما بالنسبة لبريطانيا فقد بدأ إحساس بالراحة حيث لم تعد هناك حاجة إلى معركة مسلحة بيننا وبين بريطانيا تضطرها إلى الخروج من البلاد وهذا وحده كسب ضخم يضاف إلى الجلاء وبدأنا نفكر فى إقامة علاقات مع بريطانيا خالية من الشكوك التى تركها احتلال دام أربعة وسبعين عاما . ويحتم إقامة هذه العلاقات اتفاقية الجلاء نفسها التى هى اتفاقية صداقة وجلاء .

ـــ وأما بالنسبة لأمريكا فقد أحسسنا نحوها بالعرفان لما قدمته من مساعدات ساعدت على توقيع اتفاقية الجلاء . . وشجعنا هذا الإحساس على العودة إلى مطالبة أمريكا بإنجاز ما وعدت به[١١] من بيعنا السلاح عقب توقيع اتفاقية الجلاء .

(ب) ومع أن كل شىء كان يبشر بالأمل فى علاقات طيبة مع كل من أمريكا وبريطانيا بعد توقيع اتفاق الجلاء ، فإن الأمل لم يدم طويلا ، لأنه بمجرد أن طلبنا من أمريكا أن تفى بوعدها ، وتبيع لنا السلاح عادت تتحدث عن حكاية الدفاع عن الشرق الأوسط ، ونظريتها فى ذلك تخالف نظريتنا ، ولا يمكن بأى حال التقاء النظريتين . . ولم نيأس . . وبدأنا نقنع أمريكا من جديد بأن الدفاع عن الشرق الأوسط يجب أن ينبثق[١٢] من داخله ، ويقوم به أبناؤه . . وانضمت بريطانيا إلى أمريكا وبدأنا مناقشة ظننا أنها سوف تنتهى باقتناع أحد الطرفين بنظرية الآخر .

٨ ـــ مؤامرة حلف بغداد

(ا) وفى الوقت الذى كنا نبنى علاقاتنا مع بريطانيا وأمريكا على حسن النية كانا يقومان معا بتدبير المؤامرة التى بدأت بوصول السيد « نورى السعيد » رئيس وزراء العراق فى ذلك الوقت إلى القاهرة مارا فى طريقه إلى لندن . . وأجرى « نورى » مباحثات مع « جمال » خلاصتها إيمان « نورى السعيد » بأنه ليس للعرب سبيل إلا بالتعاون مع الغرب عن طريق إمضاء تحالف مع بريطانيا وأمريكا يتيح لنا الحصول على الأسلحة وفهم « نورى السعيد » من « جمال عبد الناصر » فى صراحة أن مصر لا ترفض تعاونا قائما

(١١) إنجاز ما وعدت به : تنفيذ وعدها . (١٢) ينبثق : يخرج ، والتعبير تصوير بلاغى .

على المساواة التامة . . ولن تتحقق هذه المساواة ونحن ضعفاء وهم أقوياء . . أما مبدأ الأحلاف فقد رفضه جمال من أساسه . وأثار جمال القضايا العربية التى يرفض الغرب بعناد أن يعيد فيها حقوق العرب إلى أصحابها .

(ب) وأوضح جمال أن التعاون ممكن إذا خلصت النيات وشرح « لنورى السعيد » نظريتنا فى الدفاع عن الشرق الأوسط . وأن العدو الحقيقى لهذه المنطقة هو إسرائيل التى تقبع (١٣) فى قلب الأمة العربية ولم يقتنع « نورى » طبعا : وقال فى آخر حديثه إنه ذاهب إلى لندن ليستبدل بالمعاهدة العراقية البريطانية اتفاقا كاتفاق الجلاء بين مصر وبريطانيا وسافر « نورى السعيد » إلى لندن ثم عاد إلى تركيا « وقد تم كل هذا فى شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٥٤ .

(ج) وفى ديسمبر سنة ١٩٥٤ حدث حادث له دلالته فقد اجتمع وزراء خارجية الدول العربية فى ١٢ من هذا الشهر ، وقرروا لأول مرة علنا أن التعاون مع الغرب ممكن بشروط منها تسوية القضايا العربية ، ومنها أن يمد الغرب العرب بأسباب القوة . والمهم فى هذا القرار أنه أول قرار يصدر علنا وبالإجماع . ولكن بريطانيا وأمريكا فهمتا هذا القرار على أنه تسليم من العرب ، وبدلا من أن تبحث الدولتان شروط هذا التعاون وتزيلا أسباب الخلاف بدأتا فى إظهار المؤامرة إلى حيز الوجود . . وما ان أنتهت عشرة أيام من يناير عام ١٩٥٥ حتى وقف « نورى السعيد » يعلن عن إمضاء مايسمى بحلف بغــداد . وهكذا أعلنت المؤامرة .

(د) وهكذا اتضح أن صداقة أمريكا مع مصر منذ بداية الثورة لم تكن إلا ستارا خداعا . وأن وعودها ببيع السلاح لم تكن إلا مطاولة لكسب الوقت حتى توضع أمام الأمر الواقع وترغم على التسليم . وبدأنا نستعيد الشريط . . أمن متبادل . رأس مال . وعود ووعود . وهكذا انتهت مرحلة التضليل بظهور حلف بغداد .

المناقشة

— ١ —

« ومع ذلك فالسياسة الأمريكية مازالت أهدافها فى سنة ١٩٥٧ كما كانت فى سنة ١٩٥٣ بل زادت سوءا وتبجحا بعد أن كانت فى الماضى تصطنع الحياء .

---

(١٣) تقبع : تقيم .

(ا) فسر : تبجحا ــ تصطنع ــ الحياء .
(ب) وضح أهداف السياسة الأمريكية فى المنطقة العربية .
(ج) بين عاملين من العوامل التى تحرك سياسة أمريكا فى المنطقة العربية .

— ٢ —

« ولم نضيع دقيقة واحدة بعد وصول هذا الرد فقد عينت القيادة العامة أفراد البعثة المصرية . وزودتها بالتعليمات اللازمة : وبدأت السلطات المصرية دراسة التفاصيل المالية الخاصة بالصفقة مع السفارة الأمريكية » .

(ا) ما الرد المشار إليه فى قوله : بعد وصول هذا الرد ؟
(ب) لخص مهمة البعثة والنتيجة التى توصلت إليها .

— ٣ —

« وحتى إذا اسلمنا أن المساومة لا تتعارض مع الشرف فى أى شىء، كان يساوم عمك جمال فى القناة؟ »

(ا) هات مرادف المساومة . لا تتعارض مع الشرف .
(ب) لماذا لم يكن موقف جمال عبد الناصر من تأميم القناة مساومة ؟

— ٤ —

« وبدلا من أن تستخدم أمريكا وسائل بريطانيا الاستعمارية العتيقة المكشوفة نراها تلجأ إلى وسائل جديدة لكى تحقق لنفسها أهداف الاستعمار البريطانى المنهار »

(ا) ضع الكلمات العتيقة . تلجأ . المنهار) فى جمل توضح معناها .
(ب) وازن بين وسائل بريطانيا ووسائل أمريكا كما عبر عنها الكاتب .

— ٥ —

« ولما فشل عدوان بريطانيا وفرنسا فى تحيق أهدافه فى مصر قامت أمريكا لتحقيق نفس أهداف العدوان ولكن بطرق سلمية » .

(ا) وضح معنى : فشل العدوان ـ الطرق السلمية .
(ب) ما أهداف عدوان بريطانيا وفرنسا على مصر عام ١٩٥٦ ؟
(ح) اشرح طرق أمريكا لتحقيق هذه الأهداف ،

— ٦ —

حدثنا عن احتفال الكاتب بعيد ميلاده ، والدرس المستفاد من ذلك .

— ٧ —

كان كل شيء يبشر بالأمل والخير والبركة بيننا وبين كل من بريطانيا وأمريكا عقب توقيع اتفاقية الجلاء فى اكتوبر سنة ١٩٥٤ ولكن هذه الآمال (لم تدم طويلا) فما أن طلبنا من أمريكا أن تفى بوعدها وتبيع لنا السلاح حتى عادت تتحدث عن حكاية الدفاع عن الشرق الأوسط .

(ا) هات مرادف : تفى ، ونقيض : يبشر .

(ب) أرادت مصر مرحلة جديدة من العلاقات مع بريطانيا وأمريكا بعد اتفاق الجلاء . وضح .

(ج) ما نظرية الغرب للدفاع عن الشرق الأوسط ، وما نظريتنا ؟

(د) كيف دبرت بريطانيا وأمريكا مؤامرة حلف بغداد ؟

(ه) أعرب ما تحته خط فى العبارة .

(و) بين موقع الجملة التى بين القوسين من الإعراب .

(ز) استخرج من العبارة مصدرا مؤولا ، وضع صريحه فى جملة .

الفصل الثامن

المرحلة الثالثة — مرحلة ظهور النوايا

الأفكار

١ — لماذا رفضنا حلف بغداد ؟
٢ — الضغط العسكرى من أجل قبول الحلف .
٣ — كسر احتكار السلاح .
٤ — معركة الصبحة : أهداف ونتائج .

الدراسة والتحليل

١ — لماذا رفضنا حلف بغداد

(ا) لقد ظنت بريطانيا وأمريكا أننا سنسلم أمام الأمر الواقع حينما يظهر حلف بغداد إلى الوجود . . ولعلهما اعتقدتا أننا لن نفطن إلى أهداف هذا الحلف . . ولكننا على عكس ماظنتا عارضناه ، ولا نزال نعارضه لأسباب كثيرة :

— أن صانعى هذا الحلف هم صانعو إسرائيل ، وهم الذين يقولون عنها إنها وجدت لتبقى ، ويجعلونها إحدى دول المنطقة التى وجد الحلف لخدمتها والدفاع عنها ، وقبول هذا الحلف يعنى الاعتراف بإسرائيل ، ويعنى تحقيق أهداف أمريكا وحماية إسرائيل وتوجيه اهتمامنا إلى خطر روسى موهوم لا وجود له .

— أن الشعب المصرى يرفض الدخول فى أحلاف . . ويتحولّ هذا الرفض إلى إصرار إذا كان أحد أطراف الحلف بريطانيا التى عرفناها فى معاهدة ١٩٣٦ التى أكدت أن كل اتفاق بين طرفين غير متكافئين يعنى سيطرة الطرف الأقوى على الطرف الضعيف وإملاء الأوامر عليه . . وهو مايسمى بالاستعمار .

— أن مصر دولة صغيرة تريد التخلص من السيطرة ، وتريد بناء نفسها حتى لا تظل متخلفة ، ولا مصلحة لها فى معاداة أحد . . ولا مصلحة لها فى الانحياز إلى كتلة ضد أخرى من كتلتى العالم(١) المتصارعتين .

ولنفس هذه الأسباب رفضته الشعوب العربية وثارت عليه . .

(ب) ولقد وضحت نيات أصحاب هذا الحلف من أول يوم عندما أعلنوا صراحة تصميمهم على جر الدول العربية إليه . . عند ذلك اتضح أن هدفه السيطرة الاستعمارية وليس الدفاع عن الخطر الوهمى .

وفى الوقت الذى كان فيه الدبلوماسيون الأمريكيون والبريطانيون فى سفارتى بريطانيا

---

(١) الكتلة الشرقية ويتزعمها الاتحاد السوفيتى ، والكتلة الغربية وتتزعمها أمريكا .

وأمريكا يؤكدون جهلهما بهذا الحلف . ويقسمون بكل شيء ليثبتوا براءة حكومتهم . . إذا بإيدن — رئيس وزراء بريطانيا وقتذاك — يعلن وفى ثورة غضب أنه صاحب فكرة « حلف بغداد » وأن الحلف قام ليعطى بريطانيا مركزاً ممتازاً فى المنطقة .

(ج) وهكذا أثبتت بريطانيا وقبل مضى ستة أشهر على اتفاقية الجلاء أن الصداقة فى نظر بريطانيا تعنى الخضوع لأوامرها ، والدخول فى أحلافها ،والتسليم لسيطرتها وتحكمها.. وأن ماتفعله بريطانيا مع العرب الآن هو مافعلته عام ١٩١٧ عندما كانت تفاوض العرب فى شأن استقلالهم ووحدتهم من جانب ، وتفاوض اليهود لإقامة وطن يهودى فى فلسطين من جانب آخر .

تلك سياسة بريطانيا وأمريكا مع كل شعب ضعيف . . لم يعد ميزانها الشرف والخلق وإنما قوامها قوى وضعيف . . غنى وفقير . . وإما أن يخضع الناس للغرب وأمريكا ، وإما أن يساوموا الناس على شرفهم وأوطانهم بالذهب والدولار .

٢ ـ الضغط العسكرى من اجل قبول الحلف

(ا) وبدأنا نعيد تقرير موقفنا من أمريكا وإنجلترا على ضوء هذا الحدث الجديد واشتدت مقاومتنا . . ووقع حادث آخر كان نقطة التحول التاريخية فى حياة مصر كدولة مستقلة كاملة السيادة ، وترك هذا الحدث أثراً عميقاً ومدويا فى العالم كله . . وسوف يسجل التاريخ هذا الحدث بين الأحداث التى تنهى تاريخا ، وتبدأ تاريخا .

هذا الحدث هو عدوان إسرائيل على غزة فى ٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٥ والذى وصفه مجلس الأمن والعالم كله بأنه عدوان وحشى مدبر ، وأعلنت إسرائيل فى تحد وخيلاء أنها دبرته ومر العدوان برغم قرار مجلس الأمن كأنه أمر عادى ولم تحرك بريطانيا أو أمريكا ساكنا .

(ب) أما بالنسبة لمصر — يابنى — فإن هذا العدوان كان بمثابة نافوس الخطر المروع لاعتبارات عديدة منها .

— توقيت العدوان جاء فى إبان اشتداد معارضة مصر لحلف بغداد ، وحديث أمريكا عن ضرورة صلح العرب وإسرائيل .

— ارتباط وجود إسرائيل بالمساعدات الأمريكية ، ولا يمكن أن ترتكب إسرائيل شيئا يغضب أمريكا .

— السلاح الذى استخدم فى العدوان سلاح أمريكى بريطانى تحصل عليه إسرائيل بمنتهى السهولة ، ويدفع ثمنه من الهبات التى تغدق على إسرائيل فى أمريكا وهى هبات معفاة

عن الضريبة . . هذا فى وقت تراوغ(٢) فيه أمريكا فلا تبيعنا سلاحا ، وتمتنع فيه بريطانيا عن توريد الجزء الأكبر من صفقة أسلحة تقاضت ثمنها ملايين الجنيهات .

— محاولة إذلال مصر . . وإشادة صحف الغرب بقوة إسرائيل التى تفوق أسلحة الدول العربية مجتمعة .

٣ - كسر احتكار السلاح

(ا) لقد ثبت بعد كل هذا أن عملية التحكم فى بيع السلاح لنا خطة محكمة وتدبير مرسوم

— فحكاية التصريح الثلاثى المشهور الذى صدر فى سنة ١٩٥٠ — ولم نعترف به — جزء من تلك الخطة هدفه تسليح إسرائيل وحرمان العرب .

— وحديث الصلح مع إسرائيل كلما طلبنا سلاحا هو الآخر جزء من الخطة .

— وعدوان إسرائيل وتركه يمر مرور الكرام جزء من الخطة .

واتضح لنا أن أمريكا لن تبيعنا سلاحا إلا بعد الصلح مع إسرائيل . . وأن بريطانيا هى الأخرى لن تورد لنا السلاح الذى قبضت ثمنه بالكامل ؛ لأنها شريكة أمريكا الأولى، وصانعة إسرائيل معها ، وزعيمة حلف بغداد ،

(ب) وكان لابد لنا من خطة مضادة لخطة أمريكا وبريطانيا فى التحكم واحتكار السلاح، وكانت خطتنا هى تحطيم هذا الاحتكار إلى الأبد ونسف أسطورة التحكم والسيطرة التى يفرضها قصر شراء السلاح على الموردين التقليديين ، لقد أصبحت المسألة مسألة حياة أو موت . . فإما أن نسلم للغرب ونعقد صلحا مع إسرائيل ، وتنتهى فلسطين ، ويشرد شعبها إلى الأبد . . ، وإما أن نحرم من السلاح ، ونعرض للعدوان . . إما أن ندخل أحلاف الغرب ونعود إلى نفوذه مرة أخرى . . وإما أن نحرم من السلاح ونضطر إلى طلب الحماية . ومن عيوب الاستعمار غروره بقوته ، وعدم اعترافه بإرادة الشعوب ، وتوهم المستعمرين أن الله لم يخلق على الأرض سادة غيرهم تماما كما تتوهم عصابات إسرائيل أنهم شعب الله المختار ، وأن من عداهم خدم وعبيد .

(ج) وفى مارس سنة ١٩٥٥ قررنا خطتنا وجعلنا الحصول على السلاح غرضها المحدد، بعد أن أصبح السلاح آخر مظهر من مظاهر التحكم والسيطرة .

وسافر عمك « جمال » — يابنى ! — فى مايو سنة ١٩٥٥ إلى باندونج ليمثل مصر فى مؤتمرها التاريخى وهناك أعلن للعالم كله سياسة مصر التى تقوم على الحياد الإيجابى . . والاعتراف بحق تقرير المصير . . وستقرأ — يابنى ! — كثيراً عن هذا المؤتمر الذى أصبح

(٢) تراوغ : تحاول خداعنا وتبتعد بنا عما نريد .

رمزاً للتحرر ومقاومة الاستعمار . وكان المغزى العميق لهذا المؤتمر هو اجتماع ثلاثين دولة من آسيا وأفريقية لأول مرة فى التاريخ بعد أن تخلصت من سيطرة الاستعمار ، ولم يسمح الدول الكبرى المستعمرة بحضوره أو حتى بإيفاد مراقبين إليه .

(د) ولما عاد جمال من « باندونج » بدء على الفور تنفيذ خطة السلاح فاتصل بالغرب والشرق على السواء .

ـــ أما مع الغرب فقد طلب منهم الوفاء بوعودهم وإلا فسيشترى السلاح من كل مكان، وأظهر لهم أن الأمر لا يحتمل التسويف أو المماطلة ؛ لأن كرامة مصر القومية فى الميزان .

ـــ وأما مع الشرق فقد أرسل يستفسر عمن يبيعنا ماتريدمنسلاح .

ولم يرد الغرب . . وجاء الرد من الشرق فأرسلت تشكوسلوفاكيا تقول :

إنها مستعدة لبيع السلاح ، وبدء المباحثات التجارية لإتمام ماتريد من صفقات(١) . واعتبر الغرب وبخاصة وزارة الخارجية الأمريكية أن كلام مصر من قبيل التهديد فأهملت الموضوع ظناً أن مصر سوف تعود إلى الخضوع . . ومرة أخرى استسلمت أمريكا وبريطانيا لحلمهما اللذيذ ، ولم تفيقا على حقيقة قيام مصر بعقد صفقة السلاح ؛ لتحصل على ماتريد من سلاح وعتاد .

٤ — معركة الصبحة : أهداف ونتائج

(ا) أما إسرائيل فقد كان لها حديث آخر خلال هذه الفترة ففى صيف سنة ١٩٥٥ عاد «ابن جريون» من عزلته إلى المسرح السياسى . . وكانت شعاراته « فرض الصلح على العرب بالقوة » ولما تولى رياسة الوزارة وقف فى البرلمان الإسرائيلى يعلن عن استعداده للالتقاء بالرئيس جمال عبد الناصر ويتحدث عن الصلح ونوايا إسرائيل السلمية . . وبعد مضى عشر سنوات من هذا الحديث كان « ابن جريون » يصدر أوامره إلى قوات الجيش الإسرائيلى بمهاجمة الموقع المصرى « الصبحة » .

(ب) وأذكر أن مراسلا بريطانيا جاء إلى القاهرة من إسرائيل بعد أن ردت القوات المصرية الهجوم الإسرائيلى . . وفى حديث خاص قال لى : « إنه اجتمع بابن جريون ، وسأله عن سبب الهجوم وهو الذى كان يطلب لقاء عبد الناصر ويتحدث عن الصلح والسلام وكان رد « ابنجريون » إن الحالة السياسية فى مصر مهددة بالانفجار ، وأن الرئيس جمال على وشك السقوط . . وأن الثورة المصرية على وشك التصفية . . والموقف فى حاجة إلى ما يعجل بالانفجار . . وسوف تسافر إلى القاهرة وبنفسك تسجل الأحداث . .

(٢) صفقات : جمع صفقة والصفقة البيعة .

(ح) وجاء المراسل وسجل انتصار مصر على آخر قيد من قيود السيطرة إذ سمع بنفسه إعلان الرئيس جمال عن عقد صفقة السلاح ، وسمع وشاهد الشعور العام فى مصر وفى العالم العربى . . ، وانتهت بذلك مرحلة ظهور النوايا .

المناقشة

— ١ —

« لقد ظنت أمريكا وبريطانيا . . أننا سنسلم أمام الأمر الواقع . . أو لعلهما اعتقدتا أننا لن نفطن إلى أهداف هذا الحلف . . ولكننا على العكس من ذلك عارضناه ولا نزال نعارض هذا الحلف لأسباب كثيرة . . »

(ا) فسر المراد من : الأمر الواقع . . أهداف هذا الحلف .
(ب) كيف خيب الشعب المصرى والعالم العربى ظن أمريكا وبريطانيا ؟
(ج) وضح ثلاثة أسباب دعت إلى مقاومة حلف بغداد .

— ٢ —

« أما عدوان غزة سنة ١٩٥٥ فقد كان بالنسبة لمصر ناقوس الخطر المروع لعدة اعتبارات » .

(ا) فسر المراد من « ناقوس الخطر المروع » .
(ب) وضح موقف مجلس الأمن . وموقف أمريكا وبريطانيا وإسرائيل من هذا العدوان .
(ج) لم كان هذا العدوان ناقوس الخطر المروع لمصر ؟

— ٣ —

كان لأمريكا وبريطانيا خطة إذن ..وأصبح لا بد لنا نحن الآخرين من خطة مضادة بعد أن وضحت النوايا سافرة .

(ا) هات معنى : « وضحت النوايا سافرة » .
(ب) بين خطة أمريكا وبريطانيا . . وخطة مصر المضادة لهذه الخطة .
(ج) كيف نفذت مصر خطة كسر احتكار السلاح ؟

— ٤ —

« ثم سافر عمك جمال — يابنى — فى مايو سنة ١٩٥٥ إلى باندونج لتمثيل مصر فى ذلك المؤتمر التاريخى . وهناك أعلن للعالم كله سياسة مصر التى تقوم على الحياد الإيجابى » .

(ا) ماذا تعرف عن « الحياد » والحياد الإيجابى ؟

(ب) وضح فكرة مؤتمر « باندونج » والمغزى الحقيقي له .

— ٥ —

« وما إن مضت عشر ساعات على هذا الحديث حتى كان بن جريون (يصدر أوامره) إلى قوات إسرائيل بمهاجمة الموقع المصرى « الصبحة » » .

(ا) فسر الحديث المشار إليه بقوله : « هذا الحديث » .

(ب) وضح أهداف العدوان على الصبحة كما جاء على لسان ابن جوريون للمراسل البريطانى .

(ج) ماذا سجل هذا المراسل بعد أن جاء إلى مصر ؟ .

(د) أعرب ما تحته خط فى العبارة ، وبين موقع الجملة التى بين القوسين من الإعراب .

(ه) استخرج من العبارة مشتقين مختلفتين وبين نوعهما، وفعل كل منهما .

الفصل التاسع

المرحلة الرابعة ـ مرحلة المساومة

الأفكار

١ ـ صفقة الأسلحة التشيكية ورد الفعل الغربى .
٢ ـ السد العالى والمناورات الجديدة
٣ ـ دالاس والحلم الموهوم .
٤ ـ جمال يفكر فى الرد .

التحليل

١ ـ صفقة الأسلحة التشيكية ورد الفعل الغرب

بدأت مرحلة المساومة ـ يابنى ـ عنيفة فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ فقد شنت الصحف الأمريكية . . والصحف البريطانية . . والصحف الفرنسية وكثير من صحافة أوربا بالتبعية حملة مركزة من الكراهية والتضليل ضد مصر :

(١) حملة أمريكا : أما أمريكا فقد اعتبرت صفقة الأسلحة التشيكية هزيمة نكراء(١) لسياستها فى الشرق الأوسط ، وهزيمة لمشروعاتها سواء من ناحية إسرائيل ، أو من ناحية الأحلاف ، وسياسة الحصار التى تريد بها تطويق روسيا .

وبدلا من الدراسة الواقعية لأسباب الهزيمة لجأت أمريكا للتشويش ، وتصوير مصر على أنها أداة للشيوعية . والشيوعية هى الموت الذى يطبق على عنق الشعب الأمريكى .. وتعاونت الصهيونية مع « دالاس » صاحب هذه السياسة فى ترويج(٢) هذا التشويش .. وتم تطويق الشعب الأمريكى بطوق حديدى من الدعايات التى طمست الحقائق طمسا كاملا ، وانطلقت الصحف الأمريكية كالكلاب الضارية تنبح ، وتصور مصر كل يوم بصورة أبشع من صورة اليوم الذى قبله .

فالسلاح الذى اشتريناه بمالنا إثم ، ومصر أصبحت قاعدة للهجوم وأغفلت هذه الصحف قصة السنوات الثلاث التى قضيناها انتظارا لوعود أمريكا التى نقضتها وعدا بعد وعد . . وأغفلت كذلك عدوان إسرائيل ثلاث مرات فى عام ١٩٥٥ كان أولها فى ٢٨ من فبراير على « غزة » . وثانيها اعتداء وقع على نقطة « الكُونتلا » المصرية . . وثالثها اعتداء على موقع « الصبحة » المصرى بعد أن تحدث « ابن جريون» عن السلام فى برلمان إسرائيل بعشر ساعات فقط . . هذا بخلاف اعتداءات أخرى على حدودنا ، وحدود سوريا ، وحدود الأردن . . . واغفلت صحافة أمريكا حملات « ابن جوريون » وشعاراته التى تهدد

---

(١) نكراء : سيئه ، وشنيعه .
(٢) ترويج : نشر .

بضرورة فرض الصلح على مصر مما دعا الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى استدعاء السفير الأمريكي ، ولفت نظر أمريكا لهذه النوايا العدوانية . . وأخذت هذه الصحف تهاجم مصر وتؤيد إسرائيل وتنادى بضرورة التدخل لمنع وصول صفقة الأسلحة وحماية إسرائيل من الغول الذى سيفتك بها ، وهو مصر ، والعجيب أن هذه الصحف كانت إلى وقت قريب تفاخر بقوة إسرائيل التى تستطيع هزيمة الجيوش العربية مجتمعة .

ولم يكن مسلك الحكومة الأمريكية بأقل حماقة من مسلك صحافتها . . فانطلقت التصريحات حسب خطة محكمة تهاجم مصر فى كل اتجاه تحت ستار ماسموه بتوازن القوى فى الشرق الأوسط والتصريح الثلاثى الصادر فى سنة ١٩٥٠ . . ، وأرادت الحكومة الأمريكية وصحافتها من هذا الهجوم تراجع مصر عن هذه الصفقة وعودتها إلى وعود الغرب أو سقوط النظام التقدمى فى مصر ومجىء قيادة تدين(١) بالولاء والعمالة(٢) لأمريكا وحلفائها .

وبدأت أمريكا تعالج خطأها بارتكاب أخطاء جديدة نتيجة غرور متأصل(٣) فى نفس أولئك الذين يرسمون سياسة أمريكا ، وعلى رأسهم « دالاس » وزير خارجيتها ، فهم يعتقدون ألا شىء يقف فى وجه أمريكا ، أغنى وأقوى دولة فى العالم . . وهم يؤمنون بأن مالا يدرك بالقوة يدرك بالدولار إن سياسة أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية لا تعرف الخلق والمبادىء وإنما تستبيح كل شىء فى سبيل مصالحها التى لا تقيم وزنا لإرادة الشعوب . . . وأمريكا تعلم أننا لسنا شيوعيين . . وأننا نرفض السيطرة الأجنبية وقد رفضنا اتفاقية « الأمن المتبادل » واتفاقية « رأس المال » ؛ لأننا لا نريد أن نستبدل بنفوذ بريطانيا نفوذا أمريكيا .. فلماذا تلجأ إلى اتهامنا بأمور قد رفضناها . . إن منطق علاج الخطأ بارتكاب أخطاء جديدة هو الذى صور لها أنها تستطيع إصلاح خطئها بهذا الهجوم .. فاتهمت مصر بالشيوعية تارة ، وبأنها أصبحت قاعدة للتسرب الشيوعى تارة . . ، وبأنها دخلت فى نطاق الشيوعية الدولية تارة أخرى ، وهكذا تراكمت الأخطاء(٤) .

(ب) حملة بريطانيا : وأما بريطانيا فقد اعتقدت هى الأخرى أن صفقة . الأسلحة هزيمة لسياستها ، ولمشروعاتها فى المنطقة ، وهى فى هذا أشد حساسية من أمريكا . لمصالحها البترولية فى المنطقة ، ولدورها فى حماية إسرائيل ، ولأن شمس امبراطوريتها أخذت فى الأفول وصحافة بريطانيا كصحافة أمريكا تقع تحت النفوذ الصهيونى ، فوقفت هى الأخرى

---

(٣) تدين : تؤمن . (٤) العمالة : التبعية .

(٥) متأصل : عميق . (٦) تراكمت الأخطاء : تجمع بعضها فوق بعض .

من إسرائيل موقف الصحف الأمريكية حتى أن جريدة « التيمس » التى يطلقون عليها الجريدة « الوقور » لم تتورع عن الخروج بإحصائية تفخر فيها بأن جيش إسرائيل قادر على هزيمة الجيوش العربية مجتمعة . . ثم تكون من أوائل الصحف التى بكت على إسرائيل الحمل الوديع بعد عقد صفقة الأسلحة . وأخذت تحث حكومة بريطانيا على حماية إسرائيل .

إلا أن حملة صحافة بريطانيا كانت موجودة قبل عقـــد صفقة الأسلحة لعدة أسباب منها .

أولا : رئيس وزراء بريطانيا ـ مستر « إيدن » ـ وقد كان سببا فى حملة التضليل التى شوهت حقيقة مصر وثورتها أمام الشعب البريطانى ؛ لأنه يعتبر « جمال عبد الناصر » عدوا شخصيا له لمجرد أنه حاكم وطنى لا يساوم ولا يخضع لتهديد . . وكيف توقع مصر مع بريطانيا ورئيس وزرائها « إيدن » اتفاقا ولا تحتفظ بريطانيا فيه لنفسها بنوع من السيادة على مصر ولو فى بنود سرية غير معلنة . . ثم تأصلت هذه العداوة عندماظن « إيدن » أنه تمكن من وضع المنطقة من جديد تحت سيطرة بريطانيا عن طريق حلف بغداد الذى كان أداة « إيدن » فيه عميله الأول « نورى السعيد » ـ إلا أن جمال خيب هذا الظن فحارب حلف بغداد ؛ لأننا لا نؤمن بالأحلاف كمبدأ ؛ ولأنه يعود بنا إلى سيطرة بريطانيا ، ولأنه يصفى إلى الأبد قضية فلسطين لصالح إسرائيل ، وكانت نتيجة المقاومة أن ولد الحلف ميتا فلم ينجح فى ضم الأردن الذى كان يسيطر على جيشه فى ذلك الوقت جنرال بريطانى هومستر « جلوب » بل أكثر من هذا طرد هذا الجنرال ، واعتبر « إيدن » أن هذا الأمر كله من تدبير « جمال » وهكذا ترك رئيس وزراء بريطانيا صحافة بلاده تشن هجومها على مصر ويغذيها بالسموم والأكاذيب .

ثانيا : والسبب الثانى لحملة الصحافة البريطانية ظهور مصر كقوة فى المنطقة بعد خروجها على بريطانيا المحتكر الوحيد لبيع السلاح يعطى من يشاء ويمنع من يشاء فقد أفقد الحكومة البريطانية صوابها .

ثالثا . ويأتى بعد ذلك مصالح بريطانيا فى المنطقة وبخاصة البترول ، وكيف تعرضت هذه المصالح بعد انكشاف عملاء بريطانيا ، وتأثر موقفها تجاه هذه الشعوب ، وهى التى لا تريد إلا الاستعمار وامتصاص الثروات من غير تقدير لإرادة الشعوب .

(ح) حملة فرنسا : وأما فرنسا فإنها تشترك مع بريطانيا وأمريكا فى موقفها من إسرائيل . . وفى خضوع صحافتها للصهيونية . . وفى مقاومتها لإرادة الشعوب مضافا إلى

ذلك سبب آخر أساسى هو مشكلة الجزائر . . ، فقد كانت فرنسا موتورة من مصر بسبب تأييدها لثورة الجزائر . . . ، وكان الفرنسيون يقولون إن معركة الجزائر تحسم فى مصر وليس فى الجزائر . . ، وكانت فرنسا إلى جانب كل هذا تحلم لنفسها بمقعد بين الدول الكبرى . . ولم يبق لها لذلك إلا الجزائر بابها إلى الصحراء الكبرى وإفريقية الوسطى . وبقدر هذا كله شاركت فى حملة التشهير ضد مصر .

٢ — السد العالى والمناورات الجديدة

(ا) تمت صفقه الأسلحة وبدأ الغرب على مصر حملة مسعورة فى الصحافة والإذاعة وعلى لسان الرسميين فى أمريكا وبريطانيا ، وفرنسا . . إلا أن آثار هذه الحرب عادت بالتأثير على شعوبهم وأفكارهم . .

أما مصر فقد وقفت صفا خلف قائدها ، وأخذت تكشف للعرب وللعالم خداع هؤلاء المستعمرين . . وأدارت ظهرها للقلق والبلبلة ، واتجهت للبناء والتشييد . . وكان مشروع السد العالى أمـــل مصر فى مستوى معيشى كريم يليق بجماهير الشعب التى وصلت إلى حالة خطيرة من هبوط مستوى المعيشة فى ظل حكومات ما قبل الثورة . . ووجدت أمريكا فى هذا السد طريقا آخر بعد صفقة الأسلحة تستطيع من خلاله فرض سيطرتها علينا عن طريق المال والدولار .

(ب) وظهر واضحا أن صفقة الأسلحة كانت لطمة مذهلة أصابت دول الغرب الثلاث، وجعلت صحافة أمريكا تشتد فى هجومها لتتخذ صحافة بريطانيا موقف الحذر ، ثم يكون العكس ، فتشتد صحافة بريطانيا ، وتهادن صحافة أمريكا .

وكنا قد طلبنا من البنك الدولى أن يقرضنا حسبما يقضى قانونه ، لكى نستطيع أن نبنى ذلك السد الذى يعتبر مسألة حيـــاة أو موت بالنسبة لمستقبل الشعب المصرى . . وبعد دراسات مستفيضة من البنك للمشروع . . وضع شروطه لإقراضنا بعد أن رفض أول الأمر ، وكانت هذه الشروط تتضمن شرطين جوهريين : الأول اشتراك أمريكا بنصف القرض . . والثانى سلسلة من القيود تجعل من مدير البنك الأمريكى وزيراً لمالية مصر . ولم يكن لبريطانيا فى قضية تمـــويل السد غير دور رمزى يتفق والخمسة ملايين جنيه التى ستسهم بها .

(ج) وهكذا عدنا إلى الحلقة المفرغة من الوعود والمساومات فى قضية تمويل السد العالى بعد أن حطمناها فى قضية السلاح ورفضنا السيطرة الأمريكية البريطانية فى قضية السلاح لنواجه سيطرة مدير البنك الدولى فى تمويل السد . . ولم يكن البنك الذى لنا فيه من حقوق

ما لأمريكا وبريطانيا غير أداة لتحقيق أهداف أمريكا فى السيطرة على مصر .

(د) واكتشفنا العلاقة القوية بين البنك الدولى وسياسة أمريكا فى المنطقة ففى الوقت الذى تهادننا فيه أمريكا يقبل علينا البنك ، ويوم تلجأ أمريكا إلى المساومة من أجل السيطرة يعرض عنا البنك محتجا بمختلف العقبات . وظن (دالاس) أن هذه المناورات سوف تنطلى علينا وسوف نفزع إليه فى النهاية ليملى علينا ما يشاء من شروط .. وخاب ظنه فقد رفضنا شروط البنك الدولى الخاص بالقيود والالتزامات ،وقبلنا مساهمة أمريكا إن جاءت بغير قيود أو التزامات .

٣ — دالاس وأحلام الموهوم

(ا) وما أن قبلنا مساهمة أمريكا حتى اعتقد (دالاس) مصمم سياسة أمريكا أننا وقعنا فى المصيدة . . ووضع خطته على أن يرد فى قضية تمويل السد اللطمة التى أخذها فى صفقة السلاح.. و(دالاس) رجل مغامر مقامر ورث هذه الصفات من نشأته فى (تكساس).

(ب) إن « دالاس » يعلم أن « روسيا » التى ساعدتنا فى صفقة السلاح قد عرضت علينا معونة غير مشروطة لبناء السد العالى . . لذلك دبر خطته على أن يختار اللحظة المناسبة لضربته التى ينتقم فيها من مصر ويرد الإهانة إلى « روسيا » بأشد من مهانته وفشله عند عقد صفقة السلاح . . . ولكى يجعل من ضربته حدثاً عالمياً ، ومفاجأة حاسمة فى تاريخ البشرية بدأ يبتسم من جديد . . وبدأت صحف أمريكا تخفف من هجومها بالتدريج وفى أول سنة ١٩٥٦ حاول إقناع الناس بعدم تأثره لصفقة الأسلحة بل أعلن فى مؤتمر صحفى أن الأسلحة التى اشترتها مصر أسلحة قديمة لا تستحق كل هذا التهويل .. وعجبنا هنا فى مصر لصدور مثل هذا الكلام من « دالاس » الذى كان بالأمس كالمحموم .. وتوالى العجب .. وتوالت الدهشة .. فقد جاء « يوجين بلاك » مدير البنك الدولى إلى مصر ؛ ليؤكد عزم البنك على تمويل مشروع السد . وبخاصة بعد أن وعدت « أمريكا » بإعطاء مصر نصف القرض على شكل معونة أمريكية لمصر ، وجاءت احتفالات الجلاء فى يونيو ١٩٥٦ ، وسعدت مصر بأشهر أيامها يوم أن خرج آخر جندى بريطانى بعد احتلال لمصر دام أربعة وسبعين عاماً.

وتم انتخاب « جمال عبد الناصر » رئيساً منتخباً لجمهورية مصر . وجاء شهر يوليو من السنة نفسها ، والشعب فى فرح بالجلاء وبالرجل الذى حقق هذا الجلاء . . . ، وهنا أحس « دالاس » أن الوقت قد حان ليضرب ضربته . . وأراد المغامر المقامر أن يثبت للعالم أنه يستطيع أن يقلب أفراح الشعب المصرى المنتصر إلى يأس وقنوط ، ويستطيع أيضا أن ينتزع منه الرجل الذى قاده إلى النصر تلو النصر.. واعتقد أنه سوف يطيح بجمال.. ويثبت أن روسيا غير جادة فى تمويل السد . . واتصل « دالاس » بالرئيس « أيزنهاور »

يخبره بأنه سيسحب معونة السد العالى ووافق « أيزنهاور » وفى الوقت الذى فرض فيه أن يطلب السفير المصرى فى « واشنطن » مقابلة « دالاس » ليعلنه بقرار موافقة مصر على قبول معونة أمريكا والبنك الدولى . كان دالاس هو الذى استدعى السفير المصرى ، وأعلنه بقرار أمريكا أو على الأصح بقرار « دالاس » وهو سحب معونة بناء السد . . . ، وجلس « دالاس » يفرك يديه فى نشوة هذا الظفر بعد أن أذاع بيانه الطائش الذى تضمن تحديا واستفزازاً لمصر وكان هذا يوم ١٩ من يوليه سنة ١٩٥٦ الذى كان انتهاء تاريخ وبدء تاريخ جديد .

(د) وأصبحنا فى يوم ٢٠ من يولية سنة ١٩٥٦ ونحن فى دهشـــة وحنق شديدين فقد كان المستر « دالاس » يستطيع أن يسحب العرض الأمريكى فى أية لحظة من غير أن نعترض أو نثور ؛ لأن دالاس حر فى تكييف سياسته وأموره ، ولكن الذى أثار حنقنا كان ذلك البيان الطائش المريب الذى أعلن فيه أن سحبه لمعونة السد مبنى على أساس أن مصر بلد مفلس ، وأن الحكومة الأمريكية لا تحمل للشعب إلا كل مودة وتقدير .

إلى جانب ماتتضمنه عبارة البيان من تحريض للشعب المصرى حتى يتخلص من «جمال» إن أراد مساعدة أمريكا فى بناء السد ، وغيره من عشرات المشروعات .

(هـ) واعتقد « دالاس » أنه قـــد ضرب بهذا البيان أكبر ضربة سياسية فى العصر الحديث . . ستنتهى بسقوط جمال . . وتصفى الثورة ، وحركة التحرر فى الأمة العربية . . وأنه قد وجه لطمة قوية لروسيا التى تجرأت فباعت لنا السلاح .. وجلس العبقرى ينتظر ما أمل من نتائج وآثار .

٤ — جمال يفكر فى الرد

وجلس عمك جمال يدرس فى هدوء عميق تحدى وزير الخارجية الأمريكية وتهجمه على مصر وعلى قائدها ..هذا التحدى الذى يجب أن يكون الرد عليه رداً قوياً يخرج« دالاس» وحلفاءه من غرورهم وكبريائهم وصغارهم(٧) وتآمرهم الذى حمل البنك الدولى ، والذى كان قد أرسل فى ١١ يولية سنة ١٩٥٦ إلى وزير مالية مصر خطابا يشيد فيه بسلامة مشروع السد العالى وبسلامة اقتصاد مصر أن يعود فيعلن يوم ٢٠ من نفس الشهر سحب معونته مستنداً إلى نفس الأسباب التى أعلنها « دالاس » وبريطانيا التى كانت ستشترك بخمسة ملايين من الجنيهات بادرت هى الأخرى فسحبت على لسان وزير خارجيتها هذه المعونة يوم ٢٠ يولية سنة ١٩٥٦ مستندة إلى نفس الأسباب .. وهكذا اتضحت المؤامرة التى

---

(٧) صغارهم : تصرفهم الصغير الدال على عدم وعى وخلق .

رسمت فى (واشنطن ، واستجابت لها لندن ، وسعدت بها باريس ، وكان على عمك جمال أن يرد وأن يكون الرد قويا وحاسماً .

المناقشة

— ١ —

« بدأت مرحلة المساومة فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ . . فقد شنت الصحف الأمريكية ، والصحف البريطانية ، والصحف الفرنسية ، وكثير من صحافة أوروبة بالتبعية حملة مركزة من الكراهية والتضليل ضد مصر » .

(ا) هات مرادف : المساومة . شنت . التضليل .

(ب) ما القضية التى أثارت هذه الحملة فى صحافة الغرب .

(ح) وضح فى إيجاز دور صحافة أمريكا وساستها فى هذه الحملة مبينا دوافع ذلك .

(د) شاركت كل من بريطانيا وفرنسا فى هذه الحملة لنفس الأسباب وأسباب أخرى. وضح الأسباب التى تختص بها انجلترا ،والتى تختص بها فرنسا .

— ٢ —

« فإنه بعد أن عقدت مصر صفقة الأسلحة وحطمت التحكم الذى كان مصدره بيع السلاح . تلفتت أمريكا لتبحث عن طريق آخر تستطيع بواسطته أن تفرض سيطرتها علينا عن طريق المال والدولار . وكان هو مشروع السد العالى » .

(ا) « تلفتت أمريكا لتبحث » بحثت أمريكا : أى التعبيرين أدق فى أداء المعنى ولماذا؟

(ب) وجدت أمريكا فى السد العالى قضية جديدة تنتقم بها لنفسها من قضية السلاح وضح.

(ح) وجدت أمريكا وبريطانيا فى مشروع السد العالى مجالا جديدا للمساومة. اشرح ذلك.

(د) أكد مشروع السد العالى ارتباط البنك الدولى ارتباطا قويا بالسياسة الأمريكية. كيف تكشف هذا الارتباط ؟

— ٣ —

لقد أراد المغامر المقامر أن يثبت للعالم أنه (يستطيع أن يقلب أفراح الشعب المصرى المنتصر إلى يأس وقنوط (ويستطيع أيضا أن ينتزع منه الرجل الذى قاده إلى النصر) .

(ا) فسر : المغامر . المقامر . يأس . ينتزع .

(ب) فيم كانت فرحة الشعب المصرى ؟

(جـ) ماذا فعل دالاس لتحقيق مأربه ؟

(د) لم يثر مصر رد دالاس بقدر ما أثارها بيانه . وضح .

(هـ) استخرج من العبارة مشتقين ، وبين نوعهما ، وفعل كل منهما .

(و) هات منها مصدرا مؤولا ، وضع مصدره الصريح فى جملة .

(ز) أعرب ما تحته خط فيها ، وبين موقع الجملة التى بين القوسين من الإعراب .

(ح) كيف تكشف عن كلمة « المقامر » فى معجمك .

الفصل العاشر

مرحلة المؤامرة

الأفكار

١ - أهداف المؤامرة .
٢ - الحل الخالد .
٣ - وتحقق الحلم .
٤ - المؤامرة .
٥ - فشل المتآمرين .

التحليل

١ - أهداف المؤامرة .

(ا) تكشفت أهداف المؤامرة ، واتضحت كل الوضوح .. وصرح « دالاس » فى غرور أمام لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الأمريكى فى جلسة سرية قائلا : عندما يأتى اللحظة التى يتخلص فيها الشعب المصرى من « جمال عبد الناصر » فإن أمريكا ستتقدم فى الحال لتقديم المعونة إلى الشعب المصرى .. ولم يكن إسقاط جمال هو الهدف الأوحد لضربة دالاس بل لها أهداف أخرى .. فأمريكا تريد أن تطيح بالثورة المصرية التى احتضنت التحرر ورفضت السيطرة .. ، وأمريكا تريد أن تطيح بالثورة المصرية التى بعثت القومية العربية .. ، وأمريكا غاضبة من مصر ؛ لأنها قاومت حلف بغداد .. ، وأمريكا غاضبة على مصر التى ترفض التفريط فى حقوق شعب فلسطين .. ، وأمريكا غاضبة على مصر التى اختارت سياسة الحياد الإيجابى .. ، وأمريكا غاضبة على مصر التى حطمت احتكار السلاح .. ، وأمريكا تخشى يقظة العرب على مصالحها فى المنطقة .. ، وأمريكا تقول : وجدت إسرائيل لتبقى .

(ب) وإنجلترا هى الأخرى تريد أن تطيح بالثورة المصرية لنفس أسباب أمريكا ؛ ولأنها أشد حنقا على مصر من أمريكا بعد أن أجبرت على الجلاء عن مصر ، وبعد أن تولى زمام أمورها « إيدن » المنهار المريض .

(ج) وكانت فرنسا هى الأخرى أشد حرصا من أمريكا وإنجلترا على القضاء على ثورة مصر ؛ لإيمانها بأن مستقبل الجزائر يقرر فى القاهرة ، وأن توقف ثورة الجزائر متوقف على زوال ثورة مصر .

٢ - الحل الخالد

(ا) وكان على جمال أن يرد هذا التحدى .. وكان عليه أن يقدر كعادته الموقف فى هدوء وعلى ضوء دراسة مستفيضة .. وجلس « جمال » ليبحث الرد هادئا كعادته حينما يواجه

مشكلة وعلى الرغم من أن المؤامرة تستهدف القضاء على حياة شعبنا .. وعلى الرغم من أن القائمين بها دول عظمى تملك السلاح ، والقنابل ، والأساطيل . . بسط المشكلة وعاد بها إلى أصلها ، وأدرك أن الهدف تجويع شعبه ، وفرض الحصار عليه حتى يعود راكعا للسيطرة الأجنبية .

(ب) وتلفت عمك جمال من حوله يابنى ! ـ واستعرض كفاح الشعب وآلامه وآماله ، وفى خلال استعراضه للأحداث وقف عند قناة السويس .. ، وأدرك أن قناة السويس تمثل آخر معقل من معاقل الاستغلال الأجنبى . وأن شركة قناة السويس تمثل أبشع نصب دولى فى القرن التاسع عشر : شقتها مصر بسواعد عشرات الألوف من أبنائها الذين ماتوا وهم يحفرونها .. ، ودفعت ستة عشر مليونا من الجنيهات من ثمانية عشر مليونا صرفت عليها ، ومع ذلك تستولى الشركة على عشرين مليونا من الجنيهات أرباحا كل عام ، ولا تأخذ مصر إلا رسما صوريا لا يتجاوز المليون . والقناة فى أرض مصر .. وتحت سيادة مصر ، وملك لمصر .

والأعجب من هذا أن الذى يستولى على هذه الأرباح الصافية هى العصابة التى تتآمر اليوم على شعب مصر لتجويعه ، وإفقاره ، وحرمانه من الاستدانة من البنك الدولى ..

(ج) وهكذا اهتدى عمك جمال إلى الحل الخالد ، وكان بسيطا :

فقناة السويس التى هى ملك لمصر يجب أن تعود إلى مصر .. ولم يضيع عمك « جمال » لحظة واحدة بعد أن انتهى إلى هذا القرار ففى يوم ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ ، وبعد أسبوع من حماقة « دالاس » وقف جمال فى الأسكندرية وأعلن فى خطابه السنوى تأميم شركة قناة السويس وفى الوقت نفسه كانت السلطات المصرية تتسلم المرافق .

٣ ـ وتحقق الحلم

وأصبح يوم ٢٦ يولية يوما خالدا بعد أن أضيف إلى أمجاده هـــذا المجد الرائع وعاش الشعب فى فرح مذهل : لأن تأميم قناة السويس كان أملا يجول(١) فى كل خاطر .. كما جاء ردا على تآمر المتآمرين فأحس الشعب بأن كرامته ردت وأن كبرياءه قد حفظ .. وعم الاحساس بالفرح كل الشعوب العربية كما حدث يوم أن عقدت صفقة الأسلحة ، غير أن يوم القناة كان أروع وأخلد ؛ لأنه كان نهاية تاريخ ، وبدء تاريخ .

٤ — المؤامرة

(١) أمم جمال القناة ، وثارت ثائرة الثلاثة الكبار .. وصممت بريطانيا ، وفرنسا أول الأمر على أن يقوما بالهجوم على مصر فورا . . وسافر « دالاس » إلى « لندن » ؟

---

(١) يجول : يدور .

ليهدىء من روعهما(٢) ولينصحهما بأن يحلا الأزمة عن طريق التآمر فى الداخل لنسف الثورة المصرية كما حصل لمصدق فى إيران(٣) فيلغى تأميم القناة فى مصر كما ألغى تأميم البترول فى إيران .

وخرج الثلاثة الكبار من اجتماعهم بقرار عقد مؤتمر فى « لندن » يجعلون من أنفسهم أولياء لهذا العالم فيه . . وعينوا الدول التى تحضر المؤتمر وتحَرَّوْا أن تكون من الدول التى تسير فى فلكهم . . ووجهوا الدعوة إلى مصر فى صورة إنذار يحمل مسبقا قرارات المؤتمر . . ورفضت الدول الحرة حضور مؤتمر وهى مقيدة بقراراته قبل انعقاده .

(ب) واتفقت الثورة المصرية على ذهاب عمك « جمال » — يابنى ! — إلى المؤتمر لمواجهة المتآمرين ، حتى لا يُترك مجال لعمل سلمى يمكن أن يطرق ، وبعد اتخاذ القرار بأقل من أربع وعشرين ساعة خرج إيدن رجل بريطانيا المريض بحديث فى التليفزيون ؛ ليكيل الشتائم لمصر وقائدها ورأينا أنه لاجدوى من وراء ذهاب جمال . . ، وأعلن جمال فى مؤتمر صحفى رفض حضور المؤتمر ، وفَنَّدَ دعوى المتآمرين الكبار ، كما أعلن عن عقد مؤتمر يضم جميع الدول التى تستخدم القناة فى القاهرة .

٥ ـ فشل المتآمرين

(ا) وعقد مؤتمر لندن ، وانتهى إلى قرار رفضته الدول الحرة ، وأيدته الحكومات العميلة . . وحمل القرار إلى مصر رئيس وزراء استراليا . . ورفضت مصر القرار ، وعاد رئيس وزراء استراليا إلى لندن ، وعقد المؤتمر الثانى فى « لندن » وهو المؤتمر الحزين ؛ لأنه اجتمع وانفض ، ولم يتخذ أى قرار .

(ب) وخرج « دالاس » علينا وعلى العالم باقتراح جمعية المنتفعين . . وفشل الاقتراح ، كما فشلت كل خطط « دالاس » وحلفائه المتآمرين . . وفشل المتآمرون كذلك فى التآمر على تعطيل الملاحة فى القناة بسحب المرشدين الأجانب فعمل المرشدون المصريون ومن عاونهم من الدول الصديقة ، وسارت الملاحة فى القناة بصورة شهد العالم أنها كانت أنجح من سيرها عهد الشركة المؤممة .

---

(٢) روعهما : فزعهما .

(٣) محمد مصدق : سياسى إيرانى ، وزعيم حزب الجبهة الوطنية ، وكان رئيسا لمجلس وزراء إيران فى الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٣ ، ولما أمم صناعة البترول فى إيران سنة ١٩٥١ تآمرت عليه بريطانيا واصطدم مع الشاه ، فأقيل وقدم إلى المحاكمة ، وسجن ثلاث سنوات .

(ح) وذهب المتآمرون بالشكوى إلى مجلس الأمن ووقفت روسيا ، ووقفت يوغوسلافيا إلى جانبنا موقف الصديق الشريف فى مجلس الأمن ، وكان قراره المشهور بقرار المبادىء الستة لحل مشكلة القناة حلا سلمياً والذى اتخذ فى ١٣ من اكتوبر سنة ١٩٥٦ وحدد يوم ٢٩ من اكتوبر لاجتماع مندوب مصر ، وبريطانيا ، وفرنسا فى جنيف للتفاوض . . ولم نذهب إلى جنيف ؛ لأن المتآمرين قد أبرموا أمرا بليل . وكان يوم ٢٩ من أكتوبر يوم تنفيذ تآمر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على شن عدوان ١٩٥٦ .

المناقشة

— ١ —

« ولم يكن إسقاط عمك جمال هو الهدف الأوحد لضربة دالاس بل إن الأهداف الأخرى لهذه الضربة كانت أعمق وأبشع .

(ا) ضع كلا من كلمتى : أعمق . أبشع فى جملة توضح معناها .

(ب) وضح المشار إليه فى قوله « هذه الضربة » .

(ح) بين أهداف أمريكا التى أرادتها من ضربة دالاس .

(د) لم وافقت هذه الضربة هوى كل من فرنسا وبريطانيا ؟

— ٢ —

وحين جلس عمك جمال ؛ لكى يضع تقدير الموقف الذى سيخرج منه بخطة الرد على تحدى المتآمرين الكبار كان هادئا كعادته . حينما يواجه أية مشكلة برغم أن المشكلة تستهدف القضاء على حياة شعبنا لأجيال طويلة مقبلة .

(ا) هات مرادف : المتآمرين . تستهدف .

(ب) وضح الرد الذى توصل إليه جمال . وكيف تم .

— ٣ —

« وأصبح يوم ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ يوما خالدا بعد أن أضيف إلى أمجاده هذا المجد الرائع » .

وضح أسباب خلود يوم ٢٦ يوليو فى ضوء هذه العبارة .

« كان مقدرا (ألا نذهب إلى جنيف) ؛ لأن المتآمرين (كانوا قد أبرموا أمرا بليل)

وهجمت إسرائيل يوم ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ على مصر كمقدمة للمؤامرة الدنيئة الكبرى التى لم يعرف التاريخ لنذالتها وخستها مثيلا » .

(ا) « أبرموا أمرا بليل » « اتفقوا فيما بينهم » أى التعبيرين أجمل ، ولماذا ؟

(ب) لم كان الذهاب إلى جنيف ؟ وما الذى حال دون السفر ؟

(حـ) أعرب ماتحته خط . وبين موقع الجملتين اللتين بين الأقواس من الإعراب .

(د) استخرج من العبارة مصدرا مؤولا ، وبين موقعه من الإعراب .

(هـ) هات منها مشتقين مختلفين ، وبين نوعهما ، وفعل كل منهما .

(و) كيف تكشف عن : المؤامرة . دنيئة . نذالة . فى معجمك ؟

الفصل الحادى عشر

الأفكار

١ ــ مرحلة الإذلال بالقوة ،
٢ ــ مرحلة الفضيحة الكبرى.
٣ ــ الإصرار على المؤامرة .
٤ ــ نصر المؤمنين الصادقين .

التحليل

١ ــ المرحلة السادسة : مرحلة الاذلال بالقوة

قصة عدوان ١٩٥٦

(ا) اصطحب « إيدن » تلميذه الفاشل ووزير خارجيته ، وسافر إلى باريس فى١٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ واجتمعا هناك برئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها وتقرر فى هذا الاجتماع دور كل من إنجلترا ، وفرنسا ، وإسرائيل فى مؤامرة العدوان . . الذى بدأ يوم ٢٩ من أكتوبر بهجوم إسرائيلى على سيناء ، وبينما نعد للإجهاز على إسرائيل ، إذا بإنذار بريطانيا وفرنسا إلى مصر الذى يطالب بإخلاء مدن القنال حتى تتمكن بريطانيا وفرنسا من حماية القنال ورفضنا الإنذار .

(ب) وفى سرعة ويقظة كان قرار « جمال » التاريخى بسحب قواتنا من سيناء ، وكان الإنسحاب أول ضربة سددت للمتآمرين الذين كانوا يهدفون إلى تصفية الجيش المصرى فى سيناء . ، ودخلت بريطانيا ، وفرنسا الحرب . . ولكن الله أراد أن ينقلب الإذلال الذى أرادوه بنا عليهم . . إذ توقف القتال يوم ٦ من نوفمبر سنة ١٩٥٦ بعد أن وضح للعالم كله أن مدينة بور سعيد الباسلة قد صمدت للعدوان ولم تستسلم لأساطيل فرنسا وإنجلترا ومن ورائهما حلف الإطلنطى .

(حـ) وأرسلت روسيا إلى بريطانيا، وفرنسا بإنذارها المشهور بعد أن امتنعت أمريكا عن مشاركتها فى عمل يوقف العدوان . . وقال « بولجانين » فى إنذاره إلى المتآمرين:

« إننا مصممون كل التصميم على استخدام القوة للقضاء على العدوان ، وإنهاء الحرب فى مصر » وقال :

« إن بريطانيا يجب أن تفكر فى موقف يجعلها معرضة للهجوم من دولة أقوى منها كثيرا تستطيع أن تشن عليها هجوما لا بالسفن ولا بالطائرات . ولكن بالصواريخ الموجهة » .

عندئذ انهار « إيدن » فى إنجلترا ، وجى موليه فى فرنسا ، وتوقف العدوان وفشلت مؤامرة الإذلال .

٢ ـ المرحلة السابعة : مرحلة الفضيحه الكبرى

اتخذت هيئة الأمم قرارا بالإجماع يطالب المعتدين بالانسحاب من مصر ، وحاولت بريطانيا ، وفرنسا التهرب من تنفيذ القرار . وهنا ظهرت أمريكا بموقف يحسب لها فعلى الرغم من انتخابات الرياسة وحاجة « ايزنهاور » إلى أصوات اليهود حلفاء فرنسا، وإنجلترا فى العدوان وقفت وطالبت بالإنسحاب ، واضطر المعتدون إلى الإنسحاب بعد فضيحة كبرى حاول كل من شارك فيها إلقاء مسئوليتها على الآخرين .. وانهار « إيدن » ،واستنكر الشعب البريطانى العدوان .، وأعلنت فرنسا أن العدوان كان يهدف إلى إسقاط « عبدالناصر » وإنهاء ثورة الجزائر . والقضاء نهائيا على القومية العربية ، وفى إسرائيل التى كانت تطمع فى القضاء على العمل الفدائى والاستيلاء على سيناء تراجعت فطالبت بقطاع غزة . ثم انتهت وتحطمت أطماعها على صخرة الرأى العام العالمى الذى وقف كله يستنكر المؤامرة ، ويدين العدوان . وظل «جمال» واستمرت ثورة الجزائر .. وانسحب العدوان .. وسارت القومية العربية خطوة إلى الأمام .

٣ ـ المرحلة الثامنة : مرحلة الاصرار على المؤامرة

(ا) وقف « أيزنهاور » وقفته المشرفة ودالاس المقامر المغامر لم يكن بجانبه بل كان يعالج . وحين خرج من المستشفى فكر ، وقدر ، وهداه تفكيره إلى خطة بهلوانية يستطيع بها تحقيق ماعجزت بريطانيا ، وفرنسا عن تحقيقه من أهداف .. وأطلق على خطته الجديدة « خطة العزل » . ويقصد به عزل مصر عن العالم أولا ، وعن شيقيقاتها العربيات ثانيا حتى يمكن غزوها من الداخل بنفس الأسلوب الذى طبقته السياسة الاستعمارية مع مصدق فى إيران .

أما العزل عن العالم الخارجى : فقد بدأه على شكل ضغط سياسى ، وحصار اقتصادى ، وتجميد لأموال مصر ، ومنعها من الحصول على حاجاتها من أسواق العالم .ونفذ هذه السياسة بسلسلة من التصريحات على لسانه مرة ، وعلى لسان « أيزنهاور » أخرى وكلها إشادة بموقف إسرائيل وحقها فى المرور بالقناة ، وخليج العقبة وتدويل قطاع غزة . . . ، ورفض بيع مصر القمح والبترول ، وأوعز إلى أسواق أوربا حتى لا تبيعنا أو تشترى منا .

(ح) وأما الغزو من الداخل : فقد بدأه بالإيعاز إلى عملائه فى المنطقة حتى يستعدوا للدخول فى معركة ضد مصر . . وبدأت خطة الغزو من الداخل بزيارة الملك « سعود » لأمريكا فى يناير سنة ١٩٥٧ . . وهناك جلس الملك «سعود» إلى «دالاس» ، وتلقى منهم الأوامر بالخطة الجديدة حيث اختاروه ، لكى يكون الزعيم الأوحد للمنطقة وعليه أن

ينفذ ما يطلب منه حتى تؤكد له أمريكا زعامته على العرب والمسلمين .

— وكان عليه أن يحسن علاقته مع حكام العراق فصدع بالأمر ، وسافر إلى العراق .

— وكان عليه أن يسقط الحكم الوطنى فى الأردن .

— وكان عليه أن ينسق مع كميل شمعون رئيس لبنان تدبير المؤامرات . وكان الهدف من كل هذا تكوين حزام جديد يعزل مصر وسوريا ، ثم تدبير المؤامرات ضدهما لإسقاط الحكم التقدمى فيهما ونفذ الملك كل هذا بإخلاص . . ودفع « سعود » نصف مليون جنيه مرة ودفع فى سوريا مليونين مرة أخرى . لكى يقتل «عبد الناصر» أولا ولكى يحبط وحدة مصر وسوريا ثانيا . وفشلت كل هذه المؤامرات .

٤ – نصر المؤمنين الصادقين

وبدلا من أن تعزل مصر . . عزل الملوك والرؤساء العرب — من عملاء أمريكا — عن شعوبهم وأصبح من الحتم أن ينقذ المستر « دالاس » عملاءه الذين أتى بهم ، لينقذوه ، وينقذوا سمعة أمريكا من الحضيض . وبدأ مستر « دالاس » يوهم مصر وسورية اللتين أصبحتا بلدا واحدا أنه قد غير سياسته نحو الدولة الجديدة فى وقت يدفع فيه حكام لبنان إلى التقدم بشكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة فى محاولة لإنقاذهم من شعوبهم . وتطورت الأحداث بالمنطقة ، وأصبحت أحداث عام واحد تعدل أحداث مئات السنين . ولازال « جمال » محور كفاحنا . وأمل أجيالنا المقبلة فى الحياة ، والكرامة ، والسلام . وينهى الكاتب هذا الجزء من الذكريات بحديث توجه به إلى الله بمناسبة عودة جمال من رحلة إلى الاتحاد السوفيتى يلخص فيه أحداث الحقبة ما بين ثورة يوليه ١٩٥٢ وبين أوائل ١٩٥٧ .

المناقشة

— ١ —

« وبينما نحن نعد العدة للإجهاز على إسرائيل بعد أن بدأت العدوان إذا بإنذار هو الأول من نوعه فى تاريخ البشرية فى وقاحته وغروره يأتى إلينا من فرنسا وبريطانيا . . »

(أ) وضح المراد من : الإجهاز على إسرائيل . وقاحته وغروره .

(ب) بين مضمون هذا الإنذار وموقف مصر منه .

(جـ) أطلق الكاتب على هذه المرحلة مرحلة الإذلال بالقوة . وضح السبب .

(د) اذكر الدور الشريف الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى هذه المرحلة.

— ٢ —

« فى هذه المرحلة — مرحلة الفضيحة الكبرى — انفضح المتآمرون وأخذ كل واحد

منهم يلق المسئولية على أخيه » . وضح هذه الفضيحة كما وقعت فى الدول المتآمرة .

— ٣ —

« وفكر المستر دالاس فى أن يضع خطة بهلوانية يستطيع بها أن يحقق الأهداف التى لم تستطع بريطانيا وفرنسا بجيوشهما أن تحققاها ولكن من غير حرب . وقد أطلق على خطته الجديدة هذه اسم « العزل » .

(أ) ما الأهداف التى عجزت بريطانيا وفرنسا عن تحقيقها ويعمل دالاس لينجح فيما أخفق فيه غيره ؟

(ب) ما الذى تعنيه خطة العزل التى توصل إليها دالاس .

(ﺟ) وضح أبعاد هذه الخطة فى المجالات التى وضعها دالاس لها . ونتيجة ذلك .

(د) من الذى حمل مسئولية عزل مصر من الداخل ؟ وماذا فعل لأداء هذه المسئولية؟

(ﻫ) أعرب ماتحته خط فى العبارة .

(و) هات من العبارة جملتين إحداهما فى محل نصب والثانية فى محل جر .

(ز) هات من الفعل استطاع اسم فاعل واسم مفعول وضع كلا منهما فى جملة .

مناجاة

الذكريات فى سطور

نحن والأعداء

وجمال يارب . . عبدك المؤمن بك المتوكل عليك ، . المسير بإلهامك . . الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

لقد نصرتنا به فى مواطن كثيرة :

ـــ نصرتنا به يوم أن ضاقت علينا أرضنا ، وحبس ملك خليع علينا أنفسنا فشاءت إرادتك أن تنتصر إرادة الشعب على يد جمال .

ـــ ونصرتنا به يوم أن خضنا مع بريطانيا معركة الجلاء ، وقد ظلت جيوش بريطانيا تدنس بأقدامها أرض وادينا أربعة وسبعين عاما يعبثون بالحرمات ، ويغتصبون الأرض والأرزاق حتى خرج إليهم جمال أن احملوا عصاكم وارحلوا .

ـــ ونصرتنا به فى معركة السلاح بعد أن ظنت بريطانيا أنها تستطيع أن تفرض على هذا البلد احتلالا وسيطرة بعد الجلاء عن طريق بيع السلاح ، وبعد أن حذت أمريكا حذو بريطانيا فى سوء القصد وخبث الطباع .

ونصرتنا به فى معركة القناة .. يوم حاولوا إذلالنا بالتجويع ، وبالإيقاع بيننا وبين جمال ، . فأمم جمال القناة . . وجاء العدوان على صورة مؤامرة وإنذار . فهزم العدوان ، وانكشف القوم ، وانهزم الغدر وتحطم الغرور .

ونصرتنا به يوم أن أرادت أمريكا أن تفرض علينا العزل والتجويع ، والحصار ، وشاءت إرادتك أن تفشل أمريكا وينهزم البغى والعدوان .

ونصرتنا به يوم أن وجدت أمريكا فى العملاء أداة ظنت أنها تستطيع بها إسقاط جمال . فخيبت يارب أمل أمريكا وكشفت العملاء .

٢ — نحن والأصدقاء

وجمال يارب عبدك المؤمن بك ، . المتوكل عليك . . المسير بإلهامك . . الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

لقد نصرتنا به فى مجال الصداقة التى طالما مددنا أيدينا بها إلى الجميع فى حماسة وإخلاص ومدت إلينا أياد ترتدى قفاز الغرور ، وقناع السيطرة . . فرفضنا هذه الأيدى .

إلى أن كانت أول يد شريفة تمتد إلينا فى حماسة وإخلاص :

ـــ امتدت إلينا ونحن نحارب معارك احتكار السلاح بصداقة واحترام وأخوة فاقت فى معناها كل أخوة واحترام .

ـــ وامتدت إلينا يوم أن عادت لنا قناتنا .

ـــ وامتدت إلينا يوم أن تآمر الكبار علينا فى مجلس الأمن ، وكان الفيتو الروسى لطمة أفاقتهم من سبات .

ـــ وامتدت إلينا يوم ردت على إنذار الغدر بإنذار الشهامة والسلام .

ـــ وامتدت إلينا فى معارك الضغط والتجويع فأرسلت القمح حتى يقاوم الشعب الجوع والعدوان .

ـــ وامتدت إلينا يوم أن حشد العدوان على حدودنا فى سوريا حشود الغدر والغرور .

ـــ وامتدت إلينا لكى ترفع فى وطننا المصانع ، وتدور الآلات ، ولكى تخرج الثروات وتقيم السدود ؛ لنعيش فى ظل كرامة محفوظة ، وحرية مصانة ، واستقلال مشيد ، وأمل متزايد ، ومستقبل مشرق .

إن تلك اليد يد الشعب السوفيتى الصديق .

فبارك يارب هذه الصداقة الشريفة ؛ لأننا لا نملك إلا أن نبادل هؤلاء الإخوة حبا بحب .. وإعجابا بإعجاب .. وصداقة بصداقة نفخر بها على مر الأيام .

أما جمال الذى يعيش اليوم بروحه فى قلوبنا وعقولنا بعد أن كان بالأمس ملء أسماعنا وأبصارنا .

فأهلا به رائداً قائداً ، ورمزا باقيا . وزعيما من الزعماء الخالدين .

امتحانات النقل العام ١٩٧١

عدلت النماذج حسب المناهج الجديدة

مدرسة التوفيقية الثانوية للبنين

١ ـ الورقة الأولى

أولا : التعبير اكتب فى أحد الموضوعات الآتية : ١ ـ الادخار ضرورة قومية لبناء صرحنا الاقتصادى ، ودعم كياننا السياسى والاجتماعى .

٢ ـ العمل المبنى على التجربة الناضجة والعلم هو أساس الحضارة فى شتى مظاهرها والمقياس الأول والصحيح لمدى تقدم الأمة وسبقها .

٣ ـ لا يقيم الحق إلا قوة تفعل القوة مايعي القضاء

ثانياً القراءة : المجموعة الثانية : اجب عن أحد السؤالين الآتيين :

١ ـ إن اليهودية دخلت فى عداد المستعمرين منذ ابتليت فلسطين بتلك العصابة التى تسمى « دولة إسرائيل » . (ا) ما الطريق إلى استمرار الوجود الإسرائيلى ؟ وكيف أثبت العقاد ذلك ؟ (ب) اذكر مايوحى به المقال من وسائل للقضاء على إسرائيل ؟

٢ ـ أقدس رسالة تؤديها المرأة للمجتمع رسالة المنزل حيث تكون فيه أما وزوجة وربة بيت . (ا) لماذا كانت هذه أقدس رسالة للمرأة ؟

(ب) وضح رسالات أخرى تؤديها المرأة الآن .

(جـ) أقرت الرسالات الدينية حقوق المرأة وحثتها على ممارستها . بين هذه الحقيقة .

الورقه الثانية

أولا النحو : الإيمان والعلم ياشباب العرب . فهما أقوى الأسلحة فى حربنا المريرة مع الاستعمار ولا سيما قاعدته إسرائيل ، فبالإيمان يهون العزيز ، ويصغر العظيم وتتضاءل التضحيات ، وبالعلم نطور مجتمعنا ونحمى المبادىء والقيم ، وكم معارك انتصر نافيها بالإيمان والعلم .

(ا) اضبط الكلمات التى تحتها خط فى العبارة السابقة مبيناً السبب . (ب) « أقوى » هات جمع المذكر السالم لهذه الكلمة وأدخله فى جملة مبيناً ما حدث بها من تغيير .

(جـ) بين المعنى الذى أفادته « كم » فى العبارة السابقة ، ثم هاتها فى جملة من إنشائك تفيد معنى آخر وأعرب الاسم بعدها . (د) صغر كلمة « قيمة » وزنها بعد التصغير .

ثانياً : البلاغة :

أمة العرب آن أن ينهش النسـ ـر فقد طال عهده بالرقود
صفقى بالجناح فى أذن النجم ومدى فضل العنان وسودى
وأعيدى حضارة زانت الدنيا فكم ودت المنى أن تعيدى
إنما المجد أن تريدى وتمضى ثم تمضى سباقة وتريدى

اقرأ الأبيات السابقة لعلى الجارم ثم أجب عما يأتى .

(ا) عين من الأبيات أسلوبين إنشائيين مختلفين . وبين الغرض منهما .

(ب) وضح ما اشتمل عليه البيت الثالث من صور وبين أثرها فى الأسلوب .

وأعيدى حضارة   ولتعيدى حضارة

(ج) أى التعبيرين السابقين أجمل ؟ ولماذا ؟

ثالثاً : الأدب : ١ — من الأغراض التى أجاد فيها زهير القول ، المدح :

(ا) اذكر بعض الشخصيات التى حظيت بمدحه ؟ وهل كانت جديرة بهذا المدح واستشهد لما تقول من شعره . (ب) ما السمات الفنية التى تميز شعر المدح عند زهير ؟

(ج) لماذا كان زهير فى نظر ابن الخطاب شاعر الشعراء ؟

رابعاً : النصوص : أجب عن اثنين فقط من الأسئلة الآتية :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى   أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها : إن المنية منهل   لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى   أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

من الأبيات السابقة لعنترة أجب عما يأتى : (ا) بين معانى الكلمات : الحتوف . لا أبالك . (ب) ما الصفة التى يعتز بها عنترة فى هذه الأبيات ؟ وما مبرراته للتمسك بها ؟

(ج) إلى أى غرض شعرى تنسب هذه الأبيات؟ وما الظروف التى دعت إلى انتشاره ؟

(د) عين من الأبيات صورة خيالية ، وبين نوعها وأثرها فى الأسلوب .

(ه) هذه الأبيات مرآة تعكس الحياة الجاهلية . وضح ذلك .

٢ — فلا والله لا أنساك حتى   أفارق مهجتى ويشق رمسى
فقد ودعت يوم فراق صخر   أبى حسان لذاتى وأنسى
فيا لهفى عليه ولهف أمى   أيصبح فى التراب وفيه يمسى

من أبيات الخنساء السابقة أجب عما يأتى :

(ا) بين معانى الكلمات : مهجتى ـ رمسى . (ب) « لا أنساك . لن أنساك » أى التعبيرين أجمل ؟ ولماذا ؟ (ج) بين الغرض من الاستفهام فى البيت الأخير ، والمعنى الذى أفاده التضاد . (د) فى بقية النص إشادة بالفضائل العربية . وضح ذلك واستشهد بالأبيات. (ه) تبدو الملامح والسمات التى تميز أدب المرأة فى الأبيات السابقة ، اشرح ذلك.

٣ — رأى شبحاً وسط الظلام فراعه   فلما رأى ضيفاً تشمر واهتما
فقال : هيا رباه ضيف ولا قرى   بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما
فقال : ابنه لما رآه بحيرة   يا أبت اذبحنى ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم على الذى طرا   يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

اقرأ الأبيات السابقة للحطيئة وفى ضوئها أجب عما يأتى :

(ا) ما معنى الكلمات : قرى ـ اهتما . (ب) بين نوع الأساليب التى تحتها خط وبين الغرض منها . (ج) ما علاقة البيت الرابع بما قبله ؟ وما رأيك فى فكرته ؟

(د) هذا النص قصة مكتملة الجوانب . بين مظاهر ذلك .

---

٢ ـ مدرسة السلحدار الثانوية بمصر الجديدة

الورقة الأولى

أولا : التعبير : اكتب فى أحد الموضوعات الآتية :

١ ـ كثير من الأفراد يهاجرون من أوطانهم إلى غيرها من أقطار الأرض . تحدث عن آثار الهجرة فى حياة الأفراد والجماعات .

٢ ـ اكتب قصة تصور فدائيا عربيا ودع أهله ، وأقسم ألا يلقاهم إلا على أرض وطنه المغتصب .

٣ ـ وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

ثانيا القراءة : من الميثاق أجب عن السؤال الآتى :

١ ـ يقول بعض المؤرخين : « إن الحملة الفرنسية صنعت اليقظة المصرية فى مطلع القرن التاسع عشر » ـ ناقش ذلك .

الورقة الثانية

أجب عن الأسئلة الآتية : أولا : النحو : فقدت مصر والعالم العربى أعظم قائد ، بعد أن رسم لها طريق الكفاح فشيعته الأمة العربية مصممة على السير فى طريقه ، وستظل ذكراه نارا (تلهب العزائم) وتدفع بنا إلى ميدان المعركة وسنصرع العدوان ولا شك فكم من فتى (يتمنى الاستشهاد فى سبيل وطنه) ويقدم روحه فداء له . وحذار من التخاذل فليس النصر ببعيد .

١ ـ أعرب ماتحته خط . ٢ ـ بين محل الجملتين اللتين بين الأقواس من الإعراب .

٣ ـ صغر نار ـ ميدان ، وبين ماحدث فيها من تغيير .

٤ ـ أنسب إلى : فدائى ـ فتى ، وبين ماحدث فيهما .

٥ ـ استخرج من العبارة اسم فعل وبين نوعه ، ولا النافية للجنس وبين اسمها وخبرها .

ثانيا : الأدب : ما الخصائص الفنية لأسلوب عبد الحميد الكاتب . وضح ماتذهب إليه بذكر شواهد من أدبه .

ثالثاً : البلاغة :

أنا لست أنسى قريتى وهوى الربيع يزورها
فتموج فيه حقولها ونخيلها وطيورها
وعلى صباح دجاجها الوثاب تصحو دورها

١ — اشرح الأبيات بعبارة أدبية . ٢ — هات منها صورة بيانية واذكر نوعها وأثرها فى الكلام . ومجازا مرسلا وبين علاقته . ٣ — قدم عليك والدك بعد أن طال غيابك عن قريتك قائلا : « هل نسيت قريتك — لقد كبرت سنى وصرت لا أقوى على السفر » ما نوع الأسلوب فى العبارتين السابقتين ؟ وما الغرض منه ؟

رابعاً : النصوص : أجب عن السؤال الآتى :

١ — من رسالة عمر بن الخطاب « بلغنى أنه قد فشت لك فاشية ... وعهدى بك قبل ذلك أن لا مال لك فأنى لك هذا ... » .

(ا) اشرح ما تحته خط . (ب) أكتب أربعة أسطر من رد عمرو على هذه الرسالة مضبوطة بالشكل . (ج) بين قيمة العمل بتطبيق هذا المبدأ .

(د) بين من النص الخصائص الفنية لأسلوب الرسائل .

ثم أجب عن سؤال واحد من السؤالين الآتيين :

٢ — أحلامنا تزن الجبال رزانة ويفوق جاهلنا فعال الجهل
إن الذى سمك السماء بنا لنا عزا علاك فماله من منقل

(ا) لمن هذان البيتان ؟ وفى أى غرض قالهما ؟ اشرحهما بعبارة أدبية .

(ب) ما النقائض فى الشعر ؟ وما سر انتشارها فى العصر الأموى بعد أن أبطلها الإسلام .

٣ — فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

(ا) بم يسمى هذا اللون من الشعر ؟ ولم أجاده النابغة ؟

(ب) فى البيتين حكمة عينها وبين رأيك فيها ، وما الفرق بينها وبين المثل ؟

---

٣ — مدرسة شبرا الثانوية للبنات

الورقة الأولى : (تعبير وقراءة)

أولا : التعبير : اكتبى فى واحد من الموضوعات الآتية :

١ — تحصين أبناء الأمة ضد أمراض الصيف عمل جليل من وزارة الصحة يجب أن يقابل بالتقدير من الشعب .

٢ — الكشوف البترولية فى بلادنا تبشر بمستقبل زاهر ننعم فيه بالرخاء والقوة .

٢ — وقفت على شاطىء النيل ساعة الأصيل تسبحين بخطواتك فى الماضى المعيد ، فتذكرين فضل النيل ، وأنه واهب الحضارة ومصدر الخير والسعادة .

ثانياً : القراءة : المجموعة الأولى : أجيبى عن سؤالين فقط على أن يكون الأول منهما :

١ — « وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثمانى على المنطقة بأسرها كان شعب مصر قد تحمل ببسالة مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها .   (ا) ما المقصود بالمنطقة .

(ب) وضحى المسئوليات الحاسمة التى تحملها شعب مصر لصالح المنطقة كلها .

٢ — من « ابن النفيس » أما فى الطب فكان نابغة عصره غير منازع ولا مدافع ، كما درس مؤلفات جالينوس .   (ا) من جالينوس .

(ب) لماذا نفر الصيادلة من ابن النفيس ؟   (ﺟ) ما الكشوف العلمية التى سبق بها غيره ؟   (د) اذكرى الأثر الذى يعود علينا من دراسة ابن النفيس ؟

٣ — « الانطلاق العظيم » ولربما كان من أبرز هذا التحول العظيم أن تتطاول إلى عنان السماء مداخن مصانعنا الجديدة إلى جانب أشجار النخيل العالية . لتعلن مولد «مصر الصناعية» .

(ا) ما معنى : « تتطاول » .   (ب) اذكرى الفكرة التى تشير إليها العبارة .

(ﺟ) ما الحقوق الثورية التى حصلت عليها الطبقة العاملة ضمن قوانين يوليو سنة ١٩٦١ .

(د) وضحى أثر التحول العظيم فى صناعات الغزل والنسيج .

الورقة الثانية : (أدب وبلاغة ونحو ونصوص)

المجموعة الأولى : أجيبى عن الأسئلة الاتية :

١ — (ا) لثقافة عبد الحميد الكاتب أثر عظيم فى ازدهار الكتابة الأدبية على يديه . اذكرى مصادر ثقافته ، ثم وضحى منزلته الأدبية .

(ب) من أغراض الشعر التى شاعت فى العصر الجاهلى الفخر ، ما سبب شيوعه ؟ وبم كان يتميز ؟

٢ — يقول الشاعر :

فلسطين الحبيبة كيف أغفو   وفى عينى أطياف العذاب
تمـــر قوافل الأيام تروى   مؤامرة الأعادى والصحاب
فلسطين الحبيبة كيف أحيـا   بعيداً عن سهولك والهضاب ؟

(ا) ما الفكرة التى يوضحها البيت الثانى ؟   (ب) فى الشطر الأول من البيت الأول صورة خيالية ، وضحيها ، واذكرى نوعها وقيمتها الأدبية .   (ﺟ) وضحى الغرض البلاغى من الاستفهام فى البيت الثالث .

٣ — عندما يدوى النذير فى سماء القاهرة معلناً عن غارة جوية ، يجرى شباب الدفاع المدنى فى الشوارع قائلين : الإضاءة الإضاءة ، وسرعان ما يتجه كل فرد إلى أداء واجبه لأننا أهل القاهرة ندرك واجبنا ولا سيما الشباب .

(ا) اضبطى ما تحته خط وبينى سبب الضبط . (ب) « الشوارع » هاتى مفردها ثم صغريه ، وبينى ما حدث فيه . (ج) استخرجى من العبارة ما يأتى :
١ — فعلا ثلاثياً معتل الاخر وهاتى منه اسم مفعول فى جملة تامة . ٢ — اسم فعل وبينى نوعه . ٣ — اضبطى الاسم الذى بعد لا سيا بما يمكن ضبطه .

المجموعة الثانية : أجيبى عن سؤالين فقط مما يأتى :

٤ — قال زهير :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها   وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

(ا) ما الفكرة التى توضحها الأبيات ؟ (ب) فى البيت الثانى صورة خيالية وضحيها وبينى قيمتها الأدبية . (ج) ما الذى توضحه الأبيات من شخصية زهير ؟
(د) اذكرى من قصيدة زهير ما يشير إلى أن الإيمان بالله سرى فى الجزيرة العربية قبل مجىء الإسلام .

٥ — قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخير ترهبون به عدو الله وعدوكم ... وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ... » .
(ا) ما المراد من القوة التى تأمرنا بها الاية الأولى ؟
(ب) ما قيمة التعبير بإن فى قوله تعالى : وإن جنحوا ... ؟
(ج) فى قوله تعالى : « عدو الله وعدوكم » ما يشعرنا بشىء : وضحيه .
(د) كان القرآن الكريم الينبوع الصافى الذى استمد منه الأدباء أدبهم ، اذكرى أثره فى الأدب .

٦ — قال جرير :

أعددت للشعراء سما ناقعاً   فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمى   وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

(ا) اذكرى معنى ما تحته خط . (ب) ما الذى يقصده جرير من قوله «سما» ؟
(ج) استخرجى من البيت الثانى صورة خيالية وبينى نوعها وأثرها فى المعنى .
(د) يفخر جرير بثبات أحلام قومه، وبعلو مجدهم . اذكرى من قصيدته ما يوضح ذلك.

محتويات الكتاب

الميثـــاق

مقرر فى مديريات : دمنهور ـ دكرنس ـ دمياط ـ الزقازيق ـ بنى سويف ـ أسيوط ـ الخرطوم

إلى إخواننا الأساتذة وأبنائنا وبناتنا فى المدارس الثانوية والإعدادية والابتدائية نقدم كتابهم المفضل فى اللغة العربية .

النصوص المقررة للصف الثالث الثانوى

" " " الثانى "

" " " الأول "

" " للصف الثالث الإعدادى

" " " الثانى "

" " " الأول "

" " للصف السادس الابتدائى

رقم الايداع ٤٧٠٧ / ١٩٧١